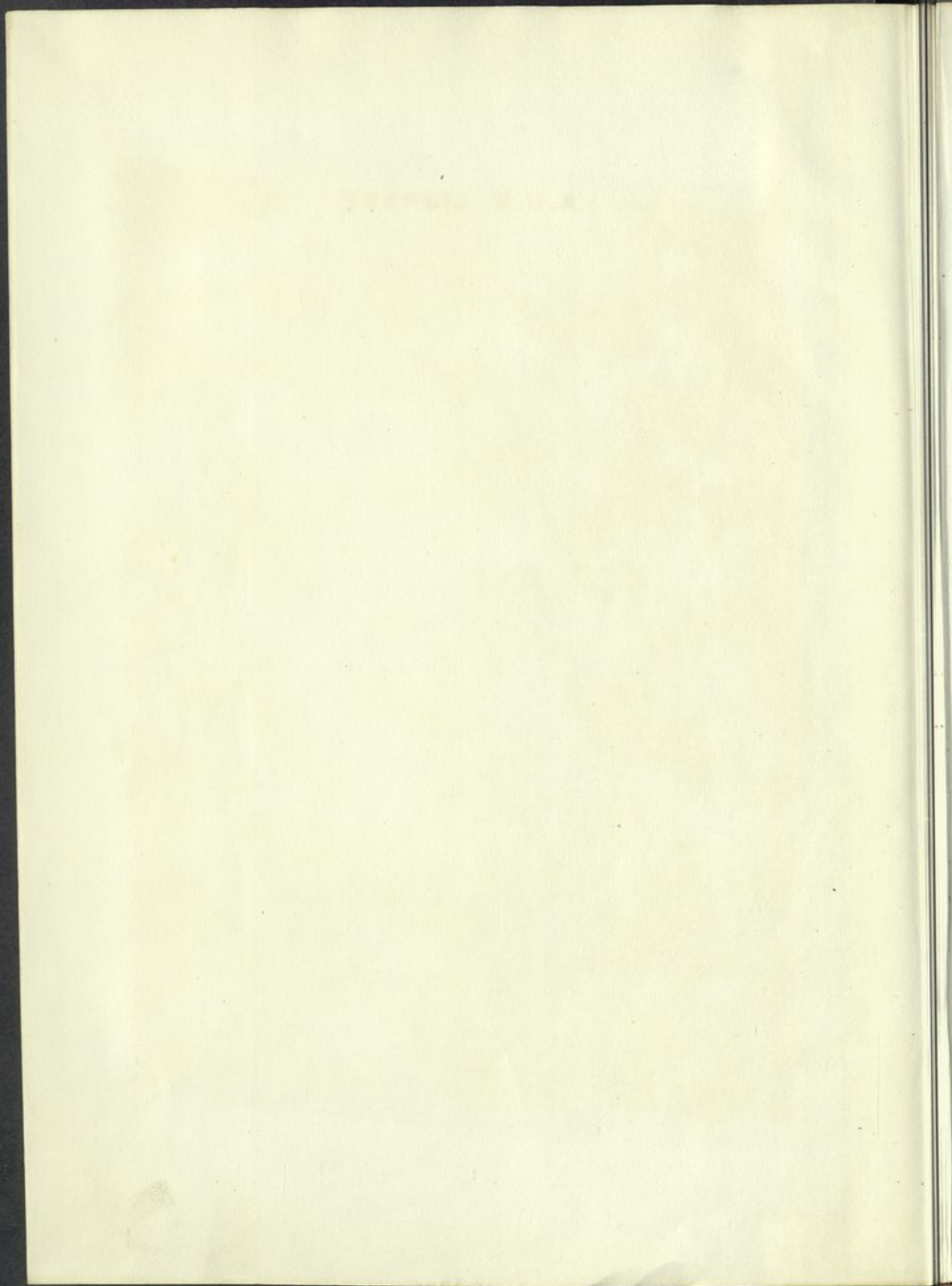
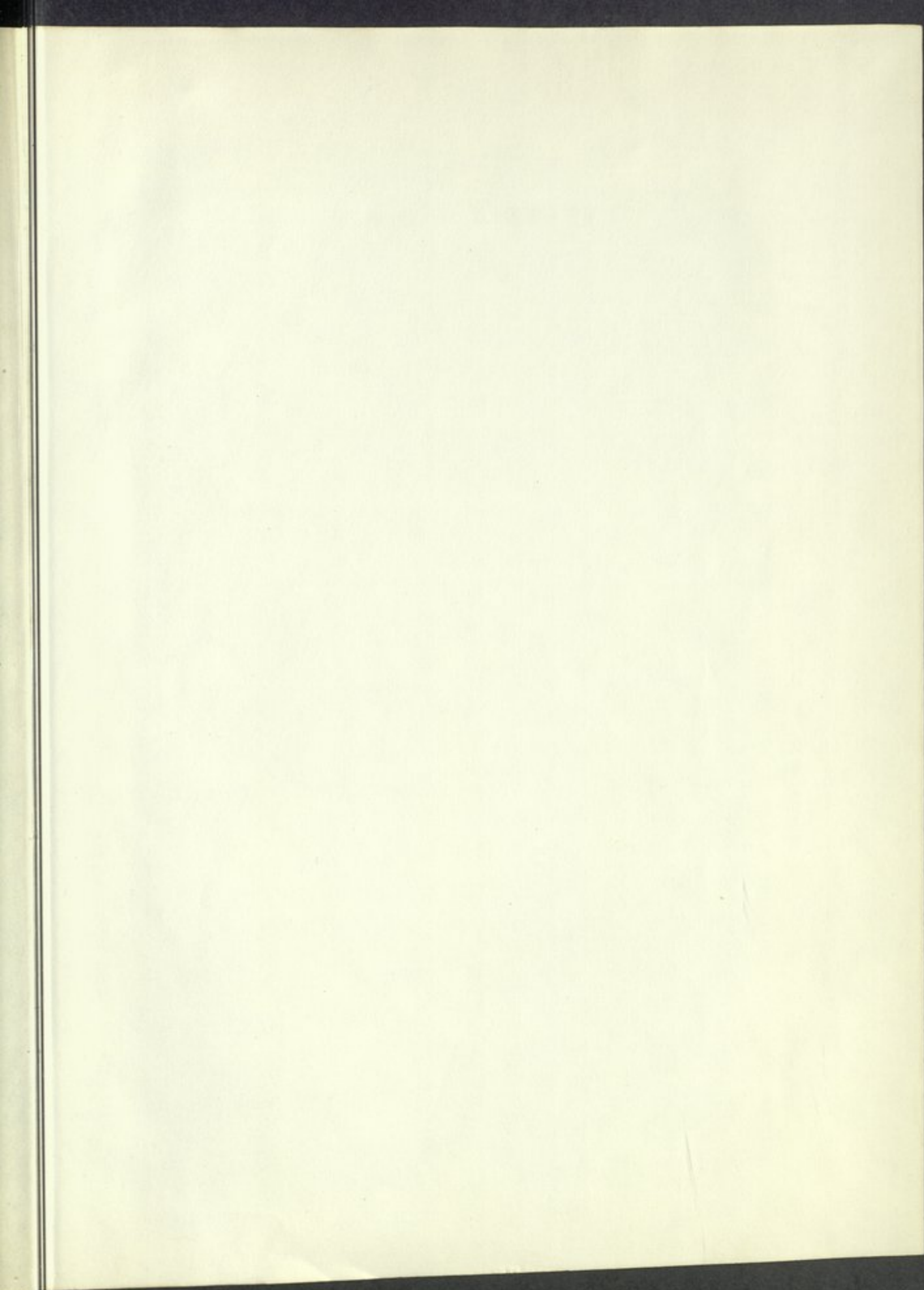
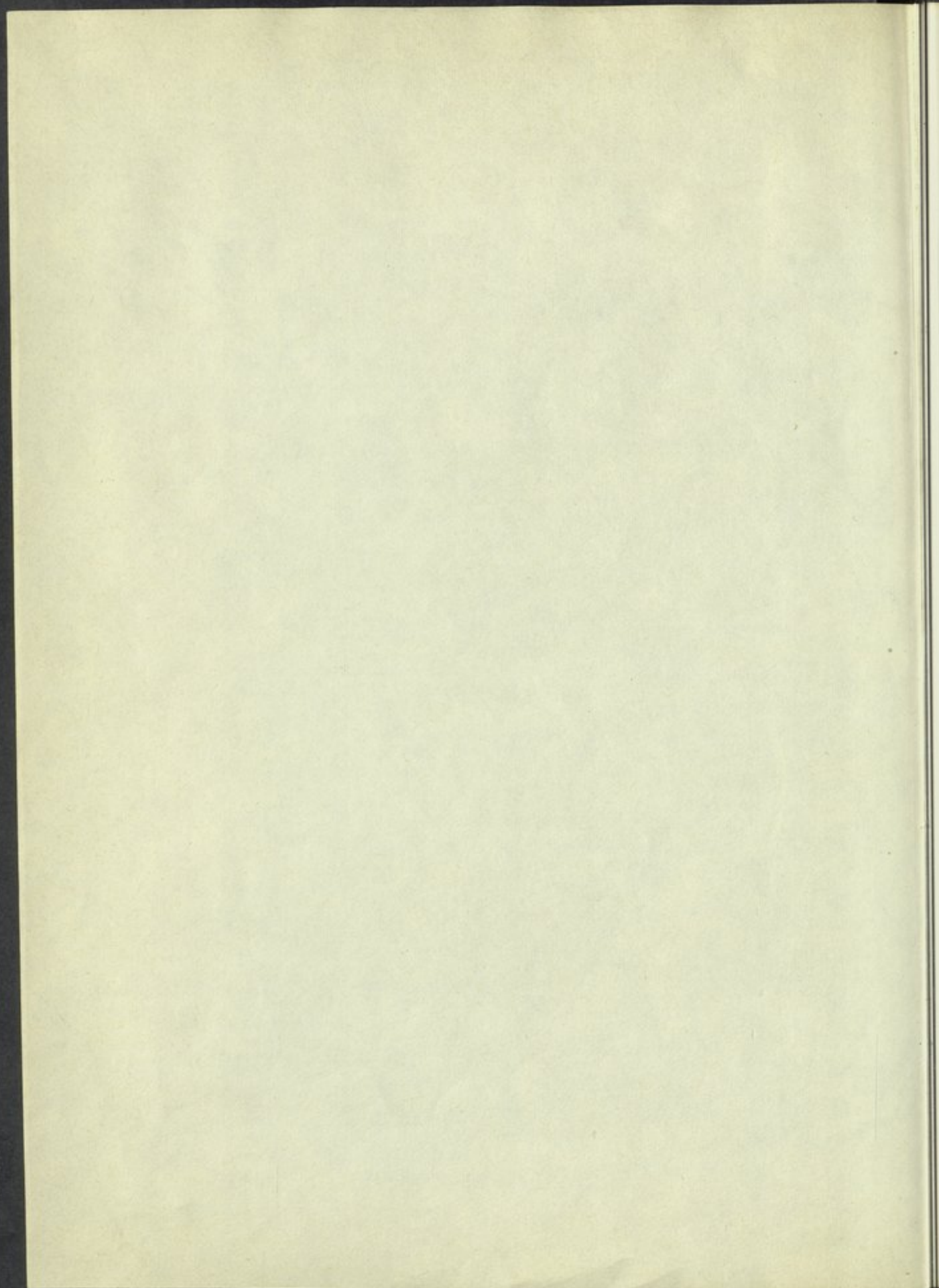


A.U.B. LIBRARY







9.
2.
11
.
.
3
9
1

﴿ كلمة في مزية تفسير ابن كثير والبغوي وفي طبعهما ﴾

يقول محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ومطبعها: هذان التفسيران من أشهر كتب التفسير في العناية بما روي عن مفسري السلف، وبيان معاني الآيات وأحكامها، وتحامي ما أطل به الكثيرون من مباحث الأعراب ونكت فنون البلاغة أو الاستطراد لهولم أخرى لا يحتاج إليها في فهم القرآن ولا التفقه فيه ولا الاعتاط به.

ومن مزايا الأول العناية بما يسمونه تفسير القرآن بالقرآن فهو أكثر ما عرفنا من كتب التفسير سرداً للآيات المتناسبة في المعنى، وبلي ذلك فيه الأحاديث المرفوعة التي تتعاقب بالآية وبيان ما يحتاج به وما لا يحتاج به منها، ويليهما آثار الصحابة وأقوال التابعين ومن بعدهم من علماء السلف ومنها تذكره بما في التفسير المأثور من منكرات الأسرانيات وتحذيره منها بالاجمال، وبيان بعض منكراتها بالنعمين، وبالبينة المستقصى ذلك أو تركايراد ما لم تتوفر فيه داعية التحريض والتحقيق

أمر بطبع هذين التفسيرين الجليلين المشهورين معا - وبطبع كتب أخرى في التوحيد والحديث والفقه - ناصر السنة ومحبي آثار السلف السلطان عبد الزين بن عبد الرحمن الفيصل امام نجد ولحققاتها لاجل نشر الدين الحق في تلك البلاد اثابه الله تعالى. وطبعنا نحن بالتبع له طائفة أخرى من هذا الكتاب وغيره، لاجل تميم نشره

عولنا في طبع الأول على النسخة المطبوعة في المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣٠٠ في حواشي كتاب (تجمع البيان في مقاصد القرآن) سيد أنى العلي صديق بن حسن خان ملك هوبال بامرهم رحمه الله تعالى - وهي طبعة كثيرة الغلط والتعريف مارأينا في مطبوعات دار الطباعة الأميرية مثلها في هذا. ولم نجد نسخة خطية صحيحة للمعارضة عليها إلا نسخة في خزانة كتب الجامع الأزهر لا تخلو من غلط وتعريف وحذف ونقص بعض المسائل ولا سيما الاستطراديه. ولكننا استفدنا منها كثيراً، وما كنا نعلم عدم صحته في النسخين معاً أو لشبهه فيه زاجعه في موضعه أو مظنه من كتب الحديث وأسماء رجاله وتفسير الطبري والدر المنثور للسيوطي وغيرها وأما تفسير البغوي فقد طبع مراراً في الهند ومصر ولم نر نسخة منه جيدة التصحيح، ولدينا نسخة من مخطوطات كتب أجددنا غير تامة كتبت سنة ١٦٩٩ فكانت قابل نماذج الطبع عليها وعلى نسخة خطية أخرى من دار الكتب المصرية وكل منهما لا تخلو من الغلط والتصحيف والتعريف - مع مراجعة لمظار من غيرها وقد علقنا على كل من التفسيرين تعليقات في بيان بعض الغلط الظاهر والاشتباه فيه الذي لم نجد له أصلاً صحيحاً ولا يستحل أن نصحه برأينا وضبط بعض الكلام ونخرج بعض الأحاديث أو بيان درجتها - وفي إيضاح بعض المسائل الغامضة أو المبهمة وميزنا الآيات المفصلة من الآيات المكررة والشواهد في التفسيرين بما يراه الناظرون وكذلك الأحاديث المرفوعة - فجاءت هذه الطبعة للتفسيرين أصح من كل النسخ المطبوعة والمخطوطة التي رأيناها والله الحمد

فهرس المسائل المهمة في الجزء الاول من تفسيرى ابن كثير والبغوي

صفحة	صفحة
١٢١ الدلائل على الرب والبعث	٤ رواية البغوي للتفسير
١٢٧ الاقوال في جعل خليفة في الارض	٥ تفسير القرآن بالقرآن وبالسنن وأئمة المأثور منه
١٣١ قصة خلق آدم مع الملائكة ومع ابليس وشجرته وجنته الخ	٨ الاسرائيليات في التفسير ومكاتها وأقسامها
١٤٥ اشكال ضعيف في دخول ابليس الجنة	٨ القراءات والقراء في البغوي
١٤٨ دعوة اليهود الى الاسلام وعهد الله لهم	٩ فضائل القرآن وتعليمه في البغوي
١٥١ اشتراء النمنم القليل بآيات الله	١٠ التفسير عن التابعين
١٥٢ لبس الحق بالباطل وكنهه	١٢ تفسير القرآن بالرأي أو بغير علم
١٥٤ الامر بالمعروف والانهار به . وجوهها	١٣ تثبت السلف في التفسير
١٥٦ الاستعانة بالصبر والصلاة	١٥ فضائل التلاوة في البغوي
١٥٧ فرع النبي الى الصلاة عند الشدائد	١٤ وجوب التفسير على من علمه والسكرت
١٥٩ تحقيق معنى الظن (في الحاشية)	١٦ على من جهله
١٦١ نفي الفدية والشفاعة للكافر في الآخرة	١٦ السور المسكية والمدنية وعدد الآيات
١٧٤ حديث الكفاة من المن	١٦ والكلمات والحروف والتجزيب والتجزئة
١٨٨ شرط نجاة المؤمنين من كل ملل الرسل	١٩ لقراء . ومعنى السورة والآية
١٨٩ لا يقبل بمد بعثة محمد « ص » ايمان أحد باتباعه	٢٥ (سورة الفاتحة) أسماؤها ونزولها وفضائلها
١٩٠ الخلاف في الصابئين	٢٥ حديث قسمت الصلاة الخ
١٩٣ مسخ المعتدين في السبت صوري أو معنوي	٢٦ قراءة الفاتحة في الصلاة
١٩٧ « قصة البقرة » وغرائب الاسرائيليات	٢٧ الاستعاذة وأحكامها وألفاظها وفائدتها
٢١٣ نفاق اليهود باظهار الايمان للمؤمنين	٢٩ الكلام على البسملة من وجوه
٢١٥ الاميون من اليهود وأمانهم في الكتاب	٥٦ ما اشتملت عليه الفاتحة وآمين بعدها
٢١٩ من تحيط بهم خطاياهم فيخندون في النار	٦٠ (سورة البقرة) فضائلها
٢٢٠ أخذ الميثاق على بني اسرائيل ونقضهم إياه	٦٠ الحروف المقطعة في أوائل السور و
٢٢٥ ايمان اليهود ببعض الكتاب وكفرهم ببعض	٦٢ فضل البقرة وآل عمران والسبع الطول
٢٢٦ بينات عيسى وتأييده بروح القدس	٦٥ عدد آي البقرة وكلماتها وحروفها واسمها
٢٣٠ استفتاح اليهود على العرب بمحمد (ص)	٧٣ الايمان بالغيب وصفة المؤمنين
٢٣٢ الحججة على اليهود في دعواهم الايمان بالتوراة	٧٦ الايمان بالكتب المنزلة واليقين بالآخرة
٢٣٥ دعوة اليهود للمباهلة بتمني الموت	٨١ صفة الكفار في علم الله وأنواع الكفر
٢٣٨ عداوة يهود الجربيل	٨٤ معنى ختم الله على القلوب
٢٤٢ جبريل ملك الوحي وعدو اليهود وميكائيل ملك الرزق	٨٥ صفة المنافقين وأحكامهم والنفاق وسببه
٢٤٤ الكفر ببعض الرسل كالكفر بباقيهم	٩٤ اسناد الاستهزاء والمسكر الى الله تعالى
٢٤٨ السحر ونسبته الى سليمان	١٠١ الحديث الوارد في نور المؤمنين
	١٠٤ توحيد الألوهية وأدلته
	١٠٨ إعجاز القرآن للخلق
	١١٣ ثمرات الجنة وتشابهها ونساء الجنة
	١١٨ امثال الفأل والاهتداء والضلال بها

- ٢٥١ قصة هاروت وماروت
٢٥٨ اسطورة الزهرة مع هاروت وماروت
٢٦٠ خرافات الاسرائيليات في التفسير
٢٦١ الخلاف في تاثير السحر وكونه من الخوارق
٢٦٢ كون تعام السحر فتنة وعمله كفرا
٢٦٣ السحر بالفرق بين الزوجين
٢٦٤ الخلاف في تكفير الساحر وعقابه
٢٦٥ حكم العلم بالسحر، وأنواعه الثمانية
٢٦٩ السحر حق أم باطل
٢٧٠ حكم سؤال الساحر بابطال سحره
٢٧١ النهي عن التشبه بالكفار
٢٧٣ بحث النسخ
٢٧٧ نهى المسلمين عن كثرة سؤال النبي «ص»
٢٧٩ حسد اليهود العرب على النبي «ص»
٢٨٠ نهي أهل الكتاب كفر المسلمين
٢٨٣ طعن كل من اليهود والنصارى بالآخر
٢٨٥ منع كراهة من الماسجد والسعى في خرابها
٢٨٦ جناية المشركين على المسجد الحرام والبابليين على القدس
٢٨٩ فأينا نولوا فثم وجه الله
٢٩٤ بديع السموات والارض ومعنى البدعة
٢٩٦ تفسير (ولا تسال عن أصحاب الجحيم، ومقالة أبوي النبي «ص»
٢٩٨ عدم رضا اليهود والنصارى عن لم يتبع ملتهم
٣٠٠ ابتلاء ابراهيم بالكلمات وجعله بائناها إماما
٣٠٥ عهد الله بالامامة لا ينال الفالسين
٣٠٦ جعل البيت مثابة للناس وأمنا
٣٠٧ مقام ابراهيم وأخاه مصلى
٣٠٨ موافقة عمر للقرآن
٣٠٩ زيارة ابراهيم واسماعيل مكة
٣١١ مكان مقام ابراهيم وهل حوله عمر أم لا
٣١٦ تحريم ابراهيم مكة ومحمد المدينة
٣١٨ مكة أفضل أم المدينة
٣١٩ رزق الدنيا للمؤمن والكافر بخلاف الآخرة
٣٢٠ وضع ابراهيم هاجر واسماعيل في وادي مكة
٣٢٣ بناء البيت ومقام ابراهيم
- ٣٢٧ ما منع النبي «ص» من تغيير بناء الكعبة
٣٢٨ خبر بناء قريش الكعبة
٣٣٠ نقض ابن الزبير فالحجاج للكعبة وتجديدها
٣٣١ تحريض ذي السويقتين للكعبة في آخر الزمان
٣٣٢ دعاء ابراهيم واسماعيل لانفسهما وذريتهما بالاسلام وببعثة الرسول فيها
٣٣٤ الكتاب والحكمة
٣٣٩ اليهودية والنصرانية وكون الاسلام ملة ابراهيم ونهما ودين جميع النبيين
٣٤٢ لكل أحد عمله دون عمل غيره
٣٤٤ تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة
٣٤٧ كون أمة محمد وسطا وشهداء على الناس
٣٥٥ معرفة أهل الكتاب النبي كعرفتهم أبناءهم
٣٥٦ لكل قوم قبلة وقبلة الاسلام الكعبة
٣٥٨ حكمة تحويل القبلة الى الكعبة
٣٥٩ بعثة النبي «ص» اجابة لدعوة ابراهيم
٣٦١ الاستمانة على الامور بالصبر والصلاة
٣٦٢ ابتلاء المؤمنين وبشارة الصابرين
٣٦٤ فائدة الاسترجاع في المصيبة ونوابه
٣٦٥ أخبار وآثار في الصبر
٣٦٨ أساف وزئلة الصنمان
٣٧١ اللعن ومستهحقوه ولعن الكفار في الآخرة
٣٧٢ وحدانية الله والايات الكونية عليها
٣٧٥ اتخاذ الانداد له تعالى
٣٧٦ تبرؤ المعبودين والمتبرعين من أتباعهم
٣٧٨ الامر بأكل الحلال الطيب والنهي عن خطوات الشيطان
٣٨١ أمر المؤمنين بأكل الطيبات وما حرم عليهم
٣٨٤ كتمان اليهود صفة النبي «ص» لمنافع الدنيا
٣٨٦ شعب البر وأنواعه
٣٩١ الفصاخص في القتل
٣٩٣ قتل الكثير بالواحد . العفو وقبول الدية
٣٩٥ الوصية الوالدين والاقربين وأحكامها
٤٠٠ فرض الصيام وأهم أحكامه وخصه
٤٠٦ انزال القرآن في رمضان ووصفه
٤١٠ اكمال العدة والتكبير في العيد

- ٤١٣ قرب الله من عباده واستجابته لهم اذا دعوه
٤١٥ مباحث استجابة الدعاء
٤١٨ اباحة النساء ليالي الصيام وكنايات القرآن
٤٢٣ الروايات في أول الفجر
٤٢٧ الاعتكاف ومنع مباشرة النساء فيه
٤٢٨ اكل الاموال بالباطل والادلاء بها الى الحكم
٤٢٩ حكم الحاكم لا يحل حراما ولا يجرم حلالا
٤٣٢ أحكام القتال ووصايا السنة فيه
٤٣٤ الفتنة وكونها أشد من القتل والقتال في الحرم
٤٣٥ تفسير ابن عمر للفتنة في خلافة ابن الزبير
٤٣٦ الشهر الحرام بمنزلة الاعتداء على المعتدي
٤٣٧ الامر بالانفاق والنهي عن التهلكة
٤٥٤ الحج أشهره ومناسكه
٤٦٢ خير الزاد التقوى
٤٧٠ ذكر الله بعد أداء المناسك كالصلاة والدعاء
بحسنى الدنيا والآخرة معا
٤٨٢ آية ادخلوا في السلم كافة والاسلام دين السلم
٤٠٤ اتيان الله يوم القيامة في ظلل من الغمام
٤٨٦ تزوين الدنيا للكافرين
٤٨٧ معنى يرزق من يشاء بغير حساب
٤٨٨ معنى كان الناس أمة واحدة
٤٨٩ ارسال النبيين وانزال الكتب للحكم في
اختلاف الناس
٤٩١ ابتلاء المؤمنين وسيلة لدخول الجنة
٤٩٢ صدقة التطوع وفريضة القتال
٤٩٣ حكم القتال في الشهر الحرام
٤٩٧ معنى كون الفتنة أكبر من القتل
٥٠١ الخمر والميسر وكون إثمهما أكبر من نفعهما
٥٠٢ نفقة التطوع من العفو
٥٠٤ الاصلاح للبتامى ومخالطتهم في المعيشة
٥٠٦ تحريم مناسكة المشركين
٥٠٧ كراهة عمر نكاح الكنائسيات لثلاث تنائم
المسلمات
٥٠٨ المشركات المحرمات بالآية وثنيات العرب
٥٠٩ اعتزال النساء في الحيض خاص بالجماع
٥١٢ اشتراط الغسل من الحيض لحل الوطء
٥١٣ حكم من جامع في الحيض
- ٥١٤ آية نساؤكم حرث لكم وإباحة ما عدا
الدبر من المرأة وما ورد في تحريم الادبار
٥٢٢ تفسير (وقدموا لأنفسكم)
٥٢٤ جعل الله عريضة للإيمان والحلف لمنع البر
٥٢٥ الحلف على معصية أو ترك طاعة وأقوال يمين
٥٢٩ متى تعلق المؤلى منها
٥٣١ عدة المظنة بالفروء وأحكام العدة
٥٣٤ تحريم كتمان المظنة الحيض والولد
٥٣٥ زوج المظنة أحق بها
٥٣٦ المساواة بين الزوجين ودرجة الرجال عليهن
٥٣٧ جعل الطلاق الرجعي مرتين خلافا للجاهلية
٥٣٩ الخلع وشرط حل العوض من المرأة
للطلاق وقدره ومن قال بنسخه وأول خلع
في الاسلام وهل هو طلاق يحسب من
الثلاث أم لا ؟ والعدة منه
٥٤٧ اعتداء حدود الله وشرط نكاح الزوج الحمال
٥٥٣ منع مضارة النساء المطلقات
٥٥٤ تحميم الرجعة أو الفرقة عند آخر العدة
٥٥٥ حظر الخمر والعبث بالنكاح والطلاق
٥٦٠ وجوب النفقة على الولد والزوجة
٥٦١ التشاور بين الوالدين في مصلحة الاطفال
٥٦٢ أحكام العدة ومتعتها
٥٦٥ حداد المتوفى زوجها في الجاهلية
٥٧٤ مراعاة الفضل بين الناس
٥٧٥ الحافظة على الصلوات ، والصلاة الوسطى
٥٨٤ صلاة الخوف والمسايفة رجالا أو ركبا
٥٨٦ تأخير الصلاة في القتال
٥٨٧ حكم وصية الرجل لزوجته قبل الموت
٥٨٨ نسخ الوصية للزوجات والسكن سنة
٥٩٠ قصة الذين قال لهم الله موتوا ثم أحياء
٥٩١ رجوع الصحابة عن الشام لاجل الوباء
٥٩٣ الانفاق في سبيل الله اقراض الله
٥٩٤ مضاعفة الحسنات بالملايين
٥٩٥ قصة بني اسرائيل في طلب الملك للقتال
وجعل طالوت ملكا لهم وآية ملكه
سنة الله في دفع الناس بعضهم ببعض
دلالة هذه الآيات على نبوة محمد (ص)

297.207

I13HFA

v.1
C.1

الشيخ الجليل

من تفسير الحافظ ابن كثير

وهو الامام الجليل الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل

ابن كثير القرشي الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص: الامام المفتي المحدث البارغ، فقيه متقن، محدث متقن، ومفسر فعال وله تصانيف مفيدة. وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة انه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها بعد وفاته.



وبله

معامل التنزيل

تفسير الامام البغوي المتوفى سنة ٥٢٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية: الحسين بن مسعود الفراء الشيخ ابو محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب (بمحي السنة) من مصنفاته شرح السنة والمصاييح والتفسير المسمى معالم التنزيل... كان اماماً جليلاً ورعاً زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً بين العلم والعمل، سالكاً سبيل السلف. الخ ثم ذكر انه كان يلقب بركن الدين ايضاً ونقل عن والده التقي السبكي انه قال في كتاب الرهن من تكملة شرح المذهب: اعلم أن صاحب التهذيب قل ان رأيناه يختار شيئاً الا واذا بحث عنه وجد اقوى من غيره هذا مع قلة كلامه، وهو يدل على نبيل كبير وهو حري بذلك فانه جامع لعلوم القرآن والسنة والفقه، رحمه الله ورحمنا

اذا صرنا الى ما صار اليه انتهى 38732

طبعة المينار بمصر

Gift. His Majesty King Saud

Cat. Mar. 1931

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قال الشيخ الامام الاوحد البارع الحافظ المتقي عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير الشافعي رحمه الله تعالى ورضي عنه) (١)

(١) قلنا هذا
من ختمنا الموروثة
الخطبة في سنة ٦٦٩
(٢) زاد في النسخة
المطبوعة : (فاعلمك باخضع
تقمار اولاً مناسبة لها

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال (الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) وقال تعالى (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً * قوما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسناً ما كثين فيه ابداً * وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً * ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذباً) (٢) وافتتح خلقه بالحمد فقال تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) واختتمه بالحمد فقال بعد ما ذكر ما ل أهل الجنة وأهل النار (ونرى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) ولهذا قال تعالى (وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون) كما قال تعالى (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة وهو الحكيم الخبير) فله الحمد في الاولى والاخرة أي في جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود في ذلك كله كما يقول المصلي « اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الارض، وملء ما شئت من شيء بعد » ولهذا يلهم أهل الجنة تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس أي يسبحونه ويحمدونه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قال الشيخ الامام العالم العامل الاوحد الزاهد ظهير الدين عجي السنة الحاضرة ناصر الحديث أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المعروف بالقراء رضي الله عنه) (٢)

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء، والعزة والبقاء، والرفعة والعلاء، والمجد والثناء، تعالى عن الانداد والشركا، وتقديس عن الامثال والنظراء، والصلاة والسلام على نبيه وحبيبه وصفيه محمد خاتم الانبياء، وامام الاتقياء، عدد ذرات الثرى ونجوم السماء، الحمد لله الملك السلام، المؤمن المهيمن العلام، شارع الاحكام، ذي الجلال والاكرام، الذي أكرمنا بدين الاسلام، وهن علينا بنينا محمد عليه التحية والسلام، وأنعم علينا بكتابه المفرق بين الحلال والحرام، والصلاة والسلام على حبيبه وخيرته من خلقه محمد سيد الانام، عدد ساعات الليالي والايام، وعلى آله وأصحابه عدد نجوم الظلام، وعلى جميع الانبياء والملائكة البررة الكرام

عدد أنفاسهم، لما يرون من عظيم نعمه عليهم، وكال قدرته وعظيم سلطانه وتوالى منته ودوام احسانه اليهم، كما قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تتجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم ه دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) والحمد لله الذي أرسل رسوله (مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وختمهم بالنبي الامي العربي المكي الهادي لاوضح السبل، أرسله الى جميع خلقه من الانس والجن من لدن بعثته الى قيام الساعة كما قال تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) وقال تعالى (لا نذكركم به ومن بلغ) فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم وأسود وأحر وأنس وجان فهو نذيره، ولهذا قال تعالى (ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) فمن كفر بالقرآن ممن ذكرنا فالنار موعده بنص الله تعالى كما قال تعالى (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت الى الاحمر والاسود » قال مجاهد يعني الانس والجن. فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله الى جميع الثقلين الانس والجن مبلغا لهم عن الله تعالى ما أوحاه اليه من هذا الكتاب العزيز (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه نديهم الى فهمه فقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

﴿ أما بعد ﴾ فان الله جل ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين، وبشيرا المؤمنين، ونذيرا للمخالفين، أكمل به ببيان النبوة، وختم به ديوان الرسالة، وأنم به مكارم الاخلاق، ومحاسن الافعال، وأنزل عليه بفضله نورا هدى به من الضلالة، وأنقذ به من الجهالة، حكم بالفلاح لمن اتبعه، وبالحسار لمن أعرض عنه بعد ما سمعه، وأعجز الخليقة عن معارضته، وعن الاتيان بسورة من مثله في مقابلته، ثم سهل على الخلق مع اعجازه تلاوته، ويسر على اللسان قراءته، أمر فيه وزجر، وبشر وأنذر، وذكر المواعظ ليتذكر، وقص عن أحوال الماضيين ليعتبر، وضرب فيه الامثال ليتدبر، ودل على آيات التوحيد ليتفكر، ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره وأعلامه، ومعرفة أسباب نزوله وأحكامه، والوقوف على ناسخه ومنسوخه، ومعرفة خاصه وعامه، ثم هو كلام معجز وبحر عميق، لانه نهاية لاسرار علومه، ولا ادراك لحقائق معانيه، قد ألف أئمة السلف في أنواع علومه كتباً كل على قدر فهمه، ومبلغ علمه، نظرا للخلف، فشكر الله تعالى سعيهم ورحم كافتهم، فسألني جماعة من أصحابي المخلصين، وعلى اقتباس العلم مقابرين، كتابا في معالم التنزيل وتفسيره، فأجبتهم اليه معتمدا على فضل الله تعالى وتيسيره، ممثلا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال « ان رجلا يأتونكم من أقطار الارض يتفقون في الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا » واقتداء بالماضين من السلف، في تدوين العلم ابقاء على الخلف،

٤ وجوب العلم بمعاني القرآن ، رواية البغوي للتفسير (تفسير ابن كثير والبغوي)

وقال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) وقال تعالى (أفلا يدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)

(فالواجب) على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى (واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشتررون) وقال تعالى (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب عليم) فقدم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا باعراضهم عن كتاب الله المنزل عليهم واقبالهم على الدنيا وجهها واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله

فعلينا أيها المسلمون أن تنتهي عما ذمهم الله تعالى به ، وأن تأتمر بما أمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه ، وتفهمه وتفهمه ، قال الله تعالى (ألم بأن الذين آمنوا ان تخشم قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد ففتست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) اعلوا ان الله يحبي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون)

وليس على ما فعلوه مزيد ، ولكن لا بد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد ، وقصر المطالبين فيه الجهد والجد ، تنبيهاً للمتوقفين ، ونحوه أيضا للمثبطين ، فجمعت بعون الله تعالى وحسن توفيقه فيما سألو كتابا وسطا (١) بين الطويل الممل ، والقصير الخلل ، أرجو أن يكون مفيدا ، لمن أقبل على تحصيله مریدا

(١) في نسختي
الطبع متوسطا

وما نقلت فيه من التفسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما جبر هذه الامة ومن بعده من التابعين وأئمة السلف مثل مجاهد وعكرمة وعطاء بن ابي رباح والحسن البصري وقتادة وابي العالية ومحمد بن كعب القرظي وزيد بن اسلم والكلبي والضحاك ومقاتل ابن سليمان والسدي وغيرهم فأكثرها مما اخبرني الشيخ ابوسعيد احمد بن محمد الشريحي الخوارزمي فيما قرأته عليه عن الاستاذ ابي اسحق احمد بن محمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي عن شيوخه

(تنبيه للعامة)

« ثنا » في اصطلاح
المحدثين مقتطعة من
حدثنا « وأنا » فلان
مقتطعة من أخبرنا -
وهي خاصة في سياق
الاسانيد لتكرارها

اما تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ترجمان القرآن الذي قل فيه النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم علمه الكتاب » وقال « اللهم فقه في الدين » . قال ابو اسحق اخبرنا ابو محمد بن عبد الله بن حامد ، أنا ابو الحسن احمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي ، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي ، ثنا عبد الله بن صالح ان معاوية بن صالح حدثه عن علي بن ابي طلحة الوالبي عن عبد الله بن عباس . وقال أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ثنا عبد الله بن محمد الثقفي أنا أبو جعفر محمد بن نصرويه المازني أنا محمد بن سعيد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي قال حدثني عمي الحسين بن الحسن بن عطية حدثني أني عن جدي عطية عن ابن عباس . وقال الثعلبي ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن النيسابوري أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي الصريمي المروزي أنا أبو العباس أحمد بن الحضر الصيرفي أنا أبو داود سليمان بن معبد السنجي أنا علي بن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس .

ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على انه تعالى كما يحكي الارض بعد موتها كذلك يلين القلوب بالایمان والهدى بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي ، والله المؤمل المسؤل أن يفعل بنا هذا انه جواد كريم

فان قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ (فالجواب) ان أصح الطريق في ذلك ان يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فانه قد بسط في موضع آخر فان أعياك ذلك فعليك بالسنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله تعالى كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن . قال الله تعالى (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) وقال تعالى (وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا اتي أوتيت القرآن ومثله معه » يعني السنة . والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن الا انها لا تتلى كما يتلى القرآن (١) وقد استدلل الامام الشافعي رحمه الله تعالى وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك

(١) يعني انها لا يتعبد الله تعالى بتلاوتها بل تقرأ للاهتمام بها واخذ الاحكام منها (٢) الصنعائي رماه أن جبان بوضع الحديث وعبد الغني الراوي عنه ضعيف (٣) في نسختنا عبد الله المكتب

وأما تفسير مجاهد بن جبر المكي قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الاصفهاني قال أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطة ثنا عبد الله بن محمد بن زكريا ثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي ثنا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأما تفسير عطاء بن أبي رباح قال ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حسن النيسابوري ثنا أبو القاسم عبد الرحمن احمد بن ياسين بن الجراح الطبري أنا أبو محمد بن بكر بن سهل الدماطي ثنا عبد الغني بن سعيد الثقفي عن أبي محمد موسى بن عبد الرحمن الصنعائي (٢) عن ابن جريح عن عطاء بن أبي رباح وأما تفسير الحسن البصري قال حدثني أبو القاسم الحسن بن محمد بن عبد الله بن المكي (٣) حدثني أبي أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن الصلة المعروف بابن شبوذ المقرئ ثنا سعيد بن محمد ثنا المنهل بن واصل عن أبي صالح عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبي الحسن البصري وأما تفسير قتادة قال أنا أبو محمد عبد الله بن حامد محمد الاصفهاني أنا أبو علي حامد بن محمد الهروي ثنا أبو يعقوب اسحق بن الحسن بن ميمون الحرابي ثنا أبو محمد الحسين بن محمد المروزي ثنا شبان بن عبد الرحمن النحوي عن قتادة . وقال ثنا أبو القاسم الحبيبي أنا أبو زكريا العنبري ثنا جعفر بن محمد بن سوار أنا محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بن دعامة السدوسي وأما تفسير أبي العالية واسمه رافع بن مهران قال ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر أنا أبو عمر أحمد بن محمد بن منصور العمري بسرخص ثنا أبو الحسن أحمد بن اسحق بن ابراهيم بن مزيد السرخسي أنا أبو علي الحسن محمد بن موسى الازدي عن عمار بن الحسن بن بشير الهمداني عن عبيد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أنس عن أبي العالية الرياحي

والغرض انك تطلب تفسير القرآن منه فان لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه الى اليمن « فبم تحكم؟ قال بكتاب الله ، قال فان لم تجد؟ قال اجتهد رأيي. فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال « الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله » وهذا الحديث في المسند والسنن باسناد جيد كما هو مقرر في موضعه .
وحيث اذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك الى أقوال الصحابة فانهم أدري بذلك لما شاهدوا من القرائن والاحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعدل الصالح لاسيما علماءهم وكبراءهم كالائمة الاربعة الخلفاء الراشدين، والائمة المهتدين المهديين ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم . قال الامام ابو جعفر بن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح حدثنا الاعمش عن ابي الضحى عن مسروق قال قال عبد الله يعني ابن مسعود : والذي لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وانا أعلم فيمن نزلت؟ وابن نزلت؟ ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لانيته . وقال الاعمش ايضا عن أبي وائل عن ابن مسعود قال : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتي يعرف معانيهن والعمل بهن . وقال ابو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين

وأما تفسير القرظي قال ثنا أبو القاسم الحسن ابن محمد بن حبيب ، ثنا أبو العباس محمد بن الحسن الهروي، ثنا رجاء بن عبد الله أنا مالك بن سليمان الهروي عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي وأما تفسير زيد بن أسلم قال : أنا الحسن بن محمد بن محمد بن الحسن قال : كتب الى أحمد بن كامل بن خلف بن محمد بن جرير الطبري حدثهم قال : ثنا يونس بن عبد الأعلى الصيرفي أنا عبد الله بن وهب أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه

وأما تفسير الكلبي فقد قرأت بمرور على الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن المروزي في شهر رمضان سنة أربع وستين وأربعمائة قال : أنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن محمد بن يونس الخطيب الكشميني في محرم سنة خمسين وأربعمائة قال : أنا أبو اسحق بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن معروف الهرموزي ، ثنا محمد بن علي الانصاري المفسر ثنا علي بن اسحق وصالح بن محمد السمرقندي قالا : ثنا محمد بن مروان عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي نصر عن أبي صالح أنا باذان مولى أم هانئ بنت أبي طالب عن ابن عباس

وأما تفسير الضحاك بن مزاحم الهلالي قال أنا الاستاذ أبو اسحق الثعلبي ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد السدوسي ثنا أبو عمر واحد بن محمد العمركي بن حسن ثنا جعفر بن محمد سوار ثنا أحمد بن محمد بن جميل المروزي ثنا أبو معاذ عن عبيد بن سليمان الباهلي عن الضحاك

وأما تفسير مقاتل بن حيان قال : أنا عبد الله بن حامد الوزاني ثنا أحمد بن محمد بن عبدوس ثنا اسماعيل بن قتيبة ثنا أبو خالد يزيد بن صالح الغراء النيسابوري حدثنا بكير بن معروف البلخي الأزدي (١) ثنا أبو معاذ عن مقاتل بن حيان

(١) كذا في جميع النسخ وفي تهذيب التهذيب وتقريره الإسدي بالسين

كانوا يقرئونها أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا

ومنهم الخبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له حيث قال « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار وحدثنا وكيع ثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم - كذا قال - قال عبد الله يعني ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس . ثم رواه عن يحيى بن داود عن اسحق الأزرق عن سفيان عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود أنه قال : نعم الترجمان للقرآن ابن عباس . ثم رواه عن بندار عن جعفر بن عون عن الأعمش به كذلك . فهذا اعتماد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة . وقد مات ابن مسعود رضي الله عنه في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح وعمر بعده عبد الله بن عباس ستا وثلاثين سنة ، فما ظنك بما كسبه من الملوحة بعد ابن مسعود . وقال الأعمش عن أبي وائل استخلف علي عبد الله بن عباس على الموسم فخطب الناس فقرأ في خطبته سورة البقرة ، وفي رواية سورة النور ففسرها تفسيراً لو

وأما تفسير مقاتل بن سليمان قال أخبرنا أبو اسحق إبراهيم بن محمد المهرجاني أنا أبو محمد عبد الخالق بن الحسن بن محمد السقطي المعروف بابن أبي ربيعة ثنا عبد الله بن ثابت بن يعقوب المقرئ أبو محمد قال حدثني أبي حدثني الهذيل بن حبيب أبو صالح الزبداني عن مقاتل بن سليمان

وأما تفسير السدي قال ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن أنا أبو الطيب محمد بن عبد الله ابن مبارك الشيعري ثنا أحمد بن محمد بن نصر اللباد ثنا عمرو بن طلحة القناد عن أسباط عن السدي وأما ما نقلته عن المبتدأ لوهب بن منبه وعن المغازي لمحمد بن اسحق فاخبرني أبو سعيد الشريحي قال أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي قال أنبأني أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحق الأزهرى أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن اسحق بن راهويه ابن اخت أبي عوانة أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن البراء العبدي قال قرأت على أبي عبد الله عبد المنعم بن ادريس عن أبيه عن وهب بن منبه - وأنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف المعقلي ثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي أنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق بن يسار المدني وأنا أبو سعيد الشريحي قال أبو اسحق الثعلبي أنا أبو محمد عبد الله بن محمد ابن أحمد بن عقيل الانصاري أنا أبو الحسن علي بن الفضل الخزاعي أنا أبو شعيب بن عبد الله ابن الحسن الحراني أنا النفيلى أنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق

فهذه أسانيد أكثر ما نقلته عن هؤلاء الأئمة وهي مسموعة من طرق سواها تركت ذكرها حذرا من الاطالة وربما حكيت عنهم أو عن غيرهم من الصحابة أو التابعين قولاً سمعته بغير هذه الأسانيد إذ ذكر أسانيد بعضها في موضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى عز وجل

سمعتهم الروم والترك والدليل لاسلموا

ولهذا غالب ما يرويه اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين ابن مسعود وابن عباس ولكن في بعض الاحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقوال أهل الكتاب التي أباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « بلغوا عني ولو آية » وحدوثا عن بني اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو ولهذا كان عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الاذن في ذلك

ولكن هذه الاحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فانها على ثلاثة أقسام (احدها) ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح (والثاني) ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه (والثالث) ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر ديني . ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرا . ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون في مثل هذا

ثم ان الناس كما انهم متعبدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه على سنن خط المصحف أعني الامام الذي اتفقت عليه الصحابة وأن لا يجاوزوا فيما وافق الخط ما قرأ به القراء المعروفون الذين خلفوا الصحابة والتابعين واتفقت الائمة على اختيارهم وقد ذكرت في الكتاب قراءة من اشتهر منهم بالقراآت واختياراتهم على ما قرأته على الامام أبي نصر محمد بن أحمد بن علي المقرئ المروزي رحمه الله عليه تلاوة ورواية قال قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي قال قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين ابن مهران باسناده المذكور في كتابه المعروف بكتاب الغاية وهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع وأبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن المديني وأبو معبد عبد الله بن كثير الداري المكي وأبو عمران عبد الله بن عامر الشامي وأبو عمرو بازان بن العلاء المازني وأبو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمي البصريان وأبو بكر عاصم بن أبي النجود الاسدي وأبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفيون

فالما أبو جعفر فانه أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة وغيرهما هم قرأوا على أبي بن كعب وأما نافع فانه قرأ على أبي جعفر القاري وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج وشيبة بن نصاح وغيرهم من التابعين الذين قرؤا على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الاعرج قرأت على أبي هريرة وقرأ أبو هريرة على أبي بن كعب

وأما عبد الله بن كثير فانه قرأ على مجاهد بن جبر وقرأ مجاهد على ابن عباس وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب وقرأ أبي بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما عبد الله بن عامر فانه قرأ على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي وقرأ المغيرة على عثمان ابن عفان

أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعددهم . وعصا موسى من أي الشجر كانت . وأسماء الطيور التي أحياها الله لأبراهيم ، وتعيين البعض الذي ضرب به القنيل من البقرة ، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى ، الى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم . ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى (سيقولون ثلاثة رابعمهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) فلا تمار فيهم الا مرأاً ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً (فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الادب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا ، فانه تعالى حكى عنهم ثلاثة أقوال ضعف القولين الاولين وسكت عن الثالث ، فدل على صحته اذ لو كان باطلا لرده كما ردها (١) ثم أرشد على ان الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فقال في مثل هذا (قل ربي أعلم بعدتهم) فانه ما يعلم ذلك الا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه فهذا قال (فلا تمار فيهم الا مرأاً ظاهراً) أي لا يجهد نفسك فيما لا طائل تحته ولا تسألم عن ذلك فانهم لا يعلمون من ذلك الا رجم الغيب . فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف : أن تستوعب الاقوال في ذلك المقام وان تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته ، فاشتغل به عن الاهم فالاهم . فأما من حكى خلافاً في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص اذ قد

«١» قد يقال ان قوله تعالى بعده «قل ربي أعلم بعدتهم» يدل على ضعف الثالث ايضاً وان اختلف الاسلوب

وأما عاصم فانه قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب قال عاصم فكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن فقرأ على زر بن حبیش وكان زر قد قرأ على عبد الله بن مسعود وأما حمزة فانه قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى وسليمان بن مهران الاعمش وعمران بن الاعين وغيرهم وقرأ عبد الرحمن بن أبي ليلى على جماعة من أصحاب علي وقرأ سليمان الاعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى على جماعة من أصحاب عبد الله وقرأ عمران على أبي الاسود الدؤلي وقرأ أبو الاسود الدؤلي على عثمان وعلي وأما الكسائي فانه قرأ على حمزة وأما يعقوب فانه قرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان الخراساني وقرأ سلام على عاصم فذكرت قراءة هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها

وما ذكرت من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الكتاب على وفاق آية أو بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهما مدار الشرع وأمور الدين فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث وأعرضت عن ذكر المناكير ومالا يليق بحال التفسير فأرجو أن يكون مباركاً على من أراد به الله التوفيق

﴿ فصل في فضائل القرآن وتعليمه ﴾

أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن (٢) = ابن كثير والبغوي

يكون الصواب في الذي تركه ، أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضا ، فإن صحيح غير الصحيح عامدا فقد تعدد الكذب ، أو جاهلا فقد أخطأ ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة نخته أو حكي أقوالا متعددة لفظا ويرجع حاصلها الى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان وتكرر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوبي زور والله الموفق للصواب

﴿ فصل ﴾

إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة ، فقد رجح كثير من الائمة في ذلك الى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فانه كان آية في التفسير كما قال محمد بن اسحق ثنا أبان بن صالح عن مجاهد قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فأنحته الى خانمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها . وقال ابن جرير : أنبأنا أبو كريب أنبأنا طلق بن غنام عن عثمان المكي عن ابن أبي مليكة قال : رأيت مجاهدا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحہ قال : فيقول له ابن عباس اكتب حتى سأله عن التفسير كله ولهذا كان سفيان الثوري يقول : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، وكسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري ومسروق بن الاعدع وسعيد بن المسيب وأبي العالية والربيع بن أنس وقتادة والضحاك بن مزاحم وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم فنذكر أقوالهم في الآية فيقع في عبارتهم تبين في الالفاظ بحسبها من لا علم عنده اختلافا فيحكيها أقوالا ، وليس كذلك فإن منهم من يعبر

محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعدنا شعبة عن علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان قال شعبة قلت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» صحيح أخرجه البخاري عن الحجاج بن مهال عن شعبة

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد التبراني أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أنا أبو اسحق إبراهيم بن حزم الشاشي أنا أبو محمد عبد بن حميد الشاشي ثنا حسين بن علي الجعفي قال سمعت حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث الأعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخات على علي رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى ان الناس قد خاضوا في الاحاديث؟ قال او قد فعلوها؟ قلت نعم، قال أما اني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ألا انها ستكون فتنة» قلت فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الالهواء، ولا تلتبس به الالسنه، ولا تشع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن — أي لم يتوقفوا في قبوله وانه كلام الله تعالى (١) اذ سمعته حتى قالوا (انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنّا به) من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم، خذها اليك يا أعور. قال

«١» هذه الجملة

مدرجة في الحديث للتفسير وهي ليست في النسخ الخطية ولا في جامع الترمذي خرج الحديث

عن الشيء . بلازمه أو بنظيره ، ومنهم من ينص على الشيء بعينه ، والسكل بمعنى واحد في أكثر
الاماكن فليفتن اللبيب لذلك والله الهادي . وقال شعبة بن الحجاج وغيره : أقوال التابعين في
الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير ؟ يعني انها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم
وهذا صحيح . أما اذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة ، فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم
حجة على قول بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك الى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب
أو أقوال الصحابة في ذلك . فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما رواه محمد بن جرير رحمه الله
تعالى حيث قال : ثنا محمد بن بشار ثنا يحيى بن سعيد ثنا سفيان حدثني عبد الأعلى هو ابن عامر
الثعلبي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قال في القرآن برأيه
أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار » وهكذا أخرجه الترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري
به . ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي عوانة عن عبد الأعلى به مرفوعا وقال الترمذي : هذا حديث
حسن ، وهكذا رواه ابن جرير أيضا عن يحيى بن طلحة اليربوعي عن شريك عن عبد الأعلى به
مرفوعا ولكن رواه عن محمد بن حميد عن الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس الملائي عن عبد الأعلى
عن سعيد عن ابن عباس فوقفه ، وعن محمد بن حميد عن جرير عن ليث عن بكر عن سعيد بن جبيرة
عن ابن عباس من قوله فأنه أعلم . وقال ابن جرير : أنبأنا العباس بن عبد العظيم العنبري ثنا حيان
ابن هلال ثنا سهل أخو حزم ثنا أبو عمران الجوني عن جندب بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

« ١ » عبارة الترمذي :

هذا حديث غريب

لا نعرفه الا من

حديث حمزة الزيات

واسناده مجهول وفي

حديث الحارث مقال

« ٢ » في النسخ

الخطية ابن سمعان

« ٣ » وفي نسختنا

الرياني ونسخة دار

الكتب الروياني

« ٤ » اعتمدنا نسخة

دار الكتب في هذا

الحديث لموافقتها لما

في كتب الحديث

وقد سقطت كلمة

حرف من الاربعة

المواضع في سائر

النسخ

أبو عيسى هذا الحديث لا نعرفه الا من هذا الوجه (١) واسناده مجهول وفي حديث الحارث مقال
أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد السمعاني (٢) أنا أبو جعفر محمد بن
أحمد بن عبد الجبار الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا اسحق بن عيسى قال سمعت ابن لهيعة يقول
ثنا مشرح بن هاعان قال سمعت عقبة بن عامر يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « لو كان
هذا القرآن في اهاب ما مسته النار » قيل معناه من حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار يوم القيامة
أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي (٣) ثنا حميد بن زنجويه
ثنا جعفر بن عوف أنا ابراهيم بن مسلم عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال ان هذا القرآن
مأدبة الله فقلعوا من مأدبته ما استطعتم ، ان هذا القرآن حبل الله المتين ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، وعصمة
لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يزغ فيستعجب ، ولا يهوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة
الرد ، فأتوه فان الله عز وجل بأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنة أما اني لا أقول ألم ولكن
الالف واللام والميم (٤) رواه بعضهم عن ابن مسعود مرفوعا

أنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد بن مقوية أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي الحسنی
الحراني فيما كتب الي أنا أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرى ثنا أبو الفضل جعفر بن

« من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ » وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القطيعي وقال الترمذي : غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل . وفي لفظ لهم « من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ » أي لانه قد تكلف ما لا علم له به وسلك غير ما أمر به فلو أنه أصاب المعنى في نفس الامر، لكان قد أخطأ لانه لم يأت الامر من بابه كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الامر لكن يكون أخف جرماً ممن أخطأ والله أعلم . وهكذا سمي الله القذفة كاذبين فقال (فأذ لم يؤتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) فالغاذف كاذب ولو كان قد قذف من زنى في نفس الامر، لانه أخبر بما لا يحل له الاخبار به . ولو كان أخبر بما يعلم لانه تكلف ما لا علم له به والله اعلم ولهذا يخرج جماعة من الساف عن تفسير ما لا علم لهم به كما روى شعبة عن - ليمان عن عبد الله بن مرة عن ابى معمر قال قال ابوبكر الصديق رضي الله عنه : اي ارض تقلي ، واي سماء تظلي ، اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم وقال ابو عبيد القاسم بن سلام ثنا محمد بن يزيد عن العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي ان ابا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى (وفاكة وأبا) فقال اي سماء تظلي واي ارض تقلي اذا انا قلت في كتاب الله ما لا اعلم . منقطع . وقال ابو عبيد ايضا ثنا يزيد عن حميد عن انس ان عمر بن الخطاب قرأ على المنبر (وفاكة وأبا) فقال هذه الفاكة قد عرفناها فما الاب ؟ ثم رجع الى نفسه فقال ان هذا هو التكلف يا عمر وقال محمد بن سعد ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي ظهري قبضه اربع رقاع فقرأ (وفاكة وأبا) فقال فما الاب

محمد بن الصنذلي ثنا الحسن بن محمد الزعفراني ثنا علي بن عاصم عن ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه : أنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا ابو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن بابويه الاصفهاني انا ابو محمد عبد الرحمن بن يحيى القاضي الزهري بمكة انا محمد بن اسمعيل بن سالم الصائغ انا سليمان بن داود الهاشمي ثنا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب الزهري عن عامر بن وائلة ابى الطفيل ان نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر : من استخلفت على اهل الوادي ؟ قال استخلفت عليهم ابن ابرزي قال ومن ابن ابرزي ؟ قال مولى من مواليها ، قال عمر فاستخلفت عليهم مولى ؟ فقال يا امير المؤمنين انه رجل قاريء القرآن عالم بالفرائض قاض بالكتاب ، فقال عمر اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال « ان الله يرفع بالقرآن (١) اقواما ويضع به آخرين » صحيح اخرجه مسلم عن زهير بن حرب

« ١ » وفي نسخة
بهذا القرآن وفي صحيح
مسلم بهذا الكتاب

انا يعقوب بن ابراهيم عن ابيه ابراهيم بن سعد الترابي انا ابو بكر بن محمد بن عبد الصمد الترابي المعروف بابن ابي الهيثم انا الحاكم ابو الفضل محمد بن الحسين الحدادي سنة اربع وثمانين وثلثمائة انا ابو يزيد محمد بن يحيى بن خالد انا اسحق بن ابراهيم الحنظلي انا جرير يعني ابن عبد الحميد عن

ثم قال هو التكلف فما عليك ان لا تدري به ؟ وهذا كله محمول على انهما رضى الله عنهما انما ارادا استكشاف علم كيفية الاب والا فكونه نباتا من الارض ظاهر لا يجهل كقوله تعالى (فأنبتنا فيها حبا وعنبا) الآية وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن أيوب عن ابن أبي مليكة ان ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فأبى أن يقول فيها ، إسناده صحيح . وقال أبو عبيد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال : سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة ؟ فقال له ابن عباس : فما (يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ؟ فقال له الرجل انما سألتك لتحديثي فقال ابن عباس : هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما ، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم . وقال ابن جرير أيضا : حدثني يعقوب يعني ابن ابراهيم حدثنا ابن علية عن مهدي بن ميمون عن الوليد بن مسلم قال : جاء طلق بن حبيب الى جندب بن عبد الله فسأله عن آية من القرآن ؟ فقال : أخرج عليك ان كنت مسلما لما قتت عني - أو قال : أن نجاسني . وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان اذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال : إنا لا نقول في القرآن شيئا . وقال الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يتكلم الا في المعلوم من القرآن . وقال شعبة عن عمرو بن مرة قال : سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن ؟ فقل : لا تسألني عن القرآن وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء يعني عكرمة . وقال ابن شاذب حدثني يزيد بن أبي يزيد قال : كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحرام والحلال وكان أعلم الناس فاذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكوت كأن لم يسمع . وقال ابن جرير : حدثني أحمد

قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الرجل الذي ليس في قلبه شيء من القرآن كالبيت الخرب » قال أبو عيسى هذا حديث صحيح حسن أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه أنا أبو ايوب الدمشقي ثنا سعدان بن يحيى ثنا عبد الله بن أبي حميد عن أبي المليح الهذلي عن وائلة بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت مكان التوراة السبع الطول ، وأعطيت مكان الانجيل المثني وأعطيت مكان الزبور المثاني ، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي وأعطاني ربي المفصل نافلة » غريب

﴿ فصل في فضائل تلاوة القرآن ﴾

أنا عبد الواحد بن احمد بن المليحي أنا ابو محمد انا عبد الرحمن بن ابي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام البررة ومثل الذي يقرأ وهو عليه شاق له أجران » صحيح . وقال هشام الدستوائي عن قتادة بهذا الاسناد « الذي يقرأ القرآن

ابن عبدة الضبي حدثنا حماد بن زيد حدثنا عبيد الله بن عمر قال : لقد أدركت فقهاء المدينة وأنهم ليظنون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع . وقال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن ليث عن هشام بن عروة قال : ما سمعت أبا يوزل آية من كتاب الله قط . وقال أيوب وابن عون وهشام الدستوائي عن محمد بن سيرين سألت عبيدة يعني السلمي عن آية من القرآن فقال : ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن ، فاتق الله وعليك بالسداد وقال أبو عبيد : حدثنا معاذ عن ابن عون عن عبد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال : إذا حدثت عن الله حديثا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده . حدثنا هشيم عن مغيرة عن إبراهيم قال : كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه . وقال شعبة عن عبد الله بن أبي السفر قال : قال الشعبي والله ما من آية إلا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله عز وجل . وقال أبو عبيد حدثنا هشيم حدثنا عمرو بن أبي زائدة عن الشعبي عن مسروق قال : اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه . فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه ، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) ولما جاء في الحديث الذي روي من طرق « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجم من نار » . وأما الحديث الذي رواه أبو جعفر بن جرير حدثنا عباس

« ١ » هو في الصحيحين وغيرها بلفظ آخر

وهو ما هو به مع السفرة الكرام البررة « (١) »

أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالح أنا أبو عمر بكر بن محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة ثنا أبو علي الحسين بن الفضل البجلي ثنا عفان ثنا إبان بن يزيد ثنا قتادة عن أنس عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل النخلة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنزيرة طعمها مر ولا ريح لها » صحيح أخرجه البخاري عن قتيبة عن أبي عوانة عن قتادة أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عامر يعني ابن مهدي عن زر عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها » قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا النضر بن شميل ثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن أبي أمامة أنه حدثنا قال سمعت النبي

ابن عبد العظيم حدثنا محمد بن خالد بن عثمة حدثنا أبو جعفر بن محمد الزبيري حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيئاً من القرآن إلا آيا بعدد علمهن إياه جبريل عليه السلام ، ثم رواه عن أبي بكر محمد بن يزيد الطرسوسي عن معن بن عيسى عن جعفر بن خالد عن هشام به — فانه حديث منكر غريب وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري قال البخاري : لا يتابع في حديثه وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي : منكر الحديث ، وتكلم عليه الامام أبو جعفر بما حاصله ان هذه الآيات مما لا يعلم الا بالتوقيف عن الله تعالى مما وقفه عليها جبرائيل ، وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث فان من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه ، ومنه ما يعلمه العلماء ، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ، ومنه ما لا يعذر أحد في جهاته كما صرح بذلك ابن عباس فيما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبي الزناد قال : قال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه ، وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهاته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه أحد الا الله . قال ابن جرير : وقد روي نحوه في حديث في اسناده نظر ، حدثني يونس بن عبد الاعلى الصدفي أنبأها ابن وهب سمعت عمرو بن الحرث يحدث عن السكبي عن أبي صالح مولى أم هانئ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام — لا يعذر أحد بالجهالة به ، وتفسير تفسره العرب ، وتفسير تفسره العلماء ، ومتشابه لا يعلمه الا الله عز وجل ، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب » والنظر الذي أشار اليه في اسناده هو من جهة محمد بن السائب الكلبي فانه متروك الحديث (١)

«١» صرحوا بانه

متهم بالكذب

صلى الله عليه وسلم يقول «اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان او غيابتان او فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما اقرأوا البقرة فان اخذها بركة ، وتر كما حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » صحيح هـ

انا عبد الواحد المليحي انا ابو منصور السمعاني انا ابو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا بشير بن مهاجر الغنوي ثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول «تعلموا سورة البقرة فان اخذها بركة وتر كما حسرة ولا يستطيعها البطلة» ثم سكت ساعة ثم قال «تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهراوان وانهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان او غيابتان او فرقان من طير صواف وان القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفني؟ فيقول ما اعرفك فيقول له انا صاحبك القرآن اظلمت لك بالهواجر واسهرت لملك ، وان كل تاجر من وراء تجارته وانك اليوم من ورائي كل تجارة ، فيعطى الملك يمينه ، والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما اهل الدنيا ، فيقولان بم كسينا هذا ؟ فيقال لهما بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال اقرأوا صعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صمودها مادام يقرأ هذأ ، او ترتيلاً » غريب هـ انا عبد الواحد المليحي انا ابو منصور السمعاني انا ابو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ، ثنا أبو ب

لكن قد يكون انما وهم في رفعه ، ولعله من كلام ابن عباس كما تقدم والله أعلم
(مقدمة مفيدة تذكر في اول التفسير قبل الفاتحة)

قال أبو بكر بن الانباري حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا همام عن قتادة قال : نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراء والرعد والنحل والحج والنور والاحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق و (يا أيها النبي لم تحرم) الى رأس العشر واذا زلزلت (واذا جاء نصر الله) هؤلاء السور نزلت بالمدينة وسائر السور بمكة .

فأما عدد آيات القرآن العظيم فسته آلاف آية ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال ، فمنهم من لم يزد على ذلك ، ومنهم من قال ومائتي آية وأربع آيات ، وقيل وأربع عشرة آية ، وقيل ومائتان وتسع عشرة آية ، وقيل ومائتان وخمس وعشرون آية ، أو ست وعشرون آية ، وقيل ومائتان وست وثلاثون ، حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه البيان . وأما كلماته فقال الفضل بن شاذان عن عطاء بن يسار سبع وسبعون ألف كلمة وأربع مائة وتسع وثلاثون كلمة . وأما حروفه فقال عبد الله بن كثير عن مجاهد هذا ما أحصينا من القرآن وهو ثلثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفا . وقال الفضل بن عطاء بن يسار ثلثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفا . وقال سلام أبو محمد الحناني : ان الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال : أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو ؟ قال : نحسبنا فأجمعوا أنه ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبع مائة وأربعون حرفا قال : فأخبروني عن نصفه

الدمشقي ثنا اسماعيل بن عياش ثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن قرأ آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة »

أخبرنا الامام أبو علي حسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد لزيادي انا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر ، ثنا ابراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي أنا وكيع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحب أحدكم اذا رجع الى أهله ان يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان » قلنا : نعم يا رسول الله قال « فثلاث آيات يقرؤهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان » صحيح ، أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ، ثنا حميد بن زنجويه ، ثنا الاسود ثنا بن لهيعة عن زبان هو ابن قائد عن سهل هو ابن معاذ الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قرأ القرآن فاحكمه وعمل بما فيه ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه فما ظنكم بالذي عمل به »

أنا أحمد بن عبد الله الصالح أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا محمد بن عبد الله الصفار ،

فاذا هو الى الفاء من قوله في الكهف (وليتلف) وثلثة الاول عند رأس مائة آية من برائة والثاني على رأس مائة أو احدى ومائة من الشعراء ، والثالث الى آخره ، وسبعة الاول الى الدال من قوله تعالى (فمنهم من آمن به ومنهم من صد) والسبع الثاني الى التاء من قوله تعالى في سورة الاعراف (أولئك حببط) والثالث الى الالف الثانية من قوله تعالى في الرعد (أكلها) والرابع الى الالف في الحج من قوله (جعلنا منسكا) والخامس الى الهاء من قوله في الاحزاب (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) والسادس الى الواو من قوله تعالى في الفتح (الظانين بالله ظن السوء) والسابع الى آخر القرآن . قال سلام أبو محمد علمنا ذلك في اربعة اشهر ، قلوا وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن ، فالاول الى آخر الانعام والثاني الى (وليتلف) من سورة الكهف ، والثالث الى آخر الزمر ، والرابع الى آخر القرآن . وقد حكى الشيخ ابو عمرو الداني في كتابه (البيان) خلافا في هذا كله فالله اعلم

وأما (التحزيب والتجزئة) فقد اشتهرت الاجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الوارد في تحزيب الصحابة للقرآن والحديث في مسند الامام احمد وسنن ابى داود وابن ماجه وغيرهم عن اوس بن حذيفة انه سأل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا ثلث وخمس وسبع وتسع واحد عشرة وثلاث عشرة (١) وحزب المفصل حتى نختم

فصل

واختلاف في معنى السورة مما هي مشتقة فقليل من الابانة والارتفاع قال النابغة

ثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي ، (١) ثنا أبو حذيفة ثناسفيان الثوري عن الاعمش عن خيشمة عن رجل أن عمران بن حصين مر على رجل يقرأ على قوم فلما قرأ سأل فقال عمران : انا لله وانا اليه راجعون ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجزي » أقوام يقرؤون القرآن يسألون الناس به » رواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد عن سفيان عن الاعمش عن خيشمة عن الحسن بن عمران بن حصين قول : وقال محمد بن اسماعيل هو خيشمة البصري الذي روى عنه جابر الجعفي وليس هو خيشمة بن عبد الرحمن

﴿ فصل في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم ﴾

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أنا ابو اسحق ابراهيم بن حزم الشاشي ثنا أبو محمد عبيد بن حميد ثنا عبد الرزاق أنا الثوري عن عبد الاعلى عن شعيب بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قل في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري أنا أبو سعيد احمد بن محمد بن الفضل الفقيه أنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن البصري ثنا أبو الفضل العباس بن محمد الدوري أخبرنا يحيى بن حماد ، ثنا أبو عوانة عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن

(١) كذا والنفاذة
في المذكر أحد عشر
وثلاثة عشر وفي
المؤنث احدى عشرة
وثلاث عشرة
(١) وفي نسخة البرني
واخرى البرني

ألم تر أن الله أعطاك سورة نرى كل ملك دونها يتذبذب

فكان القاري ينتقل بها من منزلة الى منزلة. وقيل لشرفها وارتفاعها كسور البلدان وقيل سميت سورة لسكونها قطعة من القرآن وجزءاً منه مأخوذ من اسرار الاناء وهو البقية. وعلى هذا فيكون أصلها مهموزاً. وإنما خففت الهمزة فأبدلت الهمزة واواً لانضمام ما قبلها وقيل لأنها وكما لها لان العرب يسمون الناقة التامة سورة (قلت) ويحتمل ان يكون من الجمع والاحاطة لا يأتيها كما يسمى سور البلد لاحاطته بمنزله ودوره. وجمع السورة سور بفتح الواو وقد يجمع على سوريات وسوارات. وأما الآية فن العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها اي هي بائنة عن اختها ومنفردة قال الله تعالى (ان آية ملكه) وقال النابغة :

توهمت آيات لها فعرفت لها لسته أعوام وذا العام سابع

وقيل لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه كما يقال خرج القوم بآياتهم اي بجماعاتهم قال الشاعر :

خرجنا من النقيين لا حي مثلنا * بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا

وقيل سميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها قال سيدييه وأصلها آية مثل أكمة وشجرة

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد التبراني ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل بن حنبل أنا إبراهيم ابن خزيمة أنا عبد بن حميد ثنا حبان بن هلال ثنا سهل أخو حزم القطيعي ثنا أبو عمران الحوفي عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» غريب ، ومثله أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال: وأي مماء تظلمي ، وأي أرض تقتلي. إذا قلت في كتاب الله ما لأعلم ، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : لا تنفقه كل الفقه حتى تری للقرآن وجوها كثيرة ، قال حماد قلت لابي أيوب مامعنى قول أبي الدرداء رضي الله عنه؟ فجعل يفكر فقلت هو ان ترى له وجوها كثيرة فتنبأ الاقدام عليه؟ فقال هو ذاك ، قال شيخنا الامام رحمه الله: قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه وذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئاً من غير علم فأما التأويل وهو صرف الآية الى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط فقد رخص فيه لاهل العلم ، أما التفسير وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها فلا يجوز الا بالسمع بعد ثبوته من طريق النقل ، وأصل التفسير من التفسير وهي الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها . واشتقاق التأويل من الاول وهو الرجوع يقال أولته فأل أي صرفته فانصرف. أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم التبراني أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى * أنا اسحق بن ابراهيم الحنظلي ، ثنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة عن واصل

فحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلت الفاء فصارت آية بهمزة بعدها مدة وقال الكسائي أصلها آية على وزن آمنة فقلت الفاتحة حذف لتباسها. وقال الفراء أصلها آية بتشديد الياء الأولى فقلت الفاء كراهية التشديد فصارت آية وجمعها آي وآيات. وأما الكلمة فهي اللفظة الواحدة وقد تكون على حرفين مثل ما ولا ونحو ذلك. وقد تكون أكثر، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل «ليست خلفهم» و«أنزلكموها» فاسقيناهم. وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل والفجر والضحى والمصر وكذلك الم وطه ويس وحمل في قول الكوفيين وحمل عسق عندهم كلمتان وغيرهم لا يسي هذه آيات بل يقول هذه فواتح السور وقال أبو عمرو الداني لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى (مدهاتان) بسورة الرحمن

فصل

قال القرطبي اجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب العجمية، واجمعوا أن فيه أعلاما من العجمية كإبراهيم ونوح ولوط واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالعجمية؟ فانكر ذلك الباقلاني والطبري وقالوا ما وقع فيه مما يوافق العجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات

سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

يقال لها الفاتحة أي فاتحة الكتاب خطأ، وبها تفتح القراءة في الصلوات، ويقال لها أيضا أم

ابن حبان عن ابن هذيل عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ان القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن، ولكل حد مطلع» وبروي «لكل حرف حد، ولكل حد مطلع» واختلفوا في تأويله قيل: الظاهر لفظ القرآن والبطن تأويله. وقيل الظاهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وباطنه عظة ونحوه أن يفعل أحد مثل ما فعلوا فيجعل به ما حل بهم. وقيل معنى الظاهر والبطن التلاوة والتفهم يقول لكل آية ظاهر وهو أن تقرأها كما أنزلت قال الله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) وباطن وهو التدبر والتفكير قال الله تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) ثم التلاوة تكون بالتعلم والحفظ بالدرس، والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة وطيب الطعمة. وقوله «لكل حرف حد» أراد له حد في التلاوة والتفسير لا يجاوزه ففي التلاوة لا يجاوز المصحف، وفي التفسير لا يجاوز المسموع. وقوله «لكل حد مطلع» أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، ويقال المطلع الفهم وقد يفتح الله على المتدبر والمتفكر في التأويل والمعاني ما لا يفتح على غيره وفوق كل ذي علم عليم، وما توفيقى إلا بالله العزيز الحكيم

سورة الفاتحة

ولها ثلاثة أسماء معروفة: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني. سميت فاتحة الكتاب

الكتاب عند الجمهور ذكره أنس ، والحسن وابن سيرين كرها تسميتها بذلك قال الحسن وابن سيرين إنما ذلك اللوح المحفوظ وقال الحسن الآيات المحكمات هن أم الكتاب ولذا كرها أيضا أن يقال لها أم القرآن وقد ثبت في الصحيح عند الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم» ويقال لها (الحمد) ويقال لها (الصلاة) لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قل الله حمدني عبدي» الحديث. فسميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها ويقال لها الشفاء لما رواه الدرامي عن أبي سعيد مرفوعا «فاتحة الكتاب شفاء من كل سم» ويقال لها (الرقية) لحديث أبي سعيد في الصحيح حين رقى بها الرجل السليم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «وما يدريك أنها رقية؟» وروى الشامي عن ابن عباس أنه سماها (أساس القرآن) قال وأسماها باسم الله الرحمن الرحيم وسماها سفیان بن عینة (الواقية) وسماها يحيى بن أبي كثير (الكافية) لأنها تكفي عما عداها ولا يكفي ما سواها عنها كما جاء في بعض الأحاديث المرسلة «أم القرآن عوض من غيرها وليس من غيرها عوض منها» ويقال لها سورة الصلاة والكنز ذكرهما الزمخشري في كشافه

وهي مكية قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية وقيل مدنية قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري ويقال نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة. والاول اشبه لقوله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني) والله اعلم وحكى ابواليث السمرقندي ان نصفها نزل بمكة ونصفها الاخر نزل بالمدينة وهو غريب جدا نقله القرطبي عنه وهي سبع آيات بلا خلاف وقال عمرو بن عبيد ثمان وقال حسين الجعفي ستة وهذا القولان شاذان وإنما اختلفوا في البسملة هل هي آية مستقلة من اولها كما هو عند جمهور قراء الكوفة وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من الخلف أو بعض آية أو لا تعد من أولها بالسكينة كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء؟ على ثلاثة أقوال كما سيأتي تقريرها في موضعه ان شاء الله تعالى وبه الثقة

قالوا وكلماتها خمس وعشرون كلمة وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفاً. قال البخاري في اول كتاب التفسير وسميت أم الكتاب لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة وقيل إنما سميت بذلك لرُجوع معاني القرآن كله الى ما تضمنته قال ابن جرير: والعرب تسمي كل جامع أمراً أو مقدم لأمراً اذا كانت له توابع تتبعه هوها امام جامع - أمّا. فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أما واستشهد بقول ذي الرمة

لأنه تعالى بها افتتح القرآن، وسميت أم القرآن وأم الكتاب لأنها أصل القرآن منها بدي القرآن وأما الشيء أصله ويقال لمكة أم القرى لأنها أصل البلاد دحيت الارض من تحتها وقيل لأنها مقدمة وامام لما يتلوها من السور يبدأ بكتابتها في المصحف وبقراءتها في الصلاة ، والسبع المثاني لأنها سبع آيات باتفاق العلماء وسميت مثاني لأنها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة ، وقال مجاهد : سميت مثاني لان الله تعالى استثنى هذه الامة فذكرها لهم . وهي مكية على قول الاكثرين وقال مجاهد : مدنية وقيل نزلت

على رأسه أم لنا نقتدي بها جماع أمور ليس نعصي لها أمرا - يعني الرمح - قال وسميت مكة أم القرى لتقدمها امام جميعها وجمعها ما سواها. وقيل لان الارض دحيت منها. ويقال لها أيضا الفاتحة لانها تفتتح بها القراءة وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الامام وصح تسميتها بالسبع المثاني قالوا لانها تنفي في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وان كان للمثنى معنى آخر غير هذا كما سيأتي بيانه في موضعه ان شاء الله تعالى.

قال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا ابن أبي ذئب وهاشم بن هاشم عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أم القرآن « هي أم القرآن وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم » ثم رواه عن اسماعيل بن عمر عن ابن أبي ذئب به وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : حدثني يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني » وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في تفسيره : حدثنا أحمد بن محمد بن زياد ، حدثنا محمد بن غالب بن حارث ، حدثنا اسحق بن عبد الواحد الموصلي ، حدثنا المعافى بن عمران عن عبد الحميد بن جعفر عن نوح بن أبي بلال عن المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحمد لله رب العالمين سبع آيات : بسم الله الرحمن الرحيم احدهن ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم ، وهي أم الكتاب ، وفاتحة الكتاب » وقدرناه لدارقطني أيضا عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه أو مثله وقال كلهم ثقات وروى البيهقي عن علي وابن عباس وأبي هريرة أنهم فسروا قوله (سبع من المثاني) بالفاتحة وأن البسمة هي الآية السابعة منها وسيأتي تمام هذا عند البسمة. وقدروى الاعمش عن ابراهيم قال : قيل لابن مسعود : لم لم تكتب الفاتحة في مصحفك ؟ فقال : لو كتبتها لكتبتها في أول كل سورة ، قال أبو بكر بن أبي داود يعني حيث يقرأ في الصلاة ، قال : واكتفيت بحفظ المسلمين لها عن كتابها وقد قيل : ان الفاتحة أول شيء أنزل من القرآن كما ورد في حديث رواه البيهقي في دلائل النبوة ونقله الباقلاني أحد أقوال ثلاثة وقيل (يا أيها المدثر) كما في حديث جابر في الصحيح وقيل (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وهذا هو الصحيح كما سيأتي تقريره في موضعه وبالله المستعان

مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ولذلك سميت مثاني والاول أصح أنها مكية لان الله تعالى من على الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني) والمراد منها فاتحة الكتاب ، وسورة الحجر مكية فلم يكن بمن عليه بها قبل نزولها

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله (بسم الله) الباء أداة تخفض ما بعدها مثل من وعن والمتعلق به الباء محذوف للدلالة الكلام عليه تقديره ابدأ بسم الله أو قل بسم الله وأسقطت الالف من الاسم طلباً للخفة لكثرة استعمالها وطولت الباء قال القتيبي ليكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف معظم، كان

﴿ ذكر ما ورد في فضل الفاتحة ﴾

قال الامام أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده : حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثني حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال : كنت أصلي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه حتى صليت قل : فأتيته فقال « ما منعك أن تأتيني ؟ » قال قلت : يا رسول الله اني كنت أصلي قال : ألم يقل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحییکم) ثم قال « لا علمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد » قال : فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت : يا رسول الله انك قلت لا علمك أعظم سورة في القرآن قال « نعم » (الحمد لله رب العالمين) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » وهكذا رواه البخاري عن مسدد وعلي بن المديني كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به ، ورواه في موضع آخر من التفسير ، وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن شعبة به ، ورواه الواقدي عن محمد بن معاذ الانصاري عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى عن أبي بن كعب فذكر نحوه . وقد وقع في الموطأ للإمام مالك بن أنس رحمه الله ما ينفي التنبيه عليه فانه رواه مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي ان أبا سعيد مولى ابن عامر بن كبر أخبرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي في المسجد فلما فرغ من صلاته لحقه قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على يدي وهو يريد أن يخرج من باب المسجد ثم قال صلى الله عليه وسلم « اني لارجو أن لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في القرآن مثلاً » قال أبي رضي الله عنه فجعلت أبطل في المشي رجاء ذلك ثم قلت يا رسول الله ما السورة التي وعدتني ؟ قال « كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة ؟ » قال فقرأت عليه (الحمد لله رب العالمين) حتى أتيت على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت » فأبو سعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المعلى كما اعتقده بن الاثير في جامع الاصول ومن تبعه فان ابن المعلى صحابي أنصاري وهذا تابعي من موالي خزاعة وذلك الحديث متصل صحيح وهذا ظاهره انه منقطع ان لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبي بن كعب فان كان قد سمعه منه فهو على شرط مسلم والله أعلم على انه قد روي عن أبي ابن كعب من غير وجه كما قال الامام احمد . حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم حدثنا العلاء

عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتابه طولوا الباء وأظهروا السين وفرجوا بينهما ودوروا الميم تعظيماً لكتاب الله عز وجل ، وقيل لما أسقطوا الالف ردوا طول الالف على الباء ليكون دالا على سقوط الالف ألا ترى أنه لما كتبت الالف في (اقرأ باسم ربك) ردت الباء الى صيغتها ولا تحذف الالف اذا أضيف الاسم الى غير الله ولا مع غير الباء . والاسم هو المسمى وعينه وذاته قال الله تعالى

ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب وهو يصلي فقال يابني قالت ثم لم يجبه ثم قال أبي تخفف أبي ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك أي رسول الله فقال وعليك السلام ما منعك أي أبي اذ دعوتك ان تجيبني فقال أي رسول الله اني كنت في الصلاة قال أو لست تجد فيما أوحى الله الي (استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبيكم) قال بلى يا رسول الله لا أعود قال انجب ان أعلمك سورة لم تنزل لا في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلاً ؟ قلت نعم أي رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا أرجو ان لا أخرج من هذا الباب حتي تعلمها قال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي يحدثني وأنا أتباطأ مخافة ان يبلغ قبل ان يقضى الحديث فلما دنونا من الباب قلت أي رسول الله ما السورة التي وعدتني ؟ قال ما تقرأ في الصلاة ؟ قل فقرأت عليه ام القرآن قل والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلاً انها السبع المثاني ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي عن العلائي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه فذكره وعنده انها من السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته ثم قال هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن أنس بن مالك ورواه عبد الله بن الامام احمد عن اسماعيل بن أبي معمر عن ابى اسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن ابى هريرة عن أبي بن كعب فذكره مطولاً بنحوه او قرياً منه وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن أبى عمار حسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن ابى هريرة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي نصفين هذا لفظ النسائي وقال الترمذي حديث حسن غريب وقال الامام احمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا هاشم يعني ابن البريد حدثنا عبد الله بن محمد ابن عقيل عن جابر قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اهرق الماء فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد علي قال فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد علي قال فأنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشي وأنا خلفه حتى دخل رحله ودخلت انا المسجد فحسنت كتيبا حزينا فخرج علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تطهر فقال عليك السلام ورحمة الله وبركاته عليك السلام ورحمة الله وبركاته عليك السلام ورحمة الله ثم قال «الا اخبرك يا عبد الله بن جابر بأخير سورة في القرآن ؟ قلت بلى يا رسول الله قال اقرأ الحمد لله

(انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) أخبر أن اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال (يحيى) وقال (ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتوها) وأراد الاشخاص المعبودة لانهم كانوا يعبدون المسميات وقال (مسح اسم ربك ، وتبارك اسم ربك) ثم يقال للتسمية أيضا اسم فاستعماله في التسمية أكثر من المسمى فان قيل ما معنى التسمية من الله لنفسه ؟ قيل هو تعاليم للعباد كيف يستمعون القراءة (١) . واختلفوا في

(١) وفي نسخة
يفتتحون وقد سقط
السؤال والجواب
من الخطيتين

رب العالمين حتي نختصها هذا اسناد جيد وابن عقيل هذا يحتج به الائمة الكبار وعبد الله بن جابر هذا الصحابي ذكر ابن الجوزي انه هو العبدى والله اعلم ويقال انه عبد الله بن جابر الانصاي البياض فيما ذكره الحافظ ابن عساكر واستدلوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الايات والسور على بعض كما هو المحكى عن كثير من العلماء منهم اسحق بن راهويه وأبو بكر بن العربي وابن الحفار من المالكية وذهبت طائفة أخرى الى انه لا تفاضل في ذلك لان الجميع كلام الله ولثلاث يوم التفضيل نقص المفضل عليه وان كان الجميع فاضلا نقله القرطبي عن الاشعري وأبي بكر الباقلاني وأبي حاتم ابن حبان البستي وأبي حبان ويحيى بن يحيى ورواية عن الامام مالك أيضا حديث أخر قال البخاري في فضائل القرآن حدثنا محمد بن المثنى حدثنا وهب حدثنا هشام عن محمد بن معبد عن أبي سعيد الخدري قال كنا في مسير لنا فتنزلنا فجاءت جارية فقالت ان سيد الحي سليم وان نفرنا غيب فهل منكم راق ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبئه برقية فرقاه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له اكنتم نحسن رقية أو كنتم ترقى ؟ قال لا مارقيت الا بام الكتاب قلنا لا نحدثوا شيئا حتي نأتي ونسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال «وما كان يدريه انه رقية اقساموا واضربوا لي بسهم» وقال أبو جهم حدثنا عبد الوارث حدثنا هشام حدثنا محمد بن سيرين حدثني معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري بهذا وهكذا رواه مسلم وأبو ذؤاد من رواية هشام وهو ابن حسان عن ابن سيرين به وفي بعض روايات مسلم لهذا الحديث ان أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم يعني اللدغي يسمونه بذلك تفاؤلا

حديث آخر : روى مسلم في صحيحه والنسائي في سننه من حديث أبي الاحوص سلام بن سليم عن عمار بن زريق عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبرائيل اذ سمع نقيضا فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال : هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ابشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فأفحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ حرفا منها الا أوتيته ، وهذا لفظ النسائي

ولمسلم نحوه حديث آخر قال مسلم حدثنا اسحق بن ابراهيم الحنظلي هو ابن راهويه حدثنا سفیان ابن عيينة عن العلاء يعني بن عبد الرحمن بن يعقوب الخرقى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام»

اشتقاقه ، قال المبرد من البصريين هو مشتق من السمو وهو العلو فكأنه علا على معناه وظهر عليه وصار معناه تحته ، وقال ثعلب من الكوفيين هو من الوسم والسمعة وهي العلامة وكأنه علامة لمعناه والاول أصح لانه يصغر على سمي ولو كان من السمة لكان يصغر على الوسم كما يقال في الوعد وعبد ويقال في نصريفه سميت ولو كان من الوسم لقبل وسمت قوله تعالى (الله)

ف قيل لابي هريرة انا نكون خلف الامام فقال اقرأ بها في نفسك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبيدني ما سأل فاذا قال (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني عبدي ، واذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله اثنى علي عبدي ، فاذا قال (مالك يوم الدين) قال الله مجدني عبدي ، وقال مرة فوض الي عبدي ، فاذا قال (ايك نعبدوايك نستعين) قال هذا بيني وبين عبدي ولعبيدني ما سأل ، فاذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال الله هذا لعبدي ولعبيدني ما سأل » وهكذا رواه النسائي عن اسحق بن راهويه وقد روياه ايضا عن قتيبة عن مالك عن العلاء عن ابي السائب مولى هشام بن زهرة عن ابي هريرة وفي هذا السياق « فنصفها لي ونصفها لعبدي ، ولعبيدني ما سأل » وهكذا رواه ابن اسحق عن العلاء وقد رواه مسلم من حديث ابن جريج عن العلاء عن ابي السائب هكذا ورواه ايضا من حديث ابن ابي اويس عن العلاء عن أبيه وأبي السائب كلاهما عن أبي هريرة وقال الترمذي هذا حديث حسن وسألت أبا زرعة عنه فقال كلا الحديثين صحيح من قال عن العلاء عن أبيه وعن العلاء عن أبي السائب وقد روي هذا الحديث عبد الله بن الإمام أحمد من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي كعب مطولا وقال ابن جرير حدثنا صالح ابن مسمار المروزي حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عنبسة بن سعيد عن مطرف بن طريف عن سعيد بن اسحق عن كعب بن عجرة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وله ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال حمدني عبدي واذا قل الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي. ثم قال هذا كله ما بقي » وهذا غريب من هذا الوجه

﴿ الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه ﴾

(أحدها) أنه قد أطلق فيه لفظ الصلاة ، والمراد القراءة كقوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها واتبع بين ذلك سبيلا) أي بقراءتك كما جاء مصرحاً به في الصحيح عن ابن عباس ، وهكذا قال في هذا الحديث « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبيدني ما سأل » ثم بين تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة فدل على عظمة القراءة في الصلاة وانها من أكبر أركانها إذ أطلقت العبادة وأريد بها جزء واحد منها وهو القراءة كما أطلق لفظ القراءة

قال الخليل وجماة هو اسم علم خاص لله عز وجل لا اشتقاق له كأسماء الاعلام للعباد مثل زيد وعمرو وقال جماة هو مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه فقبل من أله الالهة أي عبد عبادة وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما (ويذكرك والاهتك) أي عبادتك — معناه أنه المستحق للعبادة دون غيره وقبل أصله ، قال الله عز وجل (وما كان معه من الاله اذا لذهب كل الاله بما خلق) قال المبرد هو من قول العرب ألهت

والمراد به الصلاة في قوله (وقرآن الفجر، ان قرآن الفجر كان مشهودا) والمراد صلاة الفجر كما جاء مصرحاً به في الصحيحين « أنه يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار » فدل هذا كله على أنه لا بد من القراءة في الصلاة وهو اتفاق من العلماء ، ولكن اختلفوا في مسألة نذكرها في الوجه الثاني ، وذلك انه هل يتعين للقراءة في الصلاة غير فاتحة الكتاب أم تجزئ هي أو غيرها ؟ على قولين مشهورين فعند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم : أنها لاتتعين بل مهما قرأ به من القرآن أجزاء في الصلاة واحتجوا بهم قوله تعالى (فاقروا ما تنسرون القرآن) وبما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة النبي في صلواته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تنسرك معك من القرآن » قالوا فأمره بقراءة ما تنسرك ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها فدل على ما قلنا (والقول الثاني) أنه تتعين قراءة الفاتحة في الصلاة ولا تجزئ الصلاة بدونها ، وهو قول بقية الأئمة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم وجمهور العلماء ، واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور حيث قال صلوات الله وسلامه عليه « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج » والخداج هو الناقص كما فسر به في الحديث « غير تمام » . واحتجوا أيضاً بما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن محمود بن الربيع عن عباد بن الصامت قل : قل رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » . وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن » والاحاديث في هذا الباب كثيرة ووجه المناظرة ههنا يطول ذكره وقد أشرنا الى مأخذهم في ذلك رحمهم الله ثم ان مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه يجب قراءتها في كل ركعة . وقال آخرون : انما تجب قراءتها في معظم الركعات وقال الحسن وأبو بكر البصريين : انما تجب قراءتها في ركعة واحدة من الصلوات أخذاً بمطلق الحديث « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » . وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والاوزاعي : لاتتعين قراءتها بل لو قرأ بغيرها أجزاء لقوله تعالى (فاقروا ما تنسرون القرآن) والله أعلم . وقد روى ابن ماجه عن حديث أبي سفيان السعدي عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعاً « لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة في فريضة أو غيرها » وفي صحة هذا نظر وموضع تحرير هذا كله في كتاب الاحكام الكبير والله أعلم

(والوجه الثالث) هل يجب قراءة الفاتحة على المأموم ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء (أحدها) أنه يجب عليه قراءتها كما يجب على إمامه لعموم الاحاديث المتقدمة (والثاني) لان يجب على المأموم قراءة

الى فلان أي سكنت اليه قل الشاعر : أهلت اليها والحوادث جمة

فكان الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره يقال أهلت اليه أي فرغت اليه وقال الشاعر :

أهلت اليها والركائب وقف

وقيل أصل الاله ولاء فأبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح واشاح ، اشتقاقه من الوله لان العباد

بالكلية للفاتحة ولا غيرها لا في صلاة الجهرية ولا في صلاة السرية لما رواه الامام احمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من كان له إمام فقرأه الامام له قراءة » ولكن في إسناده ضعف . ورواه مالك عن وهب بن كيسان عن جابر من كلامه ، وقد روي هذا الحديث من طرق ولا يصح شيء منها عن النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم (والقول الثالث) أنه نجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم ، ولا يجب ذلك في الجهرية لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما جعل الإمام لبؤنم به فإذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ فأنتوا » وذكر بقية الحديث ، وهكذا رواه بقية أهل السنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « وإذا قرأ فأنتوا » وقد صححه مسلم بن الحجاج أيضا ، فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول وهو قول قديم للشافعي رحمه الله ، والله أعلم . ورواية عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى - والغرض من ذكر هذه المسائل ههنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا غسان بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء الا الموت »

﴿ تفسير الاستعاذة وأحكامها ﴾

قال الله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین) واما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعد بالله انه سمیع علیم (وقال تعالى) ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون وقول رب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال تعالى (ادفع بالتي هي احسن) الذي بينك وبينه اوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذرحظ عظيم واما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعد بالله انه هو السميع العلیم (فهذه ثلاث آيات ليس لمن رابعة في معناها وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الانسي والاحسان اليه ليرده عنه طبعه الطيب الاصل الى الماراة والمصافاة ، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة اذ لا يقبل مصانعة ولا احسانا ولا يتغي غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل كما قال تعالى (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) وقال تعالى (أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً انما يدعو بلهون اليه أي يفرعون اليه في الشدائد، ويلجؤون اليه في الحوائج، كما بوله كل طفل الى أمه، وقيل هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد من يعز عليك

قوله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر واختلفوا فيهما منهم من قال هما معنى واحد مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وذكر أحدهما بعد الآخر

حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقول (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام أنه لمن الناصحين وكذب فكيف ماملته لنا وقد قال (فبعرنك لاغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) وقال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون

قالت طائفة من القراء وغيرهم يتعوذ بعد القراءة واعتمدوا على ظاهر سياق الآية ولدفع الإعجاب بعد فراغ العبادة، ومن ذهب إلى ذلك حمزة فيما نقله عنه ابن فلوفا وأبو حاتم السجستاني حكى ذلك أبو القاسم يوسف بن علي بن جنادة الهذلي المغربي في كتاب العبادة الكامل، وروي عن أبي هريرة أيضا وهو غريب، ونقله محمد بن عمر الرازي في تفسيره عن ابن سيرين في رواية عنه قول: وهو قول إبراهيم النخعي وداود بن علي الأصهباني الظاهري. وحكى القرطبي عن أبي بكر بن العربي عن المجموعة عن مالك رحمه الله: أن القارئ يتعوذ بعد الفاتحة. واستغربه ابن العربي. وحكى قولاً ثالثاً وهو الاستعاذة أولاً وآخرها جمعاً بين الدليلين، نقله الرازي. والمشهور الذي عابيه الجمهور أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الموسوس عنها — ومعنى الآية عندهم (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أي إذا أردت القراءة كقوله تعالى (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) الآية أي إذا أردتم القيام، والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: حدثنا محمد بن الحسن بن أنس حدثنا جعفر بن سليمان عن علي بن علي الرقاعي الشكري عن أبي المتوكل التاجي عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك» ثم يقول — لا إله إلا الله — ثلاثاً ثم يقول — أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه » وقد رواه أهل السنن الأربعة من رواية جعفر بن سليمان عن علي بن علي وهو الرقاعي، وقال الترمذي: هو أشهر شيء في هذا الباب، وقد فسر الهمز بالموتة وهي الخنق، والنفخ بالكبر، والنفث بالشعر. كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن عاصم الغزي عن نافع بن جبير المظع عن أبيه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل في الصلاة قال «الله أكبر كبيراً ثلاثاً، الحمد لله كثيراً ثلاثاً، سبحان الله بكرة وأصيلاً، ثلاثاً» — اللهم إني أعوذ بك من الشيطان

تطمعاً للولب الراغبين وقال المبرد هو انعام. بعد انعام وتفضل بعد تفضل، ومنهم من فرق بينهما فقال الرحمن بمعنى العموم والرحيم بمعنى الخصوص. فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق والرحيم بمعنى المعافي في الآخرة والعفو في الآخرة للمؤمنين على الخصوص ولذلك قيل في الدعاء يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة فالرحمن من تصل رحمته إلى الخلق على العموم والرحيم من تصل

من همزه ونفخه ونفته » قال عمر : وهمزه الموتة ونفخه الكبر ونفته الشعر . وقال ابن ماجه : حدثنا علي بن المنذر ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفته » قال : همزه الموتة ونفخه الكبر ونفته الشعر رقال الامام أحمد : حدثنا اسحق بن يوسف ، حدثنا شريك عن يعلى بن عطاء عن رجل حدثه أنه سمع أبا أمامة الباهلي يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة كبر ثلاثا ثم قال « لا اله الا الله ثلاث مرات ، وسبحان الله وبحمده ثلاث مرات » ثم قال « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفته » وقال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثني الموصلي في مسنده ، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان الكوفي ، حدثنا علي ابن هشام بن البرهيد عن يزيد بن زباد عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : تلاحي رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فتمزع أنف أحدهما غضبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اني لاعلم شيئا لو قاله لذهب عنه ما يجحد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن يوسف بن عيسى المروزي عن الفضل ابن موسى عن يزيد بن زياد بن أبي الجعدية ، وقد روي هذا الحديث أحمد بن حنبل عن أبي سعيد عن زائدة وأبو داود عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد والترمذي والنسائي في اليوم والليلة عن بزار عن ابن مهدي عن الثوري والنسائي أيضا من حديث زائدة بن قدامة ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فغضب أحدهما غضبا شديدا حتى ينجبل الي أن أحدهما يتمزع أنفه من شدة غضبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجحد من الغضب » فقال : ما هي يا رسول الله ؟ قال يقول (اللهم اني أعوذ بك من الشيطان الرجيم) قال : فجعل معاذ يأمره فأبى وجعل يزداد غضبا وهذا لفظ أبي دard ، وقال الترمذي : مرسل يعني أن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يلق معاذ بن جبل فانه مات قبل سنة عشر بن (قلت) وقد يكون عبد الرحمن بن أبي ليلى سمعه من أبي بن كعب كما تقدم وبلغه عن معاذ بن جبل فان هذه القصة شهدها غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم . قال البخاري : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير عن الاعمش عن عدي بن ثابت قال : قال ساجان بن صرد رضي الله عنه : استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه فقال رحمته اللهم على الخصوص ولذلك يدعى غير الله رحيمًا ولا يدعى رحمن فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ ، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى ، والرحمة ارادة الله الخير لاهله وقبل هي ترك عقوبة من يستحقها واسداء الخير الى من لا يستحق ، فهي على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل واختلفوا في آية التسمية فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة الى انها ليست من فاتحة

الذي صلى الله عليه وسلم « اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اني لست بمجنون ، وقد رواه أيضا مع مسلم وأبي داود والنسائي من طرق متعددة عن الاعمش به وقد جاء في الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول ذكرها هنا وموطنها كتاب الاذكار وفضائل الاعمال والله أعلم . وقد روي أن جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بالاستعاذة كما قال الامام أبو جعفر بن جرير ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عثمان بن سعيد ، حدثنا بشر بن عمار ، حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال : أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال « يا محمد استمذ » قال « استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » ثم قال « قل بسم الله الرحمن الرحيم » ثم قال (اقرأ باسم ربك الذي خلق) قال عبد الله : وهي أول سورة أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان جبريل . وهذا الاثر غريب وانما ذكرناه ليعرف أن في اسناده ضعفا وانقطاعا والله أعلم .

﴿ مسألة ﴾ وجهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمنتهية بأنهم تاركها وحكى الرازي عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة قل : وقال ابن سيرين : اذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في اسقاط الوجوب واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية (فاستمذ) وهو أمر ظاهره الوجوب وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها ولأنها تدرأ شر الشيطان وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ولأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب وقال بعضهم : كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته وحكى عن مالك أنه لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ لقيام رمضان في أول ليلة منه

﴿ مسألة ﴾ وقال الشافعي في الاملاء يجهر بالتعوذ وان أسرف فلا يضر وقال في الام بالتخفيف لانه أسر ابن عمر وجهر أبو هريرة واختاف قول الشافعي فيما عدا الركعة الاولى هل يستحب التعوذ فيها على قولين ورجح عدم الاستحباب والله أعلم فاذا قال المستمذ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى ذلك عند الشافعي وأبي حنيفة وزاد بعضهم : أعوذ بالله السميع العليم وقال آخرون بل يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم قاله الثوري والاوزاعي وحكى عن بعضهم انه يقول استعذ بالله من الشيطان الرجيم لمطابقة أمر الآية ولحديث الضحاك عن ابن عباس المذكور والاحاديث الصحيحة كما تقدم أولى بالاتباع من هذا والله أعلم

الكتاب ولا من غيرها من السور والافتتاح بها للتيمن والتبرك . وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز الى انها من النامحة وليست من سائر السور فانما كتبت للفصل وذهب جماعة الى انها من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة التوبة وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي في قول لانها كتبت في المصحف بخط سائر القرآن . وانفقوا على أن الفاتحة سبع آيات ولا آية الاولى عند من بعدها من

(مسئلة) ثم الاستعاذة في الصلاة إنما هي للتلاوة وهو قول أبي حنيفة ومحمد. وقال أبو يوسف: بل للصلاة فعلى هذا يتعوذ المأموم وإن كان لا يقرأ ويتعوذ في العيد بعد الاحرام وقبل تكبيرات العيد والجمهور بعدها قبل القراءة ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من القغو والرفث وتطيب له وهو لتلاوة كلام الله وهي استعانة بالله واعتراف له بالقدره وللعبد بالضعف والمعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه الا الله الذي خلقه ولا يقبل مصانعة ولا يدارى بالاحسان بخلاف العدو من نوع الانسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من المثاني وقال تعالى (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا) وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري فن قتل العدو الظاهر البشري كان شهيداً، ومن قتل العدو الباطني كان طريداً، ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجوراً، ومن قهره العدو الباطني كان مغتوراً أو موزوراً، ولما كان الشيطان يرى الانسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان

(فصل) والاستعاذة هي الانجاء الى الله تعالى والالتصاق بمنابته من شر كل ذي شر والعبادة تكون لدفع الشر واللياذ يكون لطلب جلب الخير كما قال المنبي

يا من ألوذ به فيما أومله * ومن أعوذ به ممن أحاذره

لا يهجر الناس عظما أنت كاسره * ولا يهضون عظما أنت جابره

ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي - تجبر بجناب الله من الشيطان الرجيم ان يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه فان الشيطان لا يكفه عن الانسان إلا الله ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الانس ومداراته باسداء الجليل اليه ليرده طبعه مما هو فيه من الاذى وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لانه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لانه شرير بالطبع ولا يكفه عنك الا الذي خلقه وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن لا أعلم لمن رابعة قوله في الاعراف (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) فهذا فيما يتعلق بمعاملة الاعداء من الشر (١) ثم قال (واما ينزعك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفرون * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون) وقال تعالى في سورة حم السجدة (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم * واما ينزعك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم)

(١) كذا بالاصل
واعله البشر

الفاتحة (بسم الله الرحمن الرحيم) وابتداء الآية الاخيرة (صراط الذين) ومن لم يعد لها من الفاتحة قال ابتداءها (الحمد لله رب العالمين) وابتداء الآية الاخيرة (غير المنضوب عليهم) واحتج من جعلها من الفاتحة ومن السور بأنها كتبت في المصحف بخط القرآن وبما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم أنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أنا عبد

الشيطان في لغة العرب مشتق من شطن اذا بعد فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير وقيل مشتق من شاط لانه مخلوق من نار ومنهم من يقول كلاهما صحيح في المعنى ولكن الاول اصح وعليه يدل كلام العرب قل أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه السلام

أما شاطن عصاه عكاه ثم باقى في السجن والاعلال

فقال أيما شاطن ولم يقل أيما شاطئ وقال النابغة الذبياني وهو زياد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع بن مرة بن سعد بن ذبيان

نأت بسعادك نوى شطون فباتت والفؤاد بها رهين

يقول بعدت بها طريق بعيدة وقال سيدي به العرب: نقول تشيطان فلان اذا فعل فعل الشياطين ولو كان من شاط لقالوا نشيط فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح ولهذا يسمون كل من تمرد من جني وانسي وحيوان شيطاناً قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعضهم زخرف القول غرورا) وفي مسند الامام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر « تعوذ بالله من شياطين الانس والجن » فقلت أو اللانس شياطين ؟ قال « نعم » وفي صحيح مسلم عن أبي ذر أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الاسود » فقلت يا رسول الله ما بال الكلب الاسود من الاحمر والاصفر ؟ فقال الكلب الاسود شيطان وقال ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب برذونا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد الا تبخترا فنزل عنه وقال ما حملوني الا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي اسناده صحيح . والرجيم فعيل بمعنى مفعول أي انه مرجوم مطرود عن الخير كما قال تعالى (واقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) وقال تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد) لا يسمعون الى الملا الا على ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب * الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثقب) وقال تعالى (واقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين) الى غير ذلك من الآيات وقيل رجيم بمعنى راجم لانه يرمي الناس بالوساوس والرباثة والاول أشهر وأصح (بسم الله الرحمن الرحيم) افتتح بها الصحابة كتاب الله واتفق العلماء على انها بدؤ آية من سورة النمل ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في أول كل سورة أو من أول كل سورة كتبت

الحجيد عن ابن جريح أخبرني أبي عن سعيد بن جبير (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) هي أم القرآن قال أبي وقرأها علي سعيد بن جبير حتى ختمها ثم قال (بسم الله الرحمن الرحيم) الآية السابعة قال سعيد قرأها علي وابن عباس كما قرأها عليك ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة قال ابن عباس فذخرها لكم فما أخرجها لاحد قبلكم . ومن لم يجعلها من الفاتحة اخرج بما ثنا أبو الحسن

في أولها أو أنها بدؤ آية من كل سورة أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها أو أنها إنما كتبت للفصل لأنها آية على أقوال للعلماء سلفا وخلفا وذلك مبسوط في غير هذا الموضع وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) وأخرجه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في مستدركه أيضا وروى مراسلا عن سعيد بن جبير وفي صحيح ابن خزيمة عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدّها آية لكنه من رواية عمر بن هارون البلخي وفيه ضعف عن ابن جريح عن ابن أبي مليكة عنها وروى له الدارقطني متابعا عن أبي هريرة مرفوعا وروى مثله عن علي وابن عباس وغيرهما ومن حكى عنه أنها آية من كل سورة الإبراهيم بن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو هريرة وعلي ومن التابعين عطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومكحول وزهري وبه يقول عبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل في رواية عنه واسحق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام رحمهم الله وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وقال الشافعي في قول في بعض طرق مذهبه هي آية من الفاتحة وليست من غيرها وعنه أنها بعض آية من أول كل سورة وهما غريبان وقال داود هي آية مستقلة في أول كل سورة لأنها وهذا رواية عن الإمام أحمد بن حنبل وحكاه أبو بكر الرازي عن أبي الحسن الكرخي وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله. هذا ما يتعلق بكونها آية من الفاتحة أم لا

فما الجهر بها ففرع على هذا فن رأى أنها ليست من الفاتحة فلا يجهر بها وكذا من قال أنها آية في أولها وأما من قال بأنها من أوائل السور فاختلافوا فذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجهر بهامع الفاتحة والسورة وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفا وخلفا فجهر بها من الصحابة أبو هريرة وابن عمر وابن عباس ومعاوية وحكاه بن عبد البر والبيهقي عن عمر وعلي ونقله الخطيب عن الخلفاء الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهو غريب ومن التابعين عن سعيد بن جبير وعكرمة وأبي قلابة والزهري وعلي بن الحسن وابنه محمد وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس ومجاهد وسالم ومحمد ابن كعب القرظي وعبيد وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وأبي وائل وابن سيرين ومحمد بن المنكدر وعلي بن عبد الله بن عباس وابنه محمد ونافع مولى بن عمر وزيد بن أسلم وعمر بن عبد العزيز والازرق بن قيس وحبيب بن أبي ثابت وأبي الشعثاء ومكحول وعبد الله بن مغفل بن مقرن زاد البيهقي وعبد الله بن صفوان ومحمد بن الحنفية زاد ابن عبد البر وعمرو بن دينار والحجة في ذلك أنها

محمد بن محمد الشيرازي أنا زاهر بن أحمد ثنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أنه قال قت وراه أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان رضي الله عنهم فكلمهم كانوا لا يقرؤن (١) (بسم الله الرحمن الرحيم) إذا افتتح الصلاة قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف ختم السورة حتى ينزل

(١) ورد بالفاظ أخرى منها فكانوا لا يجهرون الخ

(٥ = ابن كثير والبغوي)

بعض الفاتحة فيجهر بها كسائر أبعاضها وايضا فقد روى النسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة أنه صلى فجهر في قراءته بالبسملة وقال بعد أن فرغ أبي لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم وروى أبو داود والترمذي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتح الصلاة بيسم الله الرحمن الرحيم ثم قال الترمذي وليس أسناده بذلك وقد رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال كانت قراءته مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بمد بسم الله ومد الرحمن ومد الرحيم . وفي مسند الامام أحمد وسنن أبي داود وصحيح ابن خزيمة ومستدرك الحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين . وقال الدارقطني اسناد صحيح وروى الامام أبو عبد الله الشافعي والحاكم في مستدركه عن أنس بن معاوية صلى بالمدينة فترك البسملة فأنكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك فلما صلى المرة الثانية بسم . وفي هذه الأحاديث والآثار التي أوردناها كفاية ومقنع في الاحتجاج لهذا القول عما عداها . فاما المعارضات والروايات القرينة وتطبيقاتها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر

وذهب آخرون الى انه لا يجهر بالبسملة في الصلاة وهذا هو الثابت عن الخلفاء الاربعة وعبد الله بن مغفل وطوائف من سلف التابعين والخلف وهو مذهب أبي حنيفة والثوري وأحمد بن حنبل وعند الامام مالك انه لا يقرأ البسملة بالكساية لاجراً ولا سرا واحتجوا بما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وبما في الصحيحين عن أنس بن مالك قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين واسلم لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها ونحوه في السنن عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه . فهذه مآخذ الاثمة رحمهم الله في هذه المسئلة وهي قرينة لانهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أمره الله بالحمد والمنة

﴿ فصل في فضلها ﴾

قال الامام العالم الجليل العابد أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمه الله في تفسيره حدثنا أبي

بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى ينزل (بسم الله الرحمن الرحيم) وقال الشعبي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب في بدء الامر على رسم قریش باسمك اللهم حتى نزل (وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها) فكتب بسم الله حتى نزلت (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) فكتب بسم الله الرحمن حتى نزلت (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فكتب ثلثا (١)

(١) هذا الأثر مردود فان البسملة نزلت قبل هذه السور كلها قطعاً

حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا زيد بن المبارك الصنعاني حدثنا سلام بن وهب الجندي حدثنا أبي عن طاوس عن ابن عباس ان عثمان بن عفان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال « هو اسم من أسماء الله وما بينه وبين اسم الله الا كبر الا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب » وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه عن سليمان بن أحمد عن علي بن المبارك عن زيد بن المبارك به . وقد روى الحافظ ابن مردويه عن طريقين عن اسماعيل بن عياش عن اسماعيل بن يحيى عن مسعر عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان عيسى بن مريم عليه السلام أسلمته أمه الى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم : اكتب فقال : ما أكتب ؟ قال : بسم الله قل له عيسى : وما بسم الله ؟ قال المعلم : ما أدري قال له عيسى : الباء بهاء الله ، والسين سناؤه ، والميم مملكته ، والله إله الآلهة ، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة » وقد رواه ابن جرير من حديث ابراهيم بن العلاء الملقب بابن زريق عن اسماعيل بن عياش عن اسماعيل ابن يحيى عن ابن أبي مليكة عن حدثه عن ابن مسعود ، ومسعر عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ، وهذا غريب جدا ، وقد يكون صحيحا الى من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون من الامرائيليات لامن المرفوعات والله أعلم . وقد روى جوير عن الضحاك نحوه من قبله ، وقد روى ابن مردويه من حديث يزيد بن خالد عن سليمان بن بريدة وفي رواية عن عبد الكريم أبي أمية عن أبي بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنزلت علي آية لم تنزل على نبي غير سليمان بن داود وغيري وهي بسم الله الرحمن الرحيم » وروى بإسناده عن عبد الكريم الكبير بن المعافى بن عمران عن أبيه عن عمر بن ذر عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال : لما نزل (بسم الله الرحمن الرحيم) هرب الغيم الى المشرق وسكنت الرياح ، وهاج البحر ، وأصغت البهائم بأذانها ، ورجعت الشياطين من السماء ، وحلف الله تعالى بعزته وجلاله أن لا يسمى اسمه على شيء الا بارك فيه . وقال وكيع عن الاعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال : من أراد أن ينجي به الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) فيجعل الله له من كل حرف منها جنة من كل واحد ، ذكره ابن عطية والقرطبي ووجه ابن عطية ونصره بحديث لقد رأيت بضمة وثلاثين ملكا يبتدرونها لقول الرجل ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، من أجل انها بضمة وثلاثون حرفا وغير ذلك . وقال الامام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم قال : سمعت أبا تيممة يحدث عن رديف النبي صلى الله عليه

(١) نسخة للعباد

قوله (الحمد لله) لفظه خبر كأنه يخبر أن المستحق للحمد هو الله عز وجل وفيه تعاليم الخاتق (١) نديره قولوا الحمد لله . والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة يقال حمدت فلانا على ما أسدى الي من نعمة وحمدته على علمه وشجاعته والشكر لا يكون إلا على النعمة والحمد أعم من الشكر اذ لا يقال شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وايس كل شاكر حامد

وسلم قال : عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت : تمس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقل تمس الشيطان ، فانك اذا قلت تمس الشيطان تعاظم وقال بقوتي صرعت ، واذا قلت بسم الله نصاغر حتى يصير مثل الذباب » هكذا وقع في رواية الامام أحمد ، وقد روى النسائي في اليوم واليلة وابن مردويه في تفسيره من حديث خالد الحذاء عن أبي تيمية وهو الهجيمي عن أبي المليح بن أسامة بن عمير عن أبيه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال « لا تقل هكذا فانه يتعاظم حتى يكون كالبيت ، ولكن قل بسم الله فانه بصغر حتى يكون كالذباب » فهذا من تأثير بركة بسم الله ، ولهذا تستحب في أول كل عمل . وتقول فتستحب في أول الخطبة لما جاء « كل أمر لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجزم . وتستحب البسملة عند دخول الخلاء لما ورد من الحديث في ذلك وتستحب في أول الوضوء لما جاء في مسند الامام أحمد والسنن من رواية أبي هريرة وسعيد بن زيد وأبي سعيد مرفوعا لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه وهو حديث حسن ومن العلماء من أوجبها عند الذكر ههنا ومنهم من قال بوجوبها مطلقا وكذا تستحب عند الذبيحة في مذهب الشافعي وجماعة وأوجبها آخرون عند الذكر ومطلقا في قول بعضهم كما سيأتي بيانه في موضعه ان شاء الله وقد ذكر الرازي في تفسيره في فضل البسملة أحاديث منها عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا أتيت أهلك فسم الله فانه ان وجد لك ولد كتب لك بعدد أنفاسه وأنفاس ذريته حسنات » وهذا لا أصل له ولا رأيته في شيء من الكتب المعتمدة عليها ولا غيرها . وهكذا يستحب عند الاكل لما في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لربيبة عمر بن أبي سلمة « قل بسم الله وكل يمينك وكل مما يليك » ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه وكذلك تستحب عند الجماع لما في الصحيحين عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو أن أحدكم اذا أراد ان يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فانه ان يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا » ومن هنا ينكشف لك ان القوانين عند النحاة في تقدير المتعاق بالباء في قوله بسم الله هل هو اسم أو فعل متقارب ، وكل قد ورد به القرآن ، أما من قدره باسمه فقد بره بسم الله ابتدائي فلقوله تعالى (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم) ومن قدره بالفعل أمرا أو خبرا نحو ابدأ بسم الله أو ابدأت بسم الله فلقوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وكلاهما صحيح فان الفعل لا بد له من مصدر فلك أن تقدر الفعل ومصدره وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله ان كان قياما أو قعودا أو أكلا أو شربا أو قراءة أو وضوءا أو صلاة فالمشروع وقبل الحمد بالاسان قولا والشكر بالاركان فعلا قال الله تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) وقال (اعملوا آل داود شكرا) يعني اعملوا الاعمال لاجل الشكر فشكرا مفعول له وانتصب باعملوا قوله (لله) اللام فيه للاستحقاق كما يقال الدار لزيد

قوله عز وجل (رب العالمين الرحمن الرحيم) فالرب يكون بمعنى المالك كما يقال لملك الدار رب

ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله تبركا وتيمنا واستعانة على الاتمام والتقبل والله أعلم ولهذا روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال ان أول ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال «يا محمد قل استعين بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال: قل (بسم الله الرحمن الرحيم) قال قال له جبريل بسم الله يا محمد يقول اقرأ بذكر الله ربك وقرم واقعد بذكر الله تعالى» لفظ ابن جرير

وأما مسألة الاسم هل هو المسمى أو غيره ففيها للناس ثلاثة أقوال، أحدها ان الاسم هو المسمى، وهو قول أبي عبيدة وسيبويه، واختاره الباقلاني وابن فورك وقال الرازي وهو محمد بن عمر المعروف بابن خطيب الري في مقدمات تفسيره، قالت الحشوية والكرامية والاشعرية الاسم نفس المسمى وغير نفس التسمية، وقالت المعتزلة الاسم غير المسمى ونفس التسمية، والختار عندنا ان الاسم غير المسمى، وغير التسمية، ثم نقول ان كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذي هو أصوات متقطعة وحروف، وثلاثة، فالعلم الضروري حاصل أنه غير المسمى وان كان المراد بالاسم ذات المسمى، فهذا يكون من باب ايضاح الواضحات وهو عبث، فثبت أن الخوض في هذا البحث على جميع التقديرات مجري مجرى العبث. ثم شرع يستدل على مغايرة الاسم للمسمى بأنه قد يكون الاسم موجودا والمسمى مفقودا كلفظة المدموم وبأنه قد يكون للشيء أسماء متعددة كالترادفة وقد يكون الاسم واحدا والمسميات متعددة كالمتشرك وذلك دال على تغاير الاسم والمسمى وأيضا فالاسم لفظ وهو عرض والمسمى قد يكون ذاتا ممكنة أو واجبة بذاتها وأيضا فللفظ النار والثلج لو كان هو المسمى لوجد اللفظ بذلك حر النار أو برد الثلج ونحو ذلك ولا يقوله عاقل وأيضا فقد قل الله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «ان لله تسعة وتسعين اسما» فهذه أسماء كثيرة والمسمى واحد وهو الله تعالى وأيضا فقوله (ولله الأسماء) أضافها إليه كما قال (فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك. فالإضافة تقتضي المغايرة وقوله تعالى (فادعوه بها) أي فادعوا الله بأسمائه وذلك دليل على أنها غيره واحتج من قال الاسم هو المسمى بقوله تعالى تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام والمتبارك هو الله تعالى والجواب ان الاسم معظم لمعظم الذات المقدسة وأيضا فاذا قال الرجل زينب طالق يعني امرأته طلقت ولو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق والجواب ان المراد ان الذات المسماة بهذا الاسم طالق قال الرازي وأما التسمية فإنها جمل الاسم معينا لهذه الذات فهي غير الاسم أيضا والله أعلم

(الله) علم على الرب تبارك وتعالى يقال انه الاسم الأعظم لانه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى

الدار ويقال رب الشيء اذا ملكه ويكون بمعنى التربية والإصلاح يقال رب فلان الضبعة بر بها اذا أتمها وأصلحها فهو رب مثل طب وبر قاله تعالى مالك العالمين ومربيهم ولا يقال للمخلوق هو الرب معرفاً انما يقال رب كذا مضافاً لان الالف واللام للتعظيم وهو لا يملك الكل والعالمين جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه واختلفوا في العالمين قال ابن عباس هم الجن والانس

(هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) فاجرى الاسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وقال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) وفي الصحيحين عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة» وجاء تعدادها في رواية الترمذي وابن ماجه وبين الروايتين اختلاف زيادة ونقصان وقد ذكر الرازي في تفسيره عن بعضهم ان لله خمسة آلاف اسم ألف في الكتاب والسنة الصحيحة وألف في التوراة وألف في الانجيل وألف في الزبور وألف في اللاوح والمحفوظ

وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ولهذا لا يعرف في كلام العرب له اشتقاق من فعل بفعل فذهب من ذهب من النحاة الى انه اسم جامد لا اشتقاق له وقد نقله القرطبي عن جماعة من العلماء منهم الشافعي والخطابي وامام الحرمين والغزالي وغيرهم وروى عن الخليل وسيبويه أن الالف واللام فيه لازمة قال الخطابي ألا ترى انك تقول يا الله ولا تقول يا الرحمن فلو لا أنه من أصل الكلمة لا جاز ادخال حرف النداء على الالف واللام وقيل انه مشتق واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج
 لله در الغايات المدّة * سبحن واسترجعن من تألّهي

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر وهو التألّه من ألّه يألّه إلّاهه وتألّها كما روى عن ابن عباس انه قرأ (ويذكر والاهتك) قال عبادتك أي انه كان يعبد ولا يعبد وكذا قال مجاهد وغيره وقد استدل بعضهم على كونه مشتقا بقوله تعالى (وهو الله في السموات وفي الارض) كما قال تعالى (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) ونقل سيبويه عن الخليل ان أصله إلاه مثل فعال فادخلت الالف واللام بدلا من الهمزة قال سيبويه مثل الناس أصله اناس وقيل أصل الكلمة لاه فدخلت الالف واللام للتعظيم وهذا اختيار سيبويه قال الشاعر:
 لاه ابن عمك لا أفضل في حسب * عني ولا أنت ديانني فنخزوني
 قال القرطبي بالخاء المعجمة أي فتسوسني وقال الكسائي والفراء أصله الاله حذفوا الهمزة وادغموا اللام الاولى في الثانية كما قال (لكننا هو الله ربّي) أي لكن انا، وقد قرأها كذلك الحسن، قال القرطبي ثم قيل هو مشتق من وله اذا تحير والوله ذهاب العقل يقال رجل وله وامرأة لهي ومولوه اذا أرسل في الصحراء قاله تعالى يحير اولئك (١) والفكر في حقائق صفاته فعلى هذا يكون ولّاه قابلات الواو همزة

(١) كذا في

لاصل

لأنهم المكلفون بالخطاب قال الله تعالى (ليكون للعالمين نذيرا) وقال قتادة ومجاهد والحسن جميع الخلوقات قال الله تعالى (قال فرعون وما رب العالمين * قال رب السموات والارض وما بينهما) واشتقاقه من العلم والعلامة سموا به لظهور أثر الصنعة فيهم قال أبو عبيدة هم أربع أمم الملائكة والانس والجن والشياطين، مشتق من العلم ولا يقال للبهائم عالم لانهما لا تعقل واختلاف في مبلغهم قال سعيد

كما قالوا في وشاح اشاح ووسادة اسادة وقول الرازي وقيل انه مشتق من ألهت الى فلان أي سكنت اليه فالتقول لا تسكن الا الى ذكره ، والارواح لا تفرح الا بمعرفته لانه السكامل على الاطلاق دون غيره قل الله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا) قال وقيل من لاه يلوه اذا احتجب وقيل اشتقاقه من أله الفصل أولع بأمه والمعنى ان العباد مألوهون مولعون بالتضرع اليه في كل الاحوال قال وقيل مشتق من أله الرجل ياله اذا فزع من أمر نزل به فألهه أي اجاره فالحجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه لقوله تعالى (وهو يحجر ولا يحجار عليه) وهو المنعم لقوله تعالى (وما يكمن من نعمة فمن الله) وهو المطعم لقوله تعالى (وهو يطعم ولا يطعم) وهو الموجد لقوله تعالى (قل كل من عند الله) وقد اختار الرازي أنه اسم غير مشتق البتة قال وهو قول الخليل وسيبويه وأكثر الاصوليين والفقهاء ثم أخذ يستدل على ذلك بوجوه منها انه لو كان مشتقا لاشتراك في معناه كثيرون ومنها أن بقية الاسماء تذكر صفات له فتقول الله الرحمن الرحيم الملك القدوس فدل انه ليس بمشتق قال فأما قوله تعالى (العزب الحيد الله) على قراءة الجر فجعل ذلك من باب عطف البيان ومنها قوله تعالى (هل تعلم له سميا) وفي الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم جامداً غير مشتق نظر والله أعلم. وحكى الرازي عن بعضهم ان اسم الله تعالى عبراني لا عربي ثم ضعفه وهو حقيق بالتضعيف كما قال وقد حكى الرازي هذا القول ثم قال واعلم ان الخلائق قسمان راضون الى ساحل بحر المعرفة ومحرومون قد بقوا في ظلمات الحيرة وتيه الجهالة فسكانهم قد فندوا عقولهم وأرواحهم وأما الواجدون فقد وصلوا الى عرصة النور وفسحة الكبرياء والجلال فناهوا في ميادين الصمدية وبادوا في عرصة الفردانية فثبت ان الخلائق كلهم والهون في معرفته، وروى عن الخليل بن أحمد انه قال لان الخلق يالهون اليه بنصب اللام وكسرهما لغتان وقيل انه مشتق من الارتفاع فكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع لاهها وكانوا يقولون اذا طلعت الشمس لاهت وقيل انه مشتق من أله الرجل اذا تعبد وتأله اذا تنسك وقرأ ابن عباس (ويذكرك والاهنك) وأصل ذلك الاله فخذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام الزائدة في أولها للتعريف فادغمت احداها في الاخرى فصارتا في اللفظ لاهما واجدة مشددة وخمت تعظيما فقبل الله

(الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن أشد مبالغة من رحيم وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا وفي تفسير بعض السلف ما يدل على ذلك كما تقدم في الاثر عن عيسى عليه السلام انه قال والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة

ابن المسيب الله الف عالم ستائة في البحر وأربعائة في البر وقال مقاتل بن حيان لله ثمانون ألف عالم أربعون الفا في البحر وأربعون الفا في البر وقال وهب لله ثمانية عشر الف عالم الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب الا كنسطة في صحراء وقال كعب الاحبار: لا يحصى عدد العالمين أحد إلا الله قال الله تعالى: (وما يعلم جنود ربك الا هو)

زعم بعضهم أنه غير مشتق اذ لو كان كذلك لا تصل بذكر المرحوم وقد ذل (وكان بالمؤمنين) رحباً وحكى ابن الانباري في الزاهر عن المبرد أن الرحمن اسم عبراني ليس بعربي وقال أبو اسحق الزجاج في معاني القرآن: وقال أحمد بن يحيى الرحيم عربي والرحمن عبراني فلماذا جمع بينهما قال أبو اسحق وهذا القول مرغوب عنه وقال القرطبي والدليل على أنه مشتق ما أخرجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قال الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» قال وهذا نص في الاشتقاق فلما عني للمخالفة والشقاق قال وانتكار العرب لاسم الرحمن لجهلهم بالله وبما وجب له قال القرطبي ثم قيل هما بمعنى واحد كندمان ونديم قاله أبو عبيد وقيل ليس بناء فعلاً كفعيل فإن فعلاً لا يقع الا على مبالغة الفعل نحو قولك رجل غضبان للرجل المعتلى غضباً وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول قال أبو علي الفارسي الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى والرحيم إنما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى (وكان بالمؤمنين رحباً) وقال ابن عباس هما إيمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أي أكثر رحمة ثم حكى عن الخطابي وغيره أنهم استشكلوا هذه الصفة وقالوا لعله أرفق كما في الحديث «ان الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» وأنه يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وقال ابن المبارك الرحمن اذا سئل أعطى والرحيم اذا لم يسئل يفضض وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه عن حديث أبي صالح الفارسي الخويزي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من لم يسأل الله يفضض عليه» وقال بعض الشعراء

الله يفضض ان تركت سؤاله وبنى آدم حين يسئل يفضض

وقال ابن جرير حدثنا السري بن يحيى التميمي حدثنا عثمان بن زفر سمعت العزري يقول الرحمن الرحيم قال الرحمن لجميع الخلق الرحيم قال بالمؤمنين قالوا ولهذا قال (ثم استوى على العرش الرحمن) وقال (الرحمن على العرش استوى) فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعلم جميع خلقه برحمته وقال وكان بالمؤمنين رحباً فخصهم باسمه الرحيم قالوا فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه والرحيم خاصة بالمؤمنين لكن جاء في الدعاء المأثور رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يسم به غيره كما قال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن إياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ولما تجهرم مسيلة الكذاب وتسمى الرحمن التمام كساه الله جلاب الكذب

قوله (مالك يوم الدين) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب مالك وقرأ الآخرون ملك قال قوم معناها واحد مثل فرهين وفارهين وحذرين وحاذرين ومعناها الرب يقال رب الدار والمالك والمالك هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر عليه أحد غير الله قال أبو عبيدة مالك أجمع وأوسع لانه يقال مالك العبد والطير والدواب ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون

شهر به فلا يقال له الا مسيلة الكذاب فصار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضرة من أهل المدر وأهل الوبر من أهل البادية والاعراب. وقد زعم بعضهم ان الرحيم أشد مبالغة من الرحمن لانه أكديه والمؤكد لا يكون الا أقوى من المؤكد. والجواب ان هذا ليس من باب التأكيد وانما هو من باب النعت ولا يلزم فيه ما ذكره وعلى هذا فيكون تقدير اسم الله الذي لم يسم به أحد غيره ووصفه أولا بالرحمن الذي منع من التسمية به لغيره كما قال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاءماء الحسنی) وانما تجهرهم (١) مسيلة الائمة في التسمي به ولم يتابعه على ذلك الا من كان معه في الضلالة. وأما الرحيم فانه تعالى وصف به غيره حيث قال (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) كما وصف غيره بذلك من أسمائه كما قال تعالى (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميما بصيرا) والحاصل ان من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره ومنها مالا يسمى به غيره كاسم الله والرحمن والخالق والرازق ونحو ذلك فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لانه أخص وأعرف من الرحيم لان التسمية أولا انما تكون بأشرف الاسماء فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص. فان قيل فاذا كان الرحمن أشد مبالغة فعلا اكتفى به عن الرحيم فقد روي عن عطاء الخراساني ما معناه انه لما تسمى غيره تعالى بالرحمن جيء بإفظ الرحيم ليقطع الهم بذلك فانه لا يوصف بالرحمن الرحيم الا الله تعالى، كذا رواه ابن جرير عن عطاء، ووجهه بذلك والله أعلم. وقد زعم بعضهم ان العرب لا تعرف الرحمن حتى رد الله عليهم ذلك بقوله (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعونه الاسماء الحسنی) ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » فقالوا لا نعرف الرحمن ولا الرحيم رواه البخاري وفي بعض الروايات لا نعرف الرحمن الا الرحمن الائمة وقال تعالى (واذا قبل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) والظاهر ان انكارهم هذا انما هو جحود وعناد وتعنّت في كفرهم فانه قد رجد في أشعارهم في الجاهلية تسمية الله تعالى بالرحمن قال ابن جرير وقد أنشد بعض الجاهلية الجاهل

ألا ضربت تلك الفتاة هجينا * ألا قضب الرحمن ربي يمينها

وقال سلامه بن جندب الطهوي :

عجلتم علينا اذ عجلنا عليكم وما يشا الرحمن يعقد ويطلق

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمار حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال الرحمن الفعلان من الرحمة هومن كلام العرب وقال (الرحمن الرحيم) الرفيق الرقيق لمن أحب أن يرحمه والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه، وكذلك اسماء كلها. وقال ابن جرير

مالك الشيء الا وهو يملكه وقد يكون ملك الشيء ولا يملكه وقال قوم ملك أولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولانه أوفق لسائر القرآن مثل قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق) (الملك

(١) لم نجد هذا
الفعل في معاجم اللغة
المعروفة فلمله بحرف

أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا حماد بن مسعدة عن عوف عن الحسن قال الرحمن اسم ممنوع. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان حدثنا يزيد بن الحباب حدثني أبو الأشهب عن الحسن قال الرحمن اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه تسمى به تبارك وتعالى. وقد جاء في حديث أم سلمة أن رسول الله صل الله عليه وسلم كان يقطع قراءته تحرقا حرفا (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) فقرأ بعضهم كذلك وهم طائفة ومنهم من وصلها بقوله (الحمد لله رب العالمين) وكسرت الميم لا لتقاء الساكنين وهم الجمهور وحكى الكسائي عن الكوفيين عن بعض العرب أنها تقرأ بفتح الميم وصلة الهمزة فيقولون بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين فنقلوا حركة الهمزة إلى الميم بعد تسكينها كما قرئ قوله تعالى (الم الله لا إله الا هو) قال ابن عطية ولم ترد هذه قراءة عن أحد فبما علمت

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

القراءة السبعة على الضم الدال في قوله الحمد لله هو مبتدأ وخبر وروي عن سفيان بن عيينة ورؤبة بن العجاج أنهما قالوا (الحمد لله) بالنصب وهو على اضمار فعل وقرأ ابن أبي عتبة الحمد لله بضم الدال واللام إتباعا للثاني لاول وله شواهد لكنه شاذ وعن الحسن وزيد بن علي (الحمد لله) بكسر الدال إتباعا للاول الثاني قال أبو جعفر بن جرير معنى (الحمد لله) الشكر لله خالصا دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصىها العدد، ولا يحيط به دنها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لاداء فرائضه، مع ما يسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم اليه، من الاسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرأ. وقال ابن جرير رحمه الله: الحمد لله ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال قولوا الحمد لله. قال وقد قيل ان قول القائل الحمد لله ثناء عليه باسمائه الحسن وصفاته الغلى وقوله الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه. ثم شرع في رد ذلك بما حصله ان جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر وقد نقل السلمي هذا المذهب انهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية وقال ابن عباس الحمد لله كلمة كل شاكر وقد استدلل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل الحمد لله شكرا. وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر لانه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين ان الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون الا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والاركان كما قال الشاعر أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي واساني والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا أيهما أعم الحمد أو الشكر على قولين والتحقيق ان بينهما عموما وخصوصا فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه لانه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول حمدته

القدوس (أو ملك الناس) قال ابن عباس ومقاتل والسدي ملك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقل فتادة الدين الجزاء ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعا كما يقال: كذا تدين تدان. قال محمد بن كعب القرظي: ذلك يوم لا ينفع

لفروسيته وحمدته لكرمه وهو أخص لانه لا يكون الا بالقول والشكر أعم من حيث ما يقان عليه لانه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم وهو أخص لانه لا يكون الا على الصفات المتعدية لا يقال شكرته لفروسيته وقول شكرته على كرمه واحسانه الي. هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين والله أعلم وقال أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري: الحمد نقيض الذم تقول حمدت الرجل أحمده حمدا ومحمدا فهو حميد ومحمود، والتحميد أبليغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر، وقال في الشكر هو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف يقال شكرته وشكرت له وباللام أفصح. وأما المدح فهو أعم من الحمد لانه يكون للحي وللميت وللجماد أيضا كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك ويكون قبل الاحسان وبعده وعلى الصفات المتعدية واللازمة أيضا فهو أعم

ذكر أقوال السلف في الحمد

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو معمر القطيعي حدثنا حفص عن حجاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال عمر رضي الله عنه قد علمنا سبحانه الله ولا اله الا الله فما الحمد لله؟ فقال علي كلمة رضيها الله لنفسه، ورواه غير أبي معمر عن حفص فقال قال عمر لعلني - وأصحابه عنده - لا اله الا الله وسبحان الله والله أكبر قد عرفناها فما الحمد لله؟ قال علي: كلمة أحبها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب أن يقال، وقال علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران قال ابن عباس الحمد لله كلمة الشكر واذا قال العبد الحمد لله قال شكرني عبدي. رواه ابن أبي حاتم، وروى أيضا هو وابن جرير من حديث بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس انه قال الحمد لله هو الشكر لله هو الاستخذاء له والاقرار له بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك وقال كعب الاحبار الحمد لله ثناء الله وقال الضحاك الحمد لله رداء الرحمن وقد ورد الحديث بنحو ذلك

قال ابن جرير حدثنا سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية بن الوليد حدثني عيسى بن ابراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك وقد روى الامام احمد بن حنبل حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن عن الاسود بن سريع قال قلت يا رسول الله ألا أنشدك محامد حمدت بها ربّي تبارك وتعالى فقال «أما ان ربك يحب الحمد» ورواه النسائي عن علي بن حجر عن ابن علي عن يونس بن عبيد عن الحسن عن الاسود بن سريع به. وروى أبو عيسى الحافظ الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث موسى ابن ابراهيم بن كثير عن طلحة بن خراش عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضل الذكر لا اله الا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله» وقال الترمذي حسن غريب. وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما أنعم الله على عبد نعمة

فيه الا الدين، وقال يمان بن ريان: الدين القهر، يقال دنته فدان أي قهرته فذل، وقبل الدين الطاعة أي يوم الطاعة. وانما خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا الايام كلها لان الاملاك يومئذ زائلة فلا

فقال الحمد لله الا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ» وقال القرطبي في تفسيره وفي نوادر الاصول عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لو أن الدنيا بخذا فيرها في يدرجل من أمي ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك» قال القرطبي وغيره أي لكان الهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا لان ثواب الحمد لا ينتهي ونعيم الدنيا لا يبقى قال الله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) وفي سنن ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم «ان عبدا من عباد الله قال يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم يدر يا كيف يكتبانها فصعدا الى الله فقالا ياربنا ان عبدا قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها قال الله وهو أعلم بما قال عبده «ماذا قال عبدي؟» قالوا يارب انه قال لك الحمد يارب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فقال الله لهما «اكتبها كما قال عبدي حتى يلقياني فأجز به بها» وحكى القرطبي عن طائفة انهم قالوا قول العبد الحمد لله رب العالمين أفضل من قوله لا اله الا الله لا شتم الحمد لله رب العالمين على التوحيد مع الحمد وقال آخرون لا اله الا الله أفضل لانها التفصيل بين الايمان والكفر وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله كما ثبت في الحديث المتفق عليه وفي الحديث الآخر «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك» له وقد تقدم عن جابر مرفوعا «أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله» وحسنه الترمذي. والاف واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى كما جاء في الحديث «اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله واليك يرجع الامر كله» الحديث

والرب هو المالك المتصرف ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للاصلاح وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالاضافة تقول رب الدار رب كذا وأما الرب فلا يقال الا لله عز وجل، وقد قيل انه الاسم الاعظم. والعالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله عز وجل والعالم جمع لا واحد له من لفظه والعوالم أصناف المخلوقات في السموات وفي البر والبحر وكل قرن منها وجيل يسمى عالما أيضا قال بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس (الحمد لله رب العالمين) الحمد لله الذي له الخلق كله السموات والارض وما فيهن وما بينهن مما نعلم وما لا نعلم. وفي رواية سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس: رب الجن والانس وكذلك قال سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج وروى عن علي نحوه قال ابن أبي حاتم بأسناده لا يعتمد عليه واستدل القرطبي لهذا القول بقوله تعالى (ليكون العالمين نذيرا) وهم الجن والانس قال الفراء وأبو عبيد العالم عبارة عما يعقل وهم الانس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم. وعن زيد بن سلم وأبي محبصن العالم كل ماله روح ترفرف. وقال قتادة رب العالمين كل صنف عالم وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة مروان بن محمد وهو أحد خلفاء بني أمية وهو يعرف

ملك ولا أمر الا له، قال الله تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن) وقال (ان الملك اليوم؟ لله الواحد القهار) وقال (والامر يومئذ لله) وقرأ أبو عمرو (الرحيم ملك) بادغام الميم في الميم وكذلك يدغم

بالجمد ويلقب بالجار (١) انه قال خلق الله سبعة عشر ألف عالم أهل السموات وأهل الارض عالم واحد وسائرهم لا يعلمهم الا الله عز وجل. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (رب العالمين) قال الانس عالم والجن عالم وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف أو أربعة عشر ألف عالم - هو يشك - الملائكة على الارض والارض أربع زوايا في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسة عشر عالم خلقهم الله لعبادته رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. وهذا كلام غريب يحتاج مثله الى دليل صحيح. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا لويد بن مسلم حدثنا الفرات يعني ابن الوليد عن معتب ابن سمي عن سبيع يعني الجعفي في قوله تعالى (رب العالمين) قال العالمين ألف أمة فسماؤهم في البحر وأربعائهم في البر وحكي مثله عن سعيد بن المسيب وقد روى نحو هذا مرفوعا كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى في مسنده: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد حدثني محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قل الجراد في سنة من سني عمر التي ولي فيها فسأل عنه فلم يخبر بشيء فأنتم لذلك فارسلوا كبا يضرب الى اليمن وآخر الى الشام وآخر الى العراق يسأل هل رؤي من الجراد شيء أم لا قال فأنه راكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فاقها بين يديه فلما رآها كبر ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «خلق الله ألف أمة سماء في البحر وأربعائهم في البر فأول شيء يهلك من هذه الامم الجراد فإذا هلك تنابت مثل النظام اذا قطع سلكه» محمد بن عيسى هذا وهو الهلالي ضعيف (٢) وحكي البغوي عن سعيد بن المسيب انه قال لله ألف عالم سماء في البحر وأربعائهم في البر وقال وهب بن منبه لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وقال مقاتل العوالم ثمانون الفا وقال كعب الاحبار لا يعلم عدد العوالم الا الله عز وجل نقله كله البغوي. وحكى القرطبي عن أبي سعيد الخدري انه قال ان لله أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها الى مغربها عالم واحد منها. وقال الزجاج العالم كل ما خلق الله في الدنيا والاخرة قال القرطبي وهذا هو الصحيح انه شامل لكل العالمين كقوله (قال فرعون وما رب العالمين) قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) والعالم مشتق من العلامة (قلت) لانه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته كما قال ابن المعتز

فيا عجباً كيف يعصى الاله أم كيف يمجده الجاحد

وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد

وقوله تعالى (الرحمن الرحيم) تقدم الكلام عليه في البسملة بما أغنى عن الاعادة قال القرطبي انما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد التهيب كما قال تعالى (نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم) وان عذابي هو العذاب الاليم) وقوله تعالى (ان ربك لسريع العقاب) وانه

كل حرفين من جنس واحد أو مخرج واحد أو قريني المخرج سواء كان الحرف ساكناً أو متحركاً الا أن يكون الحرف الاول مشدداً أو منوناً أو منقوصاً أو مفتوحاً أو تاء الخطاب قبله ساكن من

(١) في الاصل

المطبوع: ترجمة ابن

مروان بن الحكم أنح

ومروان الجار المسمى

بالجمد ليس ابن الحكم

بل ذلك والد عبد الملك

وهو الرابع من خلفاء أو

ملوك بني أمية والملقب

بالجار آخرهم وهو مروان

ابن محمد بن مروان

ولا ندري لم عني بنقل

قوله وقول غيره في مثل

هذه المسألة التي لا يمكن

العلم بها الا بوحي من

الله تعالى

(٢) وكذا عبيد

ابن واقد القيسي أو

الليثي

لغفور رحيم) قال قال رب فيه ترهيب والرحمن الرحيم ترغيب وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد»

﴿مالك يوم الدين﴾

قرأ بعض القراء (ملك يوم الدين) وقرأ آخرون (مالك) وكلاهما صحيح متواتر في السبع ويقال ملك بكسر اللام وباسكانها ويقال مليك أيضا وأشبع نافع كسرة الكاف فقرأ (ملكي يوم الدين) وقد رجح كلا من القراءتين مرجحون من حيث المعنى وكلاهما صحيحة حسنة ورجح الزمخشري ملك لأنها قراءة أهل الحرمين وأقوله (لمن الملك اليوم) قوله الحق وله الملك) وحكي عن أبي حنيفة أنه قرأ (ملك يوم الدين) على أنه فعل وفاعل ومفعول وهذا شاذ غريب جدا وقد روى أبو بكر بن أبي داود في ذلك شيئا غريبا حيث قال حدثنا أبو عبد الرحمن الأزدي حدثنا عبد الوهاب بن عدي بن الفضل عن أبي المطرف عن ابن شهاب أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرؤون (مالك يوم الدين) قال ابن شهاب وأول من أحدث «مالك» مروان (قلت) مروان عنده علم بصحة ما قرأه لم يطمع عليه ابن شهاب والله أعلم. وقد روي من طرق متعددة أوردها ابن مردويه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأها (مالك يوم الدين) ومالك مأخوذ من الملك كما قال تعالى (أنا نحن ونرث الأرض ومن عليها والبنا يرجعون) وقال (قل أعوذ برب الناس ملك الناس) وملك مأخوذ من الملك كما قال تعالى (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) وقال (قوله الحق وله الملك) وقال (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينبغي عما عداه لأنه قد تقدم الأخبار بأنه رب العالمين وذلك عام في الدنيا والآخرة وأما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هناك شيئا ولا ينكلم أحد إلا بأذنه كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وقال تعالى (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا) وقال تعالى (يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بأذنه فمنهم شقي وسعيد) وقال الضحاك عن ابن عباس (مالك يوم الدين) يقول لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكما ملكهم في الدنيا قل ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم أن خيرا فخير وأن شرا فشر إلا من عفا عنه وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو ظاهر وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه ذهب إلى أن تفسير مالك يوم الدين أنه القادر على إقامته ثم شرع يضعفه والظاهر أنه لا منافاة بين هذا القول وما تقدم وأن كلا من القائلين هذا القول وبما قبله يعترف بصحة القول الآخر ولا ينكره غير المثلين فإنه لا يدغمها وأدغم المتحرك يكون في الإدغام الكبير ووافقه حمزة في ادغام المتحرك في قوله (بيت طائفة بالصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) (والداريات ذروا) وأدغم

والكن السياق أدل على المعنى الاول من هذا كما قال تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) والقول الثاني يشبه قوله تعالى (ويوم يقول كن فيكون) والله أعلم. والملك في الحقيقة هو الله عز وجل قال الله تعالى (هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا « أخرج اسم عند الله رجل تسمى بملك الاملاك ولا ملك الا الله » وفيهما عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ وفي القرآن العظيم (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) فاما تسمية غيره في الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز كما قال تعالى (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وكان وراءهم ملك) (ذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا) وفي الصحيحين « مثل الملوك على الامرة » والدين الجزاء والحساب كما قال تعالى (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق) وقال (أنسا لمدينون) أي مجزيون محاسبون وفي الحديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت » أي حاسب نفسه لنفسه كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتأهبوا للعرض الاكبر على من لا يخفى عليه أعمالكم (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)

﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾

قرأ السبعة والجمهور بتشديد الباء من إياك وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر وهي قراءة شاذة مردودة لأن إياضه الشمس وقرأ بعضهم إياك بفتح الهمزة وتشديد الباء وقرأ بعضهم هياك بالهاء بدل الهمزة كما قال الشاعر هياك والامر الذي ان تراحت موارد ضاقت عليك مصادره ونستعين بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع سوى يحيى بن وثاب والاعمش فانهما كسراها وهي لغة بني اسد وربيعة وبني نعيم. — والعبادة في اللغة من الذلة يقال طريق معبد وبغير معبد أي مذلل وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف. وقدم المفعول وهو إياك وكرر الاهتمام والحصر أي لا نعبد الا إياك ولا نتوكل الا عليك وهذا هو كمال الطاعة. والدين كله يرجع الى هذين المعنيين. وهذا كما قال بعض السلف الغائبة سر القرآن وسرها هذه الكلمة (إياك نعبد وإياك نستعين) فالاول تبرؤ من الشرك والثاني تبرؤ من الحول والقوة والتفويض (١) الى الله عز وجل وهذا المعنى في غير آية من القرآن كما قال تعالى (فاعبدوه وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون) قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذناه وكيلا) وكذلك هذه الآية الكريمة (إياك نعبد وإياك نستعين) ونحول الكلام من الغيبة الى المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبة لأنه لما أثنى على الله فكانه اقرب وحضر بين يدي الله تعالى فلماذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) وفي هذا دليل على ان أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميع صفاته الحسنی وارشاد لعباده التاء فيما بعدها من الحروف ، واقفه حمزة برواية رجاء وخلف والكسائي الا في الزاء عند اللام والذال عند الجيم وكذلك لا يدغم حمزة الذال عند السين والصاد والزاي ، ولا ادغام لسائر القراء الا في

« ١ » كذا في

الاصل وينبغي أن يكون « وتفويض » بالتنكير لانه معطوف على تبرؤ وتعريفه يجعله معطوفا على ما قبله مباشرة لانه معرفة وحينئذ يفسد المعنى لانه تبرؤ من التفويض

إن يثروا عليه بذلك ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه كما جاء في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وفي صحيح مسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن مولى الحرة عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل إذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني عبدي، وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله اثنى علي عبدي، فإذا قال (مالك يوم الدين) قال الله مجدني عبدي، وإذا قال (اياك نعبد اياك نستعين) قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (اياك نعبد) يعني اياك نوح ونخاف ونرجو كإبراهيم (واياك نستعين) على طاعتك وعلى أمورنا كلها وقال قتادة (اياك نعبد واياك نستعين) يأمركم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أموركم وإنما قدم (اياك نعبد) على (واياك نستعين) لأن العبادة له هي المقصودة والاستعانة وسيلة إليها والاهتمام والحزم بتقديم ما هو الأهم فالأهم والله أعلم — فإن قيل فما معنى النون في قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) فإن كانت للجمع فالداعي واحد وإن كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام وقد أوجب أن المراد من ذلك الاخبار عن جنس العباد والمصلين فرد منهم ولا سيما أن كان في جماعة أو امامهم فالخير عن نفسه وعن اخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لاجلها وتوسط لهم بخير ومنهم من قال يجوز أن تكون للتعظيم كأن العبد قيل له إذا كنت داخل العبادة فأنت شريف وجاهك عريض فقل (اياك نعبد واياك نستعين) وإن كنت خارج العبادة فلا تقل نحن ولا فعلنا ولو كنت في مائة ألف أو ألف ألف لا احتياج للجميع إلى الله عز وجل وفقرهم إليه. ومنهم من قال اياك نعبد أياك نستعين في التواضع من اياك عبدنا لما في الثاني من تعظيم نفسه من جعله نفسه وحده أهلا لعبادة الله تعالى الذي لا يستطيع أحد أن يعبد حق عبادته ولا يشي عليه كما يليق به والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لا تنسأ به إلى جناب الله تعالى كما قال بعضهم

لا تدعني الا يا عبدا فانه أشرف أسمائي

وقد سمي الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعبده في أشرف مقاماته فقال (الحمد لله الذي أنزل علي عبده الكتاب) وانه لما قام عبد الله يدعوه سبحانه الذي أمرى بعبده ليلا) فسماه عبدا عند انزاله عليه وعند قيامه في الدعوة وامرائه به وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين حيث يقول (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقد حكى الرازي في تفسيره عن بعضهم أن مقام العبودية أشرف

أحرف معدودة. قوله (اياك) اياك كلمة ضمير خصت بالاضافة إلى المضمر ويستعمل مقدما على الفعل فيقال: اياك أعني واياك أسأل ولا يستعمل مؤخرا إلا منفصلا. فيقال: ما عنيت الا اياك. قوله (نعبد) (نعبد)

من مقام الرسالة لكون العبادة تصدر من الخلق الى الحق والرسالة من الحق الى الخلق، قال ولان الله يتولى مصالح عبده والرسول يتولى مصالح أمته. وهذا القول خطأ والتوجيه أيضا ضعيف لا حاصل له ولم يتعرض له الرازي بتضعيف ولا رد. وقال بعض الصوفية العبادة اما لتحصيل ثواب أو درء عقاب، قالوا وهذا ليس بباطل اذ مقصوده تحصيل مقصوده، واما للتشريف بتكليف الله تعالى وهذا أيضا عندهم ضعيف بل العالي أن يعبد الله لذاته المقدسة الموصوفة بالكمال قالوا ولهذا يقول المصلي: أصلي لله ولو كان لتحصيل الثواب ودرء العقاب لبطلت الصلاة (١) وقد رد ذلك عليهم آخرون وقالوا: كون العبادة لله عز وجل لا يناقني ان يطلب معها ثوابا ولا أن يدفع عذابا كما قال ذلك الاعرابي: أما اني لا احسن دندنتك ولا دندنة معاذ انما أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم « حولها دندندن »

اهدنا الصراط المستقيم

قراءة الجمهور بالصاد وقرئ السراط وقرئ بالزاي قال الفراء وهي لغة بني عذرة وبني كلب. لما تقدم الثناء على المسؤل تبارك وتعالى ناسب ان يعقب بالسؤال كما قل « فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل » وهذا أكل أحوال السائل ان يمدح مسؤله ثم يسأل حاجته وحاجة اخوانه المؤمنين بقوله (اهدنا الصراط المستقيم) لانه أنجح للحاجة وأنجح للاجابة ولهذا أرشد الله اليه لانه الاكمل وقد يكون السؤال بالاخبار عن حال السائل واحتياجه كما قال موسى عليه السلام (رب اني لما أنزلت الي من خير فقير) وقد يتقدمه مع ذلك وصف مسؤل كقول ذي النون (لا إله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤل كقول الشاعر

أأذكر حاجتي أم قد كفاني
حباؤك ان شيمتك الجاء
إذا أتيت عليك المرو يوما
كفاه من تعرضه الثناء

والهداية ههنا الارشاد والتوفيق وقد تعدى الهداية بنفسها كما هن (اهدنا الصراط المستقيم) فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا (وهدينا النجدين) أي بينا له الخير والشر وقد تعدى بالي أي نوحده ونطبعك خاضعين ، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع وسمي العبد عبدا لذاته وانقياده يقال: طريق معبد أي مذل .

﴿ وإياك نستعين ﴾ نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا فان قيل لم قدم ذكر العبادة على الاستعانة والاستعانة تكون قبل العبادة ؟ فهذا يلزم من يجعل الاستعانة قبل الفعل ونحن نحمد الله ونجعل التوفيق والاستعانة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير ويقل الاستعانة نوع تعبد فكانه ذكر جملة العبادة أولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها

قوله ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ اهدنا ارشدنا وقال علي وأبي بن كعب ثبتنا كما يقال للقائم قم حتى أعود

(٧ - ابن كثير والبغوي)

(١) هذه نزعة صوفية بل باطنية فالمراد من كون العبادة لله انها تفعل بأمره ابتغاء مرضاته ونوابه ومنه كمال معرفته في الآخرة فمن رد إرادة الثواب فقد رد القرآن والسنة وعطل الشريعة ومن المعلوم القطعي ان الله تعالى أمر العباد بعبادته لاجل تركيتهم وتأنهيتهم للحياة الآبدية في الجنة لا لاجل ذاته فهو غني عنهم وعن عبادتهم ونصوص الكتاب والسنة في ذلك مشهورة ، ولا يعقل كونها لذاته الا اذا فسر معرفته ورؤيته وهذا من الثواب الذي يقصده العابد لنفسه فلا يبقى لفلسفتهم معنى . وكتبه محمد رشيد رضا

كقوله تعالى (اجتبه وهداه الى صراط مستقيم) (فاهدوهم الى صراط الجحيم) وذلك بمعنى الارشاد والدلالة وكذلك قوله (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة (الحمد لله الذي هدانا لهذا) أي وفقنا لهذا وجعلنا له أهلاً .

وأما الصراط المستقيم فقال الامام أبو جعفر بن جرير أجمعت الامة من أهل التأويل جميعاً على ان الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وذلك في لغة جميع العرب فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي

أمير المؤمنين على صراط اذا عوج الموارد مستقيم

قال والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر قال ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل ووصف باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها الى شيء واحد وهو المتابعة لله ولرسوله فروي انه كتاب الله قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثني يحيى بن يمان عن حمزة الزيات عن سعيد وهو ابن المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الاعور عن الحارث الاعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصراط المستقيم كتاب الله » وكذلك رواه ابن جرير من حديث حمزة بن حبيب الزيات وقد تقدم في فضائل القرآن فيما رواه احمد والترمذي من رواية الحارث الاعور عن علي مرفوعاً « وهو جبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم » وقد روي موقوفاً على علي رضي الله عنه وهو أشبه والله أعلم وقال الثوري عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال الصراط المستقيم كتاب الله. وقيل هو الاسلام قال الضحاك عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد عليهما السلام « قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم » يقول أهدنا الطريق الهادي وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) قال ذاك الاسلام وقال اسمعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم اهدنا الصراط المستقيم قالوا هو الاسلام وقال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر اهدنا الصراط المستقيم قال هو الاسلام أوسع مما بين السماء والارض

اليك أي دم على ما أنت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية لان اللطاف والهدايات من الله تعالى لا تنتهي على مذهب أهل السنة (الصراط) وصراط قرى بالسین رواه رويس عن يعقوب وهو الاصل سمي صراطاً لانه يستلزم السابلية ويقرأ بالزاي وقرأ حمزة باثمام الزاي وكلها لغات صحيحة والاختيار الصاد عند أكثر القراء لموافقة المصحف والصراط المستقيم قول ابن عباس وجابر هو الاسلام وهو قول مقاتل وقول ابن مسعود هو القرآن وروي عن علي مرفوعاً الصراط المستقيم كتاب الله وقال سعيد بن جبير طريق الجنة وقال سهل

وقال ابن الحنفية في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم اهدنا الصراط المستقيم قال هو الاسلام وفي هذا الحديث الذي رواه الامام احمد في مسنده حيث قل حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا ليث يعني ابن سعد عن معاوية بن صالح ان عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تموجوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد انسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فانك ان تفتحه تلجئه - فالصراط لاسلام والسوران حدود الله ولا أبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم». وهكذا رواه ابن أبي حاتم وأبو جرير من حديث ليث بن سعد به. ورواه الترمذي والنسائي جميعا عن علي بن حجر عن بقية عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به. وهو اسناد حسن صحيح والله أعلم. وقال مجاهد اهدنا الصراط المستقيم قال الحق وهذا أشمل ولا منافاة بينه وبين ما تقدم وروى ابن أبي حاتم وأبو جرير من حديث أبي الضر هاشم بن القاسم انا حمزة بن المذيرة عن عاصم الاحول عن أبي العالية (اهدنا الصراط المستقيم) قال هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بعده قال عاصم فذكرنا ذلك للحسن فقال صدق أبو العالية ونصح. وكل هذه الاقوال صحيحة وهي متلازمة فان من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم واقتدى بالذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع لاسلام ومن اتبع لاسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا والله الحمد وقال الطبراني حدثنا محمد بن الفضل السقطي حدثنا ابراهيم بن مهدي المصيصي حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال الصراط المستقيم الذي تركنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولهذا قال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله والذي هو أولى بناؤيل هذه الآية عندي أعنى - اهدنا الصراط المستقيم - ان يكون غنيابه رفقا لثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل وذلك هو الصراط المستقيم لان من وفق لما وفق له من

ابن عبد الله طريق السنة والجماعة وقول بكر بن عبد الله المزني طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصاحبه وأصله في اللغة الطريق الواضح

(صراط الذين أنعمت عليهم) أي مننت عليهم بالهداية والتوفيق قل عكرمة مننت عليهم بالثبات على الايمان والاستقامة وهم الانبياء عليهم السلام وقيل هم كل من ثبته الله على الايمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكر الله تعالى في قوله (فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) الآية وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل ان يغيروا دينهم وقال عبد الرحمن بن زيد هم النبي ومن معه وقال

أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للاسلام وتصدق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمره الله به والانزجار عما زجره عنه واثباع منهاج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهاج الخلفاء الاربعة وكل عبد صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم

(فان قيل) فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك؟
فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا؟

فالجواب أن لا، ولولا احتياجه ليلا ونهاراً الى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى الى ذلك فان العبد مفتقر في كل ساعة وحالة الى الله تعالى في تبيينه على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها فان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله فارشده تعالى الى أن يسأله في كل وقت ان يمهده بالمعونة والثبات والتوفيق فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله فانه تعالى قد تكفل باجابة الداعي اذا دعاه ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر اليه آناء الليل وأطراف النهار وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والذي أنزل من قبل) لا يفتقر أمر الذين آمنوا بالابمان وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل لان المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الاعمال المعينة على ذلك والله أعلم. وقال تعالى أمرا لعباده المؤمنين ان يقولوا (ربنا لا ترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) وقد كان الصديق رضي الله عنه يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرا فمعنى قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) أي استمر بنا عليه ولا تعدل بنا الى غيره

﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾

قد تقدم الحديث فيما اذا قال العبد اهدنا الصراط المستقيم الى آخرها ان الله يقول «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» وقوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم) مفسر للصراط المستقيم وهو بدل منه عند النحاة ويجوز ان يكون عطف ببيان والله أعلم. والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء حيث قال تعالى (ومن يعط الله الرسول فأرسله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) ذلك الفضل من الله وكفي بالله عابجا) وقال الضحاك عن ابن عباس صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين أبو العالية ثم آل الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهم وأهل بيته وقال شهر بن حوشب هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته

قرأ حمزة عليهم والديهم واليهم بضمها آتوا ويضم يعقوب كل هاء قبلها ياء ساكنة تنثنية وجمعا لا قوله بين أيديهم وأرجلهم وقرأ الآخرون بكسرها فن ضم الهاء ردها الى الاصل لانها مضمومة عند الانفراد ومن كسرها فلاجل الياء الساكنة والياء أخت الكسرة وضم ابن كثير وأبو جعفر كل ميم جمع مشبها في الوصل اذا لم يلقها ساكن فان اقيها ساكن فلا يشبع ونافع بخير ويضم ورش عند ألف وغيره

وذلك ظير ما قال ربنا تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) الآية وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (صراط الذين أنعمت عليهم) قال هم النبيون. وقال ابن جرير عن ابن عباس هم المؤمنون، وكذا قال مجاهد، رقل وكيع هم المسلمون وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه والتفسير المتقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما أعم وأشمل والله أعلم وقوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قرأ الجمهور غير بالجور على النعت قال الزمخشري وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعالم أنعمت والمعنى أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ممن تقدم وصفهم ونعتهم وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسوله وامتنثال أو امره وترك نواهيه وزواجه غير صراط المغضوب عليهم وهم الذين فسدت أراذلهم فعملوا الحق وعدلوا عنه ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق. وأكد الكلام بلا لبس على أن ثم مسائلين فاسدين وهما طريقة اليهود والنصارى وقد زعم بعض النحاة أن غرضنا استثنائية فيكون على هذا منقطعا لاستثنائهم من المنعم عليهم وليسوا منهم وما أوردناه أولى لقول الشاعر كأنك من جمال بني أقيش * يفتقع عند رجله بشن

أي كأنك رجل من جمال بني أقيش فحذف الموصوف واكتفى بالصفة وهكذا غير المغضوب عليهم أي غير صراط المغضوب عليهم اكتفى بالمضاف إليه عن ذكر المضاف وقد دل عليه سياق الكلام وهو قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) ثم قل تعالى (غير المغضوب عليهم) ومنهم من زعم أن لافي قوله تعالى ولا الضالين زائدة وإن تقدير الكلام عنده غير المغضوب عليهم والضالين واستشهد ببيت العجاج

في بئر لا حور سعى وما شعر

أي في بئر حور والصحيح ما قدناه ولهذا روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل الفران عن أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقرأ غير المغضوب عليهم وغير الضالين وهذا إسناد صحيح وكذلك حكى عن أبي بن كعب أنه قرأ كذلك وهو محمول على أنه صدر منهما على وجه التفسير. فيدل على ما قلناه من أنه إنما جيء بلا القطع فإذا تلبته ألف وصل وقبل الهاء كسر أو ياء ساكنة ضم الهاء والميم حمزة والكسائي وكسرها أبو عمرو وكذلك يعقوب إذا انكسر ما قبله والآخرين يقرؤون بضم الميم وكسر الهاء لاجل الياء أو لكسر ما قبلها وضم الميم على الأصل

قوله (غير المغضوب عليهم) يعني غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب هو إرادة الانتقام من العصاة وغضب الله تعالى لا يلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق الكافرين (ولا الضالين) أي وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الهلاك والغيوبة يقال ضل الماء في الليل إذا هلك وغاب

لتأكيد النفي لئلا يتوهم انه معطوف على الذين أنعمت عليهم وللفرق بين الطريقتين ليجتنب كل واحد منهما فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به واليهود فقدوا العمل والنصاري فقدوا العلم ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى لأن من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم والنصارى لما كانوا قاصدين شيئا لكنهم لا يمتدنون إلى طريقه لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه وهو اتباع الحق ضلوا وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم (من لعنه الله وغضب عليه) وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم (قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) وبهذا جاءت الأحاديث والآثار وذلك واضح بين فيما قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة قال سمعت سمالك بن حرب يقول سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عدي بن حاتم قال جاءت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا عمي وناسا فلما أتوا بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوا له فقالت يا رسول الله: نأى الوافد، وانقطع الولد، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة فمن علي من الله عليك قال «من وافدك؟» قالت عدي بن حاتم قال «الذي فر من الله ورسوله؟» قالت فمن علي فلما رجع ورجل إلى جنبه ترى انه على قال سليه حملانا فسألته فأمر لها قال فأتني فقالت لند فملت فملته ما كان أبوك يفعلها فانه قد أتاه فلان فأصاب منه وأتاه فلان فأصاب منه فأتيته فاذا عنده امرأة وصبيان وذكر قريتهم من النبي صلى الله عليه وسلم قال فعرفت انه ليس بملك كسرى ولا قيصر فقل يا عدي ما أفرك؟ ان يقال لا اله الا الله؟ فهل من اله الا الله؟ ما أفرك ان يقال الله أكبر؟ فهل شيء أكبر من الله عز وجل؟ قال فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال ان المغضوب عليهم اليهود وان الضالين النصارى وذكر الحديث ورواه الترمذي من حديث سمالك بن حرب وقال حسن غريب لا نعرفه الا من حديثه (قلت) وقد رواه حماد بن سلمة عن سمالك عن مري بن قطري عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (غير المغضوب عليهم) قال هم اليهود (ولا الضالين) قال النصارى هم الضالون وهكذا رواه سفيان بن عيينة عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم به وقد روي حديث عدي هذا من طرق وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها وقال عبد الرزاق أنا معمر بن بديل العقيلي أخبرني عبد الله بن شقيق انه أخبره من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بوادي وغيرهنا بمعنى لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز العطف عليها كما يقال فلان غير محسن ولا مجمل فاذا كان غير بمعنى سوى فلا يجوز العطف عليها بلا. لا يجوز في الكلام عندي سوى عبد الله ولا زيد وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين وقيل المغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال (من لعنه الله وغضب عليه) وحكم على النصارى بالضلال فقال (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) وقال سهل بن عبد الله غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة. والسنة للقارى ان يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة آمين مفصولا عن الفاتحة بسكتة

القرى على فرسه وسأله رجل من بني القين فقال يا رسول الله من هؤلاء قال المغضوب عليهم وأشار إلى اليهود والاضالون هم النصارى وقد رواه الجريري وعروة وخالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق فأرسلوه ولم يذكروا من سمع النبي صلى الله عليه وسلم ووقع في رواية عروة تسمية عبد الله بن عمرو قاله أعلم وقد روى ابن مردويه من حديث إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم قال اليهود قلت الضالين قل النصارى وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير المغضوب عليهم هم اليهود ولا الضالين هم النصارى وقال الضحاك وابن جريج عن ابن عباس غير المغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى وكذلك قل الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال بن أبي حاتم ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافا وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون الحديث المتقدم وقوله تعالى في خطابه مع بني إسرائيل في سورة البقرة (يأثم ما اشترؤا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب ولا لكفرين عذاب مهين) وقول في المائدة (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) وقال تعالى (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا لا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وفي السيرة عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه لما خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف قالت له اليهود أنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله فقال أنا من غضب الله أفر وقالت له النصارى أنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من سخط الله فقال لا أستطيعه فاستمر على فطرته وجانب عبادة الأوثان ودين المشركين ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارى وأما أصحابه فتنصروا ودخلوا في دين النصرانية لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود إذ ذاك وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه الله بنبيه لما بعثه آمن بما وجد من الوحي رضي الله عنه

(مسئلة) والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء

وهو مخفف ويجوز ممدودا ومقصورا ومعناه اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس وقتادة: معناه كذلك يكون. وقال مجاهد هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو طابع الدعاء وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به الآفات عنهم كخاتم الكتاب يمنع من الفساد وظهور ما فيه. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي وأبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحى قالا أنا أبو بكر أحمد بن حسن الحيرى أنا أبو علي محمد بن أحمد ابن محمد بن معقل الميداني ثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا قال الإمام (غير المغضوب عليهم ولا

لقرب مخرجيهما وذلك ان الضاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الشنايا العليا ولان كلا من الحرفين من الحروف المجهورة ومن الحروف الرخوة ومن الحروف المطبقة فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك والله أعلم وأما حديث أنا أفصح من نطق بالضاد فلا أصل له والله أعلم

﴿ فصل ﴾

اشتملت هذه السورة الكريمة وهي سبع آيات على حمد الله وتمجيده والثناء عليه بذكر اسمائه الحسنی المستلزمة لصفاته العليا وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين وعلى ارشاده عبيده الى سؤاله والتضرع اليه والتبري من حوْلهم وقوتهم والى اخلاص العباد له وتوحيده بالالوهية تبارك وتعالى وتنزيهه ان يكون له شريك أو نظير أو مماثل والى سؤالهم اياه الهداية الى الصراط المستقيم وهو الدين القويم وثببتهم عليه حتى يقضي (١) لهم بذلك الى جواز الصراط الحسية يوم القيامة المفضي بهم الى جنات النعيم في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واشتملت على الترغيب في الاعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع سالكها يوم القيامة وهم المفضوب عليهم والضالون. وما أحسن ما جاء اسناد الانعام اليه في قوله تعالى (صراط الذين انعمت عليهم غير المفضوب عليهم) وحذف الفاعل في النصب في قوله تعالى (غير المفضوب عليهم) وان كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة كما قال تعالى (ألم تر اني الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) الآية وكذلك اسناد الضلال الى من قام به وان كان هو الذي أضلهم بقدره كما قال تعالى (من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا) وقال (من يضلل الله فلا هادي له وبذرهم في طغيانهم يعمهون) الى غير ذلك من الآيات الدالة على انه سبحانه هو المنفرد بالهداية والاضلال لا كما تقول الفرقة القدسية ومن حدا حذوهم من ان العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه (١) ويحتاجون على بدعتهم بمتشابه من القرآن ويتركون ما يكون فيه صريحا في الرد عليهم . وهذا حل أهل الضلال والغنى وقد ورد في الحديث الصحيح « اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم » يعني في قوله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء الضالين) فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين وان الامام يقول آمين فن وافق آمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » صحيح

﴿ فصل في فضل فاتحة الكتاب ﴾

أنا أبو الحسن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكتاني أنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي أنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري ثنا محمد بن عبيد الوهاب ثنا خالد بن محمد القطواني حدثني

« ١ » كذا في

الاصل ولعله يقضي
بالقاء

(١) كذا وأهل

السنة لا ينعون
الاختيار ولا أسناد
القول للعبد وهما مناط
التكليف وإنما يقولون
أن أفعالهم الاختيارية
بقدر الله تعالى
كالاضطرابية وليسوا
مستقلين فيها تمام
الاستقلال والقدرة
ينكرون ذلك

تأويله) فليس بحمد الله لمبتدع في القرآن حجة صحيحة لان القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل مفرقا بين الهدى والضلال وليس فيه تناقض ولا اختلاف لانه من عند الله تنزيل من حكيم حميد

(فصل)

يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين مثل يس ويقال آمين بالقصر (١) أيضا أو معناه اللهم استجب والدليل على استحباب التأمين ما رواه الامام أحمد وأبو داود الترمذي عن وائل بن حجر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فقال آمين مد بها صوته ، ولابي داود رفع بها صوته ، وقال الترمذي هذا حديث حسن وروي عن علي وابن مسعود وغيرهم . وعن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال « آمين » حتى يسمع من يليه من الصف الاول رواه أبو داود وابن ماجه وزاد فيه : فيرتج بها المسجد . والدارقطني وقال : هذا اسناد حسن . وعن بلال انه قال : يا رسول الله لا تسبقني بآمين رواه أبو داود ، ونقل أبو نصر القشيري عن الحسن وجعفر الصادق انهما شددا الميم من آمين (٢) مثل (آمين البيت الحرام) قال أصحابنا وغيرهم ويستحب ذلك لمن هو بخارج الصلاة ، ويتأكد في حق المصلي ، وسواء كان منفردا أو اماما أو مأموما وفي جميع الاحوال لما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا آمن الامام فأمنوا فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه » ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا قال أحدكم في الصلاة آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت احدهما الاخرى غفر له ماتقدم من ذنبه » قيل بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان وقيل في الاجابة وقيل في صفة الاخلاص . وفي صحيح مسلم عن أبي موسى مرفوعا - اذا قل - يعني الامام « ولا الضالين فقولوا آمين يمجىكم الله » وقال جوير عن

محمد بن جعفر بن أبي كثير هو اخو اماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب وهو قائم يصلي فصاح به فقال « تعال يا أبي » فعجل أبي في صلاته ثم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما منك يا أبي أن تحييني اذ دعوتك؟ أليس الله يقول (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحكيكم)؟ قال أبي لا جرم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوني الا أجبتك وان كنت مصليا قال « أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن (٣) مثلها؟ فقال أبي نعم يا رسول الله فقال لا تخرج من باب المسجد حتى تعلمها والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي يزيد أن يخرج من المسجد فلما بلغ الباب ليخرج قال له أبي السورة يا رسول الله فوقف فقال نعم كيف تقرأ صلاتك فقرأ أبي أم القرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن (٣) مثلها وانما هي (٤) السبع من المثاني التي أناني الله عز وجل » هذا حديث حسن

(٨ - ابن كثير والبغوي)

(١) رواية شاذة مخالفة لائحة القراء ولرواية الحديث وانما حكاهما نعلب لبيت من الشعر قال ابن درستويه انه لضرورة الشعر لالفة كما في نيل الاوطار (٢) خطأ هذه الرواية جماعة من أهل اللغة كما في نيل الاوطار

(٣) ن الفرقان

(٤) في الخطبة انها هي

الضحاك عن ابن عباس قال قلت يا رسول الله ما معنى آمين؟ قال «رب افعل» وقال الجوهري معنى آمين كذلك فايكن. وقال الترمذي معناه لا نخيب رجاءونا. وقال الاكثر من معناه اللهم استجب لنا. وحكي القرطبي عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف ان آمين اسم من أسماء الله تعالى. وروي عن ابن عباس مرفوعا ولا يصح قاله أبو بكر بن العربي المالكي. وقال أصحاب مالك لا يؤمن الامام ويؤمن المأموم لما رواه مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «واذا قال - يعني الامام - ولا الضالين فقولوا آمين» الحديث واستأنسو أيضا بحديث أبي موسى عندهم «واذا قرأ ولا الضالين فقولوا آمين» وقد قدمنا في المتنق عليه «اذا أمن الامام فأمنوا» وأنه عليه الصلاة والسلام كان يؤمن اذا قرأ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقد اختلف أصحابنا في الجهر بالتأمين للمأموم في الجهرية وحاصل الخلاف ان الامام ان نسي التأمين جهر المأموم به قولاً واحداً وان أمن الامام جهره فالبجهر انه لا يجهر المأموم وهو مذهب أبي حنيفة ورواية عن مالك لانه ذكر من الاذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصلاة. والقديم انه يجهر به وهو مذهب الامام احمد ابن حنبل والرواية الاخرى عن مالك لما تقدم «حي برنج المسجد» ولما قول آخر ثالث انه ان كان المسجد صغيراً لم يجهر المأموم لأنهم يسمعون قراءة الامام وان كان كبيراً جهر ليبلغ التأمين من في ارجاء المسجد والله أعلم. وقد روى الامام احمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت عنده اليهود فقال «أنهم لن يحسدونا على شيء، كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين» ورواه ابن ماجه ولفظه «ما حسدتكم اليهود على شيء، ما حسدتكم على السلام والتأمين» وله عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما حسدتكم اليهود على شيء، ما حسدتكم على قول آمين فاكثروا من قول آمين» وفي اسناده طلحة بن عمرو وهو ضعيف وروى ابن مردويه عن أبي هريرة ان رسول الله

صحيح. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا اسحق بن ابراهيم الحنظلي ثنا يحيى بن آدم ثنا أبو الاحوص عن عمار بن رزق عن عبد الله بن عيسى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم - عنده جبريل - اذ سمع صوت نقبضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال «هذا باب فتح من السماء ما فتح قط» قال فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال «أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفاً منهما الا أعطيته» صحيح. أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي ثنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن انه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول سمعت أبا هريرة يقول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج غير تمام» قال فقلت يا أبا هريرة

صلى الله عليه وسلم قال « آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء لم يعط أحد قبلي إلا أن يكون موسى كان موسى يدعو وهرون يؤمن فلختموا الدعاء بآمين فإن الله يستجيبه لكم » (قلت) ومن هنا نزع بعضهم في الدلالة بهذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ايهلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أوالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) قال قد أجيب دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون (فذكر الدعاء عن موسى وحده ومن سياق الكلام ما يدل على ان هرون آمن فبرز منزلة من دعا لقوله تعالى (قد أجيب دعوتكما) فدل ذلك على ان من آمن على دعاء فكأنما قاله فلهذا قل من قال ان المأموم لا يقرأ لأن تأمينة على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها ولهذا جاء في الحديث « من كان له امام فقرأه الامام له قراءة » رواه احمد في مسنده وكان بلال يقول لا تسبقني بآمين يا رسول الله. فدل هذا المنزع على ان المأموم لا قراءة عليه في الجهرية (١) والله أعلم ولهذا قال ابن مردويه حدثنا احمد بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد بن سلام حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا جرير عن ايث عن ابن أبي سليم عن كعب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقال آمين، فوافق آمين أهل الارض آمين أهل السماء غفر الله للعبد ما تقدم من ذنبه » ومثل من لا يقول آمين كمثل رجل غزا مع قوم فاقتربوا فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه فقال لم لم يخرج سهمي؟ فقيل: انك لم تقل آمين »

(١) هذا الاستدلال

غير ظاهر

(٢) كذا ولعل

عن زائدة

إني أحيانا أكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال اقرأ بها يا فارسي في نفسك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأوا يقول العبد (الحمد لله رب العالمين) يقول الله حمدني عبدي، يقول العبد (الرحمن الرحيم) يقول الله أثنى على عبدي، يقول العبد (مالك يوم الدين) يقول الله مجدني عبدي، يقول العبد (اياك نعبد واياك نستعين) يقول الله عز وجل هذه الآية بيني وبين عبدي فلهبدي ما سأل، يقول العبد (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) يقول الله هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل » صحيح

(بسم الله الرحمن الرحيم) * رب يسر وأعن يا كريم *

﴿ تفسير سورة البقرة ﴾

(ذكر ما ورد في فضلها) قال الامام أحمد حدثنا عارم حدثنا عن أبيه عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « البقرة سنام القرآن وذروتها . نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً واستخرجت (الله لا اله الا هو الحي القيوم) من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة ، ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له وقرأوها على موتاكم » انفرد به أحمد وقدرناه أحمد أيضاً عن عارم عن عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان — وليس بالتهدي — عن أبيه عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقرؤها على موتاكم » — يعني يس — فقد تبيننا بهذا الاسناد معرفة المبهمة في الرواية الاولى . وقد أخرج هذا الحديث على هذه الصفة في الرواية الثانية أبو داود والنسائي وابن ماجه ، وقد روي الترمذي من حديث حكيم بن جبير وفيه ضعف عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء سنام وان سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي » وفي مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال لا تجعلوا بيوتكم قبوراً فان البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان » وقال الترمذي حسن صحيح وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثني ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشيطان يخرج من البيت اذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه » سنان بن سعد ويقال بالعكس وثقه ابن معين واستنكر حديثه أحمد بن حنبل وغيره . وقال أبو عبيد حدثنا محمد بن جعفر بن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الاحوص عن عبد الله — يعني ابن مسعود — رضي الله عنه قال ان الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة ورواه النسائي في اليوم والليلة وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث شعبة ثم قال الحاكم . صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا أبو اسمعيل الترمذي حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن سليمان

سورة البقرة

مدنية وهي مائتان وثمانون وسبع آيات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * ألم ﴾ قال الشعبي وجماعة : ألم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها . قال أبو بكر الصديق : في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل

ابن بلال عن محمد بن عجلان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ألفين أحدكم يضع أحدي رجله على الأخرى يتغنى ويدع سورة البقرة يقرأها فان الشيطان ينفر من البيت تقرأ فيه سورة البقرة وان أصغر البيوت الجوف الصغر من كتاب الله » وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن نصر عن أيوب بن سليمان به . وروى الدارمي في مسنده عن ابن مسعود قال ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة الا خرج منه الشيطان وله ضراط وقال ان لكل شيء سناما وان سنام القرآن سورة البقرة وان لكل شيء لبابا وان لباب القرآن المفصل . وروى أيضا من طريق الشعبي قال : قال عبد الله ابن مسعود من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة ، أربع من أولها وآية الكرسي ، وآيتان بعدها ، وثلاث آيات من آخرها ، وفي رواية لم يقر به ولا أهله يومئذ شيطان . ولا شيء يكرهه ولا يقرآن على مجنون الا أفاق . وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان لكل شيء سناما وان سنام القرآن البقرة وان من قرأها في بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليال ومن قرأها في بيته نهارا لم يدخله شيطان ثلاثة أيام » رواه أبو القاسم الطبراني وأبو حاتم وابن حبان في صحيحه وابن مردويه من حديث الأزرق بن علي حدثنا حسان بن ابراهيم حدثنا خالد ابن سعيد المدني عن أبي حازم عن سهل به . وعند ابن حبان خالد بن سعيد المدني . وقد روى الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الحميد بن جعفر عن سعيد المقبري عن عطاء مولى أبي أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل واحد منهم مامعه من القرآن فأتني على رجل من أحدهم سنا فقال مامعك يا فلان فقال معي كذا وكذا وسورة البقرة . فقال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم قال : اذهب فانت أميرهم فقال رجل من أشرفهم والله مامعني أن أتعلم سورة البقرة الا اني خشيت ان لا أقوم بها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعلموا القرآن واقرؤه فان مثل القرآن لمن تعلمه فقرأ وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان ومثل من تعلمه فتركه وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك » هذا لفظ رواية الترمذي ثم قال هذا حديث حسن ثم رواه من حديث الليث عن سعيد عن عطاء مولى أبي أحمد مرسلا قاله أعلم قال البخاري وقال الليث حدثني يزيد بن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفروسه ربوطة عنده اذ جالت الفرس ، فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف ، وكان ابنه بجي قريبا منها فاشفق ان تصيبه فلما أخذه رفع رأسه الى السماء حتى ما براها ، فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال « اقرأ يا ابن حضير » قال قد أشفقت يا رسول الله على بجي وكان منها قريبا فرفعت رأسي

السور وقال علي : ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وقال داود بن أبي هند كنت اسأل الشعبي عن فوائح السور فقال يا داود ان لكل كتاب سرا وان سر القرآن فوائح السور

وانصرفت اليه فرفعت رأسي الى السماء فاذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال «وتدري ماذا؟» قال لا قال «تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لاصبحت ينظر الناس اليها لا تتوازي منهم» وهكذا رواه الامام العالم أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن عن عبد الله بن صالح ويحيى بن بكير عن الليث به. وقد روى من وجه آخر عن أسيد بن حضير كما تقدم والله أعلم. وقد وقع نحو من هذا لثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وذلك فيما رواه أبو عبيد حدثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد ان أشباخ أهل المدينة حدثوه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم نزل داره البارحة ترهه مصابيح قال «فلعله قرأ سورة البقرة» قال فسألت ثابتاً فقال قرأت سورة البقرة» وهذا اسناد جيد الا ان فيه ابهاماً هو مرسل والله أعلم

ذكر ما ورد في فضلها مع آل عمران

قال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا بشر بن مهاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعت يقول «تعلموا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة» قال ثم سكت ساعة ثم قال «تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانها الزهروان يظلان صاحبه يوم القيامة كأنها غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف وان القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك فيقول أنا صاحبك القرآن الذي أظلماتك في المهاجر وأسهرت ليلك وان كل تاجر من وراء تجارته ولك اليوم من وراء كل تجارة فيعطيك الملك يمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان بما كسبنا هذا فيقال بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال قرأوا وصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود مادام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً» وروى ابن ماجه من حديث بشر بن المهاجر بعضه وهذا اسناد حسن على شرط مسلم فان بشراً هذا خرج له مسلم ووثقه ابن معين وقل النسائي ما به بأس الا ان الامام أحمد قال فيه هو منكر الحديث قد اعتبرت أحاديثه فإذا هي تأتي بالعجب وقال البخاري يخالف في بعض حديثه وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابن عدي روى مالا يتابع عليه وقال الدارقطني ليس بالقوي (قلت) ولكن لبعضه شواهد فمن ذلك حديث أبي امامة الباهلي قال الامام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمر حدثنا هشام عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن أبي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اقرأ القرآن فانه شافع لاهله يوم القيامة اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانها يأتیان يوم القيامة كأنها غمامتان أو فدعها وسل عما سوى ذلك، وقال جماعة هي معلومة المعاني فليل كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في كعبص: السكاف من كاف والهاء من هاء والياء من حكيمة والعين من عليهم والصاد

كانهما غيائنان أو كأنهما فرقان طير صواف يحاجان عن أهلها يوم القيامة ثم قال اقرؤ البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة وقد رواه مسلم في الصلاة من حديث معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبي سلام مطور الحبشي عن أبي امامة صدى بن عجلان الباهلي به . الزهرادان المنيرتان ، والغياية ما أظلك من فوقك ، والفرق القطعة من الشيء ، والصواف المصطفة المتضامة ، والبطلة السحرة ، ومعنى لا تستطيعها أي لا يمكنهم حفظها وقيل لا تستطيع النفوذ في قارنها والله أعلم . ومن ذلك حديث النواس بن سمعان قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير قال سمعت النواس بن سمعان الكلبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتي بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران » وضرب لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قل « كأنهما غمامتان أو ظلتان سودوان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما » ورواه مسلم عن اسحق بن منصور عن يزيد بن عبد ربه به ، والترمذي من حديث الوليد بن عبد الرحمن الجرشي به وقال حسن غريب ، وقال أبو عبيد حدثنا حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير قال : قال حماد أحسبه عن أبي منيب عن عمه ان رجلا قرأ البقرة وآل عمران فلما قضى صلاته قال له كعب أقرأت البقرة وآل عمران؟ قال نعم قال فوالذي نفسي بيده ان فيهما اسم الله الذي اذا دعي به استجاب . قال فأخبرني به قال لا والله لا أخبرك به ولو أخبرتك به لا وشكت أن تدعوه بدعوة أهلك فيها أنا وأنت ، وحدثنا عبد الله ابن صالح عن معاوية بن صالح عن سليم بن عامر انه سمع أبا امامة يقول ان أخاكم أري في المنام ان الناس يسلكون في صدد جبل وعر طويل وعلى رأس الجبل شجرتان خضراوان يهتفان هل فيكم قارىء يقرأ سورة البقرة؟ وهل فيكم قارىء يقرأ سورة آل عمران؟ قال فاذا قال الرجل نعم دنتا منه باعداقهما حتي يتعلق بهما فيخطران به الجبل . وحدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية ابن صالح عن أبي عمران أنه سمع أم الدرداء تقول ان رجلا من قرأ القرآن أغار على جاره فقتله وانه أقيده به فقتله فما زال القرآن ينسل منه سورة سورة حتي بقيت البقرة وآل عمران جمعة ثم أن آل عمران انسلت منه وأقامت البقرة جمعة فقبل لها (ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) قال فخرجت كأنها السحابة العظيمة قال أبو عبيد أراه يعني انها كانتا معه في قبره يدفعان عنه ويؤنسانه فسكانتا من آخر ما بقي معه من القرآن . وقال أيضا حدثنا أبو مسهر الغساني عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي ان يزيد بن الاسود الجرشي كان يحدث انه من قرأ البقرة وآل عمران في يوم بريء من النفاق حتي بمسي ومن قرأهما في ليلة بريء من النفاق حتي يصبح قال فسكان يقرأهما كل يوم وليلة سوى جزئه . وحدثنا من صادق ، وقيل في المص أنا الله الملك الصادق ، وقال الربيع بن أنس في ألم : الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه المجيد ، وقال محمد بن كعب الالف آلا الله واللام لطيفة

٦٤ سورة البقرة مدنية وفيها آخر ما نزل من القرآن تفسير ابن كثير والبغوي

يزيد عن ورقاء بن أبياس عن سعيد بن جبير قل قل عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كان أو كتب من القاتنين. فيه انقطاع ولكن ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في ركعة واحدة

﴿ ذكر ما ورد في فضل السبع الطول ﴾

قال أبو عبيد حدثنا هشام بن اسماعيل الدمشقي عن محمد بن شعيب عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المليح عن وائلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السبع الطول، مكان التوراة وأعطيته المئين مكان الانجيل وأعطيته المثاني مكان الزبور وفضلت بالمفصل هذا حديث غريب وسعيد بن أبي بشير فيه ابن وقد رواه أبو عبيد عن عبد الله بن صالح عن الليث عن سعيد بن أبي هلال قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره والله أعلم ثم قال حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب عن حبيب بن هند الاسلمي عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أخذ السبع فهو حبر » وهذا أيضا غريب وحبيب بن هند بن اسماء بن هند بن حارثة الاسلمي وروي عنه عمرو بن عمرو (١) وعبد الله بن أبي بكره أبو حاتم الرازي ولم يذكر فيه جرحا فله أعلم. وقد رواه الامام احمد عن سليمان بن داود وحسين كلاهما عن اسمعيل بن جعفر به ورواه أيضا عن أبي سعيد عن سليمان بن بلال عن حبيب بن هند عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر » قال أحمد وحدثنا حسين حدثنا ابن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله قال عبد الله بن أحمد وهذا أرى فيه عن أبيه عن الاعرج ولكن كذا كان في الكتاب فلا أدري أغفله أبي أو كذا هو مرسل وروي الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا وهم ذوو عدد وقدم عليهم أحدتهم سنا لحفظه سورة البقرة وقال له « اذهب فأنت أميرهم » وصححه الترمذي ثم قال أبو عبيد حدثنا هشيم أنا أبو بشر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني) قال هي السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس قال وقال مجاهد هي السبع الطول وهكذا قال مكحول وعطية بن قيس وأبو محمد الفارسي وشداد بن أوس ويحيى بن الحارث الذماري في تفسير الآية بذلك وفي تعدادها وان يونس هي السابعة

(١) كذا والذي

تقدم عمرو بن أبي عمرو

﴿ فصل ﴾

والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف وهي من أوائل ما نزل بها لكن قوله تعالى فيه (واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله) الآية يقال انها آخر ما نزل من القرآن ويحتمل أن تكون منها وكذلك آيات الربا من آخر ما نزل وكان خالد بن معدان يسمى البقرة فسقاط القرآن قال بعض العلماء وهي مشتملة والميم ملكه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قل معنى الم أنا الله أعلم ومعنى المص أنا الله أعلم وأفضل ومعنى الر أنا الله أرى ومعنى المر أنا الله أعلم وأرى قال الزجاج وهذا حسن فان العرب تذكر

على ألف خبر وألف أمر وألف نهى وقال العادون آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات و كلماتها ستة آلاف كلمة ومائتان واحد عشر وعشرون كلمة وحروفها خمسة وعشرون ألفا وخمسمائة حرف قاله أعلم . قال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس نزلت بالمدينة سورة البقرة، وقال خصيف عن مجاهد عن عبد الله بن الزبير قال نزلت بالمدينة سورة البقرة وقال الواقدي حدثني الضحاك بن عثمان عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال نزلت البقرة بالمدينة وهكذا قال غير واحد من الأئمة والعلماء والمفسرين ولا خلاف فيه . وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا الحسن بن علي بن الوليد الفارسي حدثنا خلف بن هشام وحدثنا عيسى بن ميمون عن موسى بن أنس بن مالك عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذا القرآن كله ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها آل عمران وكذا القرآن كله » هذا حديث غريب لا يصح رفعه وعيسى بن ميمون هذا هو أبو سلمة الخواص وهو ضعيف الرواية لا يحتج به وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أنه رمى الجفرة من بطن الوادي فجعل البيت عن يساره ومضى عن يمينه ثم قال هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة أخرجه، وروى ابن مردويه من حديث شعبة عن عقيل بن طلحة عن عتبة بن مرثد قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه تأخرا فقال « يا أصحاب سورة البقرة » واظن هذا كان يوم حنين يوم ولوا مدبرين أمر العباس فناداهم « يا أصحاب الشجرة » يعني أهل بيعة الرضوان وفي رواية « يا أصحاب سورة البقرة » لينشطهم بذلك فجعلوا يقبلون من كل وجه وكذلك يوم البجامة مع أصحاب مسيلة جعل الصحابة ينفرون لكثافة جيش بني حنيفة فجعل المهاجرون والانصار يتنادون يا أصحاب سورة البقرة حتى فتح الله عليهم رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الم

قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا عليها إلى الله ولم يفسروها حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين ، وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان . ومنهم من فسرهما واختلف هؤلاء في معناها فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور . قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه أطباق الأكثر ونقله عن سيدي به انه نص عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة وهل أتى على الانسان . وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيع عن مجاهد انه قال : الم، وحم، والمص، ووص، فواتح افتتح الله بها القرآن، وكذا قال غيره

حرفا من كلمة تريدها كقولهم

قلت لها قفي فقالت لي قاف ه

عن مجاهد وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه انه قال: الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل هذا يرجع الى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم انه اسم من أسماء السور فان كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فانه يبعد ان يكون المص اسما للقرآن كله لان المتبادر الى فهم سامع من يقول قرأت المص انما ذلك عبارة عن سورة الاعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم .

وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال الشعبي فوائده السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله واسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني ان ابن عباس قال الم اسم من أسماء الله الاعظم (؟) هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس والم فقال قل ابن عباس هي اسم الله الاعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المنفي حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن اسمعيل السدي عن مرة الهمداني قال : قال عبد الله فذكر نحوه . وحكى مثله عن علي وابن عباس وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروي ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن عليه عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم . وروينا أيضا من حديث شريك بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس : الم قال أنا الله أعلم ، وكذا قال سعيد بن جبير وقال السدي عن أبي مالك

وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى . قال واو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن ابى العالية في قوله تعالى الم قال هذه الاحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الالسن كلها ليس منها حرف الا وهو مفتاح اسم من اسمائه ، وليس منها حرف الا وهو من آلائه ، وبلا لانه ، وليس منها حرف الا هو في مدة اقوام وآجالهم . قال عيسى بن مريم عليه السلام وعجب (١) فقال : اعجب انهم ينطقون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به ، قال الف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد قال الف آلاء الله واللام لطف الله والميم مجد الله ، والالف سنة واللام ثلاثون سنة والميم اربعون سنة .

هذا لفظ ابن أبي حاتم . ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من هذه الاقوال ويوفق بينها وانه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وان الجمع ممكن فهي اسماء للسور ومن اسماء الله تعالى يفتح بها السور فكل حرف منها دل على اسم من اسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سور كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه ، قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من اسماء الله وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن ابى العالية لان

(١) قوله وعجب
الغ هكذا في الاصل

أي وقفت وعن سعيد بن جبير قال هي أسماء الله تعالى مقطعة لو أحسن الناس تأليفها لعلوا اسم الله

الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الامة فانها تطلق ويراد به الدين كقوله تعالى (انا وجدنا آباءنا على امة) وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) وتعلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى (وجد عليه امة من الناس يسقون) وقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا) وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله تعالى (وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة) اي بعد حين على اصح القولين قل فيكذلك هذا.

هذا حاصل كلامه موجها ولكن هذا ليس كما ذكره ابو العالية فان ابا العالية زعم ان الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معا ولفظة الامة وما اشبهها من الالفاظ المشتركة في الاصطلاح انما دل في القرآن في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فلما حملة على مجموع محامله اذا امكن فمسئلة مختلف فيها بين علماء الاصول ليس هذا موضع البحث فيها والله اعلم. ثم ان لفظة الامة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فلما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن ان يدل على اسم آخر من غير أن يكون احدهما أولى من الآخر في التقدير او الاضمار بوضع ولا بغيره فهذا مما لا يفهم الا بتوقيف والمسئلة مختلف فيها وليس فيها اجماع حتى يحكم به وما أنشده من الشواهد على صحة اطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فان في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قول الشاعر

قلنا قني لنا فقات قاف * لا تحسبي انا نسينا الايجاف

تعني وقفت . وقال الآخر :

ماللظلم عال كيف لا يا * ينقد عنه جلده اذايا

فقال ابن جرير كانه أراد أن يقول اذا يفعل كذا وكذا فاكتفى بالياء من يفعل وقال الآخر

بالخير خيرات وان شرافا * ولا أريد الشر الا ان تا

يقول وان شرا فشر ولا أريد الشر الا ان تشافا كنعني بالفاء والتاء من الكلمتين عن بقيتها ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم .

قال القرطبي وفي الحديث « من اعان على قتل مسلم بشرط كلمة » الحديث قال سفيان هو ان يقول في اقتل « اق » . وقال خصيف عن مجاهد انه قال فوائح السور كلها (ق ر ص و ح م و ط س م والز) وغير ذلك هجاء موضوع وقل بعض أهل العربية هي حروف من حروف المعجم استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تنمة الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل ابني يكتب في — ا ب ت ث — أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها حكاه ابن جرير

الا عظم ألا ترى أنك تقول الرحمن ورحمته فكذلك سائرهما الا اننا لا نقدر على وصلها . وقال قتادة هذه الحروف أسماء القرآن وقال مجاهد وابن زيد هي أسماء السور ويانه ان القائل اذا قال قرأت

قلت مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي
 — ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن — يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف
 عددا والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف. قال الزنخشري وهذه
 الحروف الاربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعنى من المهموسة والمجهورة، ومن الرخوة
 والشديدة، ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعالية والمنخفضة، ومن حروف القلقة. وقد مردها مفصلة
 ثم قال: فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمة. وهذه الاجناس المعدودة مكشورة بالمذكورة منها
 وقد علمت ان معظم الشيء وجه ينزل منزلة كاه ومن ههنا لخص بعضهم في هذا المقام كلاما فقال:
 لاشك ان هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى، ومن قال من الجهلة ان في القرآن
 ما هو تعبد لا معنى له بالكافية فقد أخطأ خطأ كبيرا، فتمعين ان لها معنى في نفس الامر فان صح لنا
 فيها عن المعصوم شيء قلنا به والا وقفنا حيث وقفنا وقلنا (آمننا به كل من عند ربنا) ولم يجمع العلماء
 فيها على شيء معين وانما اختلفوا فمن ظهر له بعض الاقوال بدليل فعليه اتباعه والا فالوقوف حتى
 تبين. هذا مقام

المقام الاخر في الحكمة التي اقتضت ايراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر
 عن معانيها في أنفسها، فقال بعضهم انما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاه ابن جرير وهذا
 ضعيف لان الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة وقال آخرون
 بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها اجماع المشركين اذ تواصلوا بالاعراض عن القرآن حتى اذا استمعوا
 له تلا عليهم المؤلف منه حكاه ابن جرير أيضا وهو ضعيف أيضا لانه لو كان كذلك لكان
 ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها بل غالبا ليس كذلك ولو كان كذلك أيضا لانبى
 الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم ان هذه السورة والتي
 تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطايا للمشركين فانتقض ما ذكره بهذه الوجوه. (١)
 وقال آخرون بل انما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لاجاز القرآن وان
 الخاني عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع انه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها
 وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكى القرطبي عن الفراء
 وقيل لم يرد هذا، وقرره الزنخشري في كشفه ونصره أن نصره، واليه ذهب الشيخ الامام العلامة أبو
 العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية

(١) هذه الحكمة

أظهر الحكم وقد
 صورناها وبينناها في
 أول تفسير سورة
 الاعراف بما لا يرد عليه
 نقض المؤلف فليراجع
 ذلك من شاء في الجزء
 الثامن من تفسير المنار
 وكتبه محمد رشيد رضا

قال الزنخشري ولم ترد كما يجزم في أول القرآن وانما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت
 قصص كثيرة وكرر التحدي بالصرح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ص ن ق و حرفين
 مثل (حم) وثلاثة مثل (الم) وأربعة مثل (الم والمص) وخمسة مثل (كبهص وجمعص) لان أساليب
 المص عرف السامع انه قرأ السورة التي افتتحت بالمص وروى عن ابن عباس انها أقسام وقال الاخفش

كلامهم على هذا من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة
لا أكثر من ذلك (قلت) ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن
وبما إيجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء (١) وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى
(الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه) (الم، الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا
لما بين يديه) (المص، كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه) (الر، كتاب أنزلناه اليك لنخرج
الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم) (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين)
(حم، تنزيل من الرحمن الرحيم) (جمسق، كذلك يوحي اليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز
الحكيم) وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب اليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم
وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والهن
والملاحم فقد ادعى ما ليس له، وطار في غير مطاره، وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو
أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن اسحق بن يسار صاحب
المغازي حدثني السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن زباب قال مر أبو
ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة (الم
ذلك الكتاب لا ريب فيه) فأتى أخاه جبي بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد
سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه) فقال أنت سمعته قال نعم
قال فمشى جبي بن أخطب في أولئك النفر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم
يذكر أنك تتلو فيما أنزل الله عليك (الم ذلك الكتاب) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بلى» فقالوا
جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال «نعم» قالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين نبي منهم
ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فنام جبي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الالف واحدة
واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفقد خلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل
مته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره
فقال نعم، قل ماذا؟ قال «المص» قال هذا أثقل وأطول، الالف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون
والصاد تسعون فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: نعم، قال ما ذاك؟ قال
الر. قال هذا أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة.
فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال «نعم» قل ماذا قال «الم» قال هذه أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون
والميم أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما
ندري أقليل أعطيت أم كثيرا. ثم قال قوموا عنه، ثم قال أبو ياسر ل أخيه جبي بن أخطب ولمن معه من

أما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها مباني كتبه المنزلة ومباني أسماؤه الحسنى

(١) هذا حجة
على التخصيص يدفع
بعض إيراديه قبله،
ولكن الاستقراء غير
نام لأن سورة مريم
ليست كذلك وقد
بيننا حكمته في تفسير
المنار

الاحبار ما يدرىكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله احدى وسبعون واحدى وثلاثون ومائة واحدى وثلاثون ومائتان واحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعائة وأربع سنين؟ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون ان هؤلاء الايات نزلت فيهم (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلابي وهو ممن لا يخرج بما انفرد به (١) ثم كان مقتضى هذا المسلك ان كان صحيحا ان يحسب ما لكل حرف من الحروف الاربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وان حسبت مع التكرار فاطم وأعظم والله أعلم

(١) بل هو منهم بالكذب كما صرحوا به

﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾

قال ابن جريج قال ابن عباس ذلك الكتاب أي هذا الكتاب وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبير والسدي ومقاتل بن حيان وزيد ابن أسلم وابن جريج ان ذلك بمعنى هذا والعرب تعارض بين اسمى الإشارة فيستعملون كلامهم ما كان الآخر وهذا معروف في كلامهم وقد حكاه البخاري عن معمر بن المثنى عن أبي عبيدة وقال الزنجشري ذلك إشارة الى (الم) كما قال تعالى (لا فاض ولا بكر عوان بين ذلك) وقال تعالى (ذلكم حكم الله بحكم بينكم) وقال (ذلكم الله) وأمثال ذلك مما اشير به الى ما تقدم ذكره والله أعلم. وقد ذهب بعض المفسرين فيما حكاه القرطبي وغيره ان ذلك إشارة الى القرآن الذي وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بانزاله عليه أو التوراة أو الانجيل أو نحو ذلك في أقوال عشرة. وقد ضعف هذا المذهب كثيرون والله أعلم.

والكتاب القرآن ومن قال: ان المراد بذلك الكتاب الإشارة الى التوراة والانجيل كما حكاه ابن جريج وغيره فقد أبعد النجعة وأغرق في النزاع وتكف ما لا علم له به. والريب الشك قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا ريب فيه) لا شك فيه وقال أبو الدرداء (٢)

(٢) قوله أبو الدرداء اعلم لم يذكر بعد سرد الاسماء مقول النقول ولمسله «مثله» أي مثل ما قبله

قوله ﴿ذلك الكتاب﴾ أي هذا الكتاب وهو القرآن وقيل هذا فيه مضمرة أي هذا ذلك الكتاب قال الفراء كان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق عن كثرة الرد فلما أنزل الله القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أنزله عليك في التوراة والانجيل وعلى لسان النبيين من قبلك، وهذا للتقريب وذلك للتبديد، وقال ابن كيسان: ان الله تعالى أنزل قبل سورة البقرة سورا كذب بها المشركون ثم أنزل سورة البقرة فقال (ذلك الكتاب) يعني ما تقدم البقرة من السور لا شك فيه. والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كما يقال للمخلوق خلق وهذا الدرهم ضرب فلان أي مضر وبه. وأصل الكتب الضم والجمع ويقال للجنود كتبية لاجتماعها وسمي الكتاب كتابا لانه جمع حرف الى أحرف

قوله تعالى ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصديق وقيل هو خبر بمعنى

وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك ونافع مولى ابن عمر وعطاء وأبو العالية والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان والسدي وقتادة واسماعيل بن أبي خالد — وقال ابن أبي حاتم لا أعلم في هذا خلافا. وقد يستعمل الربيب في التهمة قال جميل

بثينة قالت يا جميل أربني فقلت كلانا يابشين مريب

واستعمل أيضا في الحاجة كما قال بعضهم :

قضينا من تهامة كل ريب وخير ثم أجمعنا السيوفا

ومعنى الكلام هنا ان هذا الكتاب هو القرآن لا شك فيه انه نزل من عند الله كما قال تعالى في السجدة (لم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) وقال بعضهم هذا خبر ومعناه النهي أي لا ترتابوا فيه. ومن القراء من يقف على قوله تعالى (لا ريب) وينبذ بقوله تعالى (فيه هدى للمتقين) والوقف على قوله تعالى (لا ريب فيه) أولى للآية التي ذكرناها ولانه يصير قوله تعالى (هدى) صفة للقرآن وذلك أبلغ من كون فيه هدى. وهدى يحتمل من حيث العربية ان يكون مرفوعا على النعت ومنصوبا على الحال وخصت الهداية للمتقين كما قل (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد) وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) الى غير ذلك من الآيات الدالة على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن لانه هو في نفسه هدى ولكن لا يناله الا الابرار كما قال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) وقد قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (هدى للمتقين) يعني نورا للمتقين وقال أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال هدى للمتقين قل هم المؤمنون الذين ينقون الشرك بي ويعملون بطاعتي وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (للمتقين) قال الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به وقال سفيان الثوري عن رجل عن الحسن البصري قوله تعالى للمتقين قل: اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما اقترض عليهم، وقال أبو بكر بن عياش سألتني الاعمش عن المتقين قال فاجبته فقال لي سل عنها الكلبي فسألتها فقال الذين يجتنبون كبائر الانم قل فرجعت الى الاعمش النهي أي لا ترتابوا فيه كقوله تعالى (فلا رفث ولا فسوق) أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ، قرأ ابن كثير فيه بالا شباع في الوصل وكذلك كل هاء كناية قبلها ساكن يشبعها وصلها لم يلقها ساكن ثم ان كان الساكن قبل الهاء ياء يشبعها بالكسرية وان كان غيرها يشبعها بالضم واوا وواقفه حفص في قوله (فيه مهانا) فاشبعه

قوله تعالى (هدى للمتقين) يدغم الغنة عند اللام والراء أبو جعفر وابن كثير وحزمة والكسائي

فقال يرى انه كذلك ولم ينكره . وقل قنادة المتيقن هم الذين نعتهم الله بقوله (الذين يؤمنون بالغيب وقيمون الصلاة) الآية والتي بعدها واختيار ابن جرير ان الآية تعم ذلك كله وهو كما قال . وقد روى الترمذي وابن ماجه من رواية أبي عجيل عبد الله بن عجيل عن عبد الله بن يزيد عن ربيعة ابن يزيد وعطية بن قيس عن عطية السعدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس » ثم قال الترمذي حسن غريب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن عمران عن اسحق بن ساجان يعني الرازي عن المنيرة بن مسلم عن ميمون أبي حمزة قال : كنت جالسا عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف من أصحاب معاذ فقال له شقيق بن سلمة يا أبا عفيف ألا نحدثنا عن ماذا بن جبل قال بلى سمعته يقول يحبس الناس يوم القيامة في بقيع واحد فينادي مناد أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتاج الله منهم ولا يستتر . قلت من المتقون؟ قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان وأخلصوا لله العبادة فيمرون الى الجنة . ويطلق الهدى ويراد به ما يقر في القلب من الايمان وهذا لا يقدر على خلقه في قلوب العباد الا الله عز وجل قال الله تعالى (انك لا تهدي من أحببت) وقال (ليس عليك هدام) وقال (من يضل الله فلا هادي له) وقال (من يهد الله فهو المهتد) ومن يضل فان تجده ويا مرشدا) الى غير ذلك من الآيات ويطلق ويراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والارشاد اليه قال الله تعالى (وانك تهدي لي صراط مستقيم) وقال (انما أنت منذر ولكل قوم هاد) وقال تعالى (واما ثمود فهديناهم فاستغوا لعمري على الهدى) وقال (وهديناها للنجدين) على تفسير من قل المراد بهما الخير والشر وهو الارحاح والله أعلم وأصل التقوى التوقي مما يكره لان أصلها وقوى من الوقاية قل النابعة

سقط النصف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقنا باليد

وقال الآخر : قالقت قناعاته الشمس واتقت باحسن موصولين كف ومعصم

وقد قيل ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له أما سلكت طريقا ذا شوك؟ قال بلى ، قال فما عملت قال شمرت واجتهدت قل فذلك التقوى . وقد أخذ هذا المعنى

ابن المعتز فقال خل الذنوب صنيهرها * وكبيرها ذاك التقى

واصنع ككاش فوق أر * ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة * ان الجبال من الحصى

وأشد أبو الدرداء يوما

يربد المرء أن يؤتى مناه * ويأبى الله الا ما أرا

يقول المرء فائدتى ومالي * وتقوى الله أفضل ما استفاد

وفي سنن ابن ماجه عن أبي أمامة رضي الله عنه قل قل رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما استفاد

المرء بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحه ان نظر اليها سرته ، وان أمرها أطيعته ، وان أقسم عليها

زاد حمزة والكسائي عند الباء وزاد حمزة عند الواو والاخرون لا يدغمونها وبخفي أبو جعفر النون

أبرته، وإن غاب عنها نصيحته في نفسها وماله»

(الذين يؤمنون بالغيب)

قال أبو جعفر الرازي عن العلاء بن المسيب ابن رافع عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله قول الايمان التصديق، وقال علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما يؤمنون يصدقون وقال معمر بن الزهري: الايمان العمل، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس يؤمنون يخشون قال ابن جرير: والاولى ان يكونوا موصوفين بالايمان بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً وقد تدخل الخشية لله في معنى الايمان الذي هو تصديق القول بالعمل، والايمان كلمة جامعة للايمان بالله وكتبه ورسله وتصديق الاقرار بالفعل (قلت) أما الايمان في اللغة فيطابق على التصديق المحض وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك كما قال تعالى (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) وكما قل اخوة يوسف لا بهم (وما أنت بمؤمن لما ولو كنا صادقين) وكذلك اذا استعمل مقروناً مع الاعمال بقوله تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فاما اذا استعمل مطلقاً فالايان الشرعي المطلوب لا يكون الا اعتقاداً وقولاً وعملاً. هكذا ذهب اليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيدة وغير واحد اجماعاً: ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث أفردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري والله الحمد والمنة. ومنهم من فسر بالخشية كقوله تعالى (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) وقوله (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) والخشية خلاصة الايمان والعلم كما قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقال بعضهم يؤمنون بالغيب كما يؤمنون بالشهادة وليسوا كما قل تعالى عن المنافقين (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن) وقال (اذا جاءك المنافقون قلوا انشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله وانما يشهد ان المنافقين لكاذبون) فعلى هذا يكون قوله بالغيب حالاً أى في حال كونهم غيباً عن الناس

وأما الغيب المراد هنا فقد اختلفت عبارات المؤلف فيه وكلمها صحيحة ترجع الى ان الجميع مراد، قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العلاء في قوله تعالى (يؤمنون بالغيب) قال يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وحياته دناره ولفائه يؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث، فهذا غيب كله. وكذا قل قتادة بن دعامة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أما الغيب فمغاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر في القرآن، وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الغيب قال بما جاء منه - يعني من الله تعالى - وقال سفيان الثوري عن عاصم عن زر قال الغيب

والتنوين عند الخاء والغين (هدي المتنقين) أي هو هدى أي رشد وبيان لاهل التقوى، وقيل هو نصب على الحال أي هادياً تقديره لا ريب في هدايته المتنقين. والهدى ما يهتدي به الانسان للمتنقين (١٠ - ابن كثير والبغوي)

القرآن وقال عطاء بن أبي رباح من آمن بالله فقد آمن بالغيب وقال اسمعيل بن أبي خالد يؤمنون بالغيب قال بغيب الاسلام وقال زيد بن اسلم الذين يؤمنون بالغيب قال بالقدر . فكل هذه مقاربة في معنى واحد لان جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الايمان به

وقال سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسا فذكرنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبد الله ان امر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن أحد قط ايمانا أفضل من ايمان بغيب ثم قرأ (الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب — الى قوله — المفاجون) وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طرق عن الاعمش به وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وفي معنى هذا الحديث الذي رواه أحمد حدثنا أبو المغيرة أنا الاوزعي حدثني أسد بن عبد الرحمن عن خالد بن دريك عن ابن محيريز قال قلت لأبي جمعة حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم أحدثك حديثا جيدا : تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال يا رسول الله هل أحد خير منا ؟ أسلمنا معك رجاهدنا معك . قل « نعم قوم من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني » طريق أخرى قل أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا اسمعيل عن عبد الله بن مسعود (١)

«١» كذا في الاصل

حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا معاوية بن صالح عن صالح بن جبير قال قدم علينا أبو جمعة الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بييت المقدس يصلي فيه ومعنا يومئذ رجاء بن حيوة رضي الله عنه فله انصرف خرجنا شيعه فلما أراد الانصراف قال ان لكم جرزة وحقا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا هات رحمك الله قل كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا معاذ بن جبل عاشر ءثره فقلنا يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجرا ؟ آمنا بالله واتبعناك ، قال « ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم بأنبيكم بالوحي من السماء بل قوم بعدكم بأنبيهم كتاب من بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجرا » مرتين — ثم رواه من حديث ضمرة بن ربيعة عن مرزوق بن نافع عن صالح بن جبير عن أبي جمعة بنحوه . وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة التي اختلف فيها أهل الحديث كما قررته في أول شرح البخاري لانه مدحهم على ذلك وذكر انهم أعظم أجرا من هذه الحثية لا مطلقا وكذا الحديث الآخر الذي رواه الحسن بن عرفة العبدي حدثنا اسمعيل بن عياش الحمصي عن المغيرة بن قيس التميمي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الخلق عجب اليكم ايمانا ؟ قالوا الملائكة قال « وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ قالوا فالتببون قال « وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم ؟ قالوا فنحن قل « وما لكم لا تؤمنون أي للمؤمنين . قال ابن عباس : المتقي من بقي الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الانقاء وأصله الحجز بين شيئين ومنه يقال اتقى بترسه أي جعله حاجزا بين نفسه وبين ما يقصده . وفي الحديث

وانا بين أظهركم؟ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا ان أعجب الخلق اليّ إيماننا نقوم يكونون من بعدكم يحدون صحفا فيها كتاب يؤمنون بما فيها » قال أبو حاتم الرازي: المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث (قلت) ولكن قد روى أبو يعلى في مسنده وابن مردويه في تفسيره والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن حميد - وفيه ضعف - عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله أو نحوه وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد روي نحوه عن أنس بن مالك مرفوعا والله أعلم، وقل ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن محمد المسندي حدثنا اسحق بن ادريس أخبرني

« كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم » أي اذا اشتد الحرب جعلناه حاجزا بيننا وبين العدو، فكان المتقي يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عما نهى حاجزا بينه وبين العذاب، قال عمر ابن الخطاب لكعب الاحبار (١) حدثني عن التقوى فقال هل أخذت طريقا ذا شوك قال نعم. قال فما عملت فيه قال حذرت وشمرت: قال كعب: ذلك التقوى وقال شهر بن حوشب: المتقي الذي يترك ما لا بأس به حذرا لما به بأس وقال عمر عبدالعزیز: التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير. وقيل هو الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث « جماع التقوى في قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) الآية وقل ابن عمر: التقوى ان لا ترى نفسك خيرا من أحد. وتخصيص المتقين بالذكر تشريف لهم أولانهم هم المنتفعون بالهدى قوله تعالى ﴿ الذين يؤمنون ﴾ موضع الذين خضع نعتا للمتقين يؤمنون يصدقون ويترك همزة أبو عمرو ورش والآخرين يهزونه وكذلك يترك كل همزة ساكنة هي فاء الفعل نحو يؤمن ومؤمن الا أحرف معدودة. وحقيقة الايمان التصديق بالقلب قال الله تعالى (وما أنت بمؤمن لنا) أي بمصدق لنا وهو في الشريعة الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان فسمى الاقرار والعمل إيماننا لوجه من المناسبة لانه من شرائعه والاسلام هو الخضوع والافتقار فكل إيمان اسلام وليس كل اسلام إيماننا اذا لم يكن معه تصديق قال الله تعالى (قات الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) وذلك لان الرجل قد يكون مستسلما في الظاهر غير مصدق في الباطن ويكون مصدقا في الباطن غير منقاد في الظاهر وقد اختلف جواب النبي صلى الله عليه وسلم عنهما حين سأله جبريل عليه السلام وهو ما أخبرنا

أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يويه الزرادي البخاري: أنا أبو القاسم علي بن احمد الخزاعي ثنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشامي ثنا أبو أحمد عيسى بن احمد العسقلاني أنا يزيد بن هرون أنا كهمس ابن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال كان أول من تكلم في القدر يعني بالبصرة معبد الجهني فخرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن نريد مكة فقلنا لو لقينا أحدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء فلقينا عبد الله بن عمر فاكتفينا أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والاخر عن شماله فعلت انه سيكل الكلام الي فقلت: أبا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا أناس يتقنون هذا العلم ويطلبونه يزعمون ان لا قدر انما الامر أنف قال فاذا لقيت أولئك فاخبرهم اني منهم بريء

(١) هذا في جميع
النسخ وفي ابن كثير
الا المسؤل هو أبي بن
كعب لا كعب الاحبار

وكذا في (١)
في نسخة (٢)
في نسخة

ابراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الانصاري أخبرني جعفر بن محمود عن جده بديلة بنت أسلم قالت صليت الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة فاستقبلنا مسجد ايلياء فصلينا سجدتين ثم جاءنا من يخبرنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت الحرام فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام قال ابراهيم فحدثني رجال من بني حارثة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك قال «أولئك قوم آمنوا بالغيب» هذا حديث غريب من هذا الوجه

وانهم مني براء والذي نفسي بيده لو أن لاحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبل الله منه شيئاً حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ثم قال حدثنا عمر بن الخطاب قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقبل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فاقبل حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبته تمس وكتبته فقل يا محمد أخبرني عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام (١) تشهد ان لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلاً فنال صدقت فتمجينا من سؤاله وتصديقه . ثم قال فما الايمان قال ان تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت والجنة والنار والقدر خيره وشره فقال صدقت ثم قال فما الاحسان قال ان تعبد الله كأنك تراه فانه يراك قال صدقت ثم قال فاعبرني عن الساعة فقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال صدقت قال فاعبرني عن أمارتها قال ان تلد الأمة ربها وان ترى الحناء العراء عراة النساء يتناولون في بنيان المدر قال صدقت ثم انطلق فلما كان بعد ثلاثة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر هل تدري من الرجل قال قلت الله ورسوله أعلم قال ذلك جبرئيل أناكم يعلمكم أمر دينكم وما أتاني في صورة الا عرفته فيها الا في صورته هذه قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم جمل الاسلام في هذا الحديث اجماعاً لما ظهر من الاعمال والايمان اجماعاً لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لان الاعمال ليست من الايمان والتصديق بالقلب ليس من الاسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماها الدين ولذلك قال ذلك جبرائيل أناكم يعلمكم دينكم والدليل على ان الاعمال من الايمان ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح عن أبي القاسم ابراهيم بن محمد بن علي بن الشاء ثابراً أحمد بن محمد بن قريش بن سليمان ثنا بشير بن موسى ثنا خلف ابن الوليد عن جرير الرازي عن سهيل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضعة وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله الا الله وأدناها إمطة الاذى عن الطريق والحياة شعبة من الايمان والايمان مأخوذ من الايمان فسمى المؤمن مؤمناً لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والله تعالى مؤمن لانه يؤمن العباد من عذابه قوله (بالغيب) والغيب

(١) ن الاسلام

أن تشهد

(٢) ن بحذف

فأنك

﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾

قال ابن عباس ويقيمون الصلاة أي يقيمون الصلاة بفروضها وقول الضحاك عن ابن عباس إقامة الصلاة تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها فيها ، وقال قتادة إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهذا إقامتها بها وتتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهذا إقامتها وقال علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس (ومما رزقناهم ينفقون) قال زكاة أموالهم ، وقال السدي عن أبي مالك وعمر أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومما رزقناهم ينفقون) قال نفقة الرجل على أهله وهذا قبل أن تنزل الزكاة وقال جويبر عن الضحاك كانت النفقات قربانا يتقربون بها إلى الله على قدر ميسرتهم وجدهم حتى نزلت فرائض الصدقات سبع آيات في سورة براءة مما يذكر فيهن الصدقات هن النسيئات اثنتان وقال قتادة (ومما رزقناهم ينفقون) فأنفقوا مما أعطاكم الله ، هذه الأموال عوار ودائع عندك يا بن آدم يرشك أن تفارقها .

واختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات فإنه قل وأولى التأويلات وأصحها بصفة القوم أن يكونوا لجميع اللازم لهم في أموالهم مؤدين - زكاة كانت ذلك أو نفقة من لزمته نفقته من أهل أو مصدر وضع موضع الاسم فقبل للثائب غيب كما قبل للعادل عدل وللازور زور والغيب ما كان مغيبا عن العيون قل ابن عباس الغيب ههنا كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراف والميزان وقيل الغيب ههنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقال الحسن الآخرة قال زر بن حبیش وابن جريج الوحي نظيره (أعنده علم الغيب) وقال ابن كيسان بالنذر وقال عبد الرحمن بن يزيد كذا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقوا به فقل عبد الله أن أمر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بنيب ثم قرأ (ألم ذلك الكتاب - إلى قوله - المفلحون) قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وورش يؤمنون بترك الهمة وكذلك يترك أبو جعفر كل همزة ساكنة إلا في أنبيئهم وينبئهم وينبأهم ويترك أبو عمرو كلها إلا أن يكون علامة للجزم نحو نبئهم وأنبيئهم وتسوؤهم وتسوؤكم وإن نشأها ونشأها ونحوها أو يكون خروجا من لغة إلى أخرى نحو مؤصدة ورثيا ويترك ورش كل همزة ساكنة كانت فاء الفعل إلا تؤوى وتؤويه ولا يترك من غير الفعل إلا الرؤيا وبابه إلا ما كان على وزن فَعَلَ

قوله (ويقيمون الصلاة) أي يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بمحودوها ، وأركانها وهيئاتها يقال قام بالامر ، وأقام الامر إذا أتى به معطيا حقوقه والمراد بها الصلوات الخمس ذكر بلفظ الواحد كقوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق يعني الكتب والصلاة

عيال وغيرهم ممن يجب عليهم نفقته بالقرابة والملك وغير ذلك لان الله تعالى عم وصفهم ومدحهم بذلك وكل من الانفاق والزكاة ممدوح به محمود عليه (قلت) كثيرا ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والانفاق من الاموال فان الصلاة حق الله وعبادته وهي مشتملة على توحيده والثناء عليه وتمجيده والابتهاال اليه ودعائه والتوكل عليه، والانفاق هو من الاحسان الى المخلوقين بالنفع المتعمد اليهم، وأولى الناس بذلك القربات والاهلون والماليك، ثم الاجانب فكل من النفقات الواجبة والزكاة المفروضة داخل في قوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون) ولهذا ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «نبي الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت» والاحاديث في هذا كثيرة وأصل الصلاة في كلام العرب الدعاء . قال الاعشى

لها حارس لا يبرح الدهر بيتها * وان ذبحت صلى عليها وزمزا
وقال أيضا: وقابلها الريح في دنها * وصلى على دنها وارسم
أنشدها ابن جرير مستشهدا على ذلك . وقال الآخر وهو الاعشى أيضا
تقول بنتي وقد قربت مرتحلا * يارب جنب أبي الاوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي * نوما فان لجنب المرء مضطجعا

يقول عليك من الدعاء مثل الذي دعيت له لي . وهذا ظاهر ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود والافعال المخصوصة في الاوقات المخصوصة بشروطها المعروفة وصفاتها وانواعها المشهورة . قال ابن جرير وأرى ان الصلاة سميت صلاة لان المصلي يتعرض لاستنجاح طلبه من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه من حاجاته وقيل هي مشتقة من الصلوة اذا تحركا في الصلاة عند الركوع والسجود وهما عرقان يمتدان من الظهر حتى يكتنفان عجب الذنب ومنه سمي المصلي وهو التالي للسابق في حلبة الخيل، وفيه نظر . وقيل هي مشتقة من الصلى وهو الملازمة للشيء من قوله تعالى (لا يصلاها) أي لا يلزمها ويدوم فيها (الا الا شق) وقيل مشتقة من تصلية الخشبة في النار لنقوم كما ان المصلي يقوم عوجه بالصلاة (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) واشتقاقها من

في اللغة الدعاء قال الله تعالى (فصل عليهم) أي ادع لهم، وفي الشريعة اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء وقيل في قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي) الآية ان الصلاة من الله في هذه الآية الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء قوله (ومما رزقناهم) أي أعطيناهم والرزق اسم لكل ما ينفع به حتى الولد والعبد وأصله في اللغة الحظ والنصيب (ينفقون) يتصدقون قال قتادة ينفقون في سبيل الله وطاعته وأصل الانفاق الاخراج عن اليد والملك ومنه نفق السوق لانه يخرج فيه السلعة عن اليد ومنه نفقت الدابة اذا خرجت روحها فهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب

الدعاء أصح وأشهر والله أعلم
وأما الزكاة فسيأتي الكلام عليها في موضعه ان شاء الله تعالى

(والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون)

قال ابن عباس والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك أي يصدقون بما جئت به من الله وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جاءهم به من ربهم وبالأخرة هم يوقنون أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان وأما سميت الآخرة لأنها بعد الدنيا وقد اختلف المفسرون في الموصوفين هنا، هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) ومنهم على ثلاثة أقوال حكاه ابن جرير أحدها ان الموصوفين أولاهم الموصوفون ثانيا وهم كل مؤمن ومؤمنة والعرب ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم قاله مجاهد وأبو العالية والربيع بن انس وقتادة، والثاني هما واحد وهم مؤمنو أهل الكتاب وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات كما قال تعالى (سبح اسم ربك الأعلى الذي خالق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء احوى) وكما قل الشاعر

إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكنيبة في المزدحم

فعطف الصفات بعضها على بعض والموصوف واحد والثالث ان الموصوفين أولا مؤمنو العرب والموصوفون ثانيا بقوله (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون) لمؤمني أهل الكتاب نقله السدي في تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة واختاره ابن جرير رحمه الله ويستشهد لما قل قوله تعالى (وان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل اليك وما أنزل اليهم خاشعين لله) الآية وبقوله تعالى (الذين آتيناكم الكتاب من قبلك هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبلك مسلمين أولئك يؤتوا أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون) وبما ثبت في الصحيحين من حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل «ثلاثة يؤتوا أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه ورجل أدب جاريته فاحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها» وأما ابن جرير فما استشهد على صحة ما قل الا بمناسبة وهي ان الله

قوله (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) يعني القرآن ﴿وما أنزل من قبلك﴾ من التوراة والانجيل وسائر الكتب المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام. وبترك أبو جعفر وابن كثير وقالون وأهل البصرة ويعقوب كل مد يقع بين كل كلمتين والآخرين يمدونها وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتب قوله ﴿وبالأخرة﴾ أي بالدار الآخرة سميت الدنيا دنيا لدنوها من الآخرة وسميت الآخرة آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا ﴿هم يوقنون﴾ أي يستيقنون انها كائنة من الايقان وهو العلم وقيل الايقان واليقين علم عن استدلال ولله لا يسبح الله وقنا ولا علمه يقينا إذ ليس علمه عن استدلال

وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين فكما أنه صنف الكافرين إلى صنفين كافر ومنافق فكذلك المؤمنون صنفهم إلى صنفين عربي وكتابي (قلت) والظاهر قول مجاهد فيما رواه الثوري عن رجل عن مجاهد ورواه غير واحد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: أربع آيات من أول سورة البقرة في نعت المؤمنين وآياتان في نعت الكافرين وثلاثة عشر في المنافقين فهذه الآيات الأربع علامات في كل مؤمن اتصف بها من عربي وعجمي وكتابي من انسي وجني وليس نصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى بل كل واحدة مستلزمة للأخرى وشرط معها فلا يصح الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من قبله من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والإيمان بالآخرة كما أن هذا لا يصح إلا بهذا ونداء الله المؤمنين بذلك كما قال (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتب التي أنزل من قبل) الآية وقال تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب لا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلينا واليه المرجع واليه المآل) (يا أيها الذين آمنوا اتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم) وقال تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) وأخبر تعالى عن المؤمنين كلهم بذلك فقال تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله ولأنكته وكتبه ورسوله لا فرق بين أحد من رسله) وقال تعالى (والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على جميع أمر المؤمنين بالإيمان بالله ورسوله وكتبه لكن لما في أهل الكتاب خصوصية وذلك أنهم يؤمنون بما بأيديهم مفصلا فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا به مفصلا كان لهم على ذلك الأجر مرتين وأما غيرهم فأنما يحصل له الإيمان بما تقدم مجمل كما جاء في الصحيح «إذا حركتم أهل الكتاب فلا تكذبوهم ولا تصدقوهم ولكن قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم» ولكن قد يكون إيمان كثير من العرب بالإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم أتم وأكمل وأعم وأشمل من إيمان من دخل منهم في الإسلام فهم وإن حصل لهم أجران من تلك الحثية فغيرهم يحصل له من التصديق ما ينصف ثوابه على الأجرين الذين حصلوا لهم والله أعلم

﴿اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون﴾

بقول الله تعالى (اولئك) أي المتصفون بما تقدم من الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والانفاق

قوله (اولئك) أي أهل هذه الصفة وأولاء كلمة معناها والكناية عن جماعة نحوهم والكاف الخطاب كما في حرف ذلك (على هدى) أي رشد وبيان وبصيرة (من ربهم واولئك هم المفلحون) النابغين والفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النار ويكون الفلاح بمعنى البقاء أي باقون في النعيم المقيم وأصل الفلاح القطع والشق ومنه سمي الزراع فلاح لأنه يشق الأرض وفي مثل: الحديد بالحديد يفلح

من الذي رزقهم الله والايمان بما أنزل الى الرسول ومن قبله من الرسل والايقان بالدار الآخرة وهو مستلزم الاستعداد لهامن الأعمال الصالحة وترك المحرمات (على هدى) أي على نور وبيان وبصيرة من الله تعالى (وأولئك هم المفلحون) أي في الدنيا والآخرة ، رقل محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (أولئك على هدى من ربهم) أي على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم به (وأولئك هم المفلحون) أي الذين ادركوا ما طلبوا ، ونجوا من شر ما منه هربوا ، وقال ابن جرير وأمامني قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم) فإن معنى ذلك فانهم على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد بتسديده إياهم وتوفيقه لهم وتأويل قوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) أي المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله من الفوز بالثواب ، والخلود في الجات والنجاة مما أعد الله لأعدائه من العقاب . وقد حكى ابن جرير قولاً عن بعضهم أنه أعاد اسم الإشارة في قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) الى مؤمني أهل الكتاب الموصوفين بقوله تعالى (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) الآية على ما تقدم من الخلاف . وعلي هذا فيجوز (١) أن يكون قوله تعالى (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) منقطعاً مما قبله وإن يكون مرفوعاً على الابتداء وخبره (أولئك هم المفلحون) واختار أنه عائد الى جميع من تقدم ذكره من مؤمني العرب وأهل الكتاب لما رواه السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن موهود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما الذين يؤمنون بالغيب فهم المؤمنون من العرب والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك هم المؤمنون من أهل الكتاب ثم جمع الفريقين فقال (أولئك على هدى من ربهم) وأولئك هم المفلحون وقد تقدم من الترجيح أن ذلك صفة للمؤمنين عامة والإشارة عائدة عليهم والله أعلم

(١) كذا
والقياس يجوز لأن
ما بعد الفاء لا يعمل
فيما قبلها

وقد نقل عن مجاهد وأبي العالية والربيع بن أنس وقتادة رحمهم الله (٢) رقل ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة حدثني عبيد الله بن المغيرة عن أبي الهيثم واسمه سليمان بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل له يارسول الله انا نقرأ من القرآن فترجو ونقرأ من القرآن فنكاد أن نياس أو كما قال قال «أفلا أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار قالوا بلى يارسول الله قال (لم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) الى — قوله تعالى — المفلحون» هؤلاء أهل الجنة قالوا انا نرجو أن نكون هؤلاء ثم قال (إن الذين كفروا سواء عليهم الى قوله عظيم) هؤلاء أهل النار قالوا لستاهم يارسول الله . قال : أجل

(٢) ان الذين كفروا سواء عليهم أن أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون

يقول تعالى (ان الذين كفروا) اي غطوا الحق وستروه وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك

أي يشق فهم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة قوله (ان الذين كفروا) يعني مشركي العرب قال الكلبي

سواء عليهم انذارك وعدمه فانهم لا يؤمنون بما جئتهم به . كما نال تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) وقال تعالى في حق المعاندين من اهل الكتاب (ولئن اتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك) الآية أي ان من كتب الله عليه الشقاوة فلا مسعد له ومن أضله فلا هادي له فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وبلغهم الرسالة فن استجاب لك فله الحظ الاوفر ومن تولى فلا تحزن عليهم ولا يهمنك ذلك (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) إنما انت نذير والله على كل شيء وكيل (وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (ان الذين كفروا سوا عليهم أنذارهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحصر ان يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فآخبره الله تعالى انه لا يؤمن الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاوة في الذكر الاول ، وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة او سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (ان الذين كفروا) أي بما أنزل اليك وان قالوا انا قد آمننا بما جاءنا قبلك (سواء عليهم أنذارهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي أنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق وقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك فكيف يسمعون منك انذارا وتحذيرا وقد كفروا بما عندهم من علمك ، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال نزلت هاتان الآيتان في قادة الاحزاب وهم الذين قال الله فيهم (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا

يعني اليهود والكفر هو الجحود وأصله من الستر ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته وسمى الزراع كافرا لانه يستر الحب بالتراب فالكافر يستر الحق بجحوده . والكفر على أربعة انحاء كفر انكار وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق فكفر الانكار هو ان لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به وكفر به وكفر الجحود هو ان يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر اليس وكفر اليهود قال الله تعالى (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) وكفر العناد هو ان يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمعا بذلك مينا

وأما كفر النفاق فهو ان يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الانواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له قوله (سواء عليهم) متساو لديهم (أنذارتهم) خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف وتحذير فكل منذر معلم وليس كل معلم منذر وحقق ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي المهمزتين في أنذارتهم وكذلك كل همزتين تقيمان في أول الكلمة والآخرين يليزون الثانية (أم) حرف عطف على الاستفهام (لم) حرف جزم لا يلي الفعل لان الجزم يختص بالافعال (تنذرهم لا يؤمنون) وهذه الآية في اقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله ثم ذكر سبب تركهم

قومهم دار البوار * جهنم يصلونها) والمعنى الذي ذكرناه أولا وهو المروي عن ابن عباس في رواية على ابن أبي طلحة أظهر ويفسر ببقية الآيات التي في معناها والله أعلم وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا فقال حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة حدثني عبد الله بن المغيرة عن أبي الهيثم عن عبد الله بن عمرو قال قيل يا رسول الله انا نقرأ من القرآن فخرجوا ونقرأ فنكاد أن نياس فقال «ألا أخبركم» ثم قال (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) هؤلاء أهل النار قالوا لسنا منهم يا رسول الله قال «أجل» وقوله تعالى (لا يؤمنون) محله من الاعراب انه جملة مؤكدة للتي قبلها (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أي هم كفار في كلا الحالين فلماذا أكد ذلك بقوله تعالى (لا يؤمنون) ويحتمل أن يكون لا يؤمنون خبرا لان تقديره ان الذين كفروا لا يؤمنون ويكون قوله تعالى (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) جملة معترضة والله أعلم

﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ قال السدي ختم الله أي طبع الله وقال قتادة في هذه الآية استحوذ عليهم الشيطان اذا أطاعوه ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون وقال ابن جريج قال مجاهد ختم الله على قلوبهم قال الطبع ثبتت الذنوب على القلب فغفت به من كل نواحيه حتى تلتقي عليه فالتقاؤها عليه الطبع والطبع الختم. قال ابن جريج الختم على القلب والسمع قال ابن جريج وحدثني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول: الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الاقفال، والاقفال أشد من ذلك كله وقال الاعمش أرانا مجاهد بيده فقال كانوا يرون أن القلب في مثل هذه يعنى الكف فاذا أذنبت العبد ذنبا ضم منه وقال باصبعه الخنصر هكذا فاذا أذنبت ضم وقال باصبع أخرى فاذا أذنبت ضم وقال باصبع أخرى هكذا حتى ضم أصابعه كلها ثم قل يطبع عليه بطابع، وقال مجاهد كانوا يرون ان ذلك الرين، ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن الاعمش عن مجاهد بنحوه، قال ابن جرير وقال بعضهم انما معنى قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم

الايان فقال ﴿ختم الله﴾ أي طبع الله ﴿على قلوبهم﴾ فلا تعي خيرا ولا تفهم حقيقة الختم الاستباق من الشيء. كيلا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه ما فيه ومنه الختم على الباب قال أهل السنة أي حكم على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الا زلي فيهم وقل المتمثلة جمل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها ﴿وعلى سمعهم﴾ أي على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به وأراد على أجمعهم كما قال على قلوبهم وانما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع (وعلى أبصارهم غشاوة) هذا ابتداء كلام غشاوة أي غطاء فلا يرون الحق وقرأ أبو عمرو والكسائي أبصارهم بالامالة وكذلك كل ألف بعدها راء مجرورة في الاسماء كانت لام الفعل عيلا لها وبميل حمزة منها ما يكرر فيه الراء كالقرار ونحوه

أخبار من الله عن تكبرهم واعراضهم عن الاستماع لما دعوا اليه من الحق كما يقل ان فلانا أصم عن هذا الكلام اذا امتنع من سماعه ورفع نفسه عن تفهمه تكبرا قال وهذا لا يصح لان الله تعالى قد أخبر انه هو الذي ختم على قلوبهم واسماهم (قات) وقد اطنب لزنخشري في تقرير مارد ابن جرير ههنا وتأول الآية من خمسة أوجه وكلها ضيقة جدا وما جرأه على ذلك الا اعتزاله لان الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق اليها قبيح عنده يتعالى الله عنه في اعتقاده ولو فهم قوله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقوله (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على انه تعالى انما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفاقا على تماديهم في الباطل وتركهم الحق وهذا عدل منه تعالى حسن وليس بقبيح فلو أحاط علما بهذا لما قال ما قال والله أعلم

قال القرطبي وأجمعت الامة على ان الله عز وجل قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم كما قال (بل طبع الله عليها بكفرهم) وذكر حديث تقليب القلوب «ويامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك» وذكر حديث حذيفة الذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فاي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة ما دامت السموات والارض، ولا خير اسود مر بادا كالكوز بجحيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا» الحديث قال ابن جرير والحق عندي في ذلك ماصح بنظيره الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا به محمد بن بشار حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ابن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستعجب صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي قال الله تعالى (كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون) هذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة والليث بن سعد وابن ماجه عن هشام بن عمار عن حاتم بن اسماعيل والوليد بن مسلم ثلاثهم عن محمد بن عجلان به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال ابن جرير فآخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذنوب اذا تابعت على القلوب أغلقتها واذا أغلقتها أغلقتها فآخبر

زاد الكسائي امالة جبار بن الجوار والجار وماواكم ومن أنصاري ونسارع وبابه وكذلك يعيل هؤلاء كل ألف بمنزلة لام الفعل أو كانت علما لتأنيث اذا كان قبلها راء فعلم اتأنيث مثل الكبرى والآخرى ولام الفعل مثل ترى واقتري يكسرون الراء منها

﴿ولهم عذاب عظيم﴾ أي في الآخرة وقيل القتل والاسر في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى والعذاب كل ما يمتنى الانسان ويشق عليه قال الخليل العذاب ما يمنع الانسان عن مراده ومنه الماء

الختم من قبل الله تعالى والطبع فلا يكون للإيمان اليها مساك، ولا للكفر عنها مخلص، فذلك هو الختم والطبع الذي ذكر في قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) نظير الختم والطبع على ما تدركه الابصار من الاوعية والظروف التي لا يوصل الى ما فيها الا بفض ذلك عنها ثم حلها فكذلك لا يصل الإيمان الى قلوب من وصف الله انه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم الا بعد فض خاتمته وحله رباطه عنها واعلم ان الوقف التام على قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) وقوله (وعلى أبصارهم غشاوة) جملة تامة فان الطبع يكون على القلب وعلى السمع، والغشاوة وهي الغطاء يكون على البصر كما قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم يقول فلا يعقاون ولا يسمعون يقول وجعل على أبصارهم غشاوة يقول على أعينهم فلا يبصرون وقال ابن جرير حدثني محمد بن سعد حدثنا أبي حدثني عمي الحسين بن الحسن عن أبيه عن جده عن ابن عباس ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم والغشاوة على أبصارهم قال وحدثنا القاسم حدثنا الحسين يعني ابن داود وهو سنيد حدثني حجاج وهو ابن محمد الاعو حدثني ابن جريج قال: الختم على القلب والسمع والغشاوة على البصر قال الله تعالى (فان يشأ الله يختم على قلبك) وقال (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) قال ابن جرير ومن نصب غشاوة من قوله تعالى وعلى أبصارهم غشاوة يحتمل انه نصبها باضمار فعل تقديره وجعل على أبصارهم غشاوة ويحتمل ان يكون نصبها على الاتباع على محل وعلى سمعهم كقوله تعالى (وحور عين) وقول الشاعر:

علمتها تبنا ماء باردا حتى شئت همالة عيناها

وقال الآخر:

ورأيت زوجك في الوغى متقلا سيفا ورمحا

تقديره وسقيتها ماء باردا ومعتقلا رمحا لما تقدم وصف المؤمنين في صدر السورة بآيات ثم عرف حال الكافرين بهاتين الآيتين شرع تعالى في بيان حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ولما كان أمرهم يشبه على كثير من الناس أطنب في ذكرهم بصفات متعددة كل منها نفاق كما أنزل سريرة براءة فيهم وسورة المنافقين فيهم وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور تعريفا لحوالهم لتجنب وتجنب من تلبس بها أيضا فقال تعالى

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين

آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون)

النفاق هو اظهار الخير واسرار الشر وهو أنواع. اعتقادي وهو الذي يخلد صاحبه في النار وعلى

العذب لانه يمنع العطش قوله ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي

وهو من أكبر الذنوب كما سيأتي تفصيله في موضعه ان شاء الله تعالى وهذا كما قال ابن جرير: يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه، وانما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية لان مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه من الناس من كان يظهر الكفر مستكرها وهو في الباطن مؤمن فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان بها الانصار من الاوس والخزرج وكانوا في جاهليتهم يعبدون الاصنام على طريقة مشركي العرب (١) وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة اسلافهم وكانوا ثلاث قبائل بنو قينقاع حلفاء الخزرج وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الاوس فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم من أسلم من الانصار من قبيلتي الاوس والخزرج وقل من أسلم من اليهود الا عبد الله بن سلام رضى الله عنه ولم يكن اذ ذاك نفاق أيضا لانه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف بل قد كان عليه الصلاة والسلام وادع اليهود وقبائل كثيرة من احياء العرب حوالي المدينة فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كلمته وأعز الاسلام وأهله قال عبد الله بن أبي بن سلول وكان راسا في المدينة وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين في الجاهلية وكانوا قد عزموا على ان يملكوه عليهم فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه فبقي في نفسه من الاسلام وأهله فلما كانت وقعة بدر قال هذا أمر قد توجه فاطهر الدخول في الاسلام ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته وآخرون من أهل الكتاب فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الاعراب. فاما المهاجرون فلم يكن فيهم أحديهاجر مكرها بل بهاجر فيترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة. قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) يعني المنافقين من الاوس والخزرج ومن كان على أمرهم وكذا فسرهما بالمنافقين من الارس والخزرج أبو العالية والحسن وقتادة والسدي ولهذا نبه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ومن اعتقاد ايمانهم وهم كفار في نفس الامر وهذا من المحذورات الكبار ان يظن بأهل الفجور خير فقال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا

(١) كذا الوجه
ان يقال سائر العرب
لانهم منهم أو يقال
مشركي مكة

ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم حيث أظهروا كلمة الاسلام ليسلموا من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واعتقدوا خلافها وأكثرهم من اليهود والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسى كما قال الله تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فذنب) وقبل لظهوره من قورهم آتست أي أبصرت وقيل لانه يستأنس به ﴿وباليوم الآخر﴾ أي بيوم القيامة قال الله تعالى ﴿وما هم بمؤمنين يخادعون الله﴾ أي يخالفون الله وأصل الخداع في الائمة الاخفاء ومنه الخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع فالخداع يظهر خلاف ما يضرر والخدع من الله في قوله (وهو خادعهم) أي يظهر لهم ويعجل لهم من النعيم في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة وقيل أصل الخدع الفساد معناه يفسدون ما أظهروا من الايمان بما اظهروا من الكفر وقوله (وهو خادعهم) أي يفسد عليهم نعيمهم في

بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) أي يقولون ذلك قولاً ليس وراءه شيء آخر كما قال تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله) أي انما يقولون ذلك اذا جاءوك فقط لا في نفس الامر ولهذا يؤكدون في الشهادة بان ولام التأكيدي في خبرها . أ كدوا أمرهم قالوا آمنا بالله وباليوم الآخر وليس الامر كذلك كما كذبهم الله في شهادتهم وفي خبرهم هذا بالنسبة الى اعتقادهم بقوله تعالى (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) وبقوله (وما هم بمؤمنين)

وقوله تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا) أي باظهارهم ما أظهره من الايمان مع اسرارهم الكفر يعتقدون بمجهلهم انهم يخادعون الله بذلك وان ذاك نافعهم عنده وانه يروج عليه كما قد يروج على بعض المؤمنين كما قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء) الا انهم هم الكاذبون (ولهذا قابهم على اعتقادهم ذلك بقوله (وما يخادعون الا أنفسهم وما يشعرون) يقول وما يغترون بصنيعهم هذا ولا يخادعون الا أنفسهم وما يشعرون بذلك من أنفسهم كما قال تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) ومن القراء من قرأ (وما يخادعون الا أنفسهم) وكلا القراءتين ترجع الى معنى واحد . قال ابن جرير فان قال قائل كيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعاً وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد الاثنية ؟ قيل لا تمتنع العرب أن تسمي من أعطى بلسانه غير الذي في ضميره ثقية لينجو مما هو له خائف مخادعاً فكذلك المنافق ضعي مخادعاً لله وللمؤمنين باظهاره ما أظهره بلسانه ثقية بما يخلص به من القتل والسبي والعذاب العاجل وهو لغير ما أظهره مستبطن وذلك من فعله وإن كان خداعاً للمؤمنين في عاجل الدنيا فهو لنفسه بذلك من فعله خادع، لانه يظهر لها بفعله ذلك بها انه يعطيها أمنيته، ويسقيها كأس سرورها، وهو موردها حياض عطباء، ومجرعها به كأس عذابها، ومزبرها من غضب الله وأبم عقابه ما لا قبل لها به، فذلك خديعته نفسه ظناً منه مع اساءته اليها في أمر معادها انه اليها محسن كما قال تعالى (وما يخادعون الا أنفسهم وما يشعرون) اعلاماً منه عباده المؤمنين ان المذنبين باسائتهم الى أنفسهم في اسخاطهم عليها ربهم بكفرهم وشكهم وتكذيبهم

الدنيا بما يصيرهم اليه من عذاب الآخرة فان قيل ما معنى قوله (يخادعون الله) والمفاعلة للمشاركة وقد جل الله تعالى عن المشاركة في الخدعة ؟ قيل قد ترد المفاعلة لاعلى معنى المشاركة كقولك عافاك الله وعافيت فلانا وطارقت النعل . وقال الحسن معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله أى أولياء الله وقيل ذكر الله همنا تحسين والقصد بالخدعة الذين آمنوا كقولهم تعالى (فان لله خمسة وللرسول) وقيل معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع في دينهم ﴿ والذين آمنوا ﴾ أى ويخادعون المؤمنين بقولهم اذا رأوهم آمنوا وهم غير مؤمنين (وما يخادعون) قرأ ابن كثير وزعم وأبو عمرو (وما يخادعون) كالحرف الاول وجعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد وقرأ الباقون وما يخادعون على الاصل ﴿ الا أنفسهم ﴾ لان وبال خداعهم راجع اليهم لان الله يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى ﴿ وما يشعرون ﴾ أي

غير شاعرين ولا دارين، وليكنهم على عمن أمرهم مقيمين. وقال ابن أبي حاتم أنه ناعلي بن المبارك فيما كتب اليّ حدثنا زيد بن المبارك حدثنا محمد بن نور عن ابن جريج في قوله تعالى يخادعون الله قال يظهرون لا إله الا الله يريدون ان يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم وفي أنفسهم غير ذلك. وقول سعيد عن قتادة (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا أنفسهم وما يشعرون) نعت المنافق عند كثير خنع الاخلاق يصدق بلسانه وينكر بقلبه وبخلاف بعمله يصبح على حال ويمسي على غيره ويمسي على حال ويصبح على غيره ويتكفأ تكفأ السفينة كلما هبت ريح هبت معها

(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)

قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية (في قلوبهم مرض) قل شك فزادهم الله مرضا قال شكا. وقال ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس في قلوبهم مرض قال شك. وكذلك قل مجاهد وعكرمة والحسن البصري وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة. وعن عكرمة وطاوس في قلوبهم مرض يعني الرياء. وقال الضحاك عن ابن عباس في قلوبهم مرض قال نفاق فزادهم الله مرضا قال نفاقا وهذا كالاول. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قلوبهم مرض قال هذا مرض في الدين وليس مرضا في الاجساد وهم المنافقون والمرض الشك الذي دخلهم في الاسلام فزادهم الله مرضا قال زادهم رجسا، وقرأ (فاما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون) واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم). قال شرا الى شرهم وضلالة الى ضلالتهم، وهذا الذي قاله عبد الرحمن رحمه الله حسن وهو الجزء من جنس العمل وكذلك قاله الاولون وهو نظير قوله تعالى أيضا (والذين ائتموا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقوله (بما كانوا يكذبون) وقرئ يكذبون وقد كانوا متصنفين بهذا وهذا فانهم كانوا كذبة ويكذبون بالغيب يجمعون بين هذا وهذا. وقد سئل القرطبي وغيره من المفسرين عن حكمة كفه عليه الصلاة والسلام عن قتل المنافقين مع علمه باعيان بعضهم وذكروا أجوبة عن ذلك منها ما ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه «أكره أن يتحدث العرب ان محمداً يقتل أصحابه» ومعنى هذا خشية لا يعلمون انهم يخدعون أنفسهم وان وبال خداعهم يعود عليهم (في قلوبهم مرض) شك ونفاق وأصل المرض الضعف سمي الشك في الدين مرضا لأنه يضمف الدين كالمريض يضعف البدن (فزادهم الله مرضا) لان الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية كلما كفروا بآية ازدادوا كفرا ونفاقا وذلك معنى قوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم قرأ ابن عامر وحزرة فزادهم بالامالة وزاد حمزة امالة زاد حيث وقع وزاغ رخاب وطاب وحق وضاق والآخرون لا يعلمونها (ولهم عذاب أليم)

ان يقع بسبب ذلك تغير لكثير من الاعراب عن الدخول في الاسلام ولا يعلمون حكمة قتله لهم وان قتله اياهم انما هو على الكفر فانهم انما يأخذونه بمجرد ما يظهر لهم فيقولون ان محمد يقتل أصحابه . قال القرطبي وهذا قول علمائنا وغيرهم كما كان يعطي المؤلفة مع علمه بسوء اعتقادهم . قال ابن عطية وهي طريقة أصحاب مالك نص عليه محمد بن الجهم والفاضل اسمعيل والابهرى وعن ابن الماجشون (١) ومنها ما قل مالك انما كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين ليبين لامته ان الحاكم لا يحكم بعلمه قال القرطبي : وقد تفق العلماء عن بكرة أبيهم على ان الفاضل لا يقتل بعلمه وان اختلفوا في سائر الاحكام قل : ومنها ما قال الشافعي انما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الاسلام مع العلم بنفاقهم لان ما يظهرونه يجب ما قبله . ويؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المجمع على صحته في الصحيحين وغيرهما «أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الابحثة وحسابهم على الله عز وجل» ومعنى هذا ان من قالها جرت عليه أحكام الاسلام ظاهرا فان كان يعتقدها وجد ثواب ذلك في الدار الآخرة وان لم يعتقدها لم ينفعه جريان الحكم عليه في الدنيا وكونه كان خليط أهل الايمان (ينادونهم ألم نكن معكم؟ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتم الاماني حتى جاء أمر الله) الآية فهم يخاطبونهم في بعض المحشر فاذا حقت الحقوتية تميزوا منهم وتخلفوا بعدهم (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) ولم يمكنهم ان يسجدوا معهم كما نطقت بذلك الاحاديث ومنها ما قاله بعضهم انه انما لم يقتلهم لانه كان يخاف من شرهم مع وجوده عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم يتلو عليهم آيات الله مبينات فلما بعده فيقتلون اذا أظهروا النفاق وعلمه المسلمون قال مالك : المنافق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزنديق اليوم (قلت) وقد اختلف العلماء في قتل الزنديق اذا أظهر الكفر هل يستتاب أم لا أو يفرق بين أن يكون داعية أم لا أو يتكرر منه ارتداده أم لا أو يكون اسلامه ورجوعه من تلقاء نفسه أو بعد ان ظهر عليه؟ على أقوال متعددة موضع بسطها وتقريرها وعزوها كتاب (٢) الاحكام (تنبيه) قول من قال كان عليه الصلاة والسلام يعلم أعيان بعض المنافقين انما مستنده حديث حذيفة بن اليمان في تسمية أولئك الاربعة عشر منافقا في غزوة تبوك الذين هموا ان يفتكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلماء الليل عند عقبه هناك عزمو على ان ينفروا به الناقة ليسقط عنها فأوحى الله اليه أمرهم فأطلع على ذلك حذيفة وأمل الكف عن قتلهم كان المدرك من هذه المدارك أو غيرها والله أعلم مؤمل بخلص وجهه الى قلوبهم ﴿بما كانوا يكذبون﴾ ما للمصدر أن يكذبهم الله ورسوله في السر وقرأ الكوفيرن يكذبون بالتحريف أي يكذبهم اذا قالوا آمنا وهم غيرهم ومن ﴿وإذا قيل﴾ قرأ الكسائي قيل وغيض وجي وحيل وسبق وسيئت بروم أوائلهن الضيم ووافق أهل المدينة في سيء وسيئت ووافق ابن عامر في سبق وحيل وسيئت لان أصلها قول بضم القاف وكسر الواو مثل قتل وكذلك في اخوانه فأشير الى الضمة لتكون دالة على الواو المنقلبة والباقون بكسر أوائلهن استنفقوا الحركة على

(١) كذا في
الاصول ولعل عن
زائدة فابن الماجشون
من أصحاب مالك
واسمه عبد الملك

(٢) لعل الاصل
كشبه

فلما غير هؤلاء فقد قال الله تعالى (ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم الآية) وقال تعالى (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لأخريتنك منهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) فنيها دليل على أنه لم يعرفهم ولم يدرك (١) على أعيانهم وإما كان تذكر له صفاتهم فيتوسمها في بعضهم كما قال تعالى (ولو نشاء لآريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول) وقد كان من أشهرهم بالنفاق عبد الله بن أبي بن سلول وقد شهد عليه زيد بن أرقم بذلك الكلام الذي سبق في صفات المنافقين ومع هذا لما مات صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وشهد دفنه كما يفعل ببقية المسلمين وقد عاتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه فقال «اني أكره ان تتحدث العرب ان محمدا يقتل أصحابه» وفي رواية في الصحيح «اني خيرت فاخترت» وفي رواية «لو أعلم اني لوزدت على السبعين يغفر له لزدت» (٢)

(١) كذا في الاصل والمراد ولم يطلع على أشخاصهم

﴿ واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ﴾ ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴿

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الطيب الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون) قال هم المنافقون أما لا تفسدوا في الارض قال الفساد هو الكفر والعمل الواو فنقلوا كسرناها الى فاء الفعل وانقلبوا الواو ياء لكسرة ما قبلها ﴿ واذا قيل لهم ﴾ يعني المنافقين وقيل لليهود أي قال لهم المؤمنون ﴿ لا تفسدوا في الارض ﴾ بالكفر وتوعدوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل معناه لا تكفروا والكفر أشد فسادا في الدين ﴿ قالوا انما نحن مصلحون ﴾

(٢) اعلمه قد سقط شيء من الاصل فاضطرب الباقي فحديث « اني أكره » اظح ليس هذا محله وحديث « اني خيرت » ليس رواية منه ولا يفهم المراد منه وما بعده من عبارته. ونص الحديث في الجنايز من صحيح البخاري عن ابن عباس عن عمر (رض) انه قال « لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعني لرسول الله (ص) ليصلي عليه فلما قام رسول الله (ص) وثبت اليه فقلت يا رسول الله أنصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا - كذا وكذا ؟ أعدد عليه قوله ، فتبسم رسول الله (ص) وقال أخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت ، لو أعلم اني لوزدت على السبعين يغفر له لزدت عليها » قال فضلي عليه رسول الله (ص) ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الايتان من براءة (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا - الى قوله - وهم فاسقون) ووضحه حديث ابن عمر في كتاب التفسير منه وفيه ان عمر قال : يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه ؟ فقال رسول الله (ص) « انما خيرني الله فقال (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة) وسأزيد على السبعين اظح (اقول) وروي في سبب ذلك ان ابن أبي كان أرسل الى النبي (ص) فلما دخل عليه قال له « أهلكك حب يهود » فقال يا رسول الله انما أرسلت اليك لتستغفر لي لا لتوبخني . ثم سأل ان يعطيه قميصه ليكفن فيه فأجابه ومن هنا ظن (ص) أنه تاب ومات مؤمنا . وكان طلب ابنه بعد موته لقميص النبي (ص) تنقيها لطلبه . وكتبه محمد رشيد رضا

بالمعصية وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) قال يعني لا تعصوا في الأرض وكان فسادهم ذلك معصية الله لأنه من عصي الله في الأرض أو أمر بمعصيته فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة وهكذا قال الربيع ابن أنس وقتادة وقال ابن جريج عن مجاهد (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) قال إذا ركبوا معصية الله فقبل لهم لا تفعلوا كذا وكذا قالوا إنما نحن على الهدى مصالحون وقال وكيع وعيسى بن يونس وعثام بن علي عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله الأسدي عن سلمان الفارسي وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصالحون قال سلمان لم يجزى أهل هذه الآية بعد. وقال ابن جريج حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شريك حدثني أبي عن الأعمش عن زيد بن وهب وغيره عن سلمان الفارسي في هذه الآية قال ما جاء هؤلاء قال ابن جريج يحتمل أن سلمان رضي الله عنه أراد بهذا أن الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فساداً من الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا أنه غنى أنه لم يعض ممن تلك صفته أحد. قال ابن جريج فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه رشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد عمل إلا بالتصديق به والايقان بحقيقته وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً، فذلك فساد المنافقين في الأرض، وهم يحسبون أنهم يفعلون ذلك مصالحون فيها. وهذا الذي قاله حسن فإن من الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء كما قال تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطاناً مبيناً) ثم قال (ن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وان تجد لهم نصيراً) فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان اشتبه أمره على المؤمنين فكأن الفساد من جهة المنافق حاصل لأنه هو الذي غر المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له ووالى الكافرين على المؤمنين ولو أنه استمر على حاله الأول لكان شره أخف ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لأفاح وأنجح ولهذا قال تعالى (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصالحون) أي نريد أن ننداري الفريقين من المؤمنين والكافرين ونصطليح مع هؤلاء وهؤلاء كما قال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعد بن جبير عن ابن عباس وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصالحون أي إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب.

يقولون هذا القول كذباً كقولهم آمنا وهم كاذبون ﴿ ألا ﴾ كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب ﴿ أنهم هم المفسدون ﴾ أنفسهم بالكفر والناس بالتوبيخ عن الإيمان ﴿ ولكن لا يشعرون ﴾ أي لا يعلمون أنهم مفسدون لأنهم يظنون أن الذي هم عليه من إبطان الكفر صلاح وقبل لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب

يقول الله (ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) يقول ألا ان هذا الذي يعتدونه ويزعمون انه اصلاح هو عين الفساد ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادا

﴿واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء؟ ألا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾

يقول تعالى وإذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس أي كإيمان الناس بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وغير ذلك مما أخبر المؤمنين به وعنه وأطيعوا الله ورسوله في امثال الاوامر وترك الزواجر (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) يعنون لعنهم الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم قاله أبو العالية والسدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وغير واحد من الصحابة وبه يقول الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم يقولون أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء؟ والسفهاء جمع سفية لان الحكماء جمع حكيم والحلماء جمع حليم، والسفية هو الجاهل الضعيف الرأي القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار ولهذا سمي الله النساء والصبيان سفهاء في قوله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) قال عامة علماء التفسير هم النساء والصبيان وقد تولى الله سبحانه جوابهم في هذه المواطن كلها فقال (ألا إنهم هم السفهاء) فأكد وحصر السفاهة فيهم (ولكن لا يعلمون) يعني ومن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل وذلك أردى لهم وأبلغ في العمى والبعد عن الهدى

﴿واذا لقوا الذين آمنوا قاتلوا آمنوا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن

﴿واذا قيل لهم﴾ أي للمنافقين وقيل لليهود ﴿آمنوا كما آمن الناس﴾ عبد الله بن سلام وغيره من مؤمنى أهل الكتاب وقيل كما آمن المهاجرون والانصار ﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ أي الجبال فان قيل كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم: أنؤمن كما آمن السفهاء قيل أنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله عليهم فقال ﴿ألا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ أنهم كذلك والسفية خفيف العقل رقيق الحلم من قر لهم ثوب سفية أي رقيق وقيل السفية الكذاب الذي يتعمد بخلاف ما يعلم. قرأ أهل الكوفة والشام (السفهاء ألا) بتحقيق الهزئين وكذلك كل هزئين وقتما في كلمتين اتفقتا أو اختلفتا والآخرين بحققون الاولى وبلينون الثانية في المختلفتين طلبا للحمزة فان كانتا متفقتين مثل: هؤلاء ان-أولياء أولئك وجاء أمر ربك - قرأ أبو عمرو والبزري عن ابن كثير بهززة واحدة وقرأ أبو جعفر وورش والقواس وبقوب بتحقيق الاولى وتلين الثانية وقرأ قالون بتلين الاولى وتحقيق الثانية لان ما يستأنف أولى بالهززة مما يسكت عليه ﴿واذا لقوا الذين آمنوا﴾ يعني هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار ﴿قالوا آمنا﴾ كما نكسكم ﴿واذا خلوا﴾ رجعوا ويجوز أن يكون من الخلوة و﴿إلى﴾ بمعنى الباء أي بشياطينهم

مستهزؤون * الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴿

يقول تعالى وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا : آمنا أظهروا لهم الإيمان والموالة والمصافاة غرورا منهم للمؤمنين ونفاقا ومصانعة وتقية وليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغرم (وإذا خلوا إلى شياطينهم) يعني إذا انصرفوا وذهبوا وخلصوا إلى شياطينهم فضمن خلوا معنى انصرفوا لتعديته بالي ليدل على الفعل المضمر والفعل المفعول به . ومنهم من قال « إلى » هنا بمعنى « مع » والاول أحسن وعليه يدور كلام ابن جرير . وقال السدي عن أبي مالك خلوا يعني مضوا وشياطينهم سادتهم وكبرؤهم ورؤسؤهم من أحوار اليهود ورؤس المشركين والمنافقين . قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (وإذا خلوا إلى شياطينهم) يعني هم رؤسائهم في الكفر . وقال الضحاك عن ابن عباس وإذا خلوا إلى أصحابهم وهم شياطينهم . وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (وإذا خلوا إلى شياطينهم) من يهود الذين يأمرؤهم بالكذب وخلاف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد : (وإذا خلوا إلى شياطينهم) إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين . وقال قتادة (وإذا خلوا إلى شياطينهم) قال إلى رؤسهم وقادتهم في الشرك والشر وبنحو ذلك فسر أبو مالك وأبو العالية والسدي والربيع بن أنس . قال ابن جرير وشياطين كل شيء مردته ويكون الشيطان من الانس والجن كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وفي المسند عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من شياطين الانس والجن » فقلت يا رسول الله أو للانس شياطين ؟ قال « نعم » وقوله تعالى (قالوا انا معكم) قال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أي أنا على مثل ما أنتم عليه (انما نحن مستهزون) أي انما نحن نستهزئ بالقوم ونلعب بهم . وقال الضحاك عن ابن عباس قالوا انما نحن مستهزون ساخرون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قال الربيع بن أنس وقتادة . وقوله تعالى جوابا لهم ومقابلة على صنيعهم الله (يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) وقال ابن جرير أخبر تعالى انه

وقيل إلى بمعنى مع كما قال الله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) أي مع أموالكم ﴿ شياطينهم ﴾ أي رؤسائهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر من اليهود كعب بن الاشرف بالمدينة وأبو بردة في بني أسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني أسد وعبد الله بن السوداء بالشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له والشيطان المتمرد العاني من الجن والانس ومن كل شيء وأصله البعد يقال برثطون أي بميدة العمق سمي الشيطان شيطانا لامتداده في الشر وبعده من الخير وقال مجاهد إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين ﴿ قالوا انا معكم ﴾ أي على دينكم

فأعلّم ذلك يوم القيامة في قوله تعالى (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وانكم تالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) الآية وقوله تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرا لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما) الآية قال فهذا وما أشبهه من استهزاء الله تعالى ذكره وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به عند قتل هذا القول ومتأرل هذا التأويل — قال وقال آخرون بل استهزؤهم توبيخه إياهم ولومه لهم على ما ركبوا من معاصيه والكفر به قال وقال آخرون هذا وأمثاله على سبيل الجواب كقول الرجل لمن يخدعه اذا خفر به أنا الذي خدعتك . ولم يكن منه خديعة ولكن قال ذلك اذا صار الامر اليه قالوا وكذلك قوله تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) (والله يستهزئ بهم) على الجواب والله لا يكون منه المكر ولا الهزؤ . والمعنى ان المكر والهزؤ حاق بهم — وقال آخرون قوله تعالى (إنما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم) وقوله (يخادعون الله وهو خادعهم) وقوله (فيسخرهم منهم) يسخر الله منهم ونسوا الله فسيهم) وما أشبه ذلك اخبار من الله تعالى انه مجازيهم جزاء لاستهزاء ومعاذهم عقوبة الخداع فأخرج خبره عن جزائه إياهم وعقابه لهم مخرج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ وان اختلف المعنيان كما قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) فالاول ظلم والثاني عدا . فما وان اتفق لفظها فقد اختلف معناها قال والى هذا المعنى وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك . قال وقال آخرون ان معنى ذلك ان الله أخبر عن المنافقين انهم اذا خلوا الى مردتهم قالوا انا معكم على دينكم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وإنما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم مستهزؤن ، فأخبر تعالى أنه يستهزئ بهم فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا يعني من عصمة دمائهم وأموالهم خلاف الذي لهم عنده في الآخرة يعني من العذاب والنكال . ثم شرع ابن جرير يوجه هذا القول وينصره لان المكر والخداع والسخرية على وجه اللعب والعبث منتف عن الله عز وجل بالاجماع وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك . قال وينحوا ما قلنا فيه روي الخبر عن ابن عباس حدثنا أبو كريب حدثنا أبو عثمان حدثنا بشر عن أبي ذوق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى (الله يستهزئ بهم) قال يسخر بهم للنعمة منهم وقوله تعالى (ويمدهم

(إنما نحن مستهزؤن) بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بما نظهر من الاسلام . قرأ أبو جعفر مستهزون وبستهزون وقل استهزوا وليطفوا وليواطوا ويتبنونك وخاطين وخاطون ومتكين ومتكون فالون والمنشون بترك الهمزة فيهن (الله يستهزئ بهم) أي مجازيهم جزاء استهزائهم سمي الجزء باسمه لانه بمقابله كما قال الله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) قال ابن عباس هو ان يفتح لهم باب من الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار وقبل هو ان يضرب المؤمنين نور يمشون به على الصراط فاذا وصل المنافقون اليه حبل بينهم وبين المؤمنين ، كما قال الله تعالى (وحبل بينهم وبين ما يشتهون)

في طغيانهم يعمهون) قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يمدهم على إهمهم وقال مجاهد يزيدهم وقال تعالى (أبجسبون إنما نمدهم به من مال وبنين نساوع لهم في الخيرات؟ بل لا يشعرون) وقال (من يستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال بعضهم كلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم نعمة وهي في الحقيقة نعمة وقال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) قال ابن جرير والصواب نزيدهم على وجه الاملاء والترك لهم في عتوهم ونمردهم كما قال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) والطغيان هو المجاوزة في الشيء كما قال تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) وقال الضحاك عن ابن عباس في طغيانهم يعمهون في كفرهم يترددون وكذا فسر السدي بسنده عن الصحابة وبه يقول أبو العالية وقادة والربيع بن أنس ومجاهد وأبو مالك وعبد الرحمن بن زيد: في كفرهم وضلاتهم. قال ابن جرير والعمه الضلال يقال عمه فلان يعمه عمها وعموها إذا ضل قال وقوله في طغيانهم يعمهون في ضلاتهم وكفرهم الذي غمرهم دنسه وعلامهم رجسه يترددون حيارى ضلالاً لا يجدون إلى المخرج منه سبيلاً لأن الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها وأعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها فلا يبصرون رشداً ولا يهتدون سبيلاً. وقال بعضهم العمى في العين والعمه في القلب وقد يستعمل العمى في القلب أيضاً قال الله تعالى (فإنها لا تعى إلا بصار ولكن تعى القلوب التي في الصدور) وتقول عمه الرجل يعمه عموها فهو عمه وعامه وجمعه عمه وذهبت إليه العماء إذا لم يدرك ابن ذهب

(أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) قال أخذوا الضلالة وتركوا الهدى وقال ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أي الكفر بالإيمان

قال الله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب) الآية وقال الحسن معناه الله يظهر المؤمنين على نفاقهم (ويعدمهم) يتركهم ويمهلهم والمد والامداد واحد وأصله الزيادة إلا أن المد كثيراً ما يأتي في الشر والامداد في الخير قال الله تعالى في المد (ونمد له من العذاب ما) وقال في الامداد (وأمددناكم بأموال وبنين) (وأمددناهم بغاكة) (في طغيانهم) أي في ضلاتهم وأصله مجاوزة الحد ومنه طغى الماء (يعمهون) أي يترددون في الضلالة متحيرين (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي استبدلوا الكفر بالإيمان (فما ربحت تجارتهم) أي ما ربحوا في تجارتهم أضاف الربح إلى التجارة لأن الربح يكون فيها كما تقول العرب ربح يربك وخسرت صفتك (وما كانوا مهتدين) من الضلالة وقيل

وقال مجاهد آمنوا ثم كفروا وقال قتادة استحبوا الضلالة على الهدى . وهذا الذي قاله قتادة يشبهه في المعنى قوله تعالى في نمود (فأما نمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وحاصل قول المفسرين فيما تقدم ان المنافقين عدلوا عن الهدى الى الضلال واعتاضوا عن الهدى بالضلالة وهو معنى قوله تعالى (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي بذلوا الهدى ثمنا للضلالة وسواء في ذلك من كان منهم قد حصل له الايمان ثم رجع عنه الى الكفر كما قلنا الى فهمهم (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم) أو أنهم استحبوا الضلالة على الهدى كما يكون حال فريق آخر منهم فاتهم أنواع وأقسام ولهذا قال تعالى (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) أي ما ربحت صفقةهم في هذه البيعة وما كانوا مهتدين أي راشدين في صديعهم ذلك وقال ابن جرير حدثنا بشير حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) قد والله رأيته يوم خرجوا من الهدى الى الضلالة ومن الجماعة الى الفرقة ومن الايمان الى الخوف ومن السنة الى البدعة وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة بمثله سواء

﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في

ظلمات لا يبصرون ﴾ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴿

يقول مثل ومثل ومثيل أيضا والجمع أمثال قال الله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وتقدر هذا المثل ان الله سبحانه شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد البصيرة الى العمى، بمن استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها فبينما هو كذلك اذ طفت ناره وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدي وهو مع هذا أصم لا يسمع أبكم لا ينطق أعمى لو كان ضياء لما أبصر، فلماذا لا يرجع الى ما كان عليه قبل ذلك فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضا عن الهدى واستحبابهم الغي على الرشد. وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا كما أخبر تعالى عنهم في غير هذا الموضع والله أعلم

وقد حكى هذا الذي قلناه الزاوي في تفسيره بن السدي، ثم قل والتشبيه ههنا في غاية الصحة لانهم بايمانهم اكتسبوا أولا نورا ثم بنفاقهم ثانيا أبطلوا ذلك فوقعوا في حيرة عظيمة فانه لا حيرة

مصيبين في تجارتهم ﴿ مثلهم ﴾ شبههم وقيل صفتهم والمثل قول سائر في عرف الناس يعرف به معنى الشيء وهو أحد أقسام القرآن السبعة ﴿ كمثل الذي ﴾ يعني الذين بدليل سياق الآية ونظيره (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) ﴿ استوقد ﴾ أو قد ﴿ نار فلما اضاءت ﴾ النار ﴿ ما حوله ﴾ أي حول المستوقد وضاء لازم ومتعد يقال ضاء الشيء بنفسه وضاءه غيره وهو ههنا متعد ﴿ ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ قل ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك والسدي نزلت في المنافقين بقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد نارا في ليلة مظلمة في مغازة فاستدفا ورأى ما حوله فانقي مما يخاف فبينما هو

أعظم من حيرة الدين وزعم ابن جرير ان المضروب لهم المثل ههنا لم يؤمنوا في وقت من الاوقات واحتج بقوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) والصواب ان هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم وهذا لا ينبغي انه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك ثم سلبوه وطعم على قلوبهم ولم يستحضر ابن جرير هذه الآية ههنا وهي قوله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) فلهذا وجه هذا المثل بأنهم استضاءوا بما أظروه من كلمة الإيمان أي في الدنيا ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة قل وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد كما قال (رايتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي ينشئ عليه من الموت) أي كدوران الذي يغشى عليه من الموت وقال تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) وقال تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) وقال بعضهم تقدير الكلام مثل قصتهم كقصص الذين استوقدوا ناراً، وقال بعضهم المستوقد واحد لجماعة معه وقال آخرون الذي ههنا بمعنى الذين كما قال الشاعر

وان الذي حانت بفالج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

قلت وقد انتفت في أثناء المثل من الواحد الى الجمع في قوله تعالى (فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون) وهذا أفصح في الكلام وأبلغ في النظام وقوله تعالى ذهب الله بنورهم أي ذهب عنهم بما ينفعهم وهو النور وأبقى لهم ما يضرهم وهو الاحراق ولدخان وتركهم في ظلمات وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق لا يبصرون لا يهتدون الى سبيل خير ولا يعرفونها وهم مع ذلك صم لا يسمعون خيرا بكم لا يتكلمون بما ينفعهم عمى في ضلالة وعماية البصيرة كما قال تعالى (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) فلهذا لا يرجعون الى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة

﴿ ذكر اقوال المفسرين من السلف بنحو ما ذكرناه ﴾

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى (فلما أضاءت ماحوله) زعم ان ناساً دخلوا في الاسلام مقدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة ثم انهم نأقوا وكانت مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة فأوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله من قذى أو أذى فأبصره حتى عرف ما يتقى منه فبينما هو كذلك

كذلك اذ طفئت نار دفتى في ظلمة خائفاً متحيراً فكذلك المنافقون باظهار كلمة الإيمان آمنوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف . وقيل ذهب نورهم في القبر وقيل في القيامة حيث يقولون الذين آمنوا اظفرونا نقتبس من نوركم . وقيل ذهب نورهم باظهار عقيدتهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فضرِب النار مثلاً ثم لم يقل أطفأ الله نارهم لكن عبر باذهب النور عنه لان النار نور وحرارة فيذهب نورهم وتبقى الحرارة عليهم . وقال

اذ طفئت ناره فاقبل لا يدرى ما يتقي من أذى فذلك المنافق كان في ظلمة الشرك فأسلم فعرف الحلال والحرام والخير والشر . فبينما هو كذلك اذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر . وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية قال أما النور فهو إيمانهم الذي كانوا يتكلمون به وأما الظلمة فهي ضلالتهم وكفرهم الذي كانوا يتكلمون به وهم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم فعتوا بعد ذلك . وقال مجاهد : (فلما أضأت ما حوله) أما أضأت النار فاقبلهم إلى المؤمنين والهدى . وقال عطاء الخراساني في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) قال هذا مثل المنافق يبصر أحيانا ويعرف أحيانا ثم يدركه عى القلب . وقال ابن أبي حاتم : وروى عن عكرمة والحسن والسدي والربيع ابن أنس نحو قول عطاء الخراساني . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) قال هذا مثل المنافق يبصر أحيانا ويعرف أحيانا ثم يدركه عى القلب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) إلى آخر الآية . قال هذه صفة المنافقين كانوا قد آمنوا حتى أضأت الأيمان في قلوبهم كما أضأت النار لهؤلاء الذين استوقدوا نارا ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانزعجه كما ذهب بضوء هذه النار فتركهم في ظلمات لا يبصرون ، وأما قول ابن جرير في شبه مارواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) قال هذا مثل ضربه الله للمنافقين انهم كانوا يعنزون بالاسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم انفى فلما ماتوا سلمهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوؤه ، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) فلما أضأت النار ما أوقدتها فاذا خمدت ذهب نورها وكذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الاخلاص بلا اله الا الله أضأت له فاذا شك رقع في الظلمة وقال الضحاك (ذهب الله بنورهم) أما نورهم فهو إيمانهم الذي تكلموا به وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضأت ما حوله) فهي لا اله الا الله أضأت لهم فأكلوا بها وشرروا وآمنوا في الدنيا وأنكحوا النساء وحققوا دماءهم حتى اذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية ان المعنى ان المنافق تكلم بلا اله الا الله فأضأت له في الدنيا فناكح بها المسلمين وغازاهم بها ووارثهم بها وحقق بها دمه وماله فلما كان عند الموت سلمها المنافق لانه لم يكن لها أصل في قلبه ولا حقيقة في عمله وتركهم في مجاهد : أضأت النار اقبالهم إلى المسلمين والهدى وذهب نورهم اقبالهم إلى المشركين والضلالة . وقال عطاء ومحمد بن كعب نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم واستئناحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به ثم وصفهم الله فقال (صم) أي هم صم عن الحق لا يقبلونه واذا لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعوا (بكم) خرس عن الحق لا يقولونه أو انهم لما ابطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا بالحق (عي) أي لا بصائر لهم ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له (فهم لا يرجعون) عن الضلالة إلى الحق

ظلمات لا يبصرون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) يقول في عذاب إذا ماتوا، وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (وتركهم في ظلمات) أي يبصرون الحق ويقولون به حتى إذا خرجوا من ظلمة الكفر أطفؤهم بكفرهم ونفاقهم فيه فتركهم في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حق، وقال السدي في تفسيره بسنده (وتركهم في ظلمات) فكانت الظلمة نفاقهم وقال الحسن البصري وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذلك حين يموت المنافق فيظلم عليه عمله عمل سوء فلا يجد له عملا من خير عمل به يصدق به قول لا اله الا الله (صم بكم عمي) قال السدي بسنده صم بكم عمي فهم خرس عمي، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (صم بكم عمي) يقول لا يسمعون الهدى، ولا يعقلونه وكذا قال أبو العالية وقناة ابن دعامه فهم لا يرجعون: قال ابن عباس أي لا يرجعون الى هدى، وكذا قال الزبيدي بن أنس: وقال السدي بسنده (صم بكم عمي) فهم لا يرجعون الى الاسلام. وقال قناة فهم لا يرجعون أي لا يتوبون ولا هم يذكرون

(أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يعملون أصابعهم في آذانهم من

الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين * يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شيء قدير) هذا مثل آخر ضرب به الله تعالى لضرب آخر من المنافقين وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ويشكون تارة أخرى فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم (كصيب) والصيب المطر قوله ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة وأبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعطاء والحسن البصري وقناة وعطية العوفي وعطاء الخراساني والسدي والربيع بن أنس وقال الضحاك هو السحاب والاشهر هو المطر نزل من السماء في حال ظلمات وهي الشكوك والكفر والنفاق ورعد وهو ما يزعج القلوب من الخوف فان من شأن المنافقين الخوف الشديد والفرع كما قال تعالى (يحسبون كل صيحة عليهم) وقال (ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم بشرك ولا يفرقون) لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه

(أو كصيب) أي كاصحاب صيب وهذا مثل آخر ضرب به الله تعالى للمنافقين بمعنى آخر ان شئت مثلمهم بالمستوقدوا ان شئت بأهل الصيب وقبل أو بمعنى الواو يريدو كصيب كقوله تعالى (أوزيريدون) بمعنى وزيريدون والصيب المطر وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب فعمل من صاب يصوب أي نزل من السماء أي من السحاب رقيق هي السماء بعينها والسماء كل ما علاك فاطلاك وهي من أسماء الاجناس يكون واحدا وجما (فيه) أي في الصيب وقيل في السماء أي في السحاب ولذلك ذكره وقيل السماء يذكرونها وقيل قال الله تعالى (السماء منفطر به) وقال (إذا السماء انفطرت) (ظلمات) جمع ظلمة (ورعد) هو الصوت الذي تسمع من السحاب (برق) وهو النار التي تخرج منه. قال علي وابن عباس وأكثر المفسرين: الرعد

وهم يجمعون (والبرق) هو ما يلعب في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان من نور الإيمان ولهذا (قل يجمعون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين) أي ولا يجدي عنهم حذرهم شيئاً لأن الله محيط بقدرته وهم تحت مشيئته وإرادته كما قول (هل أتاك حديث الجنود فرعون ونمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورأيهم محيط بهم) ثم قول (يكاد البرق يخطف أبصارهم) أي شدته وقوته في نفسه وضعف بصائرهم وعدم ثباتها للإيمان وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يكاد البرق يخطف أبصارهم) يقول يكاد يحكم القرآن يدل على عورات المنافقين وقول ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (يكاد البرق يخطف أبصارهم) أي أشدة ضوء الحق كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا أي كلما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه وتارة تعرض لهم الشكوك أظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كلما أضاء لهم مشوا فيه يقول كلما أصاب المنافقين من عز الإسلام أطمانوا إليه وإذا أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر كقوله تعالى (ومن الناس من بعد الله على حرف فإن أصابه خير أطمان به) وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا أي يعرفون الحق ويتكلمون به فهم من قولهم به على استقامة فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا أي متحيرين وهكذا قال أبو العباس والحسن البصري وقتادة والربيع بن أنس والسدي بسنده عن الصحابة وهو أصح وأظهر والله أعلم ، وهكذا يكونون يوم القيامة عند ما يعطى الناس النور بحسب إيمانهم فمنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة فراسخ وأكثر من ذلك وأقل من ذلك ، ومنهم من يطفأ نوره تارة ويضيء أخرى ، ومنهم من يمشي على الصراط تارة ويتوقف أخرى ، ومنهم من يطفأ نوره بالسكينة وهم الخالص من المنافقين الذين قال تعالى فيهم (يوم يقول

امم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان شوط من نور يزجر به الملك السحاب . وقيل الصوت زجر السحاب وقيل تسبيح الملك وقيل الرعد نطق الملك والبرق ضحكه . وقال مجاهد الرعد امم الملك ويقال لصوته أيضاً رعد والبرق امم ملك يسوق السحاب ، وقيل شهر بن حوشب الرعد ملك يزجي السحاب فإذا تبددت ضماها فإذا اشتد غضبه طارت من فيه النار فهي الصواعق ، وقيل الرعد صوت انحراف الريح بين السحاب والاول أصح ﴿ يجمعون أصابعهم في آذانهم من الصواعق ﴾ جمع صاعقة وهي الصبغة التي يموت من يسمعها أو يمشي عليه ويقال لكل عذاب مهلك صاعقة ، وقيل الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله على من يشاء ، روي عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك » قوله ﴿ حذر الموت ﴾ أي مخافة الهلاك ﴿ والله محيط بالكافرين ﴾ أي عالم بهم وقيل حاكمهم . قال مجاهد : يجمعهم فيعذبهم . وقيل مهلكهم دليله قوله تعالى (الا ان يحاط بكم) أي تهلكوا جميعاً ويميل أبو عمرو والكسائي الكافرين في محل النصب والخفض ولا يميلان (أول كافر به)

المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا، وقال في حق المؤمنين (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار) الآية وقال تعالى (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير)

(ذكر الحديث الوارد في ذلك)

قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) الآية ذكر لنا ان النبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من المؤمنين من يضيء نورهم من المدينة الى عدن أبيين بصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه رواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث عمران ابن داود القطان عن قتادة بنحوه وهذا كما قال المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود قال يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا على إبهامه يطفأ مرة ويتقدم مرة وهكذا رواه ابن جرير عن ابن مثنى عن ابن ادريس عن أبيه عن المنهال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابن ادريس سمعت أبي يذكر عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود (نورهم يسعى بين أيديهم) قال على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نورهم مثل الجبل ومنهم من نورهم مثل النخلة وأدناهم نورا من نورهم في إبهامه يتقدم مرة ويطفأ أخرى، وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا محمد بن اسماعيل الاحمسي حدثنا أبو يحيى الحماني حدثنا عقبة بن القمطان عن عكرمة عن ابن عباس قال ليس أحد من أهل النوحيد الا يعطى نورا يوم القيامة فلما المنافق فيطفأ نوره فالؤمن

(يكاد البرق) أى يقرب يقال كاد يفعل اذا قرب ولم يفعل (بخطف أبصارهم) يختلسها والخطف استلاب بسرعة (كلما) كل حرف جملة ضم الى ما الجزاء فصار أداة للتكرار ومعناها متى ما (أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا) أى وقفوا متحيرين فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة وسواد في ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات من صفتها ان السارى لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته ان يضم السامعون أصابعهم الى آذانهم من هوله وبرق من صفته ان يقرب من ان بخطف أبصارهم ويغميها من شدة توقده فهذا مثل ضرب به الله للقرآن وصنيع للكافرين والمنافقين معه فالمراد بالقرآن لانه حياة الجنان، كما ان المطر حياة الابدان، والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، والرعد ما خوفوا به من الوعيد، وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة. قال الكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب اليه لان الايمان عندهم كفر والكفر موت (يكاد البرق يخطف أبصارهم) أى القرآن يبهر قلوبهم. قبل هذا مثل ضرب به الله للإسلام فالمراد بالإسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد ما فيه من الوعيد والمخاوف في

١٠٢ ملخص الآيات في المؤمنين والكافرين والمنافقين (تفسير ابن كثير والبغوي)

مشفق مما يرى من اطفاء نور المنافقين فهم يقولون ربنا آثم لنا نورنا ، وقال الضحاك بن مزاحم يعطى كل من كان يظهر الايمان في الدنيا يوم اتيامة نورا فاذا انتهى الى الصراط طفي نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون شفقوا فقالوا ربنا آثم لنا نورنا

فاذا تقرر هذا صار الناس أقساما ، مؤمنون خالص وهم الموصوفون بالآيات الاربع في أول البقرة وكفار خالص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها ومنافقون وهم قسمان خالص وهم المضروب لهم المثل الناري ومنافقون يترددون تارة يظهر لهم لمع الايمان وتارة يخبروهم أصحاب المثل المائي وهم أخف حالا من الذين قباهم . وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور من ضرب مثل المؤمن وما جعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في لزجاجة التي كأنها كوكب دري وهي قلب المؤمن المفطور على الايمان واستمداده من الشريعة الخالصة الصافية الواصلة اليه من غير كدر ولا تخطيط كما سيأتي تقريره في موضعه ان شاء الله ثم ضرب مثل العباد من الكفار الذين يستبدون آثم على شيء وليسوا على شيء وهم أصحاب الجهل المركب في قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا) الآية ثم ضرب مثل الكفار الجهل البسيط وهم الذين قال تعالى فيهم (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فإله من نور) فقسم الكفار ههنا الى قسمين داعية ومقلد كما ذكرها في أول سورة الحج (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) وقد قسم الله المؤمنين في أول الواقعة وفي آخرها ، وفي سورة الانسان الى قسمين سابقون وهم المنربون وأصحاب يمين وهم الابرار فنلخص من مجموع هذه الآيات الكريكات ان المؤمنين صنفان مقرر بون وأبرار وان الكافر بن صنفان دعاة ومقلدين . وان المنافقين أيضا صنفان منافق خالص ومنافق فيه شعبة من نفاق كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهم كانت فيه خسة من النفاق حتى يدعها : من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان » استدلو به على ان الانسان قد تكون فيه شعبة من ايمان

الآخرة وتبرق ما فيه من الوعد (يجمعون أصابعهم في آذانهم) يعني ان المنافقين اذا رأوا في الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك (والله محيط بالـكافرين) جامعهم يعني لا ينفهم هربهم لان الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم بكاد بالبرق يعني دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقوة (كلما أضاء لهم مشوا فيه) يعني ان المنافقين اذا اظهروا كلمة الايمان آمنوا فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة وقبل معناه كلما نالوا غنيمة وراحة في الاسلام ثبتوا وقولوا انا معكم واذا أظلم عليهم يعني رأوا شدة وبلاء تأخروا وقاموا أى رقفوا كما قال الله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) ﴿ ولو شاء الله لذهب بسبعهم ﴾ أى بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما ذهب بأسماعهم

وشعبة من نفاق . اما علي لهذا الحديث أو اعتقادي كما دلت عليه الآية كما ذهب اليه طائفة من السلف وبعض العلماء كما تقدم وكما سيأتي ان شاء الله قال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية يعني شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فلما القلب الاجرد فقلب المؤمن فسراج فيه نوره وأما القلب الاغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، ومثل الايمان فيه كمثل البقلة يدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يدها القيح والدم فأما المادتين غلبت على الاخرى غلبت عليه » وهذا اسناد جيد حسن وقوله تعالى (ولو شاء الله لذهب بسبعهم وأبصارهم ان الله على كل شيء قدير) قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (ولو شاء الله لذهب بسبعهم وأبصارهم) قال لما تركوا من الحق بد معرفة (ان الله على كل شيء قدير) قال ابن عباس أي ان الله على كل ما أراد به بساده من نقمة أو عفو قدير . وقال ابن جرير : انما وصف الله تعالى نفسه بالندرة على كل شيء . في هذا الموضع لانه حذر المنافقين بأسمه وسطوته وأخبرهم انه بهم محيط ، وعلى اذهاب أعمامهم وأبصارهم قدير . ومعنى قدير قادر كما معنى عليم عالم وذهب ابن جرير ومن تبعه من كثير من المفسرين الى ان هذين المثلين مضموران لصنف واحد من المنافقين وتكون أو في قوله تعالى (أو كصيب من السماء) بمعنى الواو كقوله تعالى (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أو تكون للتخيير أي أضرب لهم مثلا بهذا وان شئت بهذا قال القرطبي : أو للتساوي مثل جالس الحسن أو ابن سيرين على ما وجهه الزمخشري ان كلا منهما مساو للآخر في اباحة الجلوس اليه ويكون معناه على قوله سواء ضربت لهم مثلا بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم (قلت) وهذا يكون باعتبار جنس المذنبين فانهم أصناف ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله تعالى في سورة براءة - ومنهم - ومنهم - ومنهم يذكروا أحوالهم وصفاتهم وما يستمدونه من الأفعال والانوال فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم والله أعلم كما ضرب المثلين في سورة النور لصنفي الكفار الدعاة والمقلدين في قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) الى ان قال (أو كظلمات في بحر لجي) الآية فالاول للدعاة الذين هم في جهل مركب والثاني لدرجي الجهل البسيط من الاتباع المقلدين والله أعلم بالصواب

(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » الذي جعل

وأبصارهم الباطنة وقيل لذهب بما استنادوا من العز والامان الذي لهم بمنزلة السمع والبصر) ان الله على كل شيء قدير (قادر قرأ ابن عامر وحزرة شاء وجاء حيث كان بالامالة قوله تعالى (يا أيها الناس) قال ابن عباس يا أيها الناس خطاب أهل مكة ويا أيها الذين

لستم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لستم
فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)

شرح تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبده باخراجهم من العدم
الى الوجود واسباغهم عليهم النعم الظاهرة والباطنة بان جعل لهم الأرض فراشا أي مهذا كالفراش
مقررة موطأة مثبتة بالروابي الشاخات والسماء بناء وهو السقف كما قال في الآية الاخرى (وجعلنا
السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) ﴿ وأنزل من السماء ماء ﴾ والمراد به السحاب ههنا في
وقته عند احتياجهم اليه فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد رزقا لهم ولا نمامهم كما
قرر هذا في غير موضع من القرآن ، ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى (الذي جعل لستم الأرض
قارا والسماء بناء وصورتكم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذاكم الله ربكم فبارك الله رب العالمين)
ومضونه انه الخالق الرازق مالك الدار وساكنها ورازقهم فبهذا يستحق ان يعبد وحده ولا
يشرك به غيره ولهذا قال (فلا تجعلوا الله أندادا لستم وأنتم تعلمون) وفي الصحيحين عن ابن مسعود
قال قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال « ان تجعل لله ندا وهو خالقك » الحديث وكذا
حديث معاذ أن نذري ما حق الله على عباده ؟ « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا » الحديث ، وفي الحديث
الاخر « لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ليقول ما شاء الله ثم شاء فلان » وقال حماد بن
سلمة حدثنا عبد الملك بن عمير عن ربيع بن خراش عن الطفيل بن سخبرة أخى عائشة أم المؤمنين
لا ما قالت رأيت فيما يرى النائم كأنى أتيت على نفر من اليهود فقلت من أنتم قالوا نحن اليهود
قلت أنكم لا أنتم القوم لولا أنكم تقولون عزيز ابن الله قالوا وإنكم لا أنتم القوم لولا أنكم تقولون ما
شاء الله وشاء محمد ، قال ثم مررت بنفر من النصارى فقلت من أنتم قالوا نحن النصارى قلت أنكم
لا أنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وإنكم لا أنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله
وشاء محمد فلما أصبحت أخبرت به ما من أخبرت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال « هل
أخبرت بها أحدا ؟ » قلت نعم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فان طفيل رأى رؤيا أخبر
بها من أخبر منكم وانكم قاتم كلمة كان بمنع كذا وكذا ان أنباكم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد
ولكن قولوا ما شاء الله وحده » هكذا رواه ابن مردويه في تفسير هذه الآية من حديث حماد بن
سلمة به وأخرجه ابن ماجه من وجه آخر عن عبد الملك بن عمير به بنحوه ، وقال سفیان بن سعيد

أمنا خطاب أهل المدينة وهو ههنا عام الامن حيث انه لا يدخله الصغار والمجانين

﴿ اعبدوا ﴾ وحدوا . قال ابن عباس كل ما ورد في القرآن من العبادة فعناها التوحيد ﴿ ربكم
الذي خلقكم ﴾ والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق ﴿ والذين من قبلكم ﴾ أي وخلق للذين من
قبلكم ﴿ لعالم تقون ﴾ لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه كونوا على رجاء التقوى بان تصيروا في ستر

الثوري عن الأجلح بن عبد الله السكدي عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وما شئت فقال « أجمعني لله ندا؟ قل ما شاء الله وحده » رواه ابن مردويه وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث عيسى بن يونس عن الأجلح به وهذا كله صيانة وحماية لكتاب التوحيد والله أعلم . وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سمعته بن جبير بن ابن عباس قال قال الله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين ، أي وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم وبه عن ابن عباس (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد هو الحق الذي لا شك فيه وهكذا قال قتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم حدثنا أبي عمرو حدثنا أبي الضحك بن مخلد أبو عاصم حدثنا شبيب بن بشر حدثنا عكرمة عن ابن عباس في قول الله عز وجل (فلا تجعلوا لله أندادا) قال الأنداد هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول والله وحياتك يا فلان وحياتي ويتول لولا كتابة هذا لانا للصوص البارحة ولولا البط في الدار لأن الصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلان هذا كله به شرك وفي الحديث ان رجلا قل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت ، قل « أجمعني لله ندا؟ وفي الحديث الآخر « نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون تقولون ما شاء الله وشاء فلان قال أبو العالية فلا تجعلوا لله أندادا أي عدلاء شركاء وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدي وأبو مالك واسماعيل بن أبي خالد وقال مجاهد (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) قال تعلمون أنه اله واحد في التوراة والإنجيل

﴿ ذكر حديث في معنى هذه الآية الكريمة ﴾

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو خلف موسى بن خلف وكان بعد من البدلاء حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممتور عن الحرث الأشعري أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قل « ان الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات أن يعمل بهن وان يأمر بني اسرائيل ان يعملوا هن وانه كاد ان يبطل بها فقال له عيسى عليه السلام انك قد امرت بخمس ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء كما قال (فقولا له قولنا لعله يتذكر أو يخشى) أي ادعوا الى الحق وكونا على رجاء التذكروا وحكم الله من ورائه يفعل ما يشاء قال سيديوه لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله واجب ﴿ الذي جعل لكم الارض فراشا ﴾ أي بساطا وقيل مناما وقيل وطاء أي ذلها ولم يجعلها حزنه لا يمكن القرار عليها والجعل ههنا بمعنى الخلق والسماء بناء سقفا مرفوعا ﴿ وأنزل

١٠٦ توحيد الألوهية والربوبية والآيات على وجود الله (تفسير ابن كثير والبغوي)

كلمات أن تعمل بهن وتأمّر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فاما ان تبلغهن واما ان ابلفهن فقال يا أخي اني اخشى ان سبقتني ان اعذب او يخسف بي قال فجمع يحيى بن زكريا بني اسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فنهض على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله أمرني بخمس كلمات ان اعمل بهن وأمركم ان تعملوا بهن اولهن ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بورق او ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته الى غير سيده فأبكم سيده ان يكون عبده كذلك وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأمركم بالصلاة فان الله ينصب وجهه لوجه عبده مالم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا، وأمركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصا به كلهم يمد ربح المسك وان خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأمركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشددوا يديه الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه وقال لهم هل لكم ان أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه، وأمركم بذكر الله كثيرا وان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في أثره فأتى حصنا حصينا فنحصر فيه وان العبد احصن ما يكون من الشيطان اذا كان في ذكر الله قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وان أمركم بخمس الله أمرني بهن : الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فانه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلم ربقة الاسلام من عنقه الا أن يرجع ومن دعا بدعوى جاهلية فهو من جنى جهنم » قالوا يا رسول الله وان صام وصلى فقال « وان صلى وصام وزعم أنه مسلم فادعوا المسلمين باسمائهم على ما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله » هذا حديث حسن والشاهد منه في هذه الآية قوله « وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا » وهذه الآية دالة على توحيدته تعالى بالعبادة وحده لا شريك له وقد استدلل به كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى وهي دالة على ذلك بطريق الاولى فان من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطبائعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بها محكمة علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وانقائه وعظيم سلطانه كما قال بعض الاعراب وقد سئل ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال يا سبحة الله ان البعر ليدل على البعير، وان أثر الاقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وارض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟

وحكى الرازي عن الامام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والاصوات والنبات وعن أبي حنيفة ان بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم دعوني فاني مفكر في أمر قد اخبرت عنه ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاحر وليس بها أحد من السماء أي من السحاب ماء وهو المطر فأخرج به من الثمرات من ألوان الثمرات وأنواع النبات رزقا لكم طعاما لكم وعلفا لدوابكم فلان جعلوا لله أندادا أي أمثالا تعبدونهم كعبادة الله

يحرّمها ولا يسوقها وهي مع ذلك تذهب ونجى. وتسير بنفسها وتخرق الامواج العظام حتى تتخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير ان يسوقها أحد فقالوا هذا شيء لا يقوله عاقل فقال ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الاشياء المحكمة ليس لها صانع فبنت القوم ورجعوا الى الحق وأسلموا على يديه ، وعن الشافعي انه سئل عن وجود الصانع فقال هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الابر يسمن وتأكله النحل فيخرج منه العسل وتأكله الشاة والبقر والانعام فتلقيه بعرا وروثا وتأكله الظباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد وعن الامام أحمد بن حنبل انه سئل عن ذلك فقال ههنا حصن حصين أملك ليس له باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الابريز فبينما هو كذلك اذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح يعني بذلك البيضة اذا خرج منها الدجاجة وسئل ابو نواس عن ذلك فأشدد :

تأمل في نبات الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات * بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات * بأن الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز

فبأعجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

وقال آخرون من تأمل هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة من السيارة ومن الثوابت وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة ولها في أنفسها سير يخصها ونظر الى البحار المكتنفة للارض من كل جانب والجبال الموضوعة في الارض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها ولوانها كما قل تعالى (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سوده ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، وكذلك هذه الانهار السارحة من قطر الى قطر للمنافع وما ذرا في الارض من الحيوانات المتنوعة والنبات المختلف الطعوم والاراييج والاشكال والالوان مع اتحاد طبيعة الغربة والماء استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم واحسانه اليهم وبره بهم لا اله غيره ولا رب سواه عليه توكلت واليه أنيب ، والايات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدا

(وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من

وقال أبو عبيدة الند الضد وهو من الاضداد والله تعالى بريء من المثل وال ضد ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ انه واحد خالق هذه الاشياء ﴿ وان كنتم في ريب ﴾ أى وان كنتم في شك لان الله تعالى علم انهم شاكون ﴿ مما

دون الله ان كنتم صادقين * فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين

ثم شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا اله الا هو فقال مخاطبا للكافرين (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فاتوا بسورة من مثل ما جاء به ان زعمتم أنه من عند غير الله فعارضوه بمثل ما جاء به واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله فانكم لاتسطيعون ذلك، قل ابن عباس شهداءكم أعوانكم، وقال السدي عن أبي مالك شركاءكم أي قوما آخرون يساعدونكم على ذلك أي استعينوا بآلهمكم في ذلك ببدونكم وينصرونكم، وقال مجاهد وادعوا شهداءكم قل ناس يشهدون به يعني حكام الفصحاء وقد تحداهم الله تعالى بهذا في غير موضع من القرآن فقال في سورة القصص (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي ممها أتبعه ان كنتم صادقين) وقال في سورة سبحان (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم ابعض ظهيرا) وقال في سورة هود (أم يقولون اقتراء قل فاتوا بعشر سور مثله مقتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) وقال في سورة يونس (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) أم يقولون اقتراء قل فاتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) وكل هذه الآيات مكية ثم تحداهم بذلك أيضا في المدينة فقال في هذه الآية (وان كنتم في ريب - أي شك - مما نزلنا على عبدنا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فاتوا بسورة من مثله يعني من مثل القرآن قاله مجاهد وقتادة واختاره ابن جرير الطبري والبخاري والرازي ونقله عن عمرو ابن مسعود وابن عباس والحسن البصري وأكثر المحققين ورجح ذلك بوجوه من أحسنها انه تحداهم كلهم متفرقين ومجتمعين سواء في ذلك أميهم وكتائبهم وذلك أكل في التحدي واشمل من أن يتحدى آحادهم الاميين ممن لا يكتب ولا يعاني شيئا من العلوم وبدليل قوله تعالى (فأتوا بعشر سور مثله) وقوله (لا يأتون بمثله) وقال بعضهم من مثل محمد صلى الله عليه وسلم يعني من رجل أمي مثله والصحيح الاول لان التحدي عام لهم كلهم مع انهم أفصح الامم وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة مع شدة عداوتهم له وبغضهم لدينه ومع هذا اعجزوا عن ذلك ولهذا قال تعالى (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) ان لفي التأييد في المستقبل أي ولن تفعلوا ذلك أبدا نزلنا يعني القرآن (على عبدنا) محمد (فاتوا) أمر تعجيز (بسورة) والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والاخر من أسارت أي أفضلت حذفت الهزة وقيل السورة اسم المنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القاري، ينال بقراءتها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنزل باستكمال سور القرآن (من مثله) أي مثل القرآن ومن صلة كقوله تعالى (قل للذين آمنوا يعضوا من أبصارهم)

وهذه أيضا معجزة أخرى وهو أنه أخبر خبرا جازما قاطبا مقدما غير خائف ولا مشفق ان هذا القرآن لا يعارض بمثله أبد الأبدين ودهر الدهرين وكذلك وقع الامر لم يعارض من لدنه الى زماننا هذا ولا يمكن وأنى يتأتى ذلك لاحد والقرآن كلام الله خالق كل شيء وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الاعجاز فنونا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى قال الله تعالى (الرء كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير فاحكمت الفاظه وفصلت ما فيه أو بالعكس على الخلاف فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يجادى ولا يداني فقد أخبر عن معييات ماضية كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء وأمر بكل خير ونهى عن كل شر كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أى صدقا في الاخبار وعدلا في الاحكام فكله حق وصدق وعدل وهى اى ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا اقتراء كما يوجد في اشعار العرب وغيرهم من الاكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم الا بها كما قيل في الشعران اعذبه اكذبه ونجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء أو الحبل أو الخمر أو في مدح شخص معين أو فارس أو ناقة أو حرب أو كائنة أو مخافة أو سبع أو شيء من المشاهدات المتعينة التي لا تنفيذ شيئا الا قدرة المتكلم المعين على الشيء الخفي أو الدقيق أو ابرازه الى الشيء الواضح ثم نجد له فيه بيتا أو بيتين أو أكثر هي بيوت القصيد وسائرهما هذرا طائلا نحتة ، وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلا واجمالا من فهم كلام العرب وتصاريف التعبير، فانه ان تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسوبة أو وجيزة وسواء تكررت أم لا وكلما تكررت حلاوة لا ينخلق عن كثرة الرد ، ولا يمل منه العلماء ، وان أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات فما ظنك بالقلوب الفاهمات وان وعد أنى بما يفتح القلوب والآذان ، ويشوق الى دار السلام ومجاردة عرش الرحمن كما قال في الترييب (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) قال (فيها ما نشتهي الانفس وتلذذ الاعين وأتم فيها خالدون) وقال في الترهيب (أفأنتم ان يخسف بكم جانب البرهه أأنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فإذا هي تمور أم أأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) : وقال في الزجر (فكللا أخذنا بذنبه) وقال في الوعد (أفأرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) الى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة وان جاءت الآيات في الاحكام والاوامر والنواهي اشتملت على الامر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب ، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء ، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف اذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن وقيل الهاء في مثله راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم أمي لا يحسن الخط والكتابة ﴿ وادعوا شهداءكم ﴾ أي واستعينوا بالهتكم التي تعبدونها ﴿ من دون الله ﴾ وقال مجاهد ناسا يشهدون لكم ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ ان محمد صلى الله عليه وسلم يقول لمن تلقاه نفسه فلما تحبدهم عجزوا فقال ﴿ فان لم تفعلوا ﴾ فيما مضى ﴿ ولن

أيها الذين آمنوا فارعها سمعك فانها خير يأمر به أو شر ينهى عنه ولهذا قال تعالى (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم) الآية وان جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الاحوال وفي وصف الجنة والنار وما أعد الله فيهما لاوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم، والملاذ والعذاب الاليم، بشرت به وحذرت وأنذرت، ودعت الى فعل الخير واجتناب المنكرات، وزهدت في الدنيا ورغبت في الاخرى، وثبتت على الطريقة المثلى، وهدت الى صراط الله المستقيم، وشرعه القويم، ونفت عن القلوب رجس الشيطان، الرجيم. ولهذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من نبي من الانبياء الا قد أعطى من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما الذي كان أوتيته وحيا أوحاه الله الي فارجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» لفظ مسلم - وقوله صلى الله عليه وسلم وانما كان الذي أوتيته وحيا أي الذي اختصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه بخلاف غيره من الكتب الالهية فانها ليست بمعجزة عند كثير من العلماء والله أعلم، وله عليه الصلاة والسلام من الآيات الدالة على نبوته وصدقه فيما جاء به مالا يدخل تحت حصر والله الجمد والمنة

وقد قرر بعض المتكلمين الاعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة فقال ان كان هذا القرآن معجزا في نفسه لا يستطيع البشر الاتيان بمثله ولا في قواهم معارضته فقد حصل المدعى وهو المطلوب، وان كان في امكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له كان ذلك دليلا على انه من عند الله لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك، وهذه الطريقة وان لم تكن مرضية لان القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا الا انها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمناخفة عن الحق وبهذه الطريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في السور القصص كالمصر وإنا أعطيناك الكوثر

وقوله تعالى (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) أما الوقود فتفتح الواو فهو ما يلقى في النار لاضرامها كالخطب ونحوه كما قال تعالى (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) وقال تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردونه لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون) والمراد بالحجارة ههنا هي حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنقنة وهي أشد الاحجار حرا اذا حيت أجارنا الله منها : وقال عبد الملك بن ميسرة الزراد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) قال هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والارض في السماء الدنيا يعدها للكافرين. رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه وقل على شرط

تفعلوا أبدأ فيما بقي وانما قال ذلك لبيان الاعجاز وان القرآن كان معجز النبي صلى الله عليه وسلم حيث عجزوا عن الاتيان بمثله قوله (فاتقوا النار) أي فامنوا واتقوا بالابمان النار التي وقودها الناس والحجارة

الشيخين . وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يمدبون به مع النار وقال مجاهد حجارة من كبريت أنتن من الجيفة ، وقال أبو جعفر محمد بن علي حجارة من كبريت وقال ابن جريج حجارة من كبريت أسود في النار وقال لي عمرو بن دينار أصلب من هذه الحجارة وأعظم . وقيل المراد بها حجارة الاصنام والانداد التي كانت تعبد من دون الله كما قال تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) الآية حكاه القرطبي وارازي ورجحه على الاول : قال لان أخذ النار في حجارة الكبريت ليس بمستنكر فجعلها هذه الحجارة أولى . وهذا الذي قاله ليس بقوي وذلك أن النار اذا أضمرت بحجارة الكبريت كان ذلك اشد حرها وأقوى اسمعيرها ولا سيما على ما ذكره السلف من انها حجارة من كبريت معدة لذلك ، ثم ان أخذ النار بهذه الحجارة أيضا مشاهد وهذا الجص يكون أحجارا فيعمل فيه بالنار حتى يصير كذلك . وكذلك سائر الاحجار تفتخرها النار وتحرقها وانما سيق هذا في حر هذا النار التي وعدوا بها وشدة ضررها وقوة لها قال تعالى (كلما خبت زدناهم سعيرا) وهكذا رجح القرطبي ان المراد بها الحجارة التي تسعر بها النار لتحور ويشد لها قال ليكون ذلك أشد عذابا لها قال وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « كل مؤذ في النار » وهذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف ثم قال القرطبي وقد فسر بمعنيين أحدهما ان كل من آذى الناس دخل النار والآخر ان كل ما يؤذى في النار يتأذى به أهلها من السباع والهوماء وغير ذلك

وقوله تعالى (أعدت للكافرين) الا ظهر ان الضمير في أعدت عائد الى النار التي وقودها الناس والحجارة ويحتمل عوده الى الحجارة كما قال ابن مسعود ولا منافاة بين القولين في المعنى لانهما متلازمان وأعدت أى أرصدت وحصلت للكافرين بالله ورسوله كما قال ابن اسحق عن محمد بن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (أعدت للكافرين) أى ان كان على مثل ما نتم عليه من الكفر وقد استدلل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على ان النار موجودة الآن لقوله تعالى (أعدت) أى أرصدت وهيئت وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها « تحاجت الجنة والنار » ومنها « استأذنت النار ربها فقالت رب كل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف » وحديث ابن مسعود سمعنا وجبة فقلنا ما هذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا حجر ألقي به من سفير جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل الى قعرها » وهو عند مسلم وحديث صلاة الكسوف وليلة الامراء وغير ذلك من الاحاديث المتواترة في هذا المعنى وقد خالفت المعتزلة بمبهمهم قول ابن عباس وأكثر المفسرين يعني حجارة الكبريت لانها أكثر التهايبا وقبل جميع الحجارة وهو دليل على عظم تلك النار وقبل أراد بها الاصنام لان أكثر أصنامهم كانت منحوتة من الحجارة كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (أعدت) هيئت (لكافرين)

في هذا وواقفهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الاندلس

• (تنبيه ينبغي الوقوف عليه) •

قوله تعالى (فأتوا بسورة من مثله) وقوله في سورة يونس (بسورة مثله) يعم كل سورة في القرآن طويلة كانت أو قصيرة لأنها نكرة في سياق الشرط فتعم كل هي في سياق النفي عند المخففين من الأصوليين كما هو مقرر في موضعه فلا عجز حاصل في طوال السور وقصرها وهذا أعلم فيه نزاعا بين الناس سلفا وخلفا وقد قال الرازي في تفسيره فإن قيل قوله تعالى (فأتوا بسورة من مثله) يتناول سورة الكوثر وسورة العصر وقل بآياتها الكافرون ونحن نعلم بالضرورة أن الاتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكن ، فإن قلتم أن الاتيان بمثل هذه السور خارج عن مقدار البشر كان مكابرة والاقدام على هذه المكابرات مما يطرق بالتهمة إلى الدين (قلنا) فلماذا السبب اخترا الطريق الثاني وقلنا إن بلغت هذه السورة في الفصاحة حد الإعجاز فقد حصل المقصود وإن لم يكن كذلك كان امتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره معجزا فإلى التقديرين يحصل المبرز من اللفظه بحروفه والصواب أن كل سورة من القرآن معجزة لا يستطيع البشر معارضتها طويلة كانت أو قصيرة ، قل الشافعي رحمه الله لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم (والعصر أن الإنسان لفي خسر • إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وقد روينا عن عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلة الكذاب قبل أن يسلم فقال له مسيلة ماذا أنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين فقل له عمرو لقد أنزل عليه سورة وحيدة بليغة فقال وما هي فقال (والعصر أن الإنسان لفي خسر) ففكر ساعة ثم رفع رأسه فقال ولقد أنزل على مثله فقال وما هو فقال يا وبر يا وبر إنما أنت أذنان وصدر وسائرك حقير فقرر ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو والله أنك لتعلم أني لأعلم أنك تكذب

(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا

منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون)

لما ذكر تعالى ما أعد له أعداءه من الأشقياء الكافرين به وبرسله من العذاب والنكال عطف

قوله تعالى ﴿ وبشر الذين آمنوا ﴾ أي أخبروا بالبشارة كل خير صدق تنغير به بشرة الوجه ويستعمل في الخير والشر وفي الخير أغلب ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ أي الفعلات الصالحات يعني المؤمنين الذين هم من أهل الطاعات . قال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه : (وعملوا الصالحات) أي أخلصوا الأعمال كما قال (فليعمل عملا صالحا) أي خالبا عن الرياء . قال معاذ : العمل

يذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسوله الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة وهذا معنى تسمية القرآن مثالي على أصح أقوال العلماء كما سنسطه في موضعه وهو أن يذكر الإيمان ويتبع بذكر الكفر أو عكسه أو حال السعداء ثم الأشقياء أو عكسه ، وحاصله ذكر الشيء ومقابله . وأما ذكر الشيء ونظيره فذاك التشابه كما سنوضحه إن شاء الله ، فلهذا قال تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات إن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) فوصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار أي من تحت أشجارها وغرفها وقد جاء في الحديث إن أنهارها تجري في غير أخدود وجاء في السكوني إن حافتيه قباب اللؤلؤ المجوف ولا منافاة بينهما فطينها المسك الأذفر ، وحصابؤها اللؤلؤ والجوهر ، نسأل الله من فضله أنه هو البر الرحيم (١) وقال ابن أبي حاتم قرأ علي الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبو ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبل المسك » وقال أيضا حدثنا أبو سعيد حدثنا وكيع عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق ، قال قال عبد الله : أنهار الجنة تفجر من جبل مسك

(١) قد سقط
من النسخة المدعوبة
وهو أما دخول الجنة
أو الشرب من الكون

وقوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة الصالح الذي فيه أربعة أشياء ، العلم ، والنية ، والصبر ، والاخلاص ﴿ أن لهم جنات ﴾ جمع الجنة ، والجنة البستان الذي فيه أشجار مثمرة سميت بها لاجتماعها وتسترها بالأشجار . وقال الفراء : الجنة ما فيه النخيل ، والفردوس ما فيه الكرم ﴿ تجري من تحتها ﴾ أي من تحت أشجارها ومساكنها ﴿ الأنهار ﴾ أي المياه في الأنهار لأن النهر لا يجري . وقيل (من تحتها) أي بأمرهم لقوله تعالى حكاية عن فرعون (وهذه الأنهار تجري من تحتي) أي بأمرى والأنهار جمع نهر سمي به لسمته وضياؤه ، ومنه النهار . وفي الحديث « أنهار الجنة في غير أخدود » ﴿ كلما ﴾ متى ما ﴿ رزقوا ﴾ أطعموا ﴿ منها ﴾ أي من الجنة ﴿ من ثمرة ﴾ أي ثمرة ومن صلة ﴿ رزقا ﴾ طعاما ﴿ قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ وقبل رفع على الغاية . قال الله تعالى (الله الأمر من قبل ومن بعد) قيل : من قبل في الدنيا وقبل : الثمار في الجنة متشابهة في اللون ، مختلفة في الطعم ، فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى ﴿ وأتوا به ﴾ بالرزق ﴿ متشابهة ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والربيع : متشابهة في الألوان ، مختلفة في الطعوم . وقال الحسن وقتادة متشابهة أي يشبه بعضها بعضا في الجودة ، أي كلها خيار لا رزالة فيها . وقال محمد بن كعب : يشبه تمر الدنيا غير أنها أطيب . وقيل : متشابهة في الاسم ، مختلفة في الطعم . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه : ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الاسمي . أنا أبو حامد أحمد ابن عبد الله الصالح أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي أنا محمد بن كثير أنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن

قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ، قال انهم أتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا اليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وهكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ونصره ابن جرير وقال عكرمة (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) قال معناه مثل الذي كان بالامس وكذا قال الربيع بن أنس . وقال مجاهد يقولون ما أشبهه به ، قال ابن جرير وقال آخرون بل تأويل ذلك هذا الذي رزقنا من قبل ثمار الجنة من قبل هذا الشدة مشابة بعضه بعضا لقوله تعالى (وأتوا به متشابهها) قال سنيد ابن داود حدثنا شيخ من أهل المصبصة عن الازاعي عن يحيى بن أبي كثير قال يؤتي أحدهم بالصحفة من الشيء فيأكل منها ثم يؤتي باخري فيقول هذا الذي أتينا به من قبل فنقول للملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سبجان حدثنا عامر بن يساف عن يحيى بن أبي كثير قال عشب الجنة الزعفران وكثبانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالغوا كه فيأكلونها ثم يؤتونها بمثلها فيقول لهم أهل الجنة هذا الذي أتيتمونا آنفا به فنقول لهم الولدان كلوا فاللون واحد والطعم مختلف وهو قول الله تعالى (وأتوا به متشابهها) وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالصة (وأتوا به متشابهها) قال يشبه بعضه بعضا ويختلف في الطعم ، قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد والربيع بن أنس والسدي نحو ذلك وقال ابن جرير بإسناده عن السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن

جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يمزقون ، يلبسون الحمد والتبشيع كما تلبسون النفس ، طعامهم الجشاء ورشحهم المسك » قوله تعالى « ولهم فيها » في الجنان « أزواج » نساء وجواري يعني من الحور العين « مطهرة » من الغائط والبول والحيض والنفاس والبصاق والحطاط والمني والولد وكل قدر . قال ابراهيم النخعي : في الجنة جماع ما شئت ولا ولد . وقال الحسن : هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قدرات الدنيا . وقيل : مطهرة عن مساوي الاخلاق « وهم فيها خالدون » دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها . أنا أبو عمرو عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أبو حامد احمد بن عبد الله النعماني أنا محمد بن يوسف الفهريري أنا محمد بن اسماعيل البخاري أنا قتيبة بن سعيد أنا جرير عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجاسمهم لالوة ، وأزواجهم الحور العين ، على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء » .

أنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا فضيل هو ابن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم مثل صورة القمر ليلة البدر ، والزمرة الثانية

مسعود وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى (وأتوا به متشابها) يعني في اللون والمرأى وليس يشبهه في الطعم وهذا اختيار ابن جرير وقال عكرمة (وأتوا به متشابها) قال يشبه نمر الدنيا غير ان نمر الجنة أطيب وقال سفيان الثوري عن الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا الا في الاسماء وفي رواية ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء ورواه ابن جرير من رواية الثوري وابن أبي حاتم من حديث أبي معاوية كلاهما عن الاعمش به وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم في قوله تعالى (وأتوا به متشابها) قال يعرفون اسماءه كما كانوا في الدنيا التفاح بالتفاح والرمان بالرمان قالوا في الجنة هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وأتوا به متشابها يعرفونه وليس هو مثله في الطعم وقوله تعالى (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس مطهرة من القدر والاذى . وقال مجاهد من الحيض والغائط والبول والنخام والبراق والمني والولد وقال قتادة مطهرة من الاذى والمائم وفي رواية عنه لا حيض ولا كاف وروى عن عطاء والحسن والضحاك وأبي صالح وعطية والسدي نحو ذلك . وقال ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى أنبأ ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال المطهرة التي لا تحيض ، قال وكذلك خلقت حواء عليها السلام فلما عصت قال الله تعالى اني خلقتك مطهرة وسأدملك كما أدميت هذه الشجرة — وهذا غريب — وقال الحافظ ابو بكر بن مردويه حدثنا ابراهيم بن محمد حدثني جعفر بن محمد بن حرب واحد بن محمد

على لون أحسن الكواكب في السماء ، لكل رجل منهم زوجتان ، على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحومها ودمائها وحلها — أنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقى المروزي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا احمد بن علي الكشميني أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الهمداني (١) عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على الارض لاضأت ما بين يديها وملأت ما بين يديها ريحا ، ولنضيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » صحيح أخرجه محمد بن عبد الله بن محمد عن معاوية بن عمر عن أبي اسحق عن حميد . أنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد ابن مسلم أنا أبو بكر الجوريدي أنا احمد بن الفرج الحصري أنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار أنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المغافري عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا هل من مشعر للجنة ، ران الجنة لا خطر لها وهي ورب الكعبة نور يتلالا ، وربانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، ومرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام أبد في دار مليمة ، وفاكة خضرة ، وحمرة ، ونعمة في محلة عالية بهية » قالوا : نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال « قولوا ان شاء الله » قال القوم : ان شاء الله . وروي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهل الجنة جرد مرد كحل لا يفتى شبابهم ،

(١) ن المدني

الخواري (١) قال حدثنا محمد بن عبيد الكندي حدثنا عبد الرزاق بن عمر البزيعي حدثنا عبد الله بن المبارك عن شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال من الحيض والغائط والنخاعة والبزاق هذا حديث غريب — وقد رواه — الحاكم في مستدركه عن محمد بن يعقوب عن الحسن بن علي بن عفان عن محمد بن عبيد به وقال صحيح على شرط الشيخين وهذا الذي ادعاه فيه نظر فان عبد الرزاق بن عمر البزيعي هذا قال فيه ابو حاتم بن حبان البستي لا يجوز الاحتجاج به (قلت) والظاهر أن هذا من كلام قتادة كما تقدم والله أعلم وقوله تعالى (وهم فيها خالدون) هذا هو تمام السعادة فانهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع فلا آخر له ولا انقضاء بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام والله المستول أن يحشرنا في زمرة من انه جواد كريم برحيم

(١) في لسان
الميزان خوري وفي
الميزان جوري بالجيم
وقد اتهم بالوضع

(ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فلما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً؟ يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين * الذين يتقصون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون)

ولا تبلى ثيابهم». انا أبو بكر محمد بن عبد الصمد التبراني انا الحاكم أبو الفضل الحدادي انا أبو يزيد محمد بن يحيى انا اسحق الخنطلي انا أبو معاوية انا عبد الرحمن بن اسحق عن الزمان بن سعيد عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان في الجنة لسوقا ليس فيه بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء، فاذا انتهى الرجل صورة دخل فيها، وان فيها لمجتمع الحور العين ينادين بصوت لم يسمع الخلائق مثله: نحن الخالدات فلا نبديد أبداً، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، فطوبى لمن كان لنا وكنا له أو نحن له» ورواه ابو عيسى عن هناد واحد ابن منيع عن ابي معاوية مرفوعاً وقال: هذا حديث غريب — انا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني انا عبد الغافر بن محمد الفارسي انا محمد بن عيسى الجلودي انا ابراهيم بن محمد بن سفيان انا مسلم ابن الحجاج انا أبو عثمان سعيد بن عبد الجبار البصري انا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون الى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلهم والله لقد ازدادتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولون وأنتم والله لقد زدتم بعدنا حسناً وجمالاً. قوله تعالى (ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها) سبب نزول هذه الآية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين يعني قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) وقوله (أو كصيب من السماء) الآيات الثلاث قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله هذه الآية إلى قوله تعالى (هم الخاسرون) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة لما ذكر الله تعالى العنكبوت والذباب قال المشركون ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله (ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا مبعوضة فما فوقها) وقال سعيد عن قتادة أي ان الله لا يستحي من الحق أن يذكر شيئا مما قل أو أكثر، وان الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة ما أراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله (ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا مبعوضة فما فوقها) (قلت) العبارة الأولى عن قتادة فيها اشعار ان هذه الآية مكية وليس كذلك وعبرة رواية سعيد عن قتادة أقرب والله أعلم. وروى ابن جريج عن مجاهد نحو هذا الثاني عن قتادة وقال ابن أبي حاتم روي عن الحسن واسماعيل بن أبي خالد نحو قول السدي وقاتدة. وقل أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في هذه الآية قال هذا مثل ضربه الله للدنيا ان البعوضة تحيا ماجعت فإذا سميت ماتت وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب لهم هذا المثل في القرآن اذا امتلأوا من الدنيا ربا أخذهم الله عند ذلك ثم تلا (فلما نسوا ماذا كانوا به فحناع عليهم ابواب كل شيء) هكذا رواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية بنحوه قاله أعلم فهذا اختلافهم في سبب النزول وقد اختار ابن جرير ما حكاه السدي لانه أمس بالسورة وهو مناسب ومعنى الآية انه تعالى أخبر أنه لا يستحي أي لا يستنكف وقيل لا يخشى ان يضرب مثلا ما أي مثل كان بأي شيء كان صغيرا كان أو كبيرا وماهنا للتقليل وتكون بعوضة منصوبة على البديل كما تقول لا ضربت ضربا ما، فيصدق بأدنى شيء أو تكون مانكرة موصوفة ببعوضة واختار ابن جرير أن ما موصولة وبعوضة معرفة باعتبارها قال وذلك سائغ في كلام العرب انهم يعربون صلة ما ومن باعتبارهما لانهما يكونان معرفة نارة ونكرة أخرى كما قال حسان بن ثابت

يكفي بنا فضلا على من غيرنا * حب النبي محمد ايانا

قال ويجوز ان تكون بعوضة منصوبة بحذف الجار وتقدير الكلام ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بين بعوضة إلى ما فوقها وهذا الذي اختاره الكسائي والفراء وقرأ الضحاك وابراهيم بن عتبة بعوضة بالرفع قال ابن جني وتكون صلة ما وحذف العائد كما في قوله (تماما على الذي أحسن) أي على اجتماعه (وقال) مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا قالت اليهود ما أراد الله بذلك هذه الاشياء الخسيسة؟ وقيل قال المشركون انا لا نعبد الهة يذكر مثل هذه الاشياء فأنزل الله تعالى (ان الله لا يستحي) أي لا يترك ولا يمنعه الحياء ان (يضرب مثلا) يذكر شيئا (ما بعوضة) ما صلة أي مثلا بالبعوضة وبعوضة نصب بدل عن المثل والبعوض صغار البق سميت بعوضة لانها

الذي هو أحسن وحكى سيبويه : ما انا بالذي قائل لك شيئا . أي بالذي هو قائل لك شيئا . وقوله تعالى (فما فوقها) فيه قولان أحدهما فما دونها في الصغر والحقارة كما اذا وصف لك رجلا بالآثوم والشح فيقول السامع نعم وهو فوق ذلك — يعني فيما وصفت — وهذا قول الكسائي وأبي عبيد قاله الرازي وأكثر المحققين . وفي الحديث « لو ان الدنيا وزن عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء » والثاني فما فوقها لما هو أكبر منها لانه ليس شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة وهذا قول قتادة بن دعامة واختيار ابن جرير فانه يؤيده ما رواه مسلم عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من مسلم يشاك شوكه فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحبت عنه بها خطيئة » فأخبر انه لا يستصغر شيئا يضرب به مثلا ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة كما لا يستنكف عن خلقها كذلك لا يستنكف من ضرب المثل بها كما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت في قوله (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلمهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) وقال (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) وقال تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها وبضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار . يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) وقال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) الآية ثم قال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخبر هل يستوى هو ومن يأمر) بالعدل الآية كما قال (ضرب لكم مثلا من أنفسمكم هل لكم مما ملكتم إيمانكم من شركاء فيما رزقناكم) الآية وقال (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) الآية وقال (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وفي القرآن أمثال كثيرة قال بعض السلف اذا سمعت المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي لان الله قال (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وقال مجاهد في قوله تعالى (ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) الامثال صغيرها وكبيرها يؤمن بها المؤمنون ويعلمون انها الحق من ربهم ويهديهم الله بها . وقال قتادة (فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم) أي يعلمون انه كلام الرحمن وانه من عند الله ، وروى عن مجاهد والحسن والربيع بن أنس نحو ذلك وقال أبو العالية (فأما الذين آمنوا فيعلمون انه كانت بعض البق (فما فوقها) يعني الذباب والعنكبوت وقال أبو عبيدة أي فما دونها كما يقال فلان جاهل فيقال وفوق ذلك أي وأجهل) فأما الذين آمنوا) بمحمد والقرآن) فيعلمون أنه) يعني المثل هو الحق) الصدق) من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي بهذا المثل فلما حذف الالف واللام نصب على الحال والقطع ثم أجابهم فقال (يضل به كثيرا) من الكفار وذلك انهم

الحق من ربه) (وما هذا المثل (واما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) كما قال في سورة المدثر (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو) وكذلك قال ههنا (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة يضل به كثيرا يعني به المنافقين ويهدي به كثيرا يعني به المؤمنين فيزيد هؤلاء ضلالة الى ضلالتهم لتكذيبهم بما قد علموه حقا يقينا من المثل الذي ضربه الله بما ضرب لهم وانه لما ضرب له موافق فذلك اضلال الله إياهم به، ويهدي به يعني المثل كثيرا من أهل الإيمان والتصديق فيزيدهم هدى الى هداهم وإيمانا الى إيمانهم لتصديقهم بما قد علموه حقا يقينا انه موافق لما ضربه الله له مثلا واقرارهم به وذلك هداية من الله لهم به (وما يضل به الا الفاسقين) قال هم المنافقون وقال أبو العالية (وما يضل به الا الفاسقين) قال هم أهل النفاق وكذا قال ربيع بن أنس وقال ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس (وما يضل به الا الفاسقين) قال يقول يعرفه الكافرون فيكفرون به. وقال قتادة (وما يضل به الا الفاسقين) فسقوا فأضلهم الله على فسقهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي عن اسحق بن سليمان عن أبي سنان عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن سعد (يضل به كثيرا) يعني الخوارج. وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد قال سألت أبي فقلت قوله تعالى (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) الى آخر الآية فقال هم الخوارج وهذا الاسناد وان صح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فهو تفسير على المعنى لأن الآية اريد منها التنصيص على الخوارج الذين خرجوا على علي بالنهر وان فان أولئك لم يكونوا حال نزول الآية وانما هم داخلون بوصفهم فيها مع من دخل لانهم سموا خوارج لخروجهم عن طاعة الامام والقيام بشرائع الاسلام والفاق في اللغة هو الخارج عن الطاعة أيضا، وتقول العرب فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرتها، ولهذا يقال للفأرة فويسقة لخروجها عن جحرها للفساد وثبت في الصحيحين عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور » فالفاق يشمل الكافر والعاصي ولكن فسق الكافر أشد وأغش والمراد من الآية الفاسق الكافر والله أعلم بدليل انه وصفهم بقوله تعالى (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون يكدبونه فيزدادون ضلالا) ويهدي به (أي بهذا المثل) كثيرا من المؤمنين فيصدقونه والاضلال هو الصرف عن الحق الى الباطل وقيل هو الهلاك يقال ضل الماء في اللبن اذا هلك (وما يضل به الا الفاسقين) الكافرون وأصل الفسق الخروج يقال فسقت الرطبة اذا خرجت عن قشرها قال الله تعالى (فسق عن أمر ربه) أي خرج ثم وصفهم فقال (الذين ينقضون) يخالفون ويتركون وأصل النقض

ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون) وهذه الصفات صفات الكفار المبينة لصفات المؤمنين كما قال تعالى في سورة الرعد (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن دأبى ؟) أما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينتقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب (الآيات الى أن قال (والذين ينتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقد اختلف أهل التفسير في معنى العهد الذي وصف هؤلاء الفاسقين بـنقضه فقل بعضهم هو وصية الله الى خلقه وأمره أيام بما أمرهم به من طاعته ونهيهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسله ، ونقضهم ذلك هو تركهم العمل به .

وقال آخرون بل هي في كفر أهل الكتاب والمنافقين منهم ، وعهد الله الذي نقضوه هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها واتباع محمد صلى الله عليه وسلم إذا بعث والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم ، ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وانكارهم ذلك وكتمانهم علم ذلك عن الناس بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبينه للناس ولا يكتُمونه فأخبر تعالى أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا . وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله وهو قول مقاتل بن حيان

وقال آخرون بل عني بهذه الآية جميع أهل الكفر والشرك والنفاق وعهده الى جميعهم في توحيد ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته وعهده اليهم في أمره ونهيته ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها الشاهدة لهم على صدقهم قالوا ونقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبين لهم صحته بالأدلة وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم أن ما أتوا به حق . وروي عن مقاتل بن حيان أيضا نحوه هذا وهو حسن واليه مال الزمخشري فإنه قال (فإن قلت) فما المراد بعهد الله ؟ قلت ما ركز في عقولهم من الحججة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثق عليهم وهو معنى قوله تعالى (وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى) إذ أخذ الميثاق عليهم من الكتب المنزلة عليهم كقوله (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) - وقال آخرون العهد الذي ذكره تعالى هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصف في قوله (وأخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا) الآيتين ونقضهم ذلك تركهم الوفاء به وهكذا روى عن مقاتل بن حيان أيضا حكى هذه الأقوال ابن جرير في تفسيره . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (الذين ينتقضون عهد الله

الكسر) عهد الله) أمر الله الذي عهد اليهم يوم الميثاق بقوله (الست بربكم ؟ قالوا بلى) وقيل أراد به العهد الذي أخذه على النبيين وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله (وأخذ الله ميثاق النبيين) الآية وقيل أراد به العهد الذي عهد اليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويلبذوا نتمته (من بعد ميثاقه) توكيده والميثاق العهد المؤكد ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يعني

من بعد ميثاقه - الى قوله - أولئك هم الخاسرون) قال هي ست خصال من المنافقين اذا كانت فيهم الظاهرة على الناس أظهروا هذه الخصال: اذا حدثوا كذبوا، واذا وعدوا أخلفوا، واذا أؤتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض. واذا كانت الظاهرة عليهم أظهروا الخصال الثلاث اذا حدثوا كذبوا، واذا وعدوا أخلفوا، واذا أؤتمنوا خانوا. وكذا قال الربيع بن أنس أيضا وقال السدي في تفسيره بإسناده قوله تعالى (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) قال هو ما عهد اليهم في القرآن فأقروا به ثم كفروا فنقضوه

وقوله (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) قيل المراد به صلة الأرحام والقرابات كما فسره قتادة كقوله تعالى (فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) ووجهه ابن جرير وقيل المراد أعم من ذلك فكل ما أمر الله بوصله وفعله فقطعوه وتركوه. وقال مقاتل بن حبان في قوله تعالى (أولئك هم الخاسرون) قال في الآخرة وهذا كما قل تعالى (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقال الضحاك عن ابن عباس كل شيء نسبته الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل خاسر فأنما يعني به الكفر وما نسبته إلى أهل الإسلام فأنما يعني به الذنب. وقال ابن جرير في قوله تعالى (أولئك هم الخاسرون) الخاسرون جمع خاسروهم الناقصون أنفسهم حظوظهم بمعصيتهم الله من رحمته كما يخسر الرجل في تجارته بأن يوضع من رأس ماله في بيعه وكذلك المنافق والكافر خسر بحرمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة أحوج ما كانوا إلى رحمته يقال منه خسر الرجل يخسر خسرا وخسرانا وخسارا كما قال جرير بن عطية

ان ضليطا في الخسار انه * أولاد قوم خلقوا اقنه

﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾

يقول تعالى محتجا على وجوده وقدرته وأنه الخالق المتصرف في عباده (كيف تكفرون بالله) أي كيف نجحدون وجوده أو تعبدون معه غيره (وكنتم أمواتا فأحياكم) أي وقد كنتم عدما فأخر جكم إلى الوجود كما قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض؟ بل لا يوقنون) وقال تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) والآيات في هذا كثيرة: وقال سفيان الثوري عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود رضي

الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الرسل عليهم السلام لانهم قالوا: نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقال المؤمنون (لا نفرق بين أحد من رسله) وقيل أراد به الأرحام (ويفسدون في الأرض) بالمعاصي وتعميق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن (أولئك هم الخاسرون) المغبونون، ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب (كيف تكفرون بالله) بعد نصب الدلائل ووضوح البرهان ثم ذكر الدلائل فقال (وكنتم أمواتا) نطقا في أصلاب آبائكم (فأحياكم) في الأرحام

الله عنه قالوا (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا) قال هي التي في البقرة (وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كنتم أمواتا فأحياكم: أمواتا في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئا حتى خلفكم ثم يميتكم مودة الحق ثم يحييكم حين يبعثكم قال وهي مثل قوله تعالى (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين): وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال كنتم ترابا قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ثم أحياكم فخلقكم فهذه حياة ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة «أخرى» — فهذه ميتتان وحياتان فهو كقوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) وهكذا روى عن السدي بسنده عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة وعن أبي العالبة والحسن ومجاهد وقتادة وأبي صالح والضحاك وعطاء الخراساني نحو ذلك روى الثوري عن السدي عن أبي صالح (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) قال يحييكم في القبر ثم يميتكم وقال ابن جريج عن يونس عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال خلقهم في ظهر آدم ثم أخذ عليهم الميثاق ثم أماتهم ثم خلقهم في الارحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة. وذلك كقوله تعالى (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وهذا غريب والذي قبله. والصحيح ما تقدم عن ابن مسعود وابن عباس وأولئك الجماعة من التابعين وهو كقوله تعالى (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) الآية كما قال تعالى في الاصنام (أموات غير أحياء وما يشعرون) الآية (وقال وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون)

﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع

سموات وهو بكل شيء عليم﴾

لما ذكر تعالى دلالة من خلقهم وما يشاهدونه من أنفسهم ذكر دليلا آخر مما يشاهدونه من خلق السموات والأرض فقال (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) أي قصد إلى السماء والاستواء ههنا مضمن معنى القصد والاقبال لانه عدى بالي فسواهن أي خلق السماء سبعة، والسماء ههنا اسم جنس فلها قال (فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) أي وعلمه محيط بجميع ما خلق، كما قال (الأي علم من خلق) وتفصيل هذه الآية في سورة حم السجدة والدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ للبعث ﴿ثم إليه ترجعون﴾ أي تردون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم. قرأ يعقوب ترجعون في كل القرآن بفتح الياء والتاء على تسمية الفاعل قوله تعالى ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ لكي تعتبروا وتستدلوا وقيل لكي تنفعوا ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ قال ابن عباس وأكبر مفسري السلف أي ارتفع إلى السماء وقال ابن كيسان

وهو قوله تعالى (قل انتم لتكفرون بالذي خالق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين) وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طاعينين فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) في هذا دلالة على انه تعالى ابتدا بخلق الارض اولاً ثم خلق السموات سبعة وهذا شأن البناء ان يبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك وقد صرح المفسرون بذلك كما سنذكره بعد هذا ان شاء الله . فاما قوله تعالى (انتم اشد خلقا أم السماء ؟ بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) والارض بعد ذلك دحائها ؟ أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم (فقد قيل انهم ههنا نماهي لطيف الخبر على الخبر لا لعطف الفعل على الفعل كما قال الشاعر
 قل لمن ساد ثم ساد ابوه * ثم قد ساد قبل ذلك جده

وقيل ان الدحي كان بعد خلق السموات والارض رواه علي بن ابي طلحة عن ابن عباس . قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة (هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) قال ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا غير ما خالق قبل فلما أراد ان يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسماه عليه فسماها ثم أبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فنتها فجعلها سبع ارضين في يومين في الاحد والاثنين فخلق الارض على حوت والحوت هو الذي ذكره في القرآن (ن والقلم) والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الرمح وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الارض فتحرك الحوض فاضطرب فترزلت الارض فأرسي عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الارض ، فذلك قوله تعالى (وجعلنا في الارض رواسي ان تمد بهم) وخلق الجبال فيها واقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثة والاربعة وذلك حين يقول (قل انتم لتكفرون بالذي خالق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين) وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) يقول أنبت شجرها (وقدر فيها اقواتها) لاهلها (في اربعة ايام سواء للسائلين) يقول من سأل فهكذا الامر (ثم استوى الى السماء وهي دخان) وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سما واحدة ثم فنتها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وانما سمى يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض (وأوحى في كل سماء امرها) قال خلق الله في كل سماء خلقا من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم ، ثم زين السماء الدنيا بالسكواكب والنفرا وجماعة من النجومين أو أقبل على خلق السماء وقبل قصد لانه خلق الارض أولا ثم عمد الى خلق السماء فسواهن سبع سموات) خلقهن مستويات لافطور فيها ولا صدوع وهو بكل

فجعلها زينة وحفظا تحفظ من الشياطين فلما فرغ من خالق ما أحب استوى على العرش فذلك حين يقول (خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش) ويقول (كانت ارقا فنفقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي) وقال ابن جرير حدثني الثوري حدثنا عبد الله بن صالح حدثني أبو معشر عن سعيد بن أبي سعيد عن عبد الله بن سلام أنه قال إن الله بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الارضين في الأحد والاثنين وخلق الاقوات والرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل فذلك الساعة التي تقوم فيها الساعة، وقال مجاهد في قوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) قال خلق الله الارض قبل السماء فلما خلق الارض ثار منها دخان فذلك حين يقول (ثم استوى الى السماء وهي دخان ففسواهن سبع سموات) قال بعضهم فوق بعض وسبع أرضين يعني بعضها تحت بعض. وهذه الآية دالة على أن الارض خلقت قبل السماء كما قال في آية السجدة (قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين) وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وواحي في كل سماء امرها ووزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فهذه وهذه دالتان على أن الارض خلقت قبل السماء وهذا مالا اعلم فيه نزاعا بين العلماء الا ما نقله ابن جرير عن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل الارض وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى (أأنتم اشد خلقا أم السماء؟ بناها رفع سمكها فسواها وغطش ليلاها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها) أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها) قالوا فذكر خلق السماء قبل الارض وفي صحيح البخاري أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه فاجاب بان الارض خلقت قبل السماء وان الارض انما دحيت بعد خلق السماء وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديما وحديثا وقد حررنا ذلك في سورة النازعات وحاصل ذلك أن الدحي (١) مفسر بقوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها) ففسر الدحي باخراج ما كان مودعا فيها بالقوة الى الفعل لما أكملت سورة المخلوقات الارضية ثم السماوية دحي بعد ذلك الارض فخرجت ما كان مودعا فيها من المياه فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها وألوانها وأشكالها وكذلك جرت هذه الافلاك فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارة والله سبحانه وتعالى أعلم. وقد ذكر ابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسير هذه الآية الحديث الذي رواه مسلم والنسائي في التفسير أيضا من رواية ابن جريج قال أخبرني اسمعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال «خلق الله شيء عظيم» قرأ أبو جهمر وأبو عمرو والكسائي وقالون وهو وهي يسكون الهاء إذا كان قبل الهاء واو أو فاء أو لام زاد الكسائي وقالون ثم هو وقالون أن يمل هو

(١) يقال دحاها يدحوه دحوا ويدحيه دحيا ومعناه الاصلي دحرجه يقال دحا المطر الحصا ودحا اللاعبين الجوزاي دحرجوه. واعلمهم فسروا دحو الارض ببسطها ليوافق قوله والله جعل لكم الارض بساطا ولكن معناه جعلها كالبساط كما قال (جعل لكم الارض فراشا)

الترية يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد وخلق الشجرة فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل « وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم وقد تكلم عليه علي بن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ وجعلوه من كلام كعب ، وان ابا هريرة انما سمعه من كلام كعب الاخبار وانما اثنى على بعض الرواة فجعلوه مرفوعا وقد حرر ذلك البيهقي (١)

﴿ واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون ﴾

يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم بتقويهم بذكرهم في الملاء الاعلى قبل ايجادهم فقل تعالى (واذا قال ربك للملائكة) أي واذا كر يا محمد اذ قال ربك للملائكة واقصص على قومك ذلك ، حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية وهو أبو عبيدة انه زعم ان اذهنا زائدة وان تقدير الكلام وقال ربك ورده ابن جرير ، قال القرطبي وكذا رده جميع المفسرين حتى قال الزجاج هذا احتراء من أبي عبيدة (اني جاعل في الارض خليفة) أي قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل كما قال تعالى (هو الذي جعلكم خلائف الارض) وقال (ويجعلكم خلفاء الارض) وقال (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) وقال (فخلف من بعدهم خلف) وقرىء في الشاذ (اني جاعل في الارض خليفة) حكاهما الزمخشري وغيره ونقل القرطبي عن زيد بن علي وليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط كما يقوله طائفة من المفسرين وعزاه القرطبي الى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل وفي ذلك نظر بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره وغيره والظاهر انه لم يرد آدم عينا اذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فانهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة البشرية فانه أخبرهم انه يخلق هذا الصنف من صالصال من حما مسنون أو فهموا من الخليفة انه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المحارم والمآثم قاله القرطبي أو انهم

قوله تعالى ﴿ واذا قال ربك ﴾ أي وقال ربك واذا زائدة وقيل معناه واذا ذكر اذ قال ربك وكذلك كل ما ورد في القرآن من هذا النوع فهذا دليله. واذا حرفا توقفت الا ان اذ المعاضي واذا المستقبل وقد يوضع أحدهما موضع الآخر قال المبرد اذا جاء اذ مع المستقبل كان معناه ماضيا كقوله تعالى (واذا يمكر) يريدوا مكر. واذا جاء اذ مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله فاذا جاءت الطامة واذا جاء نصر الله، أي يجيئ ﴿ الملائكة ﴾ جمع ملك وأصله مألوك من المألكة والالوكة والالوك وهي الرسالة فقلب فقيل ملائكة حذف الهمزة طبا للخفة لكثرة استعماله ونقلت حركتها الى اللام فقيل ملاك وأراد بهم الملائكة الذين كانوا في الارض وذلك ان الله تعالى خلق السماء والارض وخلق الملائكة والجن فأسكن

(١) بين في كتاب الاسماء والصفات علته ووجه ضعفه ولكن لم يذكر انه سمعه من كعب وحسبنا اثبات البخاري وشيخه ابن المديني لذلك وحسبنا من علة المتن مخالفته لنص القرآن في خلق السموات والارض في ستة أيام واذا كان هذا الحديث المرفوع الذي غلط مسلم بروايته كذلك فما تقدم من الروايات غير المرفوعة أولى بان تكون اما اسرائيليات واما آراء للتوفيق بين الايات المتعددة في صفة الخلق والله تعالى يقول (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) فلا يوهن أحد أن رواية الصخرة والحوت لها حكم المرفوع وانما اثبتته الاسلام أو مذهب السلف في التكوين، كلا انها رواية من الاسرائيليات التي ذكر المصنف في مقدمة تفسيره هذا سبب ايرادها وابتها لم تكن

قاسوهم على من سبق كما سندر أقوال المفسرين في ذلك ، وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهمه بعض المفسرين وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول أي لا يسألونه شيئاً لم يأذن لهم فيه وههنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقاً قال قتادة وقد تقدم إليهم أنهم يفسدون فيها فقالوا (أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك يقولون يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء فإن كان المراد عبادك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك أي نصلي لك كما سيأتي . أي ولا يصدر منا شيء من ذلك وهلا وقع الاختصار علينا ؟ قال الله تعالى مجيباً لهم عن هذا السؤال (اني أعلم ما لا تعلمون) أي اني أعلم من المصلحة الرجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم فاني سأجعل فيهم الانبياء وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والاولياء والابرار والمقربون والعلماء العالمون والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسوله صلوات الله وسلامه عليهم ، وقد ثبت في الصحيح ان الملائكة اذا صعدت الى الرب تعالى بأعمال عبادهم يسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون . وذلك لانهم يتعاقبون فينا ويجمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر فيمكث هؤلاء ويصعد أولئك بالأعمال كما قال عليه الصلاة والسلام « يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل » فقولهم أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون من تفسير قوله لهم (اني أعلم ما لا تعلمون) وقيل معنى قوله جواباً لهم (اني أعلم ما لا تعلمون) اني لى حكمة مفصلة في خلق هؤلاء والحالة ما ذكرتم لا تعلمونها ، وقيل انه جواب (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فقال (اني أعلم ما لا تعلمون) أي من وجود ابليس بينكم وليس هو كما وصفتم أنفسكم به . وقيل بل تضمن قولهم (أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) طلباً منهم ان يسكنوا الأرض بدل بني آدم فقال الله تعالى لهم (اني أعلم ما لا تعلمون) من ان بقاءكم في السماء أصلح لكم وأليق بكم . ذكرها ارازي مع غيرها من الاجوبة والله أعلم

الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فعبدوا دهرها طويلاً في الأرض ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فافسدوا وقتلوا فبعث الله إليهم جنداً من الملائكة يقال لهم الجن وهم خزان الجنان اشتق لهم من الجنة رأسهم ابليس وكان رئيسهم ومرشدهم وأكرمهم علماً فهبطوا الى الأرض فطردوا الجن الى شعوب الجبال وجزائر البحور وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة فاعطى الله ابليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما أعطاني الله هذا الملك الا لاني أكرم الملائكة عليه فقال الله له ولجنسك (اني جاعل في الأرض خليفة) أي بدلا منكم ورافعكم الي ، ففكر هو ذلك لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة

﴿ ذكر أقوال المفسرين ببسط ما ذكرناه ﴾

قال ابن جرير حدثني القاسم بن الحسن حدثني الحجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة قالوا قال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قال لهم اني فاعل هذا ومعناه انه أخبرهم بذلك، وقال السدي استشار الملائكة في خلق آدم رواه ابن أبي حاتم وقال وروى عن قتادة نحوه وهذه العبارة ان لم ترجع الى معنى الاخبار ففيها تساهل وعبارة الحسن وقتادة في رواية ابن جرير احسن والله أعلم (في الارض) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن عطاء بن السائب عن عبيد الرحمن بن سابط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «دحيت الارض من مكة وأول من طاف بالبيت الملائكة فقال الله اني جاعل في الارض خليفة يعني مكة» وهذا مرسل وفي سننه ضعف وفيه مدرج وهو أن المراد بالارض مكة والله أعلم فان الظاهر أن المراد بالارض أعم من ذلك (خليفة) : قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ان الله تعالى قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة. قالوا ربنا وما يكون ذاك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا. قال ابن جرير فكان تأويل الآية على هذا اني جاعل في الارض خليفة مني يخلفني في الحكم بالعدل بين خلقي وان ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه وأما الافساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه : قال ابن جرير وانما معنى الخلافة التي ذكرها الله انما هي خلافة قرن منهم قرنا قال والخليفة الفعيلة من قولك خلف فلان فلانا في هذا الاثر اذا قام مقامه فيه بعده كما قال تعالى (ثم جعلناكم خلافة في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون) ومن ذلك قيل للسلطان الاعظم خليفة لانه خالف الذي كان قبله فقام بالامر فكان منه خلفا. قال وكان محمد بن اسحق يقول في قوله تعالى (اني جاعل في الارض خليفة) يقول ساكننا وعامرا يعمرها ويسكنها خلفا ليس منكم : قال ابن جرير وحدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضمك عن ابن عباس قال ان أول من سكن الارض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله اليهم ابليس فقتلهم ابليس ومن معه حتى الحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ثم خلق آدم فأسكنه اياها فلذلك قال (اني جاعل في المراد بالخليفة ههنا آدم سماه خليفة لانه خلف الجن أي جاء بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لافامة أحكامه وتنفيذ قضاياه ﴿فلولا أن يجعل فيهما من يفسد فيها﴾ بغير حق أي كما فعل بنو الجان فقاوسوا الشاهد على الغائب والافهم ما كانوا يعلمون الغيب ﴿ونحن نسبح بحمده﴾ قال الحسن نقول سبحان الله وبحمده وهو صلاة الخلق وصلاة البهائم وغيرهما سوى الادميين وعليها يرزقون أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا

الارض خليفة) وقال سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن ابن سابط اني جاعل في الارض خليفة قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ قال يعنون به بني آدم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال الله للملائكة اني أريد أن اخلق في الارض خلفا وأجعل فيها خليفة وليس لله عز وجل خلق الا الملائكة والارض وليس فيها خلق قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها . وقد تقدم ما رواه السدي عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة ان الله أعلم الملائكة بما تفعله ذرية آدم فقالت الملائكة ذلك وتقدم أنفا ما رواه الضحاك عن ابن عباس ان الجن أفسدوا في الارض قبل بني آدم فقالت الملائكة ذلك فقاوسوا هؤلاء بأولئك : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن بكير بن الاخفس عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال كان الجن بنو الجن في الارض قبل أن يخلق آدم بأنفي سنة فأفسدوا في الارض وسفكوا الدماء فبعث الله جندا من الملائكة فضر بهم حتى ألحقوا بجزائر البحور فقال الله للملائكة : اني جاعل في الارض خليفة ، قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ قال اني أعلم مالا تعلمون . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (اني جاعل في الارض خليفة الى قوله أعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) قال خلق الله الملائكة يوم الاربعاء وخلق الجن يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة فكفر قوم من الجن فكانت الملائكة تهبط اليهم في الارض فتقاتلهم بغيرهم وكان الفساد في الارض فن ثم قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها كما أفسدت الجن ويسفك الدماء كما سفكوا قول ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مبارك بن فضالة أخبرنا الحسن : قال قال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قال لهم اني فاعل فآمنوا ببرهم فعلمهم علما وطوى عنهم علما علمه ولم يعلموه فقالوا بالعلم الذي علمهم أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ قال اني أعلم مالا تعلمون . قال الحسن ان الجن كانوا في الارض يفسدون ويسفكون الدماء ولكن جعل الله في قلوبهم ان ذلك سيكون فقالوا بالقول الذي علمهم . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (أنجعل فيها من يفسد فيها) كان الله أعلمهم انه اذا كان في الارض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء فذلك حين قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام الرازي حدثنا ابن المبارك عن معروف يعني ابن خربوذ المكي عن سمع أبا جعفر محمد بن علي يقول السجمل ملك وكان هاروت وماروت من أعوانه وكان له كل يوم ثلاث لمحات في أم الكتاب فنظر نظرة لم تكن له فأبصر فيها خلق مسلم بن الحجاج أناز هير بن حرب أناحبان بن هلال أنا وهيب أنا سعيد الجري عن أبي عبد الله الجسري عن ابن الصامت عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل؟ قال « ما استطاعه الله الملائكة أولعباده : سبحان الله وبحمده » وقيل ونحن نصلي بأمرك قال ابن عباس كل ما في القرآن من التسييح فالمراد منه الصلاة (وندس لك) أي نثني عليك بالقدس والطهارة عمال باليق بعظمك وجلالك وقيل ونظير أنفسنا الطاعتك وقيل ونزهك . واللام صلة وقيل لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض

آدم وما كان فيه من الامور فأسر ذلك الى هاروت وماروت وكانا من أعوانه فلما قال تعالى: اني جاعل في الارض خليفة— قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء. قالا ذلك استطالة على الملائكة. وهذا أثر غريب وبتقدير صحته الى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر فهو نقله عن أهل الكتاب وفيه نكارة توجب رده والله أعلم. ومقتضاه ان الذين قالوا ذلك انما كانوا اثنين فقط وهو خلاف السياق وأغرب منه ما رواه ابن أبي حاتم أيضا حيث قال: حدثنا أبي حدثنا هشام بن أبي عبيد الله حدثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير قال سمعت أبي يقول ان الملائكة الذين قالوا (أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسيح بحمدك وتقدس لك) كانوا عشرة آلاف فخرجت نار من عند الله فأحرقتهم وهذا أيضا اسرائيلي منكر كالذي قبله والله أعلم. قال ابن جرير انما تكلموا بما أعلمهم الله انه كائن من خلق آدم فقالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء. قال ابن جرير وقال بعضهم انما قلت الملائكة ما قالت أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لان الله أذن لهم في السؤال عن ذلك بعد ما أخبرهم ان ذلك كائن من بني آدم فسألته الملائكة فقالت على التعجب منها وكيف يعصونك يا رب وأنت خالقهم فأجابهم ربهم (اني أعلم ما لا تعلمون) يعني ان ذلك كائن منهم وان لم تعلموه أتم ومن بعض ما تروونه لي طائعا. قال وقال بعضهم ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك فكأنهم قالوا يا رب خبرنا— مسألة استخبار منهم لاعلى وجه الانكار— واختاره ابن جرير: وقال سعيد بن قتادة قوله تعالى: واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة— قالوا استشار الملائكة في خلق آدم فقالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقد علمت الملائكة انه لا شيء أكره عند الله من سفك الدماء والفساد في الارض— ونحن نسيح بحمدك وتقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون. فكان في علم الله انه سيكون من تلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة قال وذكر لنا عن ابن عباس انه كان يقول ان الله لما أخذ في خلق آدم عليه السلام قالت الملائكة ما الله خالق خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم منا فابتلوا بخلق آدم وكل خلق مبتلى كما ابتليت السموات والارض بالطاعة فقال الله تعالى (اثبتوا طوعا أو كرها قالنا آتينا طائعين) وقوله تعالى (ونحن نسيح بحمدك وتقدس لك): قال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة قال التسبيح والتسبيح والتقديس الصلاة: روى السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ونحن نسيح بحمدك وتقدس لك قال يقولون نصلي لك: وقال مجاهد ونحن نسيح بحمدك وتقدس لك قال نعظمك ونكبرك. وقال الضحاك التقديس التطهير وقال محمد بن اسحق ونحن نسيح بحمدك وتقدس لك قال لا نعصي ولا نأتي شيئا نكرهه. وقال ابن جرير التقديس هو التعظيم والتطهير. ومنه قولهم سبوح

والعجب بالعمل بل على سبيل التعجب وطلب وجه الحكمة فيه (قال) الله (اني أعلم ما لا تعلمون) من المصلحة فيه وقيل اني أعلم ان في ذريته من يطيعني ويعبدني من الانبياء والاولياء والصالحاء وقيل اني أعلم ان فيكم من يعصيني وهو ابليس وقيل اني أعلم انهم يذنبون وأنا أغفر لهم. قرأ أهل الحجاز والبصرة اني أعلم

قدوس يعني بقولهم سبوح تزيه له ، وبقولهم قدوس طهارة وتمظيم له : وكذلك قيل للارض
ارض مقدسة يعني بذلك المطهرة . فمعنى قول الملائكة اذا (ونحن تسبح بحمدك) نزهك ونبرئك
بما يضيفه اليك اهل الشرك بك (ونقدس لك) ننسبك الى ما هو من صفاتك من الطهارة من الادناس
وما اضاف اليك اهل الكفر بك . وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل ؟ قال « ما اصطفى الله للملائكته سبحان الله وبحمده » وروى
البيهقي عن عبد الرحمن بن قرط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به سمع تسبيحا في
السموات العلاء « سبحان العلي الاعلى سبحانه وتعالى » (قال فاني أعلم ما لا تعلمون) قال قتادة فكان
في علم الله انه سيكون في تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة وسيأتي عن ابن مسعود
وابن عباس وغير واحد من الصحابة والتابعين أقوال في حكمة قوله تعالى قال (اني أعلم ما لا تعلمون)
وقد استدلل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه
ويقطع تنازعهم وينتصر لمظلومهم من ظالمهم ويقيم الحدود ويزجر عن تعاطي الفواحش الى غير ذلك
من الامور المهمة التي لا تمكن اقامتها الا بالامام وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب . والامامة تنال
بالنص كما يقوله طائفة من اهل السنة في أبي بكر أو بالاباء اليه كما يقول آخرون منهم أو باستخلاف
الخليفة آخر بعده كما فعل الصديق عمر بن الخطاب أو بتركه شورى (١) في جماعة صالحين كذلك كما
فعله عمر أو باجتماع اهل الحل والعقد على مبايعته (٢) أو بمبايعه واحد منهم له فيجب التزامها عند الجمهور (٣)
بفتح الياء وكذلك كل ياء اضافة استقبلها ألف مفتوحة الا في مواضع معدودة ويبحثون في بعض المواضع
عند الالف المضمومة والمكسورة وعند غير الالف وبين القراء في تفصيله اختلاف

(١) كذا ومراده
ترك الامر والا لقال
تركها

(٢) حاشية : التحقيق الذي عليه المحققون ان أمر الخلافة موكل الى اهل الحل والعقد من
المسلمين وهو عين العمل بالشورى . فاما النص فلم يبق فيه فائدة عملية بل لم يبق عليه عمل في الماضي
اذ لم تبين مبايعه ابي بكر عليه على ما يقول بعض اهل السنة ولا مبايعه علي على ما تقول الشيعة . وأما
العهد فحقيقة ما كان من أبي بكر انه رشح عمر (رضي الله عنهما) ووافق بحذ ذلك اهل الحل والعقد
من الصحابة حتى اقنعهم فعهد اليه ان يقيم الحق والعدل الخ وأما في جماعة من الصالحين فهو تعبير غير
محدد لفعل عمر ، فان سبب حصره الاختيار في الستة فهو لصفة أخص من الصلاح وهو انهم سادة بطون
قريش وأسبقهم في الايمان ونصر الدين وان النبي (ص) مات وهو راض عنهم كما صرح به عمر .
وغاية هذا انهم اذا بايعوا واحدا منهم فان سائر الامة تتبعهم فلا يقع شقاق ولا خلاف . وكذلك كان
(٣) هذا قول ضعيف لا وجه له فان استدلل عليه بمبايعه عمر لابي بكر فمعمر قد صرح بان تلك
البيعة كانت فاتمة وفي الله شرها وان من عاد الى مثلها ولم يعمل بمشاوره المسلمين كان عرضة للقتل
كما رواه البخاري عنه ولكن لما كان هذا القول محكما عن الاشعري وجهه بعض الفقهاء بأنه محمول على ما
اذا انحصر اهل الحل والعقد في هذا الواحد كما بيناه في كتابنا (الخلافة أو الامامة العظمى)
وكتبه محمد رشيد رضا

وحكى على ذلك امام الحرمين الاجماع والله أعلم . أو بقهر واحد الناس على طاعته فتجب لثلاثي ذلك الى الشقاق والاختلاف وقد نص عليه الشافعي وهل يجب الاشهاد على عقد الامامة فيه خلاف فنههم من قال لا يشترط وقيل بلى ويكفي شاهدان . وقال الجبائي يجب أربعة وعاقده ومعقود له كما ترك عمر رضي الله عنه الامر شورى بين سنة فوقع الامر على عاقده وهو عبد الرحمن بن عوف ومعقود له وهو عثمان ، واستنبط وجوب الاربعة اليهود من الاربعة الباقيين وفي هذا نظر (١) والله أعلم ويجب ان يكون ذكر احرا باغا عاقلا مسلما عدلا مجتهدا بصيرا سليم الاعضاء خبيراً بالحروب والآراء قرشياً على الصحيح (٢) . ولا يشترط الهاشمي ولا المعصوم من الخطا خلافاً للقلاة الروافض ، ولو فسق الامام هل ينعزل أم لا؟ فيه خلاف والصحيح انه لا ينعزل لقوله عليه الصلاة والسلام « لا ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان » وهل له ان يزل نفسه فيه خلاف ، وقد عزل الحسن بن علي رضي الله عنه نفسه وسلم الامر الى معاوية لكن هذا لعذر وقد مدح على ذلك . فأما نصب امامين في الارض أو أكثر فلا يجوز لقوله عليه الصلاة والسلام « من جاءكم وأمركم بجميع يريد أن يفرق بينكم فقتلوه كائنا من كان » وهذا قول الجمهور وقد حكى الاجماع على ذلك غير واحد منهم امام الحرمين وقالت الكرامية يجوز اثنين فأكثر كما كان علي ومعاوية امامين واجبي الطاعة قالوا وإذا جاز بعث نبين في وقت واحد وأكثر جاز ذلك في الامامة لان النبوة أعلى رتبة بلا خلاف وحكى امام الحرمين عن الاستاذ أبي اسحق انه جوز نصب امامين فأكثر اذا تباعدت الاقطار واتسعت الاقاليم بينهما وتردد امام الحرمين في ذلك قلت وهذا يشبه حال الخلفاء بني العباس بالعراق والفاطميين بمصر والامويين بالمغرب ولنتقرر هذا كله في موضع آخر من كتاب الاحكام ان شاء الله تعالى

﴿ وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ﴾ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبذرون وما كنتم تكتمون ﴿

هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء . دونهم قوله ﴿ وعلم آدم الاسماء كلها ﴾ سمى آدم لانه خلق من أديم الارض وقيل لانه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وأبو البشر فلما خلقه الله عز وجل علمه أسماء الاشياء وذلك ان الملائكة قالوا لما قال الله تعالى (اني جاعل في الارض خليفة) : ليخلق ربنا ماشاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا وان كان غيرنا أكرم عليه فنحن أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره . فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم . وفيه دلائل على أن الانبياء أفضل من الملائكة وان كانوا رسلاً كما ذهب اليه أهل السنة والجماعة قال ابن عباس ومجاهد وقنادة علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصبعة وقبل اسم ما كان وما يكون الى يوم القيامة وقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة

(١) وجه النظر
ان ما ذكر كان أمراً
اتفاقياً في واقعة حال
فلا يتخذ قاعدة
شرعية .

(٢) هو الذي
وقع عليه اجماع أهل
السنة سلفاً وخلفاً
سم خالف فيه
الخوارج بمض
المتزلة وهو كل المراد
بمقابل الصحيح

وهذا كان بعد سجودهم له وإنما قدم هذا الفصل على ذلك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألوا عن ذلك فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم فقال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) قال السدي عن حدثه عن ابن عباس (وعلم آدم الاسماء كلها) قال علمه أسماء ولده إنسانا إنسانا والدواب فقيل هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس، وقال الضحاك عن ابن عباس (وعلم آدم الاسماء كلها) قال هي هذه الاسماء التي يتعارف بها الناس انسان ودواب وسما وأرض وسهل وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الامم وغيرها، وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عاصم ابن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس (وعلم آدم الاسماء كلها) قال علمه اسم الصحفة والقدر قال نعم حتى الفسوة والفسية، وقال مجاهد (وعلم آدم الاسماء كلها) قال علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء، وكذلك روى عن سعيد بن جبير وقناة وغيرهم من السلف أنه علمه اسماء كل شيء وقال الربيع في رواية عنه أسماء الملائكة. وقال حميد الشامي أسماء النجوم. وقال عبد الرحمن بن زيد علمه أسماء ذريته كلهم. واختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية لأنه قال (ثم عرضهم) عبارة عما يعقل. وهذا الذي رجح به ليس بلازم فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب كما قال تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير) وقد قرأ عبد الله بن مسعودهم عرضهم. وقرأ ابي بن كعبهم عرضها أي السموات الصحيح انه علمه أسماء الاشياء كلها ذراتها وصفاتها وأفعالها كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية يعني ذوات الاسماء والافعال المكبر والمصغر ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية في كتاب التفسير من صحيحه: حدثنا مسلم ابن ابراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال لي خليفة. حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيأتون آدم فيقولون انت أبو الناس خلقتك الله بيده وأجد لك ملائكة وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول لست هناكم وبذركم فيستحي، ثم اتوا وقيل أسماء ذريته وقبل صنعة كل شيء قال أهل التأويل ان الله عز وجل علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده باللغة فتفرقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم بلغة (ثم عرضهم على الملائكة) إنما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومالا يعقل يكفى عنها بلفظ من يعقل كما يكفى عن الذكور والاناث بلفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة فالكناية راجعة الى الشخوص فلذلك قال عرضهم (فقال أنبؤني) أخبروني (بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) اني لا أخلق خلقا الا وكنتم أفضل وأعلم منه فقالت الملائكة اقراراً بالعجز

نوحا فإنه أول رسول بعثه الله الى أهل الارض . فيأتونه فيقول لست هنا كم ، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي . فيقول اتوا خليل الرحمن فيأتونه فيقول لست هناكم . فيقول اتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتونه فيقول لست هناكم ويذكر قتل النفس بغير نفس فيستحي من ربه . فيقول اتوا عيسى عبدا لله ورسوله وكلمة الله وروحه فيأتونه فيقول لست هناكم . اتوا محمدا عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأنطلق حتى استأذن ربي فيأذن لي فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ثم يقال ارفع رأسك وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمني ثم أشفع فيجد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود اليه فإذا رأيت ربي مثله ثم أشفع فيجد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة ثم أعود الرابعة فأقول ما بقى في النار الا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود . هكذا ساق البخاري هذا الحديث ههنا . وقد رواه مسلم والنسائي من حديث هشام وهو ابن أبي عبد الله الدستوائي عن قتادة به وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث سعيد وهو ابن أبي عروبة عن قتادة . ووجه إيراده ههنا والمقصود منه قوله عليه الصلاة والسلام : فيأتون آدم فيقول أنت أبو الناس خلقتك الله يديه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسرار كل شيء . فدل هذا على انه علمه أسماء جميع المخلوقات ولهذا قال (ثم عرضهم على الملائكة) يعنى المسميات كما قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ثم عرض تلك الاسماء على الملائكة (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة (وعلم آدم الاسماء كلها) ثم عرض الخلق على الملائكة . وقال ابن جرير عن مجاهد ثم عرض أصحاب الاسماء على الملائكة وقال ابن جرير : حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني الحجاج عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقاتة قالوا : علمه اسم كل شيء وجعل يسمي كل شيء باسمه وعرضت عليه أمة أمة وبهذا الاسناد عن الحسن وقاتة في قوله تعالى (ان كنتم صادقين) اني لم أخلق خلقا الا كنتم أعلم منه فأخبروني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . وقال الضحاك عن ابن عباس ان كنتم صادقين ان كنتم تعلمون اني لم أجعل في الارض خليفة ؟ . وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ان كنتم صادقين ان نبي آدم

﴿ قالوا سبحانك ﴾ تنزيها لك ﴿ لا علم لنا الا ما علمتنا ﴾ . معناه انك أجل من أن نحيط بشيء من علمك الا ما علمتنا ﴿ انك أنت الالميم ﴾ بخلفك ﴿ الحكيم ﴾ في أمرك والحكيم له معنيان أحدهما الحاكم وهو القاضي العدل والثاني المحكم للامر كي لا يتطرق اليه الفساد وأصل الحكمة في اللغة المنع فهي تمنع صاحبها من بباطل ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها من الاعوجاج فلما ظهر عجزهم ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ يا آدم أنبئهم قاسماتهم ﴾ أخبرهم بأسمائهم فسمى آدم كل شيء وذكر الحكمة التي لاجلها خلق ﴿ فلما أنبأهم بأسمائهم ﴾ ال ﴿ الله تعالى ﴾ ﴿ ألم أقل لكم ﴾ يا ملائكتي ﴿ اني أعلم غيب السموات والارض ﴾ ما كان منهما وما

يفسدون في الارض ويسفكون الدماء . وقال ابن جرير وأولى الاقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله ومعنى ذلك فقال انبئوني باسماء من عرضته عليكم ايها الملائكة القائلون: أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ من غيرنا أم منا . فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك — ان كنتم صادقين في قيلكم اني ان جعلت خليقتي في الارض من غيركم عصاني وذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء وان جعلتكم فيها اطعموني واتبعتم أمري بالتعظيم والتقديس فاذا كنتم لا تعلمون اسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم وأنتم تشاهدونهم فأنتم بما هو غير موجود من الامور السكينة التي لم توجد أخرى ان تكونوا غير عالمين (قولوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى أن يحيط احد بشيء من علمه الا بما شاء وأن يعلموا شيئا الا ما علمهم الله تعالى ولهذا قالوا (سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) اي العليم بكل شيء الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعاليمك ما تشاء ومنعت ما تشاء لك الحكمة في ذلك والعدل التام . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا حفص بن غياث عن حجاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس : سبحان الله . قال تنزيه الله نفسه عن السوء ثم قال قال عمر لعلي وأصحابه عنده لا اله الا الله قد عرفناها فما سبحان الله ؟ فقال له علي كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها وأحب ان يقال . قال وحدثنا أبي حدثنا فضيل بن النضر بن عدي قال سأل رجل ميمون بمهران عن سبحان الله قال اسم يعظم الله به وبحاشابه من السوء

قوله تعالى (قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قال زيد بن أسلم قال أنت جبرائيل أنت ميكايل أنت اسرافيل حتى عدد الاسماء كلها حتى بلغ الغراب . وقال مجاهد في قول الله قل (يا آدم أنبئهم باسمائهم) قال اسم الحماة والغراب واسم كل شيء ، وروي عن سعيد بن جبير والحسر وقتادة نحو ذلك فلما ظهر فضل آدم عليه السلام على الملائكة عليهم السلام في سرده ما علمه الله تعالى من أسماء الاشياء ، قال الله تعالى للملائكة (ألم قل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون أي ألم أقدم اليكم اني أعلم الغيب الظاهر والخبى كما قال تعالى (وان نجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) وكما قال اخباراء عن الهدهد انه قال سليمان (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) الله لا اله الا هو رب العرش العظيم (وقيل في قوله تعالى (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) غير

يكون لانه قد قال لهم « اني أعلم ما لا تعلمون » قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو « اني » بفتح اليا وكذا قال يفتحون كل باء اضافة استقبلها ألف قطع مفتوحة الا حرقا معدودة ويفتح ونافع وأبو عمرو عند الالف المكسورة أيضا الا حرقا معدودة ويفتح نافع عند المضمومة الا حرقا معدودة والاخرون لا يفتحون الا في أحرف معدودة ﴿ وأعلم ما تبدون ﴾ قال الحسن وقتادة يعني قولهم أنجعل فيها من يفسد فيها ﴿ وما كنتم تكتمون ﴾ قواكم لن يخلق الله خلقا كرم عليه منا ، قال ابن عباس هو ان ابليس مر على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لاروح فيه فقال لا مرمأ خلق هذا ثم دخل في فيه وخرج من دبره وقال

ما ذكرناه فروى الضحاك عن ابن عباس (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قال أعلم السر كما أعلم العلانية يعني ما كنتم ابليس في نفسه من الكبر والاعتزاز . وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قل قو لهم أنجعل فيها من يفسد فيها ويفسك الدماء الآية فهذا الذي أبدوا (وما كنتم تكتمون) يعني ما أسرا بليس في نفسه من الكبر وكذلك قال سعيد بن جبيرة ومجاهد والسدي والضحاك والثوري . واختار ذلك ابن جرير وقال أبو العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة هو قو لهم لم يخلق ربنا خلقا الا ككنا أعلم منه وأكرم عليه منه : وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) فكان الذي أبدوا هو قو لهم : أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . وكان الذي كنتموا بينهم قو لهم ان يخلق ربنا خلقنا الا ككنا أعلم منه وأكرم . فعرفوا ان الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم . قال ابن جرير حدثنا بنونس حدثنا بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قصة الملائكة وآدم : فقال الله للملائكة (كما لم تعلموا هذه الاسماء فليس لكم علم انما أردت أن أجعلهم ليفسدوا فيها ، هذا عندي قد علمته فكذلك أخفيت عنكم أني أجعل فيها من يعصيني ومن يطيعني ، قال وقد سبق من الله (لا ملائكة منهم من الجنة والناس أجمعين) قال ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه قال فلما رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقروا له بالفضل . وقال ابن جرير وأولى الاقوال في ذلك قول ابن عباس وهو ان معنى قوله تعالى : (أعلم ما تبدون - وأعلم مع علي غيب السموات والارض ما تظرونه بألسنتكم وما كنتم تخفون في انفسكم فلا يخفى علي شيء سواء عندي سرايركم وعلانياتكم والذي أظهره بألسنتهم قو لهم أنجعل فيها من يفسد فيها ، والذي كانوا يكتمون ما كان منظوبا عليه ابليس من الخلاف على الله في أوامره والتكبر عن طاعته . قال وصرح ذلك وكما تقول العرب (١) قتل الجيش وهزموا ، وانما قتل الواحد أو البعض وهزم الواحد أو البعض فيخرج الخبر عن المزموم منه والمقتول يخرج الخبر عن جميعهم كما قال تعالى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) ذكر أن الذي نادى انما كان واحدا من بني تميم ، قال وكذلك قوله (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)

﴿ واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابنى واستكبر وكان من الكافرين ﴾

وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لا آدم امتن بها على ذريته حيث أخبر انه تعالى أمر الملائكة

انه خلق لا يتماثل لانه اجوف ثم قال للملائكة الذين معه رأيتم ان فضل هذا عليكم وأمرتم بطاعة ماذا تصنعون؟ قالوا نطيع أمر ربنا ، فقال ابليس في نفسه والله لئن سلطت عليه لاهلكنه ولئن سلط علي لأعصينه فقال الله تعالى « وأعلم ما تبدون » يعني ما يبدية الملائكة من الطاعة « وما كنتم تكتمون » يعني ابليس من المعصية وقوله تعالى ﴿ واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ قرأ أبو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء على جوار ألف اسجدوا وكذلك قرأ (قل رب احكم بالحق) بضم الباء وضعفه النحاة جدا ونسبوه

(١) كذا في الاصل المطبوع وهو كما ترى وابن جرير قد أورد اشكالا على اسناد ما ذكر من الكتمان الى الملائكة مع اداة ابليس به واجاب عنه بانه غير صواب (قال) وذلك ان في شأن العرب اذا أخبرت خبرا عن بعض جماعة بفسير تسمية شخص بعينه ان تخرج الخبر عنه تخرج الخبر عن جميعهم وذلك كقو لهم : قتل الجيش وهزموا . الخ ما أورده المصنف . ولعل أصل عبارته : ووضح ذلك ابن جرير بقوله كذا ولعل ما تقدم بلفظه أو لخصه بما يصح عطف قوله : وكما تقول العرب عليه

بالسجود لآدم ، وقد دل على ذلك أحاديث أيضا كثيرة منها حديث الشفاعة المتقدم وحديث موسى عليه السلام « رب أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فلما اجتمع به قال أنت آدم الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته » قال وذكر الحديث كما سيأتي ان شاء الله. وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحارث وكان خازنا من خزان الجنة قال وخلق الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي قال وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها اذا ألهبت قل وخلق الانسان من طين فأول من سكن الارض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا ، قال فبعث الله اليهم ابليس في جند من الملائكة وهم هذا الحي الذين يقال لهم الجن فقتلهم ابليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبار فلما فعل ابليس ذلك اغتر في نفسه فقال قد صنعت شيئا لم يصنعه أحد قال فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه فقال الله تعالى للملائكة الذين كانوا معه : اني جاعل في الارض خليفة. فقالت الملائكة بحيمين له : أنجعل فيهما من يفسد فيها ويسفك الدماء كما أفسدت الجن وسفكت الدماء. وانما بعثنا عليهم لذلك فقال الله تعالى اني أعلم ما لا تعلمون ، يقول اني قد اطلعت على (١) قلب ابليس على ما لم تطعموا عليه من كبره واغتراره قال ثم أمر بترية آدم فرفعت فخلق الله آدم من طين لازب واللازب اللازج الطيب من حمأ مسنون منتن وانما كان حمأ مسنونا بعد التراب فخلق منه آدم بيده قال فكثرت أربعين ليلة جسدا ملقى وكان ابليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل فيصوت فهو قول الله تعالى (من صلصال كالفخار) يقول كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت قال ثم يدخل فيه ويخرج من دبره ويدخل من دبره ويخرج من فيه ثم يقول لست شيئا للصلصة ولشيء ما خلقت ولئن سلطت عليك لاهلكنك ، ولئن سلطت على لاعصينك. قال فلما نفخ الله فيه من روحه أنت النفخة من قبل رأسه فجعل لا يجري شيء منها في جسده الا صار لحما ودما فلما انتهت النفخة الى سرته نظر الى جسده فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر فهو قول الله تعالى (وخلق الانسان عجولا) قال ضجرا لا صبرا له على سراء ولا ضراء قال فلما تمت النفخة في جسده عطس فقال « الحمد لله رب العالمين » بالهام الله فقال الله له « برحمتك الله يا آدم » قال ثم قال تعالى للملائكة الذين كانوا مع

(١) لعله : عن

الى الغلط فيه واختلفوا في ان هذا الخطاب مع أي الملائكة فقال بعضهم مع الذين كانوا مسكن الارض والاصح انه مع جميع الملائكة لقوله تعالى (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) وقوله « اسجدوا » فيه قولان الاصح ان السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامثال أمره وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله عز وجل (وخر له سجدا) ولم يكن فيه وضع الوجه على الارض انما كان انحناء ، فلما جاء الاسلام أبطل ذلك بالسلام وقيل معنى قوله « اسجدوا لآدم »

ابليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم اجمعون الا ابليس
أبي واستكبر لما كان حدث نفسه من الكبر والاعتزاز فقال لا أسجد له وأنا خير منه وأكبر سنا
وأقوى خانا خلقتني من نار وخلقته من طين يقول ان النار أقوى من الطين قال فلما أبا ابليس
أن يسجد أبلسه الله أي أبسه من الخير كله وجعله شيطانا رجيا عقوبة لمصيته ثم علم آدم الاسماء
كلها وهي هذه الاسماء التي يتعارف بها الناس انسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبيل وجمار
وأشبه ذلك من الامم وغيرها ثم عرض هذه الاسماء على أولئك الملائكة يعني الملائكة الذين
كانوا مع ابليس الذين خلقوا من نار السموم وقل لهم أنبئوني بأسماء هؤلاء أي يقول أخبروني بأسماء
هؤلاء ان كنتم صادقين ان كنتم تعلمون لم أجعل في الارض خليفة ، قال فلما علمت الملائكة موحدة
الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب الذي لا يعلمه غيره الذي ليس لهم به علم قالوا سبحانك
تزيها لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره تبنا اليك لاعلم لنا الاماءلتنا تبريا منهم من علم الغيب
الا ما علمتنا كما علمت آدم فقال يا آدم أنبئهم باسمائهم يقول أخبرهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال
(ألم أقل لكم آيتها الملائكة خاصة أني أعلم غيب السموات والارض) ولا يعلم غيري وأعلم ما تبدون
يقول ما تظهرون وما كنتم تكتمون يقول أعلم السر كما أعلم العلانية يعني ما كنتم ابليس في نفسه
من الكبر والاعتزاز هذا سياق غريب وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها وهذا الاسناد الى ابن عباس
بروي به تفسير مشهور وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن عباس وعن مرة
عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوي
على العرش فجعل ابليس على ملك السماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وإنما سموا
الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقهم في صدره وقال ما أعطاني الله هذا الامزية لي
على الملائكة فلما وقم ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك فقال الله للملائكة : اني جاعل في الارض
خليفة . فقالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون
ويقتل بعضهم بعضا قالوا ربنا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك ؟ قال اني أعلم ما لا تعلمون ، يعني من شأن ابليس . فبعث الله جبريل الى الارض ليأبئه بطين منها
فقال الارض اني أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني فرجع ولم يأخذ ، وقال يارب انها عاذت
بك فأعذتها فبعث ميكائيل فعاذت منه فعاذها ، فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فعاذت
منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أفذ أمره ، فأخذ من وجه الارض وخالط ولم يأخذ من مكان
أى الى آدم فكان آدم قبله والسجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله عز وجل
﴿ فسجدوا ﴾ يعني الملائكة ﴿ الا ابليس ﴾ وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى
غير اسمه وصورته فقبل ابليس لانه أبلس من رحمة الله تعالى أى يئس واختلفوا فيه فقال ابن عباس
وأكثر المفسرين كان ابليس من الملائكة ، وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة لقوله تعالى

واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قبل التراب حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذي يلتصق ببعضه ببعض ثم قال للملائكة (إني خالق بشر من طين) فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فخلق الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه ليقول له تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه بخلقته بشر، فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففرغوا منه لما رأوه فكان أشد منهم فرغا منه إبليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول من صلصال كالفخار ويقول لآمر ما خلقت، ودخل من فيه فخرج من دبره، وقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لاهلكته، فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال، فقال له الله «يرحمك ربك» فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل الروح إلى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجله، فجعل إلى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى (خالق الإنسان من عجل) فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين، أبى واستكبر وكان من الكافرين، قال الله له ما منعك أن تسجد إذ أمرتك لما خلقت بيدي؟ قال أنا خير منه لم أكن لاسجد لبشر خلقته من طين، قال الله له أخرج منها فما يكون لك يعني ما ينبغي لك أن تتكبر فيها فأخرج انك من الصغارين، والصغار هو الذل قال: وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرض الخلق على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين إن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، فقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال الله: يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (قال: قولهم) أتجعل فيها من يفسد فيها) فهذا الذي أبدوا، وأعلم ما تكتمون، يعني ما أمر إبليس في نفسه من الكبر، فهذا الاسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي ويقع فيه اسرائيليات كثيرة فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم. والحاكم بروي في مستدركه بهذا الاسناد بعينه أشياء ويقول على شرط البخاري والغرض أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم لأنه وإن لم يكن من عنصرهم إلا أنه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم، فلهذا دخل في الخطاب لهم وذم في مخالفة الأمر، وشذبت المسئلة أن شاء الله تعالى عند قوله (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) (إلا إبليس) كان من الجن ففسق عن أمر ربه فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الأنس ولأنه خلق من التراب والملائكة خلقوا من النور، ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة، والاول أصح لأن خطاب السجود كان مع الملائكة وقوله (كان من الجن) أي من الملائكة الذين هم خزنة الجنة. وقال سعيد بن جبير: من الذين يعملون في الجنة، وقال: قوم من الملائكة الذين يصوغون حلي أهل الجنة، وقيل: إن فرقة من الملائكة

ولهذا قال : قال محمد بن اسحق عن خلاد بن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال : كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل ، وكان من سكان الارض ، وكان من أشد الملائكة اجتهادا ، وأكثرهم علما ، فذلك دعاه الى الكبر ، وكان من حي يسمون جنا . وفي رواية عن خلاد عن عطاء عن طاوس أو مجاهد عن ابن عباس أو غيره بنحو . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني ابن العوام عن سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان إبليس اسمه عزازيل ، وكان من أشرف الملائكة من ذوي الاجنحة الاربعة ، ثم أبلس بدم . وقال سفيان : عن حجاج عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازنا على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان على الارض ، وهكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس سواء . وقال صالح مولى التوأمة عن ابن عباس : ان من الملائكة قبيلة يقال لهم الجن ، وكان إبليس منهم ، وكان يوسوس ما بين السماء والارض فعصى فمسخه الله شيطانا رجيا ، رواه ابن جرير . وقال قتادة عن سعيد بن المسيب : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشر حدثنا عدي بن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وانه لاصل الجن كما ان آدم اصل الانس ، وهذا اسناد صحيح عن الحسن ، وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سواء . وقال شهر بن حوشب : كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة فأفسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء ، رواه ابن جرير . وقال سفيان بن داود : حدثنا هشيم أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى عن موسى ابن نمير وعثمان بن سعيد بن كامل عن سعد بن مسعود قال : كانت الملائكة تقاتل الجن فسي إبليس وكان صغيرا فكان مع الملائكة يتعبد معها فلما أمروا بالسجود لآدم سجدا فأبى إبليس فلذلك قال تعالى (الا إبليس كان من الجن) وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان البزاز حدثنا أبو عاصم عن شريك عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس قال ان الله خلق خلقا فقال اسجدوا لآدم فقالوا لا نفعل فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم ، ثم خلق خلقا آخر فقال (اني خالق بشر من طين) اسجدوا لآدم قال قابوا فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم ، ثم خلق هؤلاء فقال اسجدوا لآدم قالوا نعم وكان إبليس من أولئك الذين أمروا ان يسجدوا لآدم — وهذا غريب ولا يكاد يصح اسناده فان فيه رجلا مبهما ومثله لا يحتج به والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة حدثنا صالح بن حيان حدثنا عبد الله بن بريدة قوله تعالى (وكان من الكافرين) من الذين أبو خلقوا من النار سموا جنا لاستنارهم عن الاعين وإبليس كان منهم . والدليل على قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وهو قولهم الملائكة بنات الله ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية قوله ﴿أبى﴾ أى امتنع فلم يسجد ﴿واستكبر﴾ أى تكبر عن السجود لآدم ﴿وكان﴾ أى وصار ﴿من الكافرين﴾ وقال اكثر المفسرين وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة انابوا بكر محمد بن

فأحرقتهم النار، وقال أبو جعفر رضي الله عنه عن ربيع عن أبي العالقة (وكان من الكافرين) يعني من العصاة وقال السدي وكان من الكافرين الذين لم يخلفهم الله يومئذ يكونون بعد، وقال محمد بن كعب القرظي ابتداء الله خلق إبليس من الكفر والضلالة وعمل بمعمل الملائكة فصيره الله إلى ما أبدى عليه خلقه على الكفر قال الله تعالى (وكان من الكافرين) وقال قتادة في قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته، وقال بعض الناس كان هذا سجود تحية وسلام وإكرام كما قال تعالى (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) وقد كان هذا مشروعا في الأمم الماضية ولكنه نسخ في ملتنا. قال معاذ قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لاساقفتهم وعلمائهم فأنت يارَسُول أَحَقُّ أَنْ يَسْجُدَ لَكَ فَقَالَ «لَا. لَوْ كُنْتُ أَمْرًا بَشَرًا إِنْ يَسْجُدُ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لَزَوْجِهَا مِنْ عَظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا» ورجحه الرازي وقال بعضهم بل كانت السجدة لله وآدم قبله فيها كما قال تعالى (أقم الصلاة للربك الشمس) وفي هذا التنظيرة نظرا ولا يظهر أن القول الأول أولى والسجدة لآدم إكراما واعظاما واحتراما وسلاما وهي طاعة لله عز وجل لأنها امتثال لأمره تعالى وقوة الرازي في تفسيره وضعف ما عده من القولين الآخرين وهما كونه جعل قبله إذ لا يظهر فيه شرف والآخر أن المراد بالسجود الخضوع لا الانحناء ووضع الجبهة على الأرض وهو ضعيف كما قال، وقال قتادة في قوله تعالى (فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) حسد عدو الله إبليس آدم عليه السلام على ما أعطاه الله من الكرامة وقال أنا ناري وهذا طيني وكان بدء الذنوب الكبر استكبر عدو الله أن يسجد لآدم عليه السلام قلت وقد ثبت في الصحيح «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» وقد كان في قلب إبليس من الكبر — والكفر — العناد ما اقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة وحضرة القدس. قال بعض المعربين وكان من الكافرين أي وصار من الكافرين بسبب امتناعه كما قال (فكان من المعربين) وقال (فتكونا من الظالمين) وقال الشاعر

بقياء فقر والمطي كأنها • قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

أي قد صارت وقال ابن فروك تقديره وقد كان في علم الله من الكافرين ورجحه القرطبي وذكرهنا مسئلة فقال قال علماءنا من أظهر الله على يديه ممن ليس بنبي كرامات وخوارق للعادات فليس ذلك دالا على ولايته خلافا لبعض الصوفية وإرافضة هذا لفظه ثم استدلل على ما قال بأنا لا نقطع بهذا الذي جرى الحارق على يديه أنه يوافي الله بالإيمان وهو لا يقطع بنفسه لذلك يعني عبد الصمد الترابي أنا ابن الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا إسحق بن إبراهيم الخنظلي أنا جرير ووكيم وأبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله أمر ابن

والولي هو الذي يقطع له بذلك في نفس الامر قلت وقد استدل بعضهم على ان الخارق قد يكون على يد غير الولي بل قد يكون على بار الفاجر والكافر أيضا بما ثبت عن ابن صياد انه قال هو الدخ حين خبا له رسول الله صلى الله عليه وسلم (فارتقب يوم تأت السماء بدخان مبين) وبما كان يصدر عنه انه كان يملا الطريق اذا غضب حتى ضربه عبدالله بن عمر، وبما ثبتت به الاحاديث عن الدجال بما يكون على يديه من الخوارق الكثيرة من انه يأمر السماء ان تمطر فتُمطر والارض ان تنبت فتنبت وتنبه كمنوز الارض مثل اليماسيب وان يقتل ذلك الشاب ثم يحياه الى غير ذلك من الامور الموهلة. وقر قال يونس بن عبد الاعلى الصديقي قلت للشافعي كان الليث بن سعد يقول. اذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغفروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة فقال الشافعي قصر الليث رحمه الله. بل اذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغفروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة وقد حكى الرازي وغيره قولين للعلماء هل المأمور بالسجود لا آدم خاص بملائكة الارض أروام بملائكة السموات والارض وقد رجح كلا من القولين طائفة وظاهر الآية السكرية العموم (فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس) فهذه أربعة اوجه مقوية للعموم والله علم ﴿وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه

الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ فازلها الشيطان عنها فاخرجها مما كانا فيه وقلنا اهبطوا

بعضكم لبعض عدو واسكن في الارض مستقر ومتاع الى حين﴾

يقول الله تعالى اخبارا عما أكرم به آدم انه أمر الملائكة بالسجود فسجدوا الا ابليس انه أباح الجنة يسكن منها حيث يشاء وبأكل منها ما شاء رغدا أي هنيئا واسعا طيبا. وروى الحافظ ابو بكر بن مردويه من حديث محمد بن عيسى الدامغاني. حدثنا سلمة بن الفضل عن ميكائيل عن ليث عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أرايت آدم أنبيا كان قال «نعم نبيا رسولا يكلمه الله قبيلا» — يعني عيانا — فقال (اسكن أنت وزوجك الجنة) وقد اختلف في الجنة التي أسكنها آدم أهى في السماء أو في الارض فلا كثيرون على الاول وحكى القرطبي عن المعتزلة والقدرية القول بأنها في الارض وسيأتي تقرير ذلك في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وسيأتي الآية يقتضي ان حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة وقد صرح بذلك محمد ابن اسحق حيث قال لما فرغ الله من معاتبة ابليس أقبل على آدم وعلمه الاسماء كلها فقال يا آدم انبئهم بأسمائهم الى قوله (انك انت العليم الحكيم) قال ثم القيت السنة على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل آدم بالسجود فأطاع فله الجنة وأمرت بالسجود فصعبت فلي النار قوله تعالى ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ وذلك ان آدم لم يكن له في الجنة من مجانسه فنام نومة فخلق الله زوجته حواء من قصبره شبهه الايسر وسميت حواء لانها خلقت من حي خلقها الله عز وجل من غير ان أحس بادم ولا وجد له ألما

النوراة وغيرهم من أهل العلم عن ابن عباس وغيره ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الابسر ولام مكانه لحا وآدم نائم لم يهب من نومه حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة ليسكن إليها فلما كشف عنه السنة وهب من نومه رآها إلى جنبه فقال فيما يزعمون والله أعلم «لحي ودي وزوجتي» فسكن إليها فلما زوجه الله وجعل له سكنا من نفسه قال له قبيلا (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) ويقال إن خلق حواء كان بعد دخول الجنة كما قال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أخرج إبليس من الجنة واسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحيشا ليس له زوج يسكن إليه فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاهرة خلقها الله من ضلعه فسألها ما أنت؟ قالت امرأة قال ولم خلقت؟ قالت لتسكن إلى. قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه ما اسمها يا آدم؟ قال حواء قالوا ولم حواء؟ قال إنها خلقت من شيء حي. قال الله (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما)

وأما قوله (ولا تقربا هذه الشجرة) فهو اختبار من الله تعالى وامتحان لآدم وقد اختلف في هذه الشجرة ما هي فقال السدي عن حدثه عن ابن عباس الشجرة التي نهى عنها آدم عليه السلام هي الكرم وكذا قال سعيد بن جبير والسدي والشعبي وجعدة ابن هبيرة ومحمد بن قيس وقال السدي أيضا في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود عن ناس من الصحابة (ولا تقربا هذه الشجرة) هي الكرم. وتزعم يهود أنها الخنطة. وقال ابن جرير وابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي حدثنا أبو يحيى الحماني حدثنا أبو النضر أبو عمر الحاراز عن عكرمة عن ابن عباس قال: الشجرة التي نهى عنها آدم عليه السلام هي السنبلة، وقل عبد الرزاق: أنبأنا ابن عيينة وابن المبارك عن الحسن بن عمار عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: هي السنبلة، وقال محمد بن اسحق عن رجل من أهل العلم عن حجاج عن مجاهد عن ابن عباس قال: هي البر، وقال ابن جرير وحدثني المثنى بن إبراهيم حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا إسماعيل حدثني رجل من بني نعيم أن ابن عباس كتب إلى أبي الجلد يسأله عن الشجرة التي أكل منها آدم والشجرة التي تاب عندها آدم فكتب إليه أبو الجلد سألتني عن الشجرة التي نهى عنها آدم وهي السنبلة، وسألتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم وهي الزيتون، وكذلك فسر الحسن البصري وهب بن منبه وعطية العوفي وأبو مالك ومحارب بن دثار وعبد الرحمن بن أبي ليلى. وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل اليمن عن وهب بن منبه ولو وجد الماء عطف رجل على امرأة قط فلما هب من نومه رآها جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله فقال لها من أنت قالت زوجتك خلقتني الله تسكن إلى وأسكن إليك ﴿وكلا منها رغدا﴾ وأسعا كثيرا ﴿حيث شئتما﴾ كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ يعني بالاكل قال بعض العلماء وقع النهي على جنس من الشجر وقال آخرون على شجرة مخصوصة اختلفوا في تلك الشجرة

أنه كان يقول : هي البر ولكن الحبة منها في الجنة كلي البقر وألين من الزبد وأحلى من العسل . وقال سفیان الثوري عن حصين عن أبي مالك (ولا تقربا هذه الشجرة) قال النخلة ، وقال ابن جرير عن مجاهد (ولا تقربا هذه الشجرة) قال التينة ، وبه قال قتادة وابن جرير وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كانت الشجرة من أكل منها أحدث ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث ، وقال عبد الرزاق : حدثنا عمر بن عبد الرحمن بن مهران قل : سمعت وهب ابن منبه يقول : لما أسكن الله آدم وزوجته الجنة ونهاه عن أكل الشجرة وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها من بعض وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم وهي الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته فهذه أقوال ستة في تفسير هذه الشجرة . قال الامام العلامة أبو جعفر بن جرير رحمه الله : والصواب في ذلك أن يقال أن الله عز وجل ثنأه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فأكل منها ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة وقد قيل : كانت شجرة البر وقيل كانت شجرة العنب وقيل كانت شجرة التين وجائز أن تكون واحدة منها وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه وإن جهله جاهل لم يضره جهله به والله أعلم ، وكذلك رجح الإبهام الرازي في تفسيره وغيره وهو الصواب وقوله تعالى (فأزلهما الشيطان عنها) يصح أن يكون الضمير في قوله عنها عائدا إلى الجنة فيكون معنى الكلام كما قرأ عاصم فأزلهما أي فنحاهما ويصح أن يكون عائدا على أقرب المذكورين وهو الشجرة فيكون معنى الكلام كما قل الحسن وقطادة فأزلهما أي من قبل الزلل فعلى هذا يكون تقدير الكلام (فأزلهما الشيطان عنها) أي بسببها كما قال تعالى (يؤفك عنه من أفك) أي يصرف بسببه من هو مأفوك ولهذا قال تعالى (فأخرجهما مما كنا فيه) أي من اللباس والمنزل والرحب والرزق الهني والراحة (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) أي قرار وأرزاق وآجال - إلى حين - أي إلى وقت مؤقت ومقدار معين ثم تقوم القيامة ، وقد ذكر المفسرون من السلف كالسدي بأسانيده وأبي العالية وهب بن منبه وغيرهم . ههنا أخبارا امرأيلية عن قصة الحية وابليس وكيف جرى من دخول ابليس إلى الجنة وموسسته وسبب ذلك أن شاء الله في سورة الاعراف فهناك القصة أبسط منها ههنا والله الموفق وقد قال ابن أبي حاتم ههنا : حدثنا علي بن الحسن ابن اشكاب ، حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقال ابن مسعود هي شجرة العنب وقال ابن جرير : شجرة التين وقال قتادة : شجرة العلم وفيها من كل شيء . وقال علي : شجرة الكافور (فتكونا) فنصيرا (من الظالمين) أي الضارين بأنفسكم بالمعصية وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه (فأزلهما) استزل (الشيطان) آدم وحواء أي دعاهما إلى الزلة وقرأ حمزة فأزلهما أي نحاهما الشيطان فيعال من شطن أي بعدسمي به لبعده عن الخير وعن الرحمة (عنها) عن الجنة (فأخرجهما مما كنا فيه)

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم رجلا طويلا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر الي عورته جعل يشد في الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن (يا آدم مني تغر ؟) فلما سمع كلام الرحمن قال يارب لا ، ولكن استحياء . قال : وحديثي جعفر بن أحمد بن الحكم القرشي سنة أربع وخمسين ومائتين ، حدثنا سليمان بن منصور بن عمار حدثنا علي بن عاصم عن سعيد عن قتادة عن أبي ابن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما ذاق آدم من الشجرة فرهار با فتعلقت شجرة بشعره فنودي : يا آدم أفرارا مني ؟ قال : بل حياء منك قال : يا آدم اخرج من جواربي فبعزتي لا يساكنني فيها من عصائي ولو خلقت مثلك ملء الارض خلقا ثم عصوني لاسكنتهم دار العاصين »

من النعيم وذلك ان ابليس أراد أن يدخل ليوسوس الى آدم وحواء فنعمته الخزنة فاني الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها ابليس أن تدخله فيها فأدخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة وقال الحسن انارآها على باب الجنة لأنهما كانا يخرجان منها وقد كان آدم حين دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال : لو أن خلدا فاغتم ذلك منه الشيطان فأتاه من قبل الخلد فلما دخل الحنة وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمن أنه ابليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ذبح فقالا له ما يبكيك ؟ قال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة . فوقع ذلك في أنفسهما فاغتما وضى ابليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فإني أن يقبل منه وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين ، فاغتروا وما ظننا أن أحدا يحلف بالله كاذبا فيبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقتهم الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فأكل قال ابراهيم بن آدم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن عباس وقتادة قال الله عز وجل لا دم « ألم يكن فيما أبخلك من الجنة مندوحة عن الشجرة ؟ قال بلى يارب وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال « فبعزتي لا هبطتك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كذا » فاهبط من الجنة وكانا يابا كلان فيها رغدا فعلم صنعة الحديد ، وأمر بالحراث فحراث وزرع ثم سقي حتى اذا بلغ حصد ثم درس ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ ماشاء الله . قال سعيد بن جبير : عن ابن عباس : ان آدم لما أكل من الشجرة التي نهى عنها قال الله عز وجل « ما حلك على ما صنعت ؟ قال : يارب زينت لي حواء قال : فاني أعقبها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها وأدميتها في الشهر مرتين فرنت حواء عند ذلك قيل عليك الرنة وعلى بناتك فلما أكلت منها قتلت عنهما ثيابهما وبدت سواتهما وأخرجهما من الجنة فذلك قوله تعالى ﴿ ولقلنا اهبطوا ﴾ انزلوا الى الارض يعني آدم وحواء وابليس والحية ، فهبط آدم بسر نديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وحواء بمجدة وابليس باليلة والحية بأصفهان ﴿ فبعضكم لبعض عدو ﴾ أراد العداوة التي بين ذرية آدم والحية وبين المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس قال الله تعالى

هذا حديث غريب وفيه انقطاع بل اعضاء بين قتادة وأبي بن كعب رضي الله عنهما . وقال الحاكم حدثنا أبو بكر بن باكوية عن محمد بن أحمد بن النضر عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عمار بن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : ما أسكن آدم الجنة الا ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس ، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال عبد بن حميد في تفسيره حدثنا روح عن هشام عن الحسن قال : لبث آدم في الجنة ساعة من نهار تلك الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا . وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس قال : خرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة فأخرج آدم معه غصنا من شجر الجنة على رأسه تاج من شجر الجنة وهو الاكليل من ورق الجنة . وقال السدي : قال الله تعالى (اهبطوا منها جميعا) فهبطوا ونزل آدم بالهند ونزل معه الحجر الاسود وقبضة من ورق الجنة فيه بالهند فنبئت شجرة الطيب فانما أصل ما يجام به من الطيب من الهند من قبضة الورق التي هبط بها آدم ، وانما قبضها آسفا على الجنة حين أخرج منها . وقال عمران بن عيينة : عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : أهبط آدم بدحنا أرض الهند . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس قال : أهبط آدم عليه السلام الى أرض يقل لها دحنا بين مكة والطائف . وعن الحسن البصري قال : أهبط آدم بالهند ، وحواء بجدة ، وابليس بدستيميسان من البصرة على أميال وأهبطت الحية باصبهان رواه ابن أبي حاتم . وقال أبو محمد بن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار بن الحرث حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا عمر بن أبي قيس عن الزبير بن عدي عن ابن عمر قال : أهبط آدم بالصفا وحواء بالمروة . وقال رجاء بن سلمة أهبط آدم عليه السلام يده على ركبته مطأطأ رأسه ، وأهبط ابليس مشبكا بين أصابعه رفع رأسه الى السماء . وقال عبد الرزاق قل معمر أخبرني عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال ان الله حين أهبط آدم من الجنة الى الارض علمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثمار هذه من ثمار الجنة غير ان هذه تتغير وتلك لا تتغير وقال الزهري عن عبد الرحمن بن هرمز الاعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خاق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها » رواه (ان الشيطان اكما عدو مبين) أنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسن بن بشر أنا اجتماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن محمد الصفار حدثنا منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال لأعلمه الرفع الحديث انه كان يأمر بقتل الحيات وقال من تركن خشية أو مخافة نأثر فليس منا وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث ما سألناهم منذ حاربناهم ، وروي انه نهى عن ذوات البيوت روي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان بالمدينة جنا قد أسلموا فان رأيتهم منهم شيئا فأذنه ثلاثة أيام فان بدالك بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان » قوله تعالى (ولكم في الارض مستقر) موضع قرار (ومتاع) بلفظ ومستمتع (الى حين)

مسلم والنسائي . وقال الرازي اعلم ان في هذه الآية تهديدا عظيما عن كل المعاصي من وجوه (الاول) انما يتصور ما جرى على آدم بسبب اقدمه على هذه الزلة الصغيرة كان على رجل شديد من المعاصي قال الشاعر

باناظرا يرنو بعيني راقدا ومشاهد للامر غير مشاهد

تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي درج الجنان ونيل فوز العابد

انسيت ربك حين اخرج آدم منها الى الدنيا بذنب واحد

قال ابن القاسم : ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود الى اوطاننا ونسلم

قال الرازي عن فتح الموصلي انه قال كما قوما من اهل الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها . فان قيل فاذا كانت جنة آدم التي اخرج منها في السماء كما يقول الجمهور من العلماء فكيف تمكن ابليس من دخول الجنة وقد طرد من هنالك طردا قديرا والقدر لا يخالف ولا يعانق ؟ فالجواب ان هذا بعينه استدلال به من يقول ان الجنة التي كان فيها آدم في الارض لا في السماء كما قد بسطنا هذا في اول كتابنا البداية والنهاية واجاب الجمهور بأجوبة أحدها انه منع من دخول الجنة مكرما فأما على وجه السرقة والاهانة فلا يمتنع ولهذا قال بعضهم كما جاء في التوراة انه دخل في فم الحية الى الجنة . وقد قال بعضهم : يحتمل انه وسوس لها وهو خارج باب الجنة . وقال بعضهم : يحتمل انه وسوس لها وهو في الارض وهما في السماء ذكرها الزمخشري وغيره . وقد اورد القرطبي ههنا أحاديث في الحيات وقتلن وبيان حكم ذلك فاجاد وأفاد (٣٦) فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم *

الى انقضاء آجالكم ﴿ فتلقى ﴾ تلقى والتلقى هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التعلم ﴿ آدم من ربه كلمات ﴾ قراءة العامة آدم برفع الميم وكلمات بخفض التاء وقرأ ابن كثير آدم بالنصب ككلمات برفع التاء بمعنى جاءت الكلمات آدم من ربه وكانت سبب توبته واختلفوا في تلك الكلمات قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن هي قوله (ربنا ظلمنا أنفسنا) الآية وقال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي هي قوله لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك أنت الغفور الرحيم ، لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك أنت أرحم الراحمين) وقال عبيد بن عمير هي ان آدم قال يا رب أرأيت ما أنيت أمشي ابتدعته من تلقاء نفسي أم شئ قدرته عليّ قبل أن تخلقني ؟ قال الله تعالى « لا بل شئ قدرته عليك قبل أن أخلقك » قال يا رب فكما قدرته قبل أن تخلقني فاغفر لي ، وقبل هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ماقتهما من نعم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ولم يقرب آدم حواء مائة سنة وروى المسعودي عن يونس بن خباب وعلقمة بن مرثد قالوا لو ان دموع جميع اهل الارض جمعت لكانت دموع داود اكثر حيث اصاب الخطيئة ولوان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت دموع آدم اكثر حيث اخرج الله من الجنة قال شهر بن حوشب بلغني ان آدم لما اهبط الى الارض

قيل ان هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالى : (قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وابي العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وخالد بن معدان وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال ابو اسحق السبيعي عن رجل من بني تميم قال أتيت ابن عباس فسأله ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه ؟ قال علم شأن الحج وقال سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع أخبرني من سمع عبيد بن ابن عمير وفي رواية قال مجاهد عن عبيد بن عمير أنه قال قال آدم يارب خطيئتي التي أخطأت شيئا كذبته علي قبل ان تخلقني أو شيئا ابتدئته من قبل نفسي ؟ قال « بل شيئا كذبته عليك قبل ان أخلقك » قال فكما كذبته علي فأغفر لي . قال فذلك قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وقال السدي عن حدثه عن ابن عباس فتلقى آدم من ربه كلمات قل قال آدم عليه السلام يارب ألم تخلقني بييدك ؟ قال له بلى ، ونفخت في من روحك ؟ قيل له بلى ، قال أرأيت ان تبت هل أنت راجعي الى الجنة ؟ قال نعم . وهكذا رواه العوفي وسعيد بن جبير وسعيد بن مبيد عن ابن عباس بنحوه ورواه الحاكم في مستدركه من حديث ابن جبير عن ابن عباس وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهكذا فسره السدي وعطية العوفي وقدرى ابن أبي حاتم ههنا حديثا شديها بهذا فقال حدثنا علي بن الحسين بن اشكاب حدثنا ابن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال آدم عليه السلام أرأيت يارب ان تبت ورجعت أعاندي الى الجنة ؟ قال نعم فذلك قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) وهذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع : وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى : فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه . قال ان آدم لما أصاب الخطيئة قال أرأيت ان تبت يارب وأصلحت ؟ قال الله « اذا أدخلك الجنة » فهي الكلمات ، ومن الكلمات أيضا (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه كان يقر في قول الله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال الكلمات : اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فأغفر لي انك خير الغافرين ، اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فأرحمني انك خير الراحمين ، اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فتاب علي انك انت التواب الرحيم . وقوله تعالى (انه هو التواب الرحيم) اي انه يتوب على من تاب اليه وأتاب كقوله (ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة من عباده) وقوله (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه) الآية وقوله (ومن تاب وعمل صالحا) الى غير ذلك من الايات الدالة على انه تعالى يغفر الذنوب ، ويتوب على من يتوب ، وهذا من لطفه بخلقه ورحمته بعبده ، لا اله الا هو التواب الرحيم

مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى قوله ﴿ فتاب عليه ﴾ فتجاوز عنه ﴿ انه هو التواب ﴾

(٣٧) قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم

ولاهم يحزنون (٣٨) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون *
يقول تعالى مخبرا عما أنذر به آدم وزوجته وابليس حين اهبطهم من الجنة والمراد الذرية انه سينزل الكتب ويبعث الانبياء والرسل كما قال أبو العالية: المدي الانبياء والرسل والبيئات والبيان، وقال مقاتل بن حبان المدي محمد صلى الله عليه وسلم، وقال الحسن المدي القرآن، وهذان القران صحيحان وقول أبي العالية أعم (فمن اتبع هداي) أي من أقبل على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل (فلا خوف عليهم) أي فيما يستقبلونه من أمر الآخرة (ولاهم يحزنون) على ما فاتهم من أمور الدنيا كما قال في سورة طه (قل اهبطوا منها جميعا بعضهم لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) قل ابن عباس لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة (ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) كما قال ههنا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أي يخلدون فيها لا يحيد لهم عنها ولا يحيص. أورد ابن جرير ههنا حديثا ساقه من طريقين عن أبي سلمة سعيد بن يزيد عن أبي نضرة المذر بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد راسمه سعد بن مالك بن سنان الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أقوام أصابتهم النار بخطاياهم فأناتهم آفة حتى اذا صاروا فخا أذن في الشفاعة» وقد رواه مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة به. وذكر هذا الابطاط الثاني لما تعلق به ما بعده من المعنى المغاير للاول وزعم بعضهم انه تأكيد وتكرير كما يقال قم قم، وقول آخرون بل الابطاط الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني من سماء الدنيا الى الارض والصحيح الاول والله أعلم

(٣٩) يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم

وياي فارهبون (٤٠) وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافرين به ولا

يقبل توبة عباده (الرحيم) بخلقه قوله تعالى ﴿قلنا اهبطوا منها جميعا﴾ يعني هؤلاء الاربعة وقيل الهبوط الاول من الجنة الى السماء الدنيا والهبوط الثاني من السماء الدنيا الى الارض ﴿فاما ياتينكم﴾ أي فان ياتكم يا ذرية آدم ﴿منني هدى﴾ أي رشد وبيان شريعة وقيل كتاب ورسول ﴿فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ قرأ يعقوب فلا خوف بالفتح في كل القرآن والآخرون بالضم والتنوين فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة (والذين كفروا) جحدوا ﴿وكذبوا بآياتنا﴾ بالقرآن ﴿أولئك أصحاب النار﴾ يوم القيامة ﴿هم فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها ولا يموتون فيها قوله تعالى ﴿يا بني اسرائيل﴾ يا اولاد يعقوب ومعني اسرائيل عبد الله وايل هو الله تعالى وقيل صفوة الله وقرأ أبو جعفر اسرائيل بن يهرمة

تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون *

يقول تعالى أمراً بنى اسرائيل بالدخول في الاسلام ، ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام ، ومهيجاً لهم بذكر آيهم اسرائيل وهو نبي الله يعقوب عليه السلام ، وتقديره يا بني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل آيكم في متابعة الحق كما تقول يا ابن الكريم اقبل كذا ، يا ابن الشجاع بارز الابطال ، يا ابن العالم اطلب العلم ، ونحو ذلك . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى (ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكوراً) فاسرائيل هو يعقوب بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي حدثنا عبد الحميد بن مهران عن شهر بن حوشب قال حدثني عبد الله بن عباس قال حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم « هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب ؟ قالوا اللهم نعم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم اشهد » وقال الاعمش عن اسماعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس ان اسرائيل كقولك عبد الله وقوله تعالى (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) قال مجاهد نعمة الله التي أنعم بها عليهم فيما سمي وفيما سوى ذلك أن فجر لهم الحجر وأنزل عليهم المن والسلوى ونجاهم من عبودية آل فرعون وقال أبو العالية نعمته ان جعل منهم الانبياء والرسل أنزل عليهم الكتب قلت وهذا كقول موسى عليه السلام لهم (يقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين) يعني في زمانهم وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جابر عن ابن عباس في قوله تعالى (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي بلائي عندكم وعند آبائكم لما كان نجاهم من فرعون وقومه (وأوفوا بعهدي أوف بعهدي) قال بهدي الذي أخذت في أعناقكم للنبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءكم أنجن لكم ما وعدتكم عليه من تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والاعلال التي كانت في أعناقكم بذنو بكم التي كانت من احداثكم . وقال الحسن البصري هو قوله تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبمنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزتموه وأقرضتم الله قرضاً حسناً لا كفركم عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار) الآية وقال آخرون هو الذي أخذ الله عليهم في التوراة انه سيبعث من نبي اسماعيل نبيا عظيماً يطيعه جميع الشعوب والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم فمن اتبعه غفر الله له ذنبه وأدخله ﴿ اذكروا ﴾ احفظوا والذي يكون بالقلب ويكون باللسان وقبل أراد به الشكر وذكر بلفظ الذكر لان في الشكر ذكراً وفي الكفران نسياناً قال الحسن ذكر النعمة شكرها ﴿ نعمتي ﴾ أي نعمي لفظها واحد ومعناها جمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴿ التي أنعمت عليكم ﴾ أي على أجدادكم واسلافكم قال قتادة هي النعم التي خصت بها بنو اسرائيل: فلق البحر ونجائهم من فرعون باغراقه وتظليل الغمام عليهم في التيه وانزال المن والسلوى وانزال التوراة في نعم كثيرة لا تحصى ، وقال غيره هي جميع النعم التي لله عز وجل على عباده ﴿ وأوفوا بعهدي ﴾ بامتنال أمري ﴿ أوف بعهدي ﴾

الجنة وجعل له اجرين . وقد اورد الرازي بشارات كثيرة عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقال ابو العالية (وأوفوا بعهدي) قال عهده الى عبادته دين الاسلام وان يتبعوه ، وقال الضحاك عن ابن عباس أوف بعهديكم قال أرض عنكم وأدخلكم الجنة وكذا قول السدي والضحاك وأبو العالية والربيع بن أنس ، وقوله تعالى (وإياي فارهبون) أي فأخشون قاله أبو العالية والسدي والربيع بن أنس وقتادة وقال ابن عباس في قوله تعالى (وإياي فارهبون) أي أن نزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آباءكم من القمات التي قد عرقت من المسيح وغيره وهذا انتقال من الترغيب الى التهيب فدعاهم اليه بالرغبة والرهبة لعلهم يرجعون الى الحق واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والاتعاظ بالقرآن وزواجه وامثال أوامره وتصديق أخباره والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، ولهذا قال (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) يعني به القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم النبي الامي العربي بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا مشتملا على الحق من الله تعالى مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل قال أبو العالية رحمه الله في قوله تعالى (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) يقول بامعشر أهل الكتاب آمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم يقول لانهم يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، وروي عن مجاهد والربيع بن أنس وقتادة نحو ذلك وقوله (ولا تكونوا أول كافر به) قال بعض المعمر بين أول فريق كافر به أو نحو ذلك قال ابن عباس ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم ، قال أبو العالية يقول ولا تكونوا أول من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم يعني من جنسكم أهل الكتاب بعد سماعكم ببعثه وكذا قال الحسن والسدي والربيع بن أنس واختار ابن جرير أن الضمير في قوله به عائذ على القرآن الذي تقدم ذكره في قوله (بما أنزلت) وكلا القولين صحيح لانهما متلازمان لان من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كفر بالقرآن وأما قوله (أول كافر به) فبمعني به أول من كفر به من بني اسرائيل لانه قد تقدمهم من كفار قريش وغيرهم من العرب بشر كثير وانما المراد أول من كفر به من بني اسرائيل مباشرة فان يهود المدينة بالقبول والثواب قال قتادة ومجاهد أراد بهذا العهد ما ذكر في سورة المائدة (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا - الى ان قال - لا كفرن عنكم سيئاتكم) فهذا قوله أوف بعهديكم ، وقال الحسن هو قوله - واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة - فهو شريعة التوراة ، وقال مقاتل هو قوله (واذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله) وقال الكلبي عهد الله الى بني اسرائيل على لسان موسى : أني باعث من بني اسرائيل نبيا أميا فن اتبعه وصدق بالنور الذي يأتي به غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين . وهو قوله (واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس) يعني أمر محمد صلى الله عليه وسلم (وإياي فارهبون) فخافوني في نقض العهد وأثبت بمقوب آيات المحذوفة في الخط مثل فارهبون

أول بني إسرائيل خوطبوا بالقرآن فكفرهم به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم ، وقوله تعالى (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يقول لا تعاضوا عن الايمان بآياتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها فانها قليلة فانية كما قال عبد الله بن المبارك أنبأنا عبد الرحمن بن زيد بن جابر عن هرون بن يزيد قال سئل الحسن يعني البصري عن قوله تعالى (ثمنا قليلا) قال الثمن القليل الدنيا بمخذافيها وقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) ان آياته كتابه الذي أنزله اليهم وان الثمن القليل الدنيا وشهواتها ، وقال السدي ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا يقول لا تأخذوا طمعا قليلا ولا تكتسبوا اسم الله فذلك الطمع هو الثمن ، وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يقول لا تأخذوا عليه أجرا قال وهو مكتوب عندهم في الكتاب الاول : يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا ، وقيل معناه لا تعاضوا عن البيان والايضاح ونشر العلم النافع في الناس بالكتان واللبس لتستمروا على رياستكم في الدنيا القليلة الحقةرة الزائلة عن قريب ، وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا لبصيب به عرضا من الدنيا لم يبرح رائحة الجنة يوم القيامة » فأما تعلم العلم بأجرة فان كان قد تعين عليه فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة ويجوز أن يتناول من بيت المال ما يقوم به حاله وعياله فان لم يحصل له منه شيء وقطعه التعليم عن التكسب فهو كما لم يتعين عليه واذا لم يتعين عليه فانه يجوز أن يأخذ عليه أجرة عند مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد في قصة اللديغ « ان أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » وقوله في قصة المخطوبة « زوجتكها بما معك من القرآن » فلما حديث عبادة بن الصامت انه علم رجلا من أهل الصفة شيئا من القرآن فأهدى له قوسا فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ان أحببت أن تطوق بقوس من نار فاقبله » فتركه رواه أبو داود وروي مثله عن أبي ابن كعب مرفوعا فان صح اسناده فهو محمول عند كثير من العلماء منهم أبو عمر ابن عبد البر على انه لما علمه الله لم يجز بعد هذا ان يعترض عن ثواب الله بذلك القوس فلما اذا كان من أول الامر على التعليم بالأجرة فانه يصح كما في حديث اللديغ وحديث سهل في المخطوبة والله أعلم وقوله (وإياي فاتقون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عمر الدوري حدثنا أبو اسماعيل المؤدب فاتقون واخشون ، والآخرون يحذفونها على الخط (وآمنوا بما أنزلت) يعني القرآن (مصدقا لما معكم) أي موافقا لما معكم من التوراة في التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم نزلت في كعب بن الاشraf وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم (ولا تكونوا أول كافرين) أي بالقرآن يريد من أهل الكتاب لان قريشا كفرت قبل اليهود بمكة معناه ولا تكونوا أول من كفر بالقرآن فتنابكم اليهود على ذلك فنبؤوا بآئامكم وآئامهم (ولا تشتروا) أي ولا تستبدلوا (بآياتي) ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) أي عوضا يسيرا من الدنيا وذلك ان رؤساء اليهود وعلماءهم

عن عاصم الاحول عن ابى العالية عن طلق بن حبيب قول : التزوى ان تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله . ومعنى قوله (واياي فائقون) انه تعالى يتوعدهم فيما يعمدونهم من كتمان الحق وظهار خلافه ومخالفتهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه (٤١) ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون (٤٢) وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين *

يقول تعالى ناهيا لليهود عما كانوا يتعمدونهم من تلبس الحق بالباطل . وتوبيه وكنهانهم الحق وظهارهم الباطل (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون) فهامهم عن الشيثين معاومهم باظهار الحق والتصريح به ولهذا قال الضحاك عن ابن عباس - ولا تلبسوا الحق بالباطل - لا تخطوا الحق بالباطل والصدق بالكذب ، وقال ابو العالية - ولا تلبسوا الحق بالباطل - يقول ولا تخطوا الحق بالباطل وأدوا النصيحة لعباد الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويروى عن سعيد بن جبير والربيع بن أنس نحوه وقال قتادة (ولا تلبسوا الحق بالباطل) ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالاسلام وانتم تعلمون ان دين الله الاسلام وان اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله . وروى عن الحسن البصري نحو ذلك . وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن أكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وتكتموا الحق وانتم تعلمون) أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وانتم نجدونه مكتوبا عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم وروى عن أبي العالية نحو ذلك وقال مجاهد والسدي وقاتادة والربيع بن أنس (وتكتموا الحق) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (قلت) وتكتموا ويحتمل أن يكون مجزوما ويحتمل أن يكون منصوبا أي لا تجمعوا بين هذا وهذا كما يقل لا تأكل السمك وتشرب اللبن ، قال الزمخشري وفي مصحف ابن مسعود وتكتمون الحق أي في حال كتمانكم الحق وانتم تعلمون حال أيضا ، ومعناه وانتم تعلمون الحق . ويجوز أن يكون المعنى وانتم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس من اضلالهم عن الهدى المنفذي بهم الى النار ان سلكوا ما تبدونه لهم من الباطل المشوب بنوع من الحق لترتجوه علمهم والبيان الايضاح وعكسه الكتمان وخالط الحق بالباطل (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) قال مقاتل قوله تعالى لاهل الكتاب (وأقيموا الصلاة)

كانت لهم مأكلة يصيبونها من سفاتهم وجها لهم يأخذون كل عام منهم شيئا معلوما من زروعهم وضروعهم وتؤدوهم فخافوا انهم ان يبنوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك المأكلة فغيروا نعتهم وكتبوا اسمه فاختاروا الدنيا على الآخرة (واياي فائقون) فاختشوني (ولا تلبسوا الحق بالباطل) أي لا تخطوا ، يقال لبس انثوب بلبس لبسا ولبس عليه الامر بلبس لبسا ، اي خالط ، يقول لا تخطوا الحق الذي انزلت عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم بالباطل الذي تكذبونه بأيديكم من تغيير صفة محمد صلى الله عليه وسلم والاكترون على انه أراد لا تلبسوا الاسلام باليهودية

أمرهم أن يصلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم (وَأَتُوا الزَّكَاةَ) أمرهم أن يؤثروا الزكاة أي يدفعونها إلى النبي صلى الله عليه وسلم (وَارْكعُوا مع الرَّاكِعِينَ) أمرهم أن يركعوا مع الرَّاكِعِينَ من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقول كونوا معهم ومنهم ، وقال علي بن طلحة عن ابن عباس يعني بالزكاة طاعة الله والاخلاص ، وقال وكيع عن أبي جناب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وَأَتُوا الزَّكَاةَ قال ما يوجب الزكاة قال مائتان فصاعدا ، وقال مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله تعالى (وَأَتُوا الزَّكَاةَ) قال فريضة واجبة لا تنفع الاعمال الا بها وبالصلاة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جريز عن أبي حيان التيمي عن الحارث العكلي في قوله تعالى (وَأَتُوا الزَّكَاةَ) قال صدقة الفطر وقوله تعالى (وَارْكعُوا مع الرَّاكِعِينَ) أي وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم ومن أخص ذلك وأكمله الصلاة. وقد استدلل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة ، وأبسط ذلك في كتب الاحكام الكبير ان شاء الله تعالى ، وقد تكلم القرطبي على مسائل الجماعة والامامة فاجاد

(٤١) **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ***

يقول تعالى كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم فلا تأمرون بما تأمرون الناس به وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله ؟ أفلا تعقلون ما أنتم صائدون بأنفسكم ، فتنبهوا من رقدتكم ، وتبصروا من عمايتكم . وهذا كما قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) قال كان بنو اسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبقنواه وبالبر ويخالفون فغيرهم الله عز وجل وكذلك قال السدي وقال ابن جريج (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ) أهل الكتاب والمنافقون كانوا والنصرانية ، وقال مقاتل ان اليهود أقرؤا ببعض صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتبوا بعضا يصدقوا في ذلك فقال ولا تلبسوا الحق الذي تغيرون بالباطل يعني بما تكتبونه فالحق يبينهم والباطل كتمانهم وتكتبوا الحق اي لا تكتبوه يعني نعمت محمد صلى الله عليه وسلم (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه نبي مرسل ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ يعني الصلاة الخمس بمواقيتها وحدودها ﴿ وَأَتُوا زَكَاةً ﴾ أدوا زكاة أموالكم المفروضة فهي مأخوذة من زكا الزرع اذا نما وكثر . وقيل : من تزكى أي تطهر وكلا المعنيين موجودان في الزكاة لان فيها تطهيرا وتنمية للمال ﴿ وَارْكعُوا مع الرَّاكِعِينَ ﴾ أي صلوا مع المصلين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وذكر بلفظ الركوع لان الركوع ركن من أركان الصلاة ، ولان صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع ، وكأنه قال : صلوا صلاة ذات ركوع قيل : وإعادته بعد قوله (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) لهذا أي صلوا مع الذين في صلواتهم ركوع . فالاول مطلق في حق الكل ، وهذا في حق أقوام مخصوصين . وقيل : هذا حث على إقام الصلاة جماعة كأنه قال لهم : صلوا مع المصلين الذين سبقوكم بالايمان ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ أي بالطاعة ، نزلت في علماء اليهود ، وذلك إن الرجل منهم

يأمرون الناس بالصوم والصلاة وبدعون العمل بما يأمرهم به الناس فيهم الله بذلك فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة . وقال محمد بن اسحق عن محمد بن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وتنسون أنفسكم) أي تتركون أنفسكم (وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) أي تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي اليكم في تصديق رسولي وتنقضون ميثقي ونجحدون ما تعلمون من كتابي ، وقال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية يقول أنأمرون الناس بالدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما أمرتم به من اقام الصلاة وتنسون أنفسكم ، وقال ابو جعفر بن جرير حدثني علي بن الحسن حدثنا أسلم الحرمي حدثنا مخلد بن الحسين عن أيوب السخيتاني عن أبي قلابة في قول الله تعالى (أنأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب) قال ابو الدرداء رضي الله عنه لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ثم يرجع الى نفسه فيكون لها أشد مقتا ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذه الآية هؤلاء اليهود اذا جاء الرجل سألهم عن الشيء ليس فيه حق ولا رشوة أمره بالحق فقال الله تعالى (أنأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) والغرض ان الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرهم بالخير ولا يفعلونه وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له بل على تركهم له فان الامر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم ولكن الواجب والاولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب عليه السلام (وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) فكل من الامر بالمعروف وفعله واجب ما لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قرأى العلماء من السلف والخلف وذهب بعضهم الى أن مرتكب المعاصي لا ينوبى غيره عنها وهذا ضعيف واضعف منه تمسكهم بهذه الآية قانه لاحجة لهم فيها ، والصحيح ان العالم يأمر بالمعروف وان لم يفعله وينهى عن المنكر وان ارتكبه ، قال مالك عن كان يقول لقريبه وحليفه من المؤمنين اذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم : أثبت على دينه فان أمره حق وقوله صدق . وقيل : هو خطاب لاجبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة ثم خالفوا وغيروا نعمت محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ أي تتركون أنفسكم فلا تتبعونه ﴿ وأنتم تتلون الكتاب ﴾ تقرأون التوراة فيها نعمته وصفته ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أنه حق فتنبهونه ؟ والعقل مأخوذ من عقل الدابة وهو ما يشد به ركة البعير فيمنعه من الشرود ، فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود . أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو عمرو بكر بن محمد المزني أنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا حماد بن سلمة أنا علي بن زيد عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رأيت ليلة أسري بي رجلا تقرض شفاهم بمقاريض من نار قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء من أمتك يأمرهم الناس بالبر

(تفسير ابن كثير والبغوي) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع عدم الاتجار والانتها ١٥٥

ربيعة سمعت شعيب بن جبير يقول لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر . قال مالك وصدق من ذا الذي ليس فيه شيء ؟ (قلت) لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة فانه ليس من يعلم كن لا يعلم ولهذا جاءت الاحاديث في الوعيد على ذلك كما قال الامام أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير حدثنا احمد بن المعلى الدمشقي والحسن بن علي العمري قالا حدثنا هشام بن عمار حدثنا علي بن سليمان الكلبي حدثنا الاعمش عن أبي نعيمه الهجيمي عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه» هذا حديث غريب من هذا الوجه «حدث آخر» قال الامام احمد ابن حنبل في مسنده حدثنا وكيع حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد هو ابن جده عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاهم بمقاريض من نار — قال قلت من هؤلاء؟ قالوا خطباء أمتك من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون» ورواه عبد بن حميد في مسنده وتفسيره عن الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة به ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث يونس بن محمد المؤدب والحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة به وكذا رواه يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة به ، ثم قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم حدثنا موسى بن هرون حدثنا اسحق بن ابراهيم التستري يبايع حدثنا مكى بن ابراهيم حدثنا عمر بن قيس عن علي بن زيد عن ثمامة عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاهم وألسنتهم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء؟ قالوا خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم» واخرجه ابن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم وابن مردويه ايضا من حديث هشام الدستوائي عن المغيرة يعني ابن حبيب ختن مالك بن دينار عن مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس بن مالك قال لما عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم مر يقوم تقرض شفاهم «فقال يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم أفلا يعقلون» حديث آخر «قال الامام احمد حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا الاعمش عن أبي ائيل قال قيل لأسامة وانا رديفه الا تكلم عثمان فقال انكم ترون اني لا اكلم الا اسمعكم اني لا اكلم فيما بيني وبينه وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب — أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعجي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا علي بن عبد الله انا سفيان الاعمش عن أبي وائل قال : قال أسامة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتنداق أفتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك البس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتبه ، وأنهاكم عن المنكر

دون ان افتتح امرا لا احب ان اكون اول من افتتحه والله لا اقول لرجل انك خير الناس وان كان علي اميرا بعد ان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - قالوا وما سمعته - يقول؟ قال سمعته يقول « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتدلق به اقبابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به اهل النار فيقولون يا فلان ما اصابك لم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وانهاكم عن المنكر وآتية » ورواه البخاري ومسلم من حديث سليمان ابن مهران الاعمش به نحوه (١) وقال احمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله يعافي الاميين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء » وقد ورد في بعض الآثار « انه يغفر للجاهل سبعين مرة حتى يغفر للعالم مرة واحدة ليس من يعلم كن لا يعلم . وقال تعالى (قل هل يتوحي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب) وروى ابن عساكر في ترجمة الوليد بن عقبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان اناسا من اهل الجنة يظلمون على اناس من اهل النار فيقولون هم دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة الا بما تعلمنا منكم فيقولون انا كنا نقول ولا نفعل » ورواه ابن جرير الطبري عن احمد بن يحيى الخباز الرملي عن زهير ابن عباد الرواسي عن ابي بكر الزاهري عبد الله بن حكيم عن اسماعيل بن ابي خالد عن الشيباني عن الوليد بن عقبة فذكره وقال الضحاك عن ابن عباس انه جاءه رجل فقال يا ابن عباس اني اريد ان آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر، قال ألمغت؟ ذلك قال ارجو، قال ان لم تخش ان تقتضج بثلاث آيات من كتاب الله فافعل، قال وما هن؟ قال قوله تعالى (اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم) احكمت هذه؟ قال لا، قل فالحرف الثاني قال قوله تعالى (لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) احكمت هذه؟ قال لا، قال فالحرف الثالث قال قول ان عبد الصالح شعيب عليه السلام (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا اصلاح) احكمت هذه الآية؟ قال لا قال فابدأ بنفسك . رواه بن مردويه في تفسيره وقال الطبراني حدثنا عبدان بن احمد حدثنا زيد بن الحارث حدثنا عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن المسيب بن رافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا الناس الى قول أو عمل ولم يعمل هو به لم يزل في ظل شخط الله حتى يكف أو يعمل ما قال أو دعا اليه » اسناده فيه ضعف وقال ابراهيم النخعي اني لأكره القصص الثلاث آيات قوله تعالى (اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم) وقوله (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) وقوله اخبارا عن شعيب (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا اصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب)

(١) تراجع في
البغوي من صفحة
١٥٥

(٤٤) واستمعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين (٤٥) الذين يظنون أنهم

وآتيه . وقال شعبة عن الاعمش « فيطحن بها كما يطحن الحمار برحاه » (واستمعينوا) علي

ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون *

يقول تعالى أمرا عبده فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة كما قال مقاتل ابن حيان في تفسير هذه الآية استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلاة فأما الصبر فتبيل انه الصيام نص عليه مجاهد قال القرطبي وغيره ولهذا يسمى رمضان شهر الصبر كما نطق به الحديث وقال سفيان الثوري عن أبي اسحق عن جري بن كليب عن رجل من بني سليم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الصوم نصف الصبر (١)» وقيل المراد بالصبر الكف عن المعاصي ولهذا قرنه بأداء العبادات وأعلامها فعل الصلاة. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن حمزة بن اسماعيل حدثنا اسحق بن سليمان عن أبي سنان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الصبر صبران صبر عند المصيبة حسن واحسن منه الصبر عن محارم الله. قال وروى عن الحسن البصري نحو قول عمر وقال ابن المبارك عن ابن لطيفة عن مالك بن دينار عن سعيد جبير قال الصبر اعتراف العبد لله بما أصيب فيه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه وقد يجزع الرجل وهو يتجلد لا يرى منه الا الصبر. وقال أبو العالية في قوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) قال على مرضاة الله واعلموا انها من طاعة الله وأما قوله والصلاة ان الصلاة من أكبر العون على الثبات في الامر كما قال تعالى (اتل ما وحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) الآية وقال الامام احمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي قال قال عبد العزيز أخو حذيفة قل حذيفة يعني ابن اليمان رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى ورواه أبو دود عن محمد بن عيسى عن يحيى بن زكريا عن عكرمة بن عمار كما سيأتي وقد رواه ابن جرير من حديث ابن جريج عن عكرمة بن عمار عن محمد ما يستقبلكم من انواع البلاء وقيل : على طلب الآخرة بالصبر والصلاة على تمحيص محو الذنوب اراد حبس النفس عن المعاصي . وقيل : أراد بالصبر الصبر على أداء الفرائض . وقال مجاهد : الصبر الصوم ، ومنه سمي شهر رمضان شهر الصبر ، وذلك لان الصوم يزهد في الدنيا ، والصلاة ترغبه في الآخرة . وقيل : الواو بمعنى على أي واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال الله تعالى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) (وانها) ولم يقل وانهما رد الكناية الى كل واحد منهما أي وان كل خصلة منهما كما قل (كلنا الجنتين أنت أكلها) أي أكل كل واحد منهما . وقيل : معناه (واستعينوا بالصبر) وانه الكبير وبالصلاة وانها الكبيرة . فحذف احدهما اختصارا . وقال المورج : رد الكناية الى الصلاة لانها أعم كقوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها) رد الكناية الى الفضة لانها أعم وقيل رد الكناية الى الصلاة لان الصبر داخل فيها كما قال الله تعالى (والله ورسوله أحق أن يرضوه) ولم يقل يرضوهما لان رسول الله صلى الله عليه وسلم في رضاهما داخل في رضاهما . وقال الحسين بن الفضل : رد الكناية الى الاستعانة (لكبيرة) أي الثقيلة (الا على الخاشعين) يعني المؤمنين وقال الحسن : الخاشعين وقيل : المطيعين وقال

(١) رواه الترمذي

وحسنه ورواه ابن ماجه بلفظ الصيام من حديث أبي هريرة وعلم عليه السيوطي في الجامع الصغير بالصحة

بن أبي عبيد بن أبي قدامة عن عبد العزيز بن اليمان عن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ورواه بعضهم عن عبد العزيز بن أخي حذيفة ويقال أخو حذيفة برسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا سهل ابن عثمان العسكري حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال قال عكرمة بن عمار قال محمد بن عبد الله الدؤلي قال عبد العزيز قال حذيفة رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب وهو مشتمل في شملة يصلي وكان اذا حزبه أمر صلى. حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي اسحق سمع حارثة بن مضرب سمع عليا رضي الله عنه يقول لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا الا نائم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ويدعو حتى أصبح. قال ابن جرير وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه مر بأبي هريرة وهو منبطح على بطنه فقال له «اشكم درد» (١) ومعناه أوجعك بطنك؟ قال نعم قال «قم فصل فان الصلاة شفاء» قال ابن جرير وقد حدثنا محمد بن الفضل ويعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية حدثنا عيينة بن عبد الرحمن عن ابيه ان ابن عباس نعى اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيها الجلوس ثم قام يمشى الى راحلته وهو يقول (واستعينوا بالصبر والصلاة وانما لكبيرة الا على الخاشعين) وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج (واستعينوا بالصبر والصلاة) قال انهما معونتان على رحمة الله . والضمير في قوله وانما لكبيرة عائد الى الصلاة نص عليه مجاهد واختاره ابن جرير ويحتمل ان يكون عائدا على ما يدل عليه الكلام وهو الوصية بذلك كقوله تعالى في قصة قارون (وقال الذين أوتوا العلم ولبكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون) وقال تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم (اى وما يلقى هذه الوصية الا الذين صبروا وما يلقاها اى يؤتاها ويلهمها الا ذو حظ عظيم . وعلى كل تقدير فقوله تعالى وانما لكبيرة اى مشقة ثقيلة الا على الخاشعين قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعنى المصدقين بما انزل الله ، وقال مجاهد المؤمنون حقوا وقال ابو العالية الا على الخاشعين الخائفين وقال مقاتل بن حيان الا على الخاشعين يعنى به المتواضعين وقال الضحاك وانما لكبيرة قال انها للثقلية الا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطوته المصدقين بوعدده ووعيدته . وهذا يشبه ما جاء في الحديث « لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه » وقال ابن جرير معنى الآية واستعينوا ايها الاحبار من أهل الكتاب بحبس انفسكم على طاعة الله وباقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر المقربة من رضا الله العظيمة اقامتها الا على الخاشعين اى المتواضعين المستكينين مقاتل ابن حيان : المتواضعين ، وأصل الخشوع السكون قل الله تعالى (وخشعت الاصوات للرحمن) فالخاشع ساكن الى طاعة الله تعالى (الذين يظنون) يستيقنون فالظن من الاضداد يكون شكاً وبقينا كالرجاء يكون آمناً وخوفاً (أنهم ملاقوا) معاينوا (ربهم) في الآخرة وهو رؤية الله تعالى وقيل :

(١) في تكملة
بجمع البحار : أشكيب
ددم - همزة مفتوحة
وسكون شين وفتح
كاف وسكون نون
وكسر موحدة -
وبدالين مفتوحتين
فيم ساكنة . عن أبي
الدرداء : زارني رسول
الله (ص) وأنا نائم
مضطجع على بطني
فقال «اشكيب ددم»
أي أيشتكى بطنك؟
قلت نعم قال « قم
فصل فان في الصلاة
شفاء من كل داء »
اه بحر وفه أعني أنه
قال في الحديث درد
لا ددم فليحذر

إطاعته المتدللين من مخافته . هكذا قال والظاهر ان الآية وان كانت خطابا في سياق انذار بني اسرائيل فانهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص وانما هي عامة لهم ولغيرهم والله اعلم وقوله تعالى (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) هذا من تمام الكلام الذي قبله أي ان الصلاة أو الوصاة اثقلية الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم أي يعلمون انهم محشورون اليه يوم القيامة معروضون عليه وانهم اليه راجعون أي امورهم راجعة الى مشيئته يحكم فيها ما يشاء بعدله فلماذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات فاما قوله (يظنون انهم ملاقوا ربهم) قال ابن جرير رحمه الله العرب قد تسمى اليقين ظنا والشك ظنا (١) نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة والمغيث صارخا والمستغيث صارخا وما أشبه ذلك من الاسماء التي يسمى بها الشيء وضده كما قال دريد بن الصمة

فقلت لهم ظنوا بأني مدحج * سراتهم في الفارسي المسرد

يعني بذلك تيقنوا بأني مدحج يأنبكم ، وقال عمير بن طارق

فان يعبروا قومي وأقعد فيكم * وأجعل مني الظن غيبا مرجحا

يعني وأجعل مني اليقين غيبا مرجحا ، قال والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن في معنى اليقين أكثر من أن نحصر وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية ومنه قول الله تعالى (ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها) ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابو عاصم حدثنا سفيان عن جابر عن مجاهد كل ظن في القرآن يقين أي ظننت وظنوا ، وحدثني المثنى حدثنا اسحق حدثنا ابو داود الجبري عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كل ظن في القرآن فهو علم وهذا سند صحيح (٢) وقال ابو جعفر الرازي عن ثوريع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم) قال الظن هنا يقين ، قال ابن أبي حاتم وروي عن مجاهد والسدي والربيع بن أنس وقتادة نحو قول أبي العالية ، وقال سديد عن حجاج عن ابن جريج (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم) علموا انهم ملاقوا ربهم كقوله (أني ظننت أني ملاق حسايه) يقول علمت وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (قلت) وفي الصحيح ؟ ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة « ألم أزوجك ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والابل وأذكرك رأس وتروع ؟ فيقول بلى فيقول الله تعالى « أظننت انك ملاقي ؟ فيقول لا فيقول الله « اليوم أنساك كما نسيتني » وسيأتي مبسوطة عند قوله تعالى (نسوا الله فنسيتهم) ان شاء الله تعالى

(٤٦) يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين *

المراد من اللقاء الصيرورة اليه ﴿ وأنهم اليه راجعون ﴾ فيجزئهم بأعمالهم ﴿ يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين ﴾ أي عالمي زمانكم ، وذلك التفضيل وان كان

(١) التحقيق
ان الظن في أصل
اللغة الاعتقاد المبني
على الامارات دون
الحس ودون الضرورة
فلا يقال أظن أن
العسل حلو وأظن أن
الواحد نصف الاثنين
وقد يجامع اليقين غير
الحسي والضروري
في الواقع بان يكون عن
أمارات دقيقة ودلائل
نظرية صحيحة أو في
اعتقاد المعتقد بان
كان جازما مخطئا .
وقد يفارقه بأن يكون
اعتقادا راجحا فقط
ومنه (أن ظن الاظنا
وما نحن بمستيقنين)
والاول يلقي في
الايمان وبه تفسر
الآية وأمثالها دون
الثاني وهو المراد بقوله
تعالى (ان الظن لا يغني
من الحق شيئا) ولا
يشترط في الانال الدلم
اليقيني المنطقي
(٢) ولكن معناه

غير صحيح

يذكرهم تعالى بسالف نعمه على آبائهم وأسلافهم وما كان فضاهم به من ارسال الرسل منهم وانزال الكتب عليهم وعلى سائر الامم من أهل زمانهم كما قل تعالى (ولند خترناهم على علم على العالمين) وقال تعالى (واذ قال موسى لقومه ها قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحد من العالمين) قال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (واني فضلتكم على العالمين) قال بما أعطوا من الملك والرسول والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان فان لكل زمان عالما، وروي عن مجاهد والربيع بن أنس وقناة واسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك ويجب الحمل على هذا لان هذه الامة أفضل منهم لقوله تعالى خطابا لهذه الامة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) وفي المسانيد والسنن عن معاوية بن حيدة القشيري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله، والاحاديث في هذا كثيرة تذكر عند قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقيل المراد تفضيل بنوع ما من الفضل على سائر الناس ولا يلزم تفضيلهم مطلقا حكاه الرازي وفيه نظر، وقيل أنهم فضلو على سائر الامم لاشتمال أمهم على الانبياء منهم حكاه القرطبي في تفسيره وفيه نظر لان العالمين عام يشتمل من قبائهم ومن بعدهم من الانبياء فابراهيم الخليل قبائهم وهو أفضل من سائر أنبيائهم ومحمد بعدهم وهو أفضل من جميع الخلق وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة صلوات الله وسلامه عليه

(٤٧) واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل

منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون *

لما ذكرهم تعالى بنعمه أولا عطف على ذلك التحذير من طول نغمه بهم يوم القيامة فقال (واتقوا يوما) يعني يوم القيامة (لا تجزي نفس عن نفس شيئا) أي لا يغني أحد عن أحد كما قال (ولا تنزر وازرة وزر أخرى) وقال (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وقال (ها أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) فهذا أبلغ المقامات ان كلا من الوالد وولده لا يغني أحدهما عن الآخر شيئا، وقوله تعالى (ولا يقبل منها شفاعة) يعني من الكافرين في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف في حق الابناء (واتقوا يوما) واخشوا عقاب يوم ﴿لا يجزي نفس﴾ لا تقضي نفس ﴿عن نفس شيئا﴾ أي حقالزما وقيل: لا تغني وقيل: لا تسكنني شيئا من الشدائد ﴿ولا يقبل منها شفاعة﴾ قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالتاء لتأنيث الشفاعة، وقرأ الباقون بالياء لان الشفع والشفاعة بمعنى واحد كالوعظ والموعظة، فالتذكير على المعنى، والتأنيث على اللفظ كقوله تعالى (قد جاءكم موعظة من ربكم) وقال في موضع آخر (من جاءه موعظة من ربه) أي لا تقبل منها شفاعة اذا كانت كافرة ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ أي فداء وسمي به لانه مثل المعدي

كما قال (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وكما قال عن أهل النار (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) وقوله تعالى (ولا يؤخذ منها عدل) أي لا يقبل منها فداء كما قال تعالى (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتردى به) وقال (ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) وقال تعالى (وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) وقال (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم) الآية فأخبر تعالى أنهم ان لم يؤمنوا برسوله ويتابعوه على ما بعثه به ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه فإنه لا ينفعهم قرابة قريب ولا شفاعة ذى جاه ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض ذهباً كما قال تعالى (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقال (لا بيع فيه ولا خلة) قال سديد حدثني حجاج حدثني ابن جريج قال قال مجاهد قال ابن عباس (ولا يؤخذ منها عدل) قال بدل والبذل الفدية ، وقال السدي أما عدل فبعضها من العدل يقول لو جاءت بملء الأرض ذهباً لتفتدي به ما تقبل منها ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله - ولا يقبل منها عدل - يعني فداء . قال ابن أبي حاتم وروى عن أبي مالك والحسن وسعيد بن جبير وقنادة والربيع بن أنس نحو ذلك ، وقال عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن الأعشى عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن علي رضي الله عنه في حديث طويل قال والصرف والعدل التطوع والفريضة . وكذا قال الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة عن عمير بن هاني . وهذا القول غريب ههنا والقول الاول أظهر في تفسير هذه الآية وقد ورد حديث يقويه وهو ما قال ابن جرير حدثني نجيح بن ابراهيم حدثنا علي بن حكيم حدثنا حميد ابن عبد الرحمن عن أبيه عن عمرو بن قيس الملائي عن رجل من بني أمية من أهل الشام أحسن عليه الثناء قال قيل يا رسول الله ما العدل؟ قال « العدل الفدية » وقوله تعالى (ولا هم ينصرون) أي ولا أحد يغضب لهم فينصرهم وينقذهم من عذاب الله كما تقدم من أنه لا يعطف عليهم ذو قرابة ولا ذوجه ولا يقبل منهم فداء هذا كله من جانب التلطف ولا لهم ناصر من أنفسهم ولا من غيرهم كما قال (فما له من قوة ولا ناصر) أي انه تعالى لا يقبل فيمن كفر به فدية ولا شفاعة ولا ينقذ أحداً من عذابه منقذ ولا يخلص منه أحد ولا يحير منه أحد كما قال تعالى (وهو يحير ولا يحار عليه) وقال (فيومئذ لا يمدب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) وقال (مالكم لا تنصرون بل هم اليوم مستسلمون) وقال (فلولا نصرهم الذين أخذوا من دون الله قربانا آلها بل ضلوا عنهم) الآية وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى (مالكم لا تنصرون) مالكم اليوم لا تمنعون منا هيئات ليس ذلك لكم اليوم قال ابن جرير وتأويل قوله (ولا هم ينصرون) يعني أنهم يومئذ لا ينصرهم ناصر كما لا يشفع لهم شافع ولا يقبل منهم عدل ولا فدية بطلت هنالك المحاباة واضمحلت الرشى العدل والعدل المثل « ولا ينصرون » يمنعون من عذاب الله

والشفاعات وارتفع من اقوم التناصر والتعاون وصار الحكم الى الجبار العدل الذي لا ينفع لديه الشفعاء والنصراء فيجزى بالسينة مثلها وبالحسنة أضعافها وذلك نظير قوله تعالى (وقفوهم إنهم مسؤولون ؟ ما لكم لا تنصرون ؟ بل هم اليوم مستسلمون)

(٤٨) واذا نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبجون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٤٩) واذا فرقناكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون *

يقول تعالى اذكروا يا بني اسرائيل نعمتي عليكم اذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب أي خلصتكم منهم وأنقذتكم من أيديهم صعبة موسى عليه السلام وقد كانوا يسومونكم أي يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم سوء العذاب وذلك ان فرعون لعنه الله كان قد رأى رؤيا هاتية رأى نارا خرجت من بيت المقدس فدخات بيوت القبط ببلاد مصر الا بيوت بني اسرائيل مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني اسرائيل ويقال بعد تحدث سماره عنده بان بني اسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم يكون لهم به دولة ورفعة وهكذا جاء في حديث الفتور كما سيأتي في موضعه في سورة طه ان شاء الله تعالى فعند ذلك أمر فرعون لعنه الله بقتل كل ذكر **﴿ واذا نجيناكم ﴾** أي اسلافكم واجدادكم فاعتدها منة عليهم لانهم نجوا بنجاتهم **﴿ من آل فرعون ﴾**

اتباعه واهل دينه وفرعون هو الوليد بن مصعب بن الريان وكان من القبط العماليق وعمر أكثر من اربعائة سنة **﴿ يسومونكم ﴾** يكلفونكم ويذيقونكم **﴿ سوء العذاب ﴾** أشد العذاب وأسوأه وقيل : يهزفونكم في العذاب مرة هكذا ومرة هكذا كالابل السائمة في البرية ، وذلك أن فرعون جعل بني اسرائيل خدما وخولا وصنفهم في الاعمال ، فصنف يذون ، وصنف يحرثون ويزرعون ، وصنف يخدمونه ، ومن لم يكن منهم في عمل وضع عليه الجزية . قال وهب : كانوا أصنافا في أعمال فرعون فذوو القوة ينتحون السواري من الجبال حتى قرحت أعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها ، وطائفة ينقلون الحجارة ، وطائفة يبنون له القصور ، وطائفة منهم يضربون اللبن ويطبخون الأجر ، وطائفة نجارون وحدادون ، والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدي ضريبة غلت يمينه الى عنقه شهراً ، والنساء يغزلن الكتان وينسجن . وقيل : تغيير قوله - يسومونكم - سوء العذاب - ما بعده وهو قوله تعالى **﴿ يذبجون أبناءكم ﴾** فهو مذكور على وجه البدل من قوله - يسومونكم - سوء العذاب - **﴿ ويستحيون نساءكم ﴾** يتركونهن أحياء ، وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبلي فيها ولم تتعرض لبني اسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه ؟ فقالوا يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر

يولد بعد ذلك من بني إسرائيل وإن تترك البنات وأمر باستعمال بني إسرائيل في مشاق الأعمال وأرذلها وههنا فسر العذاب بذبح الأبناء وفي سورة إبراهيم عطف عليه كما قال (يسومونكم سوء العذاب وينذجون أبناءكم ويستحيون نساءكم) وسيأتي تفسير ذلك في أول سورة القصص إن شاء الله تعالى وبه الثقة والمعونة والتأييد. ومعنى يسومونكم يولونكم قاله أبو عبيدة كما يقل ساء له خطه خفف إذا أولاه أياها قال عمرو بن كلثوم

إذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا أن نقر الخسف فينا

وقيل معناه يذبحون ذبايحكم كما يقل سائمة الغنم من أدامتها الرعي. نقله اقريطي وإنما قال ههنا (ينذجون أبناءكم ويستحيون نساءكم) ليكون ذلك تفسيرا للنعمة عليهم في قوله (يسومونكم سوء العذاب) ثم فسر بهذا لقوله ههنا (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) وأما في سورة إبراهيم فلما قال (ذكرهم بإيام الله) أي بإياديه ونعمه عليهم فناسب أن يقول هناك (يسومونكم سوء العذاب وينذجون أبناءكم ويستحيون نساءكم) فعطف عليه الذبح ليدل على تعدد النعم والأيادي على (بني إسرائيل) وفرعون علم كل من ملك مصر كافرا من العماليق وغيرهم كما أن قيصرا علم على كل من ملك الروم مع الشام كافرا وكسري لمن ملك الفرس، وتبع لمن ملك اليمن كافرا، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وبطليموس لمن ملك

فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل وجمع القوايل فقال لمن: لا يسقط على أيديكم غلام من بني إسرائيل الا قتل، ولا جارية الا تركت، وكل بالقوايل فكن يفعلن ذلك حتى قيل: إنه قتل في طلب موسى عليه السلام اثني عشر الف صبي. وقال وهب: بلغني أنه ذبح في طلب موسى عليه السلام تسعين الف وليد، ثم أسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل فدخل رءوس القبط على فرعون وقالوا: إن الموت قد وقع في بني إسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فولد هرون في السنة التي لا يذبحون فيها، وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها وفي ذاك بلاء من ربكم عظيم ﴿ قيل: البلاء المحنة أي في سومهم إياكم سوء العذاب محنة عظيمة. وقيل: البلاء النعمة أي في أنجائي إياكم منهم نعمة عظيمة، فالبلاء يكون بمعنى النعمة وبمعنى الشدة فالله تعالى قد يخبر على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر، قال الله تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ﴿ واذ فرقنا بكم البحر ﴾ قيل: معناه فرقنا لكم رقبيل: فرقنا البحر بدخولكم إياه، وسمي البحر بحرا لأنساعه ومنه قيل للفرس: بحر إذا اتسع في جريه، وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسري ببني إسرائيل من مصر ليلا فأمر موسى قوميه أن يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح، وأخرج الله تعالى كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إليهم، وكل ولد زنا في بني إسرائيل من القبط إلى القبط حتى رجع كل إلى أبيه، وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم حتى (١) أصبحوا حتى طالت الشمس، وخرج موسى عليه (١) كذا في الاصل السلام في ستمائة وعشرين الف مقاتل؟ لا يمدون ابن العشرين لصغره، ولا ابن الستين لكبره،

الهند ويقال كان اسم فرعون الذي كان في زمن موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الربان وقيل مصعب بن الريان فكان من سلالة عماليق بن الاود بن ارم بن سام بن نوح وكنيته أبو مرة وأصله فارسي من اصطخر وأياما كان فعلية لعنة الله وقوله تعالى (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) قال ابن جرير وفي الذي فعلنا بكم من انبائنا آباءكم مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون بلاء لكم من ربكم عظيم أي نعمة عظيمة عليكم في ذلك ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى (بلاء من ربكم عظيم) قال نعمة ، وقال مجاهد — بلاء من ربكم عظيم — قال نعمة من ربكم عظيمة ، وكذا قال ابو العالية وابو مالك والسدي وغيرهم وأصل البلاء الاختبار وقد يكون بالخير والشر كما قال تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وقال (وبلونا هم بالحسنات والسيئات لعالم يرجعون) قال ابن جرير وأكثر ما يقال في الشر بلوته أبلوه بلاء وفي الخير أبليه ابلاء وبلاء قال زهير بن أبي سلمى

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم ٥ وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

قال فجمع بين اللغتين لأنه أراد فأنعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده وقيل المراد بقوله (وفي ذلكم بلاء) إشارة الى ما كانوا فيه من العذاب المهيمن من ذبح الابناء واستحياء النساء

وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثني عشر وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان أصحاب موسى ستمائة الف وسبعين الفا . وعن عمرو بن ميمون قال: كانوا ستمائة الف فلما أرادوا السير ضرب عليهم اليه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا: ان يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ على اخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فـألهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم أين موضع قبر يوسف عليه السلام الا أخبرني به ومن لم يعلم به فصمت أذناه عن قولي وكان يمر بين الرجلين ينادي ولا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت: أرايتك ان دلتك على قبره أعطيتني كل ما سألتك؟ فأبى عليها وقال: حتى أسأل ربي فأمره الله تعالى بايثائها سوؤها فقالت: اني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحماني وأخرجني من مصر هذا في الدنيا ، وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال: نعم قالت: انه في جوف الماء في النيل فادع الله حتى يحسر عنه الماء ، فدعا الله تعالى فحسر عنه الماء ، ودعا أن يؤخر طلوع الفجر الى أن يفرغ من أمر يوسف عليه السلام فحفر موسى عليه السلام ذلك الموضع واستخرج في صندوق من مرمر وحمله حتى دفنه بالشام ففتح لهم الطريق فساروا وموسى عليه السلام على صاقتهم وهرون على مقدمتهم وندر بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم ان لا يخرجوا في طلب بني اسرائيل حتى يصيح الديك فوالله ما صاح ديك تلك الليلة فخرج فرعون في طلب بني اسرائيل وعلى مقدمة عسكره هامان في الف الف وسبعمائة الف ، وكان فيهم سبعون الفا من دم الخيل سوى سائر الشيات . وقال

قال القرطبي وهذا قول الجمهور ولفظه بعد ما حكى القول الاول ، ثم قال : وقال الجمهور الاشارة الى الذبح ونحوه والبلاء ههنا في الشر والمعنى وفي الذبح مكروه وامتحان وقوله تعالى (واذا فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) معناه وبعد ان انقذناكم من آل فرعون وخرجتم مع موسى عليه السلام خرج فرعون في طلبكم ففرقنا بكم البحر كما أخبر تعالى عن ذلك مفصلا كما سيأتي في مواضعه ومن أبسطها ما في سورة الشعراء ان شاء الله فأنجيناكم أي خلاصناكم منهم وخرجنا بينكم وبينهم وأغرقناهم وأنتم تنظرون ليكون ذلك أشنى لصدوركم ما بلغ في اهانة عدوكم قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أبي اسحق الهمداني عن عمرو بن ميمون الزودي في قوله تعالى (واذا فرقنا بكم البحر — الى قوله — وأنتم تنظرون) قال لما خرج موسى ببني اسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تتبعوهم حتى تصيح الديكة قل فوالله ما صاح ليلئذ ديك حتى أصبحوا فدعا بشاة فذبحت ثم قال لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع الي ستمائة ألف من القبط فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع اليه ستمائة ألف من القبط فلما أتى موسى البحر قل له رجل من أصحابه يقال له يوشع ابن نون أين أمر ربك ؟ قل أمامك يشير الى البحر فأوحى يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر فذهب به الغمر ثم رجع فقال أين أمر ربك يا موسى ؟ فوالله ما كذبت ، ولا كذبت ، فعزل ذلك ثلاث مرات

محمد بن كعب رضي الله عنه : كان في عسكر فرعون مائة الف حصان ادهم سوى سائر الشيات ، وكان فرعون يكون في الدهم وقيل : كان فرعون في سبعة آلاف الف ، وكان بين يديه مائة الف ناشب ، ومائة الف أصحاب حراب ، ومائة الف أصحاب الاعمدة ، فسارت بنو اسرائيل حتى وصلوا الى البحر والماء في غابة الزيادة ونظروا فاذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس فبقوا متحيرين فقالوا : يا موسى كيف نصنع ؟ وأين ما وعدتنا هذا فرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا ، والبحر أمامنا ان دخاناه غرقنا قال الله تعالى : فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال (موسى) كلا ان معي ربي سيهدين . فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطمعه فأوحى الله اليه أن كنهه فضربه وقال : انفلق يا أبا خالد باذن الله تعالى ، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يرسا فخضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا تخافوا وقال كل سبط : قد قتل اخواننا فأوحى الله تعالى الى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء شبكات كالطبقات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى (واذا فرقنا بكم البحر) (فأنجيناكم) من آل فرعون والغرق (وأغرقنا آل فرعون) وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فرأه منفلقا قال لقومه : انظروا الى البحر انفلق من ههنا حتى أدرك عبيدي الذين أتوا ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه وقبل : قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى ، وكان فرعون على حصان ادهم ولم يكن في خيل فرعون أنثى

ثم أوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر ففصر به فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم — يقول مثل الجبل — ثم سار موسى ومن معه واتبعهم فرعون في طريقهم حتى اذا تماموا فيه أطبقه الله عليهم فلذلك قال (وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) وكذلك قل غير واحد من السلف كما سباني بيانه في موضعه وقد ورد أن هذا اليوم كان يوم عاشوراء كما قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال «ما هذا اليوم الذي تصومون؟ قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله عز وجل فيه بنى اسرائيل من عدوهم فصامه موسى عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا أحق بموسى منكم» فصامه وأمر بصومه وروى هذا الحديث البخارى ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق عن أبيوب السخيتاني به نحو ما تقدم وقال ابو يعلى الموصلي حدثنا ابو الزبيع حدثنا سلام يعني ابن سليم عن زيد العمي عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «فلق الله البحر لبنى اسرائيل يوم عاشوراء» وهذا ضيف من هذا الوجه فان زيد العمي فيه ضعف وشيخه يزيد الرقاشي أضعف منه

(٥٥) واذا وعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون (٥١) ثم عفونا

عنكم من بعد ذلك لعلمكم تشكرون (٥٢) واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لما يكتم تدون*

يقول تعالى واذكروا نعمتي عليكم في عفوي عنكم لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى

لميقات ربه عند انقضاء أمد المواعدة وكانت أربعين يوما وهي المذكورة في الاعراف في قوله تعالى

(وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) قيل انها ذو القعدة بكامله وعشر من ذي الحجة

فجاء جبريل على فرس أنثى وديق فتقدمهم وخاض البحر فلما شئ آدم فرعون رجبها فقتلهم البحر في

أثرها وهم لا يرونه ولم يملك فرعون من أمره شيئا وهو لا يرى فرس جبريل واقتحمت الخيول خلفه

في البحر وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يسوقهم حتى لا يشذ رجل منهم ويقول لهم : الحقو

بأصحابكم حتى خاضوا كلهم البحر ، وخرج جبريل من البحر ، وخرج ميكائيل من البحر ، وهم

أولهم بالخروج فأمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين ، وكان بين طرفي البحر

أربعة فراسخ وهو على طرف بحر من بحر فارس (١) . قال قتادة : بحر من وراء مصر يقال له اساف ،

وذلك بحر أي من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى (وأنتم تنظرون) الى مصارعهم وقيل : الى هلاكهم

(واذا وعدنا) هو من المفاعلة التي تكون من الواحد كقولهم : عافاك الله وعاقبت الابل طارقت

النعمل . وقال الزجاج : كان من الله الامر ومن موسى القبول فلذلك ذكر بلفظ المواعدة . وقرأ أبو

عمرو وأهل البصرة (واذا وعدنا) من الوعد . موسى اسم عبري عرب وهو بالعبرانية «مو» انا «وشى» الشجر

سمي به لانه أخذ من بين الماء والشجر ثم قبلت الشيز سينا في العربية (أربعين ليلة) أي انقضاءها :

(١) وفي بعض

النسخ وهو بحر القلزم
بحر من بحر فارس .
والصواب ان بحر
القلزم وهو المسمى
الآن بالبحر الاحمر
فرع من المحيط الجنوبي
الذي يسمى الهندي
وسواحه تسمى بحر
العرب

وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون وانجائهم من البحر وقوله تعالى (واذ آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (والفرقان) وهو ما يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلالة (لعلكم تهتدون) وكان ذلك أيضا بعد خروجهم من البحر كما دل عليه سياق الكلام في سورة الاعراف وقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون) وقيل الواو زائدة والمعنى ولقد آتينا موسى الكتاب الفرقان وهذا غريب وقيل عطف عليه وان كان المعنى واحدا كما في قول الشاعر:

وقدمت الادب لراقشه • فالنقى قولها كذبا ومينا

(١) كذا والوجه
أن يقال ودخلوا
الارض المقدسة

ثلاثون من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة، وقرن بالليل دون النهار لان شهور العرب وضمت على سير القمر، واللال انما يهل بالليل وقيل: لان الظلمة أقدم من الضوء، وخلق الليل قبل النهار قال الله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) وذلك ان بني اسرائيل لما آمنوا من عدوهم ودخلوا مصر (١) لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها فوعدهم الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه: اني ذاهب لمبعثات ربكم آتيكم بكتاب فيه بيان ما تناوتون وما تذكرون، وواعدكم أربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة، واستخلف عليهم أخاه هارون، فلما أتى الوعد جاء جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئا الا حيي ليذهب بموسى الى ربه فلما رآه السامري وكان رجلا صائغا من أهل باجرمى واسمه ميخا. وقال سعيد بن جبير: وكان من أهل كرمان. وقال ابن عباس: اسمه موسى بن ظفر. وقال قتادة: كان من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة، ورأى موضع قدم الفرس تخضر من ذلك، وكان منافقا أظهر الاسلام، وكان من قوم يعبدون البقر، فلما رأى جبرائيل على ذلك الفرس علم ان لهذا شأنا فأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبرائيل عليه السلام. قال عكرمة: التي في روعه انه اذا ألقى في شيء غيره (٢) وكانت بنو اسرائيل قد استماروا حلبة كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعله عرس لهم فأهلك الله فرعون وبقيت تلك الحلبي في أيدي بني اسرائيل، فلما فصل موسى قال السامري لبني اسرائيل: ان الحلبي التي استعرتموها من قوم فرعون غنيمة لا نحل لكم فاحفروا حفرة وادفنها فيها حتي يرجع موسى فيرى فيها رأيه. وقال السدي: ان هارون عليه السلام أمرهم أن يلقوها في حفرة حتي يرجع موسى ففعلوا فلما اجتمعت الحلبي صاغها السامري عجلا في ثلاثة ايام ثم ألقى فيها القبضة التي أخذها من تراب أثر فرس جبرائيل عليه السلام فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر كأحسن ما يكون، فخر خورة. وقال السدي: كان ينحر ويمشي فقال السامري (هذا إلهكم وإله موسى فنتي) أي فتركه ههنا وخرج يطلبه، وكانت بنو اسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل: كان موسى قد وعدهم ثلاثين ليلة ثم زبدت العشرة فكانت

(٢) يعني بالتغيير
جعله غير الحلبي حيا

وقال الآخر :

ألا حبذا هند وأرض بها هند * وهند أتى من دونها النأي والبعد
فالكذب هر المين ، والنأي هو البعد . وقول عنتره :
حييت من طلل تقادم عهده * أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
فعطف الاقفار على الاقواء وهو هو

(٥٣) واذا قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باخذكم العجل ، فتوبوا الى بارئكم

فاقتلوا انفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم *
هذه صفة توبته تعالى على بني اسرائيل من عبادة العجل ، قال الحسن البصري رحمه الله في
قوله تعالى (واذا قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باخذكم العجل) فقال ذلك حين وقع
في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع حتى قال الله تعالى (ولما سقط في ايديهم ورأوا أنهم قد
ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا وبغفر لنا) الآية . قال : فذلك حين يقول موسى (يا قوم انكم

فتمت في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات ورأوا العجل وسمعوا
قول السامري فعكف ثمانية آلاف رجل منهم على العجل يعبدونه وقيل : كلهم عبدوه الا هارون
مع اثني عشر الف رجل ، وهذا أصح . وقال الحسن : كلهم عبدوه الا هارون وحده فذلك قوله
تعالى (ثم اتخذتم العجل) أي الها (من بعده) أظهر ان كثير وحض الدال من أخذت واتخذت
والآخرون بدعوتها (وأنتم ظالمون) ضارون لانفسكم بالمعصية واضعون العبادة في غير موضعها
(ثم عفونا عنكم) محوذا ذنوبكم (من بعد ذلك) من بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون)
لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي اليكم . قيل : الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية
قال الحسن : شكر النعمة ذكرها قال الله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) قال الفضيل : شكر كل
نعمة أن لا يعصى الله بعد تلك النعمة وقيل : حقيقة الشكر المعجز عن الشكر () . حكى أن موسى عليه
السلام قال : الهي أنعمت علي النعم السوانغ وأمرني بالشكر وانما شكري إياك نعمة منك . قال الله
تعالى : يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوقه شيء من علم ، حسبي من عبدي أن يعلم ان ما به من نعمة
فهو مني . وقال داود : سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز
عن معرفته معرفة . قوله تعالى (واذا آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (والفرقان) قال مجاهد :
هو التوراة أيضا ذكرها باسمين . وقال الكسائي : الفرقان نعت والواو زائدة يعني الكتاب الفرقان
أي المفرق بين الحلال والحرام . وقال يمان بن ريان : أراد بالفرقان انفرق البحر كما قال (واذا فرقنا
بكم البحر فأنجيناكم) (لعلكم تهتدون) بالتوراة (واذا قال موسى لقومه) الذين عبدوا العجل

(١) عذالايصح
لأن المعجز ليس عملا
للعبد والشكر من عمله
والصواب ما سيذكر
عن داود عليه السلام

ظلمتم أنفسكم بانخاذكم العجل) وقال أبو العالصة وسعيد بن جبير والربيع بن أنس (فتوبوا الى بارئكم) أي الى خالقكم قلت وفي قوله ههنا (الى بارئكم) تنبيه على عظم جرمهم أي فتوبوا الى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره . وقد روى النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث يزيد ابن هارون عن الأصم بن زيد الوراق عن القاسم بن أبي أيوب بن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : فقال الله تعالى ان توبتهم أن يقتل كل واحد منهم من قمي من والد وولد فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن قتال أو تلك الذين كانوا خفي على موسى وهرون ما اطلع الله على ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلا ما امروا به فغفر الله للقاتل والمقتول وهذا قطعة من حديث الفتن وسيأتي في سورة طه بكاله ان شاء الله . وقال ابن جرير : حدثني عبد الكريم بن الهيثم حدثنا ابراهيم بن بشار حدثنا سفيان بن عيينة قال : قال أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال موسى لقومه توبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم . قال أمر موسى قومه عن امر ربه عز وجل أن يقتلوا أنفسهم قال : وأخبر الذين عبدوا العجل فجلسوا وقام الذين لم يمكنوا على العجل فأخذوا الحناجر بأيديهم وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضا فأنجلت الظلمة عنهم وقد جلوا عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة وكل من بقي كانت له توبة . وقال ابن جرير : أخبرني القاسم بن أبي مرة انه سمع سعيد بن جبير ومجاهدا يقولان في قوله تعالى (فاقتلوا أنفسكم) قالوا : قام بعضهم الى بعض بالحناجر يقتل بعضهم بعضا لا يحنو رجل على قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم فكشف عن سبعين ألف قتيل وان الله أوحى الى موسى أن حسبي فقد اكتفيت فذلك حين ألوى موسى بثوبه وروي عن علي رضي الله عنه نحوه ذلك وقال قتادة : أمر القوم بشديد من الامر فقاموا يتناحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضا حتى بلغ الله فيهم نعمته فسقطت الشفار من أيديهم فأمسك عنهم القتل فجعل لحبيهم توبة والمقتول شهادة . وقال الحسن البصري : أصابهم ظلمة حندس فقتل بعضهم بعضا ثم انكشف عنهم فجعل توبتهم في ذلك وقال السدي : في قوله (فاقتلوا أنفسكم) قال فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسبوف فكان من قتل من الغريقين شهيدا حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا حتى قتل منهم

(يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم) ضررتم بأنفسكم (بانخاذكم العجل) الهما قالوا : فأي شيء نصنع قال (فتوبوا) فارجعوا (الى بارئكم) خالقكم قالوا : كيف نتوب قال (فاقتلوا أنفسكم) يعني ليقتل البريء منكم المجرم (ذلكم) أي القتل (خير لكم عند بارئكم) فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا : نصبر لامر الله فجلسوا بالافنية محتبين وقيل لهم : من مد حيوته أو مد طرفه الى قتاله أو انقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته ، وأصلت القوم عليهم الحناجر ، وكان الرجل يري ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضي لامر الله تعالى قالوا : يا موسى كيف نفعل ؟ فأرسل الله تعالى عليهم ضبابا وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى

سبعون ألفا وحتى دعا موسى وهرون ربنا أهلك بني اسرائيل ربنا البقية البقية فأمرهم أن يلقوا السلاح وتاب عليهم فكان من قتل منهم من الفريقين شهيدا ومن بقي مكفرا عنه فذلك قوله (فتاب عليهم أنه هو التواب الرحيم) وقال الزهري: لما أمرت بنو اسرائيل بقتل أنفسهم برزوا ومعهم موسى فاضطربوا بالسيوف وتطاعنوا بالخناجر وموسى رفع يديه حتى اذا قتر بعضهم قالوا يا بني الله ادع الله لنا وأخذوا بعضديه يستندون يديه فلم يزل أمرهم على ذلك حتى اذا قبل الله توبتهم قبض أيديهم بعضهم عن بعض فألقوا السلاح وحزن موسى وبنو اسرائيل للذي كان من القتل فيهم فأوحى الله جل ثناؤه الى موسى ما يحزنك أما من قتل منهم فحي عندي يرزقون وأما من بقي فقد قبلت توبته فسر بذلك موسى وبنو اسرائيل رواه ابن جرير بإسناد جيد عنه وقال ابن اسحق لما رجم موسى الى قومه وأحرق العجل وذراه في الهم خرج الى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم الصاعقة ثم بعثوا فسأل موسى ربه التوبة لبني اسرائيل من عبادة الدجل فقل لا الا ان يقتلوا أنفسهم قل قبلتني انهم قالوا لموسى نصبر لا مرا لله فأمر موسى من لم يكن عبد العجل ان يقتل من عبده فجلسوا بالافنية واصلت عليهم القوم السيوف فجعلوا يقاتلونهم فبش موسى فيكي اليه النساء والصبيان يطلبون العفو عنهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لما رجم موسى الى قومه وكانوا سبعين رجلا قد اعتزلوا مع هرون العجل لم يعبدوه فقال لهم موسى انطلقوا الى موعد ربكم فقالوا يا موسى ما من توبة قال بلى: أقولوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم - الآية فاختلطوا السيوف والجزرة والخناجر والسكاكين . قال وبعث عليهم ضبابه قال فجعلوا يتلامسون بالأيدي ويقتل بعضهم بعضا قال وبقى الرجل أباه وأخاه فيقتله وهو لا يدري . قال وينتادون فيها رحم الله عبدا صبر نفسه حتى يباغ الله رضاه ، قال فقتلهم شهداء وتيب على أحيائهم ثم قرأ (فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم

(٥٤) واذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم

تنظرون (٥٥) ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون *

يقول تعالى واذا کروا نعمتي عليكم في بعثي لكم بعد الصعق إذ سألتهم رؤيتي جهرة عيانا مما

وهارون عليها السلام وبكبار تضرعوا قالا: يارب هلك بنو اسرائيل، البقية البقية، فكشف الله تعالى السحابة وأمرهم أن يكفوا عن القتل فكشفت عن ألوف من القتلى يروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: كان عدد القتلى سبعين ألفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه: أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول في الجنة، فكان من قتل منهم شهيدا، ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه، فذلك قوله تعالى ﴿ فتاب عليكم ﴾ أي فعلمتم ما أمرتم به فتاب عليكم فتجاوز عنكم ﴿ أنه هو التواب ﴾ القابل للتوبة ﴿ الرحيم ﴾ بهم. قوله تعالى ﴿ واذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ وذلك أن الله تعالى

لا يستطيع لكم ولا لامثالكم كما قال ابن جرير قال ابن عباس في هذه الآية (وإذ قلتم يا موسى لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) قال علانية وكذا قال ابراهيم بن طهمان عن عباد بن اسحق عن أبي
الحويرث عن ابن عباس انه قال في قول الله تعالى (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) أى علانية
أى حتى نرى الله وقال قتادة والربيع بن أنس (حتى نرى الله جهرة) أى عيان وقال أبو جعفر عن
الربيع بن أنس هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه قل فسمعوا كلاما فقالوا (لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة) قال فسمعوا صوتا فصقوا يقول ماوا. وقال مروان بن الحكم فيما خطب به على منبر
مكة الصاعقة صبيحة من السماء وقال السدى في قوله (فأخذنكم الصاعقة) ناز، وقال عروة بن رويم
في قوله (وأنتم تنظرون) قال صمق بعضهم وبعض ينظرون ثم بعث هؤلاء رصعق هؤلاء وقال
السدى (فأخذنكم الصاعقة) فأتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول لبنى اسرائيل
إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم (لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا) فأوحى
الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل ثم ان الله أحيام فقاموا وعاشوا رجل رجل
ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون: قال فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون)
وقال الربيع بن أنس كان موته عقوبة لهم فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم وكذا قال قتادة
وقال ابن جرير حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق، قال لما رجع موسى
الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاختيه وللسامري ما قال وحرقت العجل وذراه في اليم
اختار موسى منهم سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله وتوبوا الى الله مما صنعتم، واسألوه
التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم، فخرج بهم الى طور سيناء
لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه، وعلم فقال له السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمروا
به وخرجوا للقاء الله قالوا يا موسى اطلب لنا الى ربك نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من
الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للنوم ادنوا وكان موسى
إذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرِب دونه بالحجاب
ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى بأمره وينهاه: أفعل ولا
تفعل فلما فرغ اليه من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى
أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يمتدنون اليه من عبادة العجل فاختار موسى
سبعين رجلا من قومه من خيارهم قال لهم: صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم، ففعلوا فخرج بهم
موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى: اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا فقل: أفعل، فلما دنا
موسى من الجبل وقع عليه عمود النمام وتغشى الجبل كله فدخل في الغمام وقال للقوم: ادنوا فدنا
القوم حتى دخلوا في الغمام وخرّوا سجدا، وكان موسى إذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع
لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرِب دونهم بالحجاب وسمعوه وهو يكلم موسى بأمره وينهاه

نرى الله جبهة فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فتوا جميعا وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب (لو شئت اهلكتهم من قبل واياي) قد سفهوا أفهلك من ورائي من بنى اسرائيل بما يفعل السفهاء منا؟ أي ان هذا لهم هلاك واختبرت منهم سبعين رجلا الخير فالخير أرجع اليهم وليس معي منهم رجل واحد فالذى يصدقوني به ويأمنوني عليه به هذا؟ انا هدنا اليك فلم يزل موسى يناشد ربه عز وجل ويطلب اليه حتى رد اليهم ارواحهم وطلب اليه التوبة لبني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا أن يقتلوا أنفسهم - هذا سياق محمد بن اسحق - وقال اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير لما تاب بنو اسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم لبعض كما أمرهم الله به أمر الله موسى أن يأتيه في كل أناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موسى فاختار موسى سبعين رجلا على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا وساق البقية وهذا السياق يقتضي أن الخطاب توجه الى بنى اسرائيل في قوله (واذقائم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جبهة) والمراد السبعون المخارون منهم ولم يحك كثير من المفسرين سواء - رقة - أغرب الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين أنهم بعد احيائهم قالوا يا موسى انك لا تطلب من الله شيئا الا أعطاك فادعه أن يجعلنا أنبياء فدعا بذلك فاجاب الله دعونه ، وهذا غريب جدا اذ لا يعرف في زمان موسى نبي سوى هرون ثم يوشع بن نون وقد غلط أهل الكتاب أيضا في دعواهم ان هؤلاء رأوا الله عز وجل فان موسى الكليم عليه السلام - قال ذلك فتمن منه فكيف يناله هؤلاء السبعون .

القول الثاني في الآية قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية قال لهم موسى لما رجم من عند ربه بالالواح قد كتب فيها التوراة فوجدتهم يعبدون العجل ، فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا فتاب الله عليهم فقال ان هذه الالواح فيها كتاب الله فيه أمركم الذي أمركم به ونهيكم الذي نهاكم عنه ، فقالوا ومن يأخذه بقولك أنت ؟ لا والله حتى نرى الله جبهة حتى يعطم الله علينا فيقول هذا كتابي فخذوه فما له لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى وقرأ قول الله (لن نؤمن لك حتى نرى الله جبهة) قال فجاءت غضبة من الله فجاءتهم صاعقة بعد التوبة فصعقتهم فماتوا أجمعون ، قل ثم أحياهم الله من بعد موتهم وقرأ قول الله (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) فقال لهم موسى خذوا كتاب الله فقالوا لا ، فقال أي شيء أصابكم ؟ فقالوا أصابنا انا متنا ثم أحيينا ، قل خذوا كتاب الله قالوا وأسمعهم الله : اني انا الله لا اله الا أنا ذوبكة أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري . فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا له (لن نؤمن لك حتى نرى الله جبهة) معانية وذلك ان العرب تجمل العلم بالقلب رؤية فقال جبهة ليعلم ان المراد منه العيان (فأخذتكم الصاعقة) أي الموت وقيل نار جاءت من السماء أحرقتهم (وأنتم تنظرون) أي ينظر بعضهم الى بعض حين أخذكم الموت وقيل تعلمون والنظر يكون بمعنى العلم فلما هلكوا جعل موسى يبكي وينشزع ويقول: ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد هلك خيارهم؟ (لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أهلكنا بما فعل السفهاء

لا، فبعث الله ملائكة فتفتت الجبل فوقهم . وهذا السياق يدل على أنهم كفوا بعد ما أحيوا . وقد حكى اأرردي في ذلك قوانين أحدها انه سقط التكليف عنهم لمعاينتهم الامر جهره حتى صاروا مضطربين الى التصديق والاثاني انهم مكلفون لثلاثا بخلو عاقل من تكليف قال القرطبي وهذا هو الصحيح لان معاينتهم للامور الفظيعة لا تمنع تكليفهم لان بني اسرائيل قد شاهدوا أموراً عظيماً من خوارق العادات وهم في ذلك مكلفون وهذا واضح والله أعلم

(٥٦) وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم

وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون *

لما ذكر تعالى مادفعه عنهم من النعم شرع يذكرهم أيضاً بما أسبغ عليهم من النعم فقال (وظللنا عليكم الغمام) وهو جمع غمامة سمي بذلك لانه يغم السماء أي يوارىها ويسترها وهو السحاب الأبيض ظلوا به في التيه ليقبهم حر الشمس كما رواه النسائي وغيره عن ابن عباس في حديث الفترن قال ثم ظل عليهم في التيه بالغمام قال ابن أبي حاتم وروي عن ابن عمرو الربيع بن أنس وأبي مجلز والضحاك والسدي نحو قول ابن عباس وقال الحسن وقتادة (وظللنا عليكم الغمام) كان هذا في البرية ظلل عليهم الغمام من الشمس وقال ابن جرير قول آخرون وهو غمام أبرد من هذا وأطيب . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (وظللنا عليكم الغمام) قل ليس بالسحاب هو الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة ولم يكن اللهم . وهكذا رواه ابن جرير عن المثني ابن ابراهيم عن أبي حذيفة وكذا رواه الثوري وغيره عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وكأنه يريد والله أعلم انه ليس من زي هذا السحاب بل أحسن منه وأطيب وأبهى منظراً كما قال سنيد في تفسيره عن حجاج بن محمد عن ابن جريج قل قل ابن عباس (وظللنا عليكم الغمام) قال غمام أبرد من هذا وأطيب وهو الذي يأتي الله فيه في قوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام والملائكة) وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر . قال ابن عباس وكان معهم في التيه : وقوله تعالى (وأنزلاً عليكم المن) اختلفت عبارات المفسرين في المن ماهو ؟ فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كان المن ينزل عليهم على الاشجار فيغدقون اليه فيأكلون منه ماشوا . وقال مجاهد المن صمغة وقال عكرمة المن شيء أنزله الله عليهم مثل الظل شبه الرب الغليظ وقال السدي قالوا يا موسى كيف انما ههنا أين الطعام فأنزل الله عليهم المن فكان يقط على شجرة الزنجبيل وقال قتادة كان المن منا فلما نزل بنشدر به حتى أحياهم الله تعالى رجلاً رجلاً بعد ما ماتوا يوماً وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيين فذلك قوله تعالى ﴿ ثم بعثناكم ﴾ احييناكم والبعث اثاره الشيء عن محله يقال بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث ﴿ من بعد موتكم ﴾ قال قتاده أحياهم ليستوفوا آجالهم وأرزاقهم ولو ماتوا بأجلهم لم يبعثوا ان يوم القيامة ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ وظللنا عليكم الغمام ﴿ في التيه يقيبكم حر الشمس

ينزل عليهم في محلهم سقوط الثلج أشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يسقط عليهم من طلوع
الفجر الى طلوع الشمس يأخذ الرجل منهم قدر مايكفيه يومه ذلك فاذا تعدى ذلك فسد ولم يبق
حتى اذا كان يوم سادسه يوم جمعه أخذ مايكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه لانه كان يوم غيبه
لا يشخص فيه لامر معيشته ولا يطلبه لشيء وهذا كله في البرية وقال الربيع بن أنس المن شراب
كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه . وقال وهب بن منبه وسئل عن المن فقل
خبز رقاق مثل الذرة أو مثل النقي وقال أبو جعفر بن جرير حدثني محمد بن اسحق حدثنا أبو احمد
حدثنا اسرائيل عن جابر عن عامر وهو الشعبي قل عسلكم هذا جزء من سبعين جزءا من المن وكذا
قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم انه العسل ووقع في شعر أمية بن أبي الصلت حيث قل

فرأى الله أنهم بمضيع لا بندي مزرع ولا مشورا

فسناها عليهم غاديات ويرى مزهم خلایا وخورا

عسلا ناطفا وماء فرانا وحليبا ذابها مزمورا

فالناطف هو السائل والحليب المزمور الصافي منه والعرض أن عبارات المفسرين متقاربة في
شرح المن فمنهم من فسره بالطعام ومنهم من فسره بالشراب . والظاهر والله أعلم انه كل ما امتن
الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كد قالن المشهور أن أكل وحده
كان طعاما وحلاوة وإن مزج مع الماء صار شرابا طيبا وإن ركب مع غيره صار نوعا آخر ولكن ليس
هو المراد من الآية وحده والدليل على ذلك قول البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن
عبد الملك بن عمير بن حريث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه . قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «الكفاة
من المن وماؤها شفاء للعين» وهذا الحديث رواه الامام احمد عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك
وهو ابن عمير به وأخرجه الجماعة في كتبهم الا أبا داود من طرق عن عبد الملك وهو ابن عمير به
وقال الترمذي حسن صحيح ورواه البخاري ومسلم من رواية الحكم عن الحسن العرفي عن عمرو بن
حريث به وقال الترمذي حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر ومحمد بن غيلان قال حدثنا سعيد بن
عامر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قل رسول الله صلى الله عليه وسلم «العجوة
من الجنة وفيها شفاء من السم والكفاة من المن وماؤها شفاء للعين» تفرد بإخراجه الترمذي ثم قل
هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث محمد بن محمد بن عمرو ولا من حديث سعيد بن
عامر عنه وفي الباب عن سعيد بن زيد وإبي سعيد وجابر . كذا قال . وقد رواه الحافظ أبو بكر بن

والغمام من الغم وأصله التغطية والستر سمي السحاب غماما لانه يغطي وجه الشمس وذلك انه لم يكن لهم
في التيه كن يستترهم فشكوا الى موسى فارسل الله تعالى غماما أبيض رقيقا أطيب من غمام المطر وجعل
لهم عمودا من نور يضي لهم الليل اذا لم يكن لهم قمر . وأنزلنا عليكم المن والسلاوى أي في التيه
الاكثر على أن المن هو الترنجيبين وقال مجاهد هو شيء كالصمغ كان يقع على الاشجار طعمه

مردويه في تفسيره من طريق آخر عن أبي هريرة فقال حدثنا أحمد بن الحسن بن أحمد البصري حدثنا أسلم بن سهل حدثنا القاسم بن عيسى حدثنا طلحة بن عبد الرحمن عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكأمة من المن وماؤها شفاء للعين » وهذا حديث غريب من هذا الوجه وطلحة بن عبد الرحمن هذا السلمي الواسطي يكنى بأبي محمد وقيل أبو سليمان المؤدب قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدي : روى عن قتادة أشياء لا يتابع عليها. ثم قال الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الكأمة جذري الأرض فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الكأمة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم » وهذا الحديث قد رواه النسائي عن محمد بن بشار به وعنه عن غندر عن شعبة عن أبي بشر جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة به وعن محمد بن بشار عن عبد الأعلى عن خالد الحذاء عن شهر بن حوشب بقصة الكأمة فقط . وروى النسائي أيضا وابن ماجه من حديث محمد بن بشار عن أبي عبد الصمد ابن عبد العزيز بن عبد الصمد عن مطر الوراق عن شهر بقصة العجوة عند النسائي وبالقصتين عند ابن ماجه وهذه الطريق منقطعة بين شهر بن حوشب وأبي هريرة فإنه لم يسمع منه بدليل ما رواه النسائي في الوليمة من سننه عن علي بن الحسين الدرهمي عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي هريرة . قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يذكرون الكأمة وبعضهم يقول جذري الأرض فقال « الكأمة من المن وماؤها شفاء للعين » وروى عن شهر بن حوشب عن أبي سعيد وجابر كما قال الإمام أحمد حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكأمة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم » وقال النسائي في الوليمة أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب عن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الكأمة من المن وماؤها شفاء للعين » ثم رواه أيضا وابن ماجه من طرق عن الأعمش عن أبي بشر عن شهر عنهما به وقد روي أعي النسائي من حديث جرير وابن ماجه من حديث سعيد بن أبي سلمة - كلاهما عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن أبي نضرة عن أبي سعيد رواه النسائي وحديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الكأمة من المن وماؤها شفاء للعين » ورواه ابن مردويه عن أحمد بن عثمان عن عباس الدوري عن لاحق بن كاشد وقال وهب هو الخبز الرقاق قال الزجاج جملة المن ما بين الله به من غير تعب أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو نعيم أنا سفيان عن عبد الملك هو ابن عمير عن عمرو بن حريث عن سعيد بن زيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « الكأمة من المن وماؤها شفاء للعين » قالوا فكان هذا المن كل ليلة يقع على أشجارهم مثل الثلج لكل إنسان منهم صاع

صواب عن عمار بن رزب عن الاعمش كابن ماجه وقل ابن مردويه أيضا حدثنا احمد بن عثمان حدثنا عباس الدوري حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن أبي سعيد الخدري قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتاب فقال «الكأمة من المن وماؤها شفاء للعين» وأخرجه النسائي عن عمرو بن منصور عن الحسن بن الربيع به ثم ابن مردويه رواه أيضا عن عبد الله بن اسحق عن الحسن بن سلام عن عبيد الله بن موسى عن شيبان عن الاعمش به ، وكذا رواه النسائي عن أحمد بن عثمان بن حكيم عن عبيد الله بن موسى وقد روى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه كما قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم حدثنا حمدون بن أحمد حدثنا جويرية بن أشرم (١) حدثنا حماد عن شعيب بن الحبحاب عن أنس بن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم «تداروا في الشجرة التي اجثتت من فوق الارض ما لها من قرار» فقال بعضهم نحسبه الكأمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الكأمة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وفيها شفاء من السم» وهذا الحديث محفوظ أصله من رواية حماد بن سلمة . وقد روى الترمذي والنسائي من طريقه شيئا من هذا والله أعلم . وروي عن شبر عن ابن عباس كما رواه النسائي أيضا في الولية عن أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد عن عبد الله بن عون الخزاز عن أبي عبيدة الخداد عن عبد الجليل بن عطية عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الكأمة من المن وماؤها شفاء للعين» فقد اختلف كما ترى فيه على شهر بن حوشب ويحتمل عندي انه حفظه ورواه من هذه الطارق كلها وقد سمعنا من بعض الصحابة وبلغه عن بعضهم فان الاسانيد اليه جيدة وهو لا يعتمد الكذب وأصل الحديث محفوظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم من رواية سعيد بن زيد رضى الله عنه

(١) هذا الاسم غير معروف في رجال الحديث

وأما السلوى فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس السلوى طائر يشبه السمانى كانوا يأكلونه . وقال السدي في خبره ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة السلوى طائر يشبه السمانى ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا قرة بن خالد عن جهم عن ابن عباس . قال السلوى هو السمانى وكذا قال مجاهد والشعبي والضحاك والحسن وعكرمة والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى وعن عكرمة اما السلوى فطير كطير يكون بالجنة أكبر من المصفور أو نحو ذلك . وقال قتادة : السلوى كان من طير الى الحرة تحشرها عليهم الريح الجنوب وكان الرجل يذبح منها قدر فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فانزل الله تعالى عليهم السلوى وهو طائر يشبه السمانى وقيل هو السمانى بعينه بعث الله سبحانه فطرت السمانى في عرض ميل وطول رمح في السماء بعضه على بعض وقال المؤرخ السلوى العسل فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى كل صباح . من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فيأخذ كل واحد منهم ما يكفيه يوما وليلة واذا كان يوم الجمعة

ما يكفيه يومه ذلك فاذا تعدى فسد ولم يبق عنده حتى اذا كان يوم سادسه ايوم جمعه اخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه لانه كان يوم عبادة لا يشخص فيه شيء ولا يطلبه ، وقال وهب بن منبه : السلوى طير سمين مثل الحمامة كان يأتيهم فيأخذون منه من سبت الى سبت وفي رواية عن وهب قال سألت بنو اسرائيل موسى عليه السلام لما فقال الله لا طعم منهم من أقل لحم يعلم في الارض فأرسل عليهم ريحا فاذرت عند مساكنهم السلوى وهو السمانى مثل ميل في ميل قيسد رمع في السماء فخبوا للغد فتنن اللحم وخنز الخبز ، وقال السدي لما دخل بنو اسرائيل التيه قالوا لموسى عليه السلام كيف لنا بما ههنا أين الطعام فأنزل الله عليهم المن فكان ينزل على شجر الزنجبيل ، والسلوى وهو طائر يشبه السمانى أكبر منه فكان يأتي أحدهم فينظر الى الطير فان كان سمينا ذبحه والا أرسله فاذا سمن آناه فقالوا هذا الطعام فأين الشراب ؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فشرب كل سبط من عين ، فقالوا هذا الشراب فأين الظل ؟ فظل عليهم الغمام ، فقالوا هذا الظل فأين اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ولا يتخرق لهم ثوب فذلك قوله تعالى (وظللا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى) وقوله (واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم) كوا واشربوا من رزق الله ولا تغثوا في الارض ففسدين) وروي عن وهب بن منبه وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ما قاله السدي وقال سنيذ عن حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس خق لهم في التيه ثياب لا تخرق ولا تدرن ، قال ابن جريج : فكان الرجل اذا اخذ من المن والسلوى فوق طعام يوم فسد الا أنهم كانوا يأخذون في يرم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسدا قال ابن عطية السلوى طير باجماع المفسرين وقد غلط الهذلي في قوله انه العسل وأنشدني ذلك مستشهدا

وقاسمها بالله جهدا لانتم ألد من السلوى اذا ما أشورها

قال فظن ان للسلوى عسلا ، قال القرطبي : دعوى الاجماع لا يصح لان المؤرج أحد علماء اللغة والتفسير قال انه العسل واستدل ببيت الهذلي هذا وذكر انه كذلك في لغة كنانة لانه يسلى به ومنه عين سلوان ، وقال الجوهري : السلوى العسل واستشهد ببيت الهذلي أيضا والسلوان بالضم خرزة كانوا يقولون اذا صب عليها ماء المطر فشربها العاشق سلا قال الشاعر :

شربت على سلوانة ماء مزنة فلا وجديد العيش بامي ما أسلو

واسم ذلك الماء السلوان ، وقال بعضهم ، السلوان دواء يشفي الحزين فيسلو والاطباء يسمونه

أخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت

﴿ كوا ﴾ أى وقلنا لهم كوا ﴿ من طيبات ﴾ حلالات ﴿ مارزقناكم ﴾ ولا تدخروا لعد ففعلوا فقطع الله ذلك عنهم ودود وفسد ما أدخروا فقال الله تعالى ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ أي وما بنحسوا بحقنا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بامنيجابههم عذابي ، وقطع مادة الرزق الذي كان

مفرج ، قالوا والسوى جمع بلفظ الواحد أيضا كما يقل سماني المفرد والجمع وويلي كذلك ، وقال الخليل واحده سلواة وأنشد :

واني لتعروني لذكرائك هزة كما انتفض السلواة من بلل القطار

وقال السكسائي : السوى واحدة وجمعه سلاوى . نقله كله القرطبي . وقوله تعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أمر اباحة وارشاد وامتنان ، وقوله تعالى (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي أمرناهم بالاكل مما رزقناهم وان يعبدوا كما قال (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) فخالفوا وكفروا فظلموا أنفسهم هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات ، والمعجزات القاطعات ، وخوارق العادات ، ومن ههنا تبين فضيلة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم على سائر أصحاب الانبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم مع ما كانوا معه في اسفاره وغزواته منها عام نبوك في ذلك القبيظ والحر الشديد والجهد لم يسالوا خرق عادة ولا إيجاد أمر مع ان ذلك كان سهلا على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن لما أجهدهم الجوع سالوه في تكثير طعامهم فجمعوا ما معهم فجاء قبر مبرك الشاة فدعا الله فيه وأمرهم فناولوا كل وعاء معهم وكذا لما احتاجوا الى الماء سأل الله تعالى فجاءتهم سحابة فأماطرتهم فشربوا وسقوا الابل وماؤا أسقيتهم ، ثم نظروا فاذا هي لم تجاوز العسكر . فهذا هو الاكل في اتباع الشيء مع قدر الله مع متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم

(٥٧) واذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب

سجدا وقولوا حطة تغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين (٥٨) فبدل الذين ظلموا قولاً غير

الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون *

يقول تعالى لا إنما لهم على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الارض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر صحبة موسى عليه السلام فأمرؤا بدخول الارض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم اسرائيل وقتال من فيها من العماليق الكفرة فنكولوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا فرماهم الله في اثية عقوبة لهم كما ذكره تعالى في سورة المائدة ، ولهذا كان أصح القولين ان هذه البلدة هي بيت المقدس كما نص على ذلك السدي والربيع بن أنس وقتادة وأبو مسلم الاصفهاني وغير واحد ، وقد قال الله تعالى حاكيا عن موسى (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا) الآيات . وقال آخرون

ينزل عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب في العقبى . أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيايدي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا احمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخبث اللحم ، ولولا حواء لم يخن أنثى زوجها الدهر » قوله تعالى « واذا قلنا ادخلوا هذه القرية » سميت القرية قرية لانها تجمع أهلها ، ومنه المقرأة للحوض لانها تجمع الماء

هي أريحا ، ويحكى عن ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد وهذا بعيد لأنها ليست على طريقهم وهم قاصدون بيت المقدس لا أريحا ، وأبعد من ذلك قول من ذهب إلى أنها مصر ، حكاه الرازي في تفسيره والصحيح الأول أنها بيت المقدس ، وهذا كان لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام وفتحها الله عليهم عشية جمعة وقد حبست لهم الشمس يوماً قليلاً حتى أمكن الفتح ، ولما فتحوها أمروا أن يدخلوا الباب باب البلد (سجدا) أي شكراً لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر وردّ بلادهم إليهم وانقاذهم من التيه والضلال ، قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله تعالى (وادخلوا الباب سجدا) أي ركعاً ، وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله (وادخلوا الباب سجدا) قال ركعاً من باب صغير رواه الحاكم من حديث سفيان به ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث سفيان وهو الثوري به وزاد فدخلوا من قبل استأهمهم ، وقال الحسن البصري أمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم واستبدهم الرازي وحكى عن بعضهم أن المراد ههنا بالوجود الخضوع لتعذر حمله على حقيقته ، وقال خصيف : قال عكرمة قال ابن عباس كان الباب قبل القبلة ، وقال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والضحاك هو باب الحطة من باب إيلياء بيت المقدس ، وحكى الرازي عن بعضهم أنه غني بالباب جهة من جهات القبلة ، وقال خصيف قال عكرمة قال ابن عباس فدخلوا على شق ، وقال السدي عن أبي سعيد الأزدي عن أبي الكنود عن عبد الله بن مسعود قيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا مقنعي رؤسهم أي رافعي رؤسهم خلاف ما أمروا ، وقوله تعالى (وقولوا حطة) قال الثوري عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (وقولوا حطة) قل مغفرة استغفروا ، وروي عن عطاء والحسن وقتادة والربيع بن أنس نحوه ، وقال الضحاك عن ابن عباس (وقولوا حطة) قال قولوا هذا الأمر حق كما قيل لكم ، وقال عكرمة قولوا (لا إله إلا الله) وقال الأوزاعي : كتب ابن عباس إلى رجل قد سماه فسأله عن قوله تعالى (وقولوا حطة) فكتب إليه أن أقروا بالذنوب وقال الحسن وقتادة أي احطط عنا خطايانا (نغفر لكم خطايانا وسنزيد المحسنين) وقال هذا جواب الأمر أي إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات وضاعفنا لكم الحسنات وحاصل الأمر أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها والشكر

قال ابن عباس رضي الله عنهما : هي أريحا وهي قرية الجبارين كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالة ورأسهم عوج بن عنق وقبل : بلقاء وقال مجاهد : بيت المقدس وقال الضحاك : هي الزمالة والاردن وفلسطين وتدمر وقال مقاتل : إيليا وقال ابن كيسان : الشام ﴿ وكلوا منها حيث شئتم رغدا ﴾ موعداً عليكم ﴿ وادخلوا الباب ﴾ يعني باباً من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب ﴿ سجدا ﴾ أي ركعاً خضعاً منحنين وقال وهب : فإذا دخلتموه فاسجدوا شكراً لله تعالى ﴿ وقولوا حطة ﴾ قال

على النعمة عندها والمبادرة الى ذلك من المحبوب عند الله تعالى كما قال تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) فسر به بعض الصحابة بكثرة الذكر والاستغفار عند الفتح والنصر ، وفسره ابن عباس بأنه نهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجله فيها وأقره على ذلك عمر رضى الله عنه ، ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك عند ذلك ونهي اليه روحه الكريمة أيضا ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يظهر عليه الخضوع جدا عند النصر كما روى انه كان يوم الفتح فتح مكة داخلا اليها من الثنية العليا وأنه لخاضع لربه حتى ان عثونه ليمس مورك رحله شكراً لله على ذلك ، ثم لما دخل البلد اغتسل وصلى ثماني ركعات وذلك ضحى فقال بعضهم هذه صلاة الضحى ، وقال آخرون بل هي صلاة الفتح فاستحبوا للامام والامير اذا فتح بلدا أن يصلي فيه ثماني ركعات عند أول دخوله كما فعل سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه لما دخل وان كسرى صلى فيه ثماني ركعات والصحيح انه يفصل بين كل ركعتين بتسليم ، وقيل يصليها كلها بتسليم واحد والله أعلم .

وقوله تعالى (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) قال البخاري حدثني محمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قيل لبنى اسرائيل : ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة - فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا وقالوا حبة في شجرة » ورواه النسائي عن محمد بن اسمعيل بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن موقوف وعن محمد بن عبيد بن محمد عن ابن المبارك ببعضه مسندا في قوله تعالى (حطة) قال فبدلوا وقالوا حبة وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله لبنى اسرائيل (ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم) فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم فقلوا حبة في شجرة ، وهذا حديث صحيح رواه البخاري عن اسحق بن نصر ومسلم عن محمد بن رافع والترمذي عن عبد الرحمن بن حميد كلهم عن عبد الرزاق به ، وقال الترمذي حسن صحيح ، وقال محمد بن اسحق كان تبديلهم كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة وعمن لا أنهم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلوا الباب الذي أمروا ان يدخلوا فيه سجدا - يزحفون على أستاههم وهم يقولون حطة في شجرة ، وقال أبو داود حدثنا احمد بن صالح وحدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا هشام بن قتادة : حط عنا خطايانا أمروا بالاستغفار . وقال ابن عباس : لا اله الا الله لانها تحط الذنوب ورفعها على تقدير قولوا مسئلتنا حطة ﴿ نغفر لكم خطاياكم ﴾ من الغفر وهو الستر ، فالمغفرة تستر الذنوب وقرأ نافع بالياء وضمة وااء ، وقرأها ابن عامر بالياء وضمة وفتح وااء . وفي الاعراف قرأ جميعا ويمعقوب بالياء وضمة ، وقرأ الآخرون فيهما بنصب النون وكسر الفاء ﴿ وسنزيد المحسنين ﴾ ثوابا من فضلنا ﴿ فبدل ﴾ فغير ﴿ الذين ظلموا ﴾ أنفسهم وقالوا ﴿ قولا غير الذي قيل لهم ﴾ وذلك انهم

سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ثم قال أبو داود حدثنا أحمد ابن مسافر حدثنا ابن أبي فديك عن هشام بمثله هكذا رواه منفردا به في كتاب الحروف مختصرا وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا ابراهيم بن مهدي حدثنا أحمد بن محمد بن المنذر القزاز حدثنا محمد بن اسماعيل بن أبي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من آخر الليل أجزنا في ثنية يقال لها ذات الحنظل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامثل هذه الثنية الليلة الا كمثل الباب الذي قال الله لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم » وقال سفيان الثوري عن أبي اسحق عن البراء (سيعول السفهاء من الناس) قال اليهود قيل لهم ادخلوا الباب سجدا قال ركبا وقولوا حطة أي مغفرة فدخلوا على استأهم وجعلوا يقولون جنطة حمراء فيها شعيرة فذلك قول الله تعالى (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) وقال الثوري عن السدي عن أبي سعد الأزدي عن أبي الكنود عن ابن مسعود وقولوا حطة فقالوا حنطة حبة حمراء فيها شعيرة فأنزل الله (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) وقال أسباط عن السدي عن مرة عن ابن مسعود انه قال انهم قالوا هطاسمعا اربة مزبا (١) فهي بالعربية حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء فذلك قوله تعالى (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) وقال الثوري عن الاعمش عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس في قوله تعالى (ادخلوا الباب سجدا) قال ركبا من باب صغير فدخلوا من قبل استأهم وقالوا حنطة فذلك قوله تعالى (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) وهكذا روي عن عطاء ومجاهد وعكرمة والضحاك والحسن وقناة والربيع بن أنس وبجي بن رافع وحاصل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل فأمروا أن يدخلوا سجدا فدخلوا يزحفون على أستأهم من قبل أستأهم رافعي رؤسهم وأمروا أن يقولوا حطة أي أخطأنا ذنوبنا وخطايانا فاستمزوا فقالوا حنطة في شعيرة وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمماندة ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم وهو خر وجهم عن طاعته . ولهذا قال (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) وقال الضحاك عن ابن عباس كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب وهكذا روي عن مجاهد وأبي مالك والسدي والحسن بدلو قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم : حطانا سمقانا أي حنطة حمراء استخفافا بأمر الله تعالى وقال مجاهد : طوطين . لهم الباب ليخفصوا رؤسهم فأبوا أن يدخلوها سجدا فدخلوا يزحفون على أستأهم مخالفة في الفعل كما بدلو القول وقالوا قوما غير الذي قيل لهم . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا اسحق بن نصر أنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قبل لبني اسرائيل

(١) كذا والعبرة
في البخاري كما ترى في
أدنى هذه الصفحة وفي
ابن جرير : هطى
سمقاي اربة هزبا -
وفي الدر المنثور :
هطى سمقانا اربة
مزبا - وهذا ومثاله
مما غش اليهود به
المسلمين

وقادة انه العذاب وقال ابو العالية الرجز الغضب ، وقال الشعبي الرجز اما الطاعون وأما البرد وقال سعيد بن جبير هو الطاعون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن ابراهيم بن سعد يعني ابن أبي وقاص عن سعد بن مالك واسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت رضي الله عنهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم » وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري به وأصل الحديث في الصحيحين من حديث حبيب بن أبي ثابت « اذا سمعتم الطاعون بارض فلا تدخروها » الحديث قال ابن جرير اخبرني يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس عن الزهري قال اخبرني عامر بن سعد بن أبي وقاص عن اسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم » وهذا الحديث أصله مخرج في الصحيحين من حديث الزهري ومن حديث مالك عن محمد بن المنكدر وسالم بن أبي النضر عن عامر بن سعد بنحوه

(٦٩) واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة

عيناً قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين) يقول تعالى واذكروا نعمتي عليكم في اجابتي لنبيكم موسى عليه السلام حين استسقى لكم وتيسيري لكم الماء وإخراجه لكم من حجر يحمل معكم وتفجير الماء لكم منه من ثلثي عشرة عيناً لكل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها فكلوا من المن والسوى واشربوا من هذا الماء الذي أنبعثه لكم بلا سعي منكم ولا كد وابدعوا الذي سخر لكم ذلك (ولا تعثوا في الارض مفسدين) ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوها . وقد بسطه المفسرون في كلامهم كما قال ابن عباس رضي الله عنه وجعل بين ظهرانيهم حجر مربع وأمر موسى عليه السلام فضربه به صاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً في كل ناحية منه ثلاث عيون وأعلم كل سبط عينهم يشربون منها لا يرتحلون من منقلا الا وجدوا ذلك معهم ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا في حبة شجرة ﴿ فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء ﴾ قيل : أرسل الله عليهم طاعوناً فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى ﴿ واذا استسقى موسى ﴾ طاب المقيا ﴿ لقومه ﴾ وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى ان يستقي لهم ففعل فأوحى الله اليه كما قال : ﴿ فقلنا اضرب بعصاك ﴾ وكانت من آس الجنة ، طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق حملها آدم من الجنة فتوارها الانبياء حتى وصلت الى شعيب عليه السلام فأعطاها موسى عليه السلام . قال مقاتل : اسم العصا بنعته قوله تعالى ﴿ الحجر ﴾ اختلفوا فيه قال وهب : لم يكن حجراً معيناً بل كان موسى يضرب أي حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيوناً لكل سبط عين ، وكانوا اثني عشر سبط ثم تسيل كل عين في جدول الى السبط الذي

بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الاول وهذا قطعة من الحديث الذي رواه النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وهو حديث الفتون الطويل . وقال عطية العوفي وجعل لهم حجرا مثل رأس الثور يحمل على ثور فاذا نزلوا منزلا وضعوه فضر به موسى عليه السلام بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فاذا ساروا حملوه على ثور فاستمسك الماء وقال عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه كان لبني اسرائيل حجر فكان يضعه هرون ويضربه موسى بالعصا وقال قتادة كان حجرا طوريا من الطور يحملونه معهم حتى اذا نزلوا ضربه موسى بعصاه ، وقال الزمخشري وقيل كان من رخام وكان ذراعافي ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان يتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار قال وقيل أهبط آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل فقال له جبريل ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته ، قال الزمخشري ويحتمل أن تكون اللام للجنس لا للمهد أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ، قال وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر ثم يضربه فيبيس فقالوا ان فقد موسى هذا الحجر عطشنا ، فأرحى الله اليه ان يكلم الحجارة فتنفجر ولا يمسه بالعصا لعلمهم بقرّون والله أعلم ، وقال يحيى بن النصر : قلت لجويبر كيف علم كل أناس مشربهم ؟ قال : كان موسى يضع الحجر ويقوم من كل سبط رجل ويضرب موسى الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا فينضح من كل عين على رجل فيدعو ذلك الرجل سبطه الى تلك العين ، وقال الضحاك : قال ابن عباس لما كان بنو اسرائيل في التيه شق لهم من الحجر أهارا ، وقال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس : قال ذلك في التيه ضرب لهم موسى الحجر فصار منه اثنتا عشرة عينا من ماء لكل سبط منهم عين يشربون منها ، وقال مجاهد نحو قول ابن عباس وهذه القصة شديدة بالقصة التي في سورة الاعراف ولكن أمر ان يسقيهم . وقال الآخرون : كان حجرا معينا بدليل أنه عرفه بالالف واللام . قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر رأس الرجل كان يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه . وقال عطاء : كان للحجر أربعة وجوه لكل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين . وقيل : كان الحجر رخاما . وقيل : كان من الكنان فيه اثنتا عشرة حفرة ، ينبع من كل حفرة عين ماء عذب ، فاذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء ، وكان يسقي كل يوم ستمائة الف . وقال سعيد بن جبير : هو الحجر الذي وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل ففر ثوبه ومثله على ملائكة بني اسرائيل حين رموه بالادرة فلما وقف أمامه جبريل فقال : ان الله تعالى يقول : ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ، ولك فيه معجزة ، فرفعه ووضع في مخلاته . قال عطاء : كان يضربه موسى اثنتي عشرة ضربة فيظهر على موضع كل ضربة مثل ندي المرأة فيعرق تنفجر الانهار ثم يسيل . وأكثر أهل التفسير يقولون : انبجست وانفجرت واحد . وقال أبو عمرو بن العلاء : انبجست عرقت

تلك مكة ، فلذلك كان الاخبار عنهم بضئير الغائب لان الله تعالى يقص على رسوله صلى الله عليه وسلم ما فعل بهم . وأما في هذه السورة وهي البقرة فهي مدنية فلذلك كان الخطاب فيها متوجها اليهم وأخبر هناك بقوله (فانجست منه اثنتا عشرة عينا) وهو أول الانفجار وأخبر ههنا بما آكل اليه الحال آخره وهو الانفجار فناسب ذكر الانفجار ههنا وذاك هناك والله أعلم . وبين السياقين تباين من عشرة أوجه لفظية ومنوبة قد سأل عنها الزمخشري في تفسيره وأجاب عنها بما عنده والامر في ذلك قريب والله أعلم

(٦٠) واذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم

يقول تعالى واذا كروا نعمتي عليم في نزالي عليم المن والسلوى طعاما طيبا نفعنا ههنا سهلا واذا كروا دبركم وضجركم مما رزقناكم وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالا طعمة الذبيحة (١) من البقول ونحوها مما سألتم قال الحسن البصري فبطروا ذلك فلم يصبروا عليه وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه وكانوا قوما أهل اعداس وبصل وقمل وفوم . فقالوا (يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) وانما قالوا على طعام واحد وهم يأكلون المن والسلوى لانه لا يتبدل ولا يتغير كل يوم فهو ما كل واحد . فالبقول والقثاء والعدس والبصل كلها معروفة ، وأما الفوم فقد اختلف السلف في معناه فوقع في قراءة ابن مسعود وثومها بالثاء ، وكذا فسرته مجاهد في رواية ليث بن أبي سليم عنه بالثوم . وكذا الربيع بن أنس وسعيد بن جبير ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا أبو عمارة يعقوب بن اسحق البصري عن بونس عن الحسن في قوله (وفومها) قال : قال ابن عباس الثوم ، قال وفي اللغة القديمة فوموا لنا بمعنى اختزوا ، قال ابن جرير : فان كان ذلك صحيحا فانه من الحروف المبدلة كقولهم : وقعوا في عاثور شروعا فور شروا ثا في واثني ومغافير ومغاثير : وأشبه ذلك مما تقلب الفاء ثاء والثاء فاء لتقارب مخارجهما والله أعلم . وقال آخرون الفوم الحنطة وهو البر الذي يعمل منه الخبز

(١) أدخل الباء على البذل خلافا للآية ومثاله في إدخالها على المبدل منه ولعله من غلط النسخ أو الطبع

واذ تجرت أي سالت فذلك قوله تعالى ﴿ فانهجرت ﴾ أي فضرب فانهجرت أي سالت ﴿ منه اثنتا عشرة عينا ﴾ على عدد الاسباط ﴿ قد علم كل أناس مشربهم ﴾ موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره في شربه ﴿ كلوا واشربوا من رزق الله ﴾ أي وقلنا لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي يأتيكم بلا مشقة ﴿ ولا تمشوا في الارض مفسدين ﴾ والعنى أشد الفساد يقال عثي عثيا وعثا يمشو عثوا وعاث يعمث عيثا قوله تعالى ﴿ واذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ﴾ وذلك انهم اجمعوا وشتموا من أكل المن والسلوى وانما قل (على طعام واحد) وه

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أنبأنا ابن وهب قراءة حدثني نافع بن أبي نعيم
ان ابن عباس سئل عن قول الله (وفومها) ما فومها ؟ قال الحنطة . قال ابن عباس : أما سمعت قول
أبيبة بن الجلاح وهو يقول

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا ورد المدينة عن زراعة قوم

وقال ابن جرير حدثنا علي بن الحسن حدثنا مسلم الجني حدثنا عيسى بن يونس عن رشيد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس في قول الله (وفوها) قال الفوم الخنطة بلسان بني هاشم ، وكذا قال علي بن أبي طلحة والضحاك عن ابن عباس وعكرمة عن ابن عباس أن الفوم الخنطة ، وقال سفیان الثوري : عن ابن جريج عن مجاهد وعطاء (وفوها) قالا وخبرها . وقال هشيم عن يونس عن الحسن وحسين عن أبي مالك (وفوها) قال الخنطة وهو قول عكرمة والسدي والحسن البصري وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم قاله أعلم ، وقال الجوهري : الفوم الخنطة ، وقال ابن دريد : الفوم السنبلة . وحكى القرطبي عن عطاء وقتادة أن الفوم كل حب يخبز . قال وقال بعضهم هو الحنص لغة شامية ومنه يقال لبائعه فامي مغير عن فومي ، قال البخاري : وقال بعضهم الحبوب التي تؤكل كلها فوم . وقوله تعالى (قل أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) فيه تقرير لهم وتوبيخ على ما سألوا من هذه الاطعمة الدينية مع ما هم فيه من العيش الرغيد والطعام الهنيء الطيب النافع . وقوله تعالى (اهبطوا مصرا) هكذا هو من مصروف مكتوب بالالف في المصاحف الاثمة العثمانية وهو قراءة الجمهور بالمصرف . قال ابن جرير : ولا أستجيز القراءة بغير ذلك لاجماع المصاحف على ذلك : وقال ابن عباس (اهبطوا مصرا) من الامصار رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد البقال سعيد بن المرزبان عن عكرمة عنه قال : وروي عن السدي وقتادة والربيع بن أنس نحوه ذلك . وقال ابن جرير وقع في قراءة أبي بن كعب وابن مسعود (اهبطوا مصر) من غير اجراء يعنى من غير صرف . ثم روى عن أبي العالية والربيع بن أنس أنها فسرا ذلك بمصرف فرعون وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي العالية والربيع وعلاء الأعمش أيضا . قال ابن جرير ويحتمل أن يكون المراد مصرف فرعون على قراءة الاجراء أيضا . ويكون ذلك من باب الاتباع لكتابة المصحف كما في قوله تعالى (قواريرا قواريرا) ثم توقف في المراد ما هو أم مصرف فرعون أم مصرف من الامصار

اثنتان لان العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وانما يخرج من المالح دون العذب (١) وقيل : كانوا يا كونا أحدهما بالآخر فكنا كقطعام واحد . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كانوا يعجزون المن بالسوى فيصيران واحدا ﴿ فادع لنا ﴾ فسل لاجلنا ﴿ ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها ﴾ قل ابن عباس والغوم الخبز وقال عطاء : الخنطة وقال القتيبي رحمه الله تعالى : الحبوب التي تؤكل كلها وقال الكلبي : الثوم ﴿ وعدسها وبصلها قال ﴾ لهم موسى عليه السلام ﴿ أنستبدلون الذي هو أدنى ﴾ أخس وأردأ

٢٤ — ابن كثير والبغوي

(۱) قد ثبت
قطعا خروج اللؤلؤ من
بعض الانهار كما هو
لفظ الاية . وكتبه
محمد رشيد رضا

وهذا الذي قاله فيه نظر والحق ان المراد مصر من الامصار كما روى عن ابن عباس وغيره والمعنى على ذلك لان موسى عليه السلام يقول لهم هذا الذي سأتم ليس بأمر عزيز بل هو كثير في أي بلد دخلتموها وجدتموه فليس يساري مع دنائته وكثرته في الامصار ان أسأل الله فيه . ولهذا قال (أنستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم) أي ما طلبتم . ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والاشتر ولا ضرورة فيه لم يجابوا اليه والله أعلم

وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون

بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون *

يقول تعالى (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أي وضعت عليهم وألزموا بها (١) شرعا وقدرنا أي لا يزالون مستذلين من وجاههم استذلهم وأهانهم وضرب عليهم الصغار وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء مستكينون . وقال الضحاك عن ابن عباس (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) قال هم أصحاب القبالات ، يعني الجزية . وقال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن وقتادة في قوله تعالى (وضربت عليهم الذلة) قال يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ، وقال الضحاك (وضربت عليهم الذلة) قال الذل . وقال الحسن أذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم تحت أقدام المسلمين ولقد أدركتهم هذه الامة وان المجوس لتجبيهم الجزية ، وقال أبو العالية والربيع بن أنس والسدي المسكنة الفاقة . وقال عطية الدوفي الخراج ، وقال الضحاك الجزية . وقوله تعالى (وبأوا بغضب من الله) قال الضحاك استحقوا الغضب من الله ، وقال الربيع بن أنس فحدث عليهم غضب من الله وقال شعيب ابن جبير (وبأوا بغضب من الله) يقول استوجبوا سخطا ، وقال ابن جرير : يعني بقوله (وبأوا بغضب من الله) انصرفوا ورجعوا ولا يقل بآء الا موصولا اما بخير واما بشر يقال منه بآء فلان بذنبه يبوء به بوء أو بواء ومنه قوله تعالى (اني أريدان تبوء بإثمي وإثمك) يعني تنصرف متحملهما وترجع

بالبذي هو خير) أشرف وأفضل وجعل الخنطة أدنى في القيمة ، وإن كانت هي خيرا من المن والسلوى ، أو أراد انها أسهل وجودا على العادة ، ويجوز أن يكون الخير راجعا الى اختبار الله لهم واختيارهم لانفسهم (اهبطوا مصرا) يعني فان أبيتم الا ذلك فانزلوا مصرا من الامصار وقال الضحاك هو مصر موسى وفرعون ، والاول أصح لانه لو أراداه لم يصرفه (فان لكم ما سألتم) من نبات الارض (وضربت عليهم) جعلت عليهم وألزموا (الذلة) الذل والهوان (٢) قيل : بالجزية . وقال عطاء بن السائب : هو الكسيتج ولزناز وزى اليهودية (والمسكنة) الفقر سمي الفقير مسكينا لان الفقر أسكنه وأقعدته عن الحركة ، فترى اليهود وان كانوا مياسير كأنهم فقراء وقيل : الذلة هي فقر القلب فلا ترى في أهل الملل أذل وأحرص على المال من اليهود (وبأوا بغضب من الله) رجعوا ولا يقال بآء الا بالشر . وقال أبو عبيدة : احتملوا وأقروا به ، ومنه الدعاء : أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي أي

(١) اللغة الصحيحة
الفصيحة . تعدية
الزم بنفسه لا بالباء بل
هو تعدية للزم الثلاثي
بالمهزة

(٢) التحقيق أن
المراد بالذلة والمسكنة
فقد الملك

بهما قد صار عليك دوني. فمعنى الكلام اذا رجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد صار عليهم من الله غضب ووجب عليهم من الله سخطه وقوله تعالى (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق) يقول تعالى هذا الذي جازيناهم من الذلة والمسكنة واحلال الغضب بهم من الذلة بسبب استكبارهم عن اتباع الحق وكفرهم بآيات الله واهانتهم حملة الشرع وهم الانبياء واتباعهم فانتقصهم الى أن أفضى بهم الحال الى أن قتلهم فلا كفر أعظم من هذا ، انهم كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياء الله بغير الحق ، ولهذا جاء في الحديث المتفق على صحته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الكبر بطل الحق وغمط الناس » وقال الامام احمد رحمه الله حدثنا اسماعيل عن ابن عون عن عمرو بن سعيد عن حميد بن عبد الرحمن قال قال ابن مسعود كنت لا أحجب عن النجوى ولا عن كذا ولا عن كذا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده مالك بن مرارة الرهاوي فادركته من آخر حديثه وهو يقول يا رسول الله قد قسم لي من الجمل ما تري فأحب ان أحدا من الناس فضلي بشراكين فما فوقهما أليس ذلك هو البغي ؟ فقال « لا ليس ذلك من البغي ولكن البغي من بطر أو قال سغه الحق وغمط الناس » يعني رد الحق وانتقاص الناس والازدراء بهم والتعاضل عليهم . ولهذا لما ارتكب بنو اسرائيل ما ارتكبه من الكفر بآيات الله وقتلهم أنبياءه أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد ، وكسأهم ذلا في الدنيا موصولا بذل الآخرة جزاء وفاقا ، قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال كانت بنو اسرائيل في اليوم تقتل ثلثمائة نبي ثم يقيمون سوق بقلهم من آخر النهار وقد قال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبان حدثنا عاصم عن أبي وائل عن عبد الله يعني ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبي أو قتل نبيا ولم ضلالة وممثل من الممثلين » وقوله تعالى (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وهذه علة أخرى في مجازاتهم بما جرزوا به انهم كانوا يعصون ويعتدون فالعصيان فعل المناهي والاعتداء المجاوزة في حد المأذون فيه والمأمور به والله أعلم .

أقر (ذلك) أي الغضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن (ويقتلون النبيين) تفرد نافع به عن النبي وبابه فيكون معناه الخبر من أنبا يني وأنبا يني ، والقراءة المعروفة ترك الهمزة وله وجهان (أحدهما) هو أيضا من الانبياء ترك الهمزة فيه تخفيفا لكثرة الاستعمال (والثاني) هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهي المكان المرتفع فعلى هذا يكون النبيين على الاصل (بغير الحق) أي بلا جرم ، فان قيل : فلم قال : بغير الحق - وقتل النبيين لا يكون الا بغير الحق ؟ قيل : ذكره وصفا للقتل والقول تارة بوصف بغير الحق وهو مثل قوله تعالى (قال رب احكم بالحق) ذكر الحق وصفا للحكم لا ان حكمه ينقسم الى الجور والحق . ويزوي ان اليهود قتلت سبعين نبيا في أول النهار وقامت سوق بقتلهم في آخر النهار

الحق هنا (ر)
لنعمه ولا : له
بأنه لا : منه
في حقه : فيه
معه : معه

(٦١) ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر

وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون *

لما بين تعالى حال من خالف أوامره وارتكب زواجره وتعدى في فعل مالا اذن فيه وانتكح المحارم وما أحل بهم من النكاح نبه تعالى على أن من أحسن من الامم السالفة واطاع فان له جزاء الحسنى وكذلك الامر الى قيام الساعة كل من اتبع الرسول النبي الامي فله السعادة الابدية ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا هم يحزنون على ما يتركونه ويخلفونه كما قال تعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وكما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) قال ابن أبي حاتم : ثنا أبي حدثنا عمر بن أبي عمر العدوي حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قال سلمان رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل دين كنت معهم فذكرت من صلاتهم وعبادتهم فنزلت (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر) الى آخر الآية وقال السدي (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر) وعمل صالحا الآية نزلت في أصحاب سلمان الفارسي بينما هو يحدث النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذكر أصحابه فآخبره خبرهم فقال كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون انك ستبعث نبيا فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبي الله صلى الله عليه وسلم « يا سلمان هم من أهل النار » فاشتد ذلك على سلمان فانزل الله هذه الآية فكان إيمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكاً (١) وإيمان النصارى ان من تمسك بالانجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمناً مقبولاً منه حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فمن لم يتبع محمداً صلى الله

(١) لعله سقط من هنا : كان مؤمناً مقبولاً منه - كما يدل عليه في مثله في النصارى بعده

﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي قوله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا ﴾ يعني اليهود سموا به لقولهم : انا هدنا اليك أي ملنا اليك - وقيل : لانهم هادوا أي تابوا عن عبادة العجل وقيل : لانهم مالوا عن دين الاسلام ، وعن دين موسى عليه السلام . وقال أبو عمرو بن العلاء : لانهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون : ان السموات والارض تحركت حين آتى الله مرسى التوراة ﴿ والنصارى ﴾ سموا به لقول الحواريين : نحن أنصار الله . وقال مرة تل : لانهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة وقيل : لاعتزازهم الى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام ﴿ والصابئين ﴾ قرأ أهل المدينة والصابون بترك الهمزة والباقون بالهمزة وأصله الخروج بقل صبا فلان أي خرج من دين الى دين آخر ، وصبات النجوم اذا خرجت من مطالعها ، وصبا ناب البعير اذا خرج ، فهؤلاء سموا به لخروجهم من دين الى دين . قال عمر بن الخطاب وابن

عليه وسلم منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والانجيل كان هالكا. قال ابن أبي حاتم وروى عن سعيد بن جبير نحو هذا (قات) هذا لا ينافي ما روى على ابن أبي طلحة عن ابن عباس (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر) الآية - قال - فأنزل الله بعد ذلك (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) فان هذا الذي قاله ابن عباس أخبار عن انه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملاً الا ما كان موافقاً لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثه بما بعثه به فلما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة فاليهود أتباع موسى عليه السلام الذين كانوا يتبعوا كونه الى التوراة في زمانهم * واليهود من الهوادة وهي المودة أو اليهود وهي التوبة كقول موسى عليه السلام (انا هدنا اليك) أي تبنا فكأنهم سموا بذلك في الاصل لتوبتهم وودتهم في بعضهم لبعض وقيل لتسببتهم الى يهودا أكبر أولاد يعقوب، وقال أبو عمرو بن العلاء لانهم يهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة فلما بعث عيسى صلى الله عليه وسلم وجب على بني اسرائيل اتباعه والانقياد له فاصحابه وأهل دينه هم النصارى وسموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم وقد يقال لهم أنصار أيضا كما قال عيسى عليه السلام (من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) وقيل انهم انما سموا بذلك من أجل انهم نزلوا أرضا يقل لها ناصرة، قاله قتادة وابن جرير وروى عن ابن عباس أيضا والله أعلم. والنصارى جمع نصران كخشاوى جمع نشوان وسكارى جمع سكران ويقال للمرأة نصرانة قال الشاعر: - نصرانة لم تحنف - فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين ورسولا الى بني آدم على الاطلاق وجب عليهم تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر والانكفاف عما عنه زجر وهؤلاء هم المؤمنون حقا وسميت أمة محمد صلى الله عليه وسلم مؤمنين لكثرة إيمانهم وشدة إيمانهم ولانهم يؤمنون بجميع الانبياء الماضية والغيوب الآتية، وأما الصابئين فقد اختلف فيهم فقال سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن

عباس: هم قوم من أهل الكتاب قال عمر: نحل ذبائحهم مثل ذبائح أهل الكتاب. وقال ابن عباس: لانحل ذبائحهم ولا منحتهم. وقال مجاهد: هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس. وقال الكلبي: هم قوم من اليهود والنصارى يملقون أوساط رؤسهم ويجبون مذاكيرهم. وقال قتادة: قوم يقرءون بالله ويتروء الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة أخذوا من كل دين شيئا. قال عبد العزيز بن يحيى: انقرضوا (من آمن بالله واليوم الآخر) فان قيل كيف يستقيم قوله (من آمن بالله) وقد ذكر في ابتداء الآية (ان الذين آمنوا)؟ قيل: اختلفوا في حكم الآية فقل بعضهم: أراد بقوله (ان الذين آمنوا) على التحقيق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين فقال قوم: هم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل المبعث وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشني وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبحيرا الراهب ووفد النجاشي فمنهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه، ومنهم من لم يدركه. وقيل: هم المؤمنون من الامم

مجاهد ، قال الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين وكذا رواه ابن أبي نجيب عنه وروى عن عطاء وسعيد بن جبيرة نحو ذلك وقل أبو العالية والربيع بن أنس والسدي وأبو الشعثاء جابر بن زيد والضحاك واسحق بن راهويه الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور ولهذا قال أبو حنيفة واسحق لا بأس بذبائهم ومنا كحمتهم وقل هشيم عن مطرف كنا عند الحكم ابن عتبة فحدثه رجل من أهل البصرة عن الحسن أنه كان يقول في الصابئين أنهم كالمجوس فقال الحكم ألم أخبركم بذلك ، وقال عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن عبد الكريم سمعت الحسن ذكر الصابئين فقال هم قوم يعبدون الملائكة وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر ابن سليمان عن أبيه عن الحسن قال أخبرني أن الصابئين يصلون إلى القبلة ويصلون الحسن قال فأراد أن يضع عنهم الجزية قال فخير بعد أنهم يعبدون الملائكة ، وقال أبو جعفر الرازي بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون للقبلة وكذا قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه قال الصابئون قوم مما يلي العراق وهم بكوفي وهم يؤمنون بالأنبياء كلهم ويصومون من كل سنة ثلاثين يوما ويصلون إلى اليمن كل يوم خمس صلوات ، وسئل وهب بن منبه عن الصابئين فقال الذي يعرف الله وحده وليست له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفرا ، وقل عبد الله بن وهب قال عبد الرحمن بن زيد الصابئون أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي الا قول لا إله إلا الله قال ولم يؤمنوا برسول فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم يعني في قوله لا إله إلا الله وقال الخليل هم قوم يشبه دينهم دين النصارى الا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام وحكي القرطبي عن مجاهد والحسن وابن أبي نجيب أنهم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس ولا تؤكل ذبائهم ولا تنكح نساؤهم ، قل القرطبي والذي نحصل من مذهبهم الماضية وقيل : هم المؤمنون من هذه الأمة «والذين هادوا» الذين كانوا على دين موسى عليه السلام ولم يبدلوا ، والنصارى الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يغيروا ومانوا على ذلك . قالوا : وهذان الاسمان لزمانهم زمن موسى وعيسى عليهما السلام حيث كانوا على الحق كالا سلام لامة محمد صلى الله عليه وسلم والصابئون زمن استقامة أمرهم «من آمن» أي من مات منهم وهو مؤمن لان حقيقة الايمان بالوفاة ، ويجوز أن يكون الواو مضمرا أي ومن آمن بعدك يا محمد الى يوم القيامة . وقال بعضهم : ان المذكورين بالايمان في أول الآية على طريق المجاز دون الحقيقة ، ثم اختلفوا فيهم فقال بعضهم : الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل : أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بالاسلام ولم يؤمنوا بقلوبهم . واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل والصابئون بعض أصناف الكفار «من آمن بالله واليوم الآخر» من هذه الاصناف بالقلب واللسان

فيما ذكره بعض العلماء أنهم موحدون ويعتقدون تأثير النجوم وأنها فاعلة ولهذا أفتى أبو سعيد الاصطخرى بكفرهم للقادر بالله حين سأله عنهم واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء أو بمعنى أن الله فرض تدبيراً لهذا العالم إليها قال وهذا القول هو المنسوب إلى الكشرايين الذين جاءهم إبراهيم عليه السلام راداً عليهم ومبطلاً لقولهم وأظهر الاقول والله أعلم . قول مجاهد ومتابعه ووهب بن منبه أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه . ولهذا كان المشركون ينبرون من أسلم بالصابي أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض اذ ذلك، وقال بعض العلماء الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي والله أعلم

(٦٢) واخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه

لعلكم تتقون (٦٣) ثم نوليتهم من بعد ذلك فلولاً فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين

يقول تعالى مذكراً بني اسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بإيمان به وحده لا شريك له واتباع رسله وأخبر تعالى أنه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رؤسهم ليقروا بما عاهدوا عليه وبأخذوه بقوة وجزم وامتثال كما قال تعالى (واذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) فالطور هو الجبل كما فسره به في الاعراف ونص على ذلك ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن والضحاك والربيع بن أنس وغير واحد وهذا ظاهر وفي رواية عن ابن عباس الطور ما أنبت من الجبال وما لم ينبت فليس بطور وفي حديث القتون عن ابن عباس أنهم لما امتنعوا عن الطاعة رفع عليهم الجبل ليسمعوها : وقال السدي فلما أبوا

(وعمل صالحاً فهم أجرم عند ربهم) وإنما ذكر بلفظ الجمع لأن من يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث (ولا خوف عليهم) في الدنيا (ولا هم يحزنون) في الآخرون قوله تعالى (واذا أخذنا ميثاقكم) عهدكم بامعشر اليهود (ورفعنا فوقكم الطور) وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم وهو قول مجاهد وقيل : ما من لغة في الدنيا إلا في القرآن . وقال الكثيرون : ليس في القرآن لغة غير لغة العرب لقوله تعالى (قرآنا عربياً) وإنما هذا وأشباهه وفاق بين اللغتين . وقال ابن عباس : أمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم، وذلك أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام فأمر موسى قومه أن يتبعلوها ويعملوا بأحكامها فأبوا أن يقبلوها للأصاير والانفعال التي هي فيها ، وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع جبلاً على قدر عسكرهم ، وكان فرسخاً في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل قامة الرجل كالظلة وقال لهم : ان لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم . وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : رفع الله فوق رؤسهم

أن يـ جـدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم فنظروا إليه وقد غشيهم فسقطوا سجدا فسجدوا على شق ونظروا بالشق الآخر فرحمهم الله فكشفه عنهم فقالوا والله ما سجدة أحب إلى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم فهم يسجدون كذلك ، وذلك قول الله تعالى (ورفعنا فوقكم الطور) وقول الحسن في قوله (خذوا ما آتيناكم بقوة) يعني التوراة ، وقال أبو العالية والربيع ابن أنس بقوة أي بطاعة . وقال مجاهد : بقوة يعمل بما فيه ، وقول قتادة (خذوا ما آتيناكم بقوة) قوة الجـد والاقـذفته عليكم قال فأقروا بذلك أنهم يأخذون ما أوتوا بقوة ، ومعنى قوله والا قذفته عليكم أي اسقطه عليكم ، يعني الجبل . وقال أبو العالية والربيع (واذكروا ما فيه) يقول اقراؤا ما في التوراة واعملوا به ، وقوله تعالى (ثم توليتهم من بعد ذلك فلولا فضل الله) يقول تعالى ، ثم بعد هذا المشاق المؤكد العظيم توليتهم عنه وانذيتهم ونقضتموه (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) أي بوقته عليكم وارساله النبيين والمرسلين اليكم (لكنتم من الخاسرين) بنقضكم ذلك الميثاق في الدنيا والآخرة

(٦٤) ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين (٦٥)

فجعلناهم نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين *

يقول تعالى (ولقد علمتم) يامعشر اليهود ما أحل من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذهم عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره إذا كان مشروعا لهم فتحيلوا على اصطلياد الحيتان في يوم السبت بما وضعوا لها من الشصوص والحبال والبرك قبل يوم السبت فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة نشبت تلك الحبال والحيل فلم تخاص منها يوما ذلك الطور ، وبعث نارا من قبل وجوههم ، وأتاهم البحر الملح من خلفهم ﴿ خذوا ﴾ أي قلنا لهم خذوا ﴿ ما آتيناكم ﴾ أعطيناكم ﴿ بقوة ﴾ بمجد واجتهاد ومواظبة ﴿ واذكروا ﴾ وادرسوا ﴿ ما فيه ﴾ وقيل احفظوا واعملوا ﴿ لعلكم تتقون ﴾ لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى فان قبلتم والا رضختم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتمكم بهذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجدون فصار سنة في اليهود لا يسجدون الا على أنصاف وجوههم ويقولون : بهذا السجود رفع العذاب عنا ﴿ ثم توليتهم ﴾ أعرضتم ﴿ من بعد ذلك ﴾ من بعد ما قبلتم التوراة ﴿ فلولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ يعني بالامهال والادراج وتأخير العذاب عنكم ﴿ لكنتم ﴾ لصرتم ﴿ من الخاسرين ﴾ من المقبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة وقيل : من المعذيين في الحال كأنه رحمه بالامهال قوله تعالى ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ﴾ أي جاوزوا الحد وأصل السبت القطع قيل : سمي يوم السبت بذلك لان الله تعالى قطع فيه الخلق وقيل : لان اليهود أمروا فيه بقطع الاعمال . والقصة فيه أنهم كانوا في زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها ايلة حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت ، فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر الا

فلما كان الليل أخذوها بعد اتمضاء السبت ، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله الى صورة القردة وهي أشبه شيء بالإنامي في الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة ، فكذلك أعمال هؤلاء وحياتهم كانت مشابهة للحق في الظاهر ومخالفة له في الباطن كان جزاؤهم من جنس عملهم ، وهذه القصة مبسطة في سورة الاعراف حيث يقول تعالى (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لا تأتيتهم كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون) القصة بكاملها . وقال السدي : أهل هذه القرية هم أهل أيلة ، وكذا قال قتادة وشنودة أقول المفسرين هناك مبسطة ان شاء الله وبه الثقة ، وقوله تعالى (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) قال مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة . وإنما هو مثل ضربه الله (كمثل الحمار يحمل أسفارا) ورواه ابن جرير عن المثني عن أبي حذيفة وعن محمد بن عمر الباهلي وعن أبي عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به وهذا سند جيد عن مجاهد وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره قال الله تعالى (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) الآية وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) فجعل الله منهم القردة والخنازير ، فزعم أن شباب القوم صاروا قردة ، وأن الشبخة صاروا خنازير : وقال شيبان النحوي عن قتادة (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) فصار القوم قردة تداوى لها أذنان بعد ما كانوا رجالا ونساء . وقال عطاء الخراساني نودوا بأهل القرية (كونوا قردة خاسئين) فجعل الذين نهوم يدخلون عليهم فيقولون يا فلان ألم تنهك فيقولون برؤسهم أي بلى ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد بن ربيعة بالمصيصية حدثنا محمد بن مسلم يعني الطائفي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال إنما كان الذين اعتدوا في السبت فجعلوا قردة فواقثم هلكوا ما كان المسخ نسل . وقال الضحاك عن ابن عباس فمسخهم الله قردة بمصيتهم يقول اذ لا يحيون في الارض الا ثلاثة أيام قال ولم يعيش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل ، وقد خاق الله

اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الماء لا منها حتى لا يرى الماء لكثرتها ، فاذا مضى السبت تفرقن ولزمن قعر البحر فلا يرى شيء منها فذلك قوله تعالى (اذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لا تأتيتهم) ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال : إنما نهيتهم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه إليها في الانهار ، فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فأقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا يقدرن على الخروج لبعدها وعمقها وقلة ماؤها ، فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل : كانوا يسوقون الحيتان الى الحياض يوم السبت ولا يأخذونها ثم يأخذونها يوم الاحد وقيل : كانوا ينصبون الحبال والشحوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا

القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة الايام التي ذكرها الله في كتابه فسخ هؤلاء القوم في صورة القردة، وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء ويحول كما يشاء. وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالبة في قوله (كونوا قردة خاصئين) قال يعني أذلة صاغرين، وردى عن مجاهد وقتادة والربيع وأبي مالك نحوه وقال محمد بن اسحق عن داود بن أبي الحصين عن عكرمة قال: قال ابن عباس ان الله انما اقترض على بني اسرائيل اليوم الذي اقترض عليكم في عيدكم - يوم الجمعة - فخالفوا الى السبت فعظموه وتركوا ما أمروا به فلما أبوا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه فخرم عليهم ما أحل لهم في غيره. وكانوا في قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين، فخرم الله عليهم في السبت الحيتان صيدها وأكلها وكانوا اذا كان يوم السبت أقبلت اليهم شرعا الى ساحل يحرم حتى اذا ذهب السبت ذهبين فلم يروا حوتا صغيرا ولا كبيرا حتى اذا كان يوم السبت أتيت شرعا حتى اذا ذهب السبت ذهبين فكانوا كذلك حتى طال عليهم الامل وقرموا الى الحيتان عمد رجل منهم فأخذ حوتا سرا يوم السبت فخرمه بخيط ثم أرسله في الماء وأوتد له وتدفى الساحل فاوثقه ثم تركه حتى اذا كان الغد جاء فأخذه أي اني لم أخذه في يوم السبت فانطلق به فأكله حتى اذا كان يوم السبت الاخر عاد لمثل ذلك ووجد الناس ريح الحيتان فقال أهل القرية والله لقد وجدنا ريح الحيتان، ثم عثروا على صنيع ذلك الرجل، قال ففعلوا كما فعل وصنعوا سرا زمانا طويلا لم يجعل الله عليهم العقوبة حتى صادوها علانية وباعوها بالاسواق. فقالت طائفة منهم من أهل البقية ويحكم انقوا الله ونهوه عما كانوا يصنعون، فقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان ولم تنه القوم عما صنعوا: لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا؟ قالوا معذرة الى ربكم بسخطنا أعمالهم ولعلمهم يتقون، قال ابن عباس: فيبيناهم على ذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم فقدوا الناس فلم يروهم قال فقال بعضهم لبعض ان للناس شأنا فانظروا ما هو فذهبوا ينظرون في دورهم فوجدوها مغلقة عليهم قد دخلوها ليلا فغلقوها على أنفسهم كما يغلq الناس على أنفسهم فأصبحوا فيها قردة وانهم ليعرفون الرجل بعينه وأنه لقرد والمرأة بعينها وإنما القردة والصبي بمينه وأنه لقرد، قال ابن عباس فلولا ما ذكر الله انه نجي الذنن نهوا عن السوء لقد أهلك الله الجميع منهم، قال وهي القرية التي قال جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم ولم تنزل عليهم عقوبة فتجروا على الذنب وقالوا ما ندري السبت الا وقد أحل لنا فأخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا وأثروا وكثر ما لهم فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا نحو من سبعين الفا ثلاثة أصناف، صنف أمسك ونهى، وصنف أمسك ولم ينه، وصنف انتهك الحرمة، وكان الناهون اثني عشر الفا، فلما أبى المجرمون قبول نصحتهم قالوا: والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بحدار وعبروا بذلك سنتين ولعنهم داود عليه السلام، وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم فلما أبطؤ تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميع قردة لها أذنان يتعاونون. قال قتادة: صار الشبان قردة والشيوخ خنازير

(واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الآية . وروى الضحاك عن ابن عباس نحو ما من هذا ، وقال السدي في قوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) قال هم أهل أيلة ، وهي القرية التي كانت حاضرة البحر فكانت الحيتان اذا كان يوم السبت - وقد حرم الله على اليهود ان يسموا في السبت شيئا - لم يبق في البحر حوت الا خرج حتى يخرج خرطومهم من الماء فاذا كان يوم الاحد لزم من سفلى البحر فلم ير منهم شيء حتى يكون يوم السبت فذلك قوله تعالى (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حياتهم يوم سبتهم شرعا وبوم لا يسبثون لا تأتيهم) فاشتبه بعضهم السمك فجعل الرجل بحفر الحفيرة ويجعل لها نهرا الى البحر ، فاذا كان يوم السبت فتح النهر فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة فيريد الحوت ان يخرج فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر فيمكث فيها فاذا كان يوم الاحد جاء فأخذه فجعل الرجل يشوي السمك فيجد جاره روائحها فيسأله فيخبره فيصنع مثل ما صنع جاره حتى فشا فيهم أكل السمك ، فقال لهم علماءهم : وبحكم انما تصطادون يوم السبت وهو لا يحل لكم ، فقالوا انما صدناه يوم الاحد حين أخذناه ، فقال الفقهاء لا ولكنكم صدتموه يوم فتحتم له الماء فدخل ، قال وغلبوا ان يذنبوا . فقال بعض الذين نهوهم لبعض (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) ؟ يقول لم تعظوهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم ، فقال بعضهم (معذرة الى ربكم ولعلمهم يتقون) فلما أبوا قل المسلمون والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية ببجاد ففتح المسلمون بابا والمعتدون في السبت بابا ولهم داود عليه السلام ، فجعل المسلمون يخرجون من بابهم والكفار من بابهم ، فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار بابهم فلما ابطؤا عليهم تسور المسلمون عليهم الحائط فاذا هم قردة يشب بعضهم على بعض ففتنحو عنهم فذهبوا في الارض فذلك قول الله تعالى (فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) وذلك حين يقول (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) الآية فهم القردة (قلت) والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الاثمة بيان خلاف ما ذهب اليه مجاهد رحمه الله من أن مسخهم انما كان معنويا لا صوريا بل فكثروا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام . لم يترالدوا قال الله تعالى ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة ﴾ أمر تحويل وتكوين ﴿ خاسئين ﴾ مبعدين مطرودين قيل : فيه تقديم وتأخير أي كونوا خاسئين وقردة ولذلك لم يقل خاسئات ، والخسأ الطرد والابعاد وهو لازم ومتعمد يقال خسأته خسسا فخسا خسوا مثل رجعت رجعا فرجع رجوعا ﴿ فجعلناها ﴾ أي جعلنا عقوبتهم بالسسخ ﴿ نكالا ﴾ أي عقوبة وعبرة ، والنكال اسم لكل عقوبة بشكل الناظر من فعل ما جملة العقوبة جزاء عليه ، ومنه النكول عن البين وهو الامتناع ، وأصله من النكل وهو القيد وجمعه يكون أنكالا ﴿ لما بين يديها ﴾ قل قتادة : أراد بما بين يديها يعني ما سبقت من الذنوب أي جعلنا تلك العقوبة جزاء لما تقدم من ذنوبهم قبل نهيمهم عن أخذ الصيد ﴿ وما خلفها ﴾ ما حضرت من الذنوب التي أخذوا بها وهي العصيان بأخذ الحيتان

الصحيح انه معنوي صوري والله تعالى أعلم . وقوله تعالى (فجعلناها نكالا) قال بعضهم الضمير في
 فجعلناها عائداً على القرية وقيل على الحيتان وقيل على العقوبة وقيل على القرية حكاهما ابن جرير
 والصحيح أن الضمير عائداً على القرية ، أي فجعل الله هذه القرية والمراد أهلها بسبب اعتدائهم في
 سببهم (نكالا) أي عاقبتهم عقوبة فجعلناها عبرة كما قال الله عن فرعون (فأخذ الله نكال الآخرة
 والاولى) وقوله تعالى (لما بين يديها وما خلفها) أي من القرى ، قال ابن عباس : يعني جعلناها بما
 أحللتنا بها من العقوبة عبرة لما حولها من القرى كما قال تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى
 وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) ومنه قوله تعالى (أولم يروا المانئتي الأرض نقصها من أطرافها) الآية
 على أحد الأقوال فالمراد لما بين يديها وما خلفها في المكان كما قال محمد بن اسحق عن داود بن الحصين
 عن عكرمة عن ابن عباس : لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى ، وكذا قال سعيد بن جبير
 لما بين يديها وما خلفها ، قال من بحضرتها من الناس يومئذ . وروى عن اسمعيل بن أبي خالد وقنادة
 وعطية العوفي (فجعلناها نكالا لما بين يديها) قال ما قبلها من الماضين في شأن السبب ، وقال أبو العالية
 والربيع وعطية : وما خلفها لما بقي بعدهم من الناس من بني اسرائيل ان يعملوا مثل عملهم ، وكان هؤلاء
 يقولون المراد لما بين يديها وما خلفها في الزمان . وهذا مستقيم بالنسبة الى من يأتي بعدهم من الناس
 أن تكون أهل تلك القرية عبرة لهم ، وأما بالنسبة الى من سلف قبلهم من الناس فكيف يصح
 هذا الكلام أن تفسر الآية به وهو أن يكون عبرة لمن بعدهم ؟ وهذا لعل أحداً من الناس لا يقوله
 بعد تصوره - فتعين أن المراد بما بين يديها وما خلفها في المكان وهو ما حولها من القرى كما قاله ابن
 عباس وشعيب بن جبير والله أعلم . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية
 (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها) أي عقوبة لما خلا من ذنوبهم ، وقال ابن أبي حاتم : وروى
 عن عكرمة ومجاهد والسدي والفراء وابن عطية : لما بين يديها من ذنوب القوم وما خلفها لمن يعمل
 بعدها مثل تلك الذنوب ، وحكى الرازي ثلاثة أقوال . أحدها ان المراد بما بين يديها وما خلفها من
 تقدمها من القرى بما عندهم من العلم بخبرها بالكتب المتقدمة ومن بعدها . والثاني المراد بذلك من
 بحضرتها من القرى والامم . والثالث انه تعالى جعلها عقوبة للجميع ما ارتكبوه من قبل هذا الفعل وما
 بعده وهو قول الحسن (قلت) وأرجح الأقوال المراد بما بين يديها وما خلفها : من بحضرتها من
 القرى يبلغهم خبرها وما حل بها كما قال تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) الآية وقال تعالى
 وقال أبو العالية والربيع : عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم أن يستنوا بسنتهم ، وما
 الثانية بمعنى من وقيل (جعلناها) أي جعلنا قرية أصحاب السبب عبرة لما بين يديها أي القرى
 التي كانت مبنية في الحال (وما خلفها) وما يحدث من القرى من بعد ليتعضوا وقيل : فيه تقديم
 وتأخير تقديره فجعلناها وما خلفها أي ما أعد لهم من العذاب في الآخرة نكالا وجزاء لما بين يديها
 أي لما تقدم من ذنوبهم باعتدائهم في السبب (وموعظة للمتقين) للمؤمنين من أمة محمد صلى الله

(ولا يزال الذين كفروا نصيبهم بما صنعوا قارعة) الآية وقال تعالى (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) فجعلهم عبرة ونكالا لمن في زمانهم وموعظة لمن يأتي بعدهم بالخبر المتواتر عنهم ولهذا قال (وموعظة للمتقين): وقوله تعالى (وموعظة للمتقين) قال حماد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس (وموعظة للمتقين) للذين من بعدهم الى يوم القيامة وقال الحسن وقتادة (وموعظة للمتقين) بعدهم فينتقون نعمة الله ويحذرونها وقال السدي وعطية العوفي (وموعظة للمتقين) قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قلت) المراد بالموعظة ههنا الزاجراى جعلنا ما أحلنا بهؤلاء من البأس والنكال في مقابلة ما ارتكبوه من محارم الله وما نهيوا به من الحيل فليحذر المنتقون صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم كما قال الامام أبو عبد الله بن بطة حدثنا احمد بن محمد بن مسلم حدثنا الحسن بن محمد بن محمد بن الصباح الزعفراني حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأذي الحيل» وهذا اسناد جيد واحمد بن محمد بن مسلم هذا وثقه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي وباقي رجاله مشهورون على شرط الصحيح والله أعلم

(٦٦) واذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا اتخذنا هزوا؟ قال أعوذ

بالله أنا كون من الجاهلين

يقول تعالى واذا كروا يا بني اسرائيل نعمتي عليكم في خرق العادة لكم في شأن البقرة وبيان القتاتل من هو بسببها واحياء الله المقتول ونصه على من قتله منهم
﴿ ذكر بسط القصة ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني، قال: كان رجل من بني اسرائيل عقيلا لا يولد له وكان له مال كثير وكان ابن أخيه وارثه فقتله ثم احتمله ليلا فوضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلموا وركب بعضهم على بعض. فقال ذوو الرأي منهم والنهي: علام يقتل بعضكم عليه وسلم فلا يفعلون مثل فعلهم قوله عز وجل ﴿ وإذ قال موسى لقومه: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ البقرة هي الانثى من البقر يقال: هي مأخوذة من البقر وهو الشق، سميت به لانها تبقر الارض أي تشقها للحرثة — والقصة فيه أنه كان في بني اسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى وألقاه بفنائهم ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم القتل فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتل على موسى. قال الكلبي: وذلك قبل نزول قسامة في النوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه فأمرهم الله بذبح بقرة فقال لهم موسى: ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴿ قالوا اتخذنا هزوا ﴾ أي تستهزي

بعضا وهذا رسول الله فيكم ؟ فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له فقال (ان الله يأمركم ان
تذبحوا بقرة قالوا أتمدننا هزوا قل أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) قال فلو لم يعترضوا لاجزأت
عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا فشدوا عليهم حتى انتهوا الى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند
رجل ليس له بقرة غيرها فقال والله لا أنقصها من ملء جلدتها ذهباً فأخذوها فذبحوها فضر بوهبها
فقام فقالوا من قتلها ؟ فقال : هذا - لابن أخيه ، ثم مال مبتغا فلم يعط من ماله شيئا فلم يورث قاتل بعد
ورواه ابن جرير من حديث أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة بن جهم عن ذلك والله أعلم . ورواه
عبد بن حميد في تفسيره ، أنبأنا يزيد بن هرون به ورواه آدم بن أبي إياس في تفسيره عن أبي جعفر
هو الرازي عن هشام بن حسان به ، وقال آدم بن أبي إياس في تفسيره : أنبأنا أبو جعفر الرازي
عن الربيع عن أبي العالصة في قول الله تعالى (ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) قال كان رجل من
بنو إسرائيل وكان غنيا ولم يكن له ولد وكان له قريب وكان وارثه فقتله ليرثه ثم ألقاه على جميع الطريق
وأتى موسى عليه السلام فقال له ان قريبي قتل وإني الى أمر عظيم وإني لا أجد أحدا يبين لي من
قتله غيرك يا نبي الله ، قال فنأدى موسى في الناس فقال : أنشد الله من كان عنده من هذا علم الا
يلينه لنا ، فلم يكن عندهم علم ، فأقبل القاتل على موسى عليه السلام ، فقال له أنت نبي الله فسل لنا
ربك ان يبين لنا ، فسأل ربه فأوحى الله (ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) فعجبوا من ذلك فقالوا :
أتمدننا هزوا ؟ قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ قال انه
يقول انها بقرة لا فارض) يعني لا هرمة (ولا بكر) يعني ولا صغيرة (عوان بين ذلك) أي نصف بين
البكر والهرمة (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لوئها ؟ قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لوئها) أي
صاف لوئها (تسر الناظرين) أي تعجب الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ إن البقرة تشابه
عائنا وانا ان شاء الله لم نمدون) قال انه يقول انها بقرة لا ذلول) أي لم يذلها العمل (تشير الارض
بنا نحن نسألك عن أمر القتل وتأمرنا بذبح البقرة ، وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين في الظاهر
ولم يدروا ما الحكمة فيه ، قرأ حمزة هزوا وكفوا بالتخفيف ، وقرأ الآخرون بالثقل ويترك الهمزة
حفص (قال) موسى (أعوذ بالله) أمتنع بالله (أن أكون من الجاهلين) أي من المستهزئين
بالمؤمنين وقيل : من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال لان الجواب لا على وفق السؤال جهل
فلما علم القوم ان ذبح البقرة عزم من الله عز وجل استوصفوها ولو انهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها
لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشد الله عليهم ، وكانت تحته حكمة ، وذلك انه كان
في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها الى غيضة وقال : اللهم إني أستودعك هذه
العجلة حتى تكبر ، ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة ، وانا ، وكانت تهرب من كل من رآها
فلما كبر الابن كان بارا بوالده ، وكان يقسم الليل ثلاثة ثلاث يصلي ثلثا ، وينام ثلثا ، ويجلس
عند رأس أمه ثلثا ، فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به الى السوق فيبيعه بما شاء الله ثم

(ولا تسقي الحرت) يعني وليست بذلول تثير الارض ولا تسقي الحرت يعني ولا تعمل في الحرت (مسلمة) يعني مسلمة من العيوب (لا شية فيها) يقول لا يياض فيها (قالوا الا ان جئت بالحق فذبجوها وما كادوا يفعلون) قال ولو ان القوم حين اضرها بذبح بقرة استعرضوا بقرة من البقر فذبجوها لكانت ايتها ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم ولولا ان القوم استثنوا فقالوا وانا ان شاء الله لمهندون لما هدوا اليها ابدا فبلغنا انهم لم يجدوا البقرة التي نعت لهم الا عند عجوز وعندها يتامى وهي القيمة عليهم فلما علمت انه لا يزكو لهم غيرها اضعفت عليهم الثمن فأتوا موسى فأخبروه انهم لم يجدوا هذا النعت الا عند فلانة وانها سألت ضعاف ثمنها ، فقال موسى ان الله قد خفف عليكم فشددتم على انفسكم فاعطوها رضاها وحكمها ، ففعلوا واشتروها فذبجوها فأمرهم موسى عليه السلام ان يأخذوا عظما منها فيضربوا به القتييل ففعلوا فرجع اليه روحه فسمى لهم قاتله ثم عاد ميتا كما كان فأخذ قاتله وهو الذي كان أتى موسى عليه السلام فشكا اليه فقتله الله على أسوأ عمله ، وقال محمد بن جرير حدثني محمد بن سعيد حدثني أبي حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله في شأن البقرة وذلك أن شيخنا من بني اسرائيل على عهد موسى عليه السلام كان مكثرا من المال وكان بنو أخيه فقراء لا مال لهم وكان الشيخ لا ولد له وكان بنو أخيه ورثته فقالوا ليت عنا قد مات فورثنا ماله وانه لما تطاول عليهم أن لا يموت عنهم أتاهاهم الشيطان فقال لهم هل لكم الى أن تقتلوا عكم قترثوا ماله وتغرموا أهل المدينة التي لستم بها دينه وذلك انهما كانتا مدينتين كانوا في أحدهما وكان القتييل اذا قتل وطرح بين المدينتين قيس ما بين القتييل والقريتين فإتيها كانت أقرب اليه غرمت الدية وانهم لما سؤل لهم الشيطان ذلك وتطاول عليهم أن لا يموت عنهم عمدوا اليه فقتلوه ثم عمدوا فطرحوه على باب المدينة التي ليسوا فيها فلما أصبح أهل المدينة جاء بنو أخي الشيخ فقالوا عنا قتل على باب مدينتكم فوالله لتغرم لنا دية عنا قال أهل المدينة نقسم بالله ما قتلنا ولا علمنا قاتلا ولا فتحنا باب مدينتنا منذ أغلق حتى أصبحنا ، وانهم عمدوا الى موسى عليه يتصدق بثلثه ، وبأكل ثلثه ، وبعطى والدته ثلثه ، فقالت له أمه يوما : إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع إليه ابراهيم واسماعيل واسحق أن يردها عليك ، وعلامتها إنك إذا نظرت اليها يخيل اليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها ، وكانت تلك البقرة تسمى المذبة لحسنها وصفرتها فأتى القتي الغيضة فراها ترعى فصاح بها وقال : أعزم عليك بالله ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى فقالت : أيها القتي البار بوالدتك اركبني فان ذلك أهون عليك فقال القتي : إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت : خذ بعنقها فقالت البقرة : بالله بني اسرائيل لو ركبني ما كنت تقدر علي أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقل من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأملك ، فسار القتي بها الى أمه فقالت له : إنك فقير لا مال لك فيشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فباع هذه البقرة قال : بكم

السلام فلما أتوه قال بنو أخى الشيخ عمنا وجدناه مقتولا على باب مدينتهم وقال أهل المدينة تقسم بالله ما قتلناه ولا فتحنا باب المدينة من حين أغلقناه حتى أصبحنا وأن جبرائيل جاء بأمر السميع العليم إلى موسى عليه السلام فقال قل لهم (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) فنضربوه ببعضها وقال السدي (واذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) قال كان رجل من بني إسرائيل مكثرا من المال فكانت له ابنة وكان له ابن أخ محتاج فخطب إليه ابن أخيه ابنته فإني أن يزوجه فغضب الفتى وقال والله لا أقبلن عمي ولا أخذن ماله ، ولا نكحن ابنته ولا نكحن ديتة فأتاه الفتى وقد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل فقال يا عم انطلق معي فخذني من تجارة هؤلاء القوم لعلني أن أصيب منها فانهم إذا رأوك معي أعطوني فخرج العم مع الفتى ليلا فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى ثم رجع إلى أهله فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه كأنه لا يدري أين هو فلم يجده فانطلق نحوه فاذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه فاخذهم وقال قتلتم عمي فأدوا لى ديتة ، فجعل يبكي ويحشو التراب على رأسه وينادي وإعاه فرفعهم إلى موسى ففضى عليهم بالدية فقالوا له يا رسول الله ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه فيؤخذ صاحب القضية فوالله إن ديتة علينا هينة ولكن نستحي أن نغير به فذاك حين يقول تعالى (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون) فقال لهم موسى (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) قالوا نسألك عن القتل وعن قتله وتقول ادبحوا بقرة أمهزأ بنا (قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) قال ابن عباس فلو اعترضوا بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا وتعنتوا على موسى فشدد الله عليهم فقالوا (ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك) والغارض الهرمة التي لا تولد والبكر التي لم تلد الا ولدا واحدا والعوان النصف التي بين ذلك التي قد ولدت وولد ولدها (فأفلموا ما تؤمرونه قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) قال نقي لونها (تسر الناظرين) قال تعجب الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي ان البقر تشابه علينا وإنا ان شاء الله لمهتدون) قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها) عن بياض ولا سواد ولا حمرة قالوا (الآن جئت بالحق) فطلبوها فلم يقدروا عليها وكان رجل في بني إسرائيل من أبر الناس بأبيه وان رجلا مر به معه لؤلؤ يبيعه وكان أبوه نائما تحت رأسه المفتاح فقال له الرجل تشتري مني هذا اللؤلؤ بسبعين ألفا؟ فقال له الفتى كما أنت حتى يستيقظ أبي فأخذه منك بثمانين ألفا، قال الآخر أيقظ أباك وهو لك أبيعها؟ قالت : بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي ، وكان من البقرة يومئذ ثلاثة دنانير ، فانطلق بها إلى السوق ، فبعث الله ملكا ليري خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره أمه ، وكان الله به خبيرا فقال له الملك : بكم نبيع هذه البقرة قال : بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضى والدتي فقال الملك : لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى : لو أعطيتني وزنها ذهباً لم أخذه إلا برضا أبي فردها إلى أمه وأخبرها بالثمن فقالت : ارجع فبعها بستة دنانير على رضى مني فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك

بستين ألفا فجعل التاجر يحيط له حتى بلغ ثلاثين ألفا وزاد الاخر على ان ينظر أباه حتى يستيقظ حتى بلغ مائة الف فلما أكثر عليه قال والله لا اشتريه منك بشي أبدا وأبي أن يوقظ أباه فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ أن جعل له تلك البقرة فمرت به بنو اسرائيل بطلبون البقرة وأبصروا البقرة عنده فسألوه أن يبيعهم اياها بقره ببقرة فأبى فاعطوه ثنتين فأبى فزادوه حتى بلغوا عشرة اقالوا والله لا تركك حتى نأخذها منك فانطلقوا به الى موسى عليه السلام فقالوا يا بني الله انا وجدناها عند هذا وأبي أن يعطيناها وقد أعطيناه ثمننا فقال له موسى أعطهم بقرتك فقل يا رسول الله أنا أحق بما لي فقال صدقت وقال للقوم أرضوا صاحبكم فاعطوه وزنها ذهباً فأبى فاضمه فوه له حتى أعطوه وزنها عشرين مرات ذهباً فباعهم اياها وأخذ ثمنها فذبحوها قال اضربوه بيهضها فضر به بالبضعة التي بين الكتفين فعاش فسألوه من قلاك فقال لهم ابن أخي قال: أقتله فأخذ ماله وأنكح ابنته. فأخذوا السلام فقتلوه، وقال صنيذ حدثنا حجاج هو ابن محمد عن ابن جريج عن مجاهد وحجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - ، قالوا ان سبطا من بني اسرائيل لما رأوا كثرة شرور الناس بنوا مدينة فاعتزلوا شرور الناس فكانوا اذا أمسوا لم يتركوا أحدا منهم خارجا الا أدخلوه واذا أصبحوا قام رئيسهم فنظر وأشرف فاذا لم ير شيئا فتحت المدينة فكانوا مع الناس حتى يمشوا قال وكان رجل من بني اسرائيل له مال كثير ولم يكن له وارث غير أخيه فطال عليه حياته فقتله ليرثه ثم حمله فوضعه على باب المدينة ثم كمن في مكان هو وأصحابه قال فأشرف رئيس المدينة على باب المدينة فنظر فلم ير شيئا ففتح الباب فلما رأى القليل رد الباب فناداه آخر المقتول وأصحابه هبنا فقتلناه ثم تردون الباب؟ وكان موسى لما رأى القتل كثيرا في بني اسرائيل كان اذا رأى القتل بين ظهري القوم أخذهم فكاد يكون بين أخي المقتول وبين أهل المدينة قتال حتى ابس الفريقان السلاح ثم كف بعضهم عن بعض فأتوا موسى فذكروا له شأنهم ، قالوا يا موسى ان هؤلاء قتلوا قتيلا ثم ردوا الباب قال أهل المدينة يا رسول الله قد عرفت اعتزالنا الشرور وبنينا مدينة كما رأيت نعتزل شرور الناس والله ما قتلنا ولا علمنا. قاتلا فأوحى الله تعالى اليه أن يذبحوا بقره فقال لهم موسى (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقره) وهذه السياقات عن عيدة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني اسرائيل وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب فلهذا لا يعتمد عليها (١) الا ما وافق الحق عندنا والله أعلم

فقال : استأمرت أمك فقال الفتى : إنها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنائير على أن أستأمرها فقال الملك : فاني أعطيتك إثني عشر على أن لا تستأمرها ، فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت إن الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليختبرك فاذا أتاك فقل له : أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ؟ ففعل فقال له الملك : اذهب الى أمك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران عليه السلام يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل فلا تبعها إلا بملء مسكها دنائير فامسكها ، وقدر الله تعالى

(١) الحق انه لم يكن ينبغي حشر تلك الاساطير الاسرائيلية في تفسير كتاب الله وان المراد بحديث أبي هريرة عند أبي داود « حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج » ما كان من العبر التاريخية التي لا تضل الناس في تفسير أمر الدين كتفسير الله تعالى أو سنة رسوله (ص) وقد كان منهم من يعتمد اضلال المسلمين وتليب دينهم عليهم ولذلك كانوا يخبرونهم بما لا يصح عنهم ويكتمون عنهم نصوص التوراة نفسها

(٦٧) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون (٦٨) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقم لونها تسر الناظرين (٦٩) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون (٧٠) قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي

الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون
 أخبر تعالى عن تعنت بني اسرائيل وكثرة سؤالهم لرسولهم ولهذا لما ضيقوا على انفسهم ضيق الله عليهم ولو انهم ذبحوا أي بقرة كانت لوقعت الموضع عنهم كقول ابن عباس وعبيدة وغير واحد ولكنهم شددوا فشدد عليهم فقالوا (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أي ماهذه البقرة وأي شيء صفتها قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا هشام بن علي عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لو أخذوا أدنى بقرة لا كتفوا بها ولكنهم شددوا فشدد عليهم — اسناد صحيح — وقد رواه غير واحد عن ابن عباس وكذا قال عبيدة والسدي ومجاهد وعكرمة وابو العالية وغير واحد ، وقال ابن جرير قال لي عطاء لو أخذوا أدنى بقرة لكفتمهم قل ابن جرير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انما أمروا بآدني بقرة ولكنهم لما شددوا شدد الله عليهم وإيم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد» قال (انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر) أي لا كبيرة هرمة ولا صغيرة لم يلحقها الفحل كما قاله أبو العالية والسدي ومجاهد وعكرمة وعطية العوفي وعطاء الخراساني ووهب بن منبه والضحاك والحسن وقتادة وقاله ابن عباس أيضا وقل الضحاك عن ابن عباس عوان بين ذلك يقول نصف بين الكبيرة والصغيرة وهي أقوى ما يكون من الدراب والبقر وأحسن ما تكون، وروي عن عكرمة ومجاهد وأبي العالية والربيع بن أنس وعطاء الخراساني والضحاك نحو ذلك ، وقال السدي العوان النصف التي بين ذلك التي قد ولدت ولد ولدها : وقل هشيم عن جوير عن كثير بن زياد عن الحسن في البقرة كانت بقرة وحشية : وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس من لبس نعلا صفراء لم يزل على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفونها حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافأة له على برّه بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى ﴿ قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ﴾ أي ما سنها ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ انه يقول ﴾ يعني فسأل الله تعالى فقال انه يعني ان الله تعالى يقول ﴿ إنها بقرة لا فارض ولا بكر ﴾ أي لا كبيرة ولا صغيرة ، والفارض المسنة التي لا تلد يقال منه فرضت تفرض فروضا ، والبكر الفتية الصغيرة التي لم تلد قط ، وحذفت الهاء منها للاختصاص بالاناث كالحائض ﴿ عوان ﴾ وسط نصف ﴿ بين ذلك ﴾ أي بين السنين يقال عونت المرأة تعوينا اذا زادت على الثلاثين : قال الاخفش : العوان التي تنبت مرارا وجمعها عون ﴿ فافعلوا ما تؤمرون ﴾ من ذبح

في سرور مادام لا بسها وذلك قوله تعالى (تسر الناظرين) وكذا قال مجاهد ووهب بن منبه كانت صفراء . وعن ابن عمر كانت صفراء الظلف وعن سعيد بن جبير كانت صفراء القرن والظلف . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن علي حدثنا نوح بن قيس أنبأنا أبو رجاء عن الحسن في قوله تعالى (بقرة صفراء فاقع لونها) قال سوداء شديدة "سوداء وهذا غريب والصحيح الازل ولهذا أكد صفرتها بانه (فاقع لونها) وقال عطية العوفي (فاقع لونها) تكاد تسود من صفرتها وقال سعيد بن جبير (فاقع لونها) قال صافية اللون . وروي عن أبي العالمة والربيع بن أنس والسدي والحسن وقتادة نحوه : وقال شريك عن معمر عن ابن عمر (فاقع لونها) قال صاف . وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس (فاقع لونها) شديدة الصفرة تكاد من صفرتها تبيض وقال السدي (تسر الناظرين) أي تعجب الناظرين وكذا قال أبو العالمة وقتادة والربيع بن أنس . وقال وهب بن منبه إذا نظرت إلى جلدها تخيلت أن شعاع الشمس يخرج من جلدها . وفي التوراة أنها كانت حمراء فلعل هذا خطأ في التمرير ، أو كما قال الاول أنها كانت شديدة الصفرة تفرب إلى حمرة وسواء والله أعلم . وقوله تعالى (ان البقرة تشابه علينا) أي لكثرتها فبزلنا هذا البقرة وصفها وحلها لنا (وانا ان شاء الله) إذا بينتها لنا (لمهندون) اليها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن يحيى الاودي الصوفي حدثنا أبو سعيد أحمد بن داود الجنداد حدثنا سرور بن المغيرة الواسطي ابن أخي منصور بن زاذان عن عباد بن منصور عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لولا ان بني اسرائيل قالوا (وانا ان شاء الله لمهندون) لما أعطوا ولكن استثنوا» ورواه المافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من وجه آخر عن سرور بن المغيرة عن زاذان عن عباد بن منصور عن الحسن عن حديث أبي رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لولا ان بني اسرائيل قالوا (وانا ان شاء الله لمهندون) ما أعطوا أبدا ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبجوها لاجزأت عنهم ولكن شدد افئدة الله عليهم» وهذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله ان يكون من كلام أبي هريرة كما تقدم مثله عن السدي والله أعلم (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث) أي انها ليست مذلة بالحرارة ولا معدة للسقي في الساقية بل هي مكرمة حسنة صبيحة مسلمة وصحيحة لا عيب فيها (لاشية فيها) أي ليس فيها لون غير لونها ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مسلمة يقول لا عيب البقرة ولا تسكنوا السؤال ﴿ قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال : انه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها ﴾ قال ابن عباس : شديد الصفرة وقال قتادة : صاف وقال الحسن : الصفراء السوداء والاول أصح لانه لا يقال أسود فاقع انما يقال : أصفر فاقع ، واسود حالك ، واحمر قاني ، واخضر ناضر ، وابيض يقق للمبالغة ﴿ تسر الناظرين ﴾ اليها يعجبهم حسنها وصفاء لونها ﴿ قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ﴾ أسائمة أم عاملة ﴿ إن البقر تشابه علينا ﴾ ولم يقل تشابهت انذكير لفظ البقر كقوله تعالى (أعجاز نخل منقعر) وقال الزجاج : أي جنس البقر تشابه أي التيس واشتباه أمره علينا

فيها ، وكذا قال أبو العالية والربيع وقال مجاهد مسلمة من الشية ، وقيل عطاء الخراساني مسلمة القوئم والخلق لاشية فيها ، قال مجاهد لا بياض ولا سواد ، وقال أبو العالية والربيع والحسن وقتادة ليس فيها بياض وقال عطاء الخراساني لاشية فيها قال لونها واحد بهيم ، وروى عن عطية العوفي ووهب ابن منبه واسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك ، وقال السدي لاشية فيها من بياض ولا سواد ولا حمرة وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى ، وقد زعم بعضهم ان المعنى في ذلك قوله تعالى (أنها بقرة لا ذلول) ليست بمذلة بالعمل ثم استأنف فقال (تثير الارض) أي يعمل عليها بالحرارة لكنها لا تسقى الحرث وهذا ضعيف لانه فسر الذلول التي لم تذلل بالعمل بأنها لا تثير الارض ولا تسقى الحرث ، كذا قرره القرطبي وغيره (قولوا الآن جئت بالحق) قال قتادة الآن بينت لنا وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وقيل ذلك والله جاءهم الحق (فذبوها وما كادوا يفعلون) قال الضحاك عن ابن عباس كادوا ان لا يفعلوا ولم يكن ذلك الذي أرادوا لانهم أرادوا ان لا يذبوها ، يعني أنهم مع هذا البيان وهذه الاسئلة والاجوبة والايضاح ما يذبوها الا بعد الجهد ، وفي هذا ذم لهم وذلك انه لم يكن غرضهم الا التعنت فلماذا ما كادوا يذبونها ، وقال محمد بن كعب ومحمد بن قيس فذبوها وما كادوا يفعلون لكثرة ثمنها وفي هذا نظر لان كثرة الثمن لم يثبت الا من نقل بني اسرائيل كما تقدم من حكاية أبي العالية والسدي ، ورواه العوفي عن ابن عباس ، وقال عبيدة ومجاهد ووهب بن منبه وأبو العالية وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم اشتروها بمال كثير فبه اختلاف ثم قد قيل في ثمنها غير ذلك ، وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن عبينه أخبرني محمد بن سوقة عن عكرمة قال : ما كان ثمنها الا ثلاثة دنانير وهذا اسناد جيد عن عكرمة واظهار انه نقله عن أهل الكتاب أيضا ، وقال ابن جرير وقال آخرون لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة ان اطعم الله على قتل القتيل الذي اختصموا فيه ولم يستند عن أحد ثم اختار ان الصواب في ذلك أنهم لم يكادوا يفعلوا ذلك لغلاء ثمنها وللفضيحة وفي هذا نظر بل الصواب والله أعلم ما تقدم من رواية الضحاك عن ابن عباس على ما وجهناه وبالله التوفيق

(مسألة) استدلل بهذه الآية في حصر صفات هذه البقرة حتى تعينت أو تم تقيدها بعد الاطلاق على صحة السلم في الحيوان كما هو مذهب مالك والاوزاعي والليث والشافعي وأحمد وجهور العلماء فلا نهتدي اليه ﴿ وإنا إن شاء الله لمتدون ﴾ إلى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأيم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم الى آخر الابد » ﴿ قال : إنه يقول انها بقرة لا ذلول ﴾ مذلة بالعمل يقال : رجل ذلول بين الذل ، ودابة ذلول بينة الذل ﴿ تثير الارض ﴾ تقلبها للزراعة ﴿ ولا تسقى الحرث ﴾ أي ليست بساقية ﴿ مسلمة ﴾ بريئة من العيوب ﴿ لاشية فيها ﴾ لا لون لها سوى لون جميع جلدها قال عطاء : لا عيب فيها وقال مجاهد : لا بياض فيها ولا سواد ﴿ قالوا : الآن جئت بالحق ﴾ أي بالبيان التام الشافي الذي لا إشكال فيه وطلبوها فلم يجدوا بكال وصفها إلا مع الفتى فاشتروها بمال .

سلفا وخلفا بدليل ما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تنعت المرأة المرأة لزوجها » كأنه ينظر إليها » وكما وصف النبي صلى الله عليه وسلم ابل الدية في قتل الخطأ وشبه العمد بالصفات المذكورة بالحديث وقال أبو حنيفة والثوري والكوفيون لا يصح السلم في الحيوان لانه لا تنضبط أحواله وحكى مثله عن ابن مسعود وحذيفة بن اليمان وعبد الرحمن بن سمرة وغيرهم

(٧١) واذا قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون (٧٢) فقلنا اضربوه ببعضها

كذلك يحكي الله الموتى ويريك آياته لعلكم تعقلون

قال البخاري (فادارأتم فيها) اختلفتم وهكذا قال مجاهد فيما رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي حذيفة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه قال في قوله تعالى (واذا قتلتم نفسا فادارأتم فيها) اختلفتم ، وقال عطاء الخراساني والضحاك اختلفتم فيها ، وقال ابن جريج (واذا قتلتم نفسا فادارأتم فيها) قال قال بعضهم أنتم قتلتموه ، وقال آخرون بل أنتم قتلتموه وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (والله مخرج ما كنتم تكتمون) قال مجاهد ما تغيبون ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرة بن أسلم البصري حدثنا محمد بن الطفيل العبدي حدثنا صدقة بن رستم سمعت المسيب بن رافع يقول ما عمل رجل حسنة في سبعة آيات الا أظهرها الله ، وما عمل رجل سيئة في سبعة آيات الا أظهرها الله وتصديق ذلك في كلام الله (والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها) هذا

مسكها ذهباً (فذبجوها وما كادوا يفعلون) من غلام ثمنها وقال محمد بن كعب : وما كادوا يجذبونها باجتماع أوصافها وقيل (وما كادوا يفعلون) من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها ، قوله عز وجل (واذا قتلتم نفسا) هذا أول القصة وإن كان مؤخرا في التلاوة وإسم القتل عاميل (فادارأتم فيها) أصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال وأدخلت الالف مثل قوله انا قتلتم . قال ابن عباس ومجاهد : معناه فاختلغتم وقال الربيع بن أنس : تدافعت أي يحجل بمضكم على بعض من الدرء وهو الدفع فكان كل واحد يدفع عن نفسه (والله مخرج) أي مظهر (ما كنتم تكتمون) فإن القاتل كان يكتم القتل قوله عز وجل (فقلنا اضربوه) بمعنى القتل (ببعضها) أي ببعض البقرة ، واختلفوا في ذلك البعض قال ابن عباس رضي الله عنه وأكثر المفسرين : ضربه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل . وقال مجاهد وسعيد بن جبير : بعجب الذنب لانه أول ما يخفق وآخر ما يبلى ، ويركب عليه الخلق ثانيا وهو البعث . وقال الضحاك : بإسائها وقال الحسين بن الفضل : هذا أدل بها لانه آلة الكلام وقال الكلبي وعكرمة : بفخذها الايمن وقيل : بمضو منها لا بعينه . ففعلوا ذلك فقام القتل حيا باذن الله تعالى وأوداجه أي عروق العنق تشخب دما وقال : قتلي فلان ثم سقط ومات مكانه فخرم قاتله الميراث . وفي الخبر « ماورث قاتل بعد صاحب البقرة » وفيه إضمار تقديره فضررت فخي (كذلك يحكي الله الموتى) كما أحيا عاميل (ويريك آياته لعلكم تعقلون) قيل تمنعون أنفسكم من المعاصي .

البعض أي شيء كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به وخرق العادة به كائن وقد كان مهينا في نفس الامر فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين او الدنيا لبينه الله تعالى لنا ولكنته أبهه ولم يجيء من طريق صحيح عن معصوم بيانه فنحن نبهه كما أبهه الله (١) ولهذا قل ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان أصحاب بقرة بني اسرائيل طابوها أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل في بقر له وكانت بقرة تعجبه قال فجعلوا يعطونه بها فيأبى حتى أعطوه ملء مسكها دنائير فذبحوها فضر به — يعني القتل — بعضو منها فقام تشجب أوداجه دما فقالوا له من قتلك قال قتلي فلان ، وكذا قال الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه ضرب ببعضها ، وفي رواية عن ابن عباس انه ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر قال قال أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة ضربوا القتل ببعض لحمها ، قال معمر قال قتادة ضرب به بلحم فخذها ففأش فقال قتلي فلان وقال وكيع بن الجراح في تفسيره حدثنا النضر بن عريبي عن عكرمة (قلنا اضر به ببعضها) فضر به فخذها فقام فقال قتلي فلان ، قال ابن أبي حاتم وروي عن مجاهد وقتادة وعكرمة نحو ذلك . وقال السدي فضر به بالبضعة التي بين الكفتين ففأش فسألوه فقال قتلي ابن أخي . وقال أبو العالية أمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظما من عظامها فيضربوا به القتل ففعلوا فرجع اليه روحه فسمي لهم قاتله ثم عاد ميتا كما كان ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : فضر به ببعض

(١) ياليتيه هو

وسائر المفسرين عملوا بهذا في كل مبهمات القرآن ، وإذا لاستغنى عن أكثر ما دونه في هذه القصة وأمثالها

أما حكم هذه المسئلة في الاسلام اذا وجد قاتل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على إنسان واللوث أن يغلب على القلب صدق المدعي بأن اجتمع جماعة في بيت أو صحراء فتفرقوا عن قاتل يغلب على القلب أن القاتل فيهم ، أو وجد قاتل في محلة أو قرية كلهم أعداء للقتل لا يخاطبهم غيرهم فيغلب على القلب أنهم قتلوه ، فادعى الولي على بعضهم — يحلف المدعي خمسين يمينا على من يدعي عليه ، وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم ، ثم بعد ما حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعي عليه إن ادعوا قتل خطأ ، وان ادعوا قتل عمد فن ماله ولا قود على قول الاكثرين وذهب بعضهم الى وجود القود ، وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحد ، وان لم يكن على المدعي عليه لوث قاله قول المدعي عليه مع يمينه ، ثم هل يحلف يميننا واحدة أم خمسين يميننا فيه قولان (أحدهما) يميننا واحدة كما في سائر الدعاوي (والثاني) يحلف خمسين يميننا تغليظا لامر الدم ، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه : لاحكم للوث ولا يبدأ بيمين المدعي وقال : اذا وجد قاتل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ما قتلوه ولا عرفوا له قاتلا ثم يأخذ الدية من سكنها . والدليل على إن البداية بيمين المدعي عند وجود اللوث ما أخبرنا عبد الوهاب ابن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم أنا الريس أنا الشافعي أنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار عن سهل بن

أراهما وقيل بلسانها وقيل بمعجب ذنبها ، وقوله تعالى (كذلك يحيي الله الموتى) أي فضربره فحيي ونبه تعالى على قدرته وأحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القنيل جعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد ، وفاصلا ما كان بينهم من الخصومة والعناد ، والله تعالى قد ذكر في هذه السورة مما خلقه من أحياء الموتى في خمسة مواضع (ثم بعثناكم من بعد موتكم) وهذه القصة وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وقصة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة ، ونبه تعالى بأحياء الأرض بعد موتها على إعادة الأجسام بعد صيورتها رميا كما قال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة أخبرني يعلى بن عطاء قال سمعت وكيع بن عديس يحدث عن أبي رزبن العقيلي رضي الله عنه ، قال قلت يارسول الله كيف يحيي الله الموتى ؟ قال « أما مررت بواد محجل ثم مررت به خضرا ؟ قال بلى : قال « كذلك النشور » أو قال « كذلك يحيي الله الموتى » وشاهد هذا قوله تعالى (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون » وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) (مسئلة) استدلل لمذهب الامام مالك في كون قول الجريح فلان قتلني لوثا بهذه القصة لان القنيل لما حيي سئل عن قتله فقال فلان قتلني فكان ذلك مقبولا منه لانه لا يخبر حينئذ الا بالحق ولا يتهم والحالة هذه ورجحوا ذلك لحديث أنس أن يهوديا قتل جارية على أوضاع لها فريض رأسها بين حجرين فقيل من فعل بك هذا أفلان أفلان حتى ذكروا اليهودي فأومأت برأسها فأخذ اليهودي فلم يزل به حتى اعترف فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرض رأسه بين حجرين ، وعند مالك اذا كان لوثا حلف أو اياه القنيل قسامة وخالف الجمهور في ذلك ولم يجعلوا قول القنيل في ذلك لوثا

أبي حشمة أن عبد الله بن سهل ومحبة بن مسعود خرجا الى خيبر فتفرقا لحاجتها فقتل عبد الله بن سهل فانطلق هو وعبد الرحمن أخو القنيل وحوبصة بن مسعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له قتل عبد الله بن سهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم أو قاتلكم » فقالوا يارسول الله لم نشهد ولم نحضر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قتلتمكم يهود بخمسين يمينا » فقالوا : يارسول الله كيف نقبل أيمان قوم ؟ كفار فغرم النبي صلى الله عليه وسلم عقله من عنده . وفي لفظ آخر فزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم عقله من عنده . قال بشير ابن يسار : قال سهل لقد ركضتني فريضة من تلك الفرائض في مربد لنا ، وفي رواية : لندركضتني ناقة حمراء من تلك الفرائض في مربد لنا . وجه الدليل من الخبر : أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بأيمان المدعين لتقوى جانبهم باللوث وهو أن عبد الله بن سهل وجد قتيلا في خيبر وكانت العداوة ظاهرة بين الانصار وأهل خيبر ، وكان يغلب على القلب أنهم قتلوه واليمين أبدا تكون حجة لمن يتقوى جانبه ، وعند عدم اللوث تقوى جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته وكان القول قوله مع يمينه ،

ابن عباس (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال مقام ابراهيم الحرم كله . وروى عن مجاهد وعطاء مثل ذلك . وقال أيضا أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جبر قال : سألت عطاء عن (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) فقال سمعت ابن عباس قال : أما مقام ابراهيم الذي ذكره هنا فمقام ابراهيم هذا الذي في المسجد . ثم قال ومقام ابراهيم (١) يعد كثير مقام ابراهيم الحج كله . ثم فسره لي عطاء فقال : التمر يرف وصلاتان بعرفة والمشعر (٢) ومنى ورمي الجمار والطواف بين الصفا والمروة ، فقلت أفسره ابن عباس ؟ قال لا . ولكن قل مقام ابراهيم الحج كله . قلت أسمعت ذلك لهذا أجمع ؟ قل نعم سمعته منه . وقال سفيان الثوري عن عبد الله بن مسلم عن شعيب بن جبير (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال الحجر مقام ابراهيم نبي الله قد جله الله رحمة فكان يقوم عليه ويناوله اساعيل الحجرارة ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه . وقال السدي : المقام الحجر الذي وضعته زوجة اسمعيل تحت قدم ابراهيم حتى غسلت رأسه . حكاه القرطبي وضعفه ورجحه غيره ، وحكاها الرازي في تفسيره عن الحسن البصري وقادة والريسم بن أنس . وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه سمع جابرا يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم . قال : لما طاف النبي صلى الله عليه وسلم قل له عمر هذا مقام أيننا ؟ قال نعم ، قال أفلا تتخذ مصلى ؟ فأنزل الله عز وجل (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال عثمان بن أبي شيبة أخبرنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال عمر قلت يا رسول الله هذا مقام خليل ربنا ؟ قال نعم . قال أفلا تتخذ مصلى ؟ فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال ابن مردويه أخبرنا دعلج بن أحمد أخبرنا غيلان بن عبد الصمد أخبرنا مسروق بن المربان أخبرنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب أنه مر بمقام ابراهيم فقال : يا رسول الله أليس تقوم بمقام خليل ربنا ؟ قال بلى ، قال أفلا تتخذ مصلى ؟ فلم يلبث الا يسيرا حتى نزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال ابن مردويه أخبرنا علي بن أحمد بن محمد القزويني أخبرنا علي بن الحسين حدثنا الجنيد أخبرنا هشام بن خالد أخبرنا الوليد عن مالك بن أنس عن جعفر بن محمد

(١) كذا في الاصل وسبب أمثال هذا التكرار الامانة في النقل بحكاية ما قيل بالقظه (٢) أي مزدلفة

في المسجد يصلي اليه الائمة ، وذلك الحجر الذي قام عليه ابراهيم عند بناء البيت ، وقيل : كان أثر أصابع رجله بينا فيه فاندس من كثرة المسح بالأيدي ، قال قتادة ومقاتل والسدي : أمروا بالصلاة عند مقام ابراهيم ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسدد عن يحيى بن حميد عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وافقت الله في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى ! فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله عز وجل آية الحجاب ، قال رب اغني

عن أبيه عن جابر قال : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عند مقام ابراهيم قال له عمر يا رسول الله هذا مقام ابراهيم الذي قال الله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال نعم : قال الوليد : قلت لمالك هكذا احدثك واتخذوا (١) قال نعم هكذا وقع في هذه الرواية وهو غريب وقد روى النسائي من حديث الوليد بن مسلم نحوه . وقال البخاري : باب قوله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) مثابة يشوبون يرجعون . حدثنا مسدد أخبرنا يحيى عن حميد عن أنس بن مالك . (١) كذا في الاصل

قل قال عمر بن الخطاب : وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث : قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب . قال وبلغني معاتبه النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه فدخلت عليهن فقلت ان انتهين أو ليبدلن الله رسوله خيرا منكن حتى أنت احدي نساءه قالت : يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظن أنت فأنزل الله (عسى ربه ان يهلكن ان يبده أزواجا خيرا منكن مسلمات) الآية وقال ابن أبي ريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني حميد قال سمعت أنسا عن عمر رضي الله عنهما هكذا ساقه البخاري ههنا وعلق الطريق الثانية عن شيخة سعيد بن الحسك المعروف بابن أبي مريم المصري وقد تفرد بالرواية عنه البخاري من بين أصحاب الكتب الستة . وروى عنه الباقر بن واسطة وغرضه من تعليق هذا الطريق ليبين فيه اتصال اسناد الحديث وإنما لم يسنده لأن يحيى بن أيوب الغافق فيه شيء . كما قال الامام أحمد فيه هو سيء الحفظ والله أعلم . وقال الامام أحمد حدثنا هشيم أخبرنا حميد عن أنس قال : قال عمر رضي الله عنه وافقت ربي عز وجل في ثلاث قلت : يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن ان يحتجبن فنزلت آية الحجاب . واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن (عسى ربه ان يهلكن ان يبده أزواجا خيرا منكن) فنزلت كذلك ، ثم رواه أحمد عن يحيى وابن أبي عدي كلاهما عن حميد عن أنس عن عمر أنه قال معاتبه النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه فدخلت عليهن فقلت لهن : إن انتهين أو ليبدلن الله خيرا منكن فأنزل الله تعالى (عسى ربه ان يهلكن ان يبده أزواجا خيرا منكن) الآية ورواه محمد بن اسماعيل أيضا عن عمرو بن عمرو أنا هشام عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال : قل عمر رضي الله عنه : وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) . وأما بدء قصة المقام فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أتى ابراهيم واسماعيل وهاجر وضعا بمكة وأنت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسماعيل منهم امرأة وماتت هاجر واستأذن ابراهيم سارة أن تأتي هاجر فأذنت له وشترطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم مكة وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامرأته

قلت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد

تريد ونصفه قوله ابن جرير: وقول جرير بن عطية

نال الخلالة أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر

قال ابن جرير يعني نال الخلالة وكانت له قدرا وقال آخرون أو ههنا بمعنى بل فتقديره (فهي كالبحارة بل أشد قسوة) وكقوله (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) (فكان قاب قوسين أو أدنى) وقال آخرون معني ذلك (فهي كالبحارة أو أشد قسوة عندكم) حكاه ابن جرير: وقال آخرون المراد بذلك الإبهام على المخاطب كما قال أبو الأسود

أحب محمدا حبا شديدا وعباسا وحزة والوصيا

فإن يك حبهم رشدا أصبه وليس بمخطيء أن كان غيا

قال ابن جرير قالوا ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكفا في أن حب من سمى رشد ولكه أبهم على من خاطبه قال وقد ذكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الآيات قيل له شككت فقال كلا والله ثم انتزع يقول الله تعالى (وإنا أوأياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) فقال أو كان شاكفا من أخبر بهذا من الهادي منهم ومن الضال؟ وقال بعضهم معني ذلك فقلوبكم لا تخرج عن أحد هذين المثلين إما أن تكون مثل البحارة في القسوة وإما أن تكون أشد منها في القسوة، قال ابن جرير

العولي أنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب النيسابوري أنا محمد بن اسماعيل الصائغ أنا يحيى بن أبي بكر أنا إبراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبيل أن أبعث وإني لأعرفه الآن» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شذبة عن يحيى بن أبي بكر. وصح عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع على أحد فقال «هذا جبل يحبنا ونحبه». وروي عن أبي هريرة يقول: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ثم أقبل على الناس بوجهه وقال «بينما رجل يسوق بقرة إذ عي فركبها فضر بها فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنا خلقنا لحراثة الأرض» فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فاني أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هانم» وقال «بينما رجل في غنم له إذ عدا الذئب على شاة منها فأدركها صاحبها فاستنقذها فقال الذئب: فمن لها يوم السبع؟ أي يوم القيامة، يوم لا راعي لها غيري» فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم! فقال «أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هانم». وصح عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم «إهدأ - أي اسكن - فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» صحيح أخرجه مسلم. أنا أحمد بن عبد الله الصالح أنا أبو سعيد يحيى بن أحمد بن علي الصانع أنا أبو الحسن علي بن اسحق بن هشام

ومعنى ذلك على هذا التأويل فبعضها كالحجارة قسوة وبعضها أشد قسوة من الحجارة وقد رجحه ابن جرير مع توجيه غيره (قلت) وهذا القول الأخير يبقى شبيها بقوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) مع قوله (أو كصيب من السماء) وكقوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) مع قوله (أو كظلمات في بحر لجي) الآية أي ان منهم من هو هكذا ومنهم من هو هكذا والله أعلم : وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن أيوب حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي الثلج حدثنا علي بن حفص حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن حاطب عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب وان أبعد الناس من الله القلب القاسي» رواه الترمذي في كتاب الزهد من جامعه عن محمد بن عبد الله بن أبي الثلج صاحب الامام أحمد به ومن وجه آخر عن إبراهيم بن عبد الله بن الحرث بن حاطب به ، وقال غريب لا نعرفه الا من حديث إبراهيم . وروي البزار عن أنس مرفوعا «اربع من الشقا جود الدين وقساوة القلب وامل والحرص على الدنيا» (٧٤) أفنطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه

من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (٧٥) واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى

الرازي أنا محمد أيوب بن ضريس وهو بجلي الرازي أنا محمد بن الصباح عن الوليد بن أبي ثور عن السدي عن عبادة بن أبي يزيد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في نواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . أنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة من سوارى المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية وحنت كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستنقها فسكتت قال مجاهد : لا ينزل حجر من الاعلى الى الاسفل الا من خشية الله ، ويشهد لما قلنا قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) — قوله عز وجل ﴿وما الله بغافل﴾ بساء ﴿عما تعملون﴾ وعيد وتهديد وقيل : بتارك عقوبة ما تعملون بل يجزيكم به ، قرأ ابن كثير يعملون بالياء والآخرين بالتاء قوله عز وجل ﴿أفنتطمعون﴾ أفترجون يريد محمدا وأصحابه ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ تصدقكم اليهود بما تحبسونهم به ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله﴾ يعني التوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ يغيرون ما فيها من الاحكام ﴿من بعد ما عقلوه﴾ علموه كما غيروا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم ﴿وهم يعلمون﴾

بعض قالوا أحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون (٧٦) أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون *

يقول تعالى (أفنتهم) أي المؤمنون (أن يؤمنوا لكم) أي يتفاد لكم بالطاعة هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود الذين شاهد آبرؤهم من الآيات البينات ما شاهدوه ثم قست قلوبهم من بعد ذلك (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) أي يتأولونه على غير تأويله (من بعد ما علقوه) أي فهموه على الجلية ومع هذا يحرفونه على بصيرة (وهم يعلمون) أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله وهذا المقام شبيه بقوله تعالى (فما نقضهم ميثقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولئن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) وليس قوله يسمعون التوراة كلهم قد سمعوا ولكن هم الذين سألوا موسى رؤية ربه فأخذتهم الصاعقة فيها . وقال محمد بن اسحق فيما حدثني بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى باموسى قد حيل بيننا وبين رؤية ربنا تعالى فأسمعنا كلامه حين يكلمك فطلب ذلك موسى إلى ربه تعالى فقال نعم مرهم فليطهروا وابطهروا ثيابهم وبصوموا ففعلوا ثم خرج بهم حتى أتوا الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى أن يسجدوا فرفقوا وسجدوا وكلمه ربه فسمعوا كلامه بأمرهم وبينهم حتى علقوا منه ما سمعوا ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل فلما جاءهم حرف فريق منهم ما أمرهم به وقالوا حين قال موسى لبني إسرائيل أن الله قد أمركم بكذا وكذا قل ذلك الفريق الذين ذكرهم الله أن قال كذا وكذا خلافا لما قال الله عز وجل لهم فهم الذين غنى الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وقال السدي (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) قال هي التوراة حرفوها . وهذا الذي ذكره السدي أعمر ما ذكره ابن عباس وابن اسحق وإن كان قد اختاره ابن جرير لظاهر السياق فإنه ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون منه كما سمعه الكلب موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله أي مباينا إليه ولهذا قال قتادة في قوله (ثم يحرفونه من بعد ما علقوه وهم يعلمون) قال هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما علقوه ووعده وقال مجاهد الذين أنهم كاذبون ، هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي وجاعة . وقال ابن عباس ومقاتل : نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه ، وذلك أنهم لما رجعوا بعد ما سمعوا كلام الله إلى قومهم رجع الناس إلى قلوبهم . وأما الصادقون منهم فأدوا كما سمعوا . وقالت طائفة منهم : سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا ، وإن شئتم فلا تفعلوا ، فهذا تحريفهم وهم يعلمون أنه الحق وقوله عز وجل ﴿ وإذا أقوا الذين آمنوا ﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة : يعني منافقي اليهود

يحرفونه والذين يكتتمونه هم العلماء منهم وقال ابو العالية عمدها الى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم يحرفونه عن مواضعه وقل السدي (وهم يعلمون) اي انهم أذنبوا وقال ابن وهب قال ابن زيد في قوله (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) قال التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا، اذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، واذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق، واذا جاءهم احد يسألهم شيئا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء امره بالحق، فقال الله لهم (اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون)

وقوله تعالى (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض) الاية قال محمد بن اسحق حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أي ان صاحبكم رسول الله ولكنه اليكم خاصة واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم فأنزل الله (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليهم ليحاجوكم به عند ربكم) أي تقرون بانه نبي. وقد علمتم انه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه وهو يخبرهم انه النبي الذي كنا ننتظر ونجد في كتابنا، اجحدوه ولا تقروا به. يقول الله تعالى (أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) وقال الضحاك عن ابن عباس: يعني المناققين من اليهود كانوا اذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا آمنا، وقال السدي: هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا. وكذا قال الربيع بن أنس وقتادة وغير واحد من السلف والخلف حتى قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فيما رواه ابن وهب عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لا يدخلن علينا قصبة المدينة الا مؤمن. فقال رؤسائهم من أهل الكفر والنفاق اذهبوا فقولوا آمنا واكفروا اذا رجعتم اليها فكانوا يأتون المدينة بالبكر ويرجعون اليهم بعد العصر. وقرأ قول الله تعالى (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) وكانوا يقولون اذا دخلوا المدينة نحن مسلمون ليعلموا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره. فاذا رجعوا رجعوا الى الكفر فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون، وكان المؤمنون يظنون أنهم

الذين آمنوا بالسنتهم اذا لقوا المؤمنين المخلصين ﴿ قالوا : آمنا ﴾ كما بانكم ﴿ واذا خلا ﴾ رجع بعضهم الى بعض ﴿ كعب بن الاشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا أو غيرهم من رؤساء اليهود لا موهم على ذلك ﴾ قالوا : اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ﴿ بما قص الله عليكم في كتابكم : أن محمدا حق وقوله صدق والفتح القاص . وقال الكسائي : بما بينه لكم من العلم بصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعنه وقال الواقدي : بما أنزل الله عليكم وأعطاكم ونظيره (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) أي أنزلنا . وقال أبو عبيدة : بما من الله عليكم وأعطاكم ﴿ ليحاجوكم به ﴾ ليخاصموكم به يعني أصحاب

مؤمنون فيقولون أليس قد قال الله لكم كذا وكذا . فيقولون بلى . فاذا وجه الى قومهم يعني الرؤساء فقالوا (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) الآية . وقال أبو العالية (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعني بما أنزل عليكم في كتابكم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم) قال كانوا يقولون سيكون نبي فخلا بعضهم ببعض (فقالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) - قول آخر في المراد بالفتح . قال ابن جريج : حدثني القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله تعالى (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) قال قام النبي صلى الله عليه وسلم يوم قرظة تحت حصونهم ، فقال يا إخوان القردة والخنازير وباعبد الطاغوت فقالوا من أخبر بهذا الأمر محمد؟ ما خرج هذا القول إلا منكم (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما حكم الله للفتح يكون لهم حجة عليكم . قال ابن جريج عن مجاهد هذا حين أرسل اليهم عليا فأذوا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال السدي (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم) هؤلاء من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يتحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به . فقال بعضهم لبعض (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) من العذاب ليقولوا نحن أحب الى الله منكم وأكرم على الله منكم وقال عطاء الخراساني (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعني بما قضى لكم وعليكم . وقال الحسن البصري : هؤلاء اليهود كانوا اذا لقوا الذين آمنوا واذا خلا بعضهم الى بعض قال بعضهم لا تحدثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم مما في كتابكم ليحاجوكم به عند ربكم فبخصموكم . وقوله تعالى (أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) قال أبو العالية : يعني ما أمروا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به وهم يجدونه مكتوباً عندهم وكذا قال قتادة ، وقال الحسن (أن الله يعلم ما يسرون) قال كان ما أسروا أنهم كانوا اذا تولوا عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وخلا بعضهم الى بعض تناهوا أن يخبر أحد منهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بما فتح الله عليهم مما في كتابهم خشية أن يحاجهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بما في كتابهم عند ربهم (وما يعلنون) يعني حين قالوا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آمنا . وكذا قال أبو العالية والربيع وقتادة

محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا بقولكم عليكم فيقولوا : قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك أنهم قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم : آمنوا به فانه حق ثم قال بعضهم لبعض : (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به) يعني لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم في الدنيا والآخرة وقيل : إنهم أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به على الجائزات فقال بعضهم لبعض : أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم أيروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله . وقال مجاهد : هو قول يهود قرظة قال بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم «يا إخوان القردة والخنازير» فقالوا : من أخبر محمد بهذا؟ ما خرج هذا إلا منكم ﴿أفلا تعلمون﴾ قوله عز وجل ﴿أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون﴾ يخفون ﴿وما يعلنون﴾ يدون

(٧٧) ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون (٧٨) فويل

للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون *

يقول تعالى (ومنهم أميون) أي ومن أهل الكتاب قاله مجاهد : والاميون جمع أمي وهو الرجل الذي لا يحسن الكتابة . قاله أبو العالية والربيع وقتادة وإبراهيم النخعي وغير واحد وهو ظاهر في قوله تعالى (لا يعلمون الكتاب) أي لا يدرون ما فيه . ولهذا في صفات النبي صلى الله عليه وسلم : أنه الامي لانه لم يكن يحسن الكتابة كما قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لارتاب المبطلون) وقال عليه الصلاة والسلام « انا امة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا » الحديث أي لا نفتقر في عبادتنا ومواقيتنا الى كتاب ولا حساب ، وقال تبارك وتعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم) وقال ابن جرير : نسبت العرب من لا يكتب ولا يخط من الرجال الى أمه في جهله بالكتاب دون أبيه . قال وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قول خلاف هذا وهو ما حدثنا به أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاک عن ابن عباس في قوله تعالى (ومنهم أميون) قال الاميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتابا أنزله الله فكتبوا كتابا بأيديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال هذا من عند الله ، وقال قد أخبر انهم يكتبون بأيديهم ثم سماهم أميين لجهودهم كتب الله ورسله ، ثم قال ابن جرير : وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم ، وذلك ان الامي عند العرب الذي لا يكتب . قلت ثم في صحة هذا عن ابن عباس بهذا الاسناد نظر والله أعلم . وقوله تعالى (الا أماني)

يعني اليهود وقوله تعالى (ومنهم أميون) أي من اليهود أميون لا يحسنون القراءة والكتابة جمع أمي منسوب الى الام كأنه باق على ما انفصل من الام لم يعلم كتابة ولا قراءة . وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « انا امة أمية » أي لا نكتب ولا نحسب وقيل : هو منسوب الى أم القرى وهي مكة (لا يعلمون الكتاب الا أماني) قرأ أبو جعفر أماني بتخفيف الياء كل القرآن حذف إحدى الياء بن تخفيفا ، وقراءة العامة بالتشديد وهو جمع الامية وهي التلاوة قال الله تعالى (الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أميته) أي في قراءته قال أبو عبيدة : الا تلاوة وقراءة عن ظهر القلب لا يقرؤه من كتاب . وقيل : يعلمونه حفظا وقراءة لا يعرفون معناه قال ابن عباس : يعني غير عارفين بمعاني الكتاب وقال مجاهد وقتادة : الا كذبا وباطلا قال الفراء (الا أماني) الاحاديث المتعقلة قال عثمان رضي الله عنه : ما تمنيت منذ أسلمت أي ما كذبت ، وأراد بها الاشياء التي كتبها علماءهم من عند أنفسهم ثم أضافوها الى الله من تغيير نعمت النبي صلى الله عليه وسلم وغيره وقال الحسن وأبو العالية : هي من التمني وهي أمانيهم الباطلة التي يتمنونها على الله عز وجل مثل قولهم (لن يدخل الجنة إلا من

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس الأمانى الأحاديث وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى (الأماني) يقول الأقولا يقولون بأفواههم كذبا. وقال سعيد عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الأماني) قال أناس من اليهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئا وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله ويقولون هو من الكتاب، أماني يتمنونها وعن الحسن البصري نحوه، وقال أبو العالية والربيع وقتادة الأماني يتمنون على الله ما ليس لهم، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الأماني قال تمنوا فقالوا نحن من أهل الكتاب وليسوا منهم، قال ابن جرير والاشبه بالصواب قول الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد إن المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى أنهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله الله تعالى علي موسى شيئا ولكنهم يتخرون الكذب يتخرون الباطل كذبا وزورا، والتمنى في هذا الموضوع هو تخلف الكذب وتخرفه، ومنه الخبر المروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ما تمنيت ولا تمنيت يعني ما تخرفت الباطل ولا اختلفت الكذب: وقيل المراد بقوله الأماني بالتشديد والتخفيف أيضا أي التلاوة فعلى هذا يكون استثناء منقطعا واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى (الا اذا تمنى - أي تلا - أتى الشيطان في أمنيته) الآية، وقال كعب بن مالك الشاعر:

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر

وقل آخر:

تمنى كتاب الله آخر ليلة تمنى داود الكتاب على رسل

وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن عباس (لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون) أي (ولا يدرون ما فيه وهم يجدون نبوتك بالظن) وقال مجاهد (وإن هم إلا يظنون) يكذبون وقال قتادة وأبو العالية والربيع: يظنون بالله الظنون بغير الحق. وقوله تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) ثم يقولون (هذا من عند الله ليشتروا به نفعا قليلا) الآية هؤلاء صنف آخر من اليهود وهم الدعاة إلى الضلال بالزور والكذب على الله وأكل أموال الناس بالباطل والويل الملاك والدمار وهي كلمة مشهورة في اللغة: وقال سفيان

كان هودا أو نصارى (وقولهم) لن نمسنا النار إلا أياما معدودة (وقولهم) نحن أبناء الله وأحباؤه فعلى هذا لا يكون «إلا» بمعنى «لكن» أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم (وإنهم) وما هم (إلا يظنون) يعني وما يظنون الاظنا وتوهمها لا يقيما قاله قتادة والربيع. قال مجاهد: يكذبون. قوله عز وجل (فويل) قال الزجاج: ويل كلمة تقولها العرب لكل واقع فيهلكة. وقيل: هودعاه الكفار على أنفسهم بالويل والثبور. وقال ابن عباس: شدة العذاب. وقال سعيد بن المسيب: ويل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت ولذابت من شدة حرها. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي

الثوري عن زياد بن فياض سمعت أبا عياض يقول: ويل صديد في أصل جهنم. وقال عطاء بن يسار: الويل واد في جهنم أو سمرت فيه الجبال المأمت. وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره» ورواه الترمذي عن عبد الرحمن بن حميد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج به وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة (قلت) لم ينفرد به ابن لهيعة كما ترى ولكن الآفة ممن بعده وهذا الحديث بهذا الاسناد مرفوعاً منكراً والله أعلم. وقال ابن جرير حدثنا المثني حدثنا إبراهيم بن عبد السلام حدثنا صالح القشيري حدثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة المدوي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) قال «الويل جبل في النار وهو الذي أنزل في اليهود لأنهم حرقوا التوراة زادوا فيها ما أحبوا ومحووا منها ما يكرهون ومحووا اسم محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة ولذلك غضب الله عليهم فرفع بعض التوراة فقال تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) وهذا غريب أيضاً جداً، وعن ابن عباس الويل المشقة من العذاب وقال الخليل بن أحمد الويل شدة الشر وقال سيويو به وويل لمن وقع في الهلكة وويل لمن أشرف عليها وقال الأصمعي الويل تفجع والويل ترحم وقال غيره الويل الحزن، وقال الخليل وفي معنى وويل ومع وويلش وويه وويلك وريب ومنهم من فرق بينهما، وقال بعض النحاة إنما جاز لا ابتداء بها وهي نكرة لأن فيها معنى الدعاء ومنهم من جوز نصبها بمعنى ألزمهم ويلاً (قلت) لكن لم يقرأ بذلك أحد، وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) قال هم أحبار اليهود وكذا قال سعيد عن قتادة هم اليهود وقال سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن علقمة سألت ابن عباس رضي الله عنه عن قوله تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) قل نزلت في المشركين وأهل الكتاب وقال السدي كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم يبيعونه من العرب ويحدثونهم أنه من عند الله فيأخذوا به ثمناً قليلاً وقال الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أنه قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتاب الله الذي أنزله على نبيه أحدث

أنا عبد الله بن محمود أنا أبو اسحق إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن رشيد بن سعد عن عمرو بن الحارث أنه حدث عن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره. والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوى فهو كذلك» ﴿الذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ﴿وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهاب ما كلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اليهود

أخبار الله تفرقونه غضا لم يشب وقد حدثكم الله تعالى أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ولا والله ما رأينا منهم أحدا قط سألهم عن الذي أنزل عليكم رواه البخاري من طرق عن الزهري ، وقال الحسن بن أبي الحسن البصري : الثمن القليل الدنيا بجذاذ غيرها . وقوله تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) أي فويل لهم مما كتبوا بأيديهم من الكذب والبهتان والافتراء وويل لهم مما أكلوا به من السحت كما قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (فويل لهم) يقول فالعذاب عليهم من الذي كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب وويل لهم مما يكسبون يقول مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم

(٧٩) وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة . قل آتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله

عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون

يقول تعالى أخبارا عن اليهود فيما نقلوه وادعوه لانفسهم من أنهم لم تمسهم النار إلا أياما معدودة ثم ينجون منها فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى (قل آتخذتم عند الله عهدا) أي بذلك فإن كان قد وقع عهد فهو لا يخلف عهده ولكن هذا ماجرى ولا كان ولهذا أتى بأمر التي بمعنى بل أي بل تقولون على الله مالا تعلمون من الكذب والافتراء عليه . قال محمد بن اسحق عن سيف بن سليمان عن مجاهد عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون أن هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوما في النار وإنما هي سبعة أيام معدودة فأنزل الله تعالى (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) إلى قوله (خالدون) ثم رواه عن محمد بن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس بنحوه ، وقال العوفي عن ابن عباس (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) اليهود قالوا لن تمسنا النار إلا أربعين ليلة زاد غيره وهي مدة عبادتهم العجل وحكاها القرطبي عن ابن عباس وقتادة ، وقال الضحاك قال ابن عباس زعمت اليهود أنهم وجدوا في التوراة مكتوبا أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة ، وكانت صفته فيها حسن الوجه ، حسن الشعر ، أكل العينين ، ربة القامة ، فنبهوها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط الشعر ، فإذا سألهم سفلتهم عن صفته قرؤا ما كتبوه فيجدونه مخالفا لصفته ويكذبونه قال الله تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم) يعني كتبوه بأنفسهم اختراعا من تغيير نعتهم صلى الله عليه وسلم (وويل لهم مما يكسبون) من المال كل ويقال : من المعاصي (وقالوا) يعني اليهود (لن تمسنا النار) لن نصيبنا النار (إلا أياما معدودة) قدرا مقدورا ثم يزول عنا العذاب ، واختلفوا في هذه الأيام فقال ابن عباس ومجاهد : كانت اليهود يقولون : مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما نعذب بكل ألف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام . وقال قتادة وعطاء : يعنون أربعين يوما التي عبد فيها آباؤهم العجل . وقال الحسن وأبو

ينتهوا الى شجرة الزقوم التي هي ثابتة في أصل الجحيم ، وقال أعداء الله انما نعذب حتى ننتهي الى شجرة الزقوم فنذهب جهنم وتهلك . فذلك قوله تعالى (وقالوا لن نمسنا النار الا أياما معدودة) وقال عبد الزقاق عن معمر عن قتادة (وقالوا لن نمسنا النار الا أياما معدودة) يعني الايام التي عبدنا فيها العجل ، وقال عكرمة خاصمت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن ندخل النار الا أربعين ليلة وسيخلفنا فيها قوم آخرون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رؤسهم « بل أنتم خالدون مخلصون لا يخلفكم فيها أحد » فأنزل الله عز وجل (وقالوا لن نمسنا النار الا أياما معدودة) الآية : وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن جعفر حدثنا محمد بن محمد بن صخر حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا ليث بن سعد حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجعلوا لي من كان من اليهود ههنا » فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أبوكم ؟ » قالوا فلان قال « كذبتم بل أبو فلان » فقالوا صدقت وبررت ثم قال لهم « هل أنتم صادقي عن شيء » ان سألتكم عنه ؟ قالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبتناك عرفت كذبنا كما عرفته في ايدينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أهل النار ؟ » فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (اخسؤا والله لا يخلفكم فيها أبدا) ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل أنتم صادقي عن شيء » ان سألتكم عنه ؟ قالوا نعم يا أبا القاسم قل « بل جعلتم في هذه الشاة سمًا » فقالوا نعم قال « فما حملكم على ذلك » فقالوا اردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك ورواه الامام احمد والبخاري والنسائي من حديث الليث ابن سعد بنحوه (٨٠) بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون

يقول تعالى ليس الامر كما تمنيت ولا كما تشتهون بل الامر أنه من عمل سيئة وأحاطت به خطيئته وهو من وافى يوم القيامة وليست له حسنة بل جميع أعماله سيئات فهذا من أهل النار (والذين آمنوا العالية : قالت اليهود : ان ربنا عتب علينا في أمرنا فأقسم الله ليعذبنا أربعين يوما ، فلن نمسنا النار الا أربعين يوما تحلة القسم فقال الله عز وجل تكذبا لهم ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ أنخذتم عند الله ﴾ الف استغفام دخلت على الف الوصل ﴿ عهدا ﴾ ؟ وثقا أن لا يعذبكم الا هذه المدة ﴿ فان يخلف الله عهده ﴾ وعده قال ابن مسعود : عهدا بالتوحيد بدل عليه قوله تعالى (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعني قول لا إله إلا الله ﴿ أم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟ ﴾ ثم قال ﴿ بلى ﴾ وبلى وبل حرفا استدراك ومعناها نفى الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل ﴿ من كسب سيئة ﴾ يعني الشرك ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾ قرأ أهل المدينة خطيئته بالجهم والاحاطة الاحداق بالشئ من جميع نواحيه

وعملوا الصالحات) أي آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من العمل الموافق للشريعة فهم من أهل الجنة وهذا المقام شبيه بقوله تعالى (ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوا يحزبه ولا يمد له من دون الله وليا ولا نصيرا) ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس (بلى من كسب سيئة) أي عمل مثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتي يحبط به كفره فماله من حسنة، وفي رواية عن ابن عباس قال الشرك، قال ابن أبي حاتم. وروي عن وائل وأبي العالية ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والربيع بن انس نحوه وقال الحسن أيضا والسدي السيئة الكبيرة من الكبائر. وقال ابن جريج عن مجاهد (واحاطت به خطيئته) قال بقله وقال ابو هريرة وابو وائل وعطاء والحسن (واحاطت به خطيئته) قالوا احاط به شركه. وقال الاعمش عن ابي رزين عن الربيع ابن خيثم (واحاطت به خطيئته) قال الذي يموت على خطاياها من قبل ان يتوب وعن السدي وابي رزين نحوه وقال ابو العالية ومجاهد والحسن في رواية عنهما وقتادة والربيع بن انس (واحاطت به خطيئته) الموجبة الكبيرة وكل هذه الاقوال متقاربة في المانى والله اعلم. ويذكر ههنا الحديث الذي رواه الامام احمد حيث قال حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمرو بن قتادة عن عبد ربه عن أبي عياض عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجمعن على الرجل حتي يهلكنه» وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهم مثلا كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة فخر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود حتي جمعوا سوادا وأججوا نارا فأناضجوا ما قذفوا فيها. وقال محمد بن اسحق حدثني محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أي من آمن بما كفرتم وعمل بما تركتم من دينه فاهم الجنة خالدون فيها يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقبم على أهلها أبدا لا انقطاع له

(٨١) واذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذوي القربى

قال ابن عباس والضحاك وابو العالية والربيع وجاعة: هي الشرك يموت عليه وقيل: السيئة الكبيرة والاحاطة به أن يصر عليها فيموت غير تائب قاله عكرمة والربيع بن خيثم. قال الواحدي رحمه الله في تفسيره الوسيط: المؤمنون لا يدخلون في حكم هذه الآية لان الله تعالى أوعد بالخلود في النار من أحاطت به خطيئته وتقدمت منه سيئة وهي الشرك، والمؤمن وان عمل الكبائر لم يوجد منه الشرك وقال مجاهد: هي الذنوب تحيط بالقلب كلها عمل ذنبا ارتفعت حتي يغشى القلب وهي الرين. قال الكلبي: أوبقته ذنوبه، دليله قوله تعالى (الا أن يحاط بكم) أي تهلكوا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴿ قوله تعالى

واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتهم الا قليلا

منكم وأنتم معرضون

بذكر تبارك وتعالى بنبي اسرائيل بما أمرهم به من الاوامر وأخذه ميثاقهم على ذلك وأنهم تولوا عن ذلك كله وأعرضوا قصدا وعمدا وهم يعرفونه ويذكرونه فأمرهم تعالى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وبهذا أمر جميع خلقه ولذلك خلقهم كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا انا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وهذا هو اعلى الحقوق واعظمها وهو حق الله تبارك وتعالى ان يعبد وحده لا شريك له ثم بعده حق المخلوقين وآكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين ولهذا يقرن تبارك وتعالى بين حقه وحق الوالدين كما قال تعالى (أن اشكر لي ولوالديك الى المصير) وقال تبارك وتعالى (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين إحسانا) الى ان قال (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) وفي الصحيحين عن ابن مسعود قلت يا رسول الله اى العمل افضل؟ قال « الصلاة على وقتها » قلت ثم أى؟ قال « بر الوالدين » قلت ثم اى؟ قال « الجهاد في سبيل الله » ولهذا جاء في الحديث الصحيح ان رجلا قال يا رسول الله من أبر؟ قال « أمك » قل ثم من؟ قال « أمك » قال ثم من؟ قال « أبك » ثم ادناك ثم ادناك « وقوله تعالى (لا تعبدون الا الله) قال الزمخشري خبر بمنى الطالب وهو آكد وقيل كان اصله (ان لا تعبدوا الا الله) كما قرأها من قرأها من السلف فخذت ان قارتفع وحكي عن ابى واين مسعود انها قرأها (لا تعبدوا الا الله) ونقل هذا التوجيه القرطبي في تفسيره عن سيدييه . قال واختاره الكسائي والفراء قال (واليتامى) وهم الصغار الذين لا كاب لهم من الآباء والمساكين الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم واهليهم وسبب الكلام على هذه الاضاف عند آية النساء التي امرنا الله تعالى بها صريحا في قوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) الآية وقوله تعالى (وقولوا للناس حسنا) اى كلموهم طيبا ولينوالهم جانبوا ويدخل في ذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف كما قال الحسن البصري في قوله تعالى (وقولوا للناس حسنا) فالحسن من القول بأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح ويقول للناس حسنا كما قال الله وهو كل خاق حسن رضيه الله

﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل في التوراة والميثاق العهد الشديد ﴾ لا تعبدون الا الله ﴿ قرأ ابن كثير وحمة والكسائي ﴾ لا يعبدون بالياء والآخرين بالتاء كقوله تعالى (وقولوا للناس حسنا) معناه أن لا تعبدوا فلما حذف أن صار الفعل مرفوعا ، وقرأ أبى بن كعب لا تعبدوا على النهي ﴿ وبالوالدين ﴾ أي وصيناكم بالوالدين ﴿ إحسانا ﴾ برأ بهما وعظما عليهما ونزولا عند أمرهما فيما لا يخلف أمر الله تعالى ﴿ وذى القربى ﴾ أي وبذي القرابة والقربى مصدر كالحسنى ﴿ واليتامى ﴾ جمع يتيم وهو الطفل الذي لا أب له ﴿ والمساكين ﴾ يعني الفقراء ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ صدقا وحقا في شأن

وقال الامام احمد : حدثنا روح حدثنا ابو عامر الخراز عن ابي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تحقرن من المعروف شيئا وإن لم تجد قاتل أخاك بوجه منطلق » وأخرجه مسلم في صحيحه والترمذي وصححه من حديث ابي عامر الخراز واسمه صالح بن رستم به وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسنا بعد ما أمرهم بالاحسان اليهم بالفعل فجمع بين طرفي الاحسان الفعلي والقولي ، ثم أكد الامر بمبادته والاحسان الى الناس بالمتعين من ذلك وهو الصلاة والزكاة فقال (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وأخبر انهم تولوا عن ذلك كله أي تركوه وراء ظهورهم وأعرضوا عنه على عمد بعد العلم به الا القليل منهم . وقد امر الله هذه الامة بنظير ذلك في سورة النساء بقوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) فقامت هذه الامة من ذلك بما لم تقم به امة من الامم قبلها والله الحمد والمنة . ومن النقول الغريبة ههنا ما ذكره ابن ابي حاتم في تفسيره : حدثنا ابي حدثنا محمد بن خلف العسقلاني حدثنا عبد الله بن يوسف يعني النيسبي حدثنا خالد بن صبيح عن حميد بن عتبة عن اسد بن وداعة انه كان يخرج من منزله فلا يلتقي يهوديا ولا نصرانيا الا سلم عليه فقبل له : ما شأنك تسلم على اليهودي والنصراني ؟ فقال : إن الله تعالى يقول (وقولوا للناس حسنا) وهو السلام . قال : وروي عن عطاء الخراساني نحوه (قلت) وقد ثبت في السنة انهم لا يبدؤن بالسلام والله اعلم

(٨٣) ولما أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون (٨٤) ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالانتم والعدوان ، وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم ، أقتولون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة محمد صلى الله عليه وسلم فن سألكم عنه فاصدقوه ويدينوا صفته ولا تكتبوا أمره ، هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وابن جريج ومقاتل . وقال سفيان الثوري : مروى بالمعروف وانهم عن المنكر . وقيل : هو الذين في القول والمعاشرة بحسن الخلق ، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتح الحاء والسين أي قولاً حسناً ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتكم ﴾ أعرضتم عن العهد والميثاق ﴿ إلا قليلا منكم ﴾ وذلك أن قوما منهم آمنوا ﴿ وأنتم معرضون ﴾ كاعراض آبائكم قوله عز وجل ﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون ﴾ أي لا تريقون ﴿ دماءكم ﴾ أي لا يسفككم بدم بعضكم بعضا وقيل : لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم ﴿ ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل : لا تسبوا جوار من جاوركم فتلجؤهم الى الخروج

الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون (٨٥) أولئك

الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون *

يقول الله تبارك وتعالى منكرًا على اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وما كانوا يعانونه من القتال مع الاوس والخزرج ، وذلك ن الاوس والخزرج وهم الانصار كانوا في الجاهلية عباد أصنام ، وكانت بينهم حروب كثيرة ، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج وبنو قريظة حلفاء الاوس ، فكانت الحرب اذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه فيقتل اليهودي أعداءه ، وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر ، وذلك حرام عليهم في دينهم ونص كتابهم ، ويخرجونهم من بيوتهم وينتهبون مافيها من الاثاث والامعة والاموال ثم اذا وضعت الحرب أوزارها استنفكوا الاسارى من الفريق المغلوب عملاً بحكم التوراة ، ولهذا قال تعالى (أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) (ولهذا قال تعالى (وإذ أخذنا ميثاقكم لانفسكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أي لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يخرجهم من منزلهم ولا يظهرهم عليه كما قال تعالى (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم) وذلك ان أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة كما قال عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر » وقوله تعالى (ثم أقررتم وأنتم تشهدون) أي ثم أقررتم بمعرفة هذا الميثاق وصحته وأنتم تشهدون به (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) الآية ، قال محمد بن اسحق بن يسار حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) الآية قال : أنبأهم الله بذلك من فعلهم وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم واقتراض عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الخزرج والنضير ، وقريظة وهم حلفاء الاوس ، فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع

بسوء جواركم (ثم أقررتم) بهذا العهد أنه حق وقبلتم (وأنتم تشهدون) اليوم على ذلك يا معشر اليهود وتعترفون بالقبول ، قوله عز وجل (ثم أنتم هؤلاء) يعني باهؤلاء وهؤلاء للتنبيه (تقتلون أنفسكم) أي يقتل بعضهم بعضاً (وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) بتظاهرون عليهم (بتشديد الظاء أي تتظاهرون ادغمت التاء في الظاء ، وقرأ عاصم وحزمة والكسائي بتخفيف الظاء فحذفوا تاء التفاعل وأبقوا تاء الخطاب كقوله تعالى (ولا تعادونا) معناها جميعاً تتعاونون والظهير العون (بالاثم والعدوان) بالمعصية والظلم (وإن يأتوكم أسارى) قرأ حمزة أسرى وهما جمع أسير ومعناها واحد (تفدوهم) بالمال وتنفذوهم وقرأ أهل المدينة وعاصم والكسائي ويعقوب (تفادوهم) أي تبادلوهم أراد مفاداة الاسير بالاسير . وقيل : معنى القراءتين واحد ومعنى الآية قال السدي : إن الله تعالى

مع الخرج وخرجت النضير وقرية مع الاوس، يظاهرون كل واحد من الفريقين حلفاء على اخوانه حتى تسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم ، والاوس والخرج أهل شرك يعبدون الاوثان ولا يعرفون حنة ولا نارا ولا بعثا ولا قيامة ولا كتابا ولا حلالا ولا حراما ، فاذا وضعت الحرب أوزارها اقتدوا أسراهم تصديقا لما في التوراة وأخذوا به بعضهم من بعض يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الاوس ، ويفتدي النضير وقرية ما كان في أيدي الخرج منهم ويطلبون ما أصابوا من دمائهم وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لاهل الشرك عليهم يقول الله تعالى ذكره حيث أنبأهم بذلك (أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) أي تفادونهم بحكم التوراة ، وتقتلونهم وفي حكم التوراة أن لا يقتل ولا يخرج من داره ولا يظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الاوثان من دونه ابتغاء عرض الدنيا ؟ ففي ذلك من فعلهم مع الاوس والخرج فيما بلغني نزلت هذه القصة . وقال أسباط عن السدي : كانت قرية حلفاء الاوس وكانت النضير حلفاء الخرج فكانوا يقتلون في حرب بينهم ، فتقاتل بنو قرية مع حلفائهم النضير وحلفاءهم ، وكانت النضير تقاتل قرية وحلفاءها ويغلبونهم فيخربون ديارهم ويخرجونهم منها ، فاذا أسر رجل من الفريقين كلاهما جمعوا له حتى يفسدوه فتعيرهم العرب بذلك ويقولون : كيف تقاتلونهم وتقدونهم ؟ قالوا : إنا أمرنا أن نفديهم وحرّم علينا قتالهم قالوا : فلم تقاتلونهم ؟ قالوا : إنا نستحي أن تستذل حلفاؤنا فذلك حين عيرهم الله تبارك وتعالى فقال تعالى (ثم أتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) الآية . وقال أسباط عن السدي : نزلت هذه الآية في قيس بن الخطيم (ثم أتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) الآية . وقال أسباط عن السدي عن عبد خير قال : غزونا مع سلمان بن ربيعة الباهلي بالنجرة فحاصرنا أهلها ففتحنا المدينة وأصبنا سبايا واشترى عبد الله بن سلام يهودية بسبع مائة فلما مر برأس الجالوت نزل به فقال له عبد الله : يا رأس الجالوت هل لك في عبوز ههنا من أهل دينك تشتريها مني قل : نعم قل : أخذتها بسبع مائة درهم قل : فاني أربحك سبع مائة أخرى قال : فاني قد حلفت أن لا أقصها من أربعة

أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ، ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، وأما عبد أو أمة وجندهم من بني إسرائيل فاشترى بمأقلم من عنده وأعتقه ، وكانت قرية حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخرج ، وكانوا يقتلون في حرب سنين (؟) فيقاتل بنو قرية مع حلفائهم وبنو النضير مع حلفائهم واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها ، واذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفسدوه وان كان الاسير من عدوهم ، فتعيرهم العرب ويقولون : كيف تقاتلونهم وتقدونهم قالوا : اننا أمرنا أن نفديهم فيقولون : فلم تقاتلونهم ؟ قالوا : إنا نستحي أن تستذل حلفاؤنا . فعيرهم الله تعالى فقال (ثم أتم هؤلاء تقتلون أنفسكم) وفي الآية تقديم وتأخير ونظمها (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) (ثم أتم هؤلاء تقتلون أنفسكم) (وهو محرم عليكم إخراجهم) وإن بأنوكم أسارى تفادوهم

آلاف قال : لا حاجة لي فيها قال : والله لتشتريها مني أو لتكفرن بديك الذي أنت عليه قال :
ادن مني فدنا منه فقرا في أذنه مما في التوراة : إنك لا تجد مملوكا من بني إسرائيل الا اشتريته فأعنته
(وإن أنوكم أسارى تغادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم) قال : أنت عبد الله بن سلام ؟ قل : نعم
قال : فجاء بأربعة آلاف فأخذ عبد الله الفين ورد عليه الفين . وقال آدم بن إياس في تفسيره : حدثنا
ابو جعفر يعني الرازي حدثنا الربيع بن أنس أخبرنا أبو العالية : ان عبد الله بن سلام مر على رأس
الجالوت بالكوفة وهو يغادى من النساء من لم يقع عليه العرب ولا يغادى من وقع عليه العرب ، فقال
عبد الله : أما انه مكتوب عندك في كتابك أن تغاديهن كلهن . والذي أرشدت اليه الآية الكريمة
وهذا السياق ذم اليهود في قيامهم بأمر التوراة التي يعتقدون صحتها ، ومخالفة شرعها مع معرفتهم بذلك
وشهادتهم له بالصحة فلهذا لا يؤمنون على ما فيها ولا على نقلها ولا يصدقون فيما كنموه من صفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونعمته ومبعثه ومخرجه ومهاجره وغير ذلك من شؤونه التي أخبرت بها لانبياؤه
قبله عليهم الصلاة والسلام ، واليهود عليهم لعائن الله يتكاثرون بينهم ولهذا قال تعالى (فما جزاء من
يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحياة الدنيا) أى بسبب مخالفتهم شرع الله وأمره (ويوم القيامة
يردون إلى أشد العذاب) جزاء على مخالفتهم كتاب الله الذى بأيديهم (وما الله بغافل عما تعملون)
أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة (واختاروها) فلا يخفف عنهم العذاب (أى لا يفتقر عنهم
ساعة واحدة) ولا هم ينصرون (أى وليس لهم ناصر ينقذهم مما هم فيه من العذاب الدائم
السرمدى ولا يحبرهم منه

(٨٦) ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول وآتينا عيسى بن مريم البينات

وأيدناه بروح القدس أفبكلماء جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا
كذبتم وفريقا تقتلون ؟

فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود : ترك القتال ، وترك الإخراج ، وترك المظاهرة عليهم مع
أعدائهم ، وفداء أمراءهم ، فأعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله تعالى ﴿ أفنتؤمنون ببعض الكتاب
وتكفرون ببعض ﴾ قال مجاهد : يقول ان وجدته في يد غيرك فديته وأنت تقتله بيدك ﴿ فما جزاء
من يفعل ذلك منكم ﴾ يامعشر اليهود ﴿ إلا خزى ﴾ عذاب وهوان ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ فكان خزى
بني قريظة النمل والسبي ، وخزي بني النضير الجلاء والنفي من منازلهم الى أذرعات وأريحا من الشام
﴿ ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾ وهو عذاب النار ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ قرأ ابن
كثير ونافع وأبو بكر بالياء والباقون بالتاء قوله عز وجل ﴿ أولئك الذين اشتروا ﴾ استبدلوا ﴿ الحياة
الدنيا بالآخرة فلا يخفف ﴾ يهون ﴿ عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾ لا ينعون من عذاب الله عز وجل
قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا ﴾ أعطينا ﴿ موسى الكتاب ﴾ التوراة جملة واحدة ﴿ وقفينا ﴾ وأتبعنا ﴿ من

ينعت تبارك وتعالى بني إسرائيل بالعنوة والعناد والمخالفة والاستكبار على الانبياء وأنهم إنما يتبعون أهواءهم فذكر تعالى أنه آتى موسى الكتاب وهو التوراة فحرفوها وبدلوها وخالفوا أوامرها وأولوها، وأرسل الرسل والنبیین من بعده الذين يحكون بشریته كما قال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبیون الذين أسلموا للذين هادوا والربانون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا علیه شهداء) الآية ولهذا قال تعالى (وقمينا من بعده بالرسل) قال السدي عن ابي مالك : أتبعنا . وقال غيره : اردفنا . والكل قريب كما قال تعالى (ثم أرسلنا رسلنا تبری) حتى ختم انبياء بني إسرائيل بعيسى بن مريم فجاء بمخالفة التوراة في بعض الاحكام ولهذا اعطاه الله من البينات وهي المعجزات . قال ابن عباس : من إحياء الموتى ، وخفة من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا باذن الله ، وإبراء الاسقام ، وإخباره بالغيوب ، وتأيمده بروح القدس وهو جبريل عليه السلام . ما يدهم على صدقه فيما جاءهم به ، فاشد تكذيب بني إسرائيل له وحسدهم وعنادهم لمخالفة التوراة في البعض كما قال تعالى إخبارا عن عيسى (ولاهل لكم بعض الذي حرم عليكم وجشتم بآية من ربكم) الآية فكانت بنو إسرائيل تعامل الانبياء أسوأ المعاملة ففريقا يكذبونه ، وفريقا يقتلونهم ، وما ذاك الا لانهم يأتونهم بالامور المخالفة لاهوائهم وآرائهم وبالالزام بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها ، فلهذا كان ذلك يشق عليهم فكذبوه وربما قتلوا بعضهم ، ولهذا قال تعالى (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)

والدليل على ان روح القدس هو جبريل كما نص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية وتابعه على ذلك ابن عباس ومحمد بن كعب واسماعيل بن خالد والسدي والريعي بن أنس وعطية العوفي وقتادة مع قوله تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) ماقل البخاري : وقال ابن أبي الزناد عن أبيه عن أبي هريرة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لسانه بنابت منبره في المسجد فكان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل رسول الله صلى الله عليه بعده بالرسل رسولاً بعد رسول ﴿ وآتينا عيسى ابن مريم البينات ﴾ الدلالات الواضحات وهي ما ذكر الله في سورة آل عمران والمائدة وقبل : أراد الانجيل ﴿ وأيدناه ﴾ قويناه ﴿ بروح القدس ﴾ قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال والآخرين بضمها وهما لغتان مثل الرعب والرعب . واختلفوا في روح القدس قال الربيع وغيره : أراد الروح الذي نفخ فيه ، والقدس هو الله إضافة الى نفسه تكريما وتخصيصا أي التي نفخت فيه نحو بيت الله وناقة الله كما قال (فنفخنا فيه من روحنا) (وروح منه) وقيل : أراد بالقدس الطهارة يعني الروح الطاهرة سبي روحه قدسا لانه لم تتضمنه أصلا بالفجور ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث إنما كان أمرا من أمر الله تعالى . قال قتادة والسدي والضحاك : روح القدس جبريل عليه السلام وقيل : وصف جبريل بالقدس أي بالطهارة لانه لم يقترب ذنبا . وقال الحسن : القدس هو الله وروحه جبريل قال الله تعالى (قل نزل به روح القدس من ربك بالحق)

وسلم «اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافع عن نبيك» فهذا من البخاري تعليقا وقدرناه أبو داود في سننه عن ابن سيرين والترمذي عن علي بن حجر وإسحاق بن موسى الفزاري ثلاثتهم عن أبي عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه وهشام بن عروة كلاهما عن عروة عن عائشة به قال الترمذي حسن صحيح وهو حديث أبي الزناد وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فالحظ اليه فقال قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ثم التفت إلى أبي هريرة فقال أنشدك الله أسعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أجب عني اللهم أيد بروح القدس» فقال اللهم نعم وفي بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان «اهجهم - أوهاجهم - وجبريل معك» وفي شعر حسان قوله :

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس به خفاء

وقال محمد بن إسحاق حدثني عبد الرحمن بن أبي حسين المديني عن شهر بن حوشب الأشعري أن نفرا من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أخبرنا عن الروح فقال «أنشدكم بالله وبأياته عند بني إسرائيل هل تعلمون أنه جبرائيل وهو الذي يأتيني؟» قالوا نعم : وفي صحيح ابن حبان عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فأتقوا الله وأجملوا في الطلب » أقوال أخر - قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس (وأيدناه بروح القدس) قال : هو الاسم الأعظم الذي كان عيسى يحجي به الموتى . وقال ابن جرير حدثنا عن المنجاب فذكره وقال ابن أبي حاتم وروى عن سعيد بن جبيرة نحو ذلك ونقله القرطبي عن عبيد بن عمير أيضا قال : وهو الاسم الأعظم . وقال ابن أبي نجيح : الروح هو حفظة على الملائكة وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس : القدس هو الرب تبارك وتعالى . وهو قول كعب وحمك القرطبي عن مجاهد والحسن البصري أنهما قالا : القدس هو الله تعالى وروحه جبريل . فعلى هذا يكون القول الأول ، وقال السدي : القدس البركة . وقال العوفي عن ابن عباس : القدس الطهر . وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الأعلى أن أبا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى وتأيد عيسى بجبريل عليهما السلام أنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به الله إلى السماء وقيل : سمي جبريل عليه السلام روحا للطافته ولمكانته من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب . وقال ابن عباس وسعيد بن جبيرة : روح القدس هو اسم الله تعالى الأعظم الذي كان يحجي به الموتى ويرى الناس العجائب وقيل : هو الإنجيل جعل له روحا كما جعل القرآن روحا لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه سبب حياة القلوب وقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) فلما سمعت اليهود ذكر عيسى عليه السلام قالوا : يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم علمت ، ولا كما يقص علينا من الأنبياء ففعلت ،

(وايدناه بروح القدس) قال: ايد الله عيسى بالانجيل روحا كما جعل القرآن روحا كلاهما روح من الله كما قال تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) ثم قال ابن جرير واولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال الروح في هذا الموضع جبرائيل فان الله تعالى اخبر انه ايد عيسى به كما اخبر في قوله تعالى (اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهذوم - لا واذ علمت الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) الآية فذكر انه ايده به فلو كان الروح اندي ايده به هو الانجيل لكان قوله (واذ ايدتك بروح القدس واذ علمت الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) تكرير قول لا معنى له والله سبحانه وتعالى اعز واجل ان يخاطب عباده بما لا يفيدهم به (قلت) ومن الدليل على انه جبرائيل ما تقدم من اول السياق والله الحمد، وقال الزمخشري (بروح القدس) بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال (وروح منه) فوصفه بالاختصاص والتقريب تكمة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قل في القرآن (روحا من امرنا) وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحجي الموتى بذكره فتضمن كلامه قولاً آخر وهو ان المراد روح عيسى نفسه المقدسة المطهرة وقال الزمخشري في قوله تعالى (ففرقوا كذبهم وفرقوا تقتلون) انما لم يقل وفرقوا قتلهم لانه اراد بذلك وصفهم في المستقبل ايضا لانهم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالسم والسحر وقد قال عليه السلام في مرض موته «ما زالت اكلة خبير تعاردي فهذا اوان انقطاع ابهرى» (قلت) وهذا الحديث في صحيح البخاري وغيره

(٨٧) وقالوا قلوبنا غلف بل اعنهم الله بكفرهم قليلا ما يؤمنون *

قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن ابي محمد عن عكرمة او سعيد عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا غلف) أي في أكنة: وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا غلف) أي لا تفقه وقال العوفي عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا غلف) هي القلوب المطبوع عليها وقال مجاهد (وقالوا قلوبنا غلف) عليها غشاوة وقال عكرمة: عليها طابع، وقال ابو العالية: أي لا تفقه، وقال السدي يقولون عليها غلاف وهو الغطاء: وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: فلا تعي ولا تفقه، قال فأتنا بما أتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى ﴿افكلما جاءكم﴾ يامعشر اليهود ﴿رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم﴾ تكبرتم وتعظمتم عن الايمان ﴿ففرقوا﴾ طائفة ﴿كذبتم﴾ مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ﴿وفرّقوا تقتلون﴾ أي قتلتم مثل زكريا ويحيى وشعيا وسائر من قتلوا من الانبياء عليهم السلام ﴿وقالوا﴾ يعني اليهود ﴿قلوبنا غلف﴾ جمع أغلف وهو الذي عليه غشاوة معناه عليها غشاوة فلا تسمع ولا تفقه ما يقال. قال مجاهد وكتادة: نظيره قوله تعالى (وقالوا قلوبنا غلف) في أكنة) وقرأ ابن عباس غلف بضم اللام وهي قراءة الاعرج وهي جمع غلاف أي قلوبنا أوعية لكل

مجاهد وقتادة : وقرأ ابن عباس غلف بضم اللام وهو جمع غلاف أي قلوبنا أوعية لكل علم فلا
نحتاج إلى علمك قاله ابن عباس وعطاء (بل لعنهم الله بكفرهم) أي طردهم الله وأبدهم من كل
خير (فقليل ما يؤمنون) قال قتادة معناه لا يؤمن منهم إلا القليل (وقالوا قلوبنا غلف) هو كقوله
(وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله غلف قل تقول
قلبي في غلاف فلا يخلص إليه مما تقول شيء وقرأ (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه) وهذا الذي
رجحه ابن جرير واستشهد بما روى من حديث عمرو بن مرة الجملي عن أبي البختري عن حذيفة
قال القلوب أربعة فذكر منها « وقلب أغلف مغضوب عليه وذلك قلب الكافر » وقال ابن أبي حاتم
حدثنا محمد بن عبد الرحمن العريزي أنبأنا أبي عن جدي عن قتادة عن الحسن في قوله (قلوبنا غلف)
قال لم نختن وهذا القول يرجع معناه إلى ما تقدم من عدم طهارة قلوبهم وانها بعيدة من الخير . قول
آخر - قال الضحاك عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا غلف) قال يقولون قلوبنا غلف مملوءة لا تحتاج إلى
علم محمد ولا غيره ، وقال عطية العوفي عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا غلف) أي أوعية للعلم وعلى هذا
المعنى جاءت قراءة بعض الأنصار فيها حكاه ابن جرير وقالوا قلوبنا غلف بضم اللام نقابها الزمخشري
أي جمع غلاف أي أوعية بمعنى أنهم ادعوا أن قلوبهم مملوءة بعلم لا يحتاجون معه إلى علم آخر كما
كانوا يفتنون بعلم التوراة ولهذا قال تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم فقليل ما يؤمنون) أي ليس الأمر كما
ادعوا بل قلوبهم مملوءة مطبوع عليها كما قال في سورة النساء (وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليه
بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) وقد اختلفوا في معنى قوله (فقليل ما يؤمنون) وقوله (فلا يؤمنون الا قليلا)
فقال بعضهم قليل من يؤمن منهم وقيل قليل إيمانهم بمعنى أنهم يؤمنون بما جاءهم به موسى من
أمر المعاد والثواب والعقاب ولكنه إيمان لا ينفعهم لأنه مغفور بما كفروا به من الذي جاءهم به
محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم إنما كانوا غير مؤمنين بشيء وإنما قال قليل ما يؤمنون وهم
بالجميع كفرون كما تقولون العرب قلما رأيت مثل هذا قط . تريد ما رأيت مثل هذا قط وقال الكسائي
تقول العرب من زنى بأرض قلما تنبت أي لا تنبت شيئا حكاه ابن جرير رحمه الله والله أعلم

(٨٨) ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على

علم فلا نحتاج إلى علمك قاله ابن عباس وعطاء . وقال الكلبي : معناه أوعية لكل علم فهي لا تسمع
حديثا الا وعته الا حديثك لا تملكه ولا تعيه ولو كان فيه خير اوعته وفهمته . قال الله عز وجل ﴿ بل
لعنهم الله ﴾ طردهم الله وأبدهم من كل خير ﴿ بكفرهم فقليل ما يؤمنون ﴾ قال قتادة : معناه لا يؤمن
منهم الا قليل لان من آمن من المشركين أكثر من آمن من اليهود أي فقليل ما يؤمنون ونصب قليل
على الحال وقال معمر : لا يؤمنون الا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره أي قليل يؤمنون ونصب
قليلاً برفع الخافض وما صلة على قولها . وقال الواقدي : معناه لا يؤمنون لا قليلا ولا كثيرا كقول
الرجل للآخر : ما أقل ما نفعل كذا أي لا تفعله أصلا ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله ﴾ يعني

الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين *

يقول تعالى ولما جاءهم يعني اليهود كتاب من عند الله وهو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم يعني من التوراة وقوله (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) أي وقد كانوا من قبل معجى هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم يقولون انه سيبعث نبي في آخر الزمان تقتلكم معه قتل عاد وإرم كما قال محمد بن اسحق عن عاصم بن عمرو عن قتادة الانصاري عن أشياخ منهم قال فينا والله وفيهم يعني في الانصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة يعني (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به) قالوا كنا قد علوناهم قهرا دهرنا في الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب وهم يقولون ان نبيا سيبعث الآن تنبئه قد أظلم زمانه فقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به، يقول الله تعالى (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) وقال يستنصرون يقولون نحن نعين محمدا عليهم وليسوا كذلك بل يكذبون، وقال محمد بن اسحق أخبرني محمد بن أبي محمد أخبرني عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس ان يهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله الله عليه وسلم قبل بعثته فلما بعث الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة يامعشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك ونخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير ماجأنا بشي نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم. فانزل الله في ذلك من قولهم (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم) الآية. وقال العوفي عن ابن عباس (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) يقول يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب، يعني بذلك أهل الكتاب، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ورأه من غيرهم كفروا به وحسدوه. وقال أبو العالية: كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي

القرآن ﴿مصدق﴾ موافق ﴿لما معهم﴾ يعني التوراة ﴿وكانوا﴾ يعني اليهود ﴿من قبل﴾ من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ﴿يستفتحون﴾ يستنصرون ﴿على الذين كفروا﴾ على مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقولون اذا حز بهم أمر ودهمهم عدو: اللهم انصرنا عليهم بالذي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون، وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد أظلم زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ﴿فلما جاءهم ماعرفوا﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من غير بني اسرائيل وعرفوا نعتهم وصفته ﴿كفروا به﴾ بغيا وحسدا ﴿فلعنة

العرب يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم . فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الله تعالى (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وقال قتادة (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) قال وكانوا يقولون أنه سيأتي نبي (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) وقال مجاهد (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) قالهم اليهود

(٨٩) بثما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله

على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللشكافرين عذاب مهين)

قال مجاهد (بثما اشتروا به أنفسهم) يهود شروا الحق بالباطل وكتمان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بان يبينوه ، وقال السدي (بثما اشتروا به أنفسهم) يقول باعوا به أنفسهم يقول بثما اعناضوا لانفسهم فرضوا به وعدلوا اليه من الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم عن تصديقه وموازيته ونصرتة وانما حملهم على ذلك البغي والحسد والكراهية (أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) ولا حسد أعظم من هذا ، قال ابن اسحق عن محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس (بثما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) أي ان الله جعله من غيرهم (فباؤا بغضب على غضب) قال ابن عباس في الغضب على الغضب فغضب عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم وغضب عليهم بكفرهم بهذا النبي الذي بعث الله اليهم (قالت) ومعنى (باؤا) استوجبوا واستحقوا واستقروا بغضب على غضب ، وقال أبو العالية : غضب الله عليهم بكفرهم بالانجيل وعيسى ثم غضب الله عليهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، وعن عكرمة وقاتة مثله قال السدي : أما الغضب الاول فهو حين غضب

الله على الكافرين بثما اشتروا به أنفسهم ﴿ بثس ونعم فعلا ماضيان وضما للمدح والدم لا يتصرفان تصرف الافعال معناه بثس الذي اختاروا لانفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق وقيل : الاشتراء ههنا بمعنى البيع والمعنى بثس ما باعوا به حظ أنفسهم أي اختاروا الكفر وبدلوا أنفسهم للنار ﴿ أن يكفروا بما أنزل الله ﴾ يعني القرآن ﴿ بغيا ﴾ أي حسدا وأصل البغي الفساد يقال بغى الجرح اذا فسد والبغي الظلم وأصله الطلب والباغي طالب الظلم ، والحاسد يظلم المحسود جهده طلبا لازالة نعمة الله تعالى عنه ﴿ أن ينزل الله من فضله ﴾ أي النبوة والكتاب ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم قرأ أهل مكة والبصرة ينزل وبابه بالتحفيف (الا في سبحان الذي) في موضعهين (ونزل من القرآن) (حتى نازل علينا كتابا نقرؤه) فان ابن كثير يشدهما وشدد البصريون في الانعام (على أن ينزل آية) زاد يعقوب تشديد (بما ينزل) في النحل ووافق حمزة والكسائي في تخفيف (وينزل الغيث)

عليهم في العجل وأما الثاني فغضب عليهم حين كفروا بحمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس مثله « وقوله تعالى (وللكافرين عذاب مهين) لما كان كفرهم سببه البغي والحسد ومنشأ ذلك التكبر قوبلوا بالاهانة والصغار في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين حقيرين ذليلين راغبين وقد قال الامام أحمد حدثنا يحيى حدثنا ابن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلمهم كل شيء » من الصغار حتى يدخلوا سبعنا في جهنم يقال له بولس تعلمهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار »

(٩٠) وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين (٩١) ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون *

يقول تعالى (واذ قيل لهم) أي لليهود وأمثالهم من أهل الكتاب (آمنوا بما أنزل الله) على محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه واتبعوه (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) أي يكفينا الايمان بما أنزل علينا من التوراة والانجيل ولا نقر الا بذلك (ويكفرون بما وراءه) يعني بما يدره (وهو الحق مصدقا لما معهم) أي وهم يعلمون ان ما أنزل علي محمد صلى الله عليه وسلم (الحق مصدقا لما معهم) منصوبا على الحال أي في حال تصديقه لما معهم من التوراة والانجيل ، فالحجة قائمة عليهم بذلك كما قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) ثم قل تعالى (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) أي ان كنتم صادقين في دعواكم الايمان بما أنزل اليكم فلم تقتلتم الانبياء الذين جاؤكم بتصديق التوراة التي بأيديكم والحكم بها وعدم نسخها وأنتم تعلمون صدقهم ؟ قلتم وهم بغيا وعنادا واستكبارا على رسل الله فلستم تتبعون الا مجرد الأهواء والآراء والتشهي كما قال تعالى (أوكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) وقال السدي في هذه الآية يعبرهم الله تبارك وتعالى (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) وقال أبو

في سورة لقمان وحمسق ، والآخرين يشددون الكل ، ولم يحنثوا في تشديد (وما نزل إلا بقدر) في الجبر ﴿ فباؤا ﴾ رجموا ﴿ بغضب على غضب ﴾ أي مع غضب . قال ابن عباس ومجاهد: الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلهم ، والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن . وقال قتادة : الاول بكفرهم بعيسى والانجيل ، والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن . وقال السدي : الاول بعبادة العجل والثاني بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وللكافرين ﴾ الجاحدين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم ﴿ عذاب مهين ﴾ مخز يهانون فيه « قوله عز وجل ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ﴾ يعني القرآن ﴿ قالوا نؤمن بما أنزل علينا ﴾ يعني التوراة يكفينا ذلك ﴾ ويكفرون

جعفر بن جرير قل يا محمد ليهود بني اسرائيل اذا قلت لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا ومن بما أنزل علينا : لم تقتلون - ان كنتم مؤمنين بما أنزل الله - أنبياء الله يأمرون بالهدى والنهي وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتالهم بل أمركم باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم وذلك من الله تكذيب لهم في قولهم نؤمن بما أنزل علينا وتغيير لهم (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أى بالآيات الواضحات والدلائل القاطعات على انه رسول الله وانه لا إله الا الله والآيات البينات هي الطرقات والجراد والفعل والضفادع والدم والعصا واليد وفرق البحر وتظليلهم بالغمام والمن والسلوى والحجر وغير ذلك من الآيات التي شاهدوها ثم اتخذتم العجل أى معبودا من دون الله في زمان موسى وأيامه ، وقوله من بعده أى من بعد ما ذهب عنكم الى الطور لمناجاة الله عز وجل كما قال تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار) (وأنتم ظالمون) أى وأنتم ظالمون في هذا الصنيع الذي صنعتوه من عبادتكم العجل وأنتم تعلمون انه لا إله الا الله كما قال تعالى (ولما سقط في أيديهم وروا انهم قد ضلوا قالوا لنن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لكونن من الخاسرين)

(٩٢) واخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا . وأشرىوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم ان كنتم مؤمنين *

يعدد سبحانه وتعالى عليهم خطأهم ومخالفتهم الميثاق وعصيتهم وأعراضهم عنه حتى رفع الطور عليهم حتى قبلوه ثم خالفوه (ولهذا قالوا سمعنا وعصينا) وقد تقدم تفسير ذلك (وأشرىوا في قلوبهم العجل بكفرهم) قال عبد الرزاق عن قتادة (وأشرىوا في قلوبهم العجل بكفرهم) قال اشرىوا حبه حتى خلص ذلك الى قلوبهم وكذا قال أبو العالبة والريعي بن أنس وقال الامام احمد حدثنا عصام ابن خالد حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم القسائي عن خالد بن محمد الثقفي عن ملال بن أبي الرداء عن أبي الرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال « حبك الشيء يعني ويصم » ورواه أبو داود عن حيوة بن شريح عن بقية عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم به ، وقال السدي أخذ موسى بما وراه (أى بما سواه من الكتب كقوله عز وجل (فمن ابغى وراء ذلك) أى سواه وقال أبو عبيدة : بما بعده (وهو الحق) يعني القرآن (مصدقا) نصب على الحال (لما معهم) من التوراة (قل) لهم يا محمد (فلم تقتلون) أى قتلتم (أنبياء الله من قبل) ولم أصله لما خذفت الالف فرقا بين الخبر والاستفهام كقولهم فيهم وبهم (إن كنتم مؤمنين) بالتوراة وقد نهيتهم فيها عن قتل الانبياء عليهم السلام (قوله عز وجل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) بالدلائل الواضحة والمعجزات الباهرة (ثم اتخذتم العجل من بعده) أي من بعد انطلاقه الى الجبل (وأنتم ظالمون) واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا (أي استجبوا وأطيعوا سميت الطاعة والاجابة سمعا على المجاز لانه سبب للطاعة والاجابة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك وقيل : سمعنا

عليه السلام العجل فذبجه بالمبرد ثم ذراه في البحر ثم لم يبق بحر يجري يومئذ الا وقع فيه شيء ثم قال لهم موسى اشربوا منه فشرّبوا فمن كان يحبّه خرج على شاربيه الذهب فذلك حين يقول الله تعالى (وأشرّبوا في قلوبهم العجل) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عمارة بن عمير وأبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال قال عمدة موسى الى العجل فوضع عليه المبرد فبرده بها وهو على شاطئ نهر فما شرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل الا اصفر وجهه مثل الذهب ، وقال سعيد بن جبير (وأشرّبوا في قلوبهم العجل) قال لما أحرق العجل برد ثم نسف فحسوا الماء حتى عادت وجوههم كالزعفران ، وحكى القرطبي عن كتاب القشيري انه ما شرب أحد (منه) ممن عبد العجل الا جن ثم قال القرطبي وهذا شيء غير ما ههنا لان المقصود من هذا السياق انه ظهر على شفاههم ووجوههم والمذكور ههنا انهم أشرّبوا في قلوبهم العجل يعني في حال عبادتهم له ثم أنشد قول النابغة في زوجته عثمة

تغلغل حب عثمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور

أكاد اذا ذكرت العهد منها أطير لوان انسانا يطير

وقوله (قل بئسما يأمركم به إيمانكم ان كنتم مؤمنين) أي بئسما تعتمدونه في قديم الدهر وحديثه من كفركم بآيات الله ومخالفتم الانبياء ثم اعتمادكم في كفركم بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا أكبر ذنوبكم وأشد الامور عليكم اذ كفرتم بخاتم الرسل وسيد الانبياء والمرسلين المبعوث الى الناس أجمعين فكيف تدعون لانفسكم الايمان وقد فعلتم هذه الافاعيل القبيحة من نفضكم المواثيق وكفركم بآيات الله وعبادتكم العجل من دون الله

(٩٣) قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت

ان كنتم صادقين (٩٤) ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين (٩٥) ولتجدنهم

بالاذن وعصينا بالقلوب . قال أهل المعاني : إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه بالعصيان نسب ذلك الى القول اناسا ﴿ وأشرّبوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ أي حب العجل أي معناه أدخل في قلوبهم حب العجل وخالفها كاشرب اللون لشدة الملازمة يقال فلان أشرب اللون اذا اختلط بياضه بالحرة . وفي القصص : إن موسى أمر أن يبرد العجل بالمبرد ثم يذروه في النهر وأمرهم بالشرب منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربيه . قوله عز وجل ﴿ قل بئسما يأمركم به إيمانكم ﴾ أن تعبدوا العجل من دون الله أي بئس إيمان يأمر بعبادة العجل ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ بزعمكم وذلك انهم قالوا (نؤمن بما أنزل علينا) فكذبهم الله عز وجل . قوله تعالى ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله ﴾ وذلك إن اليهود ادعوا دعاوي باطلة مثل قولهم : لن

أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر، والله بصير بما يعملون.

قال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنه يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب، فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وإن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) أي يعلمهم بما عندهم من العلم بل والكفر بذلك ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودى إلا مات. وقال الضحاك عن ابن عباس فتمنوا الموت. فسلوا الموت وقال عبد الرزاق عن معمر بن عبد الكريم الجزري عن عكرمة قوله: فتمنوا الموت إن كنتم صادقين. قال قال ابن عباس لو تمنى يهود الموت لما تواروا. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا عطاء سمعت الأعمش قال لا أظنه إلا عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريق، وهذه أسانيد صحيحة لى ابن عباس، وقال ابن جرير في تفسيره وبلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن اليهود تمنوا الموت لما تواروا أو ما قاعدتهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا، حدثنا بذلك أبو كرييب حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الامام أحمد عن اسمعيل ابن يزيد الرقي حدثنا فرات عن عبد الكريم به، وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن بشار حدثنا سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن بن علي بن فضال قال: ما كانوا يتمنوه بما قدمت أيديهم. قلت أرأيتك لو أنهم أحبوا الموت حين قيل لهم تمنوا الموت أترأهم كانوا ميتين قال: لا والله ما كانوا لميموتوا ولو تمنوا الموت وما كانوا ليتمنوه وقد قال الله ما سمعت (وإن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) وهذا غريب عن الحسن، ثم هذا الذي فسر به ابن عباس الآية هو المتعين وهو الدعاء على أي الفريقين أكذب منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة، ونقله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى، ونظير هذه الآية تمسنا النار إلا أياما معدودة وإن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه. فكذبهم الله عز وجل وألزمهم الحججة فقل قل لهم يا محمد «إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله» يعني الجنة «خالصة» أي خاصة «من دون الناس فتمنوا الموت» أي فأريدوه أو اسألوه لأن من علم أن الجنة مأواه حن إليها ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني «إن كنتم صادقين» في قولكم وقيل: فتمنوا الموت - أي ادعوا بالموت على الفرقة الكاذبة. وروي عن ابن عباس: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لو تمنوا الموت لغص كل إنسان منهم بريقه

بما عليه (أ)
والله أعلم
بما عليه
والله أعلم
بما عليه

قوله تعالى في سورة الجمعة (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فهم عليهم لعائن الله تعالى لما زعموا انهم أبناء الله وأحباؤه وقالوا ان يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ذهبوا الى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم أو من المسلمين ، فلما ذكروا عن ذلك علم كل أحد انهم ظالمون لانهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك ، فلما تأخروا علم كذبهم وهذا كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران من النصارى بعد قيام الحججة عليهم في المناظرة وعتوهم وعنادهم الى المباهلة ، فقال الله تعالى (فن حاجك فيه من بعد ما جارك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم وأسائنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فلما رأوا ذلك قال بعض القوم لبعض والله لئن باهلتهم هذا النبي لا يبقى منكم دين تطرف ، فعند ذلك جنحوا للسلم وبنلوا الجزية عن يدهم صاغرون فضر بها عليهم وبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح أمينا ، ومثل هذا المعنى أو قريب منه قول الله تعالى لنبيه ان يقول للمشركين (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) أي من كان في الضلالة منا ومنكم فزاده الله بما هو فيه ومد له واستدرجه كما سيأتي تقريره في موضعه ان شاء الله تعالى .

وأما من فسر الآية على معنى (ان كنتم صادقين) أي في دعواكم فتمنوا الآن الموت ولم يتعرض هؤلاء المباهلة كما قرره طائفة من المتكلمين وغيرهم ، وهل اليه ابن جرير بعد ما قارب القول الاول : فانه قال القول في تأويل قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) الآية فهذه الآية مما احتج الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم على اليهود الذين كانوا بين ظهرانيه مهاجرة وفضح بها أحبارهم وعلماءهم وذلك أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم الى قضية عادلة فيما كان بينه وبينهم من الخلاف كما أمره أن يدعو الفريق الآخر من النصارى اذا خالفوه في عيسى بن مريم عليه السلام وجادلوه فيه الى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة ، فقال لفرق اليهود ان كنتم محققين فتمنوا الموت فان ذلك غير ضاركم ان كنتم محققين فيما تدعون من الابطال وقرب المنة من الله لكم لكي يعطيكم (١) أمانيكم من الموت اذا تمنيتم فانما تصيرون الى الراحة من تمب الدنيا ونصيبها وكدر عيشها والفوز بجوار الله في جناته ان كان الامر كما تزعمون من ان الدار وما بقى على وجه الارض يهودي إلا مات « قال الله تعالى ﴿ ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ﴾ لعلمهم انهم في دعواهم كاذبون وأراد (بما قدمت أيديهم) ما قدموه من الاعمال وأضاف العمل الى اليد لان أكثر جنائيات الانسان تكون باليد فاضيف الى اليد أعماله وان لم يكن لليد فيها عمل ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ ولنجدنهم ﴿ اللام لام القسم والنون تأكيد للقسم تقديره والله لنجدنهم يا محمد يعني اليهود ﴾ أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ﴿ قيل : هو متصل بالاول أي وأحرص من

(١) قوله لكم لكي يعطيكم الخ عبارة ابن جرير في تفسيره المطبوع : بل ان أعطيتكم الخ

الآخرة لكم خالصة دوننا وإن لم تعطوها علم الناس انكم المبطلون ونحن المحقون في دعوانا وانكشف أمرنا وأمركم لهم فامتنت اليهود من الاجابة الى ذلك لعلمها ، أنها ان تمت الموت هلكت فذهبت دنياها وصارت الى خزي الابد في آخرتها كما امتنع فريق النصارى الذين جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى اذ دعوا للمباهلة من المباهلة (١)

(١) قوله الذين

جادلوا النبي الخ من كلام ابن جرير وكان ساقطا من النسخة المطبوعة كما سقط قوله ألفاظ أخرى بحيث كان المنقول غير مفهوم حتى وضع له مصححه حاشية طلب فيها أن يحرر الكلام لأن تفسير ابن جرير لم يكن لديه ونحن نحسن العبارة على أصلها منه

فهذا الكلام منه اوله حسن وآخره فيه نظر ، وذلك انه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل إذ يقال انه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم أنهم يتمنون الموت فانه لا ملازمة بين وجود الصلاح ونفي الموت وكما من صالح لا يتمنى الموت بل يود أن يعمر ليزداد خيرا وترتفع درجته في الجنة كما جاء في الحديث « خيركم من طال عمره وحسن عمله » ولهم مع ذلك ان يقولوا على هذا فما أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت ، فكيف نلزمونا بما لا يلزمكم ؟ وهذا كله انما نشاء من تفسير الآية على هذا المعنى ، فلما على تفسير ابن عباس فلا يلزم عليه شيء من ذلك بل قيل لهم كلام نصف ان كنتم تعتقدون أنكم أولاء الله من دون الناس وأنكم أبناء الله وأحباءه وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار فجاهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم ، واعلموا ان المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة ، فلما ثبوت ذلك وعرفوا صدقه نكأوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم واقترانهم وكنانهم الحق من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ونعته وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويتحققونه ، فعلم كل أحد باطامهم وخزهم وضلالهم وعنادهم عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة . وسميت هذه المباهلة تمنيا لان كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له ولا سيما اذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره وكانت المباهلة بالموت لان الحياة عندهم عزيمة عظيمة لما يعلمون من سوء ما لهم بعد الموت ، ولهذا قال تعالى (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) ولنجدهم أحرص الناس على حياة (أي على طول العمر لما يعلمون من ما لهم السيئ) وعاقبتهم عند الله الخاسرة لان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم وما يحاذرون منه واقع بهم لا محالة حتى وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم وهذا من باب عطف الخاص على العام قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ومن الذين أشركوا) قال لا عاصم ، وكذا رواه الحاكم الذين أشركوا وقيل : تم الكلام بقوله (على حياة) ثم ابتدأ (من الذين أشركوا) وأراد بالذين أشركوا المجوس . قال أبو المصنف والاربيع : سموا مشركين لانهم يقولون بالنور والظلمة (يود) يريد ويتمنى (أحدهم أو يعمر ألف سنة) يعني تعمير ألف سنة وهي تحية المجوس فيما بينهم يقولون عش الف سنة وكل الف نيروز ومهرجان يقول الله تعالى اليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك (وما هو بمنزلة حبه) مباعده (من العذاب) من النار (أن يعمر) أي طول عمره لا يبعده

في مستدرکه من حديث الثوري وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه . قال وقد اتفقا على سند تفسير الصحابي، وقال الحسن البصري ولنجدنهم أحرص الناس على حياة . قال المذاق أحرص الناس وأحرص من المشرك على حياة يود أحدهم أي يود أحد اليهود كما يدل عليه نظم السياق ، وقال أبو العالية يود أحدهم أي أحد المجوس وهو يرجع إلى الأول لو يعمر ألف سنة . قال الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) قال هو كقول الفارسي «ده هزار سال» يقول عشرة آلاف سنة . وكذا روي عن سعيد بن جبير نفسه أيضا ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق سمعت أبي عليا يقول حدثنا أبو حمزة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) قال هو قول الأعاجم هزار سال نوروز مهرجان (١) وقال مجاهد (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) قال : حبت إليهم الخطيئة طول العمر . وقال مجاهد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) أي وما هو بمنجيته من العذاب ، وذلك أن المشرك لا يرجو بعثا بعد الموت فهو يحب طول الحياة وأن اليهودي قد عرف ماله في الآخرة من الحزى ما ضيع ما عنده من العلم وقال العوفي عن ابن عباس (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) قال هذا الذين عادوا جبرائيل ، قال أبو العالية وابن عمر فما ذاك بمنجيته من العذاب ولا منجيته منه . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذه الآية يهود أحرص على الحياة من هؤلاء وقد ود هؤلاء لو يعمر أحدهم ألف سنة وليس ذلك بمزحزحه من العذاب، لو عمر كما عمر إبليس لم ينفعه إذ كان كافرا ، (والله بصير بما يعملون) أي خبير بصير بما يعمل عباده من خير وشر وسيجازي كل عامل بعمله

(١) نص تفسير ابن جرير : سال زه نوروز مهرجان حر

(٩٥) قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بأذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى

وبشرى للمؤمنين (٩٦) من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين قال الامام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله أجمع أهل العلم بالتأويل جميعا أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني اسرائيل اذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك فقال بعضهم إنما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر نبوته (ذكر من قال ذلك) حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قال حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأولعما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة وما أخذتم مقوب على من العذاب وزحزح لازم ومتعد يقال زحزحته فتزحزح وزحزحته فزحزح ﴿والله بصير بما يعملون﴾ قرأ يعقوب بالتاء والباقون بالياء ه قوله عز وجل ﴿قل من كان عدوا لجبريل﴾ قل ابن عباس رضي الله عنهما : إن جبرا من أحبار اليهود يقال له عبد الله بن صور يا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أي

بنيه لئن أنا حدثتكم عن شيء فعرفتموه لئن بعثني على الاسلام فقالوا ذلك لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سلوا عما شئتم» قالوا أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن، أخبرنا أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل وكيف يكون الذكر منه والانثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الامي في التوراة ومن وليه من الملائكة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم «عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعنني؟» فأعطوه ماشاء الله عن عهد وميثاق فقال «نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من مرضه ليجرم من أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحوم الابل وأحب الشراب اليه ألبانها» فقالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم أشهد عليهم (١) وأنشدكم بالله الذي لا إله الا هو اذني أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان ماء الرجل غليظ أبيض وان ماء المرأة رقيق أصفر فايهما علا كان له الولد والشبه باذن الله عز وجل واذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرا باذن الله واذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى باذن الله عز وجل» قالوا اللهم نعم «قال اللهم أشهد وأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان هذا النبي الامي تنام عيناه ولا ينام قلبه» قالوا اللهم نعم قل «اللهم أشهد» قالوا أنت الان فخذنا من وليك من الملائكة فعندها نجتمعك أو نفارقك قال «فان ولي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه» قالوا فعندها نفارقك ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعتك وصدقناك قال فما يمنعكم ان تصدقوه؟ قالوا انه عدونا فأنزل الله عز وجل (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه - الى قوله - لو كانوا يعلمون) فعندها باؤا بغضب على غضب (٢) وقد رواه الامام احمد في مسنده عن أبي النضر هاشم بن القاسم وعبد الرحمن بن حميد في تفسيره عن احمد بن يونس كلاهما عن عبد الحميد بن بهرام به، ورواه احمد أيضا عن الحسين بن محمد المروزي عن عبد الحميد بنحوه وقد رواه محمد بن اسحق بن يسار، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب فذكره مرسلوا زاد فيه قالوا فأخبرنا عن الروح قل «فأنشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل ملك يأتيك من السماء؟ قال «جبريل» قال : ذلك عدونا من الملائكة ولو كان ميكائيل لا متابك ان جبريل ينزل بالعذاب والقتال والشدة وانه عادانا مرارا كان أشد ذلك علينا، ان الله تعالى أنزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بختنصر وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلا من أقوياء بني اسرائيل في طلبه ليقته فأنطلق حتى لقيه بباب غلاما مسكينا فأخذه ليقته فدفع عنه جبريل وكبر بختنصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا تتخذونه عدوا. فأنزل الله هذه الآية . وقال مقاتل : قالت اليهود : إن جبريل عدونا لانه أمر أن يجعل البوة قينا فجعلها في غيرنا . وقال قتادة وعكرمة والسدي : كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وممرها على مدارس اليهود فكان اذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم فقالوا له : ما في أصحاب

(١) عبارة تفسير

ابن جرير «أشهد الله عليكم» الخ

(٢) هذا آخر

سياق ابن جرير

هل تعلمون انه جبريل وهو الذي يأتيهم قالوا اللهم نعم ولكنه عدو لنا وهو ملك انما يأتي بالشدة وسفك الدماء فلولا ذلك اتبعناك فأنزل الله تعالى فيهم (قل من كان عدوا لجبريل - الى قوله - لا يعلمون) وقال الامام احمد حدثنا أبو احمد حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أقبلت يهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلوا يا أبا القاسم أخبرنا عن خمسة أشياء فان أنبأتنا بهن عرفنا انك نبي واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ اسرائيل على بنيه اذ قال والله على ما نقول وكيل قال هاتوا قالوا فأخبرنا عن علامة النبي؟ قال «تمام عيناه ولا ينام قلبه» قالوا أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر قال «يلتقي الماآن فاذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت واذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت» قالوا أخبرنا ما حرم اسرائيل على نفسه قال «كان يشنكي عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه الا ألبان كذا» قال احمد قال بعضهم يعني الابل فحرم لحومها قالوا صدقت قالوا أخبرنا ما هذا الرعد قال «ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب يديه أو في يديه مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله تعالى» قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال «صوته» قالوا صدقت قالوا انما بقيت واحدة وهي التي نتابعك ان أخبرتنا بها انه ليس من نبي الاولة ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك؟ قال «جبريل عليه السلام» قالوا جبريل ذلك الذي ينزل بالحرب والقتل والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والقطر والنبات لكان فأنزل الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) الى آخر الآية، ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن الوليد، وقال الترمذي حسن غريب، وقال سنيد في تفسيره عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني القاسم بن أبي بزة ان يهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن صاحبه الذي ينزل عليه بالوحي قال جبرائيل قالوا فانه عدو لنا ولا يأتي الا بالحرب والشدة والقتال فنزلت (قل من كان عدوا لجبريل) الآية قال ابن جرير قال مجاهد قالت يهود يا محمد ما نزل جبريل الا بشدة وحرب وقتال فانه لنا عدو فنزل (قل من كان عدوا لجبريل) الآية قال البخاري قوله تعالى (من كان عدوا لجبريل) قال عكرمة جبر وميك وسراف عبد ايل - الله : حدثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكر حدثنا حميد عن أنس بن مالك، قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض يخترق فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي: ما أول اشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أولى محمد أحب اليها منك، انهم يرون بنا فيؤذوننا وأنت لا تؤذينا وانا لنطعم فيك فقال عمر : والله ما آتيتكم لحبكم ولا أسألكم لاني شاك في ديني وانما أدخل عليكم لازداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم . فقالوا : من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة؟ قال : جبريل فقالوا : ذاك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وسنة وشدة، وان ميكائيل اذا جاء جاء بالخصب والسلم فقال لهم عمر : نعرفون جبريل وتنكرون محمدا قالوا : نعم قال : فأخبروني

أمه ، قال أخبرني بهذه جبرائيل أنفا قال جبريل ؟ قال نعم قل ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية (من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك) « وأما أول اشراط الساعة فنارتخشر الناس من المشرق الى المغرب . وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعته » قال : أشهد أن لا إله الا الله وانك رسول الله . يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسألهم يبهتوني ، فجات اليهود فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ » قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال « رأيتم ان أسلم » قالوا أعاده الله من ذلك فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فقالوا هو شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقل هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله - انفرد به البخاري من هذا الوجه وقد أخرجاه من وجه آخر عن أنس بن مالك وفي صحيح مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريب من هذا السياق كما سيأتي في موضعه ان شاء الله تعالى وحكاية البخاري كما تقدم عن عكرمة هو المشهور ان ايل هو الله وقد رواه سفیان الثوري عن خصيف عن عكرمة ورواه عبد بن حميد عن ابراهيم بن الحسك عن أبيه عن عكرمة ، ورواه ابن جرير عن الحسين بن يزيد الطحان عن اسحق بن منصور عن قيس بن عاصم عن عكرمة انه قال ان جبريل اسمه عبد الله وميكائيل اسمه عبد الله ، ايل الله : ورواه يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس مثله سواء وكذا قال غير واحد من السلف كما سيأتي قريبا ومن الناس من يقول ايل عبارة عن عبد والكلمة الاخرى هي اسم الله لان كلمة ايل لا تتغير في الجميع فوزانه عبد الله عبد الرحمن عبد الملك عبد القدوس عبد السلام عبد الكافي عبد الجليل فعبد موجودة في هذا كله واختلفت الاسماء المضاف اليها وكذلك جبرائيل وميكائيل وعزرائيل واسرافيل ونحو ذلك وفي كلام غير العرب يقدمون المضاف اليه على المضاف والله أعلم .

ثم قال ابن جرير وقال وقال آخرون بل كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين عمر بن الخطاب في أمر النبي صلى الله عليه وسلم (ذكر من قال ذلك) حدثني محمد بن اسحق حدثني ربيع بن علية عن داود بن أبي هند عن الشعبي ، قال نزل عمر الروحاء فرأى رجالا يبتدرون احجارا يصلون اليها فقال ما بال هؤلاء ؟ قالوا يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ههنا ، قال فكيف ذلك . وقال أما رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته الصلاة بواد صلاها ثم ارتحل فتركه ثم أنشأ يتحدثهم فقال كنت أشهد اليهود يوم مدراسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق القرآن ومن القرآن كيف يصدق التوراة

عن منزلة جبريل وميكائيل من الله عز وجل ؟ قالوا : جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، وميكائيل عدو لجبريل قال عمر : فاني أشهد أن من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل ، ومن كان عدوا لميكائيل فإنه عدو لجبريل ، ومن كان عدوا لهما كان الله عدوا له . ثم رجع عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات فقال « لقد وافقك

فبينما أنا عندهم ذت يوم قالوا : يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك (قلت) ولم ذلك
 قالوا لا نك تغشانا وتأتينا فقلت اني آتيكم فأعجب من القرآن كيف يصدق التوراة ومن التوراة
 كيف يصدق القرآن ، قالوا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابن الخطاب ذاك صاحبكم
 فالحق به قال فقلت لهم عند ذلك نشدكم بالله الذي لا إله الا هو وما استرعاكم من حقه وما استودعكم
 من كتابه هل تعلمون انه رسول الله؟ قال فسكتوا فقال لهم علمهم وكبيرهم انه قد غاظ عليكم فأجيبوه
 قالوا فأنت عالمنا وكبيرنا فأجبه أنت قل أما اذ نشدنا بما نشدنا فانا نعلم انه رسول الله قلت
 وبحكم اذا هلكتم ، قالوا إنا لم نهلك ، قلت كيف ذلك وأنتم تعلمون انه رسول الله ولا تتبعونه ولا
 تصدقونه ، قالوا إن لنا عدوا من الملائكة وسلمنا من الملائكة وانه قرن بنبوته عدونا من الملائكة قلت
 ومن عدوكم ومن سلمكم؟ قالوا عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل قالوا إن جبرائيل ملك الغضاظة والغلظة
 والاعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا ، وإن ميكائيل ملك الرحمة والرأفة والتخفيف ونحو هذا ،
 قل قلت وما منزلتهما من ربهما عز وجل؟ قالوا أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، قال فقلت
 فو الذي لا إله الا هو انهما والذي بينهما لعدو لمن عاداهما وسلم لمن سالمهما وما ينبغي لجبرائيل ان
 يسلم عدو ميكائيل وما ينبغي لميكائيل ان يسلم عدو جبرائيل قال ثم قلت فأتبع النبي صلى الله عليه
 وسلم فالحقته وهو خارج من خوخة لبني فلان فقال يا ابن الخطاب ألا أقرئك آيات نزلن قبل فقرا
 علي (من كان عدوا لجبرائيل فانه نزل على قلبك باذن الله) حتى قرأ الايات : قال قلت بأبي
 وأمي أنت يا رسول الله والذي به لك بالحق لقد جئت وأنا أريد أن أخبرك وأنا أسمع اللطيف الخبير
 قد سبقني اليك بالخير ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج : حدثنا أبو أسامة عن مجالد
 أنبأنا عامر قال انطلق عمر بن الخطاب الى اليهود فقال أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل
 تجدون محمدا في كتبكم؟ قالوا نعم ، قال فما يمنعكم ان تتبعوه قالوا ان الله لم يبعث رسولا الا جعل
 له من الملائكة كفلا وان جبرائيل كفل محمدا وهو الذي يأتيه وهو عدونا من الملائكة وميكائيل
 سلمنا لو كان ميكائيل الذي يأتيه سلمنا ، قال فاني أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى
 ما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله . قال عمر واني أشهد ما نزلان
 الا باذن الله وما كان ميكائيل ليسلم عدو جبرائيل وما كان جبرائيل ليسلم عدو ميكائيل . فبينما
 هو عندهم اذ مر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا صاحبك يا ابن الخطاب فقام اليه عمر فأنا .

ربك يا عمر فقال عمر : لقد رأيته بعد ذلك في دين الله أصلب من الحجر . قال الله تعالى (قل
 من كان عدوا لجبريل فانه) يعني جبريل (نزل) يعني القرآن كناية عن غير مذكور (على قلبك)
 يا محمد (باذن الله) بأمر الله (مصدقا) موافقا (لما بين يديه) لما قبله من الكتب (وهدى
 وبشرى المؤمنين) قوله عز وجل (من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال خصهما
 بالذكر من جملة الملائكة مع دخولهما في قوله «وملائكته» تفضيلا وتخصيصا كقوله تعالى «فيهما

وقد أنزل الله عز وجل (من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين)
وهذان الاسنادان يدلان على ان الشعبي حدث به عن عمر ولكن فيه انقطاع بينه وبين عمر فانه لم
يدرك زمانه والله أعلم : وقال ابن جرير حدثنا بشير حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قال
ذكر لنا ان عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم الى اليهود فلما انصرف رجسوا به فقال لهم عمر أما
والله ما جئتمكم لحبكم ولا لرغبة فيكم ولكن جئت لاسمع منكم ، فسألهم وسألوه ، فقالوا من صاحب
صاحبكم ؟ فقال لهم جبرائيل ، فقالوا ذاك عدونا من أهل السماء يطلم محمدا على سرنا واذا جاء جاء
بالحرب والسنة ولكن صاحب صاحبنا ميكائيل وكان اذا جاء جاء بالخصب والسلم ، فقال لهم عمر
هل تعرفون جبرائيل وتذكرون محمدا صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لهم عمر عند ذلك وتوجه نحو النبي
صلى الله عليه وسلم ليحدثه حديثهم فوجده قد أنزلت عليه هذه الآية (قل من كان عدوا لجبريل
فانه نزله على قلبك باذن الله) الايات .

ثم قال حدثني المثني حدثنا آدم حدثنا أبو جعفر حدثنا قتادة . قال بلغنا ان عمر أقبل الى اليهود يوما
فذكر نحوه . وهذا في تفسير آدم وهو أيضا منقطع وكذلك رواه أسباط عن السدي عن عمر مثل هذا
أو نحوه وهو منقطع أيضا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن يعني الدستلي
حدثنا أبو جعفر عن حصين بن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى ان يهوديا اتى عمر بن الخطاب
فقال ان جبرائيل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا فقال عمر (من كان عدوا لله وملائكته ورسوله
وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين) قال فنزلت على لسان عمر رضي الله عنه ، ورواه
عبد بن حميد عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر هو الرازي : وقال ابن جرير حدثني يعقوب
ابن ابراهيم حدثني هشيم أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى في قوله تعالى (من كان
عدوا لجبريل) قال قالت اليهود المسلمين لو ان ميكائيل كان هو الذي ينزل عليكم انبعناكم فانه ينزل
بالرحمة والغيث ، وان جبرائيل ينزل بالذاب والنقمة فانه عدو لنا ، قال فنزلت هذه الآية . حدثنا
يعقوب أخبرنا هشيم أخبرنا عبد الملك عن عطاء بن حو . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة
في قوله (قل من كان عدوا لجبريل) قل قالت اليهود ان جبرائيل عدو لنا لانه ينزل بالشدّة والسنة
وان ميكائيل ينزل بالرخاء والعافية والخصب . فجبرائيل عدو لنا فقال الله تعالى (من كان عدوا لجبريل) الآية .
وأما تفسير الآية فتقوله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل) فانه نزله على قلبك باذن الله ،
أي من عادى جبرائيل فليعلم انه الروح الامين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله باذنه
فاكلة ومخل ورماني خص النخل والرماني بالذكر مع دخولها في ذكر الفاكهة للتفصيل ، والواو فيهما
بمعنى أو يعني من كان عدوا لاحد هؤلاء فانه عدو لكل لان الكافر بالواو كافر بالكل فان
الله عدو للكافرين قال عكرمة : جبر وميك واسراف هي العبد بالسربانية والوايل هو الله تعالى
ومعناها عبد الله وعبد الرحمن ، وقرأ ابن كثير جبريل بفتح الجيم غير مهموز بوزن فليل قال حسان :

له في ذلك فهو رسول من رسل الله ملكي ، ومن عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل كما ان من آمن برسول فانه يلزمه الايمان بجميع الرسل وكما ان من كفر برسول فانه يلزمه الكفر بجميع الرسل كما قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) الايتين فحكم عليهم بالكفر المحقق اذا آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم ، وكذلك من عادى جبرائيل فانه عدو لله لان جبرائيل لا ينزل بالامر من تلامذاته نفسه وانما ينزل بأمر ربه كما قال (وما ننزل إلا بأمر ربك) الآية وقل تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين » نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) وقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب » ولهذا غضب الله لجبرائيل على من عاداه ، فقال تعالى (من كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه) أي من الكتب المتقدمة (وهدي وبشرى المؤمنين) أي هدى لقلوبهم وبشرى لهم بالجنة وليس ذلك إلا للمؤمنين كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) الآية وقال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الآية . ثم قال تعالى (من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) يقول تعالى من عاداني وملائكتي ورسلي - ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر كما قال تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) - وجبريل وميكال وهذا من باب عطف الخاص على العام فانهما دخلا في الملائكة في عموم الرسل ثم خصصا بالذكر لان السياق في الانتصار لجبرائيل وهو السفير بين الله وأنبيائه وقرن معه ميكائيل في اللفظ لان اليهود زعموا ان جبرائيل عدوهم وميكائيل وليهم فأعلمهم الله تعالى أن من عادى واحدا منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضا ولانه أيضا ينزل على أنبياء الله بعض الاحيان كما قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابتداء الامر ولكن جبرائيل أكثر وهي وظيفته وميكائيل موكل بالنبات والقطر هناك بالهدى وهذا بلرزق كما ان اسرافيل موكل بالنفخ في الصور للبعث يوم القيامة ولهذا جاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل « يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون » اهديني لما اختلف فيه من الحق باذنك أنك تهديني من تشاء الى صراط مستقيم » وقد

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

وقرأ حمزة والكسائي بالهمزة والاشباع بوزن سلسبيل ، وقرأ أبو بكر بالاختلاس ، وقرأ الآخرون بكسر الجيم غير مهموز ، وميكائيل قرأ ابو عمرو ويعقوب وحفص ميكال بنيرهمز قال جرير :

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد و بجبرئيل وكذبوا ميكال

وقال آخر :

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر جبريل وميكال

تقدم ما حكاه البخاري ورواه ابن جرير عن عكرمة وغيره أنه قال جبر وميك واسراف عبيد وإيل الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن اسمعيل بن أبي رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس قل : إنما كان قوله جبرائيل كقوله عبد الله وعبد الرحمن ، وقيل جبر عبد وإيل الله . وقال محمد بن اسحق عن الزهري عن علي بن الحسين قال : أندرون ما اسم جبرائيل من أسماءكم قلنا لا ، قل : اسمه عبد الله وكل اسم مرجعه إلى إيل فهو إلى الله عز وجل . قال ابن أبي حاتم وروى عن عكرمة ومجاهد والضحاك ويحيى بن يعمر نحو ذلك . ثم قال حدثني أبي حدثنا أحمد بن أبي المواري حدثني عبد العزيز بن عمير قال : اسم جبرائيل في الملائكة خادم الله قل : فثبت به أبا سليمان الداراني فانتفض ، وقال : لهذا الحديث أحب إلي من كل شيء في دفتر كان بين يديه . وفي جبرائيل وميكائيل لغات وقراآت تذكر في كتب اللغة والقراآت ولم نطول كتابنا هذا بسرد ذلك إلا أن يدور فهم المعنى عليه ، أو يرجع الحكم في ذلك إليه وبالله الثقة وهو المستعان ، وقوله تعالى (فإن الله عذر للكافرين) فيه إيقاع المظهر مكان المضمحل حيث لم يقل فإنه عدو بل قال : (فإن الله عذر للكافرين) كما قال الشاعر :

لا أرى الموت يسبق الموت شيء سبق الموت ذا الغنى والفقير

وقال الآخر :

ليت الغراب غداة ينعب دأبها كانت الغراب مقطع الأوداج

وأما أظهر الله هذا الاسم ههنا لتقرير هذا المعنى وإظهاره وإعلامهم أن من عادى وليا لله فقد عادى الله ومن عادى الله فإن الله عدوه ومن كان الله عذره فقد خسر الدنيا والآخرة كما تقدم الحديث « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحاربة » وفي الحديث الآخر « إني لا ثار لأوليائي كما يثار الألبت الحرب » وفي الحديث الصحيح « من كنت خصمه خصمه خصمته »

(٩٨) (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون (٩٩) أو كلما عهدوا عهدا

نبذ فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون (١٠٠) ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما هم به نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون (١٠١) واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به

وقرأ نافع وأهل المدينة بالهمزة والاختلاس بوزن ميفاعل ، وقرأ الآخرون بالهمزة والاشباع بوزن ميكاعل . قال ابن صوريا : ما جئنا بشيء نعرفه فأنزل الله تعالى ﴿ ولقد أنزلنا إليك آيات

من أحد إلا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق، ولبدسما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون (١٠٢) ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون

قال الامام أبو جعفر بن جرير في قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) الآية أي أنزلنا اليك يا محمد علامات واضحات دلالات على نبوتك وتلك الآيات هي ما حواه كتاب الله من خفايا علوم اليهود ومكنونات سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بني اسرائيل والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أخبارهم وعلمائهم وما حرفة أوائلهم وأواخرهم وبدلوه من أحكامهم التي كانت في التوراة فاطلع الله في كتابه الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان في ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف من نفسه ولم يدعها الى هلاكها الحسد والبغى اذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات التي وصف من غير تعلم تعلمه من بشر ولا أخذ شيئا منه عن آدمي ، كما قال الضحاك عن ابن عباس (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) يقول فأنت تتلوهم عليهم وتخبرهم به غدوة وعشبة وبين ذلك وأنت عندهم أمي لم تقرأ كتابا وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه ، يقول الله تعالى لهم في ذلك عبرة وبيان وعليهم حجة لو كانوا يعلمون . وقال محمد بن اسحق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : قال ابن صوريا القطاويني لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فتبكم . فأنزل الله في ذلك من قوله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون) وقال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرهم ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد اليهم في عهد صلى الله عليه وسلم : والله ما عهد الينا في محمد وما أخذ علينا ميثاقا . فأنزل الله تعالى (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) وقال الحسن البصري : في قوله (بل أكثرهم لا يؤمنون) قل نعم ليس في الارض عهد بينات) واضحات مفصلات بالحلل والحرام والحدود والاحكام (وما يكفر بها إلا الفاسقون) الخارجون عن أمر الله عز وجل (أو كلما) واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام (عاهدوا عهداً) يعني اليهود عاهدوا النبي خرج محمد لنؤمن به فلما خرج اليهم محمد كفروا به . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ الله عليهم وعهد اليهم في عهد أن يؤمنوا به قال مالك بن الصيف : والله ما عهد الينا عهدا في محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية ، يدل عليه قراءة أبي رجاء العطاردي أو كلما عاهدوا فجعلهم مفعولين . وقال عطاء : هي العهد التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود أن لا يعاونوا المشركين على قتاله فنقضوها كفعل بني قريظة والنضير ، دليله قوله تعالى « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم » (نبذه) طرحه ونقضه

يعاهدون عليه الا نقضوه ونبدوه يعاهدون اليوم وينقضون غدا . وقال السدي : لا يؤمنون بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . وقال قتادة : نبذوه فربق منهم ، أي نقضه فربق منهم . وقال ابن جرير أصل النبذ الطرح والالقاء ومنه سمي للقيط منبذاً ومنه سمي النبيذ وهر النمر والزبيب اذا طرحا في الماء . قال أبو الاسود الدؤلي :

نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا اخلقت من نعالكا

قلت فالقوم ذمهم الله بنبذهم العهد الذي تقدم الله اليهم في التمسك بها والقيام بحققها ولهذا أعقبهم ذلك التكنذيب بالرسول المبعوث اليهم والى الناس كافة الذي في كتبهم نعتهم وصفته وأخباره وقد أمروا فيها باتباعه وموازرتة ونصرتة كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) الآية وقال ههنا (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) الآية أي طرح طائفة منهم كتاب الله الذي بأيديهم مما فيه البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم ، أي تركوها كأنهم لا يعلمون ما فيها وأقبلوا على تعلم السحر وأتباعه ولهذا أرادوا كيدا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسحره في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر نحت راعوفة يثر أروان وكان الذي تولى ذلك منهم رجل يقال له لبيد بن الاعصم لعنه الله وقبحه فاطاع الله على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم وشفاه منه وأنقذه كما ثبت ذلك مبسوطاً في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كما سيأتي بيانه . قال السدي (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) قال : لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها فانفقت التوراة والقرآن فنبدوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فذلك قوله (كأنهم لا يعلمون) وقال قتادة في قوله (كأنهم لا يعلمون) قال : ان القوم كانوا يعلمون ولكنهم نبذوا علمهم وكتبوه وجحدوا به . وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى (واتبعوا ما نزلوا الشياطين) الآية وكان حين ذهب ملاك سليمان ارتد فثام من الجن والانس واتبعوا الشهوات ، فلما أرجع الله الى سليمان ملكه وقم الناس على الدين كما كان وان سليمان ظهر على كتبهم فدفنوها تحت كرسيه وتوفي

﴿ فريق ﴾ طوائف ﴿ منهم ﴾ من اليهود ﴿ بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ ولما جاءهم رسول من عند الله ﴿ يعني محمدا ﴾ مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ﴿ يعني التوراة وقيل : القرآن ﴾ كأنهم لا يعلمون ﴿ قال الشعبي : كانوا يقرؤون التوراة ولا يعلمون بها . وقال سفيان بن عيينة : أدرجوها في الحرير والديباغ وحلوا بالذهب والفضة ولم يعملوا بها فذلك نبذهم ﴾ واتبعوا ﴿ يعني اليهود ﴾ ما نزلوا الشياطين ﴿ أي ما تلت والعرب تضع المستقبل موضع الماضي ، والماضي موضع المستقبل . وقيل : ما كانت تلت أي تقرأ . قال ابن عباس رضي الله عنه : تتبع وتعمل به وقال عطاء : نحرث وتكلم به ﴾ على ملك سليمان ﴿ أي في ملكه وعهده . وقصة الآية : إن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف بن برخيا هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان

سليمان عليه السلام حدثنا ذلك فظهر الانس والجن على الكتب بعد وفاة سليمان وقالوا هذا كتاب من الله نزل على سليمان فأخفاه عنا فأخذوا به فجعلوه ديناً فأنزل الله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) الآية واتبعوا الشهوات التي كانت تتلو الشياطين وهي المازف واللعب وكل شيء يصد عن ذكر الله . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الأعظم وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان أخرجه الشياطين فكتبوا بين كل سطرهن سحراً وكفراً وقالوا هذا الذي كان سليمان يعمل بها . قال : فأكفره جهال الناس وسبوه ووقف علماء الناس فلم يزل جهل الناس يسبونه حتى أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) وقال ابن جرير : حدثني أبو السائب سلمة بن جنادة السوائي حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : كان سليمان عليه السلام إذا أراد أن يدخل الحلاء أو يأتي شيئاً من نسائه أعطى الجرادة وهي امرأته خاتمه ، فلما أراد الله أن يتلى سليمان عليه السلام بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال هاتي خاتمي فأخذه ولبسه فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والانس . قال فجاءها سليمان فقل لها هاتي خاتمي فقالت كذبت لست سليمان ، قال فعرف سليمان أنه بلاء ابتلى به . قال فانطلقت الشياطين فكتببت في تلك الايام كتباً فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها وقرؤها على الناس وقالوا إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب ، قال فبرئ الناس من سليمان وكفروه حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فأنزل عليه (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) ثم قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن حصين بن عبد الرحمن عن عمران وهو ابن الحرث قال : بينا نحن عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ جاء رجل فقل له من أين جئت ، قل مر الراق الملك ثم دفنوها تحت مصلاه حتى نزع الله الملك عنه ولم يشمر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها وقالوا للناس : إنما ملكهم سليمان بهذا ففعلوها . فأما علماء بني اسرائيل وصالحوهم فقالوا : معاذ الله أن يكون هذا من علم سليمان . وأما السفلة فقالوا : هذا علم سليمان وأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم يزل هذا حالهم حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه براءة سليمان هذا قول الكلبي . وقال السدي : كانت الشياطين تصعد الى السماء فيستمعون كلام الملائكة فيما يكون في الارض من موت وغيره فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها فاكتمت الناس ذلك وفشا في بني اسرائيل أن الجن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنه تحت كرسيه وقال : لا أسمع أحداً يقول ان الشيطان يعلم الغيب إلا ضربت عنقه . فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان

قل من أبيه؟ قال من الكوفة، قال فما الخبر؟ قال تركتهم يتحدثون أن عليا خارج اليهم فزع ثم قل ما نقول لا أبالك؟ لو شعرنا ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه، أما اني سأحدثكم عن ذلك، انه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء فيجئ أحدهم بكلمة حق قد سمعها فاذا جرت منه وصدق كذب معها سبعين كذبة قال فتشربها قلوب الناس، قال فأطلع الله عليها سليمان عليه السلام فدفعها تحت كرسيه، فلما توفي سليمان عليه السلام قام شيطان الطريق فقال هل أدلكم على كنز الممنوع الذي لا كنز له مثله؟ تحت الكرسي. فأخرجوه فقال هذا سحر فتناسخها الامم حتى بقاياها ما يتحدث به أهل العراق فانزل الله عز وجل (واتبعو ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) الآية وروى الحاكم في مستدركه عن أبي زكريا العنبري عن محمد بن عبد السلام عن اسحق بن ابراهيم عن جرير به (١) وقال السدي في قوله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) أي على عهد سليمان، قال كانت الشياطين تصعد الى السماء فتقعد منها مقعد للسمع فيستمعون من كلام الملائكة ما يكون في الارض من موت أو غيب أو أمر فيأتون الكهنة فيخبرونهم فتحدث الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا فلما أمتهم الكهنة كذبوا لهم وأدخلوا فيه غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة فاكتب الناس ذلك الحديث في الكتب وفشا ذلك في بني اسرائيل ان الجن تعلم الغيب، فبعث سليمان في الناس فجمع تلك الكتب فحلمها في صندوق ثم دفنها تحت كرسيه ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع ان يدنو من الكرسي إلا احترق، وقال لا أسمع أحدا يذكر ان الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربت عنقه، فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان وخلف من بعده ذلك خلف (٢) تمثل الشيطان في صورة انسان ثم أتى نفرا من بني اسرائيل فقال لهم هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا (٣)، قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي. فذهب معهم وأراهم المكان وقام ناحيته فقالوا له فادن فقال لا ولكنني ههنا في أيديكم فان لم تجدوه فاقتلوني فحفروا فوجدوا تلك الكتب، فلما أخرجوها قال الشيطان ان ساجان انما كان يضبط الانس والشياطين والطير بهذا السحر ثم طار وذهب. وفشا في الناس ان سليمان كان ساحرا واتخذت بنو اسرائيل تلك الكتب فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بها فذلك حين يقول الله تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) وقال الربيع بن أنس ان اليهود سألو محمدا صلى الله عليه وسلم زمانا عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك الا أنزل الله سبحانه وتعالى ما سأله عنه فيخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا أعلم بما أنزل الله اليانا منا وانهم سألوه عن ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفرا من بني اسرائيل فقال : هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا قالوا : نعم قال : فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحية فقالوا : ادن قال : لا ولكنني ههنا فان لم تجدوه فاقتلوني ، وذلك انه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسي الا احترق فحفروا وأخرجوا تلك الكتب قال الشيطان : إن

(١) كذا في الاصل
ولم يذكر المروي فان
كان عين الاول
فالواجب ان يقال
ورواه الحاكم أو يقال
في آخره: مثله .
(٢) الخلف بفتح
الخاء الرديء من
الناس ومن الكلام
وكان مقتضى السياق
أن يوصفوا بالجهل
(٣) أي لا ينقده
بالا كل منه

السحر وخاصموه به فأنزل الله عز وجل (واتبعوا ما تملو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) وان الشياطين عهدوا الى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وما شاء الله من ذلك فدفنوه تحت كرسي مجلس سليمان وكان عليه السلام لا يعلم الغيب فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخذعوا الناس وقلوا هذا أعلم كان سليمان يكتبه ويحسد الناس عليه فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث فرجعوا من عنده وقد خرجوا (١) وقد أوحى الله حجبتهم ، وقال مجاهد في قوله تعالى (واتبعوا ما تملو الشياطين على ملك سليمان) قال كانت الشياطين تستمع الوحي فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلاً فأرسل سليمان عليه السلام الى ما كتبوا من ذلك فلما توفي سليمان وجدته الشياطين وعلمته الناس وهو السحر وقال سعيد ابن جبير كان سليمان يتبع ما في أيدي الشياطين من السحر فيأخذهم منهم فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزائنه فلم تقدر الشياطين ان يصلوا اليه فندت الى الانس فقالوا لهم أتدرون ما العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك ؟ قالوا نعم قالوا فانه في بيت خزائنه وتحت كرسيه فاستنار به الانس واستخرجوه وعملوا بها فقال أهل الحجاز كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر فأنزل الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى (واتبعوا ما تملو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) وقال محمد بن اسحق بن يسار عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليه السلام فكتبوا أصناف السحر من كان يحب ان يباغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا حتى اذا صنفوا (٢) أصناف السحر جعلوه في كتاب ثم ختموه (٣) بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا في عنوانه : هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني اسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا فلما عثروا عليه قالوا والله ما كان ملك سليمان الا بهذا فافشوا السحر في الناس فنعلموه وعلموه فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود وعنده فيمن عد من المرسلين قال من كان بالمدينة من اليهود ألا تعجبون من محمد يزعم ان ابن داود كان نبيا والله ما كان الا ساحرا . وأنزل الله في ذلك من قولهم (واتبعوا ما تملو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) الآية • وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا حسين بن حجاج عن أبي بكر عن شهر بن حوشب قال لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان فكتبت من أراد أن يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس سليمان كان بضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وفشا في الناس أن سليمان كان ساحرا وأخذ بنو اسرائيل تلك الكتب فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم برأ الله تعالى سليمان من ذلك وأنزل في عذر سليمان ﴿ وما كفر سليمان ﴾ بالسحر وقيل : لم يكن سليمان كافرا يسحر ويعمل به ﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾ قرأ ابن عباس رضي الله عنه

(١) في تفسير ابن

جرير : وقد حزنوا

(٢) في تفسير ابن

جرير : صنعوا

(٣) وعند ابن جرير :

ختموا عليه

وتمسكوا (٢)

وهو السحر (٢)

وكذا ما كان

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

فليستقبل الشمس

وليقول كذا وكذا ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا، فكتبته وجعلت عنوانه. هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود عليهما السلام من ذخائر كنوز العلم. ثم دفتته تحت كرسية فلما مات سليمان عليه السلام قام ابليس لعنه الله خطيبا فقال يا أيها الناس إن سليمان لم يكن نبيا إنما كان ساحرا فلتمسوا سحره في متاعه ويوتيه، ثم دلهم على المكان الذي دفن فيه فقالوا والله لقد كان سليمان ساحرا هذا سحره بهذا تعبدنا وبهذا قهرنا فقال المؤمنون بل كان نبيا مؤمنا فلما بعث الله النبي محمدا صلى الله عليه وسلم وذكر داود وسليمان فقالت اليهود انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الأنبياء إنما كان ساحرا يركب الريح فأنزل الله تعالى (واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان) الآية ه وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني : حدثنا المعتمر بن سليمان قل سمعت عمران بن جرير عن أبي مجلز قال أخذ سليمان عليه السلام من كل دابة عهدا فإذا أصيب رجل فسأل بذلك العهد خلى عنه فزاد الناس السجع والسحر فقالوا هذا يعمل به سليمان بن داود عليهما السلام فقال الله تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) ه وقال ابن أبي حاتم حدثنا غصام بن رواد حدثنا آدم حدثنا المسعودي عن زباد مولى ابن مصعب عن الحسن (واتبعوا ما تلو الشياطين) قال ثلث الشعر وثلث السحر وثلث الكهانة، وقال حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار الواسطي حدثني سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن (واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان) وتبعته اليهود على ملكه وكان السحر قبل ذلك في الأرض لم يزل بها ولكنه إنما انبع على ملك سليمان فهذه نبذة من أقوال أئمة السلف في هذا المقام ولا يخفى ملخص القصة والجمع بين أطرافها وأنه لا تعارض بين السيئات على اللبيب الفهم والله الهادي : وقوله تعالى (واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان) أي واتبع اليهود الذين أتوا الكتاب من بعد اعراضهم عن كتاب الله الذي بأيديهم ومخالفتهم لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ما تلو الشياطين أي ما ترويه وتجبر به وتحذره الشياطين على ملك سليمان وعنده بعلى لأنه تضمن تلو تكذب : وقال ابن جرير «على» ه هنا بمعنى في أي تلو في ملك سليمان ونقله عن ابن جرير وابن اسحق (قلت) والتضمن أحسن وأولى والله أعلم : وقول الحسن البصري رحمه الله : وكان السحر قبل زمان سليمان بن داود - صحيح لا شك فيه لأن السحرة كانوا في زمان موسى عليه السلام وسليمان بن داود بعده كما قال تعالى (ألم تر إلى الملا من بني إسرائيل من بعد موسى) الآية ثم ذكر القصة بعدها وفيها (وقتل داود) والكسائي وحمة ولكن خفيفة النون والشياطين رفع، وقرأ الآخرون ولكن مشددة النون والشياطين نصب وكذلك (ولكن الله قتلهم) (ولكن الله رمى) ومعنى لكن نفى الخبر الماضي وإثبات المستقبل ﴿يعلمون الناس السحر﴾ قيل : معنى السحر العلم والخذق بالشيء، قل الله تعالى (وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك) أي العالم. والصحيح : أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل والسحر

(١) قالوا ما تلو

(٢) وقالوا ما تلو

(٣) وقالوا ما تلو

(٤) وقالوا ما تلو

(٥) وقالوا ما تلو

(٦) وقالوا ما تلو

(٧) وقالوا ما تلو

(٨) وقالوا ما تلو

(٩) وقالوا ما تلو

(١٠) وقالوا ما تلو

جالوت وآتاه الله الملك والحكمة) وقال قوم صالح وهم قبل ابراهيم الخليل عليه السلام لنبيهم صالح انما (أنت من المسحورين) أي المسحورين على المشهور : قوله تعالى (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) اختلف الناس في هذا المقام فذهب بعضهم الى أن « ما » نافية أعني التي في قوله (وما أنزل على الملكين) قال القرطبي مانافية ومعطوف على قوله (وما كفر سليمان) ثم قال (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين) وذلك ان اليهود كانوا يزعمون انه نزل به جبريل وميكائيل فاكذبهم الله وجعل قوله (هاروت وماروت) بدلا من الشياطين قال وصح ذلك اما لان الجمع يطلق على الاثنين كما في قوله تعالى (فان كان له إخوة) أو لكونهما لهما اتباع أو ذكر من بينهم لتمردهما . تقدير الكلام عنده : يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت . ثم قال وهذا أولى ما حملت عليه الآية وأصح ولا يلتفت الى ما سواه . وروى ابن جرير باسناده من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله (وما أنزل على الملكين ببابل) الآية يقول لم ينزل الله السحر وبأسناده عن الربيع ابن أنس في قوله (وما أنزل على الملكين) قال ما أنزل الله عليهما السحر قال ابن جرير فتأويل الآية على هذا (واتبعوا ما تنزل الشياطين على ملك سليمان) من السحر وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه المقدم (١) قال فان قل لنا قائل كيف وجه تقديم ذلك قيل وجه تقديمه ان يقال (واتبعوا ما تنزل الشياطين على ملك سليمان) من السحر وما كفر سليمان وما أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون معنيا بالملكين جبريل وميكائيل عليهما السلام لان سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم ان الله أنزل السحر على اسان جبريل وميكائيل الى سليمان بن داود فاكذبهم الله بذلك وأخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر وبرأ سليمان عليه السلام مما منحله من السحر وأخبرهم ان السحر عن عمل الشياطين وانها تعلم الناس ذلك ببابل وان الذين يعلمونهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجحة عن الناس وردا عليهم . هذا لفظه بحروفه (٢) وقد قل ابن أبي حاتم حدثت عن عبيد الله بن موسى أخبرنا فضيل بن مرزوق عن عطية (وما أنزل على الملكين) قال : ما أنزل الله على جبريل وميكائيل السحر قال ابن أبي حاتم وأخبرنا الفضل بن شاذان أخبرنا محمد بن عيسى أخبرنا يعلى

(١) في تفسير ابن

جرير : التقديم

(٢) هذا السياق

هنا اتم وأصح مما في

تفسير ابن جرير

المطبوع

وجوده حقيقة عند أهل السنة ، وعليه أكثر الامم ، ولكن العمل به كفر ، حكى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : السحر بخيل ويمرض وقد يقتل حتى أوجب القصاص على من قتل به فهو من عمل الشيطان يتقاه الساحر منه بتعليمه إياه ، فإذا تلقاه منه بتعليمه إياه استعمله في غيره . وقيل : انه يؤثر في قلب الاعيان فيجعل الاكدمي على صورة الحمار ويجعل الحمار على صورة الكلب ، والاصح

يعني ابن أسد أخبرنا بكر يعني ابن مصعب أخبرنا الحسن بن أبي جعفر أن عبد الرحمن بن أبيزي كان يقرؤها (وما أنزل على الملكين داود وسليمان) وقال أبو الدالية لم ينزل عليهما السحر يقول علما الايمان والكفر فالسحر من الكفر فهما ينهيان عنه أشد النهي رواه ابن أبي حاتم، ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول وإن ما يعني الذي وأطال القول في ذلك وادعي أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله إلى الأرض وأذن لهما في تعليم السحر اختبرا لعباده وامتحانا بعد أن بين لعباده أن ذلك مما ينهي عنه على السنة الرسل وادعي أن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك لأنهما امتثلا ما أمرا به وهذا الذي سلكه غريب جدا وأغرب منه قول من زعم أن هاروت وماروت قبيلان من الجن كما زعمه ابن حزم وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرؤها (وما أنزل على الملكين) ويقول هما علجان من أهل بابل ووجه أصحاب هذا القول الانزال بمعنى الخلق لا بمعنى الايحاء في قوله تعالى (وما أنزل على الملكين) كما قال تعالى (وأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَيَنْزِلُ السَّمَاءَ رِزْقًا) وفي الحديث «ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء» وكما يقال «أنزل الله الخير والشر» وحكى القرطبي عن ابن عباس وابن أبيزي والحسن البصري أنهم قرؤا (وما أنزل على الملكين) بكسر اللام، قال ابن أبيزي وهما داود وسليمان قال القرطبي فعلى هذا نكون مانافية أيضا، وذهب آخرون إلى الوقف على قوله (يعلمون الناس السحر) ومانافية: قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا الليث عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد وسأله رجل عن قول الله (يعلمون الناس السحر) وما أنزل على الملكين بيابيل هاروت وماروت فقال الرجلان يعلمان الناس ما أنزل عليهما ويعلمان الناس ما لم ينزل عليهما فقال القاسم ما أبالي أيتهما كانت، ثم روي عن يونس عن أنس بن عياض عن بعض أصحابه أن القاسم قال في هذه القصة لا أبالي أي ذلك كان أني آمنت به. وذهب كثير من الساف إلى أنهما كانا ملكين من السماء وأنهما أنزلا إلى الأرض فكان من أمرهما ما كان، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه الامام أحمد في مسنده رحمه الله كما سنورده إن شاء الله وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة أن هذين سبق في علم الله لهما هذا فيكون تخصيصا لهما فلا تعارض حينئذ كما سبق في علمه من أمر إبليس ما سبق وفي قول أنه كان من الملائكة: لقوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك مع أن شأن هاروت وماروت على ما ذكر أخف مما وقع من إبليس لعنه الله تعالى. وقد حكاه القرطبي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر ركب الاحبار والسدي والكلبي

أن ذلك تخيل، قال الله تعالى (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) لكنه يؤثر في الابدان بالامراض والموت والجنون، ولا كلام تأثير في الطباع والنفوس وقد يسمع الانسان ما يكره فيحس وبغضب وربما يحس منه، وقد مات قوم بكلام سمعوه فهو بمنزلة العوارض والعلل التي تؤثر في الابدان

﴿ ذكر الحديث الوارد في ذلك ان صحح سنده ورفعہ وبيان الكلام عليه ﴾

قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده أخبرنا يحيى بن بكير حدثنا زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه سمع نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان آدم عليه السلام لما أهبطه الله الى الارض قالت الملائكة أي رب (أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون) قالوا ربنا نحن اطوع لك من بني آدم قال الله تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما الى الارض فنظركيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا الى الارض ومثلت لهما زهرة امرأة من أحدین البشر فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تتكلم بهذه الكلمة من الاشراك فقلنا والله لا نشارك بالله شيئا أبداً فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتل هذا الصبي فقلنا لا والله لا تقتله أبداً فذهبت ثم رجعت بقدرح خر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشر با هذا الخمر فشر با فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفقا قالت المرأة والله ما تركتما شيئاً أبغيتاه على الاقد فعلتما حين سكرتما فخير بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترنا عذاب الدنيا وهكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن الحسن بن سفيان عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن بكير — به وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين الا موسى بن جبير هذا وهو الانصارى السلمي مولاهم المدني الحذاء وروي عن ابن عباس وأبي أمامة بن سهل بن حنيف ونافع وعبد الله بن كعب بن مالك وروي عنه ابنه عبد السلام وبكر بن مضر وزهير بن محمد وسعيد بن سلمة وعبد الله بن لمية وعمر بن الحرث ويحيى بن أيوب : وروي له أبو داود وابن ماجه وذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل ولم يحك فيه شيئاً من هذا ولا هذا فهو مستور الحال (١) وقد تفرد به عن نافع مولي ابن عمر عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى له متابع من وجه آخر عن نافع كما قال ابن مردويه حدثنا دالمج بن احمد حدثنا هشام بن علي بن هشام حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا موسى بن سرجس عن نافع عن ابن عمر سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فذكره بطوله ، وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنا القاسم أخبرنا الحسين وهو سنيد من داود صاحب التفسير أخبرنا الفرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع قال سافرت مع ابن عمر فلما كان من آخر الليل قال يا نافع أنظر طلعت

(١) قال ابن حبان
كان بخطيه ويخالف
وقال ابن القطان
لا يعرف حاله اه من
تهذيب التهذيب

قوله عز وجل ﴿ وما أنزل على الملائكة بابل ﴾ أي ويعلمون الذي أنزل على الملائكة أي إلهما وعلماء ، فلا نزال بمعنى الالهام والتعليم . وقيل : واتبعوا ما أنزل على الملائكة . وقرأ ابن عباس والحسن الملائكة بكسر اللام . وقال ابن عباس : هما رجلان ساحران كانا ببابل . وقال الحسن : علجان لان الملائكة لا يعلمون السحر ، وبابل هي بابل العراق سميت ببابل لتأويل الاسنة بها عند سقوط صرح

الحراء ؟ قلت لا مرتين أو ثلاثاً ثم قلت قد طلعت قل لا مرحباً بها ولا أهلاً قلت سبحان الله نجم مسخر سامع مطيع : قال ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قل قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الملائكة قالت يارب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب قال أنى ابتليتهم وعافيتكم قالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك ، قال فاختاروا ملكين منكم قال فلم يألوا جهداً أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت وهذان أيضاً غريبان جداً . وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار قال ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما يأتون من الذنوب فقبل لهم اختاروا منكم اثنين فاختاروا هاروت وماروت فقال لهما أني أرل إلى بني آدم رسلاً وليس بيني وبينكم رسول أنزلاً لا تشركا بي شيئاً ولا تزنيا ولا نشر با الخمر ، قال كعب فوالله ما أمسيا من يومها الذي أبطا فيه حتى استكلا جميعاً مانها عنه ، رواه ابن جرير من طريقين عن عبد الرزاق به ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن عاصم عن مؤمل عن سفیان الثوري به ورواه ابن جرير أيضاً حدثني المثني أخبرنا المعلى وهو ابن أسد أخبرنا عبد العزيز بن الحنار عن موسى بن عقبة حدثني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن كعب الأحبار فذكره فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الأسانيد المتقدمين وسالم أثبت في أبيه من مولاة نافع فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل (١) والله أعلم

﴿ ذكر الآثار الواردة في ذلك ﴾

عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين

قال ابن جرير : حدثني المثني حدثنا الحجاج أخبرنا حماد عن خالد الخذاء عن عمير بن سعيد قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس وإنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت فراودها عن نفسها فابت عليهما إلا أن يعلمها الكلام الذي إذا تكلم به أحد يخرج به إلى السماء فعلمها فتكلمت به فخرجت إلى السماء فمسخت كوكباً — وهذا الإسناد رجاله ثقات وهو غريب جداً — وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الفضل بن شاذان أخبرنا محمد بن عيسى أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا معاوية عن أبي خالد عن عمير بن سعيد عن علي رضي الله عنه ، قال هما ملكان من ملائكة السماء ، يعني (وما أنزل على الملكين) ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في

نمرود أي تفرقها . قال ابن مسعود : بإل أرض الكوفة وقيل : جبل دماوند . والقراءة المعروفة على الملكين بالفتح . فإن قيل : كيف يجوز تعليم السحرة الملائكة ؟ قيل : له تأويلان (أحدهما) أنهم لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحرة ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه . والتعليم بمعنى الاعلام فالشقي يترك نصيحتهما ويتعلم السحرة من صنعتهما (والتأويل الثاني) وهو الأصح : أن الله تعالى امتحن

(١) من المحقق أن

هذه القصة لم تذكر في كتبهم المقدسة فإن لم تكن وضعت في زمن روايتها فهي من كتبهم الخرافية . ورحم الله ابن كثير الذي بين لنا أن الحكاية خرافة اسرائيلية وإن الحديث المرفوع لا يثبت

تفسيره بسنده عن مغيث عن مولاة جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي مرفوعا وهذا لا يثبت من هذا الوجه . ثم رواه من طريقين آخرين عن جابر عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله الزهرة فانها هي التي فتنت الملائكة هاروت وماروت وهذا أيضا لا يصح وهو منكر جدا والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثني المثنى بن ابراهيم أخبرنا الحجاج بن منهال حدثنا حماد عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالوا جميعا لما كثر بنو آدم وعصوا دعوت الملائكة عليهم والارض والجبال ربنا لا تمهلهم فأوحى الله الى الملائكة إني أزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم وأنزلت الشهوة والشيطان في قلوبهم ولو نزلتم لفنتم أيضا . قل فخذوا أنفسهم ان لو ابتلوا اعتصموا فأوحى الله اليهم ان اختاروا ملكين من أفضلكم فاختراروا هاروت وماروت فأهبطا الى الارض وأنزلت الزهرة البهيماء في صورة امرأة من أهل قارص يسمنونها بيزنت ، قال فوقما بالخطيئة فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ، فلما رقا بالخطيئة استغفروا لم في الارض ألا ان الله هو الغفور الرحيم ، فخير الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختراروا عذاب الدنيا . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي أخبرنا عبد الله يعني ابن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو ويونس بن خباب عن مجاهد . قال كنت نازلا على عبد الله بن عمر في سفر ، فلما كان ذات ليلة قال لعلامه انظر هل طلعت الحرام لا مر حبابها ولا أهلا ولا حياها الله هي صاحبة الملائكة يارب كيف تدع عصاة بني آدم وهم يسفكون الدم الحرام وينتهكون محارمك ويفسدون في الارض . قل إني ابتليتكم فلعل ان ابتليتكم بمثل الذي ابتليتكم به فعلتم كالذي يفعلون ، قلوا لا . قال : فاختراروا من خياركم اثنين فاختراروا هاروت وماروت ، فقال لهما إني مهبطكما الى الارض وعاهد اليكما ان لا تشركا ولا تزنيا ولا تخونا فأهبطا الى الارض وألقي عليهما الشهوة وأهبطت لهما الزهرة في أحسن صورة امرأة فعرضت لهما فراوداهما عن نفسها ، فقالت إني على دين لا يصح لاحد ان يأتيني الا من كن على مثله ، قلنا وما دينك ، قالت المجوسية ، قلنا الشرك هذا شيء لا تقربه فمكثت عنهما ما شاء الله تعالى . ثم تعرضت لهما فراوداهما عن نفسها ، فقالت ما شئتما غير ان لي زوجا وأنا أكره ان يطلع على هذا مني فافتضح فان أقرتما لي بدني وشرطتما لي ان تصعدا بي الى السماء فعلت فقرأ لهما بدنيها وأتياها فيما يريدان ثم صعدا بها الى السماء فلما انتهيا بها الى السماء اختطفتهما وقطعت أجنحتهما فوقعا خائفين زادمين يبكيان وفي الارض نبي يدعو بين الجمعين فاذا كان يوم الجمعة أجيب ، فقالا : لو أتينا

الناس بالملكين في ذلك الوقت فن شقي يتعلم السحر منها فيكفر به ، ومن سعاد يتركه فيبقى على الايمان ، ويزداد المعلمان بالتعليم عذابا ففيه ابتلاء للمعلم والمتعلم ، والله أن يمتحن عباده بما شاء فله الامر والحكم . قوله عز وجل ﴿ هاروت وماروت ﴾ هما إسمان سريانيان وهما في محل الخفض على

فلانا فسلأناه فطلب لنا التوبة فأتياه فقال رحمكما الله كيف يطلب التوبة أهل الارض لاهل السماء
قالا انا قد ابتلينا ، قال اثنياني يوم الجمعة فأتياه ، فقال ما أجبت فيكما بشيء اثنياني في الجمعة الثانية
فأتياه ، فقال اختارا فقد خيرتما إن اخترتما معافاة الدنيا وعذاب الآخرة وإن أحببتما فعذاب الدنيا
وأنتما يوم القيامة على حكم الله ، فقال أحدهما ان الدنيا لم يمحض منها إلا القليل . وقال الآخر ويحك
إني قد أطعنتك في الامر الاول فأطعني الآن ان عذابا يغني ليس كعذاب يبق . فقال انا يوم القيامة
على حكم الله فأخاف ان يعذبنا ، قل لا : إني أرجو ان علم الله أنا قد اخترنا عذاب الدنيا مخافة
عذاب الآخرة ان لا يجههما علينا ، قال فاخترنا عذاب الدنيا فجعلنا في بكرات من حديد في قلب
ملوءة من نار عالهما سافلها - وهذا اسناد جيد الى عبد الله بن عمر - وقد تقدم في رواية ابن جرير
من حديث معاوية بن صالح عن نافع عنه رفعه وهذا أثبت وأصح اسنادا ثم هو والله أعلم من رواية
ابن عمر عن كعب كما تقدم بيانه من رواية سالم عن أبيه . وقوله ان الزهرة نزلت في صورة امرأة
حسنة وكذا في المروي عن علي فيه غرابة جدا

وأقرب ما ورد في ذلك ما قال ابن أبي حاتم أخبرنا عاصم بن رواد أخبرنا آدم أخبرنا أبو جعفر
حدثنا الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس رضي الله عنهما قل : لما وقع الناس من بعد
آدم عليه السلام فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله قالت الملائكة في السماء يارب هذا العالم
الذي انما خلقتهم لعبادتك وطاعتك قد وقعوا فيما وقعوا فيه وركبوا الكفر وقتل النفس وأكل
المال الحرام والزنا والسرقة وشرب الخمر فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم ، فقيل أنهم في غيب
فلم يندروهم ، فقيل لهم اختاروا من أفضلكم ملكين آمرهما وأمرهما فاختاروا هاروت وماروت
فأهبطا الى الارض وجعل لهما شهوات بني آدم وأمرهما الله ان يعبداه ولا يشركا به شيئا ونهيا
عن قتل النفس الحرام وأكل المال الحرام وعن الزنا والسرقة وشرب الخمر فلبثا في الارض زمانا يحكمكان
بين الناس بالحق وذلك في زمن إدريس عليه السلام ، وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء
كحسن الزهرة في سائر الكواكب وأنها أتيا عليها فخصعا لها في القول وأرادها على نفسها فأبت
إلا ان يكونا على أمرها وعلى دينها فسلأها عن دينها فأخرجت لهما صنما فقالت هذا أعبد فقلنا
لا حاجة لنا في عبادة هذا فذهبا فمبرا ما شاء الله ، ثم أتيا عليها فأرادها على نفسها ففعلت مثل
ذلك فذهبا ثم أتيا عليها فأرادها على نفسها فلما رأت أنهما قد أبيا ان يعبد الصنم قالت لهما اختارا
أحد الخلال الثلاث إما ان تعبدوا هذا الصنم وإما ان تقتلا هذه النفس وإما ان تشربا هذه الخمر ،

على تفسير الملكين الا أنهما نصبا لعجمتهما ومعرفتهما ، وكانت قصتهما على ما ذكر ابن عباس
والمفسرون : أن الملائكة رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه
السلام فميروهم وقالوا : هؤلاء الذين جعلتهم في الارض خليفة واختبرتهم فهم يعصونك فقال الله تعالى
لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لارتكبتم مثل ما ارتكبوا فقالوا : نسمعناك

فقالا كل هذا لا ينبغي وأهون هذا شرب الخمر فشربا الخمر فأخذت فيهما فواقعا المرأة فخشيا ان يخبر الانسان عنهما فنتلاه ، فلما ذهب عنهما السكر وعلما ما وقعا فيه من الخطيئة أرادا أن يصعدا الى السماء فلم يستطيعا وحيل بينهما وبين ذلك وكشف الغطاء فيما بينهما وبين أهل السماء فنظرت الملائكة الى ما وقعا فيه فعجبوا كل العجب وعرفوا انه من كان في غيب فهو أقل خشية فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الارض فتنزل في ذلك (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض) فقيل لها اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة ، فقلنا أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع ويذهب وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له ، فاختارا عذاب الدنيا ، فجعلنا بيابل فهما يعذبان . وقد رواه الحاكم في مستدركه مطولا عن أبي زكريا العنبري عن محمد بن عبد السلام عن اسحق بن راهويه عن حكام ابن سلم الرازي وكان ثقة (١) عن أبي جعفر الرازي به : ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه فهذا أقرب ما روي في شأن الزهرة والله أعلم .

(١) ولكنه كان يروي الغرائب كما في التفسير وفي تهذيب التهذيب عن أحمد : كان يحدث عن عنبسة أحاديث غرائب اه

وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا سلم أخبرنا القاسم بن الفضل الحذائي أخبرنا يزيد يعني الفارسي عن ابن عباس ان أهل سماء الدنيا أشرفوا على أهل الارض فرأوهم يعملون المعاصي فقالوا : يارب أهل الارض كانوا يعملون بالمعاصي ، فقال الله أتم معي وهم في غيب عني فقبل لهم اختاروا منكم ثلاثة فاختاروا منهم ثلاثة على ان يهبطوا الى الارض على ان يحكموا بين أهل الارض وجعل فيهم شهوة الآدميين فأمرؤا أن لا يشربوا خمر ولا يقتلوا نفسا ولا يزنوا ولا يسجدوا لوثن ، فاستقال منهم واحد فأقبل فأهبط اثنان الى الارض فأنتها امرأة من أحسن الناس يقال لها مناهية فهوباها جميعا ثم أتيا منزلها فاجتمعا عندها فأرادها فقالت لها لا حتى تشربا خمر وتقتلا ابن جاري وتسجدوا لوثني فقلنا لا نسجدنم شربا من الخمر ثم قتلا ثم سجدنا فأشرف أهل السماء عليهما وقالت لها أخبراني بالكلمة التي إذا قلتها طرنا فأخبرها فطارت فسمخت جرة وهي هذه الزهرة وأما ما أرسل اليهما سليمان بن داود فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما ، فإطان بن السماء والارض وهذا السياق فيه زيادة كثيرة وأغرب ونكارة والله أعلم بالصواب . وقال عبد الرزاق : قال معمر قل قتادة والزهري عن عبيد الله بن عبد الله (وما أنزل على الملكين بيابل هاروت وماروت) كنا ملكين من الملائكة فاهبطا ليحكما بين الناس ، وذلك ان الملائكة سخروا من حكام بني آدم فحكمت اليهما امرأة فخافا لها ثم ذهبا يصعدان فحيل بينهما وبين ذلك ثم خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا . وقال معمر : قال ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال الله تعالى : فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكاما من أصلح الملائكة وأعبدنهم ، وقال السكبي : قل الله تعالى لهم : اختاروا ثلاثة فاختاروا عزا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت غير إسمها لما قارفا الذنب وعزائيل فركب الله فيهم الشهوة وأهبطهم الى الارض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير

قتادة فكانا يعلمان الناس السحر فأخذ عليهما أن لا يعلمان أحدا حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر. وقال أسباط عن السدي أنه قال كان من أمر هاروت وماروت أنهما طعنا على أهل الأرض في أحكامهم فقبل لهما إني أعطيت بني آدم عشرة من الشهوات فيها يعصوني ، قال هاروت وماروت: ربنا لو أعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا لحكنا بالعدل ، فقال لهما أنزلا فتد أعطيتكما لك الشهوات العشر فأحكما بين الناس فنزلا يابل دياوند فكانا يحكما حتى إذا أسيا عرجا فإذا أصبحا هبطا فلم يزل الا كذلك حتى أتتهما امرأة فخاصم زوجها فأعجبهما أحسنها واسمها بالعريية الزهرة وبالنبطية بيدخت وبالفارسية أنا هيد. فقال أحدهما لصاحبه أنها للعجبي ، قال الآخر قد أردت أن أذكر لك فاستحييت منك . فقال الآخر ، هل لك أن أذكرها لنفسها؟ قال نعم ، ولكن كيف لنا بهذاب الله؟ قال الآخر أنا أخرجو رحمة الله. فلما جات فخاصم زوجها ذكر إليها نفسها فقالت لا حتى تقضيا لي على زوجي فقضيا لهما على زوجها ثم واعدتهما خربة من الحرب يأتيانها فيها فأتياها لذلك فلما أراد الذي يواقعها قالت ما أنا بالذي أفعل حتى تخبراني بأي كلام تصعدان إلى السماء وبأي كلام تنزلان منها فأخبرها فنكمت فصعدت فأنساها الله تعالى ما تنزل به فثبتت مكانها وجعلها الله كوكبا ، فكان عبد الله بن عمر كلما رآها لعنها وقال هذه التي فتنت هاروت وماروت ، فلما كان الليل أراد أن يصعدا فلم يطيقا فعرفا الهلكة فخير بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترتا عذاب الدنيا فعلنا يابل وجعلنا يكلمان الناس كلامهما وهو السحر .

وقال ابن أبي نعيم عن مجاهد أما شأن هاروت وماروت فإن الملائكة عجبت من ظلم بني آدم وقد جاءتهم الرسل والكتب والبينات فقال لهم ربهم تعالى : اختاروا منكم ملكين أنزلهما يحكما في الأرض فاخترتا فلم يألوا هاروت وماروت ، فقال لهما حين أنزلهما أعجبتم من بني آدم من ظلمهم ومعصيتهم وإنما تأتيهم الرسل والكتب من وراء ورائكم ليس بيني وبينكما رسول فافعلوا كذا وكذا ودعوا كذا وكذا ، فأمرهما بأمورونها ، ثم نزل على ذلك ليس أحد أطوع لله منهما فحكما فعدلا فكانا يحكما في النهار بين بني آدم فإذا أمسيا عرجا فكامعا الملائكة وينزلان حين يصبحان فيحكما فيعدلان حتى أنزلت عليهما الزهرة في أحسن صورة امرأة فخاصم فتقضا عليهما فلما قامت وجد كل واحد منهما في نفسه ، فقال أحدهما لصاحبه وجدت مثل الذي وجدت؟ قال نعم ، فبعثا إليها أن اثبتا نقض لك ، فلما رجعت قالا وقضيا لهما فأتتهما فكشفا لهما عن عورتيهما وإنما كانت سواتهما في أنفسهما ولم يكونا كبني آدم في شهوة النساء ولذاتهم ، فلما بلغا الحق والزنا وشرب الخمر ، فأما عزائيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقبل ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء فأقاله فسجد أربعين سنة لم يرفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطئا رأسه حياء من الله تعالى . وأما الآخران فانهما ثبتتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس يومهما فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا به إلى السماء قال قتادة : فما مر عليهما شهر حتى افتتنا قالوا جميعا وذلك أنه اختصم إليهما ذات

فقال الله (١)
تلى الله القرآن
عبد الله بن عمر
لما رآها لعنها
وقال هذه التي
فتنت هاروت وماروت
فلما كان الليل
أراد أن يصعدا
فلم يطيقا فعرفا
الهلكة فخير بين
عذاب الدنيا وعذاب
الآخرة فاخترتا
عذاب الدنيا فعلنا
يابل وجعلنا يكلمان
الناس كلامهما وهو
السحر .

ذلك واستحلا افتتنا فطارت الزهرة فرجعت حيث كانت ، فلما أمسيا عرجا فزجرا فلم يؤذن لهما ولم تحملهما أجنحتهما فاستغاثا برجل من بني آدم فأتياه فقالا أدع لنا ربك فقال كيف يشفع أهل الارض لأهل السماء ؟ قالا سمعنا ربك يذكرك بخير في السماء ، فوعدهما يوما وغدا يدعوهما فوعدا لهما فاستجيب له فخيبرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فنظر أحدهما الى صاحبه فقال ألا تعلم ان أفواج عذاب الله في الآخرة كذا وكذا في الخلد وفي الدنيا تسع مرات مثلها ؟ فأمر ان ينزلا بيابل فثم عذابهما ، وزعم أنهما معلقن في الحديد مطويان يصفقان بأجنحتهما . وقد روى في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كجهاد والسدي والحسن البصري وقنادة وأبي العالية والزهري والريعي بن أنس ومقاتل بن حبان وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ، وحاصلها راجع في تفصيلها الى أخبار بني اسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الاسناد الى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق على الهوى وظاهر سياق القرآن اجمال القصة من غير بسط ولا اطناب فيها فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال (١)

(١) هذا هو الحق

وجميع تلك الروايات من خرافات اليهود التي كانوا يفتشون بها المسلمين ، وإذا كان بعض الصحابة قد صدق بعضهم ، فلا عجب اذا اكثرت التابعون القول فيها وشبهه المفسرون كتبهم بها .

وقد ورد في ذلك أثر غريب وسياق عجيب في ذلك أحببنا أن ننبه عليه قال الامام أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى : أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت : قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حدثت ذلك تسأله عن أشياء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به وقالت عائشة رضي الله عنها لعروة : يا ابن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفئها فكانت تبكي حتى إني لأرحمها وتقول : إني أخاف أن أكون قد هلكت : كان لي زوج فغاب عني فدخلت علي عجوز فشكوت ذلك اليها فقالت إن فعلت ما أمرك به فأجعله يأنيك ، فلما كان الليل جاءني بكليين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن شيء حتى وقفنا بيابل وإذا برجلين معلقين بأرجلهم فقالا : ما جاء بك ؟ قلت : تتلم السحر فقالا : إنما نحن فتنة فلا تكفري فارجمي فأبيت وقلت : لا قالا : فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت ففزعت ولم أفعل فرجعت اليهما فقالا : أفعلت ؟ فقلت : نعم فقالا : هل رأيت شيئا ؟ فقلت : لم أر شيئا فقالا : لم تفعل ارجعي الى بلادك ولا تكفري فأريت وأبيت فقالا : اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت فاقشمررت وخفت ثم رجعت اليهما وقلت : قد فعلت فقالا :

يوم الزهرة وكانت من أجل النساء قل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : وكانت من أهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك فأبت وقالت : لا إلا أن تعبد ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا : لا سبيل الى هذه الأشياء فان الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت

فما رأيت؟ فقلت: لم أر شيئا فقالا: كذبت لم تفعلي ارجعي الى بلادك ولا تكفري فانك على رأس أمرك فأريبت وأيبت فقالا: اذهبي الى التنور فبولي فيه فذهبت اليه فبالت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني فذهب في السماء وغاب حتى ما أراه فجئتهما فقلت: قد فعلت فقالا: فما رأيت؟ قلت: رأيت فارسا مقنعا خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه فقالا: صدقت ذلك إيمانك خرج منك اذهبي فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئا وما قال لي شيئا فقلت: بلى لم تريدي شيئا الا كان خذي هذا القمح فابذري فبذرت وقلت: اطلعي فاطلع وقلت: احقلي فاحقلت ثم قلت: افركي فافركت ثم قلت: ايبسي فايست ثم قلت: اطخني فاطحنت ثم قلت: اخبرني فأخبرت. فلما رأيت اني لا أريد شيئا الا كان سقط في يدي وندمت والله بألم المؤمنين ما فعلت شيئا ولا أفعله أبدا، ورواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان به مطولا كما تقدم وزاد بعد قولها ولا أفعله أبدا فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حادثة وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يومئذ متوافرون فما دروا ما يقولون لها وكلهم هاب وخاف ان يقتلها بما لا يعلمه الا انه قد قال لها ابن عباس أو بعض من كان عنده لو كان أبوك حيين أو أحدهما. قال هشام: فلو جاءتنا أفئتناها بالضمان. قال ابن أبي الزناد: وكان هشام يقول: انهم كانوا من أهل الورع والخشية من الله ثم يقول هشام: لوجاءتنا مثلها اليوم لوجدت نوحي أهل حق وتكلف بغير علم. فهذا إسناد جيد الى عائشة رضي الله عنها، وقد استدلل بهذا الاثر من ذهب الى أن الساحر له تمكن في قلب الاعيان لان هذه المرأة بذرت واستغلت في الحال، وقال آخرون: بل ليس له قدرة الا على التخيل كما قال تعالى (سحروا عين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم) وقال تعالى (ينحيل اليه من سحرهم أنها تسعى) واستدل به على ان بابل المذكورة في القرآن هي بابل العراق لا بابل ديناوند كما قاله السدي وغيره، ثم الدليل على انها بابل العراق ما قال ابن أبي حاتم أخبرنا علي بن الحسين أخبرنا احمد بن صالح حدثني ابن وهب حدثني ابن لهيعة ويحيى بن أزهر عن عمار بن سعد المرادي عن أبي صالح الغفاري أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرّ ببابل وهو يسير فجاء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال: إن حبيبي صلى الله عليه وسلم نهاني أن أصلي بأرض المقبرة ونهاني أن أصلي ببابل فانها ملعونة. وقال ابو داود: أخبرنا سليمان ابن داود أخبرنا ابن وهب ويحيى بن أزهر عن عمار بن سعد المرادي عن أبي صالح الغفاري: إن عليا مرّ ببابل وهو يسير فجاء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال: إن حبيبي صلى الله عليه وسلم نهاني أن أصلي بأرض المقبرة ونهاني أن أصلي ببابل فانها ملعونة. وقال ابو داود: أخبرنا سليمان ابن داود أخبرنا ابن وهب ويحيى بن أزهر عن عمار بن سعد المرادي عن أبي صالح الغفاري: إن عليا مرّ ببابل وهو يسير فجاء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال: إن حبيبي صلى الله عليه وسلم نهاني أن أصلي بأرض المقبرة ونهاني أن أصلي ببابل فانها ملعونة.

في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل اليها ما فيها فراودها عن نفسها فعرضت عليها ما قالت بالامس فقالا: الصلاة اعير الله عظيم، وقتل النفس عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا فلما فرغا رأيا انسانا فقتلاه قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم ففسخ الله الزهرة كوكبا — وقال بعضهم: جاءت امرأة من أحسن الناس نخاصم زوجها فقال أحدهما

عليه وسلم نهاني أن أصلي في المقبرة ونهاني أن أصلي بأرض بابل فإنها ملعونة . حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يحيى بن زهر وابن لهيعة عن ججاج بن شداد عن أبي صالح الغفاري عن علي بمعنى حديث سليمان بن داود قال : فلما خرج منها برز ، وهذا الحديث حسن عند الامام أبي داود لانه رواه وسكت عليه ففيه من الفقه كراهية الصلاة بأرض بابل كما تنكره بدار ثمود الذين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدخول الى منازلهم الا ان يكونوا با كبن . قال اصحاب الهيئة : وبعد ما بين بابل وهي من اقليم العراق عن البحر المحيط الغربي ويقال له اوقيانوس سبعون درجة ويسمون هذا طولاً ، وأما عرضها وهو بعد ما بينها وبين وسط الارض من ناحية الجنوب وهو المسامت لخط الاستواء اثنان وثلاثون درجة والله أعلم

وقوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر) قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس قال : فاذا أتاهما الآتي يريد السحر نهياه أشد النهي وقال له : انما نحن فتنة فلا تكفر ، وذلك انهما علما الخير والشر والكفر والايمان ، فعرفا ان السحر من الكفر قال : فاذا أتى عليهما أمره أن يأتي مكان كذا وكذا فاذا أتاه عابن الشيطان فعلمه فاذا تعلمه خرج منه النور فنظر اليه ضاطعا في السماء فيقول : يا حسرتاه ياويله ماذا صنع . ومن الحسن البصري أنه قال في تفسير هذه الآية : نعم أنزل الماسكين بالسحر ليعلم الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلي به الناس فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلم أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر رواه ابن أبي حاتم . وقال قتادة : كان أخذ عليهما أن لا يعلم أحدا حتى يقولوا انما نحن فتنة أي بلاء ابتلينا به فلا تكفر . وقال السدي : اذا أتاهما انسان يريد السحر وعظه وقال له : لا تكفر انما نحن فتنة فاذا أتى قال له : ائت هذا الرماد قبل عليه فاذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء وذلك الايمان وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء . وذلك غضب الله فاذا أخبرهما بذلك علماه السحر فذلك قول الله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر) الآية . وقال سنيد عن ججاج عن ابن جريج في هذه الآية لا يجترىء على السحر الا كافر ، وأما الفتنة فهي المحنة والاختبار ومنه قول الشاعر

وقد فتن الناس في دينهم وخلى ابن عفان شراً طويلاً

وكذلك قوله تعالى إخباراً عن موسى عليه السلام حيث قال (إن هي إلا فتنتك) أي ابتلاك واختبارك وامتحنائك (فضل بهامن تشاء وتهدي من تشاء) وقد استدل بعضهم بهذه الآية على تكفير

للآخر : هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي ؟ قال : نعم فقال : وهل لك أن تقضي لها على زوجها ؟ فقال له صاحبه : أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه : أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها عن نفسها فقالت : لا إلا أن تقضي لي على زوجي فقضيا لها ثم سألاها نفسها فقالت : لا إلا أن تقتلاه فقال أحدهما : أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه

من تعلم السحر واستشهد له بالحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثني أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن همام عن عبد الله قال: «من أتى كاهنا أو ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم» وهذا إسناد صحيح وله شواهد آخر، وقوله تعالى (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أي فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به فيما يتصرفون من الأفاعيل المذمومة ما انهم ليفرقون به بين الزوجين مع ما بينهما من الخلطة والائتلاف، وهذا من صنيع الشياطين كما رواه مسلم في صحيحه من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الشيطان ليضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه في الناس فأقر بهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا فيقول إبليس: لا والله ما صنعت شيئا، ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله قال: فيقر به ويدنيه ويلتزمه ويقول: نعم أنت» وسبب التفريق بين الزوجين بالسحر ما يخيل إلى الرجل أو المرأة من الآخر من سوء منظر أو خلق أو نحو ذلك أو عقد أو بغضة أو نحو ذلك من الأسباب المقتضية للفرقة والمرء عبارة عن الرجل وتأنثه امرأة ويثنى كل منهما ولا يجمعان والله أعلم

وقوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله) قال سفيان الثوري لا بقضاء الله وقال محمد بن اسحق إلا بتخيلة الله بينه وبين ما أراد، وقال الحسن البصري (وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله) قال نعم من شاء الله سلطهم عليه ومن لم يشأ الله لم يسلط ولا يستطيعون من أحد إلا بأذن الله كما قال الله تعالى وفي رواية عن الحسن أنه قال لا يضر هذا السحر إلا من دخل فيه، وقوله تعالى (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) أي يضرهم في دينهم وليس له نفع بوازي ضرره (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) أي ولقد علم اليهود الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمن فعل فعلهم ذلك أنه ماله في الآخرة من خلاق، قال ابن عباس ومجاهد والسدي من نصيب، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ماله في الآخرة من جهة عند الله، وقال عبد الرزاق وقال الحسن ليس له دين، وقال سعد بن قتادة (ماله في الآخرة من خلاق) قال ولقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة وقوله تعالى (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون (يقول تعالى (ولبئس

أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألها نفسها فقالت: لا إلا أن لنا صنما نعبد ان أنتم صليتما معي عنده فعلت فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الأول وقال صاحبه مثله فصليا معها ففسخت شهابا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والكلبي والسدي: أنها قالت لهما لن ندركني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء فقالا: باسم الله إلا كبر قالت: فما أنتم بمدركي حتى تعلمانيه فقال أحدهما لصاحبه: علمها فقال: إني أخاف الله قال الآخر: فأبى رحمة الله تعالى فعلمها ذلك فشكمت به

البديل ما استبدلوا به من السحر عوضا عن الايمان ومتابعة الرسول لو كان لهم علم بما وعظوا به (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير) أى ولو أنهم آمنوا بالله ورسله واتقوا المحارم لكن لمثوبة الله على ذلك خيرا لهم مما استخاروا لانفسهم ورضوا به كما قال تعالى (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون)

وقد استدلل بقوله (ولو أنهم آمنوا واتقوا) من ذهب الى تكفير الساحر كما هو رواية عن الامام أحمد بن حنبل وطائفة من السلف وقبل بل لا يكفر ولكن حده ضرب عنقه لما رواه الشافعي واحمد بن حنبل قالوا أخبرنا سفيان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار انه سمع بحلة بن عبدة يقول كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان اقتلوا كل ساحر وساحرة قال فقتلنا ثلاث سواحر وقد أخرجه البخاري في صحيحه أيضا وهكذا صح ان حفصة أم المؤمنين سحرتها جارية لها فأمرت بها فقتلت ، قال الامام أحمد بن حنبل صح عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قتل الساحر ، وروى الترمذي من حديث اسماعيل بن مسلم عن الحسن بن جندب الأزدي انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حد الساحر ضربه بالسيف » ثم قال لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه ، واسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث والصحيح عن الحسن بن جندب موقوفا قلت قد رواد الطبراني من وجه آخر عن الحسن بن جندب مرفوعا والله أعلم . وقد روي من طرق متعددة ان الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد اليه رأسه فقال الناس سبحان الله يحيي الموتى وراه رجل من صالحى المهاجرين فلما كان الغد جاء مشتملا على سيفه وذهب يلعب لعبه ذلك فاختلط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر وقال ان كان صادقاً فليحيي نفسه وتلا قوله تعالى (أتأتون السحر وأنتم تبصرون) فغضب الوليد اذ لم يستأذنه في ذلك فسجنه ثم أطلقه والله أعلم ، وقال الامام ابو بكر الخلال : أخبرنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني أبي أخبرنا يحيى بن سعيد حدثني أبو اسحق عن حارثة قال كان عند بعض الامراء رجل يلعب فجاء جندب مشتملا على سيفه فقتله قال أراه كان ساحرا وحمل الشافعي رحمه الله قصة عمر وحفصة على سحر يكون شر كما والله أعلم

وصعدت الى السماء فسخها الله كوكبا ، وذهب بعضهم الى أنها وهي الزهرة بعينها وأنكر الآخرون هذا وقالوا : إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي أقسم الله بها فقال (فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس) والتي فتنت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى الزهرة لجأها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا قالوا : فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب همما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا إدريس النبي عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله عز وجل وقال له : إنا رأيناك يصعد لك من العبادات مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاستشفع لنا الى ربك ففعل ذلك إدريس عليه السلام فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب

﴿ فصل ﴾ حكى أبو عبد الله الرازي (١) في تفسيره عن المعتزلة أنهم أنكروا وجود السحر ، قال : وربما كفروا من اعتقد وجوده ، قال وأما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر أن يطير في الهواء ويقلب الإنسان حمرا والحر إنسانا إلا أنهم قالوا أن الله يخلق الأشياء عند ما يقول الساحر تلك الرقى والسكلمات المينة فأما أن يكون المؤثر في ذلك هو الفلك والمنجوم فلا خلافا للفلاسفة والمنجمين والصائبة ، ثم استدل على وقوع السحر وأنه يخلق الله تعالى بقوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله) ومن الاخبار بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وإن السحر عمل فيه وبقصة تلك المرأة مع عائشة رضي الله عنها وما ذكرت تلك المرأة من إيمانها بابل وتعلمها السحر . قال وبما يذكر في هذا الباب من الحكايات الكثيرة ، ثم قال بعد هذا

﴿ المسئلة الخامسة ﴾ في أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محذور - اتفق المحققون على ذلك لأن العلم لذاته شريف وأيضا لعموم قوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة والعلم بالعلم يكون المعجز معجزا واجب وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبا وما يكون واجبا فكيف يكون حراما وقبيحا؟ هذا لفظه بحروفه في هذه المسئلة وهذا الكلام فيه نظر من وجوه أحدها قوله : العلم بالسحر ليس بقبيح إن عني به ليس بقبيح عقلا فحالفوه من المعتزلة بمنعون هذا وإن عني أنه ليس بقبيح شرعا ، ففي هذه الآية الكريمة تبشيع لتعلم السحر وفي الصحيح « من أتى عرافا أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد » وفي السنن « من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر » وقوله : ولا محذور اتفق المحققون على ذلك . كيف لا يكون محظورا مع ما ذكرناه من الآية . والحديث واتفاق المحققين يقتضي أن يكون قد نص على هذه المسئلة أئمة العلماء أو أكثرهم وأين نصوصهم على ذلك ؟ ثم ادخاله علم السحر في عموم قوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) فيه نظر لأن هذه الآية إنما دلت على مدح العالمين العلم الشرعي ولم قلت أن هذا منه ثم ترقيه إلى وجوب تعلمه بأنه لا يحصل العلم بالمعجز إلا به ضعيف بل فاسد لأن أعظم معجزات رسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ثم إن العلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلا ، ثم من المعلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامتهم كانوا يعلمون المعجز ويفرقون بينه وبين غيره ، ولم يكونوا يعلمون السحر ولا تعلموه ولا علموه والله أعلم .

ثم قد ذكر أبو عبد الله الرازي أن أنواع السحر ثمانية (الاول) سحر الكذابين والكشدين الذين

الآخرة فاختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع فهما يبا بل يعذبان . واختلفوا في كيفية عذابهما فقال عبد الله بن مسعود : هما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة . وقال عطاء بن أبي رباح : رؤسهما مصوبة تحت أجنحتهما وقال قتادة : كبلا من أقدامهما إلى أصول أخذاهما وقال مجاهد : جملا في جب ملئت نارا وقال عمر بن سعد : منكوسان يضربان بسياط الحديد . وروي أن رجلا قصد هاروت وماروت

(١) هو غفر الدين
الامام المشهور كناه
تعظيما له ولم يشتهر
بالكنية وما نقله عنه هنا
ملخص من تفسيره
الكبير وفيه شيء من
التحريف المطبعي
صححناه بمقابله عليه
والمراد من الخلاف
في وجود السحر كونه
خارقا للعادة وأما
وجود شيء يسمى
السحر فلا خلاف فيه

كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة وهي السيارة وكانوا يعتقدون انها مدبرة العالم وانها تأتي بالخير والشر وهم الذين بعث الله اليهم ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم مبطلا لمقاتلتهم وراداً لذهبهم ، وقد استقصي في (كتاب الاسرار المكتوم، في مخاطبة الشمس والنجوم) المنسوب اليه كاذره القاضي ابن خلسكان وغيره ويقال انه تاب منه، وقيل بل صنفه على وجه اظهار النضيلة لاعلى سبيل الاعتقاد، وهذا هو المظنون به إلا انه ذكر فيه طريقهم في مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة وكيفية ما يفعلون وما يلبسون وما يتنسكون به .

قال (والنوع الثاني) سحر أصحاب الاوهام والنفوس القوية ، ثم استدل على أن الوهم له تأثير بأن الانسان يمكنه ان يمشي على الجذع الموضوع على وجه الارض ولا يمكنه المشي عليه اذا كان ممدودا على نهر أو نحوه ، قال : وكما أجمعت الاطباء على نهى المعروف عن النظر الى الاشياء الحجر والمصروع الى الاشياء القوية اللعنان أو الدوران وما ذاك إلا لان النفوس خلقت مطيعة للاوهام . قال : وقد اتفق العقلاء على ان الاصابة بالعين حق — وله أن يستدل على ذلك بما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » — قال فاذا عرفت هذا فنقول النفس التي تفعل هذه الافعال قد تكون قوية جدا فتستغنى في هذه الافعال عن الاستعانة بالآلات والادوات وقد تكون ضعيفة فتحتاج الى الاستعانة بهذه الآلات، وتحقيقه ان النفس اذا كانت متعلقة على البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات صارت كأنها روح من الارواح السماوية فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم ، واذا كانت ضعيفة شديدة التعاق بهذه المذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تأثير البتة إلا في هذا البدن ، ثم أرشد الى مداواة هذا الداء بتقليل الغذاء، والانتقاع عن الناس والرياء (قلت) وهذا الذي يشير اليه هو التصرف بالحال وهو على قسمين تارة نكون حالا صحيحة شرعية يتصرف بها فيما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ويترك ما نهى الله تعالى عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فهذه الاحوال مواهب من الله تعالى وكرامات للصالحين من هذه الامة ولا يسمى هذا سحرا في الشرع . وتارة تكون الحال فاسدة لا يمثل صاحبها ما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يتصرف بها في ذلك، فهذه حال الاشقياء الخالفين للشرعية ولا يدل اعطاء الله إياهم هذه الاحوال على محبته لهم ، كما أن الدجال له من الخوارق للعادات ما دلت عليه الاحاديث الكثيرة مع انه مذموم شرعا لعنه الله، وكذلك من شابهه من مخالفي الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وبسط هذا يطول جدا وليس هذا موضعه .

لتعلم السحر فوجدتهما معلقين بأرجلهما مزرقا أعينهما مسودة جلودهما ، ليس بين أسننتهما وبين الماء الا أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال : لا إله إلا الله فلما سمعا كلامه قال له : من أنت ؟ قال : رجل من النامس قالا : من أي أمة ؟ قال : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا : أوقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم قالا : الحمد لله، وأظهرها الاستبشار فقال

قال (والنوع الثالث) من السحر الاستعانة بالارواح الارضية وهم الجن خلافا للاسفة والمعزلة وهم على قسمين . مؤمنون وكفار وهم الشياطين . قال واتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالارواح السماوية لما بينهما من المناسبة والقرب ، ثم ان اصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الارواح الارضية يحصل باعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد ، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير

(النوع الرابع) من السحر التخيلات والاخذ بالعيون والشعبذة ومبناه على ان البصر قد يخطئ ويشغل بالشيء المعين دون غيره ، ألا ترى ذا الشعبذة الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم اليه حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء بالتعديق ونحوه عمل شيئا آخر عملا بسرعة شديدة وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروا فيه فيعجبون منه جدا ولو انه سكوت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر الى ضد ما يريد أن يعمل ولم تتحرك النفوس والاولهام الى غير ما يريد اخراجه لفظن الناظرون لكل ما يفعله (قال) وكلما كانت الاحوال تفيد حس البصر نوعا من أنواع الخلل أشد كان العمل أحسن مثل ان يجلس الشعبذة في موضع ضيق جدا أو مظلم فلا تقف القوة الناطقة على أحوالها والحالة هذه

(قلت) وقد قال بعض المفسرين : إن سحر السحرة بين يدي فرعون إنما كان من باب الشعبذة ولهذا قال تعالى (فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) وقال تعالى (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) قالوا : ولم تكن تسعى في نفس الامر والله أعلم

(النوع الخامس من السحر) الاعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية كفراس على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب بالبوق من غير أن يمسه أحد . ومنها الصور التي تصوّرها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان حتى يصورونها ضاحكة وبكية الى أن قال : فهذه الوجوه من لطيف أمور التخاييل (١) قال : وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل (قالت) يعني ما قاله بعض المفسرين : انهم عمدوا الى تلك الحبال والمعوي فحشوها زئبقا فصارت تتلوّى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق فيخيل الى الراي أنها تدعى باختيارها . قال الرازي : ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات ، ويندرج في هذا الباب علم جر الاثقال بالآلات الخفيفة قال : وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر لان لها أسبابا معلومة يقينية من اطاع عليها قدر عليها (قلت) ومن هذا القبيل حيل النصارى على عامتهم بما يرونه اياه من الانوار

الرجل : وبم استشاركما ؟ قال : انه نبي الساعة وقد دنا انتضاء عذابنا (٢)

(وما يعلمان من أحد) أي أحدا ومن صلة (حتى) ينصحاء أولا (يقولان إنما نحن فتنة) ابتلاء ومحنة (فلا تكفر) أي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر وأصل الفتنة الاختبار والامتحان من قولهم : فتنت الذهب والفضة اذ أذبتهما بالنار لتمييز الجيد من الردي . وإنما وحد الفتنة وهما

(١) في تفسير الرازي
التخاييل ولم نصححها
كغيرها لاحتمال أن
تكون هي الاصل فيه
(٢) هذه الحكاية
وأما لها باطلة وقد فتح
الصحابة (رض)
بلاد بابل من العراق
ولم ير أحد منهم ولا
من بعدهم هذين
الملكين فيها الى اليوم

كقضية قسامة الكنيسة التي لهم ببلد المقدس وما يخالون به من ادخال النار خفية الى الكنيسة واشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة تروج على الطغام منهم . وأما الخواص فهم معتبرون بذلك ولكن يتأولون أنهم يجمعون شمل أصحابهم على دينهم فيرون ذلك سائغا لهم . وفيهم شبهة على الجبهة الاغبياء من متعبدى الكرامة الذين يرون جواز وضع الاحاديث في الترهيب والترهيب فيدخلون في عداد من قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وقوله « حدثوا عني ولا تكذبوا علي فانه من يكذب علي يلج النار » ثم ذكر ههنا حكاية عن بعض الرهبان وهو أنه سمع صوت طائر حزين الصوت ضعيف الحركة فاذا سمعته الطيور ترق له فتذهب فتاتي في وكره من ثمر الزيتون ليتبلغ به فعمد هذا الراهب الى صنعة طائر على شكله وتوصل الى أن جعله أجوف فاذا دخلته الريح يسمع منه صوت كصوت ذلك الطائر وانقطع في صومعة ابتناها وزعم أنها على قبر بعض صاحبهم وعلق ذلك الطائر في مكان منها فاذا كان زمان الزيتون فتح باباً من ناحيته فيدخل الريح الى داخل هذه الصورة فيسمع صوتها كل طائر في شكله أيضاً فتأتي الطيور فتحمل من الزيتون شيئاً كثيراً فلا ترى النصارى الا ذلك الزيتون في هذه الصومعة ولا يدرون ماسببه ، ففتنهم بذلك وأوهم ان هذا من كرامات صاحب هذا القبر عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة (قال الرازي : النوع السادس من السحر) الاستعانة بخواص الادوية بعني في الاطعمة والدعائمات قال : وأعلم أن لا سبيل الى انكار الخواص فان تأثير المغناطيس مشاهد (قلت) بدخل في هذا القبيل كثير ممن يدعي الفقر ويتجمل على جهلة الناس بهذه الخواص مدعياً أنها أحول له من مخالطة النيران ومسك الحيات الى غير ذلك من المحالات

قال : (النوع السابع من السحر) التمليق للتاب وهو أن يدعي الساحر أنه عرف الاسم الاعظم وان الجن بطيعونه وينقادون له في أكثر الامور فاذا اتفق أن يكون لذلك السامع ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والخافة فاذا حصل الخوف ضمنت القوى الحساسة فينبذ يتمكن الساحر أن يفعل ما يشاء (قلت) هذا النمط يقال له التنبلة وانما بروج على الضعفاء العقول من بني آدم ، وفي علم الفراسة ما يرشد الى معرفة كامل العقل من ناقصه ، فاذا كان النبيل حاذقاً في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره

قال (النوع الثامن من السحر) السعي بالنجمة والتعريب (١) من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع اثنان لان الفتنة مصدر ، والمصادر لا تثني ولا تنجم . وقيل : انهما يقولان « انما نحن فتنة فلا تس كفر » سبع مرات . قال عطاء والسدي : فان أبي إلا التعلل قالا له : ائت هذا الرماد قبل عليه فيخرج منه نور ساطع في السماء فذلك نور المعرفة ، وينزل شيء أسود شبه لدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى . قال مجاهد : إن هاروت وماروت لا يصل اليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة اختلاف واحدة فيعملون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وهو أن يؤخذ كل واحد

(١) في تفسير الرازي
والتعريب بالضاد

في الناس (قالت) النجبة على قسمين نارة تكون على وجه التحريش بين الناس وتفريق قلوب المؤمنين فهذا حرام متفق عليه ، فأما ان كانت على وجه الاصلاح بين الناس وائتلاف كلمة المسلمين كما جاء في الحديث « ليس بالكذاب من بنم خيرا » أو يكون على وجه التخذيل والتفريق بين جموع الكفرة فهذا أمر مطلوب كما جاء في الحديث « الحرب خدعة » وكما فعل نعيم بن مسعود في تفرقه بين كلمة الاحزاب وبين قريظة : جاء الى هؤلاء فمضى اليهم عن هؤلاء كلاما ، ونقل من هؤلاء الى أولئك شيئا آخر ، ثم لأم بين ذلك فتناكرت النفوس واقتربت ، وإنما يحذو على مثل هذا الذكاء والبصيرة النافذة بالله المستعان .

ثم قال الرازي : فهذه جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه (قلت) وإنما أدخل كثيرا من هذه الأنواع المذكورة في فن السحر للطائفة مداركها لان السحر في اللغة عبارة عما لطاف وخفي سببه ولهذا جاء في الحديث « إن من البيان لسحرا » وسمي السحور لكونه يقع خفيا آخر الليل ، والسحر الرثة وهي محل الغناء وسميت بذلك لحفائها ولطف مجاريها الى أجزاء البدن وغضونه كما قال ابو جهل يوم بدر لعتبة : انتفخ سحره أي انتفخت رثته من الخوف . وقالت عائشة رضي الله عنها : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري ، وقال تعالى (سحروا أعين الناس) أي أخذوا عنهم علمهم والله أعلم —

وقال ابو عبد الله القرطبي : وعندنا ان السحر حق وله حقيقة بخلاف ما يشاء خلافا للمعتزلة وإني اسحق الاسفراييني من الشافعية حيث قالوا : انه تمويه وتخيل . قال : ومن السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة والشعوذة البر بدخفة سيره . قال ابن فارس : وليست هذه الكلمة من كلام أهل البادية . قال القرطبي : ومنه ما يكون كلاما يحفظ رقى من أسماء الله تعالى وقد يكون من عهود الشياطين ويكون ادوية وادخنة وغير ذلك قال : رقبه عليه السلام « إن من البيان لسحرا » يحتمل أن يكون مدحا كما تقول طائفة ، ويحتمل أن يكون ذما للبلغة قال : وهذا أصح قال : لانها تصوب الباطل حتى توم السامع انه حق كما قال عليه الصلاة والسلام « فاعلم بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضي له » الحديث

﴿ فصل ﴾ وقد ذكر الوزير المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله في كتابه (الاشراف على مذاهب الاشراف) بابا في السحر فقال : أجمعوا على ان السحر له حقيقة الا بأحنيقة فانه قال : لا حقيقة له عنده (١) واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله ، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد يكرهون ذلك ومن أصحاب أبي حنيفة من قال ان تعلمه لينتبه أو ليجتنبه فلا يكفر ومن تعلمه معتقدا جوازه أو انه عن صاحبه وينتقض كل واحد الى صاحبه قال الله تعالى ﴿ وما هم ﴾ قيل : أي السحرة وقيل : الشياطين ﴿ بضارين به ﴾ أي بالسحر ﴿ من أحد ﴾ أي أحدا ﴿ الا باذن الله ﴾ أي بعلمه وتكريمه قال الساهر يسحر والله يكون . قال سفيان الثوري : معناه الا بقضائه وقدرته ومشيتته ﴿ ويتعلمون ما يضرهم ﴾ يعني السحر يضرهم ﴿ ولا ينفعهم ولقد علموا ﴾ يعني اليهود ﴿ لمن اشتراه ﴾ أي اختار السحر ﴿ ماله في الآخرة ﴾ أي في الجنة ﴿ من خلاق ﴾ من نصيب ﴿ ولبئس ما شروا به ﴾ باعوا به

(١) قد أطال الشيخ أبو بكر الجصاص من أئمة الحنفية في القرن الرابع الكلام في السحر في كتابه (احكام القرآن) فخرم بانه خداع وتخيل وباطل وأنكر أن يكون النسي (ص) سحر واثريه السحر كما ذكر في الروايات وأنكر قصة المرأة التي روي أنها حدثت عائشة بتعلمها السحر

ينفعه كفر، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر. وقال الشافعي رحمه الله إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر، قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟ فقال مالك وأحمد نعم، وقال الشافعي وأبو حنيفة لا، فأما أن قتل بسحره إنساناً فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد. وقال أبو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين، وإذا قتل فإنه يقتل حداً عندهم إلا الشافعي فإنه قال يقتل والحالة هذه قصاصاً قال: وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟ فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنهم: لا تقبل، وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى تقبل. وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة أنه يقتل كما يقتل الساحر المسلم. وقال مالك وأحمد والشافعي: لا يقتل يعني لقصة ليبيد بن الأعصم واختلفوا في المسلمة الساحرة فعند أبي حنيفة أنها لا تقتل ولكن نجس، وقال الثلاثة حكمها حكم الرجل والله أعلم. وقال أبو بكر الخلال: أخبرنا أبو بكر المروزي قال قرأ على أبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - عمر بن هرون أخبرنا يونس عن الزهري قال: يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر المشركين لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها. وقد نقل القرطبي عن مالك رحمه الله أنه قال في الذمي يقتل أن قتل سحره وحكي ابن خزيمة عن مالك روايتين في الذمي إذا سحر أحدهما أنه يستتاب فإن أسلم وإلا قتل، والثانية أنه يقتل وإن أسلم، وأما الساحر المسلم فإن تضمن سحره كفراً كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم لقوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر) لكن قال مالك إذا ظهر عليه لم تقبل توبته لأنه كالزنديق فإن تاب قبل أن يظهر عليه وجأنا نائباً قبلناه، فإن قتل سحره قتل قال الشافعي: فإن قال لم أتعمد القتل فهو مخطئ. تجب عليه الدية

(١) يعني هل يجوز أن يسئل الساحر لإبطال سحره وحل ماعقده في مثل عقد الرجل عن امرأته؟ أم يعد سؤاله ذلك إقراراً له على سحره؟

(مسئلة) وهل يسئل الساحر حلاً لسحره؟ (١) فأجاز سعيد بن المسيب فيما نقله عنه البخاري، وقال عامر الشعبي: لا بأس بالثشرة وكره ذلك الحسن البصري، وفي الصحيح عن عائشة أنها قالت يا رسول الله هلا تشرت، فقال «أما الله فقد شغاني وخشيت أن أفتح على الناس ثيراً» وحكي القرطبي عن وهب: أنه قال يؤخذ سبع ورقات من سدر فتدق بين حجرين ثم تضرب بالماء ويقرأ عليها آية الكرسي ويشرب منها المسحور ثلاث حسوات ثم يغسل بياقيه فإنه يذهب ما به، وهو جيد للرجل الذي يؤخذ عن امرأته (قلت) أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر ما أنزل الله على

﴿أنفسهم﴾ حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق ﴿لو كانوا يعلمون﴾ فإن قيل اليس قد قال «ولقد علموا لمن اشتراه» فما معنى قوله تعالى «لو كانوا يعلمون» بعد ما أخبر أنهم علموا؟ قيل: أراد بقوله «ولقد علموا» يعني الشياطين وقوله «لو كانوا يعلمون» يعني اليهود وقيل: كلاهما في اليهود لما لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعملوا ﴿ولو أنهم آمنوا﴾ بمحمد صلى الله عليه

رسوله في اذهاب ذلك وهما الموءذتان ، وفي الحديث « لم يتعوذ المتعوذ بمثلها » وكذلك قراءة آية الكرسي فانها مطردة للشيطان

(١٠٣) يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا للكافرين عذاب أليم
(١٠٤) ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

نهى الله تعالى عباده المؤمنين ان يتشبهوا بالكافرين في مقاديرهم وفعالهم ، وذلك ان اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص عليهم لعائن الله فاذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولوا راعنا وبورون بالرعونة كما قال تعالى (من الذين هادوا يحرفون الكلام عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين - ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ، ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) وكذلك جاءت الاحاديث بالاخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سئلوا إنما يقولون السام عليكم ، والسام هو الموت. ولهذا أمرنا ان نرد عليهم بوعليكم ، وإنما يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا ، والغرض ان الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولا وفعلا ، فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا للكافرين عذاب أليم) وقال الامام احمد : أخبرنا أبو النضر أخبرنا عبد الرحمن أخبرنا ثابت أخبرنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر رضي الله عنهما . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتي يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم . وروى أبو داود عن عثمان ابن أبي شيبة عن أبي النضر هاشم أخبرنا ابن القاسم به « من تشبه بقوم فهو منهم » ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقر عليها . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا نعيم بن حماد أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا مسعر عن ابن معن وعون أو أحدهما ان رجلا أتى عبد الله بن مسعود فقال : اعهد لي ، فقال اذا سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا) فارعها سمعك فانه خير يأمر به أو شر ينهى عنه . وقال الاعمش عن خيشمة قال : ما تقرأون في القرآن (يا أيها الذين آمنوا) فانه في التوراة يا أيها المساكين . وقال محمد

وسلم والقرآن ﴿ وانقوا ﴾ اليهودية والسحر ﴿ لثوبة من عند الله خير ﴾ لكان ثواب الله أيام خيرا لهم ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ﴾ وذلك ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة أي ارعنا سمعك أي فرغ سمعك لكل منا يقال أرعى الى الشيء وارعاه وراعاه أي أصغى اليه واستمعه ، وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود وقيل : كان

ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس (راعنا) أي ارعنا سمعك . وقال الضحاك : عن ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) قل كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم ارعنا سمعك وانما راعنا كقولك عاطا . وقال ابن أبي حاتم وروى عن أبي العالية وأبي مالك والربيع بن أنس وعطية العوفي وقنادة نحو ذلك ، وقال مجاهد (لا تقولوا راعنا) لا تقولوا خلافا ، وفي رواية لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك . وقال عطاء ، لا تقولوا (راعنا) كانت لغة تقولها الانصار فنهى الله عنها . وقال الحسن : (لا تقولوا راعنا) قال الراعي من القول السخري منه نهام الله ان يسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم ، وما يدعوم اليه من الاسلام . وكذا روى عن ابن جريج انه قال مثله . وقال أبو صخر (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا ادبر ناداه من كانت له حاجة من المؤمنين فيقول ارعنا سمعك فأعظم الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقال ذلك له . وقال السدي : كان رجل من اليهود من بني قينقاع يدعى رفاعة بن زيد يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فاذا لقاه فكلمه قال : ارعني سمعك واسمع غير مسمع ، وكان المسلمون يحسبون ان الانبياء كانت تفخم بهذا فكان ناس منهم يقولون : اسمع غير مسمع غير صاغر ، وهي كالتي في سورة النساء فتقدم الله الى المؤمنين أن لا يقولوا راعنا وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بنحو من هذا . قال ابن جرير والصواب من القول في ذلك عندنا .

معناه : عندما اسمع لاسمعت وقيل : هي من الرعونة كانوا اذا أرادوا أن يحمقوا انسانا قالوا : راعنا ، بمعنى يا أحمق فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم : كذا نسب محمد سرا فأعلنوا به الآن ، فكانوا يأتونه ويقولون : راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعا سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود : لئن سمعتها من أحد منكم يتو لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضربن عنقه ، فقالوا : أولستم تقولونها ؟ فأنزل الله تعالى (لا تقولوا راعنا) لكيلا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وقولوا انظرنا ﴾ أي انظر الينا وقيل : انتظرنا وتأن بنا يقال نظرت فلانا وانتظرته ، ومنه قوله تعالى (انظرونا نقبئس من نوركم) قال مجاهد : معناه فهمنا ﴿ واسمعوا ﴾ ما تؤمرون به وأطيعوا ﴿ وللكافرين ﴾ يعني اليهود ﴿ عذاب أليم ﴾ قوله تعالى ﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ وذلك ان المسلمين كانوا اذا قالوا الحلفائهم من اليهود : آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا : ما هذا الذي تدعوننا اليه بخير مما نحن عليه ولوددنا لو كان خيرا فأنزل الله تكديبا لهم « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ أي ما يحب وما يتمنى الذين كفروا من أهل الكتاب يعني اليهود ﴿ ولا المشركين ﴾ جره بالنسق على من ﴿ أن ينزل عليكم من خير من ربكم ﴾ أي خير ونبوة ومن صلة ﴿ والله يخصص برحمته ﴾ بنبوته ﴿ من يشاء ﴾ والله ذو الفضل العظيم ﴿ والفضل ابتداء إحسان بلا علة وقيل : المراد بالرحمة الاسلام والهداية وقيل : معنى الآية ان الله تعالى بعث الانبياء من ولد اسحق فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل لم يقع ذلك بود اليهود ومحبتهم

ان الله نهى المؤمنين أن يقولوا لنبيه صلى الله عليه وسلم راعنا، لأنها كلمة كرهها الله تعالى أن يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم نظير الذي ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تقولوا للعب الكرم ولكن قولوا الحيلة ولا تقولوا عبدي ولكن قولوا فإي» وما أشبه ذلك. وقوله تعالى (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) يبين بذلك تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من مشابهتهم المؤمنين ليقطع المودة بينهم وبينهم، ونبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع النام الكامل الذي شرعه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول تعالى (والله يختص برحمته من يشاء. والله ذو الفضل العظيم)

(١٠٥) ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء عقدير

(١٠٦) ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير * قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ما ننسخ من آية) ما نبدل من آية. وقال ابن جريج عن مجاهد (ما ننسخ من آية) أي ما نمحو من آية، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ما ننسخ من آية) قال ثبت خطها وبطل حكمها حدث به عن أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم. وقال ابن أبي حاتم: وروي عن أبي العالية ومحمد بن كعب القرظي نحوه ذلك. وقال الضحاك (ما ننسخ من آية) ما ننسك. وقال عطاء أما (ما ننسخ) فما ترك من القرآن. وقال ابن أبي حاتم يعني ترك فلم ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم. وقال السدي (ما ننسخ من آية) نسخها قبضها. وقال ابن أبي حاتم: يعني قبضها رفعها مثل قوله «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة» وقوله «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا نغى لهما ثالثا» وقال ابن جرير (ما ننسخ من آية) ما ننقل من حكم آية إلى غيره فبدله ونغيره وذلك أن يحول الحلال حراما والحرام حلالا والمباح محظورا والمحظور مباحا ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي والحظر والاطلاق والمنع والاباحة. فاما الاخبار فلا يكون فيها نسخ ولا منسوخ، وأصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة أخرى إلى غيرها فكذلك معنى نسخ الحكم إلى غيره إنما هو تحويله ونقل عبارة إلى غيرها وسواء نسخ حكمها أو خطها اذ هي في كلتا حالتها منسوخة. وأما علماء الأصول فاختلفت عباراتهم في حد النسخ

وأما المشركون فاما لم يقع بؤدهم لانه جاء بتفضيهم وعيب آلهتهم فنزلت الآية فيه قوله عز وجل ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ وذلك أن المشركين قالوا: إن محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينههم عنه ويأمرهم بخلاف ما يقوله إلا من تلقاء نفسه يقول اليوم قولاً ويترجع عنه غدا كما أخبر الله وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا: إنما أنت مفتر وأنزل (ما ننسخ من آية أو ننسها) فبين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية، والنسخ في اللغة شيان (أحدهما) بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ لأنه نسخ

(١) الاظهر ان يقال
: لا الى بدل .

والامر في ذلك قريب ، لان معنى النسخ الشرعي معلوم عند العلماء ولحظ بعضهم انه رفع الحكم بدليل شرعي متأخر . فاندرج في ذلك نسخ الاخف بالاثقل وعكسه والنسخ لالي بدل (١) رأما تفاصيل حكم النسخ وذكر أنواعه وشروطه فبسوطة في أصول الفقه . وقال الطبراني . أخبرنا أبو سنبل عبيد الله بن عبد الرحمن بن واقد أخبرنا أبي أخبرنا العباس بن الفضل عن سليمان بن أرقم عن الزهري عن سالم عن أبيه قال : قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يقرأ بها فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف فأصبحا غادين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنها مما نسخ وأنسى فاهلوا عنها فكان الزهري يقرؤها (ما نسخ من آية أو ننسها) بضم النون الخفيفة . سليمان بن الأرقم ضعيف . وقد روى أبو بكر بن الأنباري عن أبيه عن نصر بن داود عن أبي عبيد الله عن عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس وعقيل عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف مثله مرفوعا ذكره القرطبي وقوله تعالى (أو ننسها) فقرأ على وجهين ننسها وننساها ، فأما من قرأها بفتح النون والهمزة بعد النسين فعناه تؤخرها . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ما ننسخ من آية أو ننسها) يقول ما يبدل من آية أو تتركها لا يبدلها . وقال مجاهد عن أصحاب ابن مسعود أو ننسها تثبت خطها ويبدل حكمها . وقال عبد بن عمير ومجاهد وعطاء أو ننسها تؤخرها ونرجئها . وقال عطية العوفي أو ننسها تؤخرها فلا ننسخها . وقال السدي مثله أيضا وكذا الربيع بن أنس ، وقال الضحاك (ما ننسخ من آية أو ننسها) يعني الناسخ من المنسوخ . وقال أبو العالية (ما ننسخ من آية أو ننسها) تؤخرها عندنا ، وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا عبيد الله بن اسمعيل البغدادي أخبرنا خلف أخبرنا الحنف عن اسمعيل يعني بن أسلم عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطبنا عمر رضي الله عنه فقال يقول الله عز وجل (ما ننسخ من آية أو ننسها) أي تؤخرها ، وأما على قراءة (أو ننسها) فقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (ما ننسخ من آية أو ننسها) قال كان الله عز وجل ينسى نبيه صلى الله عليه وسلم ما يشاء وينسخ ما يشاء

وقال ابن جرير : أخبرنا سواد بن عبد الله أخبرنا خالد بن الحارث أخبرنا عوف عن الحسن انه قال في قوله (أو ننسها) قل : ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قرأ قرآن ثم نسيه ، وقال ابن أبي حاتم من اللوح المحفوظ (والثاني) يكون بمعنى الرفع يقال نسخت الشمس الظل أي ذهبت به وأبطله فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخا وبعضه منسوخا وهو المراد من الآية وهذا على وجوه (أحدها) أن يثبت الخط وينسخ الحكم مثل آية الوصية للأقارب وآية عدة الوفاة بالحلل وآية التخفيف في القتال وآية الممتحنة ونحوها . وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ما ننسخ من آية) ما تثبت خطها ويبدل حكمها ، ومنها أن يرفع تلاوتها ويبقى حكمها مثل آية الرجم ، ومنها أن يرفع أصلا عن المصحف وعن القلوب كما روي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف : أن قوما من الصحابة رضي الله

أخبرنا أبي أخبرنا ابن نفيل أخبرنا محمد بن الزبير الحراني عن الحجاج يعني الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان مما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بالليل ونسأه بالنهار فأنزل الله عز وجل (مانسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قال ابن أبي حاتم: قال لي أبو جعفر بن نفيل ليس هو الحجاج بن أرطاة هو شيخ لنا جزري وقال عبيد بن عمير (أو ننسها) نرفعها من عندكم وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم أخبرنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن القاسم بن ربيعة قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقرأ (ما ننسخ من آية أو ننسها) قال: قلت له فإن سعد بن المسيب يقرأ (أو ننسها) قال: فقال سعد إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب قال: قال الله جل ثناؤه (سنقرئك فلا تنسى) واذكر ربك إذا نيت) وكذا رواه عبد الرزاق عن هشيم وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث أبي حاتم الرازي عن آدم عن شعبة عن يعلى بن عطاء به وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال ابن أبي حاتم وروى عن محمد بن كعب وقتادة وعكرمة نحو قول سعيد. وقال الإمام أحمد أخبرنا يحيى أخبرنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال عمر عليّ أقضانا وأبيّ أقرنا وإنا لنندع من قول أبي وذلك أن أبا يقول: ما أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يقول (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قال البخاري أخبرنا يحيى أخبرنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قل عمر: أقرنا أبيّ وأقضانا عليّ وإنا لنندع من قول أبي وذلك أن أبا يقول: لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله (ما ننسخ من آية أو ننسها). وقوله (نأت بخير منها أو مثلها) أي في الحكم بالنسبة إلى مصلحة المكلفين كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (نأت بخير منها) يقول خير لكم في المنفعة وأرفق بكم. وقال أبو العالية (مانسخ من آية) فلا نعمل بها (أو ننسها) أي نرجئها عندنا نأت بها أو نظيرها. وقال السدي (نأت بخير منها أو مثلها) يقول نأت بخير من الذي نسخناه أو مثل الذي تركناه. وقال قتادة (نأت بخير منها أو مثلها) يقول آية فيها تخفيف فيها رخصة فيها أمر فيها نهي. وقوله (ألم تعلم أن الله على كل قدير) ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يرشد عباده تعالى بهذا إلى أنه المتصرف في خلقه بما يشاء فله الخلق والأمر وهو المتصرف فكما خلقهم كما يشاء ويسعد من يشاء عنهم قاموا ليلة ليقرأ سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ففقدوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها» وقيل: كانت سورة الأحزاب مثل سورة البقرة فرفع أكثرها تلاوة وحكما، ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويذام غيره مقامه كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس إلى الكعبة، والوصية للأقارب نسخت بالميراث، وعدة الوفاة نسخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشر، ومصابة الواحد العشر في القتال نسخت بمصاهرة الاثنين، ومنها ما يرفع ولا يقام غيره مقامه كمتحان النساء، والنسخ إنما يعترض

وبشقي من يشاء ويصح من يشاء ويمرض من يشاء ويوفى من يشاء ويخذل من يشاء ، كذلك يحكم في عبادته بما يشاء فيحل ما يشاء ويحرم ما يشاء ويبيح ما يشاء ويحظر ما يشاء وهو الذي يحكم ما يريد لا معقب لحكمه ، ولا يستل عما يفمل وهم يستلون ، ويختبر عبادته وطاعتهم لرسله بالنسخ فيأمر بالشيء لما فيه من المصلحة التي يعلمها تعالى ثم ينهى عنه لما يعلمه تعالى ، فالطاعة كل الطاعة في امثال أمره واتباع رسله في تصديق ما أخبروا ، وامثال ما أمروا ، وترك ما عنه زجروا وفي هذا المقام رد عظيم وبيان بليغ لكفر اليهود وتزييف شبهتهم لعنهم الله في دعوى استحالة النسخ إما عقلا كما زعمه بعضهم جهلا وكفرا وأما نقلا كما تخرصه آخرون منهم افتراء وافكا . قال الامام أبو جعفر ابن جرير رحمه الله : فتأويل الآية ألم تعلم يا محمد أن لي ملك السموات والارض وسلطانها دون غيري أحكم فيهما وفيما فيها بما أشاء وأمر فيهما وفيما فيها بما أشاء وأنهى عما أشاء وأنسخ وأبدل وأغير من أحكامي التي أحكم بها في عبادي بما أشاء إذ أشاء ثم قال وهذا الخبر وان كان خطابا من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على وجه الخبر عن عظمته فإنه من أجل ثبوتها وتكذيب اليهود الذين أنكروا نسخ أحكام النوراة وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لمحبتهما بما جاء به من عند الله بتغيير ما غير الله من حكم النوراة فأخبرهم الله أن له ملك السموات والارض وسلطانها وان الخلق أهل مملكته وطاعته وعليهم السمع والطاعة لأمره ونهيه وان له أمرهم بما يشاء ونهيمهم عما يشاء ونسخ ما يشاء وإقرار ما يشاء وإنشاء ما يشاء من إقراره وأمره ونهيه (قلت) الذي يحمل اليهود على البحث في مسألة النسخ إنما هو الكفر والعناد فإنه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله تعالى لانه يحكم ما يشاء كما انه يفعل ما يريد مع انه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة وشرائعه الماضية كما أحل لآدم تزويج بناته من بنيه ثم حرم ذلك وكما أباح لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات ثم نسخ حل بعضها ، وكان نكاح الاختين مباحا لامرأيل وبنيه وقد حرم ذلك في شريعة النوراة وما بعدها وأمر ابراهيم عليه السلام بذبح ولده ثم نسخه قبل الفعل وأمر جمهور بني اسرائيل بقتل من عبد العجل منهم ثم رفع عنهم القتل كيلا يستأصلهم القتل ، وأشياء كثيرة يطول ذكرها وهم يعترفون بذلك ويصدفون عنه ، وما يجاب به عن هذه الأدلة بأجوبة لفظية فلا يصرف الدلالة في المعنى إذ هو المقصود . وكما في كتبهم مشهورا من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والامر على الاوامر والنواهي دون الاخبار . أما معنى الآية فقوله (ما ننسخ من آية) قراءة العامة بفتح النون والسين من النسخ أي نرفقها ، وقرأ ابن عاصم بضم النون وكسر السين من الانساح وله وجهان (أحدهما) نجعله في المنسوخ (والثاني) أن نجعله في المنسوخ نسخا لك يقال نسخت الكتاب أي كتبتنه وأنسخته غيري اذا جعلته نسخة له (أو نسها) أي نسها عن قلبك . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : تركها لا ننسخها قال الله تعالى (نسوا الله فنسيهم) أي تركوه فتركهم وقيل (نسها) نأمر بتركها يقال أنسيت الشيء اذا أمرت بتركه فيكون النسخ الاول من رفع الحكم واقامة غيره

بإتباعه، فإنه يفيد وجوب متابعتها عليه الصلاة والسلام وأنه لا يقبل عمل إلا على شريعته، وسواء قبل أن الشرائع المتقدمة مغيية إلى بعثته عليه السلام فلا يسمى ذلك نسخاً لقوله (ثم أتموا الصيام إلى الليل) وقيل إنها مطلقة وإن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم نسختها، فعلى كل تقدير فوجوب متابعتها متعين لأنه جاء بكتاب هو آخر الكتب عهداً بالله تبارك وتعالى، ففي هذا المقام بين تعالى جواز النسخ رداً على اليهود عليهم لعنة الله حيث قال تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير؟ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) الآية فكما أن المالك بلا منازع فذلك له الحكم بما يشاء ألاله الخالق والامر) وقرئ (١) في سورة آل عمران التي نزل صدرها خطاباً مع أهل الكتاب وقوع النسخ في قوله تعالى (كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) الآية كما سيأتي تفسيره والمسلمون كلهم متفقون على جواز النسخ في أحكام الله تعالى لما له في ذلك من الحكمة البالغة وكلهم قال بوقوعه. وقال أبو مسلم الأصبهاني المفسر: لم يقع شيء من ذلك في القرآن. وقوله ضريف مردود مرذول. وقد تعسف في الإجابة عما وقع من النسخ، فن ذلك قضية العدة بأربعة أشهر وعشر بعد الحول لم يجب عن ذلك بكلام مقبول، وقضية تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس لم يجب بشيء، ومن ذلك نسخ مصابرة المسلم عشرة من الكفرة إلى مصابرة الاثنين، ومن ذلك نسخ وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وغير ذلك والله أعلم (٢)

(١٠٧) أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل

الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل

نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن

مقامه والانساء يكون ناسخاً من غير إقامة غيره مقامه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو أو نسأها بمعنى النون الأول والسين مهموزاً أي تؤخرها فلا تبدلها يقال: نسأ الله في أجله ونسأ الله أجله في معناه قولان (أحدهما) نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كما فعل في آية الرجم فبلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم (والقول الثاني) قال سعيد بن المسيب وعطاء: أما ما نسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن جملة من النسخة أو نسأها أي تؤخرها وتتركها في الألواح المحفوظ فلا تنزل

(نأت بخير منها) أي بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لاجركم لا أن آية خير من آية لأن كلام الله واحد وكله خير (أو مثلها) في المنفعة والثواب فكل ما نسخ إلى الأيسر فهو أسهل في العمل وما نسخ إلى الأشق فهو في الثواب أكثر (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير؟) من النسخ والتبديل انظر استيفاه ومعناه تقرير أي أنك تعلم (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم) يامعشر الكفار عند نزول العذاب (من دون الله) مما سوى الله (من ولي) قريب وصديق وقيل: وال وهو القيم بالأمور (ولا نصير) ناصر ينفذكم من العذاب قوله (أم تريدون

(١) كذا في الأصل

وله: وقرر

(٢) أبو مسلم

لا يشكر النسخ شيء

من القرآن فالصلاة

إلى بيت المقدس لم

تثبت بالقرآن ومساءلتنا

المصابرة والصدقة

قبل المناجاة ليستا من

النسخ عنده بل هما

من قبيل الجمع بين

العزيمة والرخصة في

سياق واحد،

الاشياء قبل كونها كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلواكم تسؤلوا عنها حين ينزل القرآن تبدل لكم) أي وان تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها تبين لكم ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلعلة ان يحرم من أجل تلك المسئلة . ولهذا جاء في الصحيح « ان أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسئلته » ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجمد مع امرأته رجلاً فان تكلم تكلم بأمر عظيم وان سكت سكت على مثل ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها ، ثم أنزل الله حكم الملاعة . ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان ينهي عن قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال . وفي صحيح مسلم « ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وان نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » وهذا انما قاله بعد ما أخبرهم ان الله كتب عليهم الحج ، فقال رجل أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً . ثم قال عليه السلام « لا ولو قات نعم لو جبت ولو وجبت لما استطعتم » ثم قال « ذروني ما تركتكم » الحديث . ولهذا قال أنس بن مالك : نهينا ان نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا ان يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسبح . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده أخبرنا أبو كريب أخبرنا اسحق بن سليمان عن أبي سنان عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قال : ان كان ليأني علي السنة أريد ان أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فأتهم منه وان كنا لتتمنى الاعراب . وقال البزار : أخبرنا محمد بن المنفي أخبرنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما رأيت قوما خيراً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما سأله إلا عن اثني عشرة مسئلة كلها في القرآن (يسألونك عن الخمر والميسر - و - يسألونك عن الشهر الحرام - ويسألونك عن اليتامى يعني هذا وأشباهه .

وقوله تعالى (أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) أي بل تريدون أو هي على بابها في الاستفهام وهو انكاري وهو يعم المؤمنين والكافرين فانه عليه السلام رسول الله الى الجميع كما قال تعالى (يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد

أن تسألوا رسولكم ﴿ نزلت في اليهود حين قالوا : يا محمد اثنتا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة فقال تعالى (أم تريدون) يعني أن تريدون فالبم صلة وقيل : بل تريدون أن تسألوا رسولكم محمداً صلى الله عليه وسلم ﴿ كما سئل موسى من قبل ﴾ سأله قومه : أرنا الله جهرة وقيل : انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً كما ان موسى سأله قومه فقالوا : أرنا الله جهرة ففيه منعهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان ﴾ يستبدل الكفر بالإيمان ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ أخطأ وسط الطريق

عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال قال رافع بن خزيمة ووهب بن زيد يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ونفخر لنا أنهارا ننبعك ونصدقك. فأنزل الله من قولهم (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل؟ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) قال: قال رجل يا رسول الله لو كانت كفارتنا ككفارات بني إسرائيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم لا نبغيها - ثلاثا - ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها فان كفرها كانت له خزيًا في الدنيا وإن لم يكفرها كانت له خزيًا في الآخرة، فما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل» قال (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيمًا) وقال «الصلوات الخمس من الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن» وقال «من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت سيئة واحدة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وإن عملها كتبت له عشر أمثالها ولا يهلك على الله إلا هالك» فأنزل الله (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) وقال مجاهد (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) أن يرهبهم الله جبراً؟ قال: سألت قریش محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً قال «نعم وهو لكم كالماندة لبني إسرائيل» فأبوا ورجعوا. وعن السدي وقادة نحو هذا والله أعلم والمراد أن الله ذم من سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء على وجه التعنت والاقتراح كما سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام تعنتاً وتكديباً وعناداً. قال الله تعالى (ومن يتبدل الكفر بالإيمان) أي من يشتر الكفر بالإيمان (فقد ضل سواء السبيل) أي فقد خرج عن الطريق المستقيم إلى الجبل والضلال. وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الأنبياء واتباعهم والافتقار لهم إلى مخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالأسئلة التي لا يحتاجون إليها على وجه التعنت والكفر كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار) وقال أبو العالية يتبدل الشدة بالرخاء.

(١٠٨) ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من

عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على الخديفة بن الإيمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: لو كنتم على الحق ما هزتم فارجعوا إلى ديننا فنحن أهدى سبيلاً منكم فقال له عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديداً قال: فاني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود: أما هذا فقد صبأ وقال خديفة: أما أنا

كل شيء قدير (١٠٩) وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضاهم وفضل نبيهم ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو أو الاحتمال حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح ويأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ويحثهم على ذلك ويرغبهم فيه كما قال محمد بن اسحق ، حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال : كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود العرب حسدا اذ خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم وكنا جاهدين في رد الناس عن الاسلام ما استطاعا فأنزل الله فيهما (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) الآية . وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله تعالى (ود كثير من أهل الكتاب) قال هو كعب بن الأشرف ، وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبي أخبرنا أبو البان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه ان كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعرا وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أنزل الله (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) الى قوله (فاعفوا واصفحوا) وقال الضحاك عن ابن عباس أن رسولا أميا يخبرهم بما في أيديهم من الكتب والرسول والآيات ثم يصدق بذلك كله مثل تصديقهم ولكنهم جعلوا ذلك كفرا وحسدا وبغيا وكذلك قال الله تعالى (كفرا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) يقول من بعد ما أضاء لهم الحق لم يحبلوا منه شيئا ولكن الحسد حملهم على الجحود فعيروهم ووبخهم ولاهم أشد الملامة وشرع لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ما هم عليه من التصديق والابمان والاقرار بما أنزل الله عليهم وما أنزل من قبلهم بكرامته وثوابه الجزيل ومعوته لهم . وقال الربيع بن أنس (من عند أنفسهم) من قبل انفسهم وقال ابو العالية (من بعد ما تبين لهم الحق) من بعد ما تبين أن محمدا رسول الله يجذونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فكفروا به حسدا وبغيا اذ كان من غيرهم وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وقوله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) مثل قوله تعالى (ولنسمع من الذين آوتوا الكتاب من

فقد رضى الله ربا ، وبمحمد نبيا ، وبالاسلام ديناً ، وبالقرآن اماماً ، وبالكعبة قبة ، وبالمؤمنين اخواناً ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد أصبنا الخير وأفلحنا » فأنزل الله تعالى (ود كثير من أهل الكتاب) أي ثمى وأراد كثير من أهل الكتاب من اليهود (لو يردونكم) يامعشر المؤمنين (من بعد ايمانكم كفرا ، حسداً) نصب على المصدر أي يحسدونكم حسداً (من عند أنفسهم) أي من تلقاء انفسهم ولم يأمرهم الله بذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم صدق ودينه حق (فاعفوا)

قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) الآية . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) والسدي (١) وقوله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) نسخ ذلك قوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وقوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الى قوله (وهم صاغرون) فنسخ هذا عفوهم عن المشركين وكذا قال ابو العالية والربيع ابن انس وقادة والسدي انها منسوخة بآية السيف وبرشد الى ذلك أيضا قوله تعالى (حتى يأتي الله بأمره) وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا أبو أليان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة ابن الزبير أن اسامة بن زيد أخبره قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى . قال الله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول من العفو ما أمره الله به حتى اذن الله فيهم بالقتل فقتل الله به من قتل من صناديد قريش وهذا اسناد صحيح ولم أره في شيء من الكتب الستة ولكن له اصل في الصحيحين عن اسامة بن زيد .

وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) يحثهم تعالى على الاشتغال بما ينفعهم وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة من اقام الصلاة وآتوا الزكاة حتى يمكن لهم النصر في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) ولهذا قال تعالى (ان الله بما تعملون بصير) يعني انه تعالى لا يغفل عن عمل عامل ولا يضيع لديه سواء كان خيرا او شرا فانه سيجازي كل عامل بعمله . وقال ابو جعفر بن جرير في قوله تعالى (ان الله بما تعملون بصير) هذا الخبر من الله للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين انهم مهما فعلوا من خير او شر سرا وعلانية فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء فيجزئهم بالاحسان خيرا وبالسوء مثملا وهذا الكلام وان كان قد خرج مخرج الخبر فان فيه وعدا ووعدا وامرا وزجرا وذلك انه اعلم القوم انه بصير بجميع أعمالهم ليجدوا في طاعته اذ كان ذلك مذخورا لهم عنده حتى يثيبهم عليه كما قال تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) وليحذروا معصيته قال واما قوله (بصير) فانه مبصر صرف الى بصير كما صرف مبدع الى بديع ومؤلم الى اليم والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبو زرعة أخبرنا ابن بكير حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية سمع بصير يقول بكل شيء بصير

فاتركوا (واصفحوا) ونجاوزوا فالفحوا الحو والصفح الاعراض وكان هذا قبل آية القتال (حتى يأتي الله بأمره) بعذابه القتل والسبي ابني قرظة والجللاء والنفي لبني النضير ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما . وقال قتادة : هو أمره بقتالهم في قوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر - الى قوله - وهم صاغرون) وقال ابن كيسان : بعلمه وحكمه فيهم حكم لبعضهم بالاسلام وبعضهم بالقتل والسبي والجزية (ان الله على كل شيء قدير) وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما

(١) قوله والسدي وقوله الخ لعله زيادة من الناسخ او جامع حروف الطبع فانه ذكر بعد أن السدي قال بنسخ آية العفو بآية السيف

(١١٠) وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم

ان كنتم صادقين (١١١) بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف

عليهم ولا هم يحزنون (١١٢) وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست

اليهود على شيء - وهم يتلون الكتاب - كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم

يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون *

يبين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى انه لن

يدخل الجنة الا من كان على ملتها كما أخبر الله عنهم في سورة المائدة انهم قالوا (نحن أبناء الله وأحباؤه)

فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم انه معذبهم بذنوبهم ولو كانوا كما ادعوا لما كان الامر كذلك وكان تقدم

من دعواهم انه لن تمسهم النار الا أياما معدودة ثم ينتقلون الى الجنة ورد عليهم تعالى في ذلك وهكذا

قال لهم في هذه الدعوى التي ادعوها بلا دليل ولا حجة ولا بينة فقال (تلك أمانيتهم) وقال أبو العالية

أمانيتهم تمنوها على الله بنير حق وكذا قال قتادة والربيع بن أنس ثم قال تعالى (قل) أي يا محمد (هاتوا

برهانكم) قال أبو العالية ومجاهد والسدي والربيع بن أنس حجتكم وقال قتادة بينتكم على ذلك (ان

كنتم صادقين) أي فيما تدعونه، ثم قال تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) أي من أخلص

العمل لله وحده لا شريك له كما قال تعالى (فان حاجوك فقلت أسلمت وجهي لله ومن اتبعن) الآية

وقال أبو العالية والربيع (بلى من أسلم وجهه لله) يقول من أخلص لله وقال سعيد بن جبير (بلى من

أسلم) أخلص (وجهه) قل دينه (وهو محسن) أي اتبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فان للعمل

المتقبل شرطين أحدهما أن يكون خالصا لله وحده والآخر أن يكون صوابا موافقا للشرعة فتي

كان خالصا ولم يكن صوابا لم يتقبل ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من عمل عملا ليس عليه

أمرنا فهو رد» رواه مسلم من حديث عائشة عنه عليه الصلاة والسلام فعمل الرهبان ومن شابههم

وان فرض أنهم مخلصون فيه الله فانه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك منابعا للرسول صلى الله عليه وسلم المبعوث

اليهم والى الناس كافة وفيهم وأمثالهم قال الله تعالى (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)

تقدموا تسلفوا (لا نفسكم من خير) طاعة وعمل صالح (تجدوه عند الله) وقيل: أراد بالخير

المال كقوله تعالى (ان ترك خيرا) وأراد من زكاة أو صدقة (تجدوه عند الله) ثمرة واللقمة من

أحد (ان الله بما تعملون بصير) قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أي يهوديا

قال الفراء: حذف الياء الزائدة ورجع الى الفعل من اليهودية. وقال الاخفش: اليهود جمع هائد مثل

عائد وعود وحائل وحول (أو نصارى) وذلك ان اليهود قالوا «لن يدخل الجنة الا من كان هودا»

وقال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) وقال تعالى (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلي نارا حامية تسقى من عين آنية) وروي عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه تأولها في الرهبان كما سيأتي. وأما أن كان العمل موافقا للشرعية في الصورة الظاهرة ولكن لم يخلص عامله القصد لله فهو أيضا مردود على فاعله وهذا حال المرائين والمنافقين كما قل تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال تعالى (فويل للمصابين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون) ولهذا قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وقول في هذه الآية الكريمة (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) وقوله (فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ضمن لهم تعالى على ذلك تحصيل الاجور، وآمنهم مما يخافونه من المحذور (فلا خوف عليهم) فيما يستقبلونه، (ولا هم يحزنون) على ما مضى مما يتركونه، كما دل سعيد بن جبير (فلا خوف عليهم) يعني في الآخرة (ولا هم يحزنون) يعني لا يحزنون للموت.

وقوله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) وقالت النصارى ليست اليهود على شيء، وهم يتلون الكتاب بين به تعالى تناقضهم وتباغضهم وتعاديتهم، كما قال محمد بن اسحق: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قل: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتتهم أجبار يهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى وبالأناجيل. وقيل رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله في ذلك من قولهما (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) وقالت النصارى ليست اليهود على شيء، وهم يتلون الكتاب (قال إن كلا يتلو في كتابه تصديق من كفر به أن يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى وفي الانجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى وما جاء من التوراة ولا دين الا دين اليهودية. وقالت النصارى: لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية. وقيل: نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهود فكذب بعضهم بعضا قال الله تعالى ﴿تلك أمانيتهم﴾ أي شهوراتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير الحق ﴿قل﴾ يا محمد ﴿هاتوا﴾ أصله آتوا ﴿برهانكم﴾ حجبتكم على ما زعمتم ﴿ان كنتم صادقين﴾ ثم قال ردا عليهم ﴿بلى من أسلم وجهه﴾ أي لبس كما قالوا، بل الحكم للاسلام وانما يدخل الجنة من أسلم وجهه ﴿لله﴾ أي أخلص دينه لله وقيل: خضع وتواضع لله، وأصل الاسلام الاستسلام والخضوع وخص الوجه لانه اذا جاد بوجهه في السجود لم يدخل بسائر جوارحه ﴿وهو محسن﴾ في عمله وقيل: مؤمن وقيل: مخلص ﴿فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ قوله ﴿وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران وذلك

من عند الله وكل يكفر بما في يد صاحبه . وقال مجاهد في تفسير هذه الآية قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شيء . وقال قتادة (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) قال بلي قد كانت أوائل النصارى على شيء ولكنهم ابتدعوا وفرقوا (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) قال بلي قد كانت أوائل اليهود على شيء ولكنهم ابتدعوا وفرقوا ، وعنه رواية أخرى كقول أبي الدالية والريبع بن أنس في تفسير هذه الآية (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا القول يقتضي ان كلا من الطائفتين صدقت فيما رمت به الطائفة الاخرى ولكن ظاهر سياق الآية يقتضي ذمهم فيما قالوه مع علمهم بخلاف ذلك ولهذا قال تعالى (وهم يتلون الكتاب) أي وهم يعلمون شريعة التوراة والانجيل كل منهما قد كانت مشروعة في وقت ولكنهم تجاحدوا فيما بينهم عنادا وكفرا ومقابلة للفساد بالفساد كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد وقاتادة في الرواية الاولى عنه في تفسيرها والله أعلم . وقوله (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) بين بهذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوه به من القول وهذا من باب الایماء والاشارة ، وقد اختلف فيمن عني بقوله تعالى (الذين لا يعلمون) فقال الربيع بن أنس وقاتادة (كذلك قال الذين لا يعلمون) قالوا : قالت النصارى مثل قول اليهود وقيل لهم . وقال ابن جريج : قلت لعطاء من هؤلاء الذين لا يعلمون ؟ قال أمم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والانجيل . وقال السدي كذلك (قال الذين لا يعلمون) فهم العرب قالوا ليس محمد على شيء ، واختار أبو جعفر بن جرير انها عامة تصلح للجميع وليس ثم دليل قاطع يعين واحدا من هذه الاقوال والحل على الجميع أولى والله أعلم . وقوله تعالى (فالحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي انه تعالى يجمع بينهم يوم الماد ويفصل بينهم بقضائه العدل الذي لا يجوز فيه ولا يظلم مثقال ذرة ، وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الحج (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد) وكما قال تعالى (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم)

ان وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم أخبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود : ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعمسى والانجيل ، وقالت لهم النصارى : ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتوراة فأنزله الله تعالى ﴿ وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب ﴾ وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب قيل : معناه ليس في كتبهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل ﴿ كذلك قال الذين لا يعلمون ﴾ يعني آباءهم الذين مضوا ﴿ مثل قولهم ﴾ قال مجاهد : يعني عوام النصارى . وقال مقاتل : يعني مشركي العرب كذلك قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه انهم ليسوا على شيء من الدين . وقال عطاء : أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط

(١١٣) ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسمى في خرابها أولئك ما

كان لهم أن يدخلوها الا خائفين (١١٤) لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم *
 اختلف المفسرون في المراد من الذين منعوا مساجد الله وسمى في خرابها على قولين : أحدهما
 ما رواه العوفي في تفسيره عن ابن عباس في قوله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه)
 قال هم النصارى . وقال مجاهد هم النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس
 أن يصلوا فيه . وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (وسمى في خرابها) قال هو مختصر
 وأصحابه خرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى . وقال سعيد عن قتادة : قال أولئك أعداء
 الله النصارى حملهم بغض اليهود على أن أعانوا بمختصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس .
 وقال السدي : كانوا ظاهروا بمختصر على خراب بيت المقدس حتى خربه وأمر أن تطرح فيه الجيف
 وإنما أعانه الروم على خرابه من أجل أن بني اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا . وروي نحوه عن الحسن
 البصري (القول الثاني) ما رواه ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب قال :
 قال ابن زيد في قوله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسمى في خرابها) قال
 هؤلاء المشركون الذين حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخلوا مكة
 حتى نحر هديه بندي طوى وهاذهم وقال لهم « ما كان أحد يصد عن هذا البيت ، وقد كان الرجل
 يلقي قاتل أبيه وأخيه فلا يصد » فقالوا لا يدخل علينا من قتل آبائنا يوم بدر وفينا باق . وفي قوله
 (وسمى في خرابها) قال اذ قطعوا من بعد ما بذكروه ويأتونها للحج والعمرة . وقال ابن أبي حاتم
 ذكر عن سلمة قال قال محمد بن سحوق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير
 عن ابن عباس أن قريشا منعوا النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام فأنزل
 الله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) ثم اختار ابن جرير القول الاول واحتج
 بأن قريشا لم تسم في خراب الكعبة ، وأما الروم فسموا في تخريب بيت المقدس (قلت) والذي
 يظهر - والله أعلم - القول الثاني كما قاله ابن زيد . وروي عن ابن عباس لأن النصارى إذا منعت
 اليهود الصلاة في البيت المقدس كان دينهم أقوم من دين اليهود وكانوا أقرب منهم ولم يكن ذكر الله
 من اليهود مقبولا إذ ذلك لأنهم لعنوا من قبل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
 يعتدون . وأيضا فإنه تعالى لما وجه التمس في حق اليهود والنصارى شرع في ذم المشركين الذين
 وشعب عليهم السلام قالوا لتبهم : انه ليس على شيء . ﴿ فأن الله يحكم بينهم يوم القيامة ﴾ بقضي بين
 الحق والمبطل ﴿ فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من الدين قوله ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر ﴾
 الآية نزلت في طيطوس بن اسيسيانوس الرومي وأصحابه وذلك أنهم غزوا بني اسرائيل فقتلوا
 مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التوراة وخرّبوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير

أخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة ومنعواهم من الصلاة في المسجد الحرام، وأما اعتماده على أن قريشا لم تسع في خراب الكعبة، فأني خراب أعظم مما فعلوا؟ أخرجوا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستحذوا عليها باصنامهم وأندادهم وشركهم كما قال تعالى (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أوليائه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون) وقال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم في النار هم خالدون إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وقال تعالى (هم الذين كفروا وصدوك عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموا أن تطؤم فتصديكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لوتزايوا لعذبتنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً) فقال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) فإذا كان من هو كذلك مطروداً منها مصدوداً عنها فأني خراب لها أعظم من ذلك؟ وليس المراد بعمارتها زخرفها واقامة صورتها فقط إنما عمارتها بذكر الله فيها واقامة شرعه فيها ورفعها عن الدنس والشرك : وقوله تعالى (أولئك ماكان لهم أن يدخلوها الا خائفين) هذا خبر معناه الطلب أى لا يتمكنوا هؤلاء اذا قدرتم عليهم من دخولها الا تحت الهدنة والجزية ولهذا لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أمر من العام القابل في سنة تسع أن ينادي برحاب مني «ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان له أجل فاجله الى مدته» وهذا اذا كان تصديقاً وعملاً بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وقال بعضهم ماكان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله لاخائفين على حال التيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلاً أن يستولوا عليها ويمنعوا المؤمنين فكان خراباً الى أن بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقال قتادة والسدي : هو بختنصر وأصحابه غزوا اليهود وخرّبوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك النصارى ططوس الرومي وأصحابه من أهل الروم . قال السدي : من أجل أنهم قتلوا يحيى بن زكريا . وقال قتادة : حملهم بغض اليهود على معاونة بختنصر البابلي المجوسي فأنزله الله تعالى (ومن اظلم) اي اكفر (ممن منع مساجد الله) يعني بيت المقدس ومحاريبه (أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ماكان لهم أن يدخلوها الا خائفين) وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل زيارتهم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يدخلها يعني بيت المقدس بعد عمارتها رومي الا خائفوا لو علم به قتل . وقال قتادة ومقاتل : لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا مستنكراً لو قدر عليه لعوقب . قال سيدى اخيفوا بالجزية . وقيل : هذا خبر بمعنى الامر اي اجبضوه بالجهاد حتى لا يدخلها احد منهم الا خائفاً من القتل والسبي اي ماينبغي لهم (لهم في الدنيا خزي) عذاب وهوان قال قتادة : هو

منها. والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وغيرهم وقيل ان هذا بشارة من الله للمسلمين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وانه يذل المشركين لهم حتي لا يدخل المسجد الحرام أحد منهم الا خائفا يخاف أن يؤخذ فيعاقب أو يقتل ان لم يسلم . وقد أنجز الله هذا الوعد كما تقدم من منع المشركين من دخول المسجد الحرام وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبقى بجزيرة العرب دينان وان يجلي اليهود والنصارى منها والله الحمد والمنة وما ذاك الا تشريف أكناف المسجد الحرام وتطهير البقعة التي بعث الله فيها رسوله الى الناس كافة بشيرا ونذيرا صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الجزري لهم في الدنيا لان الجزء من جنس العمل فكلما صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام صدوا عنه وكما أجلوهم من مكة أجلا عنها (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) على ما انتهكوا من حرمة البيت وامتنعوا من نصب الاصنام حوله ودعاء غير الله عنده والطواف به عربيا وغير ذلك من أفعالهم التي يكرها الله ورسوله وأما من فسر بيت المقدس فقال كعب الاحبار ان النصارى لما ظهروا على بيت المقدس خربوه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أنزل عليه (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم ان يدخلوها إلا خائفين) الآية فليس في الارض نصراني يدخل بيت المقدس الا خائفا . وقال السدي فليس في الارض رومي يدخله اليوم الا وهو خائف أن يضرب عنقه أو قد أخيف بأداء الجزية فهو يؤذيها . وقال قتادة لا يدخلون المساجد الا مسارقة ، قلت وهذا لا ينفي أن يكون داخلا في معنى عموم الآية فان النصارى لما ظلموا بيت المقدس بامتهان الصخرة التي كانت تصلي اليها اليهود عوقبوا شرعا وقدرنا بالذلة فيه الا في أحيان من الدهر اشحن بهم بيت المقدس . وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه أيضا أعظم من عصيان النصارى كانت عقوبتهم أعظم والله أعلم . وفسر هؤلاء الجزري في الدنيا بخروج المهدي عند السدي وعكرمة ووائل بن داود ، وفسره قتادة بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون . والصحيح ان الجزري في الدنيا أعم من ذلك كله ، وقد ورد الحديث بالاستعانة من جزري الدنيا وعذاب الآخرة كما قال الامام أحمد أخبرنا الهيثم بن خارجة أخبرنا محمد بن أيوب بن ميسرة بن حلس سمعت أبي يحدث عن بشر بن أرطاة . قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو « اللهم أحسن القتل للحربي والجزية للذمي . قال مقاتل والكلبي : فتفتح مدائنهم الثلاثة قسطنطينية ورومية وعمورية » (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو النار — وقال عطاء وعبد الرحمن بن زيد : نزلت في مشركي مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يعمره بذكر الله فقد سعوا في خرابها (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) يعني أهل مكة يقول افتحها عليكم حتي تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها عليهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي : ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ، فهذا خوفهم ، وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم (لهم في

عاقبتنا في الامور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . وهذا حديث حسن وليس في شيء من الكتب الستة وليس لصحابه وهو بشر بن أرطاة حديث سواء وسوى حديث لا تقطع الايدي في النزو

(١١٥) والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم

وهذا والله أعلم فيه تسليية للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أخرجوا من مكة وفارقوا مسجدهم ومصلاتهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة الى بيت المقدس والكعبة بين يديه . فلما قدم المدينة وجه الى بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم صرفه الله الى الكعبة بعدد ولهذا يقول تعالى (والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الناسخ والمنسوخ : أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس قال : أول ما نسخ لنا من القرآن فيما ذكر لنا والله أعلم شأن القبلة . قال الله تعالى (والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق ثم صرفه الى بيته العتيق ونسخها . فقال ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : كان أول ما نسخ من القرآن القبلة . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان أهلها اليهود أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة ابراهيم وكان يدعو وينظر الى السماء فانزل الله قد نرى تقلب وجهك في السماء الى قوله (فولوا وجوهكم شطره) فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فانزل الله (قل لله المشرق والمغرب) وقال (فأينما تولوا فثم وجه الله) وقال ابن عباس (فأينما تولوا فثم وجه الله) قال قبلة الله أينما توجهت شرقا أو غربا . وقال مجاهد (فأينما تولوا فثم وجه الله) حينما كنتم قبلة تستقبلونها الكعبة . وقال ابن أبي حاتم بعد رواية الاثر المتقدم عن ابن عباس في نسخ القبلة عن عطاء عنه ، وروى عن أبي العالية والحسن وعطاء الخراساني وعكرمة وقتادة والسدي وزيد بن أسلم نحو ذلك . وقال ابن جرير وقال آخرون بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض التوجه الى الكعبة وانما أنزلها ليعلم نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاؤوا من نواحي المشرق والمغرب لانهم لا

الدنيا خزي) الذل والهوان والقتل والسبي والنفي ه قوله عز وجل ﴿ والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحوّل القبلة الى الكعبة فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوجهون وجوههم وجها من ذلك وزاحية إلا كان جل ثناؤه في ذلك الوجه وتلك الناحية لأن له تعالى المشارق والمغارب وأنه لا يخلو منه مكان كما قال تعالى (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) قالوا ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم التوجه إلى المسجد الحرام هكذا قال . وفي قوله وأنه تعالى لا يخلو منه مكان أن أراد عليه تعالى فصحيح ، فإن عليه تعالى محيط بجميع المعلومات ، وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذنا من الله أن يصلي المنطوق حيث توجه من شرق أو غرب في مسيره في سفره وفي حال المسابقة وشدة الخوف . حدثنا أبو كريب أخبرنا ابن إدريس حدثنا عبد الملك هو ابن أبي سليمان عن سعيد بن جبيرة عن ابن عمر أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته ، وبذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ويتأول هذه الآية (فأينما تولوا فثم وجه الله) رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن عبد الملك بن أبي سليمان به وأصله في الصحيحين من حديث ابن عمر وعامر بن ربيعة من غير ذكر الآية . وفي صحيح البخاري من حديث نافع عن ابن عمر أنه كان إذا سئل عن صلاة الخوف وصفها . ثم قال فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجلا قياما على أقدامهم وركبانا مستقبلي القبلة وغير مستقبلها . قل نافع : ولا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم

(مسئلة) ولم يفرق الشافعي في المشهور عنه بين سفر المسافة وسفر العدو فالجميع عنه يجوز التطوع فيه على الراحلة وهو قول أبي حنيفة خلافا للمالك وجماعته واختار أبو يوسف وأبو سعيد الاصطخري التطوع على الدابة في المصروع كماه أبو يوسف عن أنس بن مالك رضي الله عنه واختاره أبو جعفر الطبري حتى لماشي أيضا . قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في قوم عميت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها فصلوا على أنحاء مختلفة فقال الله تعالى : لي المشارق والمغارب فأين وليتم وجوهكم فهناك وجهي وهو قبلكم فبذلك أن صلاتكم ماضية . حدثنا محمد بن اسحق الأوزاعي أخبرنا أبو أحمد الزبيري أخبرنا أبو الربيع السمان عن عاصم بن عبد الله بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة فقلنا منزل فجعل الرجل يأخذ الآخر فيعمل مسجدا يصلي فيه ، فلما ان أصبحنا إذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة فقلنا يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة فانزل الله تعالى (والله المشرق

عن ذلك فنزلت هذه الآية . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحلته . أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي أنا أبو اسحق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا مصعب بن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته في

والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) الآية ثم رواه عن سفيان بن وكيع عن أبيه عن أبي الربيع السمان بنحوه . ورواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن وكيع وابن ماجه عن يحيى بن حكيم عن أبي داود عن أبي الربيع السمان ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن سعيد بن سليمان عن أبي الربيع السمان واسمه اشعث بن سعيد البصري وهو ضعيف الحديث . وقال الترمذي هذا حديث حسن وليس اسناده بذلك ولا نعرفه إلا من حديث الاشعث السمان ، وأشعث يضعف في الحديث . قلت وشيخه عاصم أيضا ضعيف . قال البخاري منكر الحديث . وقال ابن معين : ضعيف لا يحتج به ، وقال ابن حبان : متروك والله أعلم .

وقد روى من طريق آخر عن جابر فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية أخبرنا اسمعيل بن علي بن اسمعيل أخبرنا الحسن بن علي بن شبيب حدثني أحمد بن عبد الله بن الحسن قال : وجدت في كتاب أبي أخبرنا عبد الملك الزرمي عن عطاء عن جابر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية كنت فيها فأصابنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقاتلت طائفة منا قد عرفنا القبلة هي ههنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خطوطا فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي صلى الله عليه وسلم فسكت وأنزل الله تعالى (والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) ثم رواه من حديث محمد بن عبيد الله العزمي عن عطاء عن جابر به ، وقال الدارقطني قريء على عبد الله بن عبد العزيز وأنا أسمع حدثكم داود بن عمر وأخبرنا محمد بن يزيد الواسطي عن محمد بن سالم عن عطاء عن جابر قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأصابنا غيم فتحيرنا فاختلفنا في القبلة فصلى كل رجل منا على حدة وجعل أحدنا يخط بين يديه لنعلم أمكنتنا فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يأمرنا بالاعادة وقال قد أجازت صلاتكم . ثم قال الدارقطني كذا قال عن محمد بن سالم ، وقال غيره عن محمد بن عبد الله العزمي عن عطاء وهما ضعيفان ، ورواه ابن مردويه أيضا من حديث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فأخذتهم ضبابة فلم يهتدوا إلى القبلة فصلوا لغير القبلة ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس أنهم صلوا لغير القبلة ، فلما جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثوه فأنزل الله تعالى هذه الآية (والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) وهذه الاسانيد فيها ضعف ولعله يشد بعضها بعضها . وأما إعادة الصلاة لمن تبين له خطؤه ففيها قولان للعلماء وهذه دلائل على عدم القضاء والله أعلم

السفر حيث ما توجهت به . وقال عكرمة : نزلت في تحويل القبلة . قال أبو العالية : لما صرفت القبلة إلى الكعبة عبرت اليهود المؤمنين وقالوا : ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة هكذا فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال مجاهد والحسن : لما نزلت (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) قالوا : أين ندعوه ؟ فأنزل الله عز وجل (والله المشرق والمغرب) ملكا وخلقا (فأينما تولوا فثم وجه

قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في سبب النجاشي كما حدثنا محمد بن بشار أخبرنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أهلكم قد مات ففضلوا عليه قالوا : نصلي على رجل ليس بمسلم قال فبزلت (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله) قال قتادة فقالوا : إن كان لا يصلي إلى القبلة فانزل الله (والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) وهذا غريب والله أعلم . وقد قيل أنه كان يصلي إلى بيت المقدس قبل أن يبنيه الناسخ إلى الكعبة كما حكاه القرطبي عن قتادة وذكر القرطبي أنه لما مات صلى الله عليه وسلم ففضلوا عليه عليه وسلم فأخذ بذلك من ذهب إلى الصلاة على الغائب قال وهذا خاص عند أصحابنا من ثلاثة أوجه — أحدها — أنه عليه السلام شاهد حين سوي عليه طوبت له الأرض (١) . الثاني أنه لما لم يكن عنده من يصلي عليه صلى عليه واخاره ابن العربي ، قال القرطبي ويبعد أن يكون ملك مسلم ليس عنده أحد من قومه على دينه وقد أجاب ابن العربي عن هذا : لعلمهم أن يكون عندهم شرعية الصلاة على الميت . وهذا جواب جيد . الثالث أنه عليه الصلاة والسلام إنما صلى عليه ليكون ذلك كالتأليف لبقية الملوك والله أعلم : وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من حديث أبي معشر عن محمد بن عمرو بن عاتمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة لاهل المدينة وأهل الشام وأهل العراق (٢) وله مناسبة ههنا وقد أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي معشر واسمه نجيح بن عبد الرحمن السدي المدني به « ما بين المشرق والمغرب قبلة » وقال الترمذي وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة وتكلم بعض أهل العلم في أبي معشر من قبيل حفظه ، ثم قال الترمذي حدثني الحسن بن بكر المروزي أخبرنا المعلى بن منصور أخبرنا عبد الله بن جعفر الخزومي عن عثمان بن محمد بن المغيرة الأخنس عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما بين المشرق والمغرب قبلة » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، وحكى عن البخاري أنه قال هذا أقوى من حديث أبي معشر وأصح ، قال الترمذي وقد روى عن غير واحد من الصحابة « ما بين المشرق والمغرب قبلة » منهم عمر بن الخطاب وعلي وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين : وقال ابن عمر إذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة إذا استقبلت القبلة ثم قال ابن مردويه حدثنا علي بن أحمد بن عبد الرحمن أخبرنا يعقوب بن يوسف مولى بني هاشم أخبرنا شبيب بن أيوب أخبرنا ابن نمير عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما بين المشرق والمغرب قبلة » وقد رواه الدارقطني والبيهقي : الله (يعني أينما تحولوا وجوهكم فثم أي هناك وجه الله . قال الكلبي : فثم الله يعلم ويرى والوجه صلة كقوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) أي الأهو . وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان فثم قبلة الله والوجه والوجهة والجهة القبلة وقبل : رضا الله تعالى (إن الله واسع) أي يغني بعباده من السعة . قال الفراء : الواسع الجواد الذي يسع عطاؤه كل شيء ، قال الكلبي : واسع المغفرة (عليهم)

(١) لذا ومعناه
أنه حين سوي عليه
التراب وقوله طوبت
له الأرض استئناف
يأتى عللت به
المشاهدة وليس بمتعين
فقد تكون روحية
بالتمثيل
(٢) الحديث ضعيف
السند وقوله وأهل
العراق لعنه مدرج
وحده أو مع ما قبله
وإن كان ما قبله صحيح
المعنى فإن قبلة أهل
المدينة والشام جهة
الجنوب وهو أن
يكون نجم القطب
وراء ظهره وأما المصلي
في العراق فيجعله وراء
ظهر أذنه النبي

وقال المشهور عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما قوله (١) قال ابن جرير ويحتمل فإينا تولوا وجوهكم في دعائكم لي فهنا لك وجهي أستجيب لكم دعاءكم كما حدثنا القاسم أخبرنا الحسين حدثني حجاج قال قال ابن جرير: قال مجاهد لما نزلت (ادعوني أستجب لكم) قالوا إلى أين فنزلت (فإينا تولوا فتح وجه الله) قال ابن جرير ومعنى قوله (إن الله واسع عليم) يسع خلقه كلهم بالكفاية والجلود والافاضال: وأما قوله (عليم) فإنه يعني عليم بأعمالهم ما يغيب عنه منها شيء ولا يعزب عن علمه بل هو بجميعها عليم

(١١٥) وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون

(١١٦) بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون

اشتملت هذه الآية الكريمة والتي تليها على الرد على النصارى عليهم لعائن الله وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب ممن جعل الملائكة بنات الله فاكذب الله جميعهم في دعواهم وقولهم إن لله ولدا فقال تعالى (سبحانه) أي تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا (بل له ما في السموات والارض) أي ليس الأمر كما اقتصروا وإنما له ملك السموات والارض ومن فيهن وهو المتصرف فيهم وهو خالقهم ورازقهم ومقدرهم ومسخرهم ومصرفهم كما يشاء والجميع عبيد له وملك له فكيف يكون له ولد منهم والولد إنما يكون متولدا من شيئين متناسبين وهو تبارك وتعالى ليس له نظير ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولا صاحبة له فكيف يكون له ولد؟ كما قال تعالى (بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) لقد جئتم شيئا إدا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتية يوم القيامة فردا * وقال تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد) فقرر تعالى في هذه الآيات الكريمة أنه السيد العظيم الذي لا نظير له ولا شبيه له وإن جميع الأشياء غيره مخلوقة له مربوبة فكيف يكون له منها ولد؟ ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية من البقرة: أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن عبد الله

بنياتهم حيث ما صلوا ودعوا قوله تعالى ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا﴾ قرأ ابن عامر بلا وارء، وقرأ الآخرون ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا﴾ نزلت في يهود المدينة حيث قالوا (عزير ابن الله) وفي نصارى نجران حيث قالوا (المسيح ابن الله) وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ نزه وعظم نفسه، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن عبد الرحمن بن أبي حسن عن نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك

(١) كذا في الاصل
ولعله «من قوله»
أي انه غير مرفوع

ابن أبي الحسين حدثنا نافع بن جبير هو ابن مطعم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك، فاما تكذبه اياي فبزعم اني لا أقدر أن أعبد كما كان، واما شتمه اياي فقله ان لي ولدا فسيبجاني ان أتخذ صاحبة أو ولدا» انفرد به البخاري من هذا الوجه . وقال ابن مردويه حدثنا احمد بن كامل أخبرنا محمد بن اسماعيل الترمذي أخبرنا محمد بن اسحق بن محمد القروي أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول الله تعالى كذبني ابن آدم وما ينبغي له أن يكذبني وشتمني وما ينبغي له أن يشتمني، فاما تكذبه اياي فقله لن يعيدني كما بداني وليس أول الخلق باهون علي من عادته، وأما شتمه اياي فقله: أتخذ الله ولدا. وأنا الله الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافهم » وقوله (كل له قانتون) قال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا اسباط عن مطرف عن عطية عن ابن عباس قال (قانتين) مصلين وقال عكرمة وأبو مالك (كل له قانتون) مقرون له بالعبودية وقال سعيد بن جبير كل له قانتون يقول الاخلاص، وقال الربيع بن أنس يقول كل له قانتون أي قائم يوم القيامة، وقال السدي كل له قانتون أي مطيعون يوم القيامة، وقال خفيف عن مجاهد كل له قانتون، قال مطيعون كن انسانا فكن، وقال كن حمارا فكن، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد كل له قانتون مطيعون، قال طاعة الكافر في سجود ظله وهو كاره وهذا القول عن مجاهد وهو اختيار ابن جرير يجمع الاقوال كلها وهو أن القنوت والطاعة والاستكانة الى الله وهو شرعي وقدرى كما قال تعالى (والله يسجد من في السموات ومن في الارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال) وقد ورد حديث فيه بيان القنوت في القرآن ما هو المراد به كما قال ابن أبي حاتم أخبرنا يوسف بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث ان دراجا أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة »

وشتمني ولم يكن له ذلك، فاما تكذبه اياي فزعم اني لا أقدر أن أعبد كما كان، وأما شتمه اياي فقله لي ولدا، فسيبجاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا » وقوله تعالى ﴿ بل له مافي السموات والارض ﴾ عبيدا وملكا ﴿ كل له قانتون ﴾ قال مجاهد وعطاء والسدي: مطيعون وقال عكرمة ومقاتل: مقرون له بالعبودية، وقال ابن كيسان: قانتون بالشهادة، وأصل القنوت القيام قال النبي صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة طول القنوت »، واختلفوا في حكم الآية فذهب جماعة الى أن حكم الآية خاص، وقال مقاتل: هو راجع الى عزيز والمسيح والملائكة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هو راجع الى أهل طاعته دون سائر الناس، وذهب جماعة الى أن حكم الآية عام في جميع الخلق لان لفظ كل يقتضي الاحاطة بالشيء بحيث لا يشذ منه شيء، ثم سلكوا في الكفار طريقين

وكذا رواه الامام احمد عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج باسناده مثله ولكن في هذا الاسناد ضعف لا يعتمد عليه، ورفع هذا الحديث منكره، وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه والله أعلم. وكثير ما يأتي بهذا الاسناد تفاسير فيها نكارة فلا يغتر بها فان السند ضعيف والله أعلم. وقوله تعالى (بديع السموات والارض أى خالقهما على غير مثال سبق، قال مجاهد والسدى وهو مقتضى اللغة ومنه يقال للشيء المحدث بدعة كما جاء في صحيح مسلم فان كل محدثة بدعة والبدعة على قسمين تارة تكون بدعة شرعية كقوله «فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وتارة تكون بدعة لغوية كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن جمعه ايام على صلاة التراويح واستمرارهم: نعمت البدعة هذه (١) وقول ابن جرير (بديع السموات والارض) مبدعها وانما هر فعل فصرف الى فاعل كما صرف المؤلم الى الاليم والمسمع الى السميع: ومعنى المبدع المنشئ. والمحدث مالا يسبقه لى انشاء مثله واحداثه أحد قال ولذلك سمي المبتدع في الدين مبتدعا لاحداثه فيه مالم يسبق اليه غيره وكذلك كل محدث قولاً أو فعلاً لم يتقدم فيه متقدم فان العرب تسميه مبتدعا ومن ذلك قول اعشى بن ثعلبة في مدح هوزة بن علي الحنفي

يدعى الى قول سادات الرجال اذا أبدوا له الخزم أو ماشاء ابتدعا

أى يحدث ماشاء قال ابن جرير فعنى الكلام سبحانه لاه أن يكون له ولد وهو مالك مافي السموات والارض تشهد له جميعها بدلائلها عليه بالوحدانية وتقر له بالطاعة رهو بارئها وخالقها وموجد هامن غير أصل ولا مثال احتذاها عليه وهذا اعلام من الامبياده ان من يشهد له بذلك المسيح الذى أضافوا الى الله بنونه واخبار منه لهم ان الذى ابتدع السموات والارض من غير أصل وعلى غير مثال هو الذى ابتدع المسيح عيسى من غير والد بقدرته وهذا من ابن جرير رحمه الله كلام جيد وعبارة صحيحة: ر قوله تعالى واذا قضى أمرنا ما يقول له كن فيكون. يبين بذلك تعالى كمال قدرته و عظيم سلطانه وانه اذا قدر

فقال مجاهد: يسجد ظلالم لله على كره منهم قال الله تعالى (وظلالهم بالاندو والاصال) وقال السدى: هذا يوم القيامة دليله (وعنت الوجوه للحى القيوم) وقيل (قنتون) مألون مسخرون لما خلقوا له. قوله عز وجل ﴿بديع السموات والارض﴾ أى مبدعها ومنشئها من غير مثال سبق ﴿واذا قضى أمرا﴾ أى قدره وقيل أحكمه وأتقنه وأصل القضاء الفراغ ومنه قيل لمن مات قضى عليه فراغه من الدنيا، ومنه قضاء الله وقدره لانه فرغ منه تقديرا وتدييرا ﴿فانما يقول له كن فيكون﴾ قرأ ابن عامر كن فيكون بنصب النون في جميع المواضع الا في آل عمران (كن فيكون) الحق من ربك (وفي سورة الانعام (كن فيكون) قوله الحق) وانما نصبها لان جواب الامر بالفاء يكون منصوبا، وقرأ الآخرون بالرفع على معنى فهو يكون فان قيل كيف قال (فانما يقول له كن) والمعدوم لا يخاطب قيل قال الانباري: معناه فانما يقول له أى لاجل تكوينه فعلى هذا ذهب معنى الخطاب وقيل: هو وإن كان معدوما ولكنه لما قدر وجوده هو كائن لا محالة كان كالموجود فصح الخطاب

(١) إنما البدعة في هذا مواظبتهم على صلاة التراويح في الجماعة فان النبي (ص) صلاها في جماعة ليالي معسودات ولم يواظب عليها لكلا تفرض أو يظن انها فريضة فلما زال هذا الحذور بعده امر عمر بالاستمرار على صلاتها بالجماعة. والشاطبي يسمي هذا بدعة إضافية لأنه في صفة الحكم لا في أصله بل هو بدعة لغوية لا شرعية فان فعلها جماعة ثبت عنه (ص) في الصحيحين وغيرها فزال بهذا اعتراض بعض الروافض على عمر (رض)

أمر أو أراد كونه فأنما يقول له كن أي مرة واحدة فيكون أي فيوجد على وفق ما أراد كما قال تعالى (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقال تعالى (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وقال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وقال الشاعر
إذا ما أراد الله أمراً فأنما يقول له كن قوله فيكون
ونبه بذلك أيضاً على أن خلق عيسى بكامة كن فكان كما أمره الله ، قال الله تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)

(١١٧) وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ! كذلك قال الذين من

قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ، قد بينا الآيات لقوم يوقنون)

قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال قال رافع بن خزيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد إن كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا حتي نسمع كلامه فانزل الله في ذلك من قوله (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) وقال مجاهد (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) قال النصارى تقوله ، وهو اختيار ابن جرير قال لان السياق فيهم . وفي ذلك نظر وحكي القرطبي (لولا يكلمنا الله) أي بخاطبتنا بنبوتك يا محمد قلت وهو ظاهر السياق والله أعلم ، وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة والسدي في تفسير هذه الآية هذا قول كفار العرب (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم) قال هم اليهود والنصارى ويؤيد هذا القول وان القائلين ذلك هم مشركو العرب قوله تعالى (واذ جاءتهم آية قالوا لنؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله) الآية وقوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينوعا) الى قوله (قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) وقوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أن نرى ربنا) الآية وقوله تعالى (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتي صحفا مذكورة) الى غير ذلك من الآيات الدالة على كفر مشركي العرب وعتوهم وعنادهم وسؤالهم ما لا حاجة لهم به إنما هو الكفر والمعاندة كما قال من قبلهم من الامم الخالية من أهل الكتابين وغيرهم كما قال تعالى (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة) وقال تعالى (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وقوله تعالى (تشابهت قلوبهم) أي اشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في الكفر والعناد والعتو كما قوله عز وجل ﴿ وقال الذين لا يعلمون ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : اليهود ، وقال مجاهد : النصارى ، وقال قتادة : مشركو العرب ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ يكلمنا الله ﴾ عيانا بأمره رسول الله وكل ما في القرآن لولا فهو بمعنى هلا الا واحدا وهو قوله (فلولا أنه كان من المسبحين) معناه فلولا لم يكن ﴿ أو تأتينا آية ﴾ دلالة علامة على صدقك ، قال الله تعالى ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم ﴾ أي كفار

٢٩٦ تفسير ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ومسألة ابوي النبي (ص) تفسير ابن كثير والبغوي
قال تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أنوصوا به) الآية
وقوله تعالى (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) أي قد أوضحنا الدلالات على صدق الرسل بما لا يحتاج
معهما الى سؤال آخر وزيادة أخرى لمن أيقن وصدق واتبع الرسل وفهم ما جاء به عن الله تبارك وتعالى
وأما من ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاة فاولئك قال الله فيهم (ان الذين حقت عليهم
كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى ير والعذاب الاليم)

(١١٨) إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي أخبرنا عبد الرحمن بن صالح أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الفرازي عن شيبان النحوي أخبرني قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال «أنزلت عليّ (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) قال بشيرا بالجنة ونذيرا من النار» وقوله (ولا
تسئل على أصحاب الجحيم) قراءة أكثرهم ولا تسئل بضم التاء على الخبر وفي قراءة أبي بن كعب وما
تسئل وفي قراءة ابن مسعود ولن تسئل عن أصحاب الجحيم نقلهما ابن جرير أي لا نسألك عن كفر من
كفر بك كقوله (فأنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وكقوله تعالى (فذكر إنما أنت مذكر است
عليهم بمسيطر) الآية وكقوله تعالى (نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من
يخاف وعيد) وأشبه ذلك من الآيات . وقرأ آخرون «ولا تسأل عن أصحاب الجحيم» بفتح التاء على
الزهي أي لا نسأل عن حالهم كما قال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن موسى ابن عبيدة عن محمد بن كعب
القرظي قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليت شعري ما فعل ابوي ليت شعري ما فعل أبوأي
ليت شعري ما فعل أبوأي؟» فنزلت (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) فما ذكرهما حتى توفاه الله عز وجل
ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن موسى بن عبيدة وقد تكلموا فيه عن محمد بن كعب
بمثله وقد حكاه القرطبي عن ابن عباس ومحمد بن كعب قل القرطبي : وهذا كما يقال لا تسأل عن فلان
أي قد بلغ فوق ما تحسب وقد ذكرنا في التذكرة ان الله أحياله أبويه حتى آمننا به وأجبنا عن قوله «ان
أبي وأباك في النار» قلت والحديث المروي في حياة أبويه عليه السلام ليس في شيء من الكتب الستة

الامم الخالية ﴿ مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم ﴾ أي أشبه بعضهم بعض في الكفر والقسوة وطلب
الهمال ﴿ قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ إنا أرسلناك بالحق ﴿ أي بالصدق كقوله (ويستنبئونك
أحق هو ؟ قل إني وربي انه لحق) أي صدق ، قال ابن عباس رضي الله عنهما . بالقرآن دليله (بل
كذبوا الحق لما جاءهم) وقال ابن كيسان : بالاسلام وشرائعه . دليله قوله عز وجل (وقل جاء الحق)
وقال مقاتل : معناه لم نرسلك عبثا إنما أرسلناك بالحق كما قل (وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما الا بالحق) . قوله عز وجل ﴿ بشيرا ﴾ أي مبشرا لاوليائي وأهل طاعتي بالثواب الكريم
﴿ ونذيرا ﴾ أي منذرا مخوفا لاعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الاليم ، قرأ نافع ويعقوب ﴿ ولا

ولا غيرها وإسناده ضعيف والله أعلم . ثم قال ابن جرير وحدثني القاسم أخبرنا الحسين حدثني حجاج عن ابن جريج أخبرني داود بن أبي عاصم به أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم « أين أبوي » ؟ فنزلت (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) وهذا مرسى كالذي قبله وقد رد ابن جرير هذا القول المروي عن محمد بن كعب وغيره في ذلك لاستحالة الشك من الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر أبويه واختار القراءة الأولى وهذا الذي سلكه ههنا فيه نظر لاحتمال أن هذا كان في حال استنفاذه لأبويه قبل أن يعلم أمرهما فلما علم ذلك تبرأ منهما وأخبر عنهما أنهما من أهل النار ثبت هذا في الصحيح ، ولهذا أشباه كثيرة ونظائر ولا يلزم ما ذكره ابن جرير والله أعلم وقال لإمام أحمد أخبرنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال : قمت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال : أجل والله أنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين ، وأنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكلا ، لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا . انزله باخراجه البخاري فرواه في البيوع عن محمد بن سنان عن فليح به وقال تابعه عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال ، وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام ، ورواه في التفسير عن عبد الله عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص به فذكر نحوه ، فعبد الله هذا هو ابن صالح كما صرح به في كتاب الأدب ، وزعم ابن مسعود الدمشقي أنه عبد الله بن رجاء ، وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من البقرة عن أحمد بن الحسن بن أيوب عن محمد بن أحمد ابن البراء عن المعافي بن سليمان عن فليح به وزاد قال : عطاء ثم أقمت كعب الأخبار فسألته فما اختلافنا في حرف إلا أن كعبا قال : بلغته أعينا عمومي وآذانا صمومي وقلوبا غلوقا

(١١٠) ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو

الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير (١٢٠)

الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون

تسأل على النهي قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم « ليت شعري ما ذا فعل أبوي » فنزلت هذه الآية وقيل : هو على معنى قولهم لا تسأل عن شر فلان فإنه فوق ما تحسب وليس على النهي ، وقرأ الآخرون ولا تسأل بالرفع على النفي بمعنى ولست بمسؤول عنهم كما قال الله تعالى (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) عن أصحاب الجحيم والجحيم معظم النار قوله عز وجل « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع

قال ابن جرير يعني بقوله جل ثناؤه (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدا فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم الى ما بعثك الله به من الحق ، وقوله تعالى (قل إن هدى الله هو الكامل الشامل ، قال قتادة في قوله (قل إن هدى الله هو الهدى) قال : خصومة علمها الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخاضعون بها أهل الضلالة ، قال قتادة : وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « لا تزال طائفة من أمتي يقتاتون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » (قلت) هذا الحديث يخرج في الصحيح عن عبد الله بن عمرو (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) فيه تهديد ووعد شديد للامة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة عياذا بالله من ذلك فإن الخطاب مع الرسول والامر لأمته . وقد استدلل كثير من الفقهاء بقوله (حتى تتبع ملتهم) حيث أفرد الملة على أن الكفر كله ملة واحدة كقوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفار وكل منهم يرث قرينه سواء كان من أهل دينه أم لا لأنهم كلهم ملة واحدة وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة واحدا في رواية عنه ، وقال في الرواية الاخرى كقول مالك : انه لا يتوارث أهل ملتين شتي كما جاء في الحديث والله أعلم — وقوله (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة : هم اليهود والنصارى وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقال سعيد عن قتادة : هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا ابراهيم بن موسى وعبد الله بن عمران الاصبهاني قال أخبرنا يحيى بن يمان حدثنا أسامة بن زبد عن أبيه عن عمر بن الخطاب (يتلونه حق تلاوته) قال : إذا مرّ بذكر الجنة سأل الله الجنة ، وإذا مرّ بذكر النار تعوذ بالله من النار ، وقال أبو العالية قال ابن مسعود : ولذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأ كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يتأول ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ﴿ وذلك أنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعون فيه في أنه إن أمهلهم اتبعوه فأنزل الله تعالى هذه الآية ، معناه إنك وإن هادنتهم فلا يرضون بها وإنما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هذا في القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي الى قبلتهم فلما صرف الله القبلة الى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود) الا باليهودية (ولا النصارى) الا بالنصرانية . والملة الطريقة ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ﴾ قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة كقوله (لئن أشركت ليحبطن عملك) ﴿ بعد الذي جاءك من العلم ﴾ البيان بأن دين الله هو الاسلام والقبلة قبلة ابراهيم عليه السلام

منه شيئا على غير تأويله وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ومنصور بن المعتز عن ابن مسعود قال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في هذه الآية قال : يتلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه . قال ابن أبي حاتم : وروى عن ابن مسعود نحوه ذلك ، وقال الحسن البصري : يعملون بحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكونون ما أشكل عليهم إلى عالمه . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو زرعة أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة أخبرنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (يتلون حق تلاوته) قال : يتبعونه حق اتباعه ثم قرأ (واقمروا إذا تلاوها) يقول اتبعوها قال : وروى عن عكرمة وعطاء ومجاهد وأبي رزين وإبراهيم النخعي نحوه ذلك . وقال سفیان الثوري أخبرنا زبيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود في قوله (يتلون حق تلاوته) قال : يتبعونه حق اتباعه . قال القرطبي وروى نصر بن عيسى عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (يتلون حق تلاوته) قال « يتبعونه حق تلاوته » ثم قال في إسناد غير واحد من المجولين فيما ذكره الخطيب إلا أن معناه صحيح . وقال أبو موسى الأشعري : من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة وقال عمر بن الخطاب : هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله ، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها قال : وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا مر بآية رحمة سأل ، وإذا مر بآية عذاب تعوذ . وقوله (أولئك يؤمنون به) خبر عن (الذين آتيناكم الكتاب يتلون حق تلاوته) أي من أقام كتابه من أهل الكتب المنزلة على الأنبياء المتقدمين حق إقامة آمن بما أرسلتكم به يا محمد كما قال تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لا كوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) الآية وقال (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) أي إذا أقمتموها حق الإقامة وآمنتم بها حق الإيمان وصدقتم ما فيها من الأخبار بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته والامر باتباعه ونصره وموازرتة قادم ذلك إلى الحق واتباع الخير في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذين يجدونه

وهي الكعبة) مالك من الله من ولي ولا نصير * الذين آتيناكم الكتاب قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا أربعين رجلا اثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا ، وقال الضحاك : هم من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وشعبة بن عمرو ونمام بن يهودا وأسد وأسيديد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله بن سوريا ، وقال قتادة وعكرمة : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل : هم المؤمنون عامة (يتلون حق تلاوته) قال السكبي : يصفونه في كتبهم حق صنته لمن سألهم من الناس وأهل راجعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخرون : هي عائدة إلى الكتاب واختلفوا في معناه فقال ابن مسعود رضي الله عنهما : يقرؤنه كما أنزل ولا يحرفونه ، ويتلون حلاله ويحرمون حرامه ، وقال الحسن : يعملون بحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه ، ويكونون علم ما أشكل عليهم إلى عالمه ، وقال مجاهد :

مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) الآية وقال تعالى (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لم ينص) أي إن كان ما وعدنا به من شأن محمد صلى الله عليه وسلم واقعاً وقل تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم يؤمنون) وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به أنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم يفتنون) وقال تعالى (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أسلمتم؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فأنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) ولهذا قال تعالى (ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون) كما قال تعالى (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده). وفي الصحيح «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار»

(١٢١) يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين (١٢٢)

واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون

قد تقدم نظير هذه الآية في صدر السورة وكررت ههنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول النبي الأمي الذين يجدون صفته في كتبهم ونعمته واسمه وأمره وأمتهم فخرهم من كتمان هذا، وكتمان ما أنعم به عليهم، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم من النعم الدنيوية والدينية ولا يحسدوا بني عمهم من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم، ولا يحلمهم ذلك الحسد على مخالفتهم وتكذيبه والحيد عن موافقته، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين

(١٢٣) واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال أني جاعلك للناس إماماً. قال ومن

ذرتي، قال لا ينال عهدي الظالمين)

يقول تعالى منبهاً على شرف ابراهيم خليله عليه السلام وإن الله تعالى جعله إماماً للناس يقتدى به في التوحيد حين قام بما كلفه الله تعالى به من الأوامر والنواهي ولهذا قال (واذا ابتلى ابراهيم ربه يدعوته حق اتباعه، قوله ﴿أولئك يؤمنون به﴾ ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون * يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين * راتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون * وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن﴾

قرأ ابن عاصم ابراهيم بالالف في بعض المواضع وهو ثلاثة وثلاثون موضعاً جملة تسعة وتسعون موضعاً وهو اسم أعجمي ولذلك لا يجري عليه الصرف وهو ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور وكان مولده بالسوس من أرض الأهواز وقيل بابل وقيل كوثي وقيل كسكر وقيل حران ولكن أباه نقله إلى أرض بابل بأرض نمرود بن كنعان. ومعنى الابتلاء الاختبار والامتحان والامر والابتلاء الله

بكلمات) أي واذا ذكر يا محمد لهؤلاء المشركين وأهل الكتابين الذين ينتحلون ملة ابراهيم وليسوا عليها وإنما الذي هو عليها مستقيم فأنت والذين معك من المؤمنين - اذ كر لهؤلاء ابتلاء الله ابراهيم أي اختباره له بما كلفه به من الاوامر والنواهي (فأتهم) أي قام بهن كلهن كما قال تعالى (وابراهيم الذي وفي) أي وفي جميع ما شرع له فعمل به صلوات الله عليه وقال تعالى : (ان ابراهيم كان أمة قاتل الله حنيفا ولم يك من المشركين * شاكر الانعمه اجتبا * وهده الى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (قل انني هادي ربي الى صراط مستقيم ديننا قيام ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين * ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) وقوله تعالى (بكلمات) أي بشرائع وأوامر ونواه ، فان الكلمات تطلق ويراد بها الكلمات القدريه كقوله تعالى عن مريم عليها السلام (وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) وتطلق ويراد بها الشرعية كقوله تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي كلماته الشرعية ، وهي اما خبر صدق وأما طلب عدل ان كان أمرا أو نهيا ومن ذلك هذه الآية الكريمة (وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) أي قام بهن قال (إني جاعلك للناس اماما) أي جزاء على ما فعل كما قام بالأوامر وترك الزواجر جعله الله للناس قدوة واماما يقتدى به ويتخذى حذوه

وقد اختلف في تعيين الكلمات التي اختبر الله بها ابراهيم الخليل عليه السلام ، فروى عن ابن عباس في ذلك روايات فقال بمبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ابن عباس : ابتلاه الله بالمناسك ، وكذا رواه أبو اسحق السبيعي عن التميمي عن ابن عباس . وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس (وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) قال ابتلاه بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد ، في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وفي الجسد تقليم الاظفار وحلق العانة والختان وتنف الابط وغسل أثر الغائط والبول بالماء ، قال ابن أبي حاتم : وروى عن سعيد بن المسيب ومجاهد والشعبي والنخعي وأبي صالح وأبي الجلد نحو ذلك (قلت) و يجب من هذا ما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم وتنف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء . قال مصعب : ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة . قال وكيع :

العباد ليس لي علم أحوالهم بالابتلاء لانه عالم بهم ولكن لي علم العباد أحوالهم حتي يعرف بعضهم بعضا واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها ابراهيم فقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : هي ثلاثون سما من شرائع الاسلام ولم يبتل بها أحد فقامها كلها الا ابراهيم فكتب له البراءة فقال (وابراهيم الذي وفي) عشر في براءة (الثابتون العابدون) الي آخرها وعشر في الاحزاب (إن المسلمين والمسلمات)

انتقاص الماء يعني الاستنجاء. وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار وتنف الابط » ولفظه لمسلم . وقال ابن أبي حاتم : أنبأنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لميعة عن ابن هبيرة عن حنش بن عبد الله الصنعاني عن ابن عباس أنه كان يقول في تفسير هذه الآية (وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) قال عشر ست في الانسان وأربع في المشاعر . فأما التي في الانسان حلق العانة وتنف الابط والختان (١) وكان ابن هبيرة يقول : هؤلاء الثلاثة واحدة ، وتقليم الاظفار وقص الشارب والسواك وغسل يوم الجمعة والاربعة (٢) التي في المشاعر الطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والاقاضة . وقال داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : ما ابتلى بهذا الدين أحد فقام به كله إلا ابراهيم قال الله تعالى (وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) قلت له وما الكلمات التي ابتلى الله ابراهيم بهن فاتمهن ؟ قال : الاسلام ثلاثون سهما منها عشر آيات في براءة (التائبون العابدون) الى آخر الآية ، وعشر آيات في أول سورة (قد أفلح المؤمنون) (سأل سائل بعذاب واقع) وعشر آيات في الاحزاب (ان المسلمين والمسلمات) الى آخر الآية فاتمهن كلهن فكتبت له براءة قال الله (وابراهيم الذي وفى) هكذا رواه الحاكم وأبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن أبي حاتم بأسانيدهم الى دوايد بن أبي هند به وهذا لفظ ابن أبي حاتم . وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قل : الكلمات التي ابتلى الله بهن ابراهيم فاتمهن ، فراق قومه في الله حين أمر بمفارقتهم ، ومحاجته نمرود في الله حين وقفه على ما وقفه عليه من خطر الامر الذي فيه خلافه ، وصبره على قذفه إياه في النار ليحرقوه في الله على هول ذلك من أمرهم ، والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده في الله حين أمره بالخروج عنهم ، وما أمره به من الضيافة والصبر عليها بنفسه وماله ، وما ابتلى به من ذبح ابنه حين أمره بذبحه ، فلما مضى على ذلك من الله كله وأخلصه للبلاء قال الله له (اسلم قال أسلمت لرب العالمين) على ما كان من خلاف الناس وفراقهم . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا اسماعيل بن علية عن أبي رجاء عن الحسن يعني البصري (وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) قال ابتلاه بالكوكب فرضي عنه ، وابتلاه بالقمر فرضي عنه ، وابتلاه بالشمس فرضي عنه ، وابتلاه بالهجرة فرضي عنه ، وابتلاه بالختان فرضي عنه ، وابتلاه بابنه فرضي عنه . وقال ابن جرير أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع

(١) كذا في

نسختنا المطبوعة ونسخة خزنة الازهر المخطوطة وفي الدر المنثور أو الختان وبهذا التشكيك يصح العدد وليس فيه : هؤلاء الثلاثة واحدة (٢) انت لفظ العدد هنا خلافا لما قبله

وعشر في سورة المؤمنين في قوله (قد أفلح المؤمنون) الآيات وقوله (الاصليين) في (سأل سائل) ، وقال طائوس عن ابن عباس رضي الله عنهما : ابتلاه الله بعشرة أشياء وهي الفطرة خمس في الرأس : قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق الرأس ، وخمس في البدن : تقليم الاظفار ، وتنف الابط ، وحلق العانة ، والختان ، والاستنجاء بالماء . وفي الخبر « إن ابراهيم عليه السلام أول من قص الشارب ، وأول من اختن ، وأول من قلم الاظفار ، وأول من رأى الشيب

أخبرنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول أي والله لقد ابتلاه بامر فصبر عليه - ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فأحسن في ذلك وعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيئا وما كان من المشركين ، ثم ابتلاه بالمجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجرا إلى الله ، ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصبر على ذلك وابتلاه الله بذبح ابنه والختان فصبر على ذلك وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سمع الحسن يقول في قوله (واذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) قال ابتلاه الله بذبح ولده وبالنار والكوكب والقمر والشمس وقال أبو جعفر بن جرير أخبرنا ابن بشار أخبرنا سلم بن قتيبة أخبرنا أبو هلال عن الحسن (واذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) قال ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فوجده صابرا : وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس (واذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن) فمنهن (قال اني جاعلك للناس اماما) ومنهن (واذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل) ومنهن الآيات في شأن المنسك والمقام الذي جعل لإبراهيم والرزق الذي رزق ساكنو البيت ومحمد بعث في دينهما : وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا شعبة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى (واذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن) قال الله لإبراهيم اني مبتليك بأمر فما هو؟ قال : نجعلني للناس اماما؟ قال نعم : قال : ومن ذريتي؟ (قال لا ينال عهدي الظالمين) قال : نجعل البيت مثابة للناس؟ قال نعم : قال : وأمتنا؟ قال نعم : قال : ونجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك : قال نعم : قال : وترزق أهلنا من الثمرات من آمن منهم بالله؟ قال نعم : قال ابن أبي نجيح سمعته من عكرمة فمرضته على مجاهد فلم ينكره ، وهكذا رواه ابن جرير من غير وجه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (واذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن) قال ابتلى بالآيات التي بعدها (اني جاعلك للناس اماما) قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين (وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (واذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) قال الكلمات (اني جاعلك للناس اماما) وقوله (واذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمتنا) وقوله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقوله (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) الآية وقوله (واذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) الآية قال فذلك كله من الكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم ، وقال السدي الكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم ربه (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك... ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) وقال القرطبي وفي الموطأ وغيره عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : إبراهيم عليه فلما رآه قل : يارب ما هذا؟ قال : الوفا قال : يارب زدني وقارا » قال مجاهد : هي الآيات التي بعدها في قوله عز وجل (اني جاعلك للناس اماما) إلى آخر القصة . وقال الربيع وكتادة : مناسك الحج ، وقال الحسن : ابتلاه الله بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس فأحسن فيها النظر وعلم أن ربه دائم لا يزول وبالنار فصبر عليها وبالمجرة وبذبح ابنه وبالختان فصبر عليها ، قال سعيد بن

السلام أول من اختن وأول من ضاف الضيف وأول من قلم أظفاره وأول من قص الشارب وأول من شاب فلما رأى الشيب قال: يارب ما هذا؟ قال وقار قال: يارب زدني وقارا وذكر ابن أبي شيبة عن سعد بن ابراهيم عن أبيه قال أول من خطب على المنابر ابراهيم عليه السلام، قال غيره وأول من برد البريد وأول من ضرب بالسيف وأول من استاك وأول من استنجى بالماء وأول من لبس السراويل، وروي عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أخذ المنبر فقد أخذني أبي ابراهيم، وإن أخذ العصا فقد أخذها أبي ابراهيم» (قلت) هذا الحديث لا يثبت والله أعلم: ثم شرع القرطبي يتكلم على ما يتعلق بهذه الاشياء من الاحكام الشرعية

قال أبو جعفر بن جرير ما حاصله انه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكر وجائز أن يكون بعض ذلك ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعمين لا بمحدث أو اجماع قل ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له. قال غير انه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في نظير معنى ذلك خبران أحدهما ما حدثنا به أبو كريب أخبرنا راشد بن سعد حدثني زبان بن قائد عن سهل بن معاذ بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول «ألا أخبركم لم سمي الله ابراهيم خليله: الذي وفي؟» لانه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) الى آخر الآية، قال والآخر منهما ما حدثنا به أبو كريب أخبرنا الحسن عن عطية أخبرنا اسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وابراهيم الذي (وفي) قال «أندرون ما وفي؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال «وفي عمل يومه أربع ركعات في النهار» ورواه آدم في تفسيره عن حماد بن سلمة وعبد بن حميد عن يونس ابن محمد عن حماد بن سلمة عن جعفر بن الزبير به، ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين وهو كما قل فانه لا يجوز روايتهما الا ببيان ضعفهما وضعفهما من وجوه عديدة فان كلا من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء مع ما في متن الحديث مما يدل على ضعفه والله أعلم: ثم قال ابن جرير ولو قل قائل ان الذي قاله مجاهد وأبو صالح والريعي بن أنس أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم كان مذهبنا لان قوله (اني جاءك للناس اماما) رقبته (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيني للطائفين) الآية وسائر الايات التي هي نظير ذلك كاليان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلى بهن ابراهيم (قلت) والذي قاله أولا من أن الكلمات تشمل جميع ما ذكر أقوى من هذا الذي جوزه من قول مجاهد ومن قال مثله لان السياق يعطي غير ما قالوه والله أعلم

جبر: هو قول ابراهيم واسماعيل اذ يرفعان البيت (ربنا تقبل منا) الآية فرفعا بسبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر، قال يمان بن رباب: هن محاجة قومه قال الله تعالى (وحاجه قومه) الى قوله تعالى - وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم (وقيل: هي قوله (الذي خلقني فهو يهدين) الى آخر الايات (فاتمهن) قال قتادة: أداهن، قال الضحاك: قام بهن، وقال يمان: عمل بهن * قال

وقوله قال (ومن ذريتي) قال (لا ينال عهدي الظالمين) لما جعل الله ابراهيم اماما سال الله أن تكون الائمة من بعده من ذريته فأجيب الى ذلك وأخبر انه سيكون من ذريته ظالمون وانه لا ينالهم عهد الله ولا يكونون أئمة فلا يقتدى بهم والدليل على انه أجيب الى طلبته قوله تعالى في سورة العنكبوت (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) فكل نبي أرسله الله وكل كتاب أنزله الله بعد ابراهيم في ذريته صلوات الله وسلامه عليه (١) وأما قوله تعالى (قال لا ينال عهدي الظالمين) فقد اختلفوا في ذلك فقال خصيف عن مجاهد في قوله (قال لا ينال عهدي الظالمين) قال انه سيكون في ذريتك ظالمون ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (قال لا ينال عهدي الظالمين) قال لا يكون لي امام ظالم ، وفي رواية لا أجعل اماما ظالما يقتدي به . وقال سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله تعالى (قال لا ينال عهدي الظالمين) قال لا يكون امام ظالم يقتدي به : وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا مالك بن اسماعيل أخبرنا شريك عن منصور عن مجاهد في قوله (ومن ذريتي) قال أما من كان منهم صالحا فأجعله اماما يقتدي به وأما من كان ظالما فلا ولا نعمة عين . وقال سعيد بن جبير (لا ينال عهدي الظالمين) المراد به المشرك لا يكون امام ظالم يقول لا يكون امام مشرك ، وقال ابن جريج عن عطاء قال (اني جاعلك للناس اماما) قال ومن ذريتي فأني ان يجعل من ذريته اماما ظالما قلت لعطاء ماعنده قول أمره : وقال ابن أبي حاتم أخبرنا عمرو بن ثور القيساري فيما كتب الى أخبرنا الفريابي حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس ، قال قال الله لا ابراهيم اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي فأني أن يفعل ثم قال (لا ينال عهدي الظالمين) وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس (قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) يخبره انه كائن في ذريته ظالم لا ينال عهده ولا ينبغي ان يوليه شيئا من أمره وان كان من ذرية خليله ومحسن مستنذ فيه دعوته وتبلغ له فيه ما أراد من مسئلته : وقال العوفي عن ابن عباس (لا ينال عهدي الظالمين) قال يعني لا عهد لظالم عليك في ظلمه أن تطيعه فيه ، وقال ابن جرير حدثنا اسحق أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله عن اسرائيل عن مسلم الاور عن مجاهد عن ابن عباس (قال لا ينال عهدي الظالمين) قال ليس للظالمين عهدوان عاهدته فأنقضه : وروى عن مجاهد وعطاء ومقاتل بن حيان نحو ذلك : وقال الثوري عن هارون بن غنتر عن أبيه قال ليس لظالم عهد وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (لا ينال عهدي الظالمين) قال لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمين فاما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمّن به وأكل رعاش، وكذا قال ابراهيم النخعي وعطاء والحسن وعكرمة ، وقال الربيع بن أنس عهد الله تعالى (قال : اني جاعلك للناس اماما) يقتدي بك في الخير (قال) ابراهيم (ومن ذريتي) أي ومن أولادي أيضا فاجعل أئمة يقتدي بهم (قال) الله تعالى (لا ينال) لا يصيب (عهدي الظالمين) قرأ حمزة وحفص باسكان الياء والباقون بفتحها أي من كان منهم ظالما لا يصيبه ، قال عطاء بن أبي رباح : عهدي - رحمتي ، وقال السدي : نبوتي ، وقيل : الامامة ، قال مجاهد : ليس لظالم

(١) هذه الدعوي مدفوعة بقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا) الآية وقوله (وان من امة إلا اخلا فيها نذير) وأما قوله تعالى (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) فليس فيه حصر كيف وقد قال فيه وفي نوح عليهما السلام (وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب)

الله الذي عهد الى عباده دينه يقول لا ينال دينه الظالمين ألا ترى انه قال (وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) يقول ليس كل ذريتك يا ابراهيم على الحق وكذا روي عن أبي العالية وعطاء ومقاتل بن حيان وقال جوهبر عن الضحاك لا ينال طاعتي عدولي يمصيني ولا أنحلها الا وليا لي بطييعني : وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد أخبرنا احمد بن عبد الله بن سعيد الدامغاني أخبرنا وكيع عن الاعمش عن سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا ينال عهدي الظالمين) قول لاطاعة الا في المعروف ، وقال السدي (لا ينال عهدي الظالمين) يقول عهدي بنو بني - فهذه أقوال مفسري الساف في هذه الآية على ما نقله ابن جرير وابن أبي حاتم رحمهما الله تعالى واختار ابن جرير أن هذه الآية وان كانت ظاهرة في الخبر انه لا ينال عهد الله بالامامة ظلما ففيها إعلام من الله لا ابراهيم الخليل عليه السلام انه سيوجد من ذريتك من هو ظالم لنفسه كما تقدم عن مجاهد وغيره والله أعلم : وقال ابن خويز منداد المالكي : الظالم لا يصلح أن يكون خليفة ولا حاكما ولا مفتيا ولا شاهدا ولا راويا

(١٢٤) واذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى

قال العوفي عن ابن عباس قوله تعالى (واذا جعلنا البيت مثابة للناس) يقول لا يقضون منه وطراياتونه ثم يرجعون الى أهليهم ثم يعودون اليه : وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مثابة للناس يقول يشوبون. رواها ابن جرير : وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا عبد الله بن رجاء أخبرنا اسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (واذا جعلنا البيت مثابة للناس) قال يشوبون اليه ثم يرجعون (قال وروي عن أبي العالية وسعيد بن جبيرة في رواية عطاء ومجاهد والحسن وعطية والربيع ابن أنس والضحاك نحو ذلك . وقال ابن جرير . حدثني عبد الكريم بن أبي عمير حدثني الوليد ابن مسلم قال قال أبو عمرو يعني الاوزاعي : حدثني عبدة بن أبي لبابة في قوله تعالى (واذا جعلنا أن يطاع في ظلمه ومعنى الآية لا ينال ما عهدت اليك عن النبوة والامامة من كان ظلما من ولدك وقيل : أراد بالعهد الامان من النار وبالظالم المشرك كقوله تعالى « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الامن » قال الله تعالى ﴿ واذا جعلنا البيت ﴾ يعني الكعبة ﴿ مثابة للناس ﴾ مرجعا لهم ، قال مجاهد وسعيد بن جبيرة : يشوبون اليه من كل جانب ويحجون ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : معاذ وقال قتادة وعكرمة : مجمعا ﴿ وأمنا ﴾ أي مأمنا يأمنون فيه من إيذاء المشركين فانهم كانوا يتعرضون لاهل مكة ويقولون : هم أهل الله ويتعرضون لمن حوله كما قال الله تعالى (أو لم يروا أننا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حوله) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف أنا محمد بن اسماعيل (١) أنا علي بن عبد الله أنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طلوس

(١) هو البخاري صاحب الصحيح

البيت مثابة للناس) قال لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرا . وحدثني
يونس عن ابن وهب قال : قال ابن زيد (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس) قال يثوبون اليه من
البلدان كلها ويأتونه . وما أحسن ما قال الشاعر في هذا المعنى أورده القرطبي

جعل البيت مثابا لهم ليس منه الدهر يقضون الوطر

وقال سعيد بن جبير في الرواية الاخرى وعكرمة وقتادة وعطاء الخراساني (مثابة للناس) أي
مجمعا وأما قال الضحاك عن ابن عباس : أي أمنا للناس . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس
عن أبي العالية (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) يقول وأمنا من العدو وإن يحمل فيه السلاح
وقد كانوا في الجاهلية يتخطف الناس من حرهم وهم آمنون لا يسبون . وروي عن مجاهد وعطاء
والسدي وقتادة والربيع بن أنس قالوا من دخله كان آمنا

ومضمون ما فسر به هؤلاء الائمة هذه الآية أن الله تعالى يذكر شرف البيت وما جعله موصوفا به
شرعا وقدرنا من كونه مثابة للناس أي جعله محللا لشئاق اليه الارواح ونحن اليه ولا تقضى منه وطرا ولو
ترددت اليه كل عام استجابة من الله تعالى للدعاء خليله ابراهيم عليه السلام في قوله فاجعل أفئدة من الناس
تهوى اليهم إلى أن قال (ربنا وتقبل دعائنا) ويصفه تعالى بأنه جعله آمنا من دخله آمن ولو كان قد فعل ما فعل
ثم دخله كان آمنا . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كان الرجل يلقي قاتل أبيه وأخيه فيه فلا يعرض
له كما وصف في سورة المائدة بقوله تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) أي يدفع عنهم
بسبب تعظيمها السوء كما قال ابن عباس : لو لم يحج الناس هذا البيت لاطبق الله السماء
على الارض وما هذا الشرف الا شرف بانيه أولا وهو خليل الرحمن كما قال تعالى (وإذ أنا
لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا) وقال تعالى (إن أول بيت وضع للناس
للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) وفي
هذه الآية الكريمة نبه على مقام ابراهيم مع الامر بالصلاة عنده . فقال (واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى) وقد اختلف المفسرون في المراد بالمقام ما هو فقال ابن أبي حاتم : أخبرنا عمرو
ابن شبة التميمي حدثنا أبو خلف يعني عبد الله ابن عيسى أخبرنا داود بن أبي هند عن مجاهد عن

عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « إن هذا
البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ولا
ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ، ولا يختلى خلاله » فقال العباس : يارسول الله إلا الاذخر
فانه لقينهم وليوتهم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إلا لاذخر » ﴿ واتخذوا ﴾ قرأ نافع وابن
عمر بفتح الحاء على الخبر ، وقرأ الباقر بكسر الحاء على الامر ﴿ من مقام ابراهيم مصلى ﴾ قال يمان
المسجد كله مقام ابراهيم ، وقال ابراهيم النخعي : الحرم كله مقام ابراهيم ، وقيل : أراد بمقام ابراهيم
جميع مشاهد الحج مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد . والصحيح أن مقام ابراهيم هو الحجر الذي

(١) كذا في
الاصول وسبب أمثال
هذا التكرار الامانة
في النقل بحكاية
ما قيل بلفظه
(٢) أي مزدلفة

ابن عباس (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال مقام ابراهيم الحرم كله . وروى عن مجاهد وعطاء مثل ذلك . وقال أيضا أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جبر قال : سألت عطاء عن (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) فقال سمعت ابن عباس قال : أما مقام ابراهيم الذي ذكرهنا فمقام ابراهيم هذا الذي في المسجد . ثم قال ومقام ابراهيم (١) يعد كثير مقام ابراهيم الحج كله . ثم فسره لي عطاء فقال : التمر يرف وصلاتان بعرفة والمشعر (٢) ومنى ورمي الجمار والطواف بين الصفا والمروة ، فقلت أفسره ابن عباس ؟ قال لا . ولكن قل مقام ابراهيم الحج كله . قلت أسمعت ذلك لهذا أجمع ؟ قل نعم سمعته منه . وقال سفيان الثوري عن عبد الله بن مسلم عن شعيب بن جبير (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال الحجر مقام ابراهيم نبي الله قد جمل الله رحمة فكان يقوم عليه وبناوله اساعيل الحجارة ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه . وقال السدي : المقام الحجر الذي وضعته زوجة اسمعيل تحت قدم ابراهيم حتى غسلت رأسه . حكاه القرطبي وضعفه ورجحه غيره ، وحكاه الرازي في تفسيره عن الحسن البصري وقادة والريسم بن أنس . وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه سمع جابرا يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم . قال : لما طاف النبي صلى الله عليه وسلم قل له عمر هذا مقام أيننا ؟ قال نعم ، قال أفلا نتخذ مصلى ؟ فأنزل الله عز وجل (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال عثمان بن أبي شيبة أخبرنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قل عمر قلت يا رسول الله هذا مقام خليل ربنا ؟ قال نعم . قال أفلا نتخذ مصلى ؟ فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال ابن مردويه أخبرنا دعلج بن أحمد أخبرنا غيلان بن عبد الصمد أخبرنا مسروق بن المربان أخبرنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب أنه مر بمقام ابراهيم فقال : يا رسول الله أليس تقوم بمقام خليل ربنا ؟ قال بلى ، قال أفلا نتخذ مصلى ؟ فلم يلبث الا يسيرا حتى نزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال ابن مردويه أخبرنا علي بن أحمد بن محمد القزويني أخبرنا علي بن الحسين حدثنا الجنيد أخبرنا هشام بن خالد أخبرنا الوليد عن مالك بن أنس عن جعفر بن محمد في المسجد يصلي اليه الائمة ، وذلك الحجر الذي قام عليه ابراهيم عند بناء البيت ، وقيل : كان أثر أصابع رجليه بينا فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي ، قال قتادة ومقاتل والسدي : أمروا بالصلاة عند مقام ابراهيم ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسدد عن يحيى بن حميد عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وافقت الله في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى ! فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله عز وجل آية الحجاب ، قال رب اغني

عن أبيه عن جابر قال : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عند مقام ابراهيم قال له عمر يا رسول الله هذا مقام ابراهيم الذي قال الله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال نعم : قال الوليد : قلت لمالك هكذا احدثك واتخذوا (١) قال نعم هكذا وقع في هذه الرواية وهو غريب وقد روى النسائي من حديث الوليد بن مسلم نحوه . وقال البخاري : باب قوله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) مثابة يثوبون برجعون . حدثنا مسدد أخبرنا يحيى عن حميد عن أنس بن مالك . (١) كذا في الاصل قال قال عمر بن الخطاب : وافقت ربي في ثلاث أو وافقتي ربي في ثلاث : قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب . قال وبلغني معابة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه فدخلت عليهن فقلت ان انتهين أو ليبدلن الله رسوله خيرا منكن حتى أنت احدى نساءه قالت : يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظن أنت فأنزل الله (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات) الآية وقال ابن أبي ريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني حميد قال سمعت أنسا عن عمر رضي الله عنهما هكذا ساقه البخاري ههنا وعلق الطريق الثانية عن شيخة سعيد بن الحكم المعروف بابن أبي مرجم المصري وقد فُرد بالرواية عنه البخاري من بين أصحاب الكتب الستة . وروى عنه الباقر بن واسطة وغرضه من تعليق هذا الطريق ليبين فيه اتصال اسناد الحديث وإنما لم يسنده لان يحيى بن أبي أيوب الغافقي فيه شيء . كما قال الامام أحمد فيه هو سيء الحفظ والله أعلم . وقال الامام أحمد حدثنا هشيم أخبرنا حميد عن أنس قال : قال عمر رضي الله عنه وافقت ربي عز وجل في ثلاث قلت : يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهم ان يحتجبن فنزلت آية الحجاب . واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لمن (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجا خيرا منكن) فنزلت كذلك ، ثم رواه أحمد عن يحيى وابن أبي عدي كلاهما عن حميد عن أنس عن عمر أنه قال

معابة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه فدخلت عليهن فقلت لمن : إن انتهين أو ليبدلن الله خيرا منكن فأنزل الله تعالى (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) الآية ورواه محمد بن اسماعيل أيضا عن عمرو بن عمرو بن هشام عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال : قال عمر رضي الله عنه : وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) . وأما بدء قصة المقام فقد روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أتى ابراهيم واسماعيل وهاجر وضعا بمكة وأنت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسماعيل منهم امرأة وماتت هاجر واستأذن ابراهيم سارة أن يأتيها فآذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم مكة وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامرأته

واقفت ربي في ثلاث أو واقفت ربي في ثلاث فذكره . وقد رواه البخاري عن عمر وابن عون والترمذي عن أحمد بن منيع والنسائي عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي وابن ماجه عن محمد بن الصباح كلهم عن هشيم بن بشير به . ورواه الترمذي أيضا عن عبد بن حميد عن حجاج بن منهال عن حماد ابن سلمة والنسائي عن هناد عن يحيى بن أبي زائدة كلاهما عن حميد وهو ان يرويه الطويل به . وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه الامام علي بن المديني عن زيد بن زريع عن حميد به . وقال هذا من صحيح الحديث وهو بصري . ورواه الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه بسند آخر ولفظ آخر فقال أخبرنا عقبة بن مكرم أخبرنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال : واقفت ربي في ثلاث في الحجاب وفي اسارى بدر وفي مقام ابراهيم . وقال أبو حاتم الرازي : أخبرنا محمد بن عبد الله الانصارى أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب واقفت ربي في ثلاث ، أو واقفت ربي في ثلاث ، قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يا رسول الله لو حجبت النساء فنزلت آية الحجاب . والثالثة لما مات عبد الله بن أبي جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه قلت : يا رسول الله تصلي على هذا الكافر المنافق . فقال : ايها عنك يا ابن الخطاب فنزلت (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) وهذا اسناد صحيح أيضا ولا تعارض بين هذا ولا هذا بل الكل صحيح ومفهوم العدد اذا عارضه منطوق قدم عليه والله أعلم . وقال ابن جريج أخبرني جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمل ثلاثة أشواط ومشى أربعين اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين ، ثم قرأ (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال ابن جريج حدثنا يوسف بن سليمان أخبرنا حاتم بن اسمعيل أخبرنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال : استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعين ثم نزل الى مقام ابراهيم فقرأ (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين . وهذا قطعة من الحديث الطويل الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث حاتم بن اسمعيل : وروى البخاري بسنده عن عمرو بن دينار : قال سمعت ابن عمر يقول قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف

أين صاحبك ؟ قالت ذهب يتصيد ، وكان اسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم فيصيد فقال لها ابراهيم هل عندك ضيافة ؟ قالت ليس عندي ضيافة ، وسأله عن عيشهم ؟ فقالت : نحن في ضيق وشدة فشكت اليه فقال لها : إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه ، فذهب ابراهيم فجاء اسماعيل فوجد ربح أبيه فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت : جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال : فما قال لك ؟ قالت : قال اقريئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه ، قال ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك إلحقي بأهلك . فطلقها وتزوج منهم أخرى ، فلبث ابراهيم ماشاء الله أن يلبث ، ثم استأذن سارة أن يزور اسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم عليه

بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين ، فهذا كله مما يدل على ان المراد بالمقام انما هو الحجر الذي كان ابراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار اناؤه اسماعيل عليه السلام به يقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار وكلما كمل ناحية انتقل الى الناحية الاخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه كلما فرغ من جدار نقله الى الناحية التي تليها وهكذا حتى تم جدران الكعبة كما سيأتي بيانه في قصة ابراهيم واسماعيل في بناء البيت من رواية ابن عباس عند البخاري وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه ولم يزل هذا معروفا تعرفه العرب في جاهليتها ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية

وموطى ابراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه أيضا كما قال عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب ان أنس بن مالك حدثهم ، قال رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخص قدميه غير انه أذهب مسح الناس بأيديهم ، وقال ابن جريو أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع أخبرنا سعيد عن قتادة (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) انما أمروا ان يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه . وقد تكلفت هذه الامة شيئا ما تكلفه الامم قبلها ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه وأصابه فيه فما زالت هذه الامة بمسحونه حتى اخلاق وانمى (قلت) وقد كان هذا المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما ومكانه معروف اليوم الى جانب الباب مما يلي الحجر بمنى الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك وكان الخليل عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه الى جدار الكعبة أو انه انتهى عنده البناء فتركه هناك ولهذا والله أعلم أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف وناسب ان يكون عند مقام ابراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه وانما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد الائمة المهديين والخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباعهم وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» وهو الذي نزل القرآن بوفاقه في الصلاة عنده ولهذا لم ينكر ذلك أحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، قال

السلام حتى انتهى الى باب اسماعيل فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب يتصيد وهو يجي الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله ، قال : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم فجاءت بالابن واللحم ، وسألها عن عيشهم ؟ فقالت : نحن بخير وسعة ، فدعا لها بالبركة ، ولو جاءت يومئذ بنخبز بر أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برا أو شعيرا أو تمرا ، فقالت له : انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعه عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حوائه الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقى أثر قدمه عليه ، فقال لها : اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك . فلما جاء اسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت : نعم شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا وقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه

عبد الرزاق عن ابن جريج حدثني عطاء وغيره من أصحابنا : قالوا أول من نقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال عبد الرزاق أيضا عن معمر عن حميد الاعرج عن مجاهد قال أول من أخر المقام الى موضعه الآن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال الحافظ أبو بكر احمد بن علي بن الحسين البیهقي أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أخبرنا القاضي أبو بكر احمد بن كامل حدثنا ابواسماعيل محمد بن اسماعيل السلمي حدثنا أبو ثابت حدثنا الدراوردي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان المقام كان زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان أبي بكر رضي الله عنه ملتصقا بالبيت ثم أخره عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهذا إسناد صحيح مع ما تقدم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا ابن أبي عمر العدني قال قال سفيان يعني ابن عيينة وهو أمام المكيين في زمانه كان المقام من سقع البيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحوله عمر الى مكانه بعد النبي صلى الله عليه وسلم وبعد قوله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلي) قال ذهب السيل به بعد تحويل عمر اياه من موضعه هذا فرده عمر اليه : وقال سفيان لا أدري كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله ، قال سفيان لا أدري أكان لاصقا بها أم لا ؟ فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه والله أعلم : وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه أخبرنا ابن عمر وهو واحد بن محمد بن حكيم أخبرنا محمد بن عبد الوهاب بن أبي تمام أخبرنا آدم هو ابن أبي اياس في تفسيره أخبرنا شريك عن ابراهيم ابن المهاجر عن مجاهد قال قال عمر بن الخطاب يا رسول الله لو صليتنا خلف المقام فأنزل الله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلي) فكان المقام عند البيت فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضعه هذا . قال مجاهد وكان عمر يرى الرأي فيمنزل به القرآن هذا مرسل عن مجاهد وهو مخالف لما تقدم من رواية عبد الرزاق عن معمر عن حميد الاعرج عن مجاهد ان أول من أخر المقام الى موضعه الان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهذا أصح من طريق ابن مردويه مع اعتضاد هذا بما تقدم والله اعلم (١)

(١) حاشية للمصحح : وأخرج الأزرقي عن كثير بن أبي كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي عن أبيه عن جده قال : كانت السيول تدخل المسجد الحرام من باب بني شيبان الكبير قبل أن يردم عمر الردم الأعلى فكانت السيول ربما رفعت المقام عن موضعه وربما نحتته الى وجه الكعبة حتى جاء سيل أم نهشل في خلافة عمر بن الخطاب فاحتمل المقام من موضعه هذا فذهب به حتى وجد باسفل مكة فأتى به فربط الى أستار الكعبة وكتب في ذلك الى عمر فاقبل فزعا في شهر رمضان وقد غنى موضعه وعفاه السيل فدعا عمر بالناس فقال : أنشد الله عبدا علم في هذا المقام فقال المطلب بن أبي وداعة : أنا يا أمير المؤمنين عندي ذلك قد كنت أخشى عليه هذا فأخذت قدره من موضعه الى الركن ومن موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بمقاط وهو عندي في البيت فقال له عمر فاجلس عندي وأرسل اليه فجلس عنده وأرسل فأتى بها ففجدها مستوية الى موضعه هذا فسأل الناس وشاورهم فقالوا نعم هذا موضعه فلما استثبت ذلك عمر وحق عنده أمر به فأعلم ببناه ربه تحت المقام ثم حوله فهو في مكانه هذا الى اليوم . وأخرج الأزرقي من طريق سفيان بن عيينة عن حبيب بن الأشعث قال : كان سيل أم نهشل قبل أن يعمل عمر الردم بأعلى مكة فاحتمل المقام من مكانه فلم يدر أين موضعه =

(وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بیتی للطائفین والعا کفین والرع السجود
(١٢٥) واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم
بالله واليوم الآخر. قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير
(١٢٦) واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل : ربنا تقبل منا انك أنت السميع
العليم (١٢٧) ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب
علینا انك أنت التواب الرحیم)

قال الحسن البصري قوله (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل) قل أمرهما الله أن يطهرا من الأذى
والجس ولا يصيبه من ذلك شيء، وقال ابن جريج قلت لعطاء ما عهد؟ قال أمره. وقل عبد الرحمن
فقال : ذلك ابراهيم النبي أبي، وأنت العتبة أمرني أن أمسكك . وروي عن سعيد بن جبير أيضا عن
ابن عباس قال : ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبكي نبلا تحت دوحه قريبا
من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالولد ثم قال : يا إسماعيل إن الله تعالى
أمرني بأمر نعتني عليه ؟ قال : أعينك عليه قال : إن الله أمرني أن أبني ههنا بيتا فعند ذلك رفعها
القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني فلما ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه
له فقام ابراهيم على حجر المقام وهو يبني واسماعيل ينأوله الحجارة وهما يقولان (ربنا تقبل منا إنك
أنت السميع العليم) وفي الخبر « الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا سته أيدي المشركين
لأضاء ما بين المشرق والمغرب » (١) قوله عز وجل (وعهدنا إلى ابراهيم وإسماعيل) أي أمرناهما

= فلما قدم عمر بن الخطاب سأل من يعلم موضعه ؟ فقال عبد المطلب بن أبي وداعة أنا يا أمير المؤمنين
قد كنت قدرته وذرعته بمقاط (*) ونحوه عليه هذا من الحجر اليه ومن الركن اليه ومن وجه الكعبة
فقال أنت به فجاء به فوضعه في موضعه هذا وعمل عمر الردم عند ذلك قال سفيان ذلك الذي حدثنا
هشام بن عروة عن أبيه أن المقام كان عند ستم البيت فاما موضعه الذي هو موضعه فوضعه الآن
وأما ما يقوله الناس أنه كان هنالك موضعه فلا . وأخرج الأزرقي عن ابن أبي مليكة قال موضع
هذا هو الذي به اليوم هو موضعه في الجاهلية وفي عهد النبي وأبي بكر وعمر ألا أن السيل ذهب به
في خلافة عمر فجعل في وجه الكعبة حتى هدم عمر فرده بمحضر الناس . وأخرج البيهقي في سننه عن
عائشة أن المقام كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان أبي بكر مائتصفا بالبيت ثم أخره
عمر بن الخطاب . وأخرج ابن سعد عن مجاهد قال : قال عمر بن الخطاب من له علم بموضع المقام حيث
كان فقال أبو وداعة بن صبيح السهمي عندي يا أمير المؤمنين قدرته الى الباب وقدرته الى ركن الحجر وقدرته الى
الركن الأسود وقدرته فقال عمر هاته عمر فرده الى موضعه اليوم للمقدار الذي جاء به أبو وداعة
(*) المقاط بوزن كتاب جبل شديد القتل

(١) رواه الترمذي
والحاكم من حديث
ابن عمر وليس فيه
ذكر مس المشركين بل
فيه « طمس الله نورها
ولولا ذلك لأضاءنا
ما بين المشرق والمغرب
قال الترمذي هذا يروي
عن عبد الله بن عمر
موقوف وفيه عن أنس
أيضا وهو حديث
غريب وقال الذهبي في
تلخيص مستدرك
الحاكم بعد قول الحاكم
تفرد به أيوب يعني
ابن سويد « ضعفة
أحمد

ابن زيد بن أسلم (وعهدنا الى ابراهيم) أي أمرناه كذا قال والظاهر ان هذا الحرف إنما عدي بالي لأنه في معنى تقدمنا وأوحينا، وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قوله (أن طهرا بيتي للطائفتين والعاكفتين) قال من الاوثان وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة (طهرا بيتي للطائفتين) ان ذلك من الاوثان والرفث وقول الزور والرجس. قال ابن أبي حاتم وروى عن عبيد بن عمير وأبي العالية وسعيد بن جبيرة ومجاهد وعطاء وقتادة (ان طهرا بيتي) أي بلا اله الا الله من الشرك وأما قوله تعالى (للطائفتين) فالطواف بالبيت معروف. وعن سعيد بن جبيرة أنه قال في قوله تعالى (للطائفتين) يعني من أتاه من غربة (والعاكفتين) المقيمين فيه، وهكذا روي عن قتادة والربيع بن أنس أنهما فسرا العاكفتين بأهل المقيمين فيه كما قال سعيد بن جبيرة وقال بجي القطان عن عبد الملك هو ابن أبي سليمان عن عطاء في قوله (والعاكفتين) قال من انتابه من الامصار فقام عنده وقال لا ونحن مجاورون أنتم من العاكفتين وقال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس قال إذا كان جالسا فهو من العاكفتين وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا موسى بن اسماعيل أخبرنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت، قال قلنا لعبد الله بن عبيد ابن عمير ما أراني الا مكلم الامير أن يمنع الذين ينامون في المسجد الحرام فانهم ينجبون ويحدثون. قال لا تفعل فان ابن عمر سئل عنهم فقال هم العاكفون. ورواه عبد بن حميد عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة به (قلت) وقد ثبت في الصحيح ان ابن عمر كان ينام في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عذب. وأما قوله تعالى (والركع السجود) فقال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس والركع السجود قال إذا كان مصليا فهو من الركع السجود وكذا قال عطاء وقتادة.

في يومه أربع في النهار ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين فان كلا من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء وهو كما قال فإنه لا يجوز روايتهما (١)

قال ابن جرير رحمه الله فعنى الآية وأمرنا ابراهيم واسماعيل بتطهير بيتي للطائفتين والنظهير الذي أمرهما به في البيت هو تطهيره من الاصنام وعبادة الاوثان فيه ومن الشرك ثم أورد سؤالاً فقال فان قيل فهل كان قبل بناء ابراهيم عند البيت شيء من ذلك الذي أمر بتطهيره منه وأجاب بوجهين : (أحدهما) أنه أمرهما بتطهيره بما كان يعبده عنده زمان قوم نوح من الاصنام والاوثان ليكون ذلك سنة لمن بعدهما إذ كان الله تعالى قد جعل ابراهيم إماما يقتدى به كما قال عبد الرحمن بن زيد (أن طهرا بيتي) قال من الاصنام التي يعبدون التي كان المشركون يعظمونها (قلت) وهذا الجواب مفرع وأوصينا اليهما قيل : سمي اسماعيل لان ابراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا ويقول : اسمع يا إيل وإيل هو الله فلما رزق الولد سماه به ﴿أن طهرا بيتي﴾ يعني المكعبة أضافه اليه تخصيصا وتفضيلا أي ابنيه على الطهارة والتوحيد، وقال سعيد بن جبيرة وعطاء : طهرا من الاوثان والربوب وقول الزور وقيل : بخره وخلقه قاله يمان بن رباب، قرأ أهل المدينة وحفص بيتي بفتح الياء ههنا وفي سورة الحج وزاد حفص في سورة نوح ﴿للطائفتين﴾ الدثرين حوله ﴿والعاكفتين﴾ المقيمين المجاورين

(١) قوله : في يومه أربع في النهار لا معنى له والكلام قد تم قبله. وقوله بعبده ثم شرع ابن جرير الخ لا محل له هنا وليس قبله حديثان ضعيفان. وهو وما قبله ليس في نسخة خزانة الجامع الأزهر التي استعملناها عند البدء في طبع هذا السياق

على أنه كان يعبد عنده أصنام قبل ابراهيم عليه السلام ويحتاج إثبات هذا الى دليل عن المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم (الجواب الثاني) أنه أمرها أن يخلصا في بنائه لله وحده لا شريك له فينباه مطهرا من الشرك والريب كما قال جل ثنوه (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) قال فكذلك قوله (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيئي) أي ابنياه على طهر من الشرك والريب كما قال السدي (أن طهرا بيئي) ابنياه بيئي للطائفتين، وما خص هذا الجواب أن الله تعالى أمر ابراهيم واسماعيل عليهما اسلام أن يبني السكبة على اسمه وحده لا شريك له للطائفتين به والعيا كفتين عنده والمصلين اليه من الركن السجود كما قال تعالى (وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهرا بيئي للطائفتين والقائمين والركن السجود) الآيات (١) وقد اختلف الفقهاء أيما أفضل الصلاة عند البيت أو الطواف به؟ فقال مالك رحمه الله: الطواف به لاهل الامصار أفضل. وقال الجمهور: الصلاة أفضل مطلقا، وتوجيه كل منهما يند كفي كتاب الاحكام، والمراد من ذلك الرد على المشركين الذين كانوا يشركون بالله عند بيته المؤسس على عبادته وحده لا شريك له ثم مع ذلك يصدون أهله المؤمنين عنه كما قال تعالى (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) ومن يرد فيه بالحد بظلم نذقه من عذاب أليم) ثم ذكر أن البيت إنما أسس لمن يعبد الله وحده لا شريك له إما بطواف أو صلاة فذكر في سورة الحج اجزائها الثلاثة قيامها وركوعها وسجودها ولم يذكر العاكفين لانه تقدم (سواء العاكف فيه والباد) وفي هذه الآية الكريمة ذكر الطائفتين والعيا كفتين واكتفى بذكر الركوع والسجود عن القيام لانه قد علم انه لا يكون ركوع ولا سجود الا بعد قيام وفي ذلك ايضا رد على من لا يحججه من اهل الكتابين اليهود والنصارى لانهم يعتقدون فضيلة ابراهيم الخليل واسماعيل ويعلمون انه نبى هذا البيت للطواف في الحج والعمرة وغير ذلك والاعتكاف والصلاة عنده وهم لا يفعلون شيئا من ذلك فكيف يكونون مقتدين بالخليل وهم لا يفعلون ما شرع الله له؟ وقد حج البيت موسى بن عمران وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما اخبر بذلك المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى (إن هو الا وحي بوحي) وتقدير الكلام اذا (وعهدنا الى ابراهيم) أي تقدمنا بوحينا الى ابراهيم واسماعيل (أن طهرا بيئي) ابنياه خالصا لله معقلا للطائفتين والعيا كفتين والركن السجود، وتطهير المساجد مأخوذ من هذه الآية الكريمة ومن قوله تعالى (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال) ومن السنة من احاديث كثيرة من الامر بتطهيرها وتطيبها وغير ذلك من صيانتها من الاذى والتجاسات وما اشبه ذلك.

﴿ والركن ﴾ جمع ركن ﴿ السجود ﴾ جمع ساجد وهم المصلون، قل الكافي وقاتل: الطائفتين هم الغرباء والعيا كفتين أهل مكة قل عطاء ومجاهد وعكرمة: الطواف للربا، أفضل، والصلاة لاهل مكة أفضل ﴿ وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا ﴾ يعني مكة وقبل: الحرم ﴿ بلدا آمنا ﴾ أي ذا أمن بأمن

(١) هذا السياق
نقله المؤلف عن ابن
جرير بالمعنى لا باللفظ
ولم يراع الترتيب بين
الجوابين

الله عن (١)
رواه ابن جرير
والله اعلم
بما في
الغيب

ولهذا قل عليه السلام «انما بنيت المساجد لما بنيت له» وقد جمعت في ذلك جزءا على حدة والله الحمد والمدة
وقد اختلف الناس في اول من بنى الكعبة فقول الملائكة قبل آدم روي هذا عن ابي جعفر
الباقر محمد بن علي بن الحسين ذكره القرطبي وحكى لفظه وفيه غرابة وقيل آدم عليه السلام
رواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم ان آدم بناه من خمسة اجال
من حراء وطور سيناء وطور زبتا وجبل لبنان والجودي، وهذا غريب أيضا. وروي عن ابن عباس
وكعب الاحبار وقتادة وعن وهب بن منبه ان اول من بناه شيث عليه السلام وغالب من يذكر هذا
انما يأخذه من كتب اهل الكتاب هي مما لا يصدق ولا يكذب ولا يعتمد عليها بمجرد ما اذا
صح حديث في ذلك فعلى الراس والعين

وقوله تعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله
واليوم الآخر) قول الامام ابو جعفر بن جرير اخبرنا ابن بشار اخبرنا عبد الرحمن بن مهدي اخبرنا سفيان عن
ابي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان ابراهيم حرم بيت الله وامته واني
حرمت المدينة ما بين لابتيها فلا يصاد صيدها ولا يقطع اعضاها» وهكذا رواه النسائي عن محمد بن بشار عن
بندار بن وهب عن ابيه عن مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبه وعمر بن الناقض كلاهما عن ابي احمد الزبيري عن سفيان
الثوري وقال ابن جرير ايضا اخبرنا ابو كريب وابو السائب قالا حدثنا ابن ادريس واخبرنا ابو كريب
اخبرنا عبد الرحيم الرازي قالا جميعا سمعنا ابا شعث عن نافع عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«ان ابراهيم كان عبد الله وخليله واني عبد الله ورسوله وان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة ما بين
لابتيها اعضاها وصيدها لا يحمل فيها سلاح اقتال ولا يقطع منها شجرة الا لعلف بعير» وهذه الطريق
غريبة ليست في شيء من الكتب السنة وأصل الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال : كان الناس اذا رأوا اول الثمر جاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا
في صاعنا وبارك لنا في مدنا» اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونيبك واني عبدك ونيبك وانه دعاك
لمكة، واني أدعوك المدينة بمثل مادعاك لمكة ومثله معه ثم يدعو أصغر وليد فيعطيه ذلك الثمر وفي
لفظ «بركة مع بركة» (١) ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان لفظ مسلم. ثم قال ابن جرير حدثنا

أبو كريب حدثنا قتيبة بن سعيد اخبرنا بكر بن مضر عن ابن الهاد عن ابي بكر بن محمد عن عبد
الله بن عمرو بن عثمان عن رافع بن خديج قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان ابراهيم حرم
مكة واني أحرم ما بين لابتيها» انفرد باخراجه مسلم فرواه عن قتيبة عن بكر بن مضر به ولفظه
كلفظه سواء وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني طاعة
فيه أهله (وارزق أهله من الثمرات) إنما دعا بذلك لانه كان بواد غير ذي زرع. وفي القصص
ان الطائف كانت من بلاد الشام بأردن فلما دعا ابراهيم عليه السلام هذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل

رأى ابا النضر (١)
في نسخة مسندنا
لفظا كان عليه
في نسخة مسندنا
في نسخة مسندنا

(١) ورد هذا
اللفظ في رواية أخرى
لمسلم هذا نصها اللهم
بارك لنا في مدينتنا
وفي ثمارنا وفي مدنا
وفي صاعنا بركة مع
بركة

«التمس لي غلاما من غلامكم يخدمني فخرج بي أبو طلحة بردفني وراءه فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل وقال في الحديث ثم قبل حتى اذا بدا له أحد قال «هذا جبل يحبنا ونحبه» فلما أشراف على المدينة قال «اللهم إني أحرم ما بين جليلها مثل ما حرم إبراهيم مكة اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم» وفي لفظ لها «بارك لهم في مكياهم وبارك لهم في صاعهم وبارك لهم في مدهم» زاد البخاري يعني أهل المدينة ولها أيضا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلته بمكة من البركة» وعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «ان إبراهيم حرم مكة ودعا لها وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة» رواه البخاري وهذا لفظه وسلم وافظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان إبراهيم حرم مكة ودعا لاهلها. واني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة واني دعوت في صاعها ومدها بمنلي مادعا به إبراهيم لاهل مكة» وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «اللهم ان إبراهيم حرم مكة فجماعها حراما واني حرمت المدينة حراما ما بين مأزمها ان لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يخبط فيها شجرة الا لعلف: اللهم بارك لنا في مدينتنا اللهم بارك لنا في صاعنا اللهم بارك لنا في مدنا اللهم اجعل مع البركة بركتين» الحديث رواه مسلم، والاحاديث في تحريم المدينة كثيرة وانما أوردنا منها ما هو متعلق بتحريم إبراهيم عليه السلام لمكة لما في ذلك من مطابقة الآية الكريمة. وتمسك بها من ذهب الى أن تحريم مكة إنما كان على لسان إبراهيم الخليل وقبل انها محرمة منذ خلقت مع الارض وهذا أظهر وأقوى والله أعلم.

وقد وردت أحاديث أخر تدل على ان الله تعالى حرم مكة قبل خلق السموات والارض كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيامة». وإنه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيامة، لا يعضد شوكة ولا يفرص صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلي خلاها» فقل العباس: يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم ولبيوتهم فقال «الا الاذخر» وهذا لفظ مسلم ولها عن أبي هريرة نحو من ذلك. ثم قال البخاري بعد ذلك: وقال ابن بن صالح عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم مثله وهذا الذي علقه البخاري رواه الامام أبو عبد الله بن ماجه عن محمد بن عبد الله بن نمير عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن ابان بن صالح عن الحسن بن مسلم بن يثاق عن صفية بنت شيبة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب عام الفتح فقال «يا أيها الناس ان الله حرم

عليه السلام حتى قلعتها من أصلها وأدارها حول البيت سبعاً ثم وضعها موضعها الذي هي الآن فيه فنها أكثر ثمرات مكة من آمن منهم بالله واليوم الآخر» دعا للمؤمنين خاصة (قال) الله تعالى (ومن كفر فأمته) قرأ ابن عامر فأمته خفيفا بضم الهمزة والباقون مشددا ومعناها واحد (قليل) أي

وغيره على (أ)
فقال لهضوع هذا
هو لفظه من الحديث
ولا كما قلته عليها

مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى يوم القيامة لا يعصده شجرها ولا ينفر صيدها ولا يأخذ لقطنها الا منشد « فقال العباس : الا الاذخر فانه للبيوت والقبور ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إلا الاذخر» وعن أبي شريح العدوي أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة إئذن لي أيها الأمير ان أحدثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به - إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعصدها شجرة فان أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لکم. وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب » فقبل لابي شريح ما قال لك عمرو ؟ قال أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، ان الحرم لا يعيده عاصيا ولا قاراً بدم ولا قاراً بخربة (١) رواه البخاري ومسلم وهذا لفظه

(١) الخربة بفتح الخاء وضمها لغة - وسكون الراء الجنائية اصله سرقة الابل عم

فاذا علم هذا فلا منافاة بين هذه الاحاديث الدالة على ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وبيّن الاحاديث الدالة على أن ابراهيم عليه السلام حرمها لان ابراهيم بلغ عن الله حكمه فيها ونحر به إياها وأنها لم تزل بلدا حراما عند الله قبل بناء ابراهيم عليه السلام لها ، كما أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوبا عند الله خاتم النبيين وان آدم لم يجد في طينته ومع هذا قال ابراهيم عليه السلام (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) الآية وقد أجاب الله دعاءه بما سبق في علمه وقدره . ولهذا جاء في الحديث أنهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن بدء أمرك . فقال «دعوة أبي ابراهيم عليه السلام وبشرى عيسى بن مريم ورأت أمي كأنه خرج منها نور أضاء له قصور الشام » أي أخبرنا عن بدء ظهور أمرك كما سيأتي قريبا إن شاء الله :

وأما مسألة تفضيل مكة على المدينة كما هو قول الجمهور أو المدينة على مكة كما هو مذهب مالك وأتباعه فتذكر في موضع آخر بأدلتها إن شاء الله وبه الثقة . وقوله تعالى أخبارا عن الخليل أنه قال (رب اجعل هذا بلدا آمنا) أي من الخوف لا برعب أهله وقد فعل الله ذلك شرعا وقدره . كقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) وقوله (أو لم يروا أننا جعلنا حرمنا آمنا ويتخطف الناس من حولهم) الى غير ذلك من الآيات وقد تقدمت الاحاديث في تحريم القتال فيه . وفي صحيح مسلم عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا يحل لاحد أن يحمل بمكة السلاح » وقال في هذه السورة (رب اجعل هذا بلدا آمنا) أي اجعل هذه البقعة بلدا آمنا وناسب هذا لانه قبل بناء الكعبة . وقال تعالى في سورة ابراهيم (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلدا آمنا) وناسب هذا لانه والله أعلم كأنه وقع دعاء مرة ثانية بعد بناء البيت واستقرار أهله به وبعد مولد اسحق الذي هو أصغر سن من سارزق الكافر أيضا قليلا الى منتهى أجله وذلك ان الله تعالى رعد الرزق للخلق كافة مؤمنهم وكافرهم وانما قيد بالقلة لان متاع الدنيا قليل (ثم أضطره) أي ألجئه في الآخرة (إلى أعذاب النار وبئس

اسماعيل بثلاث عشرة سنة ، ولهذا قال في آخر الدعاء « الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق ان ربي اسمعيل للدعاء »

وقوله تعالى (وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير) قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب (قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير) قال هو قول الله تعالى وهذا قول مجاهد وعكرمة وهو الذي صرّبه ابن جرير رحمه الله . قال وقرأ آخرون (قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير) فجملوا ذلك من تمام دعاء ابراهيم كإرواه أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال كان ابن عباس يقول ذلك قول ابراهيم يسأل ربه ان من كفر فأمتعه قليلا ، وقال أبو جعفر عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد (ومن كفر فأمتعه قليلا) يقول ومن كفر فأرزقه رزقا قليلا أيضا (ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير) قال محمد بن إسحاق لما عن ابراهيم الدعوة على من أبى الله ان يجعل له الولاية انقطاعا الى الله ومحبتا ، وفراقا لمن خالف أمره وإن كانوا من ذريته ، حين عرف انه كان من منهم ظالم لا يناله عهد بخبر الله له بذلك ، قال الله تعالى ومن كفر فاني أرزق البر والفاجر وأمتعه قليلا ، وقال حاتم بن اسماعيل عن حميد الخراط عن عمار الذهبي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله تعالى (رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) قال ابن عباس كان ابراهيم يحجرها على المؤمنين دون الناس فأزل الله ومن كفر أيضا أرزقهم كما أرزق المؤمنين ، أخلق خلقا لا أرزقهم ؟ أمتعهم قليلا ثم اضطرهم الى عذاب النار وبئس المصير . ثم قرأ ابن عباس (كلا نعم هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) رواه ابن مردويه وروي عن عكرمة ومجاهد نحو ذلك أيضا وهذا كقوله تعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم آتينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقوله تعالى (ومن كفر فلا يحزنك كفره آتينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور) نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ (ر قوله) رلولا ان يكون الناس أمة واحدة لجلالتنا ان يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون رلبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لامتاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك المتقين) وقوله (ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير) أي ثم ألجئه بعد متاعه في الدنيا وبسطنا عليه من ظلمها الى عذاب النار وبئس المصير ، ومعناه ان الله تعالى ينظرهم ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر كقوله تعالى (وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ثم أخذناها الى المصير) وفي الصحيحين « لا أحد أصبر على اذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيه » وفي الصحيحين أيضا « ان الله لم يلب لي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته » ثم قرأ قوله تعالى (وكذلك أخذ ربك اذا

المصير أي المرجع يصير اليه قال مجاهد : وجد عند المقام كتاب فيه : أنا الله ذو بكة صنعتها يوم خلقت الشمس والقمر ، وحرمتها يوم خلقت السموات والارض ، وحففتها بسبعة أفلak حنفاء ،

أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد (وقرأ بعضهم) قال ومن كفر فأمتعه قليلا (الآية جعله من تمام دعاء ابراهيم وهي قراءة شذوذة مخالفة للقراء السبعة وتركيب السياق يأبى معناها والله أعلم فان الضمير في قال راجع الى الله تعالى في قراءة الجمهور والسياق يقتضيه وعلى هذه القراءة الشاذة يكون الضمير في قال عائدا على ابراهيم وهذا خلاف نظم الكلام والله سبحانه هو العلام .

وأما قوله تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل : ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم) فالقواعد جمع قاعدة وهي السارية والاساس يقول تعالى واذكر يا محمد لقومك بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام البيت ورفعهما القواعد منه وهما يقولان (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) وحكى القرطبي وغيره عن أبي وابن مسعود انهما كانا يقرآن (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) ويقولان (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) (قلت) ويدل على هذا قولهما بعده (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) الآية فهما في عمل صالح وهما يسألان الله تعالى أن يتقبل منهما كما روى ابن أبي حاتم من حديث محمد بن يزيد بن خنيس المسكي عن وهيب بن الورد انه قرأ (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) ربنا تقبل منا (ثم يبكي ويقول يا خليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك . وهذا كما حكى الله عن حال المؤمنين الخالص في قوله والذين يؤتون ما آتوا) أي يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقربات (وقلوبهم وجلة) أي خائفة أن لا يتقبل منهم كما جاء به الحديث الصحيح عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في موضعه . وقال بعض المفسرين الذي كان يرفع القواعد هو ابراهيم والداعي اسمعيل والصحيح أنهما كانا يرفعان ويقولان كما سيأتي بيانه . وقد روى البخاري ههنا حديثا سنورده ثم تتبعه بآثار متعلقة بذلك . قال البخاري رحمه الله : حدثنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب السخيتاني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة - يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطلقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبانها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفا ابراهيم منطلقا فنبهته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتركننا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ؟ ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت الله أمرك بهذا ؟ قل نعم ، قالت : اذا لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثانية حيث لا يروونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهذه الدعوات

يأنيها رزقها من ثلاثة سبل ، مبارك لها في اللحم والماء . قوله عز وجل (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) قال الرواة : إن الله تعالى خلق موضع البيت قبل الارض بألفي عام ، وكانت

ورفع يديه فقال (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) حتى بلغ (يشكرون) وجعلت أم اسماعيل نرضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السماء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى - أو قل يتلبط - فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجرد حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا ، فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم « فلذلك سعى الناس بينهما » فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت « صه » - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضا ، فقالت : قد اسمعت ان كان عندك غواث (١) فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تعرف من الماء في سقاها وهو يغور بعد ما تعرف ، قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم « يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم - أو قال لو لم تعرف من الماء - لكانت زمزم عينا معينا » قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا نخافي الضيعة فان ههنا بيتنا لله بينه هذا الغلام وأمه وأن الله لا يضيع أهله ، وكان البيت مرتفعا من الارض كالراية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرم أو أهل بيت من جرم متباين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عاثا فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء لمهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروه بالماء فأقبلوا قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين اننا أن نزل عندك قالت : نعم ولكن لاحق لكم في الماء عندنا قالوا : نعم قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم « فأتى ذلك أم اسماعيل وهي تحب الأنس » (٢) فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعبد مازوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغي لنا ثم سألهما عن عيشهم وهيتهم فقالت : نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت اليه قال : فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة إياه ، فلما جاء اسماعيل كأنه أنس شيئا فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أننا في جهد وشدة قال : فهل أوصاك بشي ؟ قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال : ذاك أبي وقد أمرني أن افارقك فالحقي بأهلك ، وطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحتها فلما أهبط الله آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فأنزل الله البيت المعمور من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال : يا آدم إني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي

(١) رواه الاثر
بفتح الغين وبعضهم
بالضم والكسر
(٢) أي فوجد
ذلك الحي أم اسماعيل
وهي تحب الأنس
روي بضم الهمزة
وبكسرهما

ابراهيم ما شاء الله ثم انهم بعد فم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم؟ وسألها عن عيشتهم وهيئتهم؟ فقالت : نحن بخير وسعة وأنت على الله عز وجل قال ما طعمكم؟ قالت اللحم قال فاشربكم؟ قالت الماء. قال «الاهم بارك لهم في اللحم والماء» قال النبي صلى الله عليه وسلم « ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم لدعاهم فيه - قال - فها لا يخلو عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافاه (١) قال فاذا جاء زوجك فافترني عليه السلام ومريه ببيت عتبة بابه (١) فلما جاء اسماعيل قال هل أنا كم من أحد؟ قالت : نعم أنا شيخ حسن الهيئة وأنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشتنا؟ فأخبرته أنا بخير قال : فأوصاك بشيء؟ قالت : نعم هو يقرأ عليك السلام وبأمرك أن تثبت عتبة بابك قال : ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ، ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبكي نبلا له تحت دوحة قريباً من زم فلما رآه قام اليه وصنعا كما يصنع الوالد الولد والولد بالوالد ثم قال : يا اسماعيل إن الله أمرني بأمر قال : فاصنع ما أمرك ربك قال : وتعيني قال : وأعينك قال : فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال : فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (٢) فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) قال : فجعلا يذنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) ورواه عبد بن حميد عن عبد الرزاق به مطولاً ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبي عبد الله محمد بن حماد الطبراني وابن جرير عن أحمد بن ثابت الرازي كلاهما عن عبد الرزاق به مختصراً . وقال أبو بكر بن مردويه أخبرنا اسماعيل بن علي بن اسماعيل أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا أحمد بن محمد الأزرق أخبرنا مسلم بن خالد الزنجي عن عبد الملك بن جريج عن كثير بن كثير قال : كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين في ناس مع سعيد بن جبير في أعلى المسجد ليلاً فقال سعيد بن جبير : سلوني قبل أن لا تروني فسألوه عن المقام فأنشأ يحدثهم عن ابن عباس فذكر الحديث بطوله ،

(١) يعني أن المواظبة على أكل اللحم واللبن وحدها لا توافق أمجة الناس وقد ثبت عند الأطباء أن كثرة أكل اللحم سبب لعدة امراض وخلا بالشئ : لم يخاط به غيره
(٢) أي الحجر الذي سمي بعد ذلك مقام إبراهيم

ثم قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد أخبرنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو أخبرنا إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج باسماعيل وأم اسماعيل ومعه شنة فيها ماء فجعلت أم اسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة ثم رجع إبراهيم الى أهله فأنبعته أم اسماعيل حتى بلغوا كداء نادته من ورائه يا إبراهيم الى من تتركنا؟ قال : الى الله. قالت تصلي عنده كما يصلي عند عرشي وأنزل الحجر وكان أبيض فأسود من لمس الحياض في الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند الى مكة ماشياً وقبض الله له ملائكة فدلوه على البيت فخرج البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا : برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام. قال ابن عباس

رضيت بالله قال : فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ويدر لبنها على صبيها حتى لما قي الماء قالت : لو ذهبت فنظرت لعلني أحس أحدا فذهبت فصعدت الصفا فنظرت هل تحس أحدا فلم تحس أحدا فلما بلغت الوادي سمعت حتى أتت المروة وفعلت ذلك أشواطا حتى آمنت سبعائهم قالت لو ذهبت فنظرت ما فعل الصبي فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ الموت فلم تقرأها نفسها فقالت : لو ذهبت فنظرت لعلني أحس أحدا فذهبت فصعدت الصفا فظرت ونظرت فلم تحس أحدا حتى آمنت سبعاء ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل فإذا هي بصوت فقالت : أغث ان كان عندك خير فإذا جبريل عليه السلام قال : فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « لو تركته لكان الماء ظاهرا » أم اسماعيل فجعلت تحفر قال : فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « لو تركته لكان الماء ظاهرا » قال فجعلت تشرب من الماء ويدر لبنها على صبيها قال فرناس من جرم بطن الوادي فإذا هم بطير كأنهم أنكروا ذلك وقالوا ما يكون الطير الا على ماء فبعثوا رسولهم فنظروا فإذا هو الماء فأتاهم فأخبرهم فأتوا اليها فقالوا : يا أم اسماعيل أتأذنين لنا أن نكون معك ونسكن معك ؟ (١) فبلغ انهما ونكح منهم امرأة (٢) قال ثم انه بدا لابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال لاهله : إني مطلع تركتي قال فجاء فسلم فقال أين اسماعيل ؟ قالت امرأته ذهب بصيد قال : قولي له إذا جاء غير عتبة بابك فلما أخبرته قال أنت ذاك قاذبي إلى أهلك ، قال ثم انه بدا لابراهيم فقال إني مطلع تركتي قال فجاء فقال أين اسماعيل ؟ فقالت امرأته ذهب بصيد فقلت ألا تنزل فتطعمهم وتشرب فقال ما طعامكم وما شرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال : فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « بركة بدعوة ابراهيم » قال ثم انه بدا لابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال لاهله : إني مطلع تركتي فجاء فوافق اسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلا له فقال يا اسماعيل إن ربك عز وجل أمرني أن أبني له بيتا فقال أطع ربك عز وجل (٣) قال انه قد أمرني أن تعينني عليه فقال إذن أفعل - أو كما قل - قال فقام فجعل ابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة ويقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) قال حتى ارتفع البناء وضمف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) هكذا رواه من هذين الوجهين في كتاب الانبياء .

والعجب أن الحافظ أبا عبد الله الحاكم رواه في كتابه المستدرک عن أبي العباس الاصم عن محمد بن سنان القرزاعي عن أبي علي عبيد الله بن عبد الحنفية عن ابراهيم بن نافع به وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه كذا قال ، وقد رواه البخاري كما ترى من حديث ابراهيم بن نافع وكان فيه اختصارا فانه لم يذكر فيه شأن الذبح ، وقد جاء في الصحيح أن قرني الكباش كانوا معلقين بالكعبة وقد جاء ان رضي الله عنهما : حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة فكان على ذلك الى أيام الطوفان فرمى الله تعالى الى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة وبعث جبريل عليه السلام حتى خبا الحجر الاثود في جبل أبي قبيس صيانة له من النرق فكان

(١) حذف الراوي من هنا ما علم من الرواية السابقة

(٢) نص متن البخاري : فنكح فيهم امرأة

(٣) ليس في متن البخاري لفظ عز وجل في الموضعين

ابراهيم عليه السلام كان يزور أهله بمكة على البرق سريعا ثم يعود الى أهله بالبلاد المقدسة والله أعلم
والحديث - والله أعلم - إنما فيه مرفوع أما كن صرح بها ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في هذا السياق ما يخالف بعضه. كما قال ابن جرير
حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا: أخبرنا مؤمل أخبرنا - فيان عن أبي اسحق عن حارثة بن
مضرب عن علي بن أبي طالب قال: لما أمر ابراهيم ببناء البيت خرج معه اسماعيل وهاجر قال:
فلما قدم مكة رأى على رأسه في موضع البيت مثل القمامة فية مثل الرأس فكلمه قال: يا ابراهيم
ابن علي ظلي أو قال علي قدري ولا تزد ولا تنقص فلما بنى خرج وخلف اسماعيل وهاجر فقات
هاجر يا ابراهيم الى من تسكنا؟ قال: الى الله قالت: انطلق فانه لا يضيعنا قال: فمطش اسماعيل
عطشا شديدا قال: فصعدت هاجر الى الصفا فنظرت فلم تر شيئا حتى أتت المروة فلم تر شيئا، ثم
رجعت الى الصفا فنظرت فلم تر شيئا ففعلت ذلك سبع مرات فقالت: يا اسماعيل مت حيث لأراك،
فأنته وهو يفحص برجله من العطش فتادها جبريل فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا هاجر أم
ولد ابراهيم قال: فالى من وكلكما؟ قالت: وكلنا الى الله، قال: وكلكما الى كاف قل: ففحص
الارض بأصبعه فنبعت زمزم فجعلت نجس الماء فقال: دعيه فانه روي (١) ففي هذا السياق انه بنى
البيت قبل أن يفارقهما وقد يمتلأ أنه كان محفوظا أن يكون أولا وضع له حوطا وتحجيراً لأنه بناء
الى أعلاه حتى كبر اسماءيل فبنياه معا كما قال الله تعالى.

(١) كذا في
النسخة المطبوعة
وضبط بتشديد الواو
ولعله للياء. وفي نسخة
خرانة الازهر وتفسير
ابن كثير: دعيه فانها
رواه

(٢) وفي ابن
جرير كتطوي

ثم قال ابن جرير أخره هناد بن السري حدثنا أبو لاحوص عن سالك عن خالد بن عرعة ان رجلا قام
الى علي رضي الله عنه فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الارض؟ فقال لا، ولكنه أول
بيت وضع في البركة. قام ابراهيم ومن دعه كما آمنوا ونشئت أنبئك كيف بني، ان الله أوحى الى ابراهيم
ان ابن لي يتاني الارض فضاق ابراهيم بذلك ذرعا فأرسل الله السكينة وهي ريح خجوج ولها رأسان فاتبع
احدهما صاحبه حتى انتهت الى مكة فنطوت على موضع البيت كطي (٢) الجحمة وامر ابراهيم ان يبني
حيث تستقر السكينة فبني ابراهيم بقى الحجر فذهب الغلام شيئا فقال ابراهيم ابني حجرا كما أمرك قال
فانطلق الغلام بلمس له حجرا فأثابه به فوجده قد ركب الحجر الاسود في مكانه فقال يا أبت من أتاك
بهذا الحجر؟ فقال أتاني به من لم يتكل على بنائك جاء به جبريل عليه السلام من السماء فأثامه.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ أخبرنا سفيان عن بشر بن عاصم عن سعيد بن
المسيب عن كعب الاحبار قال: كان البيت غثاة على الماء قبل ان يخلق الله الارض باربعين عاما ومنه دحيت
الارض. قال سعيد: وحدثنا علي بن أبي طالب ان ابراهيم أقبل من أرض أرمينية ومعه السكينة تدله
موضع البيت خالبا الى زمن ابراهيم ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسماعيل واسحق ببناء
بيت يذكر فيه فسأل الله عز وجل أن يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهي
ريح خجوج لها رأسان شبه الحية فأمر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فبنيها ابراهيم حتى أتيا

على تبوي البيت كما تنبؤ العنكبوت بينا ، قال : فكشفت عن أحجار لا يطبق الحجر الا ثلاثون رجلا
فقلت يا أبا محمد فان الله يقول (واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) قال كان ذلك بعد
وقال الساجي : ان الله عز وجل أمر ابراهيم ان يبني البيت هو واسماعيل ابنيا بيتي للطائفين والما كفين
والركع السجود . فانطلق ابراهيم حتى أتى مكة فقام هو واسماعيل وأخذوا المعاول لا يدريان أين
البيت فبعث الله رجلا يقال لما الرياح الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكشفت لها ما حول
الكعبة عن أساس البيت الاول واتبعها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس فذلك حين يقول تعالى
(واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت) واذا بؤنا لا يرفع ابراهيم مكان البيت (فلما بنيا القواعد قبلها مكان
الركن . قال ابراهيم لاسماعيل : يا بني اطلب لي حجرا حسنا أضعه ههنا . قال يا أبت اني كسلان
لعب . قال على ذلك فانطلق يطلب له حجرا وجاءه جبريل بالحجر الاسود من الهند وكان أبيض
ياقوتة بيضاء مثل الثعالة وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس فجاءه اسماعيل بحجر
فجده عند الركن ، فقال يا أبت من جاءك بهذا ؟ قال جاء به من هو أنشط منك ، فبنيا وهما يدعران
الكلمات التي ابتلى ابراهيم ربه ، فقال (ربنا تقبل منا إنا لك أنتم السميع العليم) وفي هذا السياق ما
يدل على ان قواعد البيت كانت مبنية قبل ابراهيم وانما هدى ابراهيم اليها وبويها ، وقد ذهب
الى هذا ذاهبون كما قال الامام عبد الرزاق أخبرنا معمر بن أيوب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس
(واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت) قال القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك ، وقال عبد الرزاق
أيضا أخبرنا هشام بن حسان عن سوار ختن عطاء عن عطاء بن أبي رباح قول : لما أهبط آدم من
الجنة كانت رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم يأنس اليهم فهابت
الملائكة حتى شكت الى الله في دعائها وفي صلاتها فخفضه الله تعالى الى الارض ، فلما فقد ما كان
يسمع منهم استوحش حتى شكوا ذلك الى الله في دعائه وفي صلاته فوجه الى مكة فكان موضع قدميه
قربة رخطه مغارة حتى انتهى الى مكة وأنزل الله ياقوته من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت
الآن فلم يزل يطرف به حتى أنزل الله الطوفان فرفقت تلك الياقوتة حتى بعث الله ابراهيم عليه السلام
فبناه . وذلك قول الله تعالى (واذا بؤنا لا يرفع ابراهيم مكان البيت) وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج
عن عطاء قال : قال آدم اني لا أسمع أصوات الملائكة ، قل بخطيئتكم ولكن أهبط الى الارض فابن
لي بيتا ثم احف به كما رأيت الملائكة تحف ببيتى الذي في السماء فيزعج الناس انه بناه (١) من خمسة
أجل من حراء وطور زيتا وطور سيناء والجودي ، وكان ربه من حراء فكان هذا بناء آدم حتى
بناه ابراهيم عليه السلام بعد ، وهذا صحيح الى عطاء ولكن في بعضه نكارة والله أعلم
وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا معمر عن قتادة قول : وضع الله البيت مع آدم أهبط الله آدم الى

« ١ » المعداد

اربعة كما ذكر مصحح
الطبعة الاولى وتقدم
في رواية اخرى أن
الخامس لبنان . وذلك
مما لا يعلم إلا بحديث
مرفوع ولم يرد فتعين
انه من الاسرائيليات

مكة فتطوقت السكينة على موضع البيت كتطوق الجحفة هذا قول علي والحسن ، وقال ابن عباس :
بعث الله به سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى أن وافق مكة ووقفت

الارض ، وكان مهبطه بأرض الهند وكان رأسه في السماء ورجلاه في الارض فكانت الملائكة تنهيه فنقص الى ستين ذراعا فحزن آدم اذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم ، فشكا ذلك الى الله عز وجل فقال الله يا آدم اني قد أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلي عند عرشي ، فانطلق اليه آدم فخرج ومدله في خطوه ، فكان بين كل خطوتين مفازة فلم تنزل تلك المفازة بعد ذلك ، فأتى آدم البيت فطاف به ومن بعده من الانبياء .

وقال ابن جرير: أخبرنا ابن حميد أخبرنا يعقوب العمري عن حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال: وضع الله البيت على أركان الماء على أربعة أركان قبل ان تخلق الدنيا بألفي عام ، ثم دحيت الارض من تحت البيت وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد وغيره من أهل العلم ان الله لما بوأ إبراهيم مكان البيت خرج اليه من الشام اوخرج معه باسمايل وبأمه هاجر واسماعيل طفل صغير يرضع وحملوا فبما حدثني على البراق ومعه جبريل بدله على موضع البيت ومعلم الحرم ، وخرج معه جبريل فكان لا يمر بقريه الا قال : أهذا أمريت يا جبرائيل ؟ فيقول جبريل اضعه حتى قدم به مكة وهي اذ ذاك عضاه وسلم وسمر (١) ربه اناس يقال لهم العماليق خارج مكة وما حولها ، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدره فقال ابراهيم لجبريل : أهنا أمريت أن أضعهما ؟ قال نعم ، فعمد بهما الى موضع الحجر فأنزلهما فيه وأمر هاجر أم اسمعيل ان تتخذ فيه عريشا فقل (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) الى قوله (اعلمهم يشكرون) وقال عبد الرزاق أخبرنا هشام ابن حسان أخبرني حميد عن مجاهد قال : خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا بألفي سنة وأركانه في الارض السابعة ، وكذا قال ليث بن أبي سليم عن مجاهد القواعد في الارض السابعة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي أخبرنا عمرو بن رافع أخبرنا عبد الوهاب بن معاوية عن عبد المؤمن بن خالد عن علياء بن أحر ان ذا القرنين قدم مكة فوجد ابراهيم واسماعيل بين يدي قواعد البيت من خمسة أجبل . فقال مالكا ولارضا ؟ فنالا نحن عبدان مأموران أمرنا ببناء هذه الكعبة ، قالا فهاتا بالبينة على ما تدعيان . فقامت خمسة أكبش فقلن نحن نشهد ان ابراهيم واسماعيل عبدان مأموران أمرا ببناء هذه الكعبة . فقال قد رضيت وسلمت ، ثم مضى وذكر الازرق في تاريخ مكة ان ذا القرنين طاف مع ابراهيم عليه السلام بالبيت وهذا يدل على تقدم زمانه والله أعلم .

وقال البخاري رحمه الله قوله تعالى (واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) الآية : القواعد أساسه واحدها قاعدة والقواعد من النساء واحدها قاعدة . حدثنا اسمعيل حدثني مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله ان عبد الله بن محمد بن أبي بكر أخبر عبد الله بن عمر عن عائشة على موضع البيت فنودي منها ابراهيم أن ابن علي ظلها لا تزدد ولا تنقص وقيل : أرسل الله جبريل ليدله على موضع البيت فذلك قوله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) فبنى ابراهيم واسماعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجر فذلك قوله تعالى (وإذ يرفع ابراهيم القواعد من

(١) في نسخة
الازهر : سلم وسمر
بدون عطف على
تفسير للعضاة

زوج النبي صلى الله عليه وسلم . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألم تري أن قومك حين بنوا البيت اقتصروا عن قواعد ابراهيم ؟ فقلت يا رسول الله ألا تردّها على قواعد ابراهيم ؟ قال « لولا حدثان قومك بالكفر » فقال عبد الله بن عمر : لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتم على قواعد ابراهيم عليه السلام . وقد رواه في الحج عن القعني وفي أحاديث الانبياء عن عبد الله بن يوسف . ومسلم عن يحيى بن يحيى ومن حديث ابن وهب والنسائي من حديث عبد الرحمن بن القاسم كلهم عن مالك به . ورواه مسلم أيضا من حديث نافع قال سمعت عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة يحدث عبد الله بن عمر عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لولا أن قومك حديث عهد بكفر - لانفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالارض ، ولادخلت فيها الحجر » وقال البخاري أخبرنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن الاسود قال قال لي ابن الزبير كانت عائشة تسر اليك حديثا كثيرا فما حدثتك في الكعبة قال قالت لي قال النبي صلى الله عليه وسلم « يا عائشة لولا قومك حديث عهد - فقال ابن الزبير - بكفر لقصت الكعبة فجعلت لها بابين بابا يدخل منه الناس وبابا يخرجون منه » ففعله ابن الزبير انفرد باخراجه البخاري فرواه هكذا في كتاب العلم من صحيحه ، وقال مسلم في صحيحه حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا حدثانة عهد قومك بالكفر لقصت الكعبة ولجعلتها على أساس ابراهيم فان قريشا حين بنت البيت استقصرت ، ولجعلت لها خلفا » قال وحدثناه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قال أخبرنا ابن نمير عن هشام بهذا الاسناد انفرد به مسلم : قال وحدثني محمد بن حاتم حدثني محمد بن مهدي أخبرنا سالم بن حبان عن سعيد يعني ابن ميناء قال سمعت عبد الله بن الزبير يقول حدثني خالتي يعني عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم « يا عائشة لولا قومك حديث عهد بشرك هدمت الكعبة فأزقتها بالارض ولجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فان قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة » انفرد به أيضا

(ذكر بناء قريش الكعبة بعد ابراهيم الخليل عليه السلام بمدد طويلة وقبل مبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين)

وقد نقل معهم في الحجارة وله من العمر خمس وثلاثون سنة صلوات الله وسلامه عليه دائما البيت وإسماعيل) يعني أسسه واحداثها قاعدة ، وقال الكسائي : جدر البيت . قال ابن عباس : انما بني البيت من خمسة اجبل طور سيناء وطور زينا ولبنان وهو جبل بالشام والجودي وهو جبل بالجزيرة وبنيا قواعده من حراء وهو جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسماعيل

الى يوم الدين . قال محمد بن اسحق بن يسار في السيرة وما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنان الكعبة وكانوا يهيمون بذلك ليسبقوها ويهايون هدمها وانما كانت رضما فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفرا سرقوا كنز الكعبة وانما كان يكون في بئر في جوف الكعبة وكان الذي وجد عنده الكنز دويك مولي بني مابح بن عمرو من خزاعة فقطعت قريش يده ويزعم الناس ان الذين سرقوه وضعوه عند دويك وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتمطمت فأخذوا خشبها فاعدوه لتسقيفها وكان بمكة رجل قبلي نجار فبألم في أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدي لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانت مما يهايون ، وذلك انه كان لا يدنو منها أحد الا احزأت (١) وكشت وفنحت فاهها فكانوا يهايونها فيناهي هوما تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع بمش الله اليها طائرا فاخطفها فذهب بها فقالت قريش ، انا نرجو ان يكون الله قد رضي ما أردنا ، عندنا عامل رفيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها قام ابن رهب (٢) ابن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا مشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم الا طيئا لا يدخل فيها مبرقي ، ولا بيع ربا ولا مظلة أحد من الناس ، قال ابن اسحق والناس يتحلون هذا الكلام لوليد (٣) بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، قال ثم ان قريشا تجزأت الكعبة فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة وكان ما بين الركن الاسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم وكان ظهر الكعبة لبني جهم وسهم وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزي ابن قصي ولبني عدى بن كعب بن لؤي وهو الحطيم ثم ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدوكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع اللهم انا لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيئا ، ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا ، فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس أساس إبراهيم عليه السلام أنضوا الى حجارة خضر كالاسنة أخذ بعضها بعضا : قال فحدثني بعض من يروي الحديث ان رجلا من قريش ممن كانت يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أيضا أحدهما فلما تحرك الحجر انتفضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الاساس

« ١ » احزأت

ارتفعت واستوفزت
للوثوب

(٢) في نسخة

الازهر أبو وهب وجاء
في حاشيتها أبو وهب
خال والد النبي (ص)
وكان شريفا ممدوحا
« ٣ » وفي نسخةالازهر الوليد بدون
لام

قال ابن اسحق : ثم ان القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها

اثنتي بمحجر حسن يكون للناس علما فاناه بمحجر فقال : اثنتي بأحسن من هذا فضي اسماعيل بطلبه فصاح ابو قبيس : يا ابراهيم ان لك عندى ودعة فخذها فأخذ الحجر الاسود فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى بنى في السماء بيتا وهو البيت المعمور ويسمى ضراح وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في

حتى بلغ البنيان وضع الركن يعني الحجر الاسود فاختموهما فيه كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى تحارروا ونحالفوا وأعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعافدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا «لعقة الدم» (١) فكشفت قريش على ذلك أربع ليل أو خمساً ثم اتهموا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض أهل الرواية ان أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان عامئذ من قريش كلهم قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا: هذا الامين رضينا هذا محمد فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم: هلم الي ثوبا. فاني به فأخذ الركن يعني الحجر الاسود فوضه فيه بيده ثم قال لناخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم ثم بني عليه وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ينزل عليه الوحي (الامين) فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا: قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها

(١) لعقة بفتححات
ثلاث جمع لاقع

عجبت لما تصوبت العقاب الى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش وأحياناً يكون لها وذب
اذا قمنا الى التأسيس شدت تهيبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الرجز جاءت عقاب تملب لها انصباب
فضمتها اليها ثم خلت لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين الى بناء لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه وليس على مساويننا ثياب
أعز به المليك بنى لؤي فليس لاصله منهم ذهب
وقد حشدت هناك بنو عدي ومرة قد تقدمها كلاب
فبوانا المليك بذاك عزا وعبد الله يلتمس الثواب

قال ابن اسحق وكانت الكعبة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى عشر ذراعاً وكانت تكسي القباطى ثم كسيت بعد البرود وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف (قلت) ولم تزل على بناء قريش حتى احترقت في أول اماره عبد الله بن الزبير بعد سنة ستين وفي آخر ولاية يزيد ابن معاوية لما حاصروا ابن الزبير فحينئذ نقضها ابن الزبير الى الارض وبنائها على قواعد ابراهيم الارض بحياله على قدره ومثاله وقيل: أول من بنى الكعبة آدم واندرس في زمن الطوفان ثم أظهره الله لابراهيم حتى بناء ﴿ربنا تقبل منا﴾ فيه اضمار اى ويقولان ربنا تقبل منا بنانا ﴿إنك انت السميع﴾ لدعائنا ﴿العليم﴾ بنياننا ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ موحدتين مطيعين مخلصين خاضعين (٤٢) — تفسير ابن كثير والبغوي

عليه السلام وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابا شرقيا وبابا غربيا ملصقين بالأرض كما سمع ذلك من خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تنزل كذلك مدة إمارته حتى قتله الحجاج فردها إلى ما كانت عليه بأمر عبد الملك بن مروان له بذلك كما قال مسلم بن الحجاج في صحيحه أخبرنا هناد بن السري أخبرنا ابن أبي زائدة أخبرنا ابن أبي سليمان عن عطاء قال لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام فكان من أمره ما كان تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد أن يحزبهم أو يجيروهم على أهل الشام فلما صدر الناس قال يا أيها الناس أشيروا علي في الكعبة أنقضها ثم أبني بناءها أو أصلح ما وهى منها قل ابن عباس أنه قد خرق لي رأي فيها أرى أن تصلح ما وهى منها ونُدع بيتنا أسلم الناس عليه، وأحجارا أسلم الناس عليها وبعث عليهما النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن الزبير لو كان أحدهم احترق بيته مارضي حتى يجمده فكيف بيت ربكم عز وجل، إني مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على أمري فلما مضت ثلاث أجمع رأيي على أن ينقضها فتحامها الناس أن ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء حتى صعد رجل فألقى منه حجارة فلما لم يره الناس أصابه شيء. فتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الأرض فجعل ابن الزبير أعمدة يستتر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه، وقال ابن الزبير إني سمعت عائشة رضي الله عنها تقول إن النبي صلى الله عليه وسلم: «قل لولا أن الناس حديث عهد بكفر وليس عندي من النفقة ما يقويني على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع وجعلت له بابا يدخل الناس منه، وبابا يخرجون منه» قال فإنا أجده ما أنفق ولست أخاف الناس، قال: فزاد فيه خمسة أذرع من الحجر حتى أبدى له أسانظر الناس إليه فبنى عليه البناء، وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعا فلما زاد فيه استقصره فزاد في طوله عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما يدخل منه، والآخر يخرج منه. فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك يستجيزه بذلك ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه لعدول أهل مكة فكتب إليه عبد الملك أنا لساننا من تأطيق ابن الزبير في شيء، إماما زاده في طوله فأقره، وإماما زاده فيه من الحجر فرده إلى بنائه وسد الباب الذي فتحه فنقضه وأعادته إلى بنائه، وقدره في النسائي في سننه عن هناد عن يحيى بن أبي زائدة عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن ابن الزبير عن عائشة بالمر فوقع منه ولم يذكر القصة وقد كانت السنة أقرارا ما فعله عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لأنه هو الذي وده رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن خشي أن تنكره قلوب بعض الناس لحداثة عهدهم بالاسلام وقرب عهدهم من الكفر، ولكن خفيت هذه السنة على عبد الملك ابن مروان ولهذا لما تحقق ذلك عن عائشة أنها روت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وددنا أننا تركناه وما تولى»، كما قال مسلم: حدثني محمد بن حاتم حدثنا محمد بن بكر أخبرنا ابن جريج سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير والوليد بن عطاء يحدثان عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة لك «ومن ذريتنا» أي أولادنا «أمة» جماعة والامة اتباع الانبياء «مسلمة لك» خاضعة لك «وأرنا» علمنا وعرفنا، قرأ ابن كثير ساكنة الراء وأبو عمر بالاختلاس والباقون بكسرها ووافق

تأليفه قوما (١)
قد لا يمتنع

قال عبد الله بن عبيد : وفد الحارث بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان في خلافته فقال عبد الملك : ما أظن أبا حبيب يعني ابن الزبير سمع من عائشة ما كان يزعم انه سمعه منها ، قال الحارث بلى أنا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حادثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه فان بدا لقومك بن عمدي أن يبنوه فهل لي لاريك ما تركوا منه » فأراها قريبا من سبعة أذرع . هذا حديث عبد الله بن عبيد بن عمير وزاد عليه الوليد بن عطاء قال النبي صلى الله عليه وسلم « ولجعلت لها بابين موضوعين في الارض شريقا وغريبا وهل تدري بن لم كان قومك رفعوا بابها ؟ » قالت : قلت لا . قال « تعززا أن لا يدخلها الا من أرادوا فكان الرجل اذا هو أراد أن يدخلها يدعونه حتى يرتقي حتى اذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط » قال عبد الملك فقلت للحارث أنت سمعتها تقول هذا ؟ قل نعم قال فنكت ساعة بعصاه ثم قال . وددت اني تركت وما تحمل . قال مسلم : وحدثناه محمد بن عمرو بن جيلة حدثنا أبو عاصم ح وحدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق كلاهما عن ابن جريج بهذا الاسناد مثل حديث أبي بكر قال : وحدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا حاتم بن أبي صفيرة عن أبي قزعة ان عبد الملك بن مروان بينما هو يطوف بالبيت اذ قال : قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين ، يقول سمعتها تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عائشة لولا حدثان قومك بالكفر لقصت الكعبة حتى أزيد فيها من الحجر فان قومك قصروا في البناء » فقال الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة لا تقل هذا يا أمير المؤمنين فاني سمعت أم المؤمنين تحدث هذا . قال لو كنت سمعته قبل ان أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير ، فهذا الحديث كالمقطوع به الى عائشة لانه قد روي عنها من طرق صحيحة متعددة عن الاسود بن يزيد والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الله ابن الزبير وعبد الله بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير فلو ترك لكان جيدا .

ولكن بعد ما رجع الامر الى هذا الحال فقد كره بعض العلماء ان يغير عن حاله كما ذكر عن أمير المؤمنين هرون الرشيد أو أبيه المهدي انه سأل الامام مالك عن هدم الكعبة وردها الى ما فعله ابن الزبير . فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ماعبة للملوك لا يشاء أحد ان يهدمها الا هدمها . فترك ذلك الرشيد ، نقله عياض والنووي ولا تزال — والله أعلم — هكذا الى آخر الزمان الى أن يخربها ذو السويقتين من الحبشة كما ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » أخرجاه ، وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كأتي به اسود أنفج بقاعها حجرا حجرا » رواه البخاري وقال الامام ابن عامر وأبو بكر في الاسكان في حم السجدة وأصله أرثنا فحذفت الهمزة طلبا للخفة ونقلت حركتها الى الراء ومن سكنها قال : ذهبت الهمزة فذهبت حركتها ﴿ مناسكتنا ﴾ شرائع ديننا وأعلام حجتنا

أحمد بن حنبل في مسنده أخبرنا أحمد بن عبد الملك الحراني أخبرنا محمد بن سلمة عن ابن اسحق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حايثها ويجردها من كسوتها ، ولكافي أنظر إليه أصابع أفيدع يضرب عليها بمسحاته وموله — الفدع زبغ بين القدم وعظم الساق — وهذا والله أعلم إنما يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج لما جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليحجن البيت وليتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج »

وقوله تعالى حكاية لدعاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم). قال ابن جرير يعنيان بذلك واجعلنا مسلمين لامرك ، خاضعين لطاعتك ، لا نشرك معك في الطاعة أحدا سواك ، ولا في العبادة غيرك . وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبي أخبرنا اسمعيل عن رجاء بن حبان الحصري القرشي أخبرنا معقل بن عبيد الله عن عبد الكريم (واجعلنا مسلمين لك) قال مخلصين لك (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) قال مخلصون وقال أيضا أخبرنا علي بن الحسين أخبرنا المقدمي أخبرنا سعيد بن عامر عن سلام بن أبي مطيع في هذه الآية (واجعلنا مسلمين) قال كانا مسلمين ولكنهما سألاه الثبات . وقال عكرمة (ربنا واجعلنا مسلمين لك) قال الله : قد فعلت (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) قال الله : قد فعلت . وقال السدي (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) يعنيان العرب . قال ابن جرير : والصواب انه يعم العرب وغيرهم ، لان من ذرية ابراهيم بني اسرائيل وقد قل الله تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدن بالحق وبه يعدلون) (قلت) وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السدي فان تخصيصهم بذلك لا ينفي من عداهم والسياق انما هو في العرب ولهذا قال بعده (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) الآية . والمراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد بعث فيهم كما قال تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم) ومع هذا لا ينفي رسالته الى الاحمر والامود لقوله تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) وغير ذلك من الادلة القاطعة وهذا الدعاء من ابراهيم واسماعيل عليهما السلام كما أخبرنا الله تعالى عن عباد المتقين المؤمنين في قوله (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) وهذا القدر مرغوب فيه شرعا فان من تمام محبة عبادة الله تعالى ان يحب ان يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له . ولهذا لما قال الله تعالى لا ابراهيم عليه السلام (إني جاعلك للناس إماما) قال (ومن ذريتي . قال لا ينال عهدي الظالمين) وهو قوله

وقيل : مواضع حجنا ، وقال مجاهد : مذبحنا والنسك الذبيحة وقيل : متعبداتنا وأصل النسك العبادة والناسك العابد فأجاب الله تعالى دعاءهما فبعث جبريل فأرهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال : عرفت يا ابراهيم ؟ قال : نعم فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات (وتب علينا) تجاوز

(راجنبني وبني أن نعبد الاصنام) وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» (وأرنا مناسكنا) قال ابن جرير عن عطاء (وأرنا مناسكنا) أخرجها لنا علمناها وقال مجاهد (أرنا مناسكنا) مذابحنا. وروى عن عطاء أيضا وقادة نحو ذلك. وقال سعيد بن منصور: أخبرنا عتاب بن بشير عن خصيف عن مجاهد قال: قال ابراهيم (أرنا مناسكنا) فأتاه جبرئيل فأتى به البيت، فقال ارفع القواعد فرفع القواعد وأنتم البنيان. ثم أخذ بيده فأخرج: فانطلق به إلى الصفا قال هذا من شعائر الله ثم انطلق به إلى المروة فقال وهذا من شعائر الله. ثم انطلق به نحو منى فلما كان من العقبة إذا باليس قائم عند الشجرة فقال: كبر وارمه، فكبر ورماه. ثم انطلق إبليس فقام عند الجرة الوسط فلما جاز به جبرئيل وابراهيم قال له: كبر وارمه، فكبر ورماه. فذهب الخبيث إبليس وكان الخبيث أراد أن يدخل في الحج شيئا فلم يستطع فأخذ بيد ابراهيم حتى أتى به المشعر الحرام فقال هذا المشعر الحرام فأخذ بيد ابراهيم حتى أتى به عرفات قال قد عرفت ما أريتك؟ قالها ثلاث مرات، قال نعم وروى عن أبي مجلز وقتادة نحو ذلك، وقال أبو داود الطيالسي أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي العاصم الغنوي عن أبي الطفيل عن ابن عباس قال إن ابراهيم لما أرى أوامر المناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسأته ابراهيم ثم انطلق به جبرئيل حتى أتى به منى فقال: هذا مناخ الناس فلما انتهى إلى جرة العقبة تعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أتى به إلى الجرة الوسطى عرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أتى به إلى الجرة القصوى فعرض الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب فأتى به جبرئيل (١) فقال هذا المشعر ثم أتى به عرفة فقال هذه عرفة فقال له جبرئيل أعرفت؟

(١) يعني المزدلفة

(١٣٨) ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة

ويزكيهم أنك أنت العزيز الحكيم

يقول تعالى إخبارا عن تمام دعوة ابراهيم لأهل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولا منهم أي من ذرية ابراهيم وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولا في الامين اليهم وإلى سائر الاعجبين من الانس والجن كما قال الامام احمد أخبرنا

عنا (إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم) أي في الامة المسلمة من ذرية ابراهيم وإسماعيل وقبل: في أهل مكة (رسولا منهم) أي مرسلاتهم أراد به محمدا صلى الله عليه وسلم. حدثنا السيد ابوالقاسم علي بن موسى الموسوي حدثني ابو بكر احمد بن محمد بن عباس الباخي أنا الامام ابوسليمان احمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي أنا محمد بن المكي أنا اسحق بن ابراهيم أنا ابن اخي ابن وهب أنا عبيدنا عمارية عن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الاعلى عن هلال السلمي عن العرياض بن

عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبى عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن سارية : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انى عند الله لحاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك ، دعوة أبى ابراهيم ، وبشارة عيسى بنى ، ورؤيا أمى النبي رأت وكذلك أمهات النبيين برين » وكذلك رواه ابن وهب والليث وكتبه عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وتابعه أبو بكر بن أبي مریم عن سعيد بن سويد به ، وقل الامام احمد أيضا أخبرنا أبو النضر أخبرنا الفرج أخبرنا لقمان بن عامر قال سمعت أبا أمامة قال قلت لرسول الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال « دعوة أبى ابراهيم ، وبشرى عيسى بنى ، ورأت أمى انه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام » والمراد ان أول من نوه بذكره وشهره في الناس ابراهيم عليه السلام ولم يزل ذكره في الناس مذكورا مشهورا سائرا حتى أفصح باسمه خاتم انبياء بنى اسرائيل نسبا وهو عيسى بن مريم عليه السلام حيث قام في بنى اسرائيل خطيبا وقال (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) ولهذا قال في هذا الحديث دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى بن مريم « وقوله ورأت أمى انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام قيل كان منلما رآته حين حملت به وقصته على قومها فشاع فيهم واشتهر بينهم وكان ذلك توطئة وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة الى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلا للاسلام وأهله وبها ينزل عيسى بن مريم اذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها ، ولهذا جاء في الصحيحين « لا تنزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خانهم حتى يأتي أمر الله »

سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « انى عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمرى ، أنا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور اضاءت لها منه قصور الشام » وأراد بدعوة ابراهيم هذا فانه دعا أن يبعث في بنى اسماعيل رسولا منهم ، قال ابن عباس : كل الانبياء من بنى اسرائيل الا عشرة : نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين ﴿ يتلو ﴾ يقرأ ﴿ عليهم آياتك ﴾ كتابك يعنى القرآن والآية من القرآن كلام متصل الى اقطاعه وقبل هي جماعة حروف يقال خرج القوم بآيتهم اى بجماعتهم ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ يعنى القرآن والحكمة قال مجاهد : فهم القرآن وقال مقاتل : مواظ القرآن وما فيه من الاحكام ، قال قتبية : هي العلم والعمل ولا يكون الرجل حكيما حتى يجمعهما وقبل : هي السنة وقيل : هي الاحكام والقضاء وقيل : الحكمة الفقه ، قال ابو بكر بن دريد : كل كلمة وعظمتك أو دعيتك الى مكرمة أو نهيته عن قبيح فهي حكمة ﴿ وبزكيتهم ﴾ أي يطهرهم من الشرك والذنوب وقيل : يأخذ الزكاة من أموالهم ، وقال ابن كيسان يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء بالبلاغ من التزكية وهي التعديل ﴿ لك أنت العزيز الحكيم ﴾ قال ابن عباس : العزيز الذى لا يوجد مثله ، وقال الكلبى : المنتقم بيبانه قوله

وم كذلك « وفي صحيح البخاري «وم بالشام» قال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقبل له قد استجيب لك وهو كائن في آخر الزمان وكذا قال السدي وقتادة ه وقوله تعالى (ويعلمهم الكتاب) يعني (القرآن والحكمة) يعني السنة قاله الحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وأبو مالك وغيرهم وقبل الفهم في الدين ولا منافاة (وزكيهم) قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني طاعة الله والاخلاص وقال محمد بن اسحق (ويعلمهم الكتاب والحكمة) قال يعلمهم الخير فيفعلوه والشر فيمتقوه ويخبرهم برضا الله عنهم اذا أطاعوه ليستكثروا من طاعته ويحتذوا ما يسخطه من معصيته ، وقوله (انك أنت العزيز الحكيم) أي العزيز الذي لا يعجزه شيء وهو قادر على كل شيء الحكيم في أفعاله وأقواله فيضع الاشياء في محالها وحكمته وعدله

(١٣٩) ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه؟ ولقد اصطفتينا في الدنيا وانه

في الآخرة لمن الصالحين (١٤٠) اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين (١٤١) ووصي بها

ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لسلم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون

يقول تبارك وتعالى ردا على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله المخالف لملة ابراهيم الخليل امام الخفاء فانه جرد توحيد ربه تبارك وتعالى فلم يدع معه غيره ولا أشرك به طرفة عين وتبرأ من كل معبود سواه وخالف في ذلك سائر قوم حتى تبرأ من أبيه فقال (يا قوم اني بريء مما تشركون ه اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) وقال تعالى (واذ قال تعالى (والله عزيز ذو انتقام) وقبل المنيع الذي لا تناله الايدي ولا يصل اليه شيء وقيل القوي ، والعزة القوة قال الله تعالى (فعرزنا بثالث) قالوا : أي قويننا وقيل الغالب قال الله تعالى إخبارا (وعزني في الخطاب) أي غلبني ويقال في المثل من عزّ برّ أي من غلب سلب ﴿ ومن يرغب عن ملة ابراهيم ﴾ وذلك ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما : قد علمتا ان الله عز وجل قال في التوراة : اني باعث من ولد ايماعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون ، فأسلم سلمة وأبني مهاجر أن يسلم فأنزل الله عز وجل (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) أي يترك دينه وشريعته يقال رغب في الشيء اذا أرادته ورغب عنه اذا تركه ، وقوله من لفظة استفهام معناه التوبيخ والتوبيخ يعني ما يرغب عن ملة ابراهيم ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾ قال ابن عباس : من خسر نفسه ، وقال الكلبي : ضلّ من قبل نفسه ، وقال ابو عبيدة : أهلك نفسه ، وقال ابن كيسان والزجاج : معناه جهل نفسه ، والسفاهة الجهل وضعف الرأي وكل سفيه جاهل ، وذلك أن من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف أن الله خلقها ، وقد جاء : من عرف نفسه عرف ربه ، وفي الاخبار « إن الله تعالى أوحى إلى داود اعرف نفسك واعرفني - فقال : يارب كيف أعرف نفسي ؟ وكيف

ابراهيم لا يبه وقومه انني براء مما تعبدون * الا الذي فطرنى فانه سيهدين * وقال تعالى : وما كان استغفار ابراهيم لا يبه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم . وقال تعالى (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين * شاكرا لا نعمه اجتباها وهداه الى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين) ولهذا وأمثاله قال تعالى : ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ؟ أي ظلم نفسه بسفهه وسوء تديره بتركه الحق الى الضلال حيث خالف طريق من اصطنع في الدنيا للهداية ولرشاد من حدثه سنة الى أن اتخذ الله خليلا وهو في الآخرة من الصالحين السعداء ، فمن ترك طريقه هذا وسلكه ولم يتبع طرق الضلالة والنبي فأي سفه أعظم من هذا ؟ أم أي ظلم أكبر من هذا ؟ كما قال تعالى : ان الشرك لظلم عظيم . قال أبو العالية وقتادة نزلت هذه الآية في اليهود أحدثوا طريقا ليست من عند الله وخالفوا ملة ابراهيم فيما أحدثوه ويشهد لصحة هذا أقول قول الله تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين * ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين *)

وقوله تعالى (اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) أي أمره الله تعالى بالاخلاص له والاستسلام والانقياد فاجاب الى ذلك شرعا وقدره وقوله (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب) أي وصى بهذه الملة وهي الاسلام لله أو يعود الضمير على الكلمة وهي قوله (أسلمت لرب العالمين) لحرصهم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها الى حين الوفاة ووصوا أبناءهم بها من بعدهم كقوله تعالى (وجعلها كلمة باقية في عقبه) وقد قرأ بعض السلف ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه كان ابراهيم وصى بنيه وابن ابنه يعقوب بن اسحق وكان أعرفك ؟ فأوحى اليه اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء ، واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء ، وقال الاخفش : معناه سفه في نفسه ، ونفسه على هذا القول نصب بنزع حرف الصفة وقال الغراء : نصب على التفسير ، وكان الاصل سفهت نفسه فلما أضاف الفعل الى صاحبها خرجت النفس مفسرة ليعلم موضع السفه كما يقال ضقت به ذرعا أي ضاق ذرعي به ﴿ ولقد اصطفيناه في الدنيا ﴾ اخترناه في الدنيا ﴿ وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ يعني أي مع الانبياء في الجنة ، وقال الحسين بن الفضل : فيه تقديم وتأخير تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين ﴿ اذ قال له ربه أسلم ﴾ أي استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما ، قال ابن عباس : قال له ذلك حين خرج من السرب ، وقال الكلبي : أخلص دينك وعبادتك لله ، وقال عطاء : أسلم نفسك الى الله عز وجل وفوض أمورك اليه ﴿ قال أسلمت لرب العالمين ﴾ أي فوضت قال ابن عباس : وقد حقق ذلك حيث لم يستمن بأحد من الملائكة حين ألقى في النار ﴿ ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ﴾ قرأ أهل المدينة والشام وأوصى بالالف وكذلك في مصاحفهم وقرأ الباقون ووصى مشددا وهما لغتان مثل أنزل ونزل . ومعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ووصى يعقوب بنيه ، قال الكلبي ومقاتل : يعني كلمة الاخلاص لا إله

حاضرا ذلك وقد ادعى التشيبي فيما حكاه القرطبي عنه ان يعقوب انما ولد بعد وفاة ابراهيم ويحتاج مثل هذا الى دليل صحيح والظاهر والله أعلم ان اسحق ولد له يعقوب في حياة الخليل وسارة لان البشارة وقعت بهما في قوله (فبشرناهما باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) وقد قرئ بنصب يعقوب ههنا على نزع الخافض فلو لم يوجد يعقوب في حياتهما لما كان لذكره من بين ذرية اسحق كبير فائدة وأيضا فقد قال الله تعالى في سورة النكبات (ورهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) الآية وقال في الآية الاخرى (ورهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) وهذا يقتضي انه وجد في حياته وأيضا فانه باني بيت المقدس كما نطفت بذلك الكتب المتقدمة وثبت في الصحيحين من حديث أبي ذرقات يارسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال «المسجد الحرام قلت ثم أي: قال بيت المقدس قلت كم بينهما؟ قال أربعون سنة» الحديث فزعم ابن حبان ان بين سليمان الذي اعتقد انه باني بيت المقدس — وانما كان جدده بعد خرابه وزخرفه — وبين ابراهيم أربعين سنة وهذا مما أنكر على ابن حبان فان المدة بينهما تزيد على ألوف سنين والله أعلم: وأيضا فان وصية يعقوب لابنيه سيأتي ذكرها قريبا وهذا يدل على أنه ههنا من جملة الموصين وقوله (يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) أي أحسنوا في حال الحياة والزمو هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه فان المرء يموت غالبا على ما كان عليه ويبعث على ما مات عليه وقد أجرى الله الكريم عادته بان من قصد الخير وفق له ويسر عليه من نوى صالحا ثبت عليه. وهذا لا يارض ماجاء في الحديث الصحيح «ان الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وان الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيدخلها» إلا الله، قال أبو عبيدة: إن شئت رددت الكناية الى الملة لانه ذكر ملة ابراهيم، وان شئت رددتها الى الوصية أي وصى ابراهيم بنيه الثمانية اسماعيل وأمه هاجر القبطية واسحق وأمه سارة وستة أمهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم بعد وفاة سارة ويعقوب — سمي بذلك لانه والعيص كانا توأمين فتقدم عيص في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره آخذا بمقبضه قاله ابن عباس وقيل: سمي يعقوب لكثرة عقبه يعني ووصى أيضا يعقوب بنيه الاثنى عشر «يا بني» معناه أن يا بني «ان الله اصطفى لكم الدين» أي دين الاسلام «فلا تموتن الا وأنتم مسلمون» مؤمنون وقيل مخلصون وقيل مفوضون والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت وانما نهوا في الحقيقة عن ترك الاسلام معناه داوموا على الاسلام حتى لا يصادفكم الموت الا وأنتم مسلمون، وعن الفضيل ابن عياض رحمه الله انه قال (الا وأنتم مسلمون) أي محسنون بربكم الظن، أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه قبل موته بثلاثة ايام يقول «لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله

الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» لأنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث «ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وبعمل أهل النار فيما يبدو للناس وقد قال الله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) (١٣٢) أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي

قلوا نعبد آلآبائك وآبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق آلها واحدا ونحن له مسلمون (١٣٣) تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولهم ما كسبت ولا تسئلون عما كانوا يعملون)

يقول تعالى محتجا على المشركين من العرب أبناء إسماعيل وعلى الكفار من بني إسرائيل — وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام — بأن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له فقال لهم (ما تعبدون من بعدي؟ قلوا نعبد الهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق وهذا من باب التغليب لأن إسماعيل عمه : قل النحاس والعرب تسمى العم أباء ، نقله القرطبي وقد استدلل بهذه الآية الكريمة من جعل الجد أباً وحجب به الأخوة كما هو قول الصديق حكاه البخاري عنه من طريق ابن عباس وابن الزبير ثم قل البخاري ولم يختلف عليه وإليه ذهب عائشة أم المؤمنين وبه يقول الحسن البصري وطاوس وعطاء وهو مذهب أبي حنيفة وغير واحد من السلف والخلف ، وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه أنه يقامم الأخوة ، وحكي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وجماعة من السلف والخلف واختاره صاحباً أبي حنيفة القاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن ولتقريرها موضع آخر ، وقوله (الها واحداً) أي نوحده بالالهوية ولا نشرك به شيئاً غيره (ونحن له مسلمون) أي مطيعون خاضعون كما قال تعالى (وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرها وإليه يرجعون) والإسلام هوملة الانبياء قاطبة وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا

عز وجل (١) قوله تعالى ﴿ أم كنتم شهداء ﴾ يعني أكنتم شهداء يريد ما كنتم شهداء حضوراً ﴿ إذ حضر يعقوب الموت ﴾ أي حين قرب يعقوب من الموت قبل نزلت في اليهود حين قلوا للنبي صلى الله عليه وسلم أأنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فملى هذا القول يكون الخطاب لليهود . وقال الكلبي لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الاوثان والثيران فجمع ولده وخاف عليهم ذلك فقال عز وجل ﴿ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ﴾ قال عطاء إن الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخبره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب قال يارب انظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم ففعل الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي ﴿ قلوا نعبد الهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق ﴾ وكان إسماعيل عمهم والعرب تسمى العم أباً كما تسمى الخالة أما قل النبي صلى الله عليه وسلم «عم الرجل صنو أبيه» وقال في عمه العباس «ردوا علي أبي فاني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف

(١) رواه أحمد ومسلم وغيرهما

(تفسير ابن كثير والبغوي) اليهودية والنصرانية وكون الاسلام ملة ابراهيم دونهما ٣٣٩

فأعبدون) والآيات في هذا كثيرة والاحاديث فمنها قوله صلى الله عليه وسلم «نحن معشر الانبياء اولاد علات ديننا واحد» وقوله تعالى (تلك أمة قد خلت) أي مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أي ان السلف الماضين من آبائكم من الانبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم اليهم اذا لم تفعلوا خيرا يعود نفعه عليكم فان لهم أعمالهم التي عملوها ولكم اعمالكم (ولا تستلون عما كانوا يعملون) وقول ابو العالية والربيع وقتادة «تلك أمة قد خلت» يعني ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ولا سباط. ولهذا جاء في الاثر «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» (١)

(١) رواه مسلم
مرفوعا من حديث
طويل عن أبي هريرة

(١٣٤) وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين

قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد حدثني سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس قال: قال عبد الله بن صوريا الاعور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد. وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله عز وجل (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) وقوله (قل بل ملة ابراهيم حنيفا) أي لا نريد ما دعوتونا اليه من اليهودية والنصرانية بل نتبع (ملة ابراهيم حنيفا) أي مستقيما. قاله محمد بن كعب القرظي وعيسى بن جارية. وقال خفيف عن مجاهد مخلصا. وروي علي بن أبي طلحة عن ابن عباس حاجا. وكذا روي عن الحسن والضحاك وعطية والسدي. وقال ابو العالية: الحنيف الذي يستقبل البيت بصلاته ويرى ان حجه عليه ان استطاع اليه سبيلا. وقال مجاهد والربيع بن أنس: حنيفا أي متبعا. وقال أبو قلابة: الحنيف الذي يؤمن بالرسول كلهم من أولهم الى آخرهم. وقال قتادة: الحنيفية شهادة أن لا إله الا الله يدخل فيها تحريم الامهات والبنات والحالات والعمات وما حرم الله عز وجل والخنان

بعروة بن مسعود» وذلك انهم قتلوه — (إلهآ واحدا) نصب على البدل من قوله إلهك وقيل نعرفه إلهآ واحد «ونحن له مسلمون تلك أمة» جماعة «قد خلت» مضت «لها ما كسبت» من العمل «ولكم ما كسبتم ولا تستلون عما كانوا يعملون» يعني يستل كل عن عمله لاعن عمل غيره قوله «وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا» قل ابن عباس نزلت في رؤساء يهود المدينة كعب بن الأشرف ومالك ابن الصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب وفي نصارى اهل نجران السيد والعاقب وأصحابهما وذلك انهم خاصمو المسلمين في الدين كل فرقة تزعم انها أحق بدين الله فقالت اليهوديينا موسى أفضل الانبياء وكتابنا التوراة فضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، وقالت النصارى نبينا أفضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك. فقال تعالى (قل) يا محمد «بل ملة ابراهيم» بل نتبع ملة ابراهيم وقال الكسائي هو نصب على الاغراء كأنه يقول اتبعوا ملة ابراهيم وقيل معناه بل نكون على

(١٣٥) قولوا آمنا بالله وما أنزل اليانا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط

وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون

أرشد الله تعالى عباده المؤمنين الى الايمان بما أنزل اليهم بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مفصلا وما أنزل على الانبياء المتقدمين مجملا ، ونص على أعيان من الرسل وأجل ذكر بقية الانبياء وان لا يفرقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم ولا يكونوا كمن قال الله فيهم (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك الكافرون حقا) الآية وقال البخاري : حدثنا محمد بن بشار أخبرنا عثمان بن عمرة أخبرنا علي بن المبارك عن يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية. وقدروى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث عثمان بن حكيم عن سعيد بن يسار عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما يصلي الركعتين اللتين قبل الفجر (بآمننا بالله وما أنزل إلينا) الآية والاخرى (بآمننا بالله واشهد بأئنا مسلمون) وقال أبو العالية والربيع وقتادة : الاسباط بنو يعقوب اثنا عشر رجلا ولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا الاسباط . وقال الخليل بن أحمد وغيره : الاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في بني اسمعيل . وقال الزمخشري في الكشاف : الاسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر وقد نقله الرازي عنه وقرره ولم يعارضه . وقال البخاري : الاسباط قبائل بني اسرائيل ، وهذا يقتضي ان المراد بالاسباط ههنا شعوب بني اسرائيل وما أنزل الله من الوحي ملة ابراهيم فحذف على فصار منصوبا ﴿حنيفا﴾ نصب على الحال عند نحاة البصرة وعند نحاة الكوفة نصب على القطع أراد به بل ملة ابراهيم الحنيف فلما أسقطت الالف واللام لم تتبع الكره المعرفة فانقطع منه فنصب قال مجاهد الحنيفة اتباع ابراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماما للناس قال ابن عباس الحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام وأصله من الحنف وهو ميل وعوج يكون في القدم وقال سعيد بن جبير الحنيف هو الحاج الحنن وقال الضحك اذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج واذا لم يكن مع المسلم فهو المسلم ، قال قتادة الحنيفة الحنن ونحرير الامهات والبنات والاخوات والامهات والحالات وإقامة المناسك ﴿وما كان من المشركين﴾ ثم علم المؤمنين طريق الايمان فقال جل ذكره ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ يعني القرآن ﴿وما أنزل الى ابراهيم﴾ وهو عشر صحف (واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) يعني أولاد يعقوب وهم اثنا عشر سبطا واحدا سبط سموا بذلك لانه ولد لكل واحد منهم جماعة وسبط الرجل حافذه ومنه قيل للحسن والمسين رضي الله عنهما سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط من بني اسرائيل كالقبائل من العرب من بني

قوله (بآمننا بالله واشهد بأئنا مسلمون) (١)

على الانبياء الموجودين منهم كما قال موسى لهم (اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا) الآية وقال تعالى (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا) قال القرطبي : وسموا الاسباط من السبط وهو التتابع فهم جماعة ، وقيل أصله من السبط بالتحريك وهو الشجر ، أي في الكثرة بمنزلة الشجر الواحدة سبطة . قال الزجاج : وبين لك هذا ما حدثنا محمد بن جعفر الانباري حدثنا أبو نجيد الدقاق حدثنا الاسود بن عامر حدثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قل : كل الانبياء من بني اسرائيل الا عشرة نوح وهود وصالح وشعيب وابراهيم واسحق ويعقوب واسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام . قال القرطبي : والسبط الجماعة والقبيلة الراجعون الى أصل واحد . وقال قتادة : أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا به ويصدقوا بكتبه كلها وبرسله . وقال سليمان بن حبيب : إنما أمرنا أن نؤمن بالتوراة والانجيل ولا نعمل بما فيهما . وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري أخبرنا مؤمل أخبرنا عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليح عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آمنوا بالتوراة والزبور والانجيل وليسعكم القرآن »

(١٣٦) فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكم

الله وهو السميع العليم (١٣٧) صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) يقول تعالى فان آمنوا ، يعني الكفار من أهل الكتاب وغيرهم بمثل ما آمنتم به يا أيها المؤمنون من الايمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم (فقد اهتدوا) أي فقد أصابوا الحق وأرشدوا اليه . (وان تولوا) أي عن الحق الى الباطل بعد قيام الحجة عليهم (فانما هم في شقاق فسيكفيكم الله) أي فسينصرك عليهم ويظمرك بهم (وهو السميع العليم)

إسماعيل والشعوب من العجم وكان في الاسباط أنبياء ولذلك قال وما أنزل اليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء (وما أوتي موسى) يعني التوراة (وعيسى) يعني الانجيل (وما أوتي) أعطي (النبيون من ربهم) لا نفرق بين أحد منهم (أي تؤمن بالكل لا نفرق بين أحد منهم فتؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى) (ونحن له مسلمون) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أنا عثمان بن عمر أنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالله الآية » فان آمنوا بمثل ما آمنتم به (أي بما آمنتم به وكذلك كان يقرؤها ابن عباس والمثل صلة كقوله تعالى ليس كمثل شيء أي ليس هو كشيء وقيل معناه فان آمنوا بجميع ما آمنتم به أي أنوا بإيمانكم وتوحيدكم وتوحيدكم وقيل معناه فان آمنوا بمثل ما آمنتم به الباء زائدة كقوله تعالى (وهزي إليك بمذقة النخلة) وقال أبو معاذ النحوي معناه فان آمنوا

قال ابن أبي حاتم قرئ على يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنا زياد بن يونس حدثنا نافع بن أبي نعيم قال أرسل إلى بعض الخلفاء مصحف عثمان ليصلحه قال زياد فقلت له إن الناس ليقولون إن مصحفه كان في حجره حين قتل فوقع الدم على (فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم) فقال نافع بصرت عيني بالدم على هذه الآية وقد قدمه وقوله (صبغة الله) قال الضحاك عن ابن عباس دين الله وكذا روي عن مجاهد وأبي العالية وعكرمة وإبراهيم والحسن وقتادة والضحاك وعبد الله بن كثير وعطية العوفي والربيع بن أنس والسدي نحوه ذلك وانتصاب صبغة الله إما على الأغراء كقوله (فطرة الله) أي الزموا ذلك عليكموه وقال بعضهم بدلا من قوله (ملة إبراهيم) وقال سيديويه هو مصدر مؤكد انتصب عن قوله (آمنا بالله) كقوله (وعد الله) وقد ورد في حديث رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه من رواية أشعث بن إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : إن بني إسرائيل قالوا يا رسول الله هل يصبغ ربك ؟ فقال اتقوا الله . فناداه ربه يا موسى سألوكم هل يصبغ ربك ؟ فقل نعم : أنا أصبغ الألوان الأحمر والأبيض والأسود والألوان كلها من صبغي . وأزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) كذا وقع في رواية ابن مردويه مرفوعا وهو في رواية ابن أبي حاتم موقوف وهو أشبه إن صح ! ناداه والله أعلم

(١٣٨) قل أتحتاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له

بكتابتكم كما آمنتم بكتابتهم ﴿ فقد اهتدوا وإن تولوا فأنما هم في شق ﴾ أي في خلاف ومنازعة قله ابن عباس وعطاء يقال شاق مشاقة إذا خالف كان كل واحد أخذ في شق غير شق صاحبه : قال الله تعالى (لا يجرمكم شققي) أي خلافي وقبل في عداوة دليله قوله تعالى (ذلك بأنهم شاقوا الله) أي عادوا الله ﴿ فسيكفيكمهم الله ﴾ يا محمد أي يكفيك شر اليهود والنصارى وقد كني بأجلاء بني النضير وقتل بني قريظة وضرب الجزية على اليهود والنصارى ﴿ وهو السميع ﴾ لا قواهم ﴿ العليم ﴾ بأحوالهم قوله تعالى ﴿ صبغة الله ﴾ قال ابن عباس في رواية الكشي وقتادة والحسن دين الله وإنما سماه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب وقبل لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه كالصبغ يلزم الثوب : وقال مجاهد فطرة الله وهو قريب من الأول ، وقيل سنة الله ، وقيل أراد به الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم : وقال ابن عباس هي أن النصارى إذا ولدوا لآدم ولد فأتت عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر يقال له المعمودية وصبغوه به ليظهر به بذلك الماء مكان الختان فإذا فعلوا به ذلك : قالوا الآن صار نصرانيا حقا ، فآخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصارى . وهو نصب على الأغراء يعني الزموا دين الله : قال الاخفش هي بدل من قوله ملة إبراهيم ﴿ من أحسن من الله صبغة ﴾ ديننا وقبل تطهيرا ﴿ ونحن له عابدون ﴾ مطبوعون ﴿ قل ﴾ يا محمد اليهود والنصارى ﴿ أتحتاجوننا في الله ﴾ أي في دين الله والمحااجة المجادلة في الله لاظهار الحاجة وذلك بأنهم قالوا إن الأنبياء كانوا

(تفسير ابن كثير والبقوي) لم يكن ابراهيم وأولاده وأحفاده يهودا ولا نصارى ٤٤٣
مخلصون (١٣٨) أم تقولون إن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا
يهوداً أو نصارى؟ قل أنتم أعلم أم الله؟ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله؟ وما
الله بغافل عما تعملون (١٤٠) تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وليكم ما كسبتكم ولا تسئلون
عما كانوا يعملون *

يقول الله تعالى مرشداً نبيه صلوات الله وسلامه عليه الى درء مجادلة المشركين (قل أنحاجوننا
في الله) أي ننظر ونفكر في توحيد الله والاختصاص له والانقياد واتباع أوامره وترك زواجه (وهو ربنا
وربكم) المنصرف فينا وفيكم المستحق لاختصاص الالهية له وحده لا شريك له (ولنا أعمالنا ولكم
أعمالكم) أي نحن براء منكم وما تعبدون وأنتم براء منا كما قال في الآية الاخرى (فإن كذبوك فقل
لي عملي ولكم عملكم. أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) (فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي
لله ومن اتبعني) الى آخر الآية وقال تعالى إخباراً عن ابراهيم (وحاجه قومه قل أنحاجوني في الله)
الى آخر الآية وقال تعالى (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) الآية وقال في هذه الآية الكريمة
(ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون) أي نحن براء منكم كما أنتم براء منا ونحن له مخلصون
أي في البادة والتوجه ثم أنكر تعالى عليهم في دعواهم أن ابراهيم ومن ذكر بعده من الانبياء والاسباط
كانوا على ملتهم إما اليهودية وإما النصرانية فقال (قل أنتم أعلم أم الله) يعني بل الله أعلم وقد أخبر
نهم لم يكونوا يهودا ولا نصارى كما قال تعالى (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً
أسلماً وما كان من المشركين) الآية والتي بعدها. وقوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله (ما
مال الحسن البصري كانوا يقرؤون في كتاب الله الذي أنام ان الدين الاسلام وان محمداً رسول الله
قوان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا براء من اليهودية والنصرانية فشهدوا لله بذلك
وأقروا على أنفسهم لله فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك. وقوله (وما الله بغافل عما تعملون) تهديد

منا وعلى ديننا أقم فنحن أولى بالله منكم: فقال الله قل أنحاجوننا في الله (وهو ربنا وربكم)
أي نحن وأنتم سواء في الله فإنه ربنا وربكم (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لكل واحد جزاء عمله
فكيف تدعون انكم أولى بالله (ونحن له مخلصون) وأنتم به مشركون: قال سعيد بن جبير
الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله فلا يشرك به في دينه ولا برائي بعمله: قال الفضيل ترك
العمل لاجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما: قل الله
تعالى (أم تقولون) يعني أنقولون صيغة استفهام ومعناه التوبيخ وقرأ ابن عمار وحزمة والكاظمي
وحفص بابتاء. لقوله تعالى (قل أنحاجوننا في الله) وقال بعده: قل أنتم أعلم أم الله. وقرأ الآخرون
بالياء يعني يقول اليهود والنصارى (ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا يهودا أو
نصارى قل) يا محمد (أنتم أعلم) بدينهم (أم الله) وقد أخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن يهودياً

ووعيد شديد أى أن علمه محيط بمعاملكم وسيجزىكم عليه . ثم قل تعالى (تلك أمة قد خلت) أى قد مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أى لهم أعمالهم ولكم أعمالكم (ولا تستلون عما كانوا يعملون) وليس يغني عنكم انتسابكم اليهم من غير متابعة منكم لهم ولا تغفروا بمجرد النسبة اليهم حتى تكونوا متفادين مثلهم لا وأمر الله واتباع رسوله الذين بعثوا مبشرين ومنذرين فإنه من كفر بنبي واحد فقد تفرسائر الرسل ولا سيما بسيد الانبياء وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين الى جميع الانس والجن من المكلفين صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجدين

(١٤١) سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ قل لله

المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (١٤٢) وكذلك جعلناكم أمة وسطا

لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . وما جعلنا القبلة التي كنت عليها

إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه . وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى

الله . وما كان الله ليضيع إيمانكم . إن الله بالناس لرؤف رحيم *

قيل المراد بالسفهاء ههنا مشركو العرب قاله لزجاج وقيل أحبار يهود قاله مجاهد وقيل المنافقون قاله السدي والآية عامة في هؤلاء كلهم والله أعلم . قال البخاري أخبرنا أبو نعيم سمع زهيرا عن أبي اسحق عن البراء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وإنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فر على أهل المسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي قد مات على القبلة قبل أن نحول قبل البيت رجلا قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم) انفرد به البخاري من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقال محمد ابن اسحق حدثني اسماعيل بن أبي خالد عن أبي اسحق عن البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت المقدس ويكثر النظر الى السماء ينتظر أمر الله فأنزل الله (قد نرى تقلب

ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) ومن أظلم ممن كتم) أخفى) شهادة عنده من الله) تعالى وهي عليهم بأن ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وإن محمدا صلى الله عليه وسلم حق ورسول أشهدهم الله عليه في كتبهم) وما الله بغافل عما تعملون * تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تستلون عما كانوا يعملون) كرهه تأكيذا

قوله تعالى (سيقول السفهاء) الجاهل (من الناس ما ولاهم) أي شي . صرفهم وحولهم (عن قبلتهم التي كانوا عليها) يعني بيت المقدس والقبلة فعلة من المبالغة نزلت في اليهود ومشركي مكة طعنوا في

وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام (فنال رجال من المسلمين وددنا لو علمنا من مات منا قبل أن نصرف الى القبلة وكيف بصلاتنا نحو بيت المقدس ؟ فأنزل الله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وقال السفهاء من الناس وهم أهل الكتاب ما ولامهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ فأنزل الله (سيمول السفهاء من الناس) الى آخر الآية . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا الحسن بن عطية حدثنا إسرائيل أبي عن اسحق عن البراء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فأنزل الله (قد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها . فول وجهك شطر المسجد الحرام) قل فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود (ما ولامهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟) فأنزل الله (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة ابراهيم فكان يدعو الله وينظر الى السماء فأنزل الله عز وجل (فولوا وجوهكم شطره) أي نحوه فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولامهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ فأنزل الله (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقد جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة وحاصل الامر أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلي بين اركنين وهو مستقبل صخرة بيت المقدس فلما هاجر الى المدينة تذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه الى بيت المقدس قاله ابن عباس والجمهور ثم اختلف هؤلاء هل كان الامر به بالقرآن أو بغيره على قولين وحكي القرطبي في تفسيره عن عكرمة وإبي العالية والحسن البصري أن التوجه الى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام . والمقصود أن التوجه الى بيت المقدس بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة واستمر الامر على ذلك بضعة عشر شهرا وكان يكثر الدعاء والابتهاال أن يوجه الى الكعبة

تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة : فقالوا لمشركي مكة قد تردد على محمد أمره فاشتاق الى مولده وقد توجه نحو بلدكم وهو راجع الى دينكم فقال الله تعالى ﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾ فاستقاموا له والخلق عبيده ﴿ يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴿ نزات في رؤساء اليهود : قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد انا عدل بين الناس : فقال معاذ انا على حق وعدل فأنزل الله تعالى وكذلك أي وهكذا وقيل الكاف للتشبيه وهي مردودة على قوله (ولقد اصطفيناه في الدنيا) أي كما اخترنا ابراهيم وذريته واصطفييناهم كذلك جعلناكم أمة وسطا أي عدلا خيرا قال الله تعالى (قل أوسطهم) أي خيرهم وأعدلهم وخير الاشياء . أوسطها : وقال الكلبي يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهم مذبذبون في الدين أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا ابو معشر ابراهيم بن محمد بن الحسين (٤٤) — تفسير ابن كثير والبغوي

وهو متعلق
بالتوجه الى بيت المقدس
فانزل الله تعالى
﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾
فانزل الله تعالى
﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾
فانزل الله تعالى
﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾

التي هي قبلة ابراهيم عليه السلام فأجيب الى ذلك وامر بالتوجه الى البيت العتيق فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فأعلمهم بذلك وكان اول صلاة صلاها اليها صلاة العصر كما تقدم في الصحيحين من رواية البراء ووقع عند النسائي من رواية ابي سعيد بن المعلى انها الظهر وقال كنت انا وصاحبي اول من صلى الى الكعبة وذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم ان تحويل القبلة نزل على رسول الله وقد صلى ركعتين من الظهر وذلك في مسجد بني سلمة فسمي مسجد القبائين وفي حديث نويلة بنت مسلم انهم جاءهم الخبر بذلك وهم في صلاة الظهر فالتفت الرجال الى النساء والنساء الى الرجال ذكره الشيخ ابو عمر بن عبد البر النجدي واما اهل قباء فلم يبايعهم الخبر الى صلاة الفجر من اليوم الثاني كما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قل بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة. وفي هذا دليل على ان الناصح لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وإن تقدم نزوله وإبلاغه لانهم لم يؤمروا باعادة العصر والمغرب والعشاء والله اعلم. ولما وقع هذا حصل أفض الناس من اهل النفاق والزيب والكفرة من اليهود ارنباب وزينغ عن الهدى ونخبيط وشك وقالوا (ما ولاهم عن قبائهم التي كانوا عليها) اي قالوا مال هؤلاء نارة يستقبلون كذا ونارة يستقبلون كذا فأرسل الله جوابهم في قوله (قل لله المشرق والمغرب) اي الحكم والتصرف والامر كله (فأين (١) تولوا فثم وجه الله) و (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) (اي الشان كله في امتثال اوامر الله نخبينا وجهنا توجهنا فالطاعة في امثال امره ولو وجهنا في كل يوم مرات الى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا وهو تعالى له عبيده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وامنه عناية عظيمة إذ هداهم الى قبلة ابراهيم خليل الرحمن وجعل توجههم الى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له اشرف بيوت الله في الارض إذ هي بناء ابراهيم الخليل عليه السلام ولهذا قال: (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)

(١) كانت في
النسختين المطبوعة
والمخطوطة: وحينا.
وهو من الاتفاق
الغريب في النلط

الوراق أنا ابو عبد الله محمد بن زكريا بن يحيى أنا أبو الصلت أنا حماد بن زيد أنا علي بن زيد عن أبي نصر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد العصر فترك شئنا الى يوم القيامة الا ذكره في مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس على رؤس النخل وأطراف الحيطان قال «أما انه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها الا كما بقي من يومكم هذا، ألا وان هذه الامة توفي سبعين أمة هي آخرها وأخيرها وأكرمها على الله تعالى» قوله تعالى ﴿لنكونوا شهداء على الناس﴾ يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم: قل ابن جريح قلت لعطاء مامعني قوله تعالى لنكونوا شهداء على الناس: قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من يترك الحق من الناس أجمعين ﴿ويكون الرسول﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿عليكم شهيدا﴾ معدلا من كيا

وقد روى الامام احمد عن علي بن عاصم عن حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الاشعث عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني في أهل الكتاب « انهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خالف الامام أمين »

وقوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) يقول تعالى انما حولناكم الى قبلة ابراهيم عليه السلام واختبرناها لكم لنجعلكم خيار الامم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الامم لان الجميع معترفون لكم بالفضل ، والوسط ههنا الخيار والاجود كما يقال قريش أوسط العرب نسبا وداراً أي خيرها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا في قومه ، أي أشرافهم نسبا ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي العصر كما ثبت في الصحاح وغيرها ولما جعل الله هذه الامة وسطا خصها بكل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب كما قال تعالى (هو اجتبى لكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت ؟ فيقول نعم ، فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم ؟ فيقولون ما نأنا من نذير وما أنا من أحد ، فيقال لنوح من يشهد لك . فيقول محمد وأمه ، قال : فذلك قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قال والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم» رواه البخاري الترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن الاعمش وقال الامام أحمد أيضا : حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا ؟ فيقولون لا . فيقال له هل بلغت قومك ؟ فيقول نعم . فيقال من يشهد لك ، فيقول محمد وأمه فيدعى محمد وأمه . فيقال لهم هل بلغ لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الماضية : (ألم يأتكم نذير) فينكرون ويقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير فيسأله الله لانبيا عليهم السلام من ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم قامة للحجة فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانما أتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا ، وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم . أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليسي أخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا اسحق بن منصور أخبرنا أبو أريامة قال الاعمش أخبرنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت ؟ فيقول

هذا قومه؟ فيقولون نعم. فيقال وما علمكم؟ فيقولون جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله عز وجل (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قال عدلا (تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وقال أحمد أيضا: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قال عدلا. وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه وابن أبي حاتم من حديث عبد الواحد بن زياد عن أبي مالك الأشجعي عن المغيرة بن عتيبة بن نبال حدثني مكاتب لنا عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أنا وأمتي يوم القيامة على كرم مشرفين على الخلائق مامن الناس أحد إلا ود أنه منا وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلغ رسالة ربه عز وجل» وروى الحاكم في مستدركه وابن مردويه أيضا، واللفظ له من حديث مصعب بن ثابت عن محمد بن كعب القرظي عن جابر بن عبد الله قال: شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة في بني مسلة وكنت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: والله يا رسول الله لنعم المرء كان، لقد كان عفيفا مسلما وكان وأثنوا عليه خيرا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت بما تقول. فقال الرجل: الله أعلم بالسرائر، فأما الذي بدا لنا منه فذاك فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت، ثم شهد جنازة في بني حارثة وكنت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: يا رسول الله بئس المرء كان أن كان لفظا غليظا فأثنوا عليه شرا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعضهم أنت بالذي تقول. فقال الرجل: الله أعلم بالسرائر، فأما الذي بدا لنا منه فذاك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت. قال مصعب ابن ثابت: فقال لنا عند ذلك محمد بن كعب صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قرأ (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد حدثنا داود بن أبي الفرات عن عبد الله بن بريدة عن أبي الأسود قال: أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع بها مرض فهم

نعم يارب، فيسأل أمته هل بلغكم؟ فيقولون ما جاءنا من نذير، فيقل من شهودك فيقول محمد وأمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فيجاء بكم فتشهدون» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا

قوله تعالى ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ أي تحويلها يعني بيت المقدس فيكون من باب حذف المضاف ويحتمل أن يكون المفعول الثاني للجعل محذوفا على تقدير وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقبل معناه التي أنت عليها وهي الكعبة كقوله تعالى كنتم خير أمة أي أنتم ﴿الا لعلم من يتبع الرسول﴾ فإن قبل مامعنى قوله الا لعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها قبل أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب اما يتعلق بما يوجد معناه لعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل الا لعلم أي لنرى ونميز من يتبع الرسول في

يموتون موتاً ذريعاً ، فجلست الى عمر بن الخطاب فمرت به جنازة فأثني على صاحبها خيراً ، فقال : وجبت ثم مر بأخرى فأثني عليها شر ، فقال عمر : وجبت . فقال أبو الاسود وجبت يا أمير المؤمنين . قال قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة قال فقلنا وثلاثة قال : فقال وثلاثة ، قال فقلنا واثنان . قال واثنان . ثم لم نسأله عن الواحد . وكذا رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث داود بن أبي الفرات به : وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن عثمان بن يحيى حدثنا أبو قلابة الرقاشي حدثني أبو الوليد حدثنا نافع بن عمر حدثني أمية بن صفوان عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبيه : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبناء يقول يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم « قالوا بسم يارسول الله ؟ قال « بالثناء الحسن والثناء السبي » أنتم شهداء الله في الارض » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شعبة عن يزيد بن هرون ورواه الامام أحمد عن يزيد بن هرون وعبد الملك بن عمر وشريح عن نافع عن ابن عمر به

وقوله تعالى (وما جعلنا القبلة التي كنتم عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله) يقول تعالى انما شرعنا لك يا محمد التوجه أولاً الى بيت المقدس ثم صرفناك عنها الى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حينما توجهت ممن ينقلب على عقبيه ، أي مرتداً عن دينه وان كانت لكبيرة ، أي هذه الفعلة وهو صرف التوجه عن بيت المقدس الى الكعبة ، أي وان كان هذا الامر عظيماً في النفوس الا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول وان كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه ، وان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فله ان يكلف عباده بما شاء وينسخ ما يشاء ، وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك بخلاف الذين في قلوبهم مرض فانه كلما حدث أمر أحدث لهم شكاً كما يحصل للذين آمنوا ايقاناً وتصديقاً ، كما قال الله تعالى (واذا ما أنزلت سورة فهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا ؟ فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم) وقال تعالى (قل هو للذين

القبلة) (ممن ينقلب على عقبيه) فيرتد وفي الحديث ان القبلة لما حولت ارتد قوم من المسلمين الى اليهودية : وقالوا رجع محمد الى دين آبائه : وقال اهل المعاني معناه الا لعلمنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه كان سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي كما قال الله تعالى (فلم تقتلون أنبياء الله ؟) أي فلم تقتلتموهم (وان كانت) أي وقد كانت او تولية القبلة وقيل الكتابة راجعة الى القبلة وقيل الى الكعبة . قال الزجاج وان كانت التحويلة (لكبيرة) ثقيلة شديدة (الا على الذين هدى الله) أي هداهم الله ، قال سيبويه وان تأكيد شبيه باليمن ولذلك دخلت اللام في جوابها (وما كان الله ليضيع ايمانكم) وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود . قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس ان كانت هدى فقد نحوتهم عنها وان كانت ضلالة فقد دنتهم الله بها ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة . فقال

آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى) وقال تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) ولهذا كان من ثبت على تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه في ذلك وتوجه حيث أمره الله من غير شك ولا ريب من سادات الصحابة . وقد ذهب بعضهم الى ان السابقين الاولين من المهاجرين والانصار هم الذين صلوا القبليتين . وقال البخاري في تفسيره هذه الآية : حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء اذ جاء رجل فقل : قد أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم قرآن وقد أمر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها . فتوجهوا الى الكعبة . وقد رواه مسلم من وجه آخر عن ابن عمر ورواه الترمذي من حديث سفيان الثوري وعنده أنهم كانوا ركوعا فاستداروا كما هم الى الكعبة وهم ركوع . وكذا رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مثله ، وهذا يدل على كمال طاعتهم لله ورسوله وانقيادهم لأوامر الله عز وجل رضي الله عنهم أجمعين .

وقوله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي صلاتكم الى بيت المقدس قبل ذلك ما كان يضيع ثوابها عند الله وفي الصحيح من حديث أبي اسحق السبيعي عن البراء قل : مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس ؟ فقال الناس ما حالهم في ذلك . فأنزل الله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) ورواه الترمذي عن ابن عباس وصححه . وقال ابن اسحق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي بالقبلة الاولى وتصديةكم نبيكم واتباعه الى القبلة الاخرى ، أي ليعطيكم أجرهما جميعا (ان الله بالناس لرؤوف رحيم) وقال الحسن البصري (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي ما كان الله ليضيع محمدا صلى الله عليه وسلم وانصرافكم معه حيث انصرف (ان الله بالناس لرؤوف رحيم) وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة من السبي قد فرق بينها وبين ولدها فجاءت ولدا رجلا صبيا من السبي أخذته فأصقته بصدرها وهي تدور على ولدها ، فلما وجدته ضمته اليها وألقته ثديها . فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم

المسلمون انما الهدى ما امر الله به والضلالة ما نهى الله عنه . قالوا فما شـ هاديتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل ان تحول الى الكعبة من المسلمين اسعد بن زرارة من بني النجار والبراء ابن معرور من بني سلمة وكانوا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشيرتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله قد صرفك الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس ؟ فأنزل الله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) يعني صلاتكم الى بيت المقدس (ان الله بالناس لرؤوف رحيم) قرأ اهل الحجاز وابن عامر وحفص وشعبة على وزن فعول لان أكثر اسماء الله تعالى على فعول وفعيل كالغفور والشكور والرحيم والكرم وغيرها وابو جعفر بلين الهزرة وقرأ الآخرون بالاختلاس على وزن فعل . قال جرير

نرى المسلمين عليك حقاً * كفعل الواحد الرؤف الرحيم

وسلم ، ترون هذه طارحة ولده في النار وهي تقدر على ان لا تطرحه ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : « فوالله الله أرحم بعباده من هذه بولدها »

(١٤٣) قد نرى ثقب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : كان أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما هاجر الى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود فأمره الله ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا وكان يحب قبلة ابراهيم فكان يدعو الى الله وينظر الى السماء (فأنزل الله قد نرى ثقب وجهك في السماء) الى قوله (فولوا وجوهكم شطره) فارتابت من ذلك اليهود وقالوا : (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل الله المشرق والمغرب) وقال (فأينما تولوا فثم وجه الله) وقال الله تعالى (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه . وروى ابن مردويه من حديث القاسم العمري عن عمه عبيد الله بن عمر عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم من صلاته الى بيت المقدس رفع رأسه الى السماء . فأنزل الله (فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) الى الكعبة الى الميزاب يؤم به جبرئيل عليه السلام .

والرافة أشد الرحمة قوله تعالى ﴿ قد نرى ثقب وجهك في السماء ﴾ هذه الآية وان كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فانها رأس القصة . وأمر القبلة أول ما نسخ من أمور الشرع وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة ، فلما هاجر الى المدينة أمره الله ان يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب الى تصديق اليهود إياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجنون من نفعه في التوراة فصلى بعد الهجرة ستة عشر او سبعة عشر شهرا الى بيت المقدس وكان يحب ان يوجه الى الكعبة لانها كانت قبلة أبيه ابراهيم عليه السلام : وقال مجاهد كان يحب ذلك من اجل اليهود لانهم كانوا يقولون بخالفنا محمد صلى الله عليه وسلم في ديننا ويتبع قبائنا فقال لجبريل عليه السلام وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة إبي ابراهيم عليه السلام فقال جبريل أما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل انت ربك فانك عند الله عز وجل بمكان فخرج جبريل عليه السلام وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب النظر الى السماء رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة فأنزل الله تعالى ﴿ قد نرى ثقب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ﴾ فأنجولك الى قبلة ﴿ ترضاها ﴾ اي تحبها وتوهاها ﴿ فول ﴾ اي حول ﴿ وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ اي نحوه واراد به الكعبة والحرام المحرم ﴿ وحيثما كنتم ﴾ من بر او بحر شرق او غرب ﴿ فولوا وجوهكم شطره ﴾

وروى الحاكم في مستدركه من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء عن يحيى بن قطة قال : رأيت عبد الله بن عمرو جالسا في المسجد الحرام بازاء الميزاب فتلا هذه الآية (فانولينك قبلة ترضاها) قل نحو ميزاب الكعبة . ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن عرفة عن هشام عن يعلى بن عطاء به . وهكذا قال غيره وهو أحد قولي الشافعي رضي الله عنه . ان الغرض اصابة عين الكعبة . والقول الآخر وعليه الاكثرون ان المراد المواجهة كما رواه الحاكم من حديث محمد بن اسحق عن عمير بن زباد السكندري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (فول وجهك شطر المسجد الحرام) قال شطره قبله . ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وهذا قول أبي العالية ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والربيع ابن أنس وغيرهم . وكما تقدم في الحديث الآخر « ما بين المشرق والمغرب قبلة » وقول القرطبي : روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل الارض في مشارقها ومغاربها من أمي » وقول أبو نعيم الفضل بن دكين : حدثنا زهير عن أبي اسحق عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه قبلته قبل البيت ، وأنه صلى صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان يصلي معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت

عند الصلاة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا اسحق بن نصر أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال سمعت ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة (وقال هذه القبلة) أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عمرو ابن خالد أخبرنا زهير أخبرنا أبو اسحق عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الانصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون : فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب فلما تولي وجهه قبل البيت انكروا ذلك : وقال البراء في حديثه هذا انه مات علي القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما تقول فيهم فأنزل الله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وكان تحويل القبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين : قال مجاهد وغيره نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقرصلى بأصحابه ركعتين

وقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يحول نحو الكعبة فنهزت (قد نرى قلب وجهك في السماء) فصرفت إلى الكعبة وروى النسائي عن أبي سعيد بن المديني قال : كنا نعدو إلى المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصلي فيه فمررنا يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر ، فقلت لقد حدث أمر فجلست فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (قد نرى تقليب وجهك في السماء فلو لينك قبلة ترضاها) حتى فرغ من الآية ، فقلت لصاحبي تعال نركع ركعتين قبل أن ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكون أول من صلى فتوارينا فصليناهما . ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى للناس الظهر يومئذ . وكذا روى ابن مردويه عن ابن عمر : أن أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة صلاة الظهر وأنها الصلاة لوسطى ، والمشهور أن أول صلاة صلاها إلى الكعبة صلاة العصر . ولهذا تأخر الخبر عن أهل قباء إلى صلاة الفجر . وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه : أحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا رجاء بن محمد السقطي حدثنا إسحاق بن إدريس حدثنا إبراهيم بن جعفر حدثني أبي عن جدته أم أبيه نويلة بنت مسلم قالت : صلينا الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة فاستقبلنا مسجد ايلياء فصلينا ركعتين ، ثم جاء من يحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت الحرام فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدة الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام ، فحدثني رجل من بني حارثة أن من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبائين . وقيل كان التحويل خارج الصلاة بين الصلاتين وأهل قباء وصل إليهم الخبر في صلاة الصبح . أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد المرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي السامري أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار أن عبد الله بن عمر قال بين الناس بقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت وقال لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الآية قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة . فلما تحولت القبلة قالت اليهود يا محمد ما هو الا شيء يتبدعه من تلقاء نفسك فتارة تصلي إلى بيت المقدس وتارة إلى الكعبة ولو ثبت على قلبنا لكننا نرجو أن تكون صاحبنا الذي تنتظره فأنزل الله تعالى ﴿ وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه ﴾ يعني أمر الكعبة ﴿ الحق من ربهم ﴾ ثم هددهم فقال ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وحزمة والكسائي بالياء قال ابن عباس يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطالبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم وقرأ الباقر بالياء يعني ما أنا بغافل عما يفعل اليهود فأجز بهم في الدنيا وفي الآخرة :

النبي صلى الله عليه وسلم قال « أولئك رجال يؤمنون بالغيب » وقال ابن مردويه أيضا : حدثنا محمد ابن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا مالك بن اسماعيل النهدي حدثنا قيس عن زياد بن علاقة عن عمارة بن أوس قال : بينما نحن في الصلاة نحو بيت المقدس ونحن ركوع اذ نادى مناد بالباب ان القبلة قد حولت الى الكعبة . قال فأشهد على امامنا انه انحرف فتحول هو والرجال والصبيان وهم ركوع نحو الكعبة .

وقوله (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) أمر تعالى باستقبال الكعبة من جميع جهات الارض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، ولا يستثنى من هذا شيء سوى النافلة في حال السفر فانه يصلها حيثما توجه قلبه ووجهه نحو الكعبة . وكذا في حال المسافة في القتل يصلي على كل حال . وكذا من جهل جهة القبلة يصلي باجتهاده وان كان مخطئا في نفس الامر لان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها

﴿ مسألة ﴾ وقد استدلل المالكية بهذه الآية على ان المصلي ينظر امامه لا الى موضع سجوده كما ذهب اليه الشافعي وأحمد وأبو حنيفة ، قال المالكية : بقوله (فول وجوهكم شطر المسجد الحرام) فلو نظر الى موضع سجوده لا يحتاج ان يتكلف ذلك بنوع من الانحاء وهو ينافي كمال القيام . وقال بعضهم : ينظر المصلي في قيامه الى صدره . وقال شريك القاضي : ينظر في حال قيامه الى موضع سجوده كما قال جمهور الجماعة لانه أبلغ في الخضوع وأكد في الخشوع . وقد ورد به الحديث وأما في حال ركوعه فالى موضع قدميه ، وفي حال سجوده الى موضع أنفه وفي حال قعوده الى حجره . وقوله (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم) أي واليهود الذين أنسكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله تعالى سيوجهكم اليها بما في كتبهم عن أنبيائهم من النعم والصفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه وما خصه الله تعالى به وشرفه من الشريعة الكاملة العظيمة ولكن أهل الكتاب يتكلمون ذلك بينهم حسدا وكفرا وعنادا ولهذا تهدمهم تعالى بقوله (وما الله بنافل عما يعملون)

(١٤٤) ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما

قوله تعالى ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب ﴾ يعني اليهود والنصارى قالوا اننا باآية على ما نقول ، فقال الله تعالى : — ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب — ﴿ بكل آية ﴾ معجزة ﴿ ماتبعوا قبلتك ﴾ يعني الكعبة ﴿ وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ﴾ لان اليهود تستقبل بيت المقدس وهو المغرب والنصارى تستقبل المشرق وقبلة المسلمين الكعبة . أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن الجراح أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا

بعضهم بتابع قبلة بعض، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين) يخبر تعالى عن كفر اليهود وعنادهم ومخالفتهم ما يعرفونه من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لو أقام عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به لما اتبعوه وتركوا أهواءهم كما قال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الآليم) ولهذا قال ههنا (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلك) وقوله (وما أنت بتابع قبائهم) اخبار عن شدة متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لما أمره الله تعالى به وأنه كما هم مستمسكون بأرائهم وأهوائهم فهو أيضا مستمسك بأمر الله وطاعته واتباع مرضاته وأنه لا يتبع أهواءهم في جميع أحواله ولا كونه متوجها الى بيت المقدس لكونها قبلة اليهود، وإنما ذلك عن أمر الله تعالى، ثم حذر تعالى عن مخالفة الحق الذي يعلمه العالم الى الهوى، فإن العالم الحجة عليه أقوم من غيره. ولهذا قال مخاطبا للرسول والمراد به الامة (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين)

(١٤٥) الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون

الحق وهم يعلمون (١٤٦) الحق من ربك فلا تكونن من الممترين

يخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعرف أحدهم ولده، والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا كما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل معه صغير «ابنك هذا؟» قال نعم يارسول الله أشهد به، قال «أما إنه لا يخفى عليك ولا يخفى عليه» قال القرطبي: ويروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمدا كما تعرف ولدك؟ قال نعم وأكثر، نزل الامين من السماء على الامين في الارض بنعته فعرفته وإني لا أدري ما كان من أمه (قلت) وقد يكون المراد (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) من

الحسن بن بكر المروزي أخبرنا المعلى بن منصور أخبرنا عبد الله بن جعفر الخزومي عن عثمان الاخنسي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «القبلة ما بين المشرق والمغرب» وأراد به في حق أهل المشرق وأراد بالمشرق مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في أطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت على يمينه ومشرق الشتاء على يساره كان وجهه الى القبلة (ولئن اتبعت أهواءهم) مرادهم الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة (من بعد ما جاءك من العلم) من الحق في القبلة (إنك إذا لمن الظالمين) قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه (يعرفونه) يعني يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم (كما يعرفون أبناءهم) من بين الصبيان، قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلام إن الله قد أنزل على نبيه (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) فكيف هذه المعرفة؟ قال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما عرفت ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتي بابني، فقال عمر

بين أبناء الناس كلهم . لا يشك أحد ولا يمتري في معرفة ابنه إذا رآه من أبناء الناس كلهم . ثم أخبر تعالى أنهم مع هذا التحقق والاتقان العلمي (ليكتبون الحق) أي يكتبون الناس ما في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم (وهم يعلمون) ثم ثبت تعالى نبيا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وأخبرهم بأن ما جاء به الرسول هو الحق الذي لا مزية فيه ولا شك فقل (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)

(١٤٧) وللسكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا

ان الله على كل شيء قدير)

قال البغوي عن ابن عباس (والسكل وجهة هو موليها) يعني بذلك أهل الأديان ، يقول السكل قبيلة قبلة يرضونها ووجهة الله حيث توجه المؤمنون . وقال أبو العالية : لليهودي وجهة هو موليها ، وللنصراني وجهة هو موليها ، وهذا كم أنتم أيتمها الأمة إلى القبلة التي هي القبلة . وروى عن مجاهد وعطاء والضحاك والربيع بن أنس والسدي نحو هذا . وقال مجاهد في الرواية الأخرى والحسن : لكن أمر كل قوم أن يصلوا إلى الكعبة ، قرأ ابن عباس وأبو جعفر الباقر وابن عامر (وللسكل وجهة هو مولاها) وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى (السكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجلدكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا) وقول ههنا (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير) أي هو قادر على جمعكم من الأرض وإن تفرقت أجسادكم وأبدانكم

(١٤٨) ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وأنه للحق من ربك وما

كيف ذلك ؟ فقل أشهد أنه رسول حق من الله تعالى وقد نعمته الله في كتابنا ولا أدري ما تصنع أمساء ، فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت (وإن فريقا منهم ليكتمون الحق) يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمر الكعبة (وهم يعلمون) ثم قل (الحق من ربك) أي هذا الحق خبر مبتدأ ضمير وقيل رفع باضمار فعل أي جاء الحق من ربك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين وقوله تعالى (وللسكل وجهة) أي لأهل كل ملة قبلة والوجه اسم للتوجه إليه (هو موليها) أي مستقبلها ومقبل عليها يقال وليته ووليت إليه إذا قبلت عليه ووليت عنه إذا أدبرت عنه . قال مجاهد هو موليها وجهه ، وقال الأخفش هو كناية عن الله عز وجل يعني الله مولي الأمم إلى قبلتهم وقرأ ابن عامر هو مولاها أي المستقبل مصروف إليها (فاستبقوا الخيرات) أي إلى الخيرات يريد بادروا بالطاعات والمراد المبادرة إلى القبيل (أينما تكونوا) أنتم وأهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا) يوم القيامة فيجزى بكم بأعمالكم (ان الله على كل شيء قدير)

قوله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وأنه للحق من ربك) رما الله به فقل عما تعلمون (قرأ أبو عمرو وبالياء والباقون بالتاء) ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره (وإنما كرره لتأكيد النسخ) أثلا يكرن للناس عليكم حجة

الله بغافل عما تعملون (١٤٩) ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولا اتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون

هذا امر ثالث من الله تعالى باستقبال المسجد الحرام من جميع أقطار الارض وقد اختلفوا في حكمة هذا التكرار ثلاث مرات ف قيل تأكيد لانه أول ناسخ وقع في الاسلام على ما نص عليه ابن عباس وغيره ، وقيل بل هو منزل على أحوال فلا مر الاول لمن هو مشاهد الكعبة والثاني لمن هو في مكة غالبا عنها والثالث لمن هو في بقية البلدان هكذا وجهه فخر الدين الرازي . وقال القرطبي الاول لمن هو بمكة والثاني لمن هو في بقية الارض والثالث لمن خرج في الاسفار ، ورجح هذا الجواب القرطبي ، وقيل اما ذكر ذلك لتعلقه بما قبله او بعده من السياق : فقال أولا (قد نرى تغلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها) الى قوله (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون إنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) فذكر في هذا المقام اجابته الى طلبته وأمره بالقبلة التي كان يود التوجه اليها ويرضاها : وقال في الامر الثاني (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه لحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) فذكر انه الحق من الله وارتقاءه المقام الاول حيث كان موافقا لرضا الرسول صلى الله عليه وسلم فبين انه الحق أيضا من الله بحبه ويرضيه وذكر في الامر الثالث حكمة قطع حجة المخالف من اليهود الذين كانوا يتحجبون باستقبال الرسول الى قبلتهم وقد

الا الذين ظلموا) اختلفوا في تأويل هذه الآية ووجه قوله «الا» فقل بعضهم معناه حوات القبلة الى الكعبة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) اذا توجهتم الى غيرها فيقولون ليست لكم قبلة (الا الذين ظلموا) وهم قريش واليهود فأما قريش فتقول رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة آباؤه فكذلك يرجع الى ديننا ، وأما اليهود فتقول لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق الا أنه يعمل برأيه وقال قوم (لئلا يكون للاس عليكم حجة) يعني اليهود وكانت حجبتهم على طريق الخاصة على المؤمنين في صلاتهم الى بيت المقدس انهم كانوا يقولون ما درى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن . وقوله (الا الذين ظلموا) وهم مشركو مكة وحجبتهم انهم قالوا لما صرفت قبلتهم الى الكعبة ان محمدا قد تخير في دينه وسيعود الى ما كنا عاد الى قبلتنا وهذا معنى قول مجاهد وعطاء وقتادة . وعلى هذين التأويلين يكون الاستثناء صحيحا : وقوله (الا الذين ظلموا) يعني لا حجة لاحد عليكم الا مشركي قريش فانهم يحاجونكم فيجادلونكم ويخاصمونكم بالباطل والظلم والاحتجاج بالباطل يسمى حجة كما قال الله تعالى (حجبتهم داخضة عند ربهم) وموضع الذين خفف كآته قل سوى (الا الذين ظلموا) قاله الكسائي وقال الغراء نصب بالاستثناء . قوله تعالى (منهم) يعني من الاس وقيل هذا استثناء منقطع عن الكلام الاول معناه ولكن الذين ظلموا يحاجونكم بالباطل كما قال الله

كانوا يعلمون بما في كتبهم انه سيصرف الى قبلة ابراهيم عليه السلام الى الكعبة وكذلك مشركو العرب انقطعت حجتهم لما صرف الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبلة اليهود الى قبلة ابراهيم التي هي أشرف وقد كانوا يظلمون الكعبة واعجبهم استقبال الرسول اليها، وقبل غير ذلك من الاجوبة عن حكمة التكرار وقد بسطها الرازي وغيره والله أعلم : وقوله (لئلا يكون للناس عليكم حجة) أي اهل الكتاب فانهم يعلمون من صفة هذه الامة النوجه الى الكعبة فاذا فقدوا ذلك من صفتها ربما احتجوا بها على المسلمين ولئلا يحتجوا بموافقة المسلمين إياهم في النوجه الى بيت المقدس وهذا أظار قال ابو العالية (لئلا يكون للناس عليكم حجة) يعني به اهل الكتاب حين قالوا صرف محمد الى الكعبة : وقالوا اشتاق الرجل الى بيت أبيه ودين قومه وكان حجتهم على النبي صلى الله عليه وسلم لم انصرافه الى البيت الحرام أن قالوا سيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا . قال ابن أبي حاتم وروي عن مجاهد وعطاء والضحاك والربيع بن أنس وقتادة والسدي نحو هذا . وقال هؤلاء في قوله (إلا الذين ظلموا منهم) يعني مشركي قريش . ووجه بعضهم حجة الظلمة وهي دافضة أن قالوا إن هذا الرجل يزعم أنه على دين ابراهيم فان كان توجهه الى بيت المقدس على ملة ابراهيم فلم يرجع عنه؟ والجواب أن الله تعالى اختار له التوجه الى البيت المقدس أولا لما له تعالى في ذلك من الحكمة فأطاع ربه تعالى في ذلك، ثم صرفه الى قبلة ابراهيم وهي الكعبة فامتثل أمر الله في ذلك أيضا فهو صلوات الله وسلامه عليه مطيع لله في جميع أحواله لا يخرج عن أمر الله طرفه عين وأتمه تبع له ، وقوله (فلا تخشونهم واخشوني) أي لا تخشوا شبه الظلمة المتعنتين وأفردوا الخشية لي، فانه تعالى هو أهل أن يخشى منه: وقوله (ولا تتم نعمتي عليكم) عطف على (لئلا يكون للناس عليكم حجة) أي لا تتم نعمتي عليكم فيما شرعت لكم من استقبال الكعبة لتكمل لكم الشريعة من جميع وجوها (ولعلكم تهتدون) أي الى ما ضلت عنه الامم هدينكم اليه وخصصناكم به ولهذا كانت هذه الامة أشرف الامم وأفضلها

تعالى (ما لهم به من علم الا اتباع الظن) يعني لكن يتبعون الظن فهو كقول الرجل مالك عندي حق الا أن تظلمني قال أبو روق (لئلا يكون للناس) يعني لليهود (عليكم حجة) وذلك انهم عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا في التوراة ان محمدا سيجول اليها فحوله الله تعالى اليها لئلا يكون لهم حجة فيقولوا ان النبي الذي نجاه في كتابنا سيجول اليها ولم تحول أنت فلما حول اليها ذهبت حجتهم (الا الذين ظلموا) يعني الا أن يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق : وقال أبو عبيدة قوله (الا الذين ظلموا) ليس باستثناء ولكن الا في موضع واو العطف يعني والذين ظلموا أيضا لا يكون لهم حجة كقول الشاعر وكل أخ مفارقة أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

معناه والفرقدان أيضا يتفرقان فعني الآية فتوجهوا الى الكعبة (لئلا يكون للناس) يعني لليهود (عليكم حجة) فيقولوا لم تركتم الكعبة وهي قبلة ابراهيم وأنتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة فيقولوا لم ترك محمد قبلة جده ونحول عنها الى قبلة اليهود (فلا تخشونهم) في انصرفكم الى الكعبة

(١٥٠) كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة

ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون (١٥١) فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون

يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم اليهم يتلو عليهم آيات الله مبینات ويزكيهم أي يطهرهم من رذائل الاخلاق وذنس النفوس وأفعال الجاهلية ويخرجهم من الظلمات الى النور ويعلمهم الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي السنة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهن بالقول الفرافة فانتقلوا ببركة رسالته، وعن سفارته، الى حال الاولياء، وسجاياء العلماء، فصاروا أعمق الناس علما، وأبرهم قلوبا، وأقاهم تسكفا، وأصدقهم لهجة، وقال تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم) الآية وذلك من لم يعرف قدر هذه النعمة فقل تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار

وفي تظاهروا عليكم بالمجادلة فاني وليكم اظهركم عابهم بالحجة والنصرة ﴿ واخشوني ولا تهم نعمتي عليكم ﴾ عطف على قوله (ائلا يكون للناس عليكم حجة) ولما أتت نعمتي عليكم بهدائي إياكم الى قبلة ابراهيم فتم به لكم الملة الخفيفة . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام قالو سعيد بن جبيرة لا يتم نعمة على المسلم الا ان يدخل الجنة ﴿ ولعلكم تهتدون ﴾ لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله تعالى ﴿ كما أرسلناه فيكم ﴾ هذه الكاف للتشبيه وبحسب ما احتاج الى شيء يرجع اليه فقال بعضهم يرجع الى ما قبلها معناه ولا تهم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولا منكم قال محمد بن جرير دعا ابراهيم عليه السلام بدعوتين - إحداهما - قال : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) والثانية قوله : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) فبعث الله الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، ووعد إجابة الدعوة الثانية بأن يجعل من ذريته أمة مسلمة ، يعني كما أجبته دعوته بأن أهديك لدينه وأجعلكم مسلمين وأنتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الخفيفة وقال مجاهد وعطاء والسكبي هي متعلقة بما بعدها وهو قوله (فاذكروني اذكركم) معناه كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني وهذه الآية خطاب لاهل مكة والعرب يعني كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب ﴿ رسولا منكم ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ يتلو عليكم آياتنا ﴾ يعني القرآن ﴿ ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ﴾ قيل الحكمة السنة وقيل مواظب القرآن ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ من الاحكام وشرائع الاسلام ﴿ فاذكروني اذكركم ﴾ قال ابن عباس : اذكروني بطاعتي، اذكركم بمعونتي، وقال سعيد بن جبيرة : اذكروني بطاعتي، اذكركم بمعونتي، وقيل اذكروني في النعمة والرخاء، اذكركم في الشدة والبلاء . بيانه (فلو لا أنه كان من المسيحين للبت في بطنه الى يوم يبعثون) أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا عمر بن حفص أخبرنا أبي أخبرنا الاعمش قال سمعت أبا صالح عن أبي هريرة قال

البوار (قال ابن عباس يعني بنعمة الله محمدًا صلى الله عليه وسلم ولهذا ندب الله المؤمنين الى الاعتراف بهذه النعمة ومنايلتها بذكره وشكره : وقال (فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) قال مجاهد في قوله (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم) يقول كما فعلت فاذكروني ، قال عبد الله بن رهب عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم إن موسى عليه السلام قال يارب كيف شكرت؟ قال له ربه « تذكرني ولا تنساني ، فإذا ذكرتني فقد شكرتني ، وإذا نسيتني فقد كفرتني » قال الحسن البصري وأبو العالية والسدي والريعي بن أنس إن الله يذكر من ذكره ويزيد من شكره ويمدح من كفره : وقال بعض السلف في قوله تعالى (اتقوا الله حتى تقانه) قال هو أن يطع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا يزيد بن هرون أخبرنا عمارة الصيدلاني أخبرنا مكحول الأزدي قال قلت لابن عمر أرايت قاتل النفس وشارب الخمر والسارق والزاني يذكر الله ، وقد قال الله تعالى (فاذكروني اذكركم) قال إذا ذكر الله هذا ذكره الله بالعبادة حتى يسكت وقال الحسن البصري في قوله (فاذكروني اذكركم) قال إذا ذكرني فيما أوجب لكم على نفسي وعن سعيد بن جبير إذا ذكرني بطاعة أذكركم بمغفرتي ، وفي رواية برحمتي . وعن ابن عباس في قوله (اذكروني اذكركم) قال ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه » قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يا ابن آدم أن ذكرتني في نفسك ذكرتني في نفسي وإن ذكرتني في ملا ذكرتني في ملا من الملائكة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه ، وإن تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعاً ، وإن تقرب الي ذراعاً تقربت اليه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن القاضي وثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشيخي قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا أبو عبد الملك الدمشقي أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن أخبرنا منذر بن زياد عن صخر بن جوبرية عن الحسن بن أنس قال : إني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد أنا ملي هذه العشر ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى يقول : يا ابن آدم أن ذكرتني في نفسك ذكرتني في نفسي ، وإن ذكرتني في ملا ذكرتني في ملا خير منهم ، وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعاً ، وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً ، وإن مشيت الي هرولت اليك ، وإن هرولت الي سميت اليك ، وإن سألتني أعطيتك ، وإن لم تسألني غضبت عليك » أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى بن عبد الله أخبرنا الأوزاعي أخبرنا اسماعيل بن عبد الله عن أبي الررداء عن أبي هريرة

أرقال في ملاخير منه - وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا، وإن دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا، وإن أتيتني تمشي أتيتك هرولة» صحيح الاسناد أخرجه البخاري من حديث قتادة وعنده قال قتادة الله أقرب بالرحمة : وقوله (واشكروا لي ولا تكفرون) أمر الله تعالى بشكره ووعد على شكره بمزيد الخير فقال (وإذن أذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) وقال الامام احمد حدثنا روح حدثنا شعبة عن الفضيل بن فضالة - رجل من قيس - حدثنا ابو رجاء العطاردي قال خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف من خزم نره عليه قبل ذلك ولا بعده فقال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أنعم الله عليه نعمة فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه » وقال روح مرة : على عبده

(١٥٢) يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين (١٥٣)

ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون

لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر شرع في بيان الصبر والارشاد والاستعانة بالصبر والصلاة فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها أو في نقمة فيصبر عليها كما جاء في الحديث «عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له: إن أصابته مراء فشكر كان خيرا له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له» وبين تعالى أن أجود ما يستعان به على تحمل المصائب الصبر والصلاة كما تقدم في قوله (واستعينوا بالصبر والصلاة وأنها لكبيرة إلا على الخاشعين) وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حز به أمر صلى. والصبر صبران فصبر على ترك المحارم والمآثم وصبر على فعل

قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : « أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفعا » أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي ابن الجعد أخبرنا اسماعيل بن عباس أخبرنا عمرو بن قيس السكوني عن عبد الله بن بشير قال : جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال : « أن لا تقارق الدنيا إلا ولسانك رطب من ذكر الله تعالى » قوله تعالى (واشكروا لي ولا تكفرون) يعني واشكروا لي بالطاعة ولا تكفروني بالمعصية فإن من أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾ بالعون والنصرة ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ﴾ نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فأنزل الله تعالى : - ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ﴿ بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ كما قال في شهادة أحد (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) قال الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض

الطاعات والقربات، والثاني أكثر ثوابا لانه المقصود. وأما الصبر الثالث وهو الصبر على المصائب والنوائب فذلك أيضا واجب كاستغفار من المعاصي كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الصبر في باب الصبر لله بما أحب وإن ثل على النفس والابدان. والصبر لله عما كره وإن نازعت اليه الاهواء فمن كان هكذا فهو من الصابرين الذين يسلم عليهم ان شاء الله: وقال علي بن الحسين زين العابدين اذا جمع الله الاولين والآخرين ينادي مناد أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب؟ قل فيقوم عنق من الناس فتتلقاهم الملائكة فيقولون الى أين يا بني آدم؟ فيقولون الى الجنة فيقولون وقبل الحساب؟ قالوا نعم، قالوا ومن أنتم؟ قالوا نحن الصابرون، قالوا وما كان صبركم؟ قالوا صبرنا على طاعة الله وصبرنا عن معصية الله حتي توفانا الله. قالوا أنتم كما قلتم ادخلوا الجنة فنعمر أجر العالمين (قلت) ويشهد لهذا قوله تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقال سعيد بن جبير الصبر اعتراف العبد لله بما أصاب منه واحتسابه عند الله رجاء ثوابه، وقد يجزع الرجل وهو متجلد لا يرى منه الا الصبر وقوله تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل أحياء) يخبر تعالى ان الشهداء في برزخهم أحياء يرزقون كما جاء في صحيح مسلم «ان أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأتي إلى قناديل معلقة تحت العرش فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال ماذا تبتغون؟ فقاروا يا ربنا أي شيء نبغي وقد أعطيتنا ما لم نعط أحدا من خلقك؟ ثم عاد عليهم بمثل هذا، فله أروا أنهم لا يتركون من أن يسألوا، قالوا تريد ان تردنا الى الدار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتي تقتل فيك مرة أخرى. لما يرون من ثواب الشهادة. فيقول الرب جل جلاله «اني كتبت انهم اليها لا يرجعون»

وفي الحديث الذي رواه الامام أحمد عن الامام الشافعي عن الامام مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قل. قل رسول الله صلى الله عليه وسلم «نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتي يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه» ففيه دلالة لعموم المؤمنين أيضا وان كان الشهداء قد خصصوا بالذكر في القرآن تشريفا لهم وتكريما وتعظيما

(١٥٤) ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والافس والشرات

وبشر الصابرين (١٥٥) الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون (١٥٦)

أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون

أخبرنا تعالى انه يبتلى عباده، أي يختبرهم ويمتحنهم كما قال تعالى (ولنبلونكم حتي نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) فتارة بالسراء وتارة بالضراء من خوف وجوع كما أرزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل اليهم الوجع قوله تعالى ﴿ولنبلونكم﴾ أي ولنختبرنكم يا أمة محمد واللام لجواب القسم المحذوف تقديره والله لنبلونكم والابتلاء من الله لاظهار المطيع من العاصي لا ليعلم شيئا لم

قال تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) فان الجائع والخائف كل منهما يظهر ذلك عليه . ولهذا قال : لباس الجوع والخوف . وقال ههنا (بشيء من الخوف والجوع) أي بقليل من ذلك (ونقص من الاموال) أي ذهاب بعضها (والانفس) كوت الاصحاب والاقارب والاحباب (والثمرات) أي لا تغل الحقائق والمزارع كمادتها . قال بعض السلف : فكانت بعض النخيل لا تثمر غير واحدة . وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده . فمن صبر أثابه ومن قسط أحل به عقابه . ولهذا قال تعالى (وبشر الصابرين) وقد حكى بعض المفسرين ان المراد من الخوف ههنا خوف الله ، والجوع صيام رمضان ، ونقص الاموال الزكاة ، والانفس الامراض ، والثمرات الاولاد ، وفي هذا نظر والله أعلم . ثم بين تعالى من الصابرون الذين شكرهم فقال (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون) أي تسألوا بقولهم هذا عما أصابهم وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء ، وعلموا انه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة ، فحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده وانهم اليه راجعون في الدار الآخرة . ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك فقال (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) أي ثناء من الله عليهم . قال سعيد بن جبير : أي أمنه من العذاب (وأولئك هم المهتدون) قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت الملاوة (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) فهذان العدلان (وأولئك هم المهتدون) فهذه الملاوة وهي ما توضع بين العدلين وهو زيادة في الحل فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضا

يكن عالما به (بشيء من الخوف) قال ابن عباس يعني خوف العدو (والجوع) يعني القحط (ونقص من الاموال) بالحسرات والهلاك (والانفس) يعني بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب (والثمرات) يعني الجوائع في الثمار وحكي عن الشافعي انه قل الخوف خوف الله تعالى ، والجوع صيام رمضان ، ونقص من الاموال اداء الزكاة والصدقات ، والانفس الامراض ، والثمرات موت الاولاد لان ولد الرجل ثمرة قلبه . اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا ابو منصور محمد بن محمد بن سماعيل اخبرنا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الزباني اخبرنا حميد بن زنجويه اخبرنا الحسن بن موسى اخبرنا حماد بن سلمة عن ابي سنان قال دفنت ابني سنانا وابو طلحة الخولاني على شفير القبر فلما اردت الخروج اخذ بيدي فأخرجني فقال ألا ابشرك؟ حدثني الضحاك عن عروة عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي؟ قالوا نعم ، قال قبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا نعم ، قل فماذا قال عبدي؟ قالوا استرجع وحمدك قال : ابنا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد (وبشر الصابرين) على البلايا والزوايا ، ثم وصفهم فقال : (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله) عبيدا وملكنا (وإنا اليه راجعون) في الآخرة اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا ابو منصور محمد بن محمد بن سماعيل اخبرنا ابو جعفر الزباني اخبرنا حميد بن زنجويه اخبرنا محاضر بن المورع اخبرنا سفيان

وقد ورد في ثراب الاسترجاع وهو قول (إنا لله وإنا إليه راجعون) عند المصائب أحاديث كثيرة. فمن ذلك ما رواه الامام أحمد حيث قال : حدثنا يونس بن محمد حدثنا ليث يعني ابن سعد عن يزيد بن عبد الله حدثنا أسامة بن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أم سلمة قالت : أناني أبو سلمة يرما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً سررت به . قال « لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبتها ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها » الأفعل ذلك به ، قالت أم سلمة : خفظت ذلك منه ، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقالت اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها ، ثم رجعت الى نفسي . فقلت من أين لي خير من أبى سلمة ؟ فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن كثير بن أفلح أخبرنا مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من مصيبة تصيب عبداً فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها ، إلا أجره الله في مصيبتى واخلف له خيراً منها » قالت أم سلمة : لما توفي أبو سلمة عزم الله لي فقلت : اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها . فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير : ما أعطى أحد في المصيبة ما أعطى هذه الأمة يعني الاسترجاع ولو أعطى أحد لا عطيتها يعقوب عليه السلام ألا تسمع لقوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام (يا أסף على يوسف) ﴿ أولئك ﴾ أهل هذه الصفة ﴿ عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ صلوات أي رحمة فإن الصلاة من الله الرحمة ورحمة ذكرها الله تأكيذاً وجميع الصلوات أي رحمة ﴿ وأولئك هم المهتدون ﴾ الى الاسترجاع وقبل الى الحق والصواب وقيل الى الجنة والثواب قال عمر رضي الله عنه : نعم العدلان ونعمت العلوة ، فالعدلان الصلاة والرحمة ، والعلوة الهداية . وقد وردت أخبار في ثواب أهل البلاء ، وأبواب الصابرين منها ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو اسحق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صمصة أنه قال : سمعت أبا الحباب سعد بن يسار يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيراً يصب منه » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الملك بن عمرو أخبرنا زهير بن محمد عن محمد بن عمرو بن حنبل عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطايا » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السهماني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أنا محمد ابن عبيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : جاءت امرأة بها ألم الى رسول الله

الله عليه وسلم وأنا أدبني إهاباً لي ففسلت يدي من القرظ وأذنت له فوضعت له وسادة آدم حشوها ليف فتعد عليها فخطبني الى نفسي ، فلما فرغ من مقالته قلت يا رسول الله ما بي أن لا يكون بك اربة ولكني امرأة في غير شديدة فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال ، فقال « أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل عنك . وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك . وأما ما ذكرت من العيال فإنا عيالاً عيالي » قالت : فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت أم صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله : ادع الله لي أن يشفيني قل « ان شئت دعوت الله أن يشفيك وان شئت فاصبري ولا حساب عليك » قالت : بل أصبر ولا حساب علي . أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو سعيد خاف بن عبد الرحمن بن أبي نزار أخبرنا أبو منصور العباس بن الفضل النضروي أخبرنا أحمد بن نجدة أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني أخبرنا حماد بن زيد عن عاصم هو ابن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن سعد قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشد الناس بلاءً قال : « الانبياء والامثل فالمثل ينتلي الله الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلوا ابتلى على قدر ذلك وان كان في دينه رقة هون عليه فما يزال كذلك حتى يمشي على الارض وماله من ذنب » أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السهماني أخبرنا أبو جعفر الزباني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح قال : حدثني الليث حدثني يزيد ابن أبي حبيب عن سعيد بن سنان عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان عظم الجزاء عند الله مع عظام البلاء فان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط » أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الجبيري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هرون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أخبرنا أبو علي اسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا تتمزح حتى تستعصم » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا اسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد ابن منصور الرمادي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن العيزار بن حريث عن عمرو ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجا للمؤمن ان أصابه خير حمد الله وشكر ، وان أصابته مصيبة حمد الله وصبر . فالمؤمن يؤجر في كل أمره حتى يؤجر في القصة

بسم الله
راى كالمسجد الزمان
راى كالمسجد الزمان
راى كالمسجد الزمان
راى كالمسجد الزمان
راى كالمسجد الزمان

سلمة بعد : أبداني الله بأبي سلمة خيرا منه - رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي صحيح مسلم عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد تصبى بمصيبة فيقول (إنا لله وانا اليه راجعون) اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيرا منها إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها » قالت فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخلف الله لي خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الامام احمد حدثنا يزيد وعباد بن عباد قالا حدثنا هشام بن أبي هشام حدثنا عباد بن زباد عن أمه عن فاطمة ابنة الحسين عن أبيها الحسين بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وان طال عهدا - وقال عباد قدم عهدا - فيحدث لذلك استرجاء الا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب » ورواه ابن ماجه في سننه عن أبي بكر بن أبي شعبة عن وكيم عن هشام بن زباد عن أمه عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها . وقد رواه اسماعيل بن علية ويزيد بن هرون عن هشام بن زباد عن أبيه (كذا) عن فاطمة عن أبيها . وقال الامام احمد أنا يحيى بن اسحق السيلحيني (١) أنا حماد بن سلمة عن أبي سنان قال : دفنت ابنا لي فاني لغني القبر اذ أخذ ببدي أبو طلحة يعني الخولاني فأخرجني وقال لي : ألا أبشرك قلت بلى . قال : حدثني الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزم عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قل الله : يملك الموت قبضت ولد عبدي ، قبضت قرة عينه ونمرة قواده ؟ قال نعم . قال فما قال ؟ قال حمدك واسترجع . قال « ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد » ثم رواه عن علي بن اسحق عن عبد الله بن المبارك فذكره . وهكذا رواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك به ، وقال حسن غريب واسم أبي سنان عيسى بن سنان

(١) الياء بعد
السين المهملة لاجل
الامالة وقد تستبدل
بها الف لينة كما في
التقريب

(١٥٧) ان الصفاء والمرورة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن

يَطْوَفَ بهما ، ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم

قال الامام احمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي أنا ابراهيم بن سعد عن الزهري عن عروة

يرفعها الي في امرأته « قوله تعالى ﴿ ان الصفاء والمرورة من شعائر الله ﴾ الصفاء جمع صفة وهي الصخرة الصلبة المساء ، يقال صفاة وصفا مثل حصاة وحصى ونواة ونوى ، والمرورة الحجر الرخو وجمعها مروات وجمع الكثير مرو ، مثل نمرة وتمرات وتمر . وانما عني الله بهما الجباين المعروفين بمكة في طرفي المسمى ، ولذلك أدخل فيهما الالف واللام ، وشعائر الله أعلام دينه ، أصلها من الاشعار وهو الاعلام واحداثها شعيرة وكل ما كان معلما لقربات يتقرب به الى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر الله ومثلها المشاعر ، والمراد بالشعائر ههنا المناسك التي جعلها الله أعلاما لطاعته ، فالصفاء والمرورة منها حتى يطاف بهما جميعا ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر ﴾ فالحج في اللغة القصد ، والعمرة الزيارة وفي الحج ، والعمرة المشروعة عن قصد وزيارة ﴿ فلا جناح عليه ﴾ أي

عن عائشة قال : قلت أرأيت قول الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما) قلت فو الله ما على أحد جناح ان لا ينطوف بهما ، فقالت عائشة : بئسما قلت يا ابن أخي انها لو كانت على ما أولتها عليه كانت : فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ، وليكنها انما أنزلت أن الانصار كانوا قبل ان يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشال ، وكان من أهل لها يتخرج ان يطوف بالصفا والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا يا رسول الله انا كنا نتخرج ان نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية . فأنزل الله عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما) قالت عائشة : ثم قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما فليس لاحد ان يدع الطواف بهما أخر جاء في الصحيحين . وفي رواية عن الزهري انه قال : فحدثت بهذا الحديث أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . فقال ان هذا العلم ما كنت سمعته ، ولقد سمعت رجلا من أهل العلم يقولون ان الناس - الا من ذكرت عائشة - كانوا يقولون ان طوافنا بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية ، وقال آخرون من الانصار : انما أمرنا بالطواف بالبيت ولم نؤمر بالطواف بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) قال أبو بكر بن عبد الرحمن فلعلها نزلت في هؤلاء . وهؤلاء . ورواه البخاري من حديث مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحو ما تقدم . ثم قال البخاري : حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عاصم بن سليمان قال : سألت

لا إثم عليه ، وأصله من جناح أي مال عن القصد (أن يطوف بهما) أي يدور بها ، وأصله ينطوف أدغمت التاء في الطاء . وسبب نزول هذه الآية انه كان على الصفا والمروة صنمان اساف ونائلة . وكان اساف على الصفا ونائلة على المروة ، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين ويتمسحون بهما ، فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام كان المسلمون يتخرجون عن السعي بين الصفا والمروة لاجل الصنمين فاذن الله فيه وأخبر انه من شعائر الله ، واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين ومجاهد واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي . وقال الثوري وأصحاب الرأي على من تركه دم واحتج من أوجبه بما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن احمد الخلال أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الله بن نوفل العائدي عن عمرو بن عبد الرحمن بن محبص عن عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرني بنت أبي نجران اسمها حبيبة احدى نساء بني عبد الدار - قالت : دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبي حسين ننظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيتة يسعى وان منزهه ليدور من شدة السعي حتى لا قول

أنسا عن (الصفاء والمروة) قال: كما نرى انهما من أمر الجاهلية، فلما جاء الاسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله عز وجل (ان الصفاء والمروة من شعائر الله) وذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس قال: كانت الشياطين تفرق بين الصفاء والمروة الليل كله وكانت بينهما آلهة، فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطواف بينهما فنزلت هذه الآية. وقال الشعبي: كان أساف على الصفاء وكانت نائلة على المروة، وكانوا يستلمونهما فتخرجوا بعد الاسلام من الطواف بينهما فنزلت هذه الآية (قلت) ذكر محمد بن اسحق في كتاب السيرة ان أسافا ونائلة كانا بشرين فزنيادخل الكعبة فمسحوا حجرجين فنصبتهما قریش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس، فلما طال عهدهما عبدا ثم حولا الى الصفاء والمروة، فنصبها هنالك فكان من طاف بالصفاء والمروة يستلمهما، ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته المشهورة

وحيث ينبغ الاشعرون ركابهم لمفضي السيول بن اساف ونائل

وفي صحيح مسلم من حديث جابر الطويل وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه بالبيت عاد الى الركن فاستلمه ثم خرج من باب الصفاء وهو يقول (ان الصفاء والمروة من شعائر الله) ثم قل «ابدأ بما بدأ الله به» وفي رواية النسائي «ابدؤا بما بدأ الله به» وقال الامام احمد حدثنا شرح حدثنا عبد الله بن المؤمل عن عطاء بن ابي رباح عن صفية بنت شيبة عن حبيبة بنت ابي نجرة قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفاء والمروة والناس بين يديه وهو اني لارى ركبتيه، وسمعتة يقول «اسمعوا فان الله كتب عليكم السعي» أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه انه قال: قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أرأيت قول الله تعالى (ان الصفاء والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما) فما أرى على أحد شيئا ألا يطوف بهما. قالت عائشة: كلا لو كانت كما تقول كانت «فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما» انما أنزلت هذه الآية في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يخرجون ان يطوفوا بين الصفاء والمروة. فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى (ان الصفاء والمروة من شعائر الله) الآية وقال عاصم: قلت لانس بن مالك كنتم تكرهون السعي بين الصفاء والمروة؟ فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله تعالى (ان الصفاء والمروة من شعائر الله) أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن احمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله انه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المسجد وهو يريد الصفاء يقول «نبدأ بما بدأ الله تعالى به» فبدأ بالصفاء. وقد كان اذا وقف على الصفاء يكبر ثلاثا ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. يصنع ذلك ثلاث مرات ويدعو

وراءهم وهو يسعى حتي ارى ركبتيه من شدة السعي يدور به ازاره وهو يقول « اسعوا فان الله كتب عليكم السعي » ثم رواه الامام احمد عن عبد الرزاق: انا معمر عن واصل مولى ابي عيينة عن موسى بن عبيدة عن صفية بنت شيبة ان امرأة اخبرتها انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة يقول « كتب عليكم السعي فاسعوا » وقد استدلل بهذا الحديث على مذهب من يرى ان السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج كما هو مذهب الشافعي ومن واقفه ورواية عن احمد وهو المشهور عن مالك : وقيل انه واجب وليس بركن فان تركه عمدا او سهوا جبره بدم وهو رواية عن احمد وبه يقول طائفة، وقيل بل مستحب واليه ذهب ابو حنيفة والثوري والشعبي وابن سيرين وروي عن انس وابن عمر وابن عباس وحكى عن مالك في العتبية قال القرطبي وابتجوا بقوله تعالى (فمن تطوع خيرا) والقول الاول ارجح لانه عليه السلام طاف بينهما رقل « لتأخذوا عني مناسككم » فكل ما فعله في حجه تلك واجب لا بد من فعله في الحج الا ما خرج بدليل والله اعلم . وقد تقدم قوله عليه السلام « اسعوا فان الله كتب عليكم السعي » فقد بين الله تعالى ان الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله أي مما شرع الله تعالى لابراهيم في مناسك الحج وقد تقدم في حديث ابن عباس ان اصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وتردادها بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدها لما نفذ ماؤها وزادها حين تركها ابراهيم عليه السلام هنالك وليس عندها أحد من الناس فلما خافت على ولدها الضيعة هنالك ونفذ ما عندها قامت تطلب الغوث من الله عز وجل فلم تزل تتردد في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متذلة خائفة وجلة مضطرة فقيرة الى الله عز وجل حتي كشف الله كرتها وانس غرتها وفرج شدتها وأنبع لها زمزم التي ماؤها « طعام طعم » ، شفاء سقم (١) فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته الى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه، وان يلجئ الى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب، وأن يهديه الى الصراط ويصنع على المروة مثل ذلك . وقال كان اذا نزل من الصفا مشى حتى اذا انصبت قدماه في بطن الوادي يسعى حتى يخرج منه . قال مجاهد رحمه الله حج موسى عليه السلام على جمل أحمر وعليه عباءتان قطوانيتان ، فطاف البيت ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط الى السعي وهو يبي فيقول لبيك اللهم لبيك فقال الله تعالى لبيك عبدي أنا . هك وسامعك وناظر اليك . فخر موسى عليه السلام ساجدا قوله تعالى ﴿ ومن تطوع خيرا ﴾ قرا حمزة والكسائي بالياء ، وتشديد الطاء ، وحزم العين وكذلك الثانية (فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا) بمعنى تطوع ووافق يعقوب في الاول وقرا الباكون بالتاء وفتح العين في الماضي وقل مجاهد : معناه فمن تطوع بالطواف بالصفا والمروة وقال مقاتل السكبي : فمن تطوع اي زاد في الطواف بعد الواجب وقيل من تطوع بالحج والعمرة بعد اداء الحجة الواجبة عليه وقال الحسن وغيره : اراد سائر الاعمال يعني فعل غير المقترض عليه من زكاة وصلاة وطواف وغيرها من انواع الطاعات ﴿ فان الله شاكر ﴾ مجاز لعبدته بعمله ﴿ عليه ﴾ بنبوته (٢٧) - تفسير ابن كثير والبغوي

(١) هذانص نسخة
الازهر وفي النسخة
المطبوعة : طعامها
طعام طعم . والاصل
« زمزم طعام طعم
وشفاء سقم » رواه
ابن أبي شيبة والبرار
من حديث أبي ذر
(رض)

المستقيم، وإن يشبهه عليه إلى مماته وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمصايب إلى حال الكمال والغفران والساد والاستقامة كما فعل بهاجر عليها السلام وقوله (فمن تطوع خيرا) قبل زاد في طوافه بينهما على قدر الواجب ثمانية وتسعة ونحو ذلك وقيل يطوف بينهما في حجة تطوع أو عمرة تطوع رقيق المراد تطوع خيرا في سائر العبادات حكى ذلك الرازي وعزى الثالث إلى الحسن البصري والله أعلم وقوله (فإن الله شاكر عليم) أي يثيب على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا يبخس أحدا ثوابه ولا يظلم من قال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجر عظيما

(١٥٨) ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في

الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (١٥٩) إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك

أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم (١٦٠) ان الذين كفروا وما توابوا وهم كفار أولئك عليهم

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (١٦١) خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون

هذا وعيد شديد لمن كنتم ماجأت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى

النافع للقلوب من بعد ما بينه الله تعالى لعباده في كتابه أتى أنزلها على رساله قال ابو العالية نزلت في

أهل الكتاب كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أخبر أنهم يلعنهم كل شيء على صنيعهم ذلك

فكما ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء والطير في الهواء فهو لا بخلاف العلماء فيلعنهم

الله ويلعنهم اللاعنون. وقد ورد في الحديث المسند من طرائق يشد بعضها بعضها عن أبي هريرة وغيره

والشكر من الله تعالى ان يعطي لعبده فوق ما يستحق. يشكر اليسير ويعطي الكثير

قوله تعالى ﴿ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب﴾

نزلت في علماء اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرهما من الأحكام التي كانت

في التوراة ﴿أولئك يلعنهم الله﴾ وأصل اللعن الطرد والبعد ﴿ويلعنهم اللاعنون﴾ أي يسألون الله

ان يلعنهم ويقولون: اللهم العنهم. واختلفوا في هؤلاء اللاعنين قال ابن عباس جميع الخلائق إلا الجن

والانس وقال قتادة: هم الملائكة وقال عطاء: الجن والانس وقال الحسن: جميع عباد الله قل ابن

مسعود ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين كتموا امر

محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وقال مجاهد: اللاعنون البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة

وامسك المطر وقالت هذا من شؤم ذنوب بني آدم ثم استثنى فقال: ﴿إلا الذين تابوا﴾ من الكفر

﴿وأصلحوا﴾ أسلموا وأصلحوا الأعمال فبما بينهم وبين ربهم ﴿وبينوا﴾ ما كتموا ﴿فأولئك أتوب

عليهم﴾ انجاوز عنهم وأقبل توبتهم ﴿وأنا التواب﴾ الرجاء بقلوب عبادي المنصرفة عني إلى

﴿إرحمهم﴾ بهم بعد أقبالهم علي ﴿ان الذين كفروا وما توابوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة﴾

تفسير ابن كثير (١)
تفسير ابن كثير (٢)
سورة البقرة: ١٥٨
سورة البقرة: ١٥٩
سورة البقرة: ١٦٠
سورة البقرة: ١٦١
سورة البقرة: ١٦٢
سورة البقرة: ١٦٣
سورة البقرة: ١٦٤
سورة البقرة: ١٦٥
سورة البقرة: ١٦٦
سورة البقرة: ١٦٧
سورة البقرة: ١٦٨
سورة البقرة: ١٦٩
سورة البقرة: ١٧٠
سورة البقرة: ١٧١
سورة البقرة: ١٧٢
سورة البقرة: ١٧٣
سورة البقرة: ١٧٤
سورة البقرة: ١٧٥
سورة البقرة: ١٧٦
سورة البقرة: ١٧٧
سورة البقرة: ١٧٨
سورة البقرة: ١٧٩
سورة البقرة: ١٨٠
سورة البقرة: ١٨١
سورة البقرة: ١٨٢
سورة البقرة: ١٨٣
سورة البقرة: ١٨٤
سورة البقرة: ١٨٥
سورة البقرة: ١٨٦
سورة البقرة: ١٨٧
سورة البقرة: ١٨٨
سورة البقرة: ١٨٩
سورة البقرة: ١٩٠
سورة البقرة: ١٩١
سورة البقرة: ١٩٢
سورة البقرة: ١٩٣
سورة البقرة: ١٩٤
سورة البقرة: ١٩٥
سورة البقرة: ١٩٦
سورة البقرة: ١٩٧
سورة البقرة: ١٩٨
سورة البقرة: ١٩٩
سورة البقرة: ٢٠٠

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»
والذي في الصحيح عن أبي هريرة أنه قال لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحدا شيئا (أن الذين
يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمار
ابن محمد عن ليث بن أبي سليم عن المنهال بن عمرو عن زاذان بن عمرو عن البراء بن عازب قال كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال «إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه يسمعه كل دابة غير
الثقلين فتلعنه كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله تعالى (أرالك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)
يعني دواب الارض » ورواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن عامر بن محمد بن عطاء بن أبي
رياح : كل دابة والجن والانس وقال مجاهد اذا أجدبت الارض قال البراءم هذا من أجل عصاة
بني آدم لعن الله عصاة بني آدم، وقال ابو العالية والربيع بن أنس وقتادة (ويلعنهم اللاعنون) يعني
تلعنهم الملائكة والمؤمنون وقد جاء في الحديث « أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر »
وجاء في هذه الآية أن كاتم العلم يلعنه الله والملائكة والناس أجمعون واللاعنون أيضا وهم كل فصيح
وأعجمي اما بلسان المقال أو الحال أو لو كان له عقل ويوم القيامة والله أعلم ثم استثنى الله تعالى
من هؤلاء من تاب اليه فقال (الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا) أي رجعوا عما كانوا فيه وأصلحوا
أعمالهم وبينوا للناس ما كانوا يكتمونه (فأرالك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) وفي هذا دلالة
على أن الداعية الى كفر أو بدعة اذا تاب الى الله تاب الله عليه : وقد ورد ان الامم السابئة لم تكن
النوبة تقبل من مثل هؤلاء منهم ولكن هذا من شريعة نبي النوبة ونبي الرحمة صلوات الله وسلامه
عليه ، ثم أخبر تعالى عن كفر به واستم به الحال الى مماته بان (عليهم لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين خالدين فيها) أي في اللعنة النابعة لهم الى يوم القيامة ثم المصاحبة لهم في نار جهنم التي
(لا يخفف عنهم العذاب) فيها أي لا ينقص عما هم فيه (ولا ينظرون) أي لا يغير عنهم ساعة واحدة
ولا يقترب بل هو متواصل دائم فعود بالله من ذلك : قال ابو العالية وقراءة ان الكافر يوقف يوم
القيامة فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون

﴿ فصل ﴾

لا خلاف في جواز لعن الكفار وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده من الائمة

أي لعنة الملائكة (والناس أجمعين) قال ابو العالية : هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله
ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس فان قيل فقد قال (والناس أجمعين) واللاعنون هو من جملة الناس
فكيف يلعن نفسه ؟ قيل يلعن نفسه في القيامة قال الله تعالى : (ويلعن بعضكم بعضا) وقيل انهم
يلعنون الظالمين والكافرين ومن يلعن الظالمين والكافرين فهو منهم فقد لعن نفسه (خالدين
فيها) مقيمين في اللعنة وقيل في النار (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) لا يملكون ولا يؤجلون

يلعنون الكفرة في القنوت وغيره فأما الكافر المدين فقد ذهب جماعة من العلماء الى انه لا يلعن لانا لاندرى بما يختم الله له واستدل بعضهم بالآية (إن الذين كفروا ومانوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وقالت طائفة أخرى بل يجوز لعن الكفار المدين، اختاره الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي ولكنه احتج بحديث فيه ضعف واستدل غيره بقوله عليه السلام في قصة الذي كان يؤتي به سكران فيحده فقال رجل لعن الله ما أشر ما يؤتي به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأنه فانه يحب الله ورسوله» فدل على ان من لا يحب الله ورسوله يلعن والله أعلم

(١٦١) والهمك اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم

يخبر تعالى عن تفرده بالالهية وأنه لا شريك له ولا عدل له بل هو الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم . وقد تقدم تفسير هذين الاسمين في أول الفاتحة وفي الحديث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (والهمك اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم)» ولم الله لا اله الا هو الحي القيوم) ثم ذكر الدليل على تفرده بالالهية بخلق السموات والارض وما فيها وما بين ذلك مما ذرأ وبرأ من المخلوقات الدالة على وحدانيته فقل

(١٦٢) ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر

بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من

كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون

يقول تعالى (ان في خلق السموات والارض) تلك في ارتفاعها وانخفاضها وكونها

وقال أبو العالين: لا ينظرون فيعتذروا كقوله تعالى (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) قوله تعالى (والهمك اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قلوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الاخلاص. والواحد الذي لا نظير له ولا شريك له. أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزباني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا بكر بن ابراهيم وأبو عاصم عن عبد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ان في هاتين الآيتين اسم الله الاعظم (والهمك اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم)» والله لا اله الا هو الحي القيوم» قال أبو الضحى: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: ان محمدا يقول ان الهكم اله واحد فليأتنا بآية ان كان من الصادقين فأنزل الله عز وجل (ان في خلق السموات والارض) ذكر السموات بلفظ الجمع والارض بلفظ الواحد لان كل سما. ليست من جنس واحد بل من جنس آخر والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب فالآية في السموات سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وما يرى فيها

السيارة والنوابت ودرران فلكها - وهذه الارض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووادعها وعمراتها وما فيها من المنافع - واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب ويخذه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وتارة يعاول هذا ويتصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاضان كما قال تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا (والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) أي في تسخير البحر بحمل السفن من جانب الى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الاتليم ونقل هذا الى هؤلاء وما عند أولئك الى هؤلاء (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها) كما قال تعالى (وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) وما لا يعلمون (وبث فيها من كل دابة) أي على اختلاف أشكالها وألوانها رمافعها وصنرها وكبرها وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك كما قال تعالى (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومسرها كل في كتاب مبين) (وتصريف الرياح) أي فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي بمشقة بين يدي السحاب وتارة تسوقه وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية وتارة تأتي من ناحية اليمن وتارة صبا وهي الشرقية التي تصدم وجه الكعبة وتارة دجورا وهي غربية تنفذ من ناحية دبر الكعبة. وقد صنف الناس في الرياح والمطر والانواء كتب كثيرة فيما يتعلق بلفظها (١) وأحكامها وبسط ذلك يطول ههنا والله أعلم (والسحاب المسخر بين السماء والارض)

(١) كذا في النسخة المطبوعة وقد سقطت هذه الجملة برمتها من نسخة الازهر كما ينقصها كثير من الجمل ولا سيما الاستطرادية

والنجوم والآية في الارض مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الاشجار والانهار والجبال والبحار من الشمس والقمر والجواهر والنبات قوله تعالى (واختلاف الليل والنهار) أي تعاقبهما في الذهاب والحجي . يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده نظيره قوله تعالى (وهو الذي جعل الليل والنهار خافضة) قال عطاء . أراد خلافا في النور والظلمة والزيادة والنقصان والليل جمع ليله واليالي جمع الجمع والنهار جمع نهر وقدم الليل على النهار في الذكر لانه أقدم منه قال الله تعالى (وآية الليل نسلخ منه النهار) (والفلك التي تجري في البحر) يعني السفن واحده وجمعه سواء فاذا أريد به الجمع يؤنث وفي الواحد يذكّر قال الله تعالى : في الواحد والتذكير (اذا بق الى الفلك المشحون) وقال في الجمع والتأنيث (حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة) والفلك التي تجري في البحر (الآية في الفلك تسخيرها وجربانها على وجه الماء وهي موقرة لا ترسب تحت الماء) (بما ينفع الناس) يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وأنواع المطالب (وما أنزل الله من السماء من ماء) يعني المطر قبل أراد بالسماء السحاب يخلق الله الماء في السحاب ثم من السحاب ينزل وقبل (٢) أراد به السماء المعروفة يخلق الله تعالى الماء في السماء ثم ينزل من السماء الى السحاب ثم من السحاب ينزل الى الارض (فأحيا به) أي بالماء (الارض بعد موتها) أي بعيد يهوسها

(٢) أشار الى ضعف هذا القول وله الحق فانه مخالف للمشاهدة

(تنبيه) وجه دلالة

هذه الآية بالعقل
على الوجدانية - ان
ما ذكر فيها من
الآيات الكونية
قائم بنظام يقتضي
قطعا أن تكون هذه

الاشياء صادرة عن
خالق واحد عليم
حكيم . ولو كان لها
مصادر متعددة
لاختل هذا النظام
وفسد هذا العالم
معاداته وارضه كما
قال في آية اخرى
(لو كان فيهما آلهة
إلا الله لفسدنا)

(١) استعمل
حيث هنا للتعليل كما
شاع في كتابة
متأخري المولدين
ولو حملت على الظرفية
المكانية كما هو
معناها الاصلى لكان
معنى الكلام انهم
جعلوا الانداد له
تعالى في الآخرة
وليس بمراد قطعا

انهم يقولون (فبهذا يعلمون انه اله واحد . وانه اله كل شيء . وخالق كل شيء . وقال وكيع بن الجراح حدثنا سفيان عن أبيه عن أبي الضحى قال لما نزلت (والهمكم اله واحد) الى آخر الآية قال المشركون ان كان هكذا فليأتنا بآية فانزل الله عز وجل (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار) الى قوله (يقولون) ورواه آدم بن أبي اياس عن أبي جعفر هو الرازي عن سعيد بن مسروق ولد سفيان عن أبي الضحى به

(١٦٣) ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب *
(١٦٤) إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب *
(١٦٥) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار

يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الدار الآخرة حيث (١) جعلوا له أندادا أي أمثالا قال وهب بن منبه : ثلاثة لا يدري من أين تنجي الرعد والبرق والسحاب قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ﴾ أي أصناما يبدونها ﴿ يحبونهم كحب الله ﴾ أي يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله وقال الزجاج يحبون الاصنام كما يحبون الله لانهم أشركوها مع الله فسووا بين الله وبين أولئهم في المحبة ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ أي أثبت وأدوم على حبه من المشركين لانهم لا يختارون على الله ما سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم رأوا أحسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني قال قتادة : ان الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على الله تعالى كما أخبر الله عز وجل عنهم فقال : (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) والمؤمن لا يعرض عن الله في السراء والضراء والشدة والرخاء قال سعيد بن جبير : ان الله عز وجل يأمر يوم القيامة من أحرق نفسه في الدنيا على رؤية الاصنام أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم فلا يدخلون لعلهم أن عذاب جهنم على الدوام ثم يقول المؤمنين وهم بين أيدي الكفار « ان كنتم أحبائي فادخلوا جهنم » فيقتحمون فيها فينادي مناد من تحت العرش (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقيل انما قل (والذين آمنوا أشد حبا لله) لان الله تعالى أحبهم أولا ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم قال الله تعالى : (يحبهم ويحبونه) قوله تعالى ﴿ ولو يرى الذين ظلموا ﴾ قرأ نافع وابن عامر وبعقوب ولو ترى بالتاء وقرأ الآخرون بالياء وجواب لو ههنا محذوف ومثله كثير في القرآن كقوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعته به) الآية يعني اسكان هذا القرآن فن قرأ بالتاء معناه ولو ترى يا محمد الذين ظلموا أنفسهم في شدة العذاب لرأيت أمرا عظيما قبل معناه قل يا محمد : أيها الظالم لو ترى الذين ظلموا أو أشركوا في شدة العقاب لرأيت أمرا عظيما . ومن قرأ بالياء معناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم

ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا اله الا هو ولا ضد له ولا ند له ولا شريك معه . وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل الله ندا وهو خالقك » وقوله (ولذين آمنوا أشد حبا لله) ولحبهم لله وتام . مرفعه به وتوقيرهم وتوحيدهم لا يشتركون به شيئا بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه ويلجئون في جميع أمورهم اليه . ثم توعده تعالى المشركين به الظالمين لانفسهم بذلك فقال (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا) قال بعضهم تقدير الكلام لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ ان القوة لله جميعا أي ان الحكم له وحده لا شريك له وان جميع الاشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه (وان الله شديد العذاب) كما قال (فيؤخذ لا يذنب عذابه أحد ولا يوثق وثقه أحد) يقول لو يعلمون ما يمايزونه هنالك وما يحل بهم من الامر العظيم المنكر الهائل على شرهم وكفرهم لانتهاوا عما هم فيه من الضلال ثم أخبر عن كفرهم بأوثانهم وتباري المتبوعين من التاجرين فقال (إذ تبارأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) تبارأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنهم يعبدونهم في الدار الدنيا فنقول الملائكة (تبارأ اليك ما كانوا اياها يعبدون) ويقولون (سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم ومؤمنون) والجن أيضا تبارأ منهم ويتصلون من عبادتهم لهم كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقول تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) وقال الخليل لقومه (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) وقال تعالى (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين) قال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم

عند رؤية العذاب أي لو رأوا شدة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوا من الاصنام لا ينفعهم قوله تعالى (إذ يرون) قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب أي بان القوة لله جميعا معناه رأوا وأيقنوا ان القوة لله جميعا . وقرأ أبو جعفر ويعقوب ان القوة وان الله بكسر الالف على الاستئناف والكلام تام عند قوله (إذ يرون العذاب) مع اختصار الجواب (إذ تبارأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) ورأوا العذاب هذا في يوم القيامة حين يجمع الله القادة والاتباع فيتبارأ بعضهم من بعض ، هذا قول أكثر المفسرين ، وقال السدي هم الشياطين يتبرأون من الانس (وتقطعت بهم) أي عنهم (الاسباب) أي الصلات التي كانت بينهم في الدنيا من القرابات والصدقات وصارت مخالطتهم عداوة . وقول ابن جريج : الارحام كما قال الله تعالى (فلا أنساب بينهم يومئذ) وقال السدي : يعني الاعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا كما قال الله تعالى (وقدمننا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وأصل

مجرمين. وقال الذين استضعفوا الذين استكبروا بل مكر الابل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما أوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون (وقال تعالى (وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوهوني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم (وقوله (ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (أي عابوا عذاب الله وتقطعت بهم الحيل وأسباب الخلاص ولم يجدوا عن النار مددا ولا مصرفا . قال عطاء عن ابن عباس (وتقطعت بهم الأسباب (قل المودة . وكذا قال مجاهد في رواية ابن أبي نجيح . وقوله (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كاتبرؤا منا) أي لو أن لنا عودة الى الدار الدنيا حتى نتبرأ من هؤلاء ومن عبادتهم فلا نلتفت اليهم بل نوحده الله وحده بالعبادة . وهم كاذبون في هذا بل لو ردوا العادوا اليه وعاذوا به وانهم لكاذبون كما أخبر الله تعالى عنهم بذلك ولهذا قال (كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) أي نذهب وتضمحل كما قال تعالى (وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وقال تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) الآية . وقال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظالمون ماء) الآية : ولهذا قال تعالى (وما هم بخارجين من النار)

(١٦٦) يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه

لکم عدو مبين (١٦٧) نعم يا أيها الرکم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون

السبب ما يوصل به الى الشيء من ذريعة أو قرابة أو مودة ومنه يقال للحبل سبب والطريق سبب (وقال الذين اتبعوا) يعني الاتباع (لو ان لنا كرة) أي رجعة الى الدنيا (فتبرأ منهم) أي من المتبوعين (كاتبرؤا منا) اليوم (كذلك) أي كما أراهم العذاب كذلك (يريهم الله) وقيل كثيرى بعضهم من بعض يريهم الله (أعمالهم حسرات عليهم) ندامت (عليهم) جمع حسرة ، قيل يريهم ما ارتكبوا من السيئات فيتحسرون لم عملوا ، وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعهم وقيل ابن كيسان : انهم أشركوا بالله الاوثان رجاء ان تقرهم الله عز وجل ، فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا . قال السدي : ترفع لهم الجنة فينظرون اليها والى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ، ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يندمون ويتحسرون (وما هم بخارجين من النار) قوله تعالى (يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا) نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبنى مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، فالحلال ما أحله الشرع طيبا ، قيل ما يستطاب ويستلذ ، والمسلم يستطيب الحلال ويخاف الحرام ، وقيل الطيب الطاهر (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) قرأ أبو جعفر وابن عاصم (٨) — تفسير ابن كثير والبغوي

لما بين تعالى أنه لا إله إلا هو وأنه المستقل بالخلق شرع بين أنه الرزاق لجميع خلقه فذكر في مقام الامتنان أنه أراح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالا من الله طيبا أي مستطابا في نفسه غير ضار الابدان ولا للمقول ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان وهي طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوصائل ونحوها مما كان زينة لهم في جاهليتهم كما في حديث عياض بن حماد الذي في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تعالى إن كل مال منعت عبادي فهو لهم حلال - وفيه - وإن خاقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم » وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا سليمان ابن أحمد حدثنا محمد بن عيسى بن شعبة المصري حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الاحتياطي حدثنا أبو عبد الله الجوزجاني رقيق البرهم بن آدم حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال تليت هذه الآية عند النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الناس أكلوا مما في الأرض حلالا طيبا) فقام سعد ابن أبي وقاص فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال « يا سعد أطلب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما وأما عبد نبت لحمه من السمحة والربا فالنار أولى به »

وقوله (أنه لكم عدو مبين) تنفير عنه وتحذير منه كما قال (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال تعالى (أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) وقال قتادة والسدي في قوله (ولا تتبعوا خطوات الشيطان)

والكسائي وحفص ويعقوب بضم الطاء والباقون بسكونها وخطوات الشيطان آثاره وزلانه، وقيل هي النذر في المعاصي . وقال أبو عبيدة : هي المحقرات من الذنوب . وقال الزجاج : طريقه ﴿ أنه لكم عدو مبين ﴾ بين العداوة وقيل مظهر العداوة ، وقد أظهر عداوته بابائه السجود لآدم وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة . وأبان يكون لازما ومتعديا ثم ذكر عداوته فقال ﴿ إنما يأمركم بالسوء ﴾ أي بالاثم وأصل السوء ما يسوء صاحبه وهو مصدر ساء يسوء سوا ومساة أي أحزنه، وسوؤه فساء أي حزنه فحزن ﴿ والفحشاء ﴾ المعاصي وما قبح من القول والفعل وهو مصدر كالسرء والضراء . روى باذن عن ابن عباس قال : الفحشاء من المعاصي ما يجب فيه الحد والسوء من الذنوب ما لا حد فيه . وقال السدي : هي الزنا وقيل هي البخل ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ من تحريم الحرث والالانعام قوله تعالى ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ﴾ قبل هذه قصة مسأنة الهاء والميم في لهم كناية عن غير مذكور . وروى عن ابن عباس قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود إلى الاسلام ، فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أي ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أفضل وأعلم منا، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وقبل الآية متصلة بما قبلها وهي نازلة في مشركي العرب وكفار قريش والهاء والميم عائدة إلى قوله (ومن الناس من يتخذ من دون الله

(١) وفي نسخة

الازهر خطاياهم

كل موصية لله فهي من خطوات الشيطان وقال عكرمة هي نزغات الشيطان ، وقال مجاهد خطؤه (١) أو قال خطاياهم : وقال أبو مجاز هي النذور في المعاصي ، وقال الشعبي نذر رجل أن ينحر ابنه فأفتاه مسروق بذبح كبش ، وقال هذا من خطوات الشيطان . وقال أبو الضحى عن مسروق أبي عبد الله ابن مسعود بضرع وملح فجعل يأكل فأنزل رجل من القوم فقال ابن مسعود ناولوا صاحبكم ، فقال لا أريده ، فقال أصاتم أنت ؟ قال لا قال ، فما شأك ؟ قال حرمت أن آكل ضرعا أبدا ، فقل لابن مسعود هذا من خطوات الشيطان فاطمئنه وكفر عن بيمك . رواه ابن أبي حاتم ، وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا حسان بن عبد الله المصري عن ساجان النيمي عن أبي رافع قال غضبت يوما على امرأتى فقالت هي يوما يهودية وهوما نصرانية وكل مملوك لها حر إن لم تطلق امرأتك . فأنت عبد الله بن عمر فقال إنما هذه من خطوات الشيطان ، وكذلك قالت زبب بنت أم سلمة وهي يومئذ أفضه امرأة في المدينة وأنت عامما وابن عمر فقالا مثل ذلك ، وقال عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم عن شريك عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال ما كان من يمين أو نذر في غضب فهو من خطوات الشيطان وكفارته كفارة يمين : وقوله (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وإن تقولوا على الله مالا تعلمون) أي إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة وأغلظ منها الماحشة كالزنا ونحوه وأغاظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضا

(١٦٨) وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان

آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون (١٦٩) ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بهم عمي فهم لا يعقلون

يقول تعالى وإذا قيل لهؤلاء الكفرة من المشركين اتبعوا ما أنزل الله على رسوله وتركوا ما أنتم انداداً ﴿ قلوا بل نتبع ما ألفينا ﴾ أي ما وجدنا ﴿ عليه آباءنا ﴾ من عبادة الأصنام ، وقيل معناه : وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله في تحاليل ما حرموا على أنفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والها والميم عائدتان إلى الناس في قوله تعالى « يا أيها الناس كلوا » - (قلوا بل نتبع) قرأ الكسائي : بل نتبع بادغام اللام في النون . وكذلك يدغم لام هل وبل في التاء والثاء والزاء والسين والصاد والطاء والظاء ووافق حمزة في التاء والسير (ما ألفينا) ما وجدنا (عليه آباءنا) من التحريم والتحليل قل تعالى ﴿ أو لو كان آباؤهم ﴾ أي كيف يتبعون آباؤهم وآباؤهم ﴿ لا يعقلون شيئا ﴾ الواو في أولو واو العطف ، ويقال لها واو التعجب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ والمعنى أتتبعون آباءهم وإن كانوا جهالا لا يعقلون شيئا ، لفظه عام ومعناه الخصوص . أي لا يعقلون شيئا من أمور الدين لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا ﴿ ولا يهتدون ﴾ ثم ضرب لهم مثلا فقال جل ذكره ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع ﴾ والنعيق والنعق صوت الراعي بالغنم ، معناه مثلك يا محمد وثل

لنفسه في (١)
لغة معناه : تحاليل
وكان

لنفسه في (٢)

عليه من الضلال والجهل قالوا في جواب ذلك بل نتبع ما ألفينا أي وجدنا عليه آباءنا أي من عبادة الأصنام والانداد . قال الله تعالى منكرا عليهم (أولو كن آباؤهم) أي الذين يقتدون بهم ويقتفون أثرهم (لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) أي ليس لهم فهم ولا هداية . وروى ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أوسعيد بن جبير عن ابن عباس أنها نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام فقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فأنزل الله هذه الآية ثم ضرب لهم تعالى مثلا . كما قال تعالى - (الذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) فقال (ومثل الذين كفروا) أي فيما هم فيه من النفي والضلال والجهل كالذباب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها بل إذا نعت بها راعيها أي دعاها إلى ما يرشد لها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه بل إنما تسمع صوته فقط . هكذا روي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والربيع بن أنس نحو هذا . وقيل إنما هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا . اختاره ابن جرير والاول أولى لان الأصنام لا تسمع شيئا ولا تعقله ولا تبصره ولا بطش لها ولا حياة فيها . وقوله (صم بكم عمي) أي صم عن سماع الحق بكم لا ينفقون به عي عن رؤية طريقه ومسلكه (فهم لا يعقلون) أي لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه كما قال تعالى (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم

الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله عز وجل كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم ، وقيل مثل واعظ الكفار وداعيتهم معهم كمثل الراعي ينعق بالغنم وهي لا تسمع (الادعاء) صوتا (ونداء) فأضاف المثل إلى الذين كفروا للدلالة على الكلام عليه كما في قوله تعالى (واسأل القرية) معناه كما أن البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها ، كذلك الكافر لا يذعن بوعظك إنما يسمع صوتك . وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقولهم وفهمهم عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا الصوت فيكون المعنى المنعوق به (١) والكلام خارج عن الناق وهو فاش في كلام العرب يفعلون ذلك يلقبون الكلام لا يوضح المعنى عندهم ، يقولون فلان يخافك كخوف الأسد ، أي كخوفه الأسد . وقال تعالى (ما أن مفاخه لتنوء بالعصبة) وإنما العصبة تنوء ، بالمفاخيتح وقيل معناه مثل الذين كفروا في دعاء الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناق بالغنم فلا يذعن من نعيه بشيء غير أنه في عناء من لداء النداء ، كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة وعبادتها إلا العناء والبلاء كما قال تعالى (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم) وقول معنى الآية ومثل الذين كفروا في دعاء الأوثان كمثل الذي يصبح في جوف الجبال فيسمع صوتا يقال له الصدى لا يفهم منه شيء (٢) فعنى الآية كمثل الذي ينعق بما لا يسمع منه الناق إلا دعاء ونداء (صم) تقول العرب لمن لا يسمع ولا يعقل : كأنه أصم (بكم) عن الخير لا يقولونه

(١) وفي نسخة
الخطية : المنعوق به .
بدون لام

(٢) وفي نسخة
ناشيتا

(١٧٠) يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم إياه تعبدون (١٧١) انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بالاكل من طيبات ما رزقهم تعالى وان يشكروه تعالى على ذلك ان كانوا عبيده. والاكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة كما ان الاكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا الفضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم) وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاتي يستجاب لذلك؟» ورواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث فضيل ابن مرزوق. ولما آمن تعالى عليهم برزقه وأرشدهم الى الاكل من طيبه ذكر انه لم يحرم عليهم من ذلك الا الميتة وهي التي تموت حتف أنفها من غير تذكية وسواء كانت منخقة أو موقوذة أو متروية أو نطيحة

(عمي) عن الهدي لا يبصرونه (فهم لا يقولون)

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات) حلالات (ما رزقناكم) أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو محمد وعبد الرحمن بن أبي شريح أخبرنا أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاتي يستجاب لذلك» (واشكروا الله) على نعمه (ان كنتم إياه تعبدون) ثم بين المحرمات فقال (انما حرم عليكم الميتة) قرأ أبو جعفر الميتة كل القرآن بالتشديد والباقيون يشددون البعض والميتة كل ما لم تدرك ذكاته مما يذبح (والدم) أراد بالدم الجاري يدل عليه قوله تعار (أو دما مفسوخا) واستثنى الشرع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال فاحلها. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو انباس الاصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. أحلت لنا ميتتان ودمان، الميتتان الحوت والجراد، والدمان أحسبه قال الكبد والطحال (ولحم الخنزير) أراد به جميع أجزائه فحرم عن

أو عدا عليها السبع وقد خصص الجمهور من ذلك ميتة البحر لقوله تعالى (أحل لكم صيد البحر وطعامه) على ما سيأتي إن شاء الله وحديث العنبر في الصحيح وفي المسند والموطأ والسنن قوله عليه السلام في البحر «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» وروى الشافعي وأحمد وابن ماجه والدارقطني حديث ابن عمر مرفوعا أحل لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال وسية أي تقرير ذلك إن شاء الله في سورة المائدة (مسئلة) ولبن الميتة وبيضها المتصل بها نجس عند الشافعي وغيره لأنه جزء منها . وقال مالك في رواية هو طاهر إلا أنه ينجس بالمجاورة وكذلك أن نحة الميتة فيها الخلاف والمشهور عندهم أنها نجسة وقد أوردوا على أنفسهم أكل الصحابة من جبن الجوس فقال القرطبي في التفسير ههنا يخاطب اللبن منها يسير ويعنى عن قليل النجاسة إذا خالط الكثير من المائم . وقد روى ابن ماجه من حديث سيف ابن هارون عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان رضي الله عنه: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن والفراء فقال «الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه» وكذلك حرم عليهم لحم الخنزير سواء ذكي أو مات خنق وأنه يدخل شحمه في حكم لحمه أما تغليبا أو أن اللحم يشمل ذلك أو بطريق القياس على رأى . وكذلك حرم عليهم ما أهل به لغير الله وهو ما ذبح على غير اسمه تعالى من الانصاب والانداد والازلام ونحو ذلك مما كانت الجاهلية ينحرون له . وذكر القرطبي عن ابن عطية أنه نقل عن الحسن البصري أنه سئل عن امرأة عملت عرسا لأمها ففحرت فيه جزورا فقال لا تؤكل لأنها ذبحت لصنم وأورد القرطبي عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت عما يذبحه العجم لأعيادهم فيهدون منه للمسلمين فقالت ما ذبح لذلك اليوم فلا تأكلوا منه وكلاهما من أشجارهم . ثم أباح تعالى ذلك باللحم لأنه معظمه ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ أي ما ذبح للاصنام والطواغيت وأصل الإهلال رفع الصوت . وكانوا إذا ذبحوا لأصنامهم يرفعون أصواتهم بذكرها فخرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وإن لم يجهر بالتسمية مهل . وقال الربيع بن أنس وغيره (وما أهل به لغير الله) قال ما ذكر عليه اسم غير الله ﴿ فن اضطر ﴾ بكسر النون وأخوته عاصم وحزرة ، ووافق أبو عمرو واللام والواو مثل « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن » ويعقوب الألف في الواو ، ووافق ابن عامر في التنوين ، والباقون كلهم بالضم ، فن كسر قال : لأن الحزم يحرك إلى الكسر ، ومن ضم فالضمة أول الفعل نقل حركتها إلى ما قبلها ، وأبو جعفر بكسر الطاء ومعناه فن اضطر إلى أكل ميتة أي أحوج وألجئ إليه ﴿ غير ﴾ نصب على الحال ، وقبل على الاستثناء وإذا رأيت غير لا يصح في موضعها إلا فهي حال ، وإذا صلح في موضعها إلا فهي استثناء ﴿ باغ ولا عاد ﴾ أصل البغي قصد الفساد ، يقال بغى الجرح يعني بغيا إذا ترامى إلى الفساد ، وأصل العدوان الظلم ومجاورة الحد يقال عدا عليه عدوا وعدوانا إذا ظلم . واختلفوا في معنى قوله (غير باغ ولا عاد) فقال بعضهم (غير باغ) أي خارج على السلطان ولا عاد متعد عاص بسفره بأن خرج لقطع الطريق أو لفساد في الأرض . وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير . وقالوا لا يجوز للعاصي بسفره إن يأكل

تناول ذلك عند الضرورة والاحتياج اليها عند فقد غيرها من الاطعمة فقال (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) أي في غير بغى ولا عدوان وهو مجاوزة الحد فلا اثم عليه أي في كل ذلك (ان الله غفور رحيم) وقال مجاهد فمن اضطر غير باغ ولا عاد قطعاً للسبيل أو مفارقاً للائمة أو خارجاً في معصية الله فله الرخصة ومن خرج باغياً أو عادياً أو في معصية الله فلا رخصة له وإن اضطر اليه وكذا روي عن سعيد بن جبير ، وقال سعيد في رواية عنه - ومقاتل بن حيان: غير باغ - يعني غير مستحل له ، وقال السدي غير باغ يبتغي فيه شهوته ، وقال آدم بن أبي اياس حدثنا ضمرة عن عثمان بن عطاء وهو الخراساني عن أبيه قال لا يشوي من الميتة ليشتهي ولا يطبخه ولا يأكل الا العلقه ويحمل معه ما يبلغه الحلال فاذا بلغه ألقاه وهو قوله (ولا عاد) ويقول لا يعدو به الحلال وعن ابن عباس لا يشبع منها وفسره السدي بالعدوان وعن ابن عباس (غير باغ ولا عاد) قال (غير باغ) في الميتة ولا عاد في أكله وقال قتادة فمن اضطر غير باغ ولا عاد قال غير باغ في الميتة أي في أكله ان يتعدى حلالاً الى حرام وهو يجد عنه مندوحة . وحكى القرطبي عن مجاهد في قوله فمن اضطر أي أكره على ذلك بذير اختياره (مسألة) اذا وجد المضطر ميتة وطعام الغير بحيث لا قطع فيه ولا أذى فانه لا يحل له أكل الميتة بل يأكل طعام الغير بغير خلاف - كذا قال - ثم قال واذا اكله والحالة هذه هل يضمن أم لا ؟ فيه قولان هما روايتان عن مالك ثم أورد من سنن ابن ماجه من حديث شعبة عن أبي اياس جعفر بن أبي وحشية سمعت عباد بن شرحبيل العنزي قال أصابتنا عمامة فأنيت المدينة فأنيت حائطاً فأخذت سنبلاً ففركته وأكلمته وجعلت منه في كسائي فجاء صاحب الحائط فضر بني وأخذ ثوبي فأنيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال للرجل « ما أطعمته اذ كان جائعاً الميتة اذا اضطر اليها ولا ان يترخص المسافر حتي يتوب ، وبه قول الشافعي لان اباحة : الميتة له اعانة له على فسادها ، وذهب جماعة الى أن البغى والعدوان راجعان الى الاكل واختلفوا في تفصيله . فقال الحسن وقتادة (غير باغ) بأكله من غير اضطرار (ولا عاد) اي لا يعدو لشبعه . وقيل (غير باغ) اي غير طالبيها وهو يجد غيرها (ولا عاد) اي غير متعد ما حد له فيأكل حتى يشبع ولكن يأكل منها قوتاً مقدار ما يسك رمقه . وقال مقاتل بن حيان (غير باغ) اي مستحل لها (ولا عاد) اي متزود منها . وقيل (غير باغ) اي غير مجاوز للقدر الذي أحل له (ولا عاد) اي لا يقصر فيما أبيح له فيدعه قال مسروق : من اضطر الى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار واختلف العلماء في مقدار ما يحل للمضطر أكله من الميتة ، فقال بعضهم مقدار ما يسد رمقه . وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه وأحد قولي الشافعي رضي الله عنه . والقول الآخر يجوز ان يأكل حتى يشبع وبه قال مالك رحمه الله تعالى . وقال سهل بن عبد الله (غير باغ) مفارق للجماعة (ولا عاد) مبتدع مخالف للسنة ولم يرخص للبندع في تناول المحرم عند الضرورة ﴿ فلا اثم عليه ﴾ فلا حرج عليه في أكلها ﴿ ان الله غفور ﴾ لمن أكل في حال الاضطرار ﴿ رحيم ﴾ حيث رخص للعباد في ذلك

ولا علمته اذ كان جاهلا» فأمره فرد اليه ثوبه وأمر له بوسق من طعام او نصف وسق اسناد صحيح قوي جيد وله شواهد كثيرة من ذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الثمر المعلق فقال «من أصاب منه من ذى حاجة بفيه غير متخذ خبنة فلا شيء عليه» الحديث : وقال مقاتل بن حيان في قوله (ولا اثم عليه ان الله غفور رحيم) فيما أكل من اضطرار ، بلغنا والله أعلم انه لا يزاد على ثلاث اقم وقال سعيد بن جبير : غفور لما أكل من الحرام ، رحيم اذ أحل له الحرام في الاضطرار ، وقال وكيع اخبرنا الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال من اضطر فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار وهذا يقتضي ان أكل الميتة للمضطر عزيمة لا رخصة قال ابو الحسن الطبري المعروف بالكيا الهرامي رفيق الغزالي في الاشتغال وهذا هو الصحيح عندنا كالا فطار للمريض ونحو ذلك

(١٧٢) ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترُونَ به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب اليم (١٧٣) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ، وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد

بقول تعالى (ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب) يعني اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم التي بأيديهم مما تشهد له بالرسالة والنبوة فكتبوا ذلك اثلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتعف على تعظيمهم آباءهم فخشوا انهم الله ان

قوله تعالى ﴿ ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ﴾ نزلت في رؤسا اليهود وعلمائهم كانوا يصيبون من فلتهم الهدايا والمأكّل وكانوا يرحون أن يكون النبي المبعوث منهم ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم من غيرهم خافوا ذهاب ما كلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم أخرجوها اليهم فلما نظرت السفلة الى البعت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته فلم يتبعوه فأُنزل الله تعالى (ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب) يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ﴿ ويشترُونَ به ﴾ أي بالمكتوم ﴿ ثمنا قليلا ﴾ أي عوضا يسيرا يعني المأكّل التي يصيدونها من سفلتهم ﴿ أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ﴾ يعني الا ما يؤذيهم الى النار وهو الرشوة والحرام وثمن الدين فلما كان يفضي ذلك بهم الى النار فكأنهم أكلوا النار وقبل معناه أنه يصير نارا في بطونهم ﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ﴾ أي لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم انما يكلمهم بالتوبيخ وقيل أراد به أنه يكون عليهم غضبان كما يقال فلان لا يكلم فلانا اذا كان عليه غضبان ﴿ ولا يزكّيهم ﴾ أي لا يطهرهم من دنس الذنوب ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴿ قال عطاء والسدي هو ما لاستفهام

أظهروا ذلك ان يتبعه الناس ويتركوكم فكتموا ذلك ابفاء على ما كان يحصل لهم من ذلك وهو نذر يسير فباعوا أنفسهم بذلك واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق وتصديق الرسول والايمان بما جاء عن الله بذلك النذر اليسير فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فان الله أظهر لعباده صدق رسوله بما نصبه وجعله معه من الآيات الظاهرات والدلائل القاطعات فصدقته الذين كانوا يخافون أن يتبعوه وصاروا عوناً له على قتالهم وباؤا بغضب على غضب وذمهم الله في كتابه في غير موضع فمن ذلك هذه الآية الكريمة (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترتون به ثمناً قليلاً) وهو عرض الحياة الدنيا (أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار) أى انما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق ناراً تأجج في بطونهم يوم القيامة كما قال تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً) وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الذي يأكل او يشرب في آنية الذهب والفضة انما يجر جر في بطنه نار جهنم »

وقوله (ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يذكهم ولهم عذاب اليم) وذلك لانه تعالى غضبان عليهم لانهم كنتموا وقد علموا فاستحقوا الغضب فلا ينظر اليهم ولا يذكهم اى يثني عليهم ويمدحهم بل يعذبهم عذاباً اليماً . وقد ذكر ابن ابي حاتم وابن مردويه ههنا حديث الاعمش عن ابي حازم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يذكهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر » ثم قال تعالى مخبراً عنهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اى اعتاضوا عن الهدى وهو نشر ما في كتبهم من صفة الرسول وذكر مبعثه والبشارة به من كتب الانبياء واتباعه وتصديقه استبدلوا عن ذلك واعتاضوا عنه الضلالة وهو تكذيبه والكفر به وكنان صفاته في كتبهم (والعذاب بالمغفرة) اى اعتاضوا عن المغفرة بالعذاب وهو ما تعاطوه من اسبابه المذكورة : وقوله تعالى (فما اصبرهم على النار) يخبر تعالى انهم في عذاب شديد عظيم هائل يتعجب من رآهم فيها من صبرهم على ذلك من شدة ما هم فيه من العذاب والنكال والاغلال عياداً بالله من ذلك وقيل معنى قوله (فما اصبرهم على النار) اى فما أدومهم لعمل المعاصي التي تفضي بهم الى النار وقوله تعالى (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) اى انما استحقوا هذا العذاب الشديد لان الله تعالى انزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الانبياء قبله كتبه بتحقيق الحق وابطال

معناه ما الذي صبرهم على النار واي شيء صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل قال الحسن وقتادة : والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما أجراًهم على العمل الذي يقربهم الى النار وقال الكسائي : فما أصبرهم على عمل أهل النار أي ما أدومهم عليه ﴿ ذلك ﴾ بأن الله نزل الكتاب بالحق يعني ذلك المذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق فأنكروه وكفروا به وحينئذ يكون ذلك في محل الرفع وقال بعضهم محله نصب معناه فعلنا ذلك بهم بأن الله أي لان الله نزل الكتاب بالحق فاختلغوا فيه وقيل معناه ذلك أي فعلهم الذي يفعلون من الكفر والاختلاف والاجترار على الله من أجل أن الله نزل الكتاب

الباطل وهؤلاء اتخذوا آيات الله هزوا فكتبهم يأمرهم باظهار العالم ونشره فخالفوه وكذبوه وهذا الرسول الخاتم يدعوم الى الله تعالى ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وهم يكذبونه ويخالفونه ويحذرونه ويكتمون صفته فاستهزؤا بآيات الله المنزلة على رسله فلماذا استحقوا الذاب والنكال ولهذا قول (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد)

(١٧٤) ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون

اشتمات هذه الآية الكريمة على جمل عظيمة وقواعد عميمة وعقيدة مستقيمة كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبيد بن هشام الحلبي حدثنا عبيد الله بن عمرو بن عامر بن شفي عن عبد الكريم عن مجاهد عن أبي ذر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان ؟ فتلا عليه (ليس البر أن تولوا وجوهكم) الى آخر الآية قال ثم سأله أيضاً فتلاها عليه ثم سأله فقال : « اذا عملت حسنة أحبها قلبك واذا عملت سيئة أبغضها قلبك » وهذا منقطع فإن مجاهداً لم يدرك أباً ذر فإنه مات قديماً وقال المسعودي : حدثنا القاسم بن عبد الرحمن قال جاء رجل الى أبي ذر فقال ما الايمان ؟ فقرأ عليه هذه الآية (ليس البر أن تولوا وجوهكم) حتى فرغ منها فقال الرجل ليس عن البر سألتك فقال أبو ذر : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عما سألتني عنه فقرأ عليه هذه الآية فأبى أن يرضى بالحق وهو قوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » ختم الله على قلوبهم) (وان الذين اختلفوا في الكتاب) فآمنوا ببعض وكفروا ببعض (لفي شقاق بعيد) أي في خلاف وضلال بعيد » قوله تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) قرأ حمزة وحفص ليس البر بنصب الراء والباقون برفعها فن رفعها جعل البر اسم ليس وخبره قوله أن تولوا تقديره ليس البر توليتكم وجوهكم ومن نصب جعل أن تولوا في موضع الرفع على اسم ليس تقديره ليس توليتكم وجوهكم البر كله كقوله تعالى (ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا) والبر كل عمل خير يفضي بصاحبه الى الجنة واختلفوا في الخطابين بهذه الآية فقال قوم عنى بها اليهود والنصارى وذلك أن اليهود كانت تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وزعم كل فريق منهم أن البر في ذلك فأخبر الله تعالى أن الرغير دينهم وعملهم ولكنه ما بينه في هذه الآية وعلى هذا القول قتادة ومقاتل بن حيان وقال الآخرون المراد بها المؤمنون وذلك أن الرجل كان في ابتداء الاسلام قبل نزول الفرائض اذا أتى بالشهادتين وصلى الصلاة الى أي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزات الفرائض وحددت الحدود وصرفت القبلة

كما أبيت أن ترضى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار بيده « المؤمن إذا عمل حسنة سرته ورجا ثوابها وإذا عمل سيئة أحزنته وخاف عقابها » رواه ابن مردويه وهذا أيضاً منقطع والله أعلم وأما الكلام على تفسير هذه الآية فإن الله تعالى لما أمر المؤمنين ألا بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حوّلهم إلى الكعبة شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتب وبصر المسلمين فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك وهو أن المراد أنما هو طاعة الله عز وجل رأيناه أوأمره والتوجه حينما وجه واتبع ما شرع فهذا هو البر والتقوى ولا يمان الكمال وليس في لزوم اتوجه إلى جهة من المشرق أو المغرب بر ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله وشرعه ولهذا قل (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) الآية كما قال في الاضاحي والهدايا (إن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية : ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا فهذا حين تحول من مكة إلى المدينة ونزلت الفرائض والمدود فأمر الله بالفرائض والعمل بها وروى عن الضحاك ومقاتل نحو ذلك وقال أبو العالية : كانت اليهود تقبل قبل المغرب وكانت النصارى تقبل قبل المشرق فقال الله تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) يقول هذا كلام الايمان وحقيقته العمل وروى عن الحسن والربيع بن أنس مثله وقال مجاهد : ولكن البر ما ثبت في القلوب من طاعة الله عز وجل وقال الضحاك : ولكن البر والتقوى أن تؤدوا الفرائض على وجوها وقال الثوري : (ولكن البر من آمن بالله) الآية قال هذه أنواع البر كلها وصدق رحمه الله فإن من انصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الاسلام كلها وأخذ بمجامع الخير كله وهو الايمان بالله وأنه لا اله الا هو وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسوله (والكتب) وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الانبياء حتى ختمت بأشرفها إلى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال : (ليس البر) أي كانه أن تصلوا قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا على غير ذلك (ولكن البر) ما ذكر في هذه الآية وعلى هذا القول ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك (ولكن البر) قرأ نافع وابن عامر ولكن خفية النون البر رفع وقرأ الباقون بتشديد النون ونصب البر قوله تعالى (من آمن بالله) جعل من وهي اسم خبر للبر وهو فعل ولا يقال البر زيد واختلفوا في وجهه قيل لما وقع من في موقع المصدر جعله خبراً للبر كانه قل ولكن البر الايمان بالله والعرب تجعل الاسم خبراً للفعل وأنشد الفراء :

لعمرك ما الغتيان أن تنبت الحى ولكنما الغتيان كل قتي ندى

فجعل نبات الحى خبراً للتى وقيل فيه اضمار معناه ولكن البر بر من آمن بالله فاستغنى بذلك الاول عن الثاني كقولهم الجود حاتم أى الجود جود حاتم وقيل معناه ولكن ذا البر من آمن بالله كقوله تعالى (هم درجات عند الله) أى ذو درجات وقيل معناه ولكن البار من آمن بالله كقوله تعالى (والعاقبة للمتقوى) أى المتقى والمراد من البر ههنا الايمان والتقوى (واليوم الآخر والملائكة)

وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذي انتهى اليه كل خير واشتمل على كل سمادة في الدنيا والآخرة ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم الى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وقوله (وآتى المال على حبه) أي أخرجه وهو محب له راغب فيه نص على ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعا « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح صحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث شعبة والثوري عن منصور عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وآتى المال على حبه أن تعطيه وأنت صحيح تأمل الدش وتخشى الفقر » ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (قلت) وقد رواه وكيع عن الأعمش وسفيان عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود موقوفا وهو أصح الله أعلم . وقال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (وقال تعالى (إن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقوله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) نمط آخر أرفع من هذا وهو أنهم آثروا بما هم مضطرون اليه وهؤلاء أعطوا وأطعموا ما هم محبون له وقوله (ذوي القربى) وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطي من الصدقة كما ثبت في الحديث « الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذوي الرحم ثنتان صدقة وصلة فهم أولى الناس ببرك وإعطائك » وقد أمر الله تعالى بالاحسان اليهم في غير موضع من كتابه العزيز (واليتامى) هم الذين لا كاسب لهم وقد مات أبؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب وقد قال عبد الرزاق أنا أنا معمر عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي عن رسول الله كلهم (والكتاب) يعني الكتب المنزلة (واليتيم) أجمع (وآتى المال) أعطى المال (على حبه) اختلفوا في هذه الكناية فقال أكثر أهل التفسير : إنها راجعة الى المال أي أعطى المال في حال صحته ومحبة المال قال ابن مسعود أن تؤنيه وأنت صحيح صحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا عبد الواحد ثنا عمارة بن القمقاع أنا أبو زرعة أخبرنا أبو هريرة قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا ؟ قال : (إن تصدق وأنت صحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحاموم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان) وقبل هي عائدة الى الله عز وجل أي على حب الله تعالى (ذوي القربى) أهل القرابة أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي أخبرنا قتيبة أخبرنا سفيان بن عيينة عن عامر الاحول عن حفصة بنت سيرين عن الرباب عن عمها سليمان بن عامر يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة » قوله تعالى

صلى الله عليه وسلم قال : « لا يُنم بعد حُلْم » (والمساكين) وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكنائهم فيعطون ما تسد به حاجتهم وغلنهم وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان والسكن المسكين الذي لا يجد غنى يئنيه ولا يظن له فيتصدق عليه » (وابن السبيل) وهو المسافر المجتاز الذي قد فرغت نفقته فيعطى ما يوصله الى بلده وكذا الذي يريد سفرا في طاعة فيعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه ويدخل في ذلك الضيف كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال : ابن السبيل هو الضيف الذي ينزل بالمسلمين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو جعفر الباقر والحسن وقتادة والضحاك والزهرى والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان (والسائلين) وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات كما قال الامام احمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبي يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها - قال عبد الرحمن حسين بن علي - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للسائل حق وإن جاء على فرس » رواه أبو داود (وفي الرقاب) وهم المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم وسيأتي الكلام على كثير من هذه الاصناف في آية الصدقات من براءة ان شاء الله تعالى . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا شريك عن أبي حمزة عن الشعبي حدثني فاطمة بنت قيس أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المال حق سوى الزكاة ؟ قالت فتلا علي (وآتى المال على حبه) ورواه ابن مردويه من حديث آدم بن اياس ويحيى بن عبد الحميد كلاهما عن شريك عن أبي حمزة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « في المال

﴿ واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ قال مجاهد : يعني المسافر المنقطع عن اهله يمر عليك ويقال للمسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » ﴿ والسائلين ﴾ يعني الطالبين اخبرنا أبو الحسن السرخسي اخبرنا زاهر بن احمد اخبرنا ابو اسحق الهاشمي اخبرنا ابو مصعب عن مالك عن زيد ابن اسلم عن ابي نعيم الانصاري وهو عبد الرحمن بن نعيم عن جدته وهي ام نعيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ودوا السائل ولو بظلف محرق » وفي رواية قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان لم تجد شيئا الاظلفا محرقا فادفنيه اليه » قوله تعالى ﴿ وفي الرقاب ﴾ يعني المكاتبين قاله اكثر المفسرين وقيل عتق النسمة وفك الرقبة وقيل فداء الاسارى ﴿ وأقام الصلوة وآتى الزكاة ﴾ وأعطى الزكاة ﴿ والموفون بهم ﴾ فيما بينهم وبين الله عز وجل وفيما بينهم وبين الناس ﴿ اذا عاهدوا ﴾ يعني اذا وعدوا أنجزوا ، واذا حلفوا ونذروا أوفوا ، واذا عاهدوا أوفوا ، واذا قالوا صدقوا ، واذا ائتمنوا أدوا ، واختلفوا في رفع قوله والموفون قيل هو عطف على خبر معناه ولكن ذا البر المؤمنون والموفون بهم وقيل تقديره : وهم الموفون كانه عد أصفا . ثم قال : هم والموفون كذا ، وقيل

حق سوى الزكاة» ثم قرأ (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب - إلى قوله - وفي الرقاب) وأخرجه ابن ماجه والترمذي وضعف أبا حمزة ميمونا الأعور وقد رواه سيار واسماعيل بن سالم عن الشعبي وقوله (وأقام الصلاة) أي وأتم أفعال الصلاة في أوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي وقوله (وآتى الزكاة) يحتمل أن يكون المراد به زكاة النفس وتخليصها من الاخلاق لدنيئة الرذيلة كقوله (قد أفلح من زكاهها) وقد خاب من دساها) وقول موسى لفرعون : (هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى) وقوله تعالى (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال كما قاله سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان ويكون المذكور من اعطاء هذه الجهات والاصناف المذكورين إنما هو التطوع والبر والصلة ولهذا تقدم في الحديث عن فاطمة بنت قيس « أن في المال حقا سوى الزكاة » والله أعلم وقوله (والموفون بمعهدهم إذا عاهدوا) كقوله (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وعكس هذه الصفة النفاق كما صح الحديث « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » وفي الحديث الآخر « إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » وقوله (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) أي في حال الفقر وهو البأساء ، وفي حال المرض والاسقام وهو الضراء (وحين البأس) أي في حال القتال والتقاء الأعداء قاله ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومرة الهمداني ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقنادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وأبو مالك والضحاك وغيرهم وإنما نصب الصابرين على المدح والحث على الصبر في هذه الأحوال لشدة وصعوبته والله أعلم وهو المستعان وعليه التكلان : وقوله (أولئك الذين صدقوا) أي هؤلاء الذين انصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال فهؤلاء هم الذين صدقوا وأولئك هم الملتقون لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات

رفع على الابتداء والخبر يعني وهم الموفون ثم قال ﴿ والصابرين ﴾ وفي نصبها أربعة أوجه . قال أبو عبيدة : نصبها على تطاول الكلام ومن شأن العرب أن تنير الأعراب إذا طال الكلام والنسق ومثله في سورة النساء والمقيمين الصلوة وفي سورة المائدة والصابئون والنصارى ، وقيل معناه أعني الصابرين ، وقيل نصبه نسقا على قوله ذوي القربى أي وآتى الصابرين . وقال الخليل نصب على المدح والعرب تنصب الكلام على المدح والذم كأنهم يريدون أفراد الممدوح والمذموم فلا يثبتونه أول الكلام وينصبونه فالمدح كقوله تعالى (والمقيمين الصلوة) والذم كقوله تعالى (ملعونين أينما ثقفوا) قوله تعالى ﴿ في البأساء ﴾ أي الشدة والفقر ﴿ والضراء ﴾ المرض والزمانة ﴿ وحين البأس ﴾ أي القتال والحرب أخبرنا المطهر بن علي بن عبد الله الفارسي أخبرنا أبو ذر محمد بن إبراهيم الصالحاني أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي أخبرنا علي بن

(١٧٥) يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
والانثى بالانثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف
من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (١٧٦) وكتب في القصاص حياة يا أولى
الالباب لعلكم تتقون

يقول تعالى كتب عليكم العدل في القصاص أيها المؤمنون حرّم بحركم وعبدكم بعبدكم وأنثاكم
بأنثاكم ولا تتجاوزوا وتعبدوا كما اعتدى من قبلكم وغيروا حكم الله فيهم، وسبب ذلك قريظة
والنضير كانت بنو النضير قد غزت قريظة في الجاهلية وقهرهم فكان إذا قتل النضري القرظي
لا يقتل به بل يفادى بمائة وسق من التمر وإذا قتل القرظي النضري قتل وإن فادوه فدوه بمائتي وسق
من التمر ضعف دية القرظي فأمر الله بالعدل في القصاص ولا يتبع سبيل المفسدين المحرفين المخالفين
لاحكام الله فيهم كفرا وبغيا فقال تعالى (كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
والانثى بالانثى) وذكر في سبب نزولها ما رواه الامام ابو محمد بن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا
يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في
قول الله (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) يعني إذا كان عمدا الحر بالحر وذلك
ان حين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الاسلام بقليل فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا
العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا فكان أحد الحيين يتناول على الآخر في
العدة والاموال خلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم والمرأة منا الرجل منهم فتنزل فيهم
(الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) منها منسوخة نسختها النفس بالنفس: وقال علي بن أبي
الجرود أخبرنا زهير عن أبي اسحق عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:
كنّا اذا احمرّ البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى
العدو منه. يعني اذا اشتد الحرب (أولئك الذين صدقوا) في إيمانهم (وأولئك هم المنافقون) محارم الله
والحكمة في القصاص في القتل العمد والعدوان هي المصلحة انني تنبعت بها الملوك على انبعاث الامر
قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) قال الشعبي والسكبي وقتادة: نزلت
هذه الآية في حيين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قبيل الاسلام بقليل وكانت بينهما قتلى
وجراحات لم يأخذها بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام، قال قتادة ومقاتل بن حيان: كانت بين
بنى قريظة والنضير، وقال سعيد بن جبير: كانت بين الاوس والخزرج، قالوا جميعا وكان لاحد
الحيين على الآخر طول في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهر فاقسموا: لنقتلن بالعبد
منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وبالرجلين منا أربعة رجال منهم
وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك فرفعوا أمرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى

طلحة عن ابن عباس في قوله (والانثى بالانثى) وذلك انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة فانزل الله النفس بالنفس والعين بالعين فجعل الاحرار في القصاص سواء فيما بينهم من العمد رجالهم ونسائهم في النفس وفيما دون النفس وجعل العبيد مستوين فيما بينهم من العمد في النفس وفيما دون النفس رجالهم ونسائهم وكذلك روي عن أبي مالك انها منسوخة بقوله النفس بالنفس

(مسئلة) ذهب أبو حنيفة الى أن الحر يقتل بالعبد لعموم آية المائدة واليه ذهب الثوري وابن أبي ليلى وداود وهو مروي عن علي وابن مسعود وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي وتادة والحكم قال البخاري وعلي بن المديني وابراهيم النخعي والثوري في رواية عنه ويقتل السيد بعبد لعموم حديث الحسن عن سمرة «من قتل عبده قتلناه ومن جدد عبده جددناه ومن خصاه خصيناه» وخالفهم الجمهور فقالوا لا يقتل الحر بالعبد لان العبد سلعة لو قتل خطأ لم يجب فيه دية وانما تجب فيه قيمته ولانه لا يناد بطرفه ففي النفس بطريق الاولى وذهب الجمهور الى أن المسلم لا يقتل بالكافر لما ثبت في البخاري عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يقتل مسلم بكافر» ولا يصح حديث ولا تأويل يخالف هذا وأما أبو حنيفة فذهب الى انه يقتل به لعموم آية المائدة

(مسئلة) قال الحسن وعطاء لا يقتل الرجل بالمرأة لهذه الآية وخالفهم الجمهور لآية المائدة ولقوله

هذه الآية وأمر بالمساواة فرضوا وأسلموا. قوله (كتب عليكم القصاص) أي فرض عليكم القصاص

(في القتلى) والقصاص المساواة والمائلة في الجراحات والديات وأصله من قص الأمر اذا اتبعه

فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله. ثم بين المائلة فقال (الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى)

وجملة الحكم فيه انه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الاحرار من

المعاهدين أو العبيد منهم قتل من كل صنف منهم الذكرا اذا قتل بالذكور والانثى ، وتقتل الانثى

اذا قتلت بالانثى وبالذكور ، ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ولا مسلم بذمي ، ويقتل

الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد. هذا قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم أخبرنا

عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز ابن احمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا

الربيع ابن سليمان أنا الشافعي أخبرنا سفيان بن عيينة من مطرف عن الشعبي عن أبي جحيفة قال :

سألت عليا رضي الله عنه هل عندك عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن ؟ فقال لا ،

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا ان يؤتى الله عبدا فلهما في القرآن وما في هذه الصحيفة ، قلت وما

في هذه الصحيفة ؟ قال العقل وفكك الاسير ولا يقتل مؤمن بكافر . وروى عن ابن عباس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقام الحدود في المساجد ولا يقاد بالولد الوالد » وذهب

الشعبي والنخعي وأصحاب الرأي الى ان المسلم يقتل بالكافر الذمي والى ان الحر يقتل بالعبد

والحديث حجة لمن لم يوجب القصاص على المسلم بقتل الذمي وتقتل الجماعة بالواحد . روى عن

عليه السلام « المسلمون متكافأ دماؤهم » وقال الليث اذا قتل الرجل امرأته لا يقتل بها خاصة (مسئلة) ومذهب الائمة الاربعة والجمهور ان الجماعة يقتلون بالواحد : قال عمر في غلام قتله سبعة فقتلهم وقال لوتمالا عليه أهل صنعاء لقتنائهم ، ولا يعرف له في زمانه مخالف من الصحابة وذلك كالاجماع وحكى عن الامام احمد رواية ان الجماعة لا يقتلون بالواحد ولا يقتل بالنفس الانفس واحدة وحكاه ابن المنذر عن معاذ وابن الزبير وعبد الملك بن مروان والزهرى وابن سيرين وحبيب بن أبي ثابت ثم قال ابن المنذر وهذا أصح ولا حجة لمن أباح قتل الجماعة وقد ثبت عن ابن الزبير ما ذكرناه واذا اختلف الصحابة فسيبيله النظر . وقوله (فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان) قال مجاهد عن ابن عباس (فمن عفى له من أخيه شيء) فالعفو أن يقبل الدية في العمد وكذا روى عن أبي العالية وأبي الشعثاء ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعطاء والحسن وقتادة ومقاتل ابن حيان وقال الضحاك عن ابن عباس (فمن عفى له من أخيه شيء) يعني فمن ترك له من أخيه شيء يعني أخذ الدية بعد استحقاق الدم وذلك العفو (فاتباع بالمعروف) يقول فلي الطالب اتباع بالمعروف اذا قبل الدية (وأداء اليه باحسان) يعني من القاتل من غير ضرر ولا معلن يعني المدافعة وروى الحاكم من حديث سفيان عن عمرو عن مجاهد عن ابن عباس وبؤدى المطلوب باحسان وكذا قل سعيد ابن جبيرة وأبو الشعثاء جابر بن زيد والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان

سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قتل سبعة أو خمسة برجل قتلوه غيلة ، وقول لوتمالا عليه أهل صنعاء لقتنائهم به جميعا . ويجرى القصاص في الاطراف كما يجري في النفوس الا في شيء واحد وهو ان الصحيح السوي يقتل بالمرض والزمن وفي الاطراف لو قطع بدا شلاء أو ناقصة بالاصبع لا تقطع بها الصحيحة الكاملة . وذهب أصحاب الرأي الى ان القصاص في الاطراف لا يجري الا بين حرين أو حرتين ولا يجري بين الذكر والانثى ولا بين العبيد ولا بين الحر والعبد وعند الآخرين الطرف في القصاص مقيس على النفس . اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا احمد بن عبد الله النعماني اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا عبد الله بن منير انه سمع عبد الله بن بكر السهمي اخبرنا حميد عن أنس بن النضر ان الربيع عمته كسرت ثنية جارية فطلبوا اليها العفو فأبوا فعرضوا الارش فأبوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا الا القصاص فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فقال أنس بن النضر : يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أنس كذاب الله القصاص » فرضي القوم فعموا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » قوله تعالى (فمن عفى له من أخيه شيء) أي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضى بالدية هذا قول اكثر المفسرين ، قالوا العفو أن يقبل الدية في قتل العمد وقوله (من أخيه) أي من دم

(مسئلة) قال مالك رحمه الله في رواية ابن القاسم عنه وهو المشهور وأبو حنيفة وأصحابه والشافعي واحد في أحد قوله ليس لولي الدم أن يعفو على الدية إلا برضا القاتل وقال الباقر له أن يعفو عليها وإن لم يرض

(مسئلة) وذهب طائفة من السلف إلى أنه ليس للنساء عفو منهم الحسن وقادة والزهرى وابن شبرمة والليث والاوزاعي وخالفهم الباقر وقوله (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) يقول تعالى إنما شرع لكم أخذ الدية في العمد تخفيفا من الله عليكم ورحمة بكم مما كان محتوما على الأمم قبلكم من القتل أو العفو كما قال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني مجاهد عن ابن عباس قال كتب على بني إسرائيل القصاص في القتل ولم يكن فيهم العفو فقل الله لهذه الأمة (كتب عليكم القصاص في القتل الحر بالحر والعبد بالعبد والاني بالاني فمن عفي له من أخيه شيء) فالعفو أن يقبل الدية في العمد، ذلك تخفيف مما كتب على بني إسرائيل من كان قبلكم فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان. وقد رواه غير واحد عن عمرو وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن عمرو بن دينار ورواه جماعة عن مجاهد عن ابن عباس بنحوه: وقال قتادة (ذلك تخفيف من ربكم) رحم الله هذه الأمة وأطعمهم الدية ولم ينحل لأحد قبلهم فكان أهل النوراة إنما هو القصاص وعفو ليس بينهم ارش وكان أهل الانجيل إنما هو عفو أمروا به، وجعل لهذه الأمة القصاص والعفو والارش وهكذا روي عن سعيد بن جبير ومنازل بن حيان والربيع بن أنس نحو هذا. وقوله (فمن اعتدى

أخيه وأراد بالأخ المقتول والكنايتان في قوله له ومن أخيه ترجعان إلى من وهو القاتل، وقوله شيء دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا يسقط النقود لأن شيئا من الدم قد بطل. قوله تعالى (فاتباع بالمعروف) أي على الطالب الدية أن يتبع بالمعروف فلا يطالب بأكثر من حقه (وأداء إليه بإحسان) أي على المطلوب منه أداء الدية بإحسان من غير ممانعة. أمر كل واحد منهما بالإحسان فيما له وعليه ومذهب أكثر العلماء من الصحابة والتابعين أن ولي الدم إذا عفا عن القصاص على الدية فله أخذ الدية وإن لم يرض به القاتل. وقد قوم لا دية له إلا برضى القاتل، وهو قول الحسن والنخعي وأصحاب الرأي، وحبشة المذهب الأول ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا محمد بن اسماعيل بن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح البكعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القاتل من هذيل وأنا والله عاقله فمن قتل بعده قتيلا فأهله بين خيرين أن أحبوا قتلوا وأن أحبوا أخذوا العقل» قوله تعالى (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) أي ذلك الذي ذكرت من العفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة، وذلك أن القصاص في النفس والجراح كان حتما في النواة على اليهود ولم يكن لهم أخذ الدية، وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم القصاص، فخير الله هذه الأمة بين القصاص وبين العفو على

بعد ذلك فله عذاب أليم) يقول تعالى فمن قتل بعد أخذ الدية أو قبولها فله عذاب من الله أليم موجه شديد . وهكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان أنه هو الذي يقتل بعد أخذ الدية كما قال محمد بن اسحق عن الحارث ابن فضيل عن سفیان بن أبي العوجاء عن أبي شريح الخزاعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أصيب بقتل أو خبل فانه يختار احدى ثلاث اما أن يقتص واما ان ينفو واما أن يأخذ الدية فان أراد الرابعة فخذوا على يديه ومن اعتدى بعد ذلك فله نار جهنم خالدا فيها » رواه أحمد وقال سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه « لا أعافي رجلا قتل بعد أخذ الدية » يعني لا أقبل منه الدية بل أقله

وقوله (ولكم في القصاص حياة) يقول تعالى وفي شرع القصاص لكم وهو قتل الفاعل حكمة عظيمة وهي بقاء المهج وصونها لانه اذا علم القاتل انه يقتل انكف عن صنيعه فكان في ذلك حياة للنفس وفي الكتب المتقدمة: القتل أنفى للقتل (١) فجاءت هذه العبارة في القرآن أفصح وأبلغ وأوجز (ولكم في القصاص حياة) قال ابو العالية جعل الله القصاص حياة فكم من رجل يريد أن يقتل فتدفعه مخافة ان يقتل . وكذا روى عن مجاهد وسعيد بن جبير وابي مالك والحسن وقتادة والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان (يا اولى الالباب لعلمكم تنقون) يقول يا اولى العقول والافهام والنهى لعلمكم تنزجرون وتتركون محارم الله وما آثمه ، والنقوى اسم جامع لكل الطاعات وترك المنكرات

(١٧٩) كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين

بال معروف حقا على المتقين (١٨٠) فمن بدله بعد ما سمعه فانما ثمه على الذين يبدلونه ان الله الدية تخفيفا منه ورحمة (فمن اعتدى بعد ذلك) فقتل الجاني بعد العفو وقبل الدية (فله عذاب أليم) وهو ان يقتل قصاصا . قال ابن جريج : يتمم قتله حتى لا يقبل العفو وفي الآية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا بالقتل ، لان الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الايمان فقال (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) وقال في آخر الآية (فمن عفى له من أخيه شيء) وأراد به اخوة الايمان ، فلم يقطع الاخوة بينهما بالقتل قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) أي بقاء ، وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل يقتل بمتنع عن القتل فيكون فيه بقوه وبقاء من هم بقتله وقبل في المثل : القتل أنفى للقتل ، وقيل معنى الحياة سلامته من قصاص الآخرة ، فانه اذا اقتص منه في الدنيا حي في الآخرة واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة (يا أولى الالباب لعلمكم تنقون) أي تنقون عن القتل بخلافه القود قوله تعالى (كتب عليكم) أي فرض عليكم (اذا حضر أحدكم الموت) أي جاء أسباب الموت وآثاره من العلل والأمراض (ان ترك خيرا) أي ما لا نظيره قوله تعالى وما تنفقوا من خير (الوصية للوالدين والاقربين) كانت الوصية فريضة في

(١) ذكر البغوي ان
هذا مثل . والمشهور
انه من كلام فصحاء
العرب

سميع عليم (١٨١) فمن خاف من موص جنتاً أو أئماً فاصلح بينهم فلائهم عليه ان الله غفور رحيم
اشتملت هذه الآية الكريمة على الامر بالوصية للوالدين والاقربين وقد كان ذلك واجباً على
أصح القولين قبل نزل آية الموارث فلما نزلت آية الفرائض نسخت هذه وصارت الموارث
المقدرة فريضة من الله يأخذها أهلها حتماً من غير وصية ولا تحمل مئة الموصي ولهذا جاء في الحديث
الذي في السنن وغيرها عن عمرو بن خارجة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب
وهو يقول « ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل
ابن ابراهيم بن علي بن يونس بن عبيد عن محمد بن سيرين قال : جلس ابن عباس فقرأ سورة
البقرة حتى أتى هذه الآية (ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين) فقال نسخت هذه الآية
وكذا رواه سعيد بن منصور عن هشيم عن يونس به ورواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على
شرطهما وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (الوصية للوالدين والاقربين) قال : كان
لا يرث مع الوالدين غيرها الا وصية للاقربين فانزل الله آية الميراث فبين ميراث الوالدين وأقر
وصية الاقربين في ثلث مال الميت وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا حجاج
ابن محمد أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس في قوله (الوصية للوالدين
والاقربين) نسختها هذه الآية (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً) ثم قال ابن أبي حاتم وروي عن ابن عمر وأبي
موسى وسعيد بن المسيب والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين وعكرمة وزيد
ابن أسلم والريبع بن أنس وقنادة والسدي ومقاتل بن حيان وطاوس وابراهيم النخعي وشريح
والضحاك والزهري أن هذه الآية منسوخة نسختها آية الميراث . والعجب من أبي عبد الله محمد بن
عمر ارازي رحمه الله كيف حكى في تفسيره الكبير عن أبي مسلم الاصفهاني أن هذه الآية غير منسوخة
وانما هي مفسرة بآية الموارث ومعناه كتب عليكم ما أوصى الله به من توريث الوالدين والاقربين
من قوله (يوصيكم الله في أولادكم) قال وهو قول أكثر المفسرين والمعتبرين من الفهاء قال ومنهم

ابتداء الاسلام للوالدين والاقربين على من مات وله مال ، ثم نسخت بآية الميراث . أخبرنا الامام
أبو علي الحسين بن محمد انقاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن نخمس الزياتي أخبرنا أبو بكر
محمد بن عمر بن حفص الناجر أخبرنا محمد بن احمد بن الوليد أخبرنا الهيثم بن جميل أخبرنا حماد
ابن سلمة عن قنادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن عمرو بن خارجة قال : كنت
أخذاً بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم « فقال ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث »
فذهب جماعة الى ان وجوبها صار منسوخاً في حق الاقارب الذين يرثون وبقي وجوبها في حق الذين
لا يرثون من الوالدين والاقارب ، وهو قول ابن عباس وطاروس وقنادة والحسن قال طاوس : من

قال في بيان (١)
التي هي آية الله
التي هي آية الله
التي هي آية الله
التي هي آية الله

من قال إنها منسوخة فيمن يرث ثابتة فيمن لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد (قلت) وبه قال أيضا سعيد بن جبير والربيع ابن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان ولكن على قول هؤلاء لا يسمى هذا نسخا في اصطلاحنا المتأخر لان آية الموارث انما رفعت حكم بعض افراد ما دل عليه عموم آية الوصاية لان الاقربين أعم ممن يرث ومن لا يرث فرفع حكم من يرث بما عين له وبقي الآخر على ما دلت عليه الآية الاولى وهذا انما يتأتى على قول بعضهم ان الوصاية في ابتداء الاسلام انما كانت نذبا حتى نسخت فأما من يقول أنها كانت واجبة وهو الظاهر من سياق الآية فيتعين أن تكون منسوخة بآية الميراث كما قاله أكثر المنسرين والمعتبرين من الفقهاء فان وجوب الوصية للوالدين والاقربين الوارثين منسوخ بالاجماع بل منهي عنه للحديث المتقدم « ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » فآية الميراث حكم مستقل ووجوب من عند الله لاهل الفروض والعصبات رفع بها حكم هذه بالسكينة ، بقي الاقارب الذين لا ميراث لهم يستحب له أن يوصي لهم من الثالث استئناسا بآية الوصية وشمولها ولما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده » قال ابن عمر ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي . والآيات والاحاديث بالامر ببر الاقارب والاحسان اليهم كثيرة جدا وقال عبد بن حميد في مسنده أخبرنا عبد الله عن مبارك بن حسان عن نافع قال قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « يا ابن آدم ثنتان لم يكن لك واحدة منهما : جمعت لك نصيبا في مالك حين أخذت بكظمك لا طهر لك به وأزكك وصلة عبادي عليك بعد انقضاء أجلك » وقوله (ان ترك خيرا) أى مالا قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبو العالية وعطية العوفي والضحاك والسدى والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وقتادة وغيرهم ثم أوصى بقوم سماهم وترك ذوى قرابته محتاجين انتزعت منهم وردت الى ذوى قرابته وذهب الا كثرون الى ان الوجوب صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق الذين لا يرثون أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا طاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عند رأسه » قوله تعالى ﴿ بالمعروف ﴾ يريد يوصي بالمعروف ولا يزيد على الثالث ولا يوصي للأنثى ويدع الفقير . قال ابن مسعود : الوصية للاخل فالاخل أي الاحوج فالاحوج . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن رجم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي عروة أخبرنا عبد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفیان الثوري عن سعيد بن ابراهيم عن عامر بن سعيد عن سعد بن مالك قال جاءني النبي صلى الله عليه وسلم بعدوني فقلت يا رسول الله أوصي بمالي كله ؟ قال لا : قلت فالشطر ؟ قال لا : قلت فالثالث ؟ قال

منهم من قال الوصية مشروعة سواء قل المال أو كثر كالورثة ومنهم من قال إنما يوصي إذا ترك مالا جليلا ثم اختلفوا في مقداره فقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ أخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال قيل لعلي رضي الله عنه أن رجلا من قریش قد مات وترك ثلثمائة دينار أو أربعمائة ولم يوص قال ليس بشيء إنما قال الله (أن ترك خيرا) وقال أيضا حدثنا هارون بن اسحق الهمداني حدثنا عبدة يعني ابن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه أن عليا دخل على رجل من قومه يعود فقل له أوص : فقال له علي إنما قال الله (أن ترك خيرا الوصية) إنما تركت شيئا يسيرا فاتركه لولدك وقال : الحاكم أن ابن حدثني عن عكرمة عن ابن عباس (أن ترك خيرا) قال ابن عباس : من لم يترك ستين دينارا لم يترك خيرا قال الحاكم قال طائوس لم يترك خيرا من لم يترك ثمانين دينارا وقال قتادة كان يقل ألفا فما فوقها . وقوله (بالمعروف) أي بالرفق والاحسان كما قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار حدثني سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن قوله (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت) فقال نعم الوصية حق على كل مسلم أن يوصي إذا حضره الموت بالمعروف غير المنكر والمراد بالمعروف أن يوصي لأقربيه وصية لا تجحف بورثته من غير اسراف ولا تنفير كما ثبت في الصحيحين أن سمدا قال يا رسول الله ان لي مالا ولا يرثني الا ابنة لي أفأوصي بشئ مالي ؟ قال لا ، قال فبالشطر ؟ قال لا ، قال فالثالث ؟ قال

« الثالث والثالث كثير إنك ان تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس بأيديهم » فقوله يتكففون الناس أي يسألون الناس الصدقة بأكفهم . وعن ابن أبي مليكة أن رجلا قال لعائشة رضي الله عنها إني أريد أن أوصي قالت كم مالك ؟ قال ثلاثة آلاف : قالت كم عيالك ؟ قال أربعة : قالت إنما قال الله (أن ترك خيرا) وإن هذا شيء يسير فاترك لعيالك . وقال علي رضي الله عنه لأن أوصي بالخمس أحب إلي من أن أوصي بالربع ولأن أوصي بالربع أحب إلي من أن أوصي بالثالث فمن أوصى بالثالث فلم يترك . وقال الحسن البصري رضي الله عنه يوصى بالسدس أو الخمس أو الربع . وقال الشعبي إنما كانوا يوصون بالخمس أو الربع . قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ نَصَّبَ عَلَى الْمَصْدَرِ وَقِيلَ عَلَى الْمَنْعُولِ أَيْ جَعَلَ الْوَصِيَّةَ حَقًّا ﴾ على المنقين ﴿ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَنَبِّئْهُ ﴾ أي غير الوصية من الأوصياء أو الأرباب أو الشهود ﴿ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ ﴾ أي بعد ما سمع قول الموصي ولذلك ذكر الكناية مع كون الوصية مؤنثة وقبل الكناية راجعة إلى الأوصياء كقوله تعالى ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ رد الكناية إلى الوعظ ﴿ فَأَمَّا أَنَّهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾ والميت برى منه ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لا أوصى به الموصي ﴿ بَتَبْدِيلِ الْمَبْدَلِ أَوْ سَمِيعٌ لَوْصِيَّتِهِ عَلَيْهِمْ بَنِيَّتُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَمَنْ خَافَ ﴾ أي علم كقوله تعالى ﴿ فَمَنْ خَفِيَ أَلَا بِقِيَامِ حَدُودِ اللَّهِ ﴾ أي علمتم ﴿ نَوْص ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب بفتح الواو وتشديد الصاد كقوله تعالى ﴿ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ رضىنا الإنسان - وقرأ الآخرون يسكون الواو وتخفيف الصاد كقوله تعالى ﴿ يَوْصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ - مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يَوْصِي بِهَا أَوْ

«الثالث والثالث كثير انك ان تذر ورثتك أغنياً خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس» وفي صحيح البخاري أن ابن عباس قال: لو أن الناس غصوا من الثالث إلى الرابع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الثالث والثالث كثير» وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد مولى بني هاشم عن زياد بن عتبة بن حنظلة سمعت حنظلة بن جذيم بن حنيفة أن جده حنيفة أوصى ليتيم في حجره بمائة من الأبل فشق ذلك على بنيه فارتفعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حنيفة أني أوصيت ليتيم لي بمائة من الأبل كنا نسيبها المطية فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا لا لا ، الصدقة خمس والا فعشر والا خمس عشرة والا فعشرون والا فخمس وعشرون والا فثلاثون والا فخمس وثلاثون فإن كثرت فأربعون» وذكر الحديث بطوله

وقوله (فمن بدله بعد ما سمعه فانما أثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم) يقول تعالى فمن بدل الوصية وحررها فغير حكمها وزاد فيها أو نقص ويدخل في ذلك الكتمان لها بطريق الأولى (فانما أثمه على الذين يبدلونه) قال ابن عباس وغير واحد وقد وقع أجر الميت على الله وتعلق الأثم بالذين بدلوا ذلك (ان الله سميع عليم) أي قد اطلع على ما وصى به الميت وهو عليم بذلك وبما بدله الموصي اليهم وقوله تعالى (فمن خاف من موص جنفا أو اثماً) قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والضحاك والرابع بن أنس والسدي : الجنف الخطأ وهذا يشمل أنواع الخطأ كلها بأن زادوا وارثاً بواسطة أو وسيلة كما اذا وصى ببيعة الشيء الفلاني محاباة أو أرضي لابن ابنته ليزيدها أو نحو ذلك من الوسائل اما مخطئاً غير عامد بل بطبعه وقوة شفقته من غير تبصر أو متعمداً آثماً في ذلك فله الوصي والحالة

دين (جنفا) أي جوراً وعدولاً عن الحق والجنف الميل (أو اثماً) أي ظلماً . وقال السدي وعكرمة والربيع : الجنف الخطأ والاثم العمد (فأصلح بينهم فلا اثم عليه) واختلفوا في معنى الآية قال مجاهد : معناه ان الرجل اذا حضر مريضاً وهو بوصي قرآه يميل إما بتقصير أو اسراف أو وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج على من حضره ان يأمر بالعدل وينها عن الجنف فينظر للموصي له والورثة . وقال الآخرون : انه أراد به اذا أخطأ الميت في وصيته أو جار معتمداً فلا حرج على وليه أو وصيه أو والي أمور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصي لهم ويرد الوصية إلى العدل والحق فلا اثم عليه أي فلا حرج عليه (ان الله غفور رحيم) وقال طائوس جنفه توجيهه وهو ان بوصي ابني بنيه يريد ابنته أو ولد ابنته لزوج ابنته بذلك ابنته . وقال السكابي : كان الأولياء والأصياء يمضون وصية الميت بعد نزول قوله تعالى (فمن بدله بعد ما سمعه) الآية وان استغرق المال كله ولم يبق للورثة شيء . ثم نسخها قوله تعالى (فمن خاف من موص جنفا) الآية قال ابن زيد : فعجز الموصي ان بوصي للأولاد والاقرب بين كما أمر الله تعالى ، وعجز الوصي ان يصلح فانتزع الله تعالى ذلك منهم ففرض الفرائض ، روى عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الرجل ليممل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرها الموت فيضاران في الوصية فتجب لها النار . ثم قرأ

هذه أن يصلح القضية ويعدل في الوصية على الوجه الشرعي ، ويعدل عن الذي أوصى به الميت الى ما هو أقرب الاشياء اليه وأشبه الامور به جمعا بين مقصود الموصي والطريق الشرعي ، وهذا الاصلاح والتوفيق ليس من التبديل في شيء . ولهذا عطف هذا فينبه على النهي عن ذلك ليعلم أن هذا ليس من ذلك بسبيل والله أعلم . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مزير قراة أخبرني أبي عن الاوزاعي قال الزهري حدثني عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « برد من صدقة الجانف (١) في حياته ما يرد من وصية الجنف عند موته » وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه من حديث العباس بن الوليد به قال ابن أبي حاتم وقد أخطأ فيه الوليد بن يزيد ، وهذا الكلام إنما هو عن عروة فقط وقد رواه الوليد بن مسلم عن الاوزاعي فلم يجاوز به عروة ، وقال ابن مردويه أيضا حدثنا محمد بن احمد بن ابراهيم حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا هشام ابن عمار حدثنا عمر بن المعيرة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قل « الجنف في الوصية من الكبائر » وهذا في رفعه أيضا نظرا وأحسن ما ورد في هذا الباب ما قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن أشعث بن عبيد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى حاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار . وان الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » قال أبو هريرة : اقرؤا ان شئتم (تلك حدود الله فلا تعتدوها) الآية

(١) وفي نسخة
الازهر الخائف

(١٨٢) يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلهم يتقون (١٨٣) أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون يقول تعالى مخاطبا للمؤمنين من هذه الامة وأمرأ لهم بالصيام وهو الامساك عن الطعام والشراب

أبو هريرة من بعد وصية الى قوله (غير مضار) قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ أي فرض وأوجب ، والصوم والصيام في اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة لان الشمس اذا بلغت كبد السماء كلها وقفت وأمسكت عن السير سرية ، ومنه قوله تعالى (فقل لي اني نذرت للرحمن صوما) أي صمتا لانه امساك عن الكلام ، وفي الشريعة الصوم هو الامساك عن الاكل والشرب والجماع مع النية في وقت مخصوص ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ من الانبياء والامم واختلفوا في هذا التشبيه فقال سعيد بن جبير : كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان في ابتداء الاسلام . وقال جماعة من أهل العلم أراد ان صيام رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا ، فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في أسفارهم ويضرهم في معاشهم ، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على ان يجعلوا صيامهم في فصل من

والوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الاخلاط الرديئة والاخلاق الرذيلة وذكر انه كما أوجب عليه فقد أوجب على من كان قبلهم فلم فيه اسوة وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل بما فعله أولئك كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات) الآية ولهذا قال ههنا (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) لان الصوم فيه تزكية للبدن وتنضيق لمسالك الشيطان ولهذا ثبت في الصحيحين «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء» ثم بين مقدار الصوم وانه ليس في كل يوم اثلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه بل في أيام معدودات . وقد كان هذا في ابتداء الاسلام يصومون من كل شهر ثلاثة أيام ثم نسخ ذلك بصوم شهر رمضان كما سيأتي بيانه . وقد روي از الصيام كان أولا كما كان عليه الامم قبلنا من كل شهر ثلاثة أيام عن معاذ وابن مسعود وابن عباس وعطاء وقتادة والضحاك بن مزاحم وزاد لم يزل هذا مشددا من زمان نوح الى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان . وقال عباد بن منصور عن الحسن البصري (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » أياما معدودات) فقال نعم والله لقد كتب الصيام على كل أمة قد خلت كما كتبه علينا شهرا كاملا وأياما معدودات عددا معلوما ، وروي عن السدي نحوه . وروي ابن أبي حاتم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني عبد الله بن الوليد عن أبي الربيع رجل من أهل المدينة عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صيام رمضان كتبه الله على الامم قبلكم» في حديث طويل اختصر منه ذلك . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن حدثه عن ابن عمر قال أنزلت (كتب عليكم الصيام السنة بين الشتاء والصيف ، فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعةين ثم ان ما كالم اشتكى فنه جعل الله عليه ان هو بريء من وجهه ان يزيد في صومهم أسبوعا فبري فزاد فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال : أتموه خمسين يوما . وقال مجاهد : أصابهم موتان . فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا فيه عشرة قبل وعشرا بعد . قال الشعبي : لو صمت السنة كلها لافطرت اليوم الذي يشك فيه ، فيقال من شعبان ويقال من رمضان ، وذلك ان النصراني فرض عليهم شهر رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ، ثم لم يزل الآخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صاروا الى خمسين يوما ، فذلك قوله تعالى - كما كتب على الذين من قبلكم - (لعلكم تتقون) يعني بالصوم لان الصوم وصلة الى التقوي لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات ، وقيل : لعلكم تتقون - تحذرون عن الشهوات من الاكل والشرب والجماع (أياما معدودات) قيل كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا ، وصوم يوم عاشوراء فصاموا كذلك من الربيع الى شهر رمضان سبعة عشر شهرا . ثم نسخ بصوم رمضان . قال ابن عباس : أول ما نسخ بعد الهجرة أمر

(٥١ - تفسير ابن كثير والبغوي)

كما كتب على الذين من قبلكم) كتب عليهم اذا صلى أحدهم العتمة ونام حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى مثلها ، قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس وأبي العالية وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومجاهد وسعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس وعطاء الخراساني نحو ذلك : وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس (كما كتب على الذين من قبلكم) يعني بذلك أهل الكتاب وروى عن الشعبي والسدي وعطاء الخراساني مثله . ثم بين حكم الصيام على ما كان عليه الامر في ابتداء الاسلام فقال (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) أي المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من المشقة عليهما بل يفطران ويقضيان بعدة ذلك من أيام أخر وأما الصحيح المقيم الذي يطيق الصيام فقد كان مخيرا بين الصيام وبين الاطعام ان شاء صام وان شاء أفطار وأطعم عن كل يوم مسكينا فان أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير وان صام فهو أفضل من الاطعام قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطاوس ومقاتل بن حيان وغيرهم من السلف ولهذا قال تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون)

وقال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا المسعودي حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال أحيات الصلاة ثلاثة أحوال وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فأما أحوال الصلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهو يصلي سبعة عشر شهرا الى بيت المقدس ثم ان الله عز وجل أنزل عليه (قد نرى قلبك وجهك في السماء فانزولينك قبلة ترضاها) لاية فوجهه الله الى مكة هذا حول ، قل وكانوا يجتمعون للصلاة ويؤذن بها بعضهم بعضا حتي تقسوا أو كادوا ينقسون ثم ان رجلا من الانصار يقل له عبد الله بن زيد بن عبد ربه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال يا رسول الله اني رأيت فما يرى النائم ولو قلت اني لم أكن نائما لصدقت اني بينا أنا بين القبلة والصوم ويقال نزل صوم شهر رمضان قبل بدر بشهر وأيام . قال محمد بن اسحق كانت غزوة بدر يوم الجمعة اسبوع عشر ليلة خلت من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة . حدثنا أبو الحسن الشيرازي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه ، فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ، ومن شاء تركه ، وقبل المراد من قوله (أيام معدودات) شهر رمضان وهي غير منسوخة ونصب أياما على الظرف ، أي في أيام معدودات . وقيل على التفسير وقيل على هو خبر ما لم يسم فاعله ﴿ فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة ﴾ أي فافطر فعدة ﴿ من أيام أخر ﴾ أي فعلية عدة ، والعدد والمدة واحد (من أيام أخر) أي غير أيام مرضه وسفره ، وأخر في موضع خفض لكنها لا تنصرف فذلك نصبت . قوله تعالى

النائم واليقظان اذ رأيت شخصا عليه ثوبان أخضران فاستقبل القبلة فقال: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله الا الله - منى - حتى فرغ من الاذان ثم أمهل ساعة ثم قال مثل الذي قال غير انه يزيد في ذلك: قد قامت الصلاة - مرتين - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «علمها بلالا فليؤذن بها» فكان بلال أول من أذن بها: قال وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا رسول الله قد طاف بي مثل الذي طاف به غيري، فلهذا حالان، قال وكانوا يأتون الصلاة وقد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم يعضها فكان الرجل يشير الى الرجل اذن كم صلى فيقول واحدة او اثنتي فيصليهما ثم يدخل مع القوم في صلاتهم قال فجاء معاذ فإلا لا أجده على حال ابدا الا كنت عليها ثم قضيت ما سبقني قال فجاء وقد سبقه النبي صلى الله عليه وسلم يعضها قال فثبت معه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فقضى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انه سن لكم معاذ فهكذا فاصنعوا» فهذه ثلاثة أحوال، واما احوال الصيام فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصام عشورا ثم ان الله فرض عليه الصيام وانزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) الى قوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فأجزأ ذلك عنه، ثم ان الله عز وجل انزل الآية الاخرى (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن) الى قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ودرخص فيه للمريض والمسافر وثبت الاطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام، فهذان حالان، قال وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناسوا فاذا ناموا امتنعوا ثم ان رجلا من الانصار يقال له صرمة كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء الى أهله فعلى النساء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صائما فراه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جهد جهدا شديدا فقال «ما لي أراك قد جهدت»

﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ اختلاف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها فذهب اكثرهم الى ان الآية منسوخة وهو قول ابن عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما، وذلك أنهم كانوا في ابتداء الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا أو يندروا خیرهم الله تعالى لثلاث بشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم، ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) قال قتادة: هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي يطبق الصوم، لكن يشق عليه رخص له في ان يفطر ويفدى ثم نسخ. وقال الحسن: هذا في المريض الذي به ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم خير بين ان يصوم وبين ان يفطر او يفدى، ثم نسخ بقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وثبتت الرخصة للذين لا يطيقون، وذهب جماعة الى ان الآية محكمة غير منسوخة، ومعناه: وعلى الذين كانوا يطيقونه) في حال الشباب فمجزوا عنه في حال الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم، وقرأ ابن عباس (وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وتخفيفها وفتح الواو وتشديد هاء اي يكلفون الصوم وتأمله على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم، والمريض الذي لا يرجى

جهداً شديداً؟ قال يا رسول الله اني عملت أمس فجئت حين جئت فألقيت نفسي فتمت فأصبحت حين أصبحت صائماً قال وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأني النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله عز وجل (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم - إلى قوله - ثم أنموا الصيام إلى الليل) وأخرجه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث المسعودي به وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت كانت عاشوراء يصام فلما نزل فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر . وروى البخاري عن ابن عمر وابن مسعود مثله

وقوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) كما قال معاذ رضي الله عنه كان في ابتداء الأمر من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكيناً ، وهكذا روى البخاري عن سلمة بن الأكوع أنه قال لما نزلت (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) كان من أراد أن يفطر فنفدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها ، وروى أيضاً من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال هي منسوخة : وقال السدي عن مرة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قال يقول (وعلى الذين يطيقونه) أي يتجشمونه : قال عبد الله فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكيناً (فمن تطوع) يقول أطعم مسكيناً آخر فهو خير له (وإن تصوموا خير لكم) فكانوا كذلك حتى نسختها (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وقال البخاري أيضاً أخبرنا اسحق حدثنا روح حدثنا زكريا بن اسحق حدثنا عمرو بن دينار عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قال ابن عباس ليست منسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطمان مكان كل يوم مسكيناً وهكذا روى غير واحد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه ، وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (وعلى الذين يطيقونه فدية

زوال مرضه فهم بكلفون الصوم ولا يطيقونه فلهم أن يفطروا ويطعموا مكان كل يوم مسكيناً وهو قول سعيد بن جبير : وجعل الآية محكمة قوله تعالى ﴿ فدية طعام مسكين ﴾ قرأ أهل المدينة والشام مضافاً ، وكذلك في المائدة كقراءة طعام مسكين ، أضاف الفدية إلى الطعام وإن كان واحداً لاختلاف اللفظين كقوله تعالى وحب الحصيد ، وقولهم : مسجد الجامع وربيع الأول . وقروا الآخرون فدية وكفارة منونة طعام رفع وقرأ مساكين بالجمع هذا أهل المدينة والشام . وآخرون على التوحيد فمن جمع نصب النون ومن وحد خفض النون ونونها ، والفدية الجزاء . ويجب أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً مدا من الطعام بمقدار النبي صلى الله عليه وسلم - وهو رطل وثلاث من غالب قوت البلد . هذا قول فقهاء الحجاز : وقال بعض فقهاء أهل المراق : عليه لكل مسكين نصف صاع لكل يوم يفطر . وقال بعضهم : نصف صاع من قح أو صاع من غيره . وقال بعض الفقهاء ما كان المفطر يتقوته يومه الذي أفطره . وقال ابن عباس : يعطى كل مسكين عشاء ، وسحوره

طعام مسكين) في الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ثم ضعف فرخص له ان يطعم مكان كل يوم مسكينا ، وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا الحسين بن محمد بن بهرام الخزومي حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد بن عبد الله عن ابن أبي ليلى ، قال دخلت على عطاء في رمضان وهو يأكل فقال قال ابن عباس نزلت هذه الآية فتسخت الاولى الا الكبير الفاني ان شاء أطعم عن كل يوم مسكينا وأفطر - فحصل الامر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه لقوله (فن شهد منكم الشهر فليصمه) وأما الشيخ الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه لانه ليست له حال يصير اليها يتمكن فيها من القضاء ولكن هل يجب عليه اذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكينا اذا كان ذا جدة؟ فيه قولان للعلماء أحدهما لا يجب عليه اطعام لانه ضعيف عنه اسننه فلم يجب عليه فدية كالصبي لان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وهو أحد قولي شافعي والثاني وهو الصحيح وعليه أكثر العلماء انه يجب عليه فدية عن كل يوم كما فسر له ابن عباس وغيره من السلف على قراءة من قرأ (وعلى الذين يطيقونه) أي يتجشمونه كما قاله ابن مسعود وغيره وهو اختيار البخاري فانه قال وأما الشيخ الكبير اذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعد ما كبر ما أو عامين عن كل يوم مسكينا خبزاً ولحماً وأفطر وهذا الذي علقه البخاري قد اسنده الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده فقال حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا عمران عن أيوب بن أبي نيمه قال ضعف أنس عن الصوم فصنع جفنة من ثريد فدعا ثلاثين مسكينا فاطعمهم ، ورواه عبد بن حميد عن روح بن عباد عن عمران وهو ابن جرير عن أيوب به . ورواه عبد أيضا من حديث ستة من أصحاب أنس عن أنس بمناه . وما يلتحق بهذا المعنى الحامل والمرضع اذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما ففيهما خلاف كثير بين العلماء فمنهم من قال يفطران ويفضيان وقيل يفديان فقط ولا قضاء

﴿ فمن تطوع خيرا فهو خير له ﴾ اي زاد على مسكين واحد فاطعم مكان كل يوم مسكينين فأكثر قال مجاهد وعطاء وطاوس : وقيل من زاد على القدر الواجب عليه فاعطى صاعا وعليه مد فهو خير له ﴿ وان تصوموا خيرا لكم ﴾ فمن ذهب الى النسخ قال معناه الصوم خير له من الفدية . وقيل هذا في الشيخ الكبير لو تكلف الصوم وان شق عليه فهو خير له من ان يفطر ويفدى ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ واعلم انه لا رخصة لمؤمن مكلف في افطار رمضان الا لثلاثة . أحدهم يجب عليه القضاء والكفارة والثاني عليه القضاء دون الكفارة ، والثالث عليه الكفارة دون القضاء . اما الذي عليه القضاء والكفارة ، فالحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما فانهما تفطران وتفضيان وعليهما مع القضاء الفدية . وهذا قول ابن عمر وابن عباس وبه قال مجاهد واليه ذهب الشافعي رحمه الله . وقال قوم لا فدية عليهما : وبه قال الحسن وعطاء وإبراهيم النخعي والزهري واليه ذهب الاوزاعي والثوري وأصحاب الرأي . واما الذي عليه القضاء دون الكفارة فالمرضى والمسافر والحائض والنفساء . واما الذي عليه الكفارة دون القضاء فالشيخ الكبير والمرضى الذي لا يرجى زوال مرضه . ثم بين الله تعالى أيام الصيام فقال

باسم الله (١)
 وصحة : وصحة
 (٢) رواية البخاري
 (٣) نسخة الشيخ

وقيل يجب القضاء بلا فدية وقبل يفطران ولا فدية ولا قضاء وقد بسطنا هذه المسألة مستقصاة في كتاب الصيام الذي أفردناه والله الحمد والمنة

(١٨٤) شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وهدي للناس وبينات من الهدى والفرقان

فن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم وأعلمكم تشكرون*
يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لانزال القرآن العظيم وكما اختصه بذلك قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الالهية تنزل فيه على الانبياء قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي فليح عن وائلة يعني بن الاسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أنزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والانجيل ثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل الله القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان » وقد روي من حديث جابر ابن عبد الله وفيه: أن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان والانجيل لثماني عشرة والباقي كما تقدم. رواه ابن مردويه وأما الصحف والتوراة والزبور والانجيل فنزل كل منها على النبي الذي أنزل

(شهر رمضان) رفعه على معنى هو شهر رمضان. وقال الكسائي: كتب عليكم شهر رمضان وسمي الشهر شهراً لشهرته وأما رمضان فهد قال مجاهد هو من أماء الله تعالى، يقال شهر رمضان كما يقال شهر الله. والصحيح أنه سمي للشهر سمي به من لرمضاء وهي الحجارة المحمأة وهم كانوا يصومونه في الحر الشديد وكانت ترمض فيه الحجارة من الحرارة قوله تعالى (لذي أنزل فيه القرآن) سمي القرآن قرآناً لأنه يجمع السور والآي والحروف وجمع فيه القصص والامر والنهي والوعيد والوعيد وأصل القرء الجمع وقد يحذف الهمزة فيقال قرئت الماء في الحوض إذا جمته. وقرأ ابن كثير: القرآن بفتح الراء غير مهموز. وكذلك كان يقرأ الشافعي ويقول ليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل. وروى عن متهم عن ابن عباس: أنه سئل عن قوله عز وجل (شهر رمضان) الذي أنزل فيه القرآن. وقوله: أنا أنزلناه في ليلة القدر. وقوله: أنا أنزلناه في ليلة مباركة. وقد نزل في سائر الشهور. وقال عز وجل: وقرآننا فرقناه، فقال أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوماً في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم) قول داريد بن أبي هند: قات للشعي: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن اما كان ينزل في سائر الشهور؟ قال بلى. ولكن جبرائيل كان يعارض محمداً صلى الله عليه وسلم في رمضان ما أنزل الله اليه فيحبر (١) الله ما يشاء ويثبت ما يشاء. وروى عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه

(١) لعل الاصل
الصحيح: فيمحو
لقوله تعالى (يمحو
الله ما يشاء ويثبت)

عليه جملة واحدة وأما القرآن فأنما نزل جملة واحدة الى بيت العزة من السماء الدنيا وكان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر منه كما قال تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقال (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) ثم نزل بعده مفردا بحسب الوقائع على رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا روي من غير وجه عن ابن عباس كما قال اسرائيل عن السدي عن محمد بن أبي المجالد عن مقسم عن ابن عباس أنه سأل عطية بن الاسود فقال وقع في قلبي الشك قول الله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) وقوله (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) وقوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقد أنزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وصفر وربيع فقال ابن عباس: انه أنزل في رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيبا في الشهور والايام رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وهذا لفظه وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أنزل القرآن في النصف من شهر رمضان الى سماء الدنيا فجعل في بيت العزة ثم أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة لجواب كلام الناس وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال: نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر الى هذه السماء الدنيا جملة واحدة وكان الله يحدث لنبهه ما يشاء ولا يجيئ المشركون بمثل يخاصمون به إلا جاءهم الله بحجابه وذلك قوله (وقال الذين كفروا لو لا أنزل عليه

وسلم قال أنزلت صحف إبراهيم في ثلاث ايام مضين من رمضان ويروى في أول ليلة من رمضان وأنزلت تورا موسى في ست ليال مضين من رمضان وأنزل الانجيل على عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل لزبور على داود في ثمان عشرة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين من شهر رمضان لست بدين بعدها . قوله تعالى ﴿ هدى للناس ﴾ من الضلالة وهدى في محل النصب على القطع لان القرآن معرفة وهدى نكرة ﴿ وبينات من الهدى ﴾ أي دلالات واضحات من الحلال والحرام والحدود والاحكام ﴿ والفرقان ﴾ أي الفارق بين الحق والباطل . قوله تعالى ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ أي فمن كان مقيما في الحضر فأدركه الشهر واختلف أهل العلم فيمن أدركه الشهر وهو مقيم ثم سافر . روي عن علي رضي الله عنه انه قال يجوز له الفطر وبه قال عبيدة السلماني لقوله تعالى ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ أي الشهر كله وذبح أكثر الصحابة والعقهاء الى انه اذا انشأ السفر في شهر رمضان جاز له ان يفطر ومعنى الآية فمن شهد منكم الشهر كله فليصمه أي الشهر كله ومن لم يشهد منكم الشهر كله فليصم ما شهد منه والدليل عليه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن احمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو منصور عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأنظر الناس معه فكانوا يأخذون بالاحداث فلا حدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . قوله تعالى ﴿ ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ أباح الفطر لغير المرض والسفر وأعاد هذا الكلام ليعلم ان هذا الحكم

القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا هـ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدق به واتبه (وبينات) أي ودلائل وحجج بينة واضحة جلية لمن فهمها وتدبرها دالة على صحة ما جاء به من الهدى المباني للضلال والرشد المخالف للغي ومفرقا بين الحق والباطل والحلال والحرام وقد روي عن بعض السلف أنه كره أن يقل الأشهر رمضان ولا يقال رمضان، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن بكار بن الريان حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي وسعيد هو المقبري عن أبي هريرة قال: لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان - قال ابن أبي حاتم وقد روي عن مجاهد ومحمد بن كعب نحو ذلك ورخص فيه ابن عباس وزيد بن ثابت (قلت) أبو معشر هو نجيح بن عبد الرحمن المدني امام المغازي والسير ولكن فيه ضعف وقد رواه ابنه محمد عنه فجعله مرفوعا عن أبي هريرة وقد أنكره عليه الحفاظ بن عدي وهو جدير بالانكار فانه متروك وقد وهم في رفع هذا الحديث وقد انتصر البخاري رحمه الله في كتابه لهذا فقال: باب يقال رمضان وساق أحاديث في ذلك منها «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» ونحو ذلك وقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) هذا إيجاب حتم على من شهد استهلال الشهر أي كان مقبلا في البلد حين دخل شهر رمضان وهو صحيح في بدنه أن

ثابت في الناسخ ثبوته في المنسوخ واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر فذهب أهل الظاهر إلى أن ما يطلق عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين قال طريف بن تمام المطاردي دخلت على محمد بن سيرين في رمضان وهو يأكل فقال انه وجعت أصبعي هذه . وقال الحسن وإبراهيم النخعي هو المرض الذي يجوز به الصلاة قاعدا . وذهب الأكثرون إلى انه مرض يخاف معه من الصوم زيادة علة غير محتملة وفي الجملة انه اذا أجهد الصوم أفطر وان لم يجهد فهو كالصحيح . وأما السفر فالفطر فيه مباح والصوم جائز عند عامة أهل العلم الا ما روي عن ابن عباس وأبي هريرة وعروة بن الزبير وعلي بن الحسين انهم قالوا لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء، احتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم «ليس من البر الصوم في السفر» وذلك عند الآخرين في حق من يجهد الصوم فلاولى له أن يفطر والدليل ما أخبرنا به عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم أخبرنا شعبة أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الانصاري قال سمعت محمد بن عمرو بن الحسين بن علي عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظل عليه فقال ما هذا ؟ قالوا هذا صائم فقال «ليس من البر والصوم في السفر» والدليل على جواز الصوم ما حدثنا الاستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أخبرنا أبو نعيم الاسفرائيني أخبرنا أبو عوانة أخبرنا أبو أمية أخبرنا عبد الله القواريري أخبرنا حماد بن زيد أخبرنا الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: كنا نسافر مع رسول الله

يصوم لا محالة ونسخت هذه الآية الاباحة المتقدمة بان كان صحيحا مقيا أن يفطر وبغدي باطعام مسكين عن كل يوم كما تقدم بيانه (١) ولما ختم الصيام أعاد ذكر الرخصة للمريض والمسافر في الاقطار بشرط القضاء فقال (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر) معناه ومن كان به مرض في بدنه يشق عليه الصيام معه أو يؤذيه أو كان على سفر أى في حال السفر فله أن يفطر فاذا افطر فعليه عدة ما أفطره في السفر من الايام . ولهذا قال (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) أى انما رخص لكم في الفطر في حال المرض وفي السفر مع تخفيفه في حق المقيم الصحيح تيسيرا عليكم ورحمة بكم وههنا مسائل تتعلق بهذه الآية (احداها) أنه قد ذهب طائفة من الساف الى أن من كان مقيا في أول الشهر ثم سافر في أثنائه فليس له الا فطار بعذر السفر والحالة هذه لقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وانما يباح الافطار لمسافر استهل الشهر وهو مسافر وهذا القول غريب نقله ابو محمد بن حزم في كتابه المحلى عن جماعة من الصحابة والتابعين وفيما حكاه عنهم نفاظر والله أعلم فانه قد ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خرج في شهر رمضان لغزوة الفتح فسار حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأمر الناس بالفطر أخرجه صاحبنا الصحيح (الثانية) ذهب آخرون من الصحابة والتابعين الى وجوب الافطار في السفر لقوله (فعدة من أيام آخر) والصحيح قول الجمهور أن الامر في ذلك

صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم واختلفوا في أفضل الامرين . فقالت طائفة : الفطر في السفر أفضل من الصوم . روى ذلك عن ابن عمر واليه ذهب سعيد بن المسيب والشعبي . وذهب قوم الى ان الصوم أفضل وروى ذلك عن معاذ بن جبل وأنس وبه قال ابراهيم النخعي وسعيد بن جبير . وقالت طائفة أفضل الامرين أيسرهما عليه لقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وهو قول مجاهد وقتادة وعمر ابن عبد العزيز : ومن أصبح مقيا صاعما ثم سافر في أثناء النهار لا يجوز له ان يفطر ذلك اليوم عند أكثر أهل العلم . وقالت طائفة له ان يفطر ، وهو قول الشعبي وبه قال أحمد . أما المسافر اذا أصبح صاعما فيجوز له ان يفطر بالاتفاق والدليل عليه ما أخبر عبد الوهاب بن محمد الخطيب اخبرنا عبد العزيز ابن احمد الخلال اخبرنا أبو العباس الاصم اخبرنا الربيع اخبرنا الشافعي اخبرنا عبد العزيز بن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم صام الناس معه ، فقيل له يا رسول الله ان الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدر من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون فافطر بهض الناس وصام بعضهم فبلغه ان ناسا صاموا ، فقال أولئك العصاة . واختلفوا في السفر الذي يبيح الفطر ، فقال قوم مسيرة يوم وذهب جماعة الى مسيرة يومين وهو قول الشافعي رحمه الله ، وذهب جماعة الى مسيرة ثلاثة أيام وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي قوله تعالى ﴿ يريد الله بكم اليسر ﴾ باباحة الفطر في المرض والسفر ﴿ ولا يريد بكم العسر ﴾ قرأ أبو جعفر . العسر واليسر ونحوهما بضم السين ، وقرأ الآخرون (٥٢) — تفسير ابن كثير والبغوي

(١) هذا على القول
بنسخه والارجح
مارواه البخاري عن
ابن عباس من عدم
النسخ وان القدية
على من يطيقه بمسقة
وحرج كالزمن
والهرم

على التخيير وليس بحتم لأنهم كانوا يخرجون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان قال :
 فيما الصائم وما افطر فلم يصب الصائم على المفطر ولا افطر على الصائم فلو كان الافطار هو الواجب
 لانكر عليهم الصيام بل الذي ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان في مثل هذه
 الحالة ما ثبت في الصحيحين عن أبي الدرداء قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في شهر رمضان في حر شديد حتى إن كان أحدهنا يبضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم
 إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة (الثالثة) قالت طائفة منهم الشافعي : الصيام في
 السفر أفضل من الافطار لفعل النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقالت طائفة بل الافطار أفضل أخذاً
 بالرخصة ولما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الصوم في السفر فقال : « من
 أفطر فحسن ومن صام فلا جناح عليه » وقل في حديث آخر : « عليكم برخصة الله التي رخص لكم »
 وقالت طائفة هما سواء لحديث عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمي قل يا رسول الله إني كثير الصيام
 أفأصوم في السفر ؟ فقال « ان شئت فصم وإن شئت فافطر » وهو في الصحيحين وقيل إن شق الصيام
 فالافطار أفضل لحديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً قد ظل عليه فقال : « ما
 هذا ؟ قاروا صائم فقال « ليس من البر الصيام في السفر » أخرجاه فأما ان رغب عن السنة ورأى

بالسكون . وقال الشعبي : ما خير رجل بين أمرين فاختار أيسرهما إلا كان ذلك أحبهما إلى الله
 عز وجل ﴿ ولتكملا العدة ﴾ قرأ أبو بكر بتشديد الميم . وقرأ الآخرون بالتخفيف وهو الاختيار
 لقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) والواو في قوله تعالى ولتكملا واو النسق واللام كي
 تقديره ويريد لكي لتكملا العدة أي لتكملا عدة أيام الشهر بقضاء ما أفطرت في مرضكم وسفركم
 وقال عطاء (ولتكملا العدة) أي عدد أيام الشهر أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا
 العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك عن
 عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون فلا
 تصوموا حتى ترو الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاكملا العدة ثلاثين » أخبرنا أحمد
 بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الخيري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي
 أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال :
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تقدموا الشهر بصوم يوم ولا يومين إلا أن يوافق ذلك صوما
 كان يصومه أحدكم ، صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين ثم افطروا وتكبروا
 الله ﴿ ولتعظموا الله ﴾ (على ما هداكم) أرشدكم إلى ما رضي به من صوم شهر رمضان وخصكم به دون
 سائر أهل الملل . قال ابن عباس هو تكبيرات ليلة الفطر : وروى الشافعي عن ابن المسيب وعروة
 وأبي سلمة أنه كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير وشبه ليلة النحر بها إلا من كان حاجاً ، وذكره
 التلبية ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ الله على نعمه وقد وردت أخبار في فضل شهر رمضان وثواب الصائمين

قال في العدة (١)
 وهو ما عرفت
 من حديث الشافعي
 في شهر رمضان
 في حر شديد
 حتى إن كان أحدهم
 يبضع يده على رأسه
 من شدة الحر وما فينا
 صائم إلا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 وعبد الله بن رواحة

أن الفطر مكروه اليه فهذا يتعين عليه الافطار ويحرم عليه الصيام والحالة هذه لما جاء في مسند الامام احمد وغيره عن ابن عمر وجابر وغيرهما : من لم يقبل رخصة الله كان عليه من لائم مثل جبال عرفة .
 (الرابعة القضاء) هل يجب متابعا أو يجوز فيه التفريق فيه قولان : (أحدهما) أنه يجب التتابع لان القضاء يحكي الاداء والثاني لا يجب التتابع بل ان شاء فرق وان شاء تابع وهذا قول جمهور السلف والخلف وعليه ثبتت الدلائل لان التتابع انما وجب في الشهر لضرورة أدائه في الشهر فأما بعد ايقضاء رمضان فلما راد صيام ايام عدة ما افطر ولهذا قال تعالى (فعدة من ايام اخر) ثم قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) قال الامام احمد : حدثنا اوسمة الخزاعي - حدثنا ابو هلال عن حميد بن هلال العدوي عن ابي قتادة عن ابي ابي الذي سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ان خير دينكم ايسره ان خير دينكم ايسره » وقال احمد ايضا حدثنا يزيد بن هارون اخبرنا عاصم بن هلال حدثنا عامر ابن عروة الفقيمي حدثني ابي عروة قال كنا ننتظر النبي صلى الله عليه وسلم فخرج يقطر راسه من رضو او غسل فصلي فلما قضى الصلاة جعل الناس يسألونه : علينا خرج في كذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان دين الله في يسر » - ثلاثا يقولها - ورواه الامام ابو بكر بن مردويه في تفسير هذه

اخبرنا ابو عبد الله محمد بن الحسن المروزي اخبرنا ابو العباس احمد بن محمد بن سراج الطحان اخبرنا ابو احمد بن قريش بن سليمان اخبرنا علي بن عبد العزيز المكي اخبرنا ابو عبيد التامم بن سلام حدثني ابي عاصم بن جعفر عن ابي سهل نافع بن مالك عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا دخل رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار اخبرنا ابو عثمان سعيد بن ابي عاصم الضبي اخبرنا ابو محمد عبد الجبار بن محمد بن الجراح اخبرنا ابو العباس محمد بن احمد المحبوبي اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي اخبرنا ابو كرب محمد بن العلا اخبرنا ابو بكر محمد بن عياش عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر » والله عتقا من النار وذلك كل ليلة ، اخبرنا ابو بكر احمد بن أبي نصر بن احمد الكوفاني الهروي بها اخبرنا ابو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد النجفي المصري بها المعروف بأبي النجاش قيل له اخبركم ابو سعيد احمد بن محمد بن زياد المقبري البصري بمكة المعروف بابن الاعرابي اخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني اخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري اخبرنا ابو سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، اخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي اخبرنا ابو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي نزار حدثنا الحسين بن احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن

الآية من حديث مسلم بن أبي تميم عن عاصم بن هلال به. وقال الامام احمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال حدثنا أبو التياح سمعت أنس بن مالك يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا» أخرجه في الصحيحين وفي الصحيحين أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما ذابني موسى حير بهما إلى التبر «بشرا ولا تنفروا ويسرا ولا تعسرا وتطارعا ولا تختلعا» وفي السنن والمسند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بعثت بالحنفية السمحة» وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا عبد الله بن اسحق بن ابراهيم حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا أبو مسعود الحريري عن عبد الله بن شقيق عن محجن بن الادرع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي قترا آه يبصر ساعة فقال «أتراه يصلي صادقا؟» قال قلت يا رسول الله: هذا أكثر أهل المدينة صلاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تسمعه فتهاكبه» وقال «ان الله إنما أراد بهذه الامة اليسر ولم يرد بهم العسر» ومعنى قوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة) أي إنما أرخص لكم في الافطار للرخص والسفر ونحوهما من الاعذار لارادته بكم اليسر وانما امركم بالقضاء لتكملوا عدة شهركم وقوله (واتكبروا الله على ما هداكم) أي واتذكروا الله عند انقضاء عبادتكم كما قال (فاذا قضيتهم

أسد الصفار أخبرنا أبو جعفر احمد بن محمد بن أبي اسحق الغزي أخبرنا علي بن حجر بن اباس السعدي أخبرنا أبو ف بن زياد عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال «يا أيها الناس انه قد أظلمكم شهر عظيم - وفي رواية قد أظلمكم بالطاء أطل أشرف - شهر عظيم شهر مبارك شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليلة تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه. ومن أدى فيه فريضة كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه. وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة - أي المساهمة - وشهر يزداد فيه الرزق ومن فطر فيه صائما كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبة من النار وكان له مثل أجره من غير ان ينقص من أجره شيء » قالوا يا رسول الله ليس كلنا نجد ما نفطر به الصائم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائما على مذقة لبن أو نمرة أو شربة من ماء، ومن أشبع صائما سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظلمأ بعدها حتى يدخل الجنة، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار حتى يدخل الجنة، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فاستكملوا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما. أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ان لا إله إلا الله وتسغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار » أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن مخمش الزياتي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الناجر أخبرنا ابراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي

مناسكتكم فاذا كروا الله كذا كركم آباءكم أو أشد ذكرا) وقال (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعالمكم تغلحون) وقال (فسبح بحمد ربك قبل طوع الشمس وقبل الغروب) ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) ولهذا جاءت السنة باستحباب التسبيح راا حميد والتكبير بعد الصلوات المكتوبات وقال ابن عباس : ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالتكبير ولهذا أخذ كثير من العلماء مشروعية التكبير في عيد الفطر من هذه الآية (ولتكمّلوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم) حتى ذهب داود بن علي الاصبهاني الظاهري الى وجوبه في عيد البطر لظاهر الامر في قوله (ولتكبروا الله على ما هداكم) وفي مقابلته مذهب أبي حنيفة رحمه الله انه لا يشرع التكبير في عيد الفطر والباقون على استحبابه على اختلاف في تفاصيل بعض الفروع بينهم وقوله (ولمكم تشكرون) أي اذا أقمت بما أمركم الله من طاعته بأداء فرائضه وترك محارمه وحفظ حدوده فاعلمكم أن تكونوا من الشاكرين بذلك

(١٨٥) واذا سألك عبادي غني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجروا

لي وليؤمنوا بي لعلمهم يرشدون)

قول ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أخبرنا جرير عن عتبة بن أبي برزة (١)

أخبرنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف ، قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع الصائم طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، للصائم فرحتان . فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخاف فيه أطيب عند الله من ريح المسك ، الصوم جنة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فإن سابّه أحد أو قاله فليقل إلى امرؤ صائم » أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مرزوق أخبرنا محمد بن مطرف حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : في الجنة ثمانية أبواب ، منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أخبرنا عبد الله بن المبارك عن راشد بن سعد عن يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام أي رب إني منعتك الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن رب إني منعتك النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان قوله تعالى ﴿ واذا سألك عبادي غني فاني قريب ﴾ روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : قل يهود أهل المدينة : يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم

(١) وفي النسخة

المطبوعة عن ابن أبي

برزة وهو غلط

(١) قال الذهبي

في الميزان انه مجهول وذكر انه روى عن أبيه عن جده هذا الحديث ذكره ابن خيثمة وانه ليس له ذكر في كتب الرجال زاد الحافظ في لسان الميزان انه ليس للصلوات ولا لآبيه ولا لجده ذكر في كتب الرجال الا ما ذكره ابن أبي خيثمة قال ولم يزد في التعريف به على ما هنا اهـ

السختياني عن الصلت بن حكيم (١) بن معاوية بن حيدة التميمي عن أبيه عن جده أن أعرابيا قال يا رسول الله: صلى الله عليك وسلم أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستعجبوا لي وليؤمنوا بي) اذا أمرتهم أن يدعوني فدعوني استجبت، ورواه ابن جرير عن محمد بن حميد الرازي عن جرير به ورواه ابن مردويه وأبو الشيخ لاصبهاني من حديث محمد بن أبي حميد عن جرير به، وقال عبد الرزاق أخبرنا جعفر بن سليمان عن عوف عن الحسن قال سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربنا؟ فأنزل الله عز وجل (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني) الآية وقال ابن جرير عن عطاء انه بلغه لما نزلت (وقول ربكم ادعوني أستجب لكم) قال الناس لو نعلم أي ساعة ندعو؟ فنزلت (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني) وقال الامام احمد حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي حدثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الاشعري قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فجعلنا لا نضعد شرفا ولا نعلو شرفا ولا نهبط واديا الا رفعنا أ. واتنا بالتكبير قل فدنا منا فقال «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انه تدعون سمعا بصيرا ان الذي تدعون أقرب الى أحدكم من عنق راحله، يا عبد الله بن قيس ألا املك كل من كوز الجنة؟ لاحول ولا قوة الا بالله» اخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة من حديث أبي عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن علي عنه بنحوه: وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعبة حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا دعاني» وقال الامام احمد أيضا حدثنا علي بن اسحق أنبأنا عبد الله أنبأنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنا اسماعيل بن عمار بن عيسى عن كريمة بنت ابن شخاش المزنية قالت حدثنا ابو هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قل الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفته» (قلت) وهذا كقوله تعالى (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقوله لموسى وهرون ان بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام وان غلاظ كل سماء مثل ذهب، فنزلت هذه الآية. وقال الضحاك: سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا أقرب منا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) وفيه اضمار كأنه قل: فقل لهم إني قريب منهم بالعلم لا يخفى علي شيء كما قال (وتنح اقرب اليه من حبل الوريد) أخبرنا عبد الواحد الملبحي أخبرنا احمد بن عبد الله النعماني أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا عبد الواحد عن عاصم عن أبي عثمان عن أبي موسى الاشعري قل: لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر او توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير: الله أكبر الله أكبر لا إله الا الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون

عليهما السلام (أنني معكما أسمع وأرى) والمراد من هذا انه تعالى لا يخيب دعاء داع ولا يشغله عنه شيء بل هو سميع الدعاء ففيه ترغيب في الدعاء وانه لا يضيع لديه تعالى كما قال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا رجل انه سمع أبا عثمان هو النهدي يحدث عن سلمان يعني الفارسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الله تعالى ليستحي ان يبسط العبد اليه يديه يسأله فيهما خيرا فيردهما خائبين » - قال يزيد سموا لي هذا الرجل فقلوا : جعفر بن ميمون - وقد رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جعفر بن ميمون صاحب الانبياء به : وقال الترمذي حسن غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه قال الشيخ الحافظ ابو الحجاج المزي رحمه الله في أطرافه : وتابعه أبوهمام محمد ابن أبي الزبرقان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي به : وقال الامام احمد أيضا حدثنا ابو عامر حدثنا علي بن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن مسلم بدعوة الله عز وجل بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث خصال اما أن يعجل له دعوته ، واما أن يدخرها له في الاخرى ، واما أن يصرف عنه من السوء مثلها » قالوا اذا نكث قال « الله اكبر » وقال عبدالله بن الامام احمد حدثنا اسحق بن منصور الكوسج أنبأنا محمد ابن يوسف حدثنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير أن عبادة بن الصامت حدثهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما على ظهر الارض من رجل مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة الا آتاه الله اياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم » ورواه الترمذي عن عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي عن محمد بن يوسف الفريابي عن ابن ثوبان وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان به وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وقال الامام مالك عن ابن شهاب عن ابي عبيد مولى ابن ازرع عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يستجاب لاحدكم ما لم يدعو الله عز وجل بدعوة الا آتاه الله اياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدعو الله عز وجل بدعوة الا آتاه الله اياها » أخرجه في الصحيحين من حديث مالك به وهذا لفظ البخاري رحمه الله واثابه الجنة وقال مسلم في صحيحه حدثني أبو الطاهر حدثنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن أصم ولا غائبا انكم تدعون سميما قريبا وهو معكم » قوله تعالى ﴿ اجيب دعوة الداع اذا دعان ﴾ قرا امل المدينة غير قالون وابو عمرو باثبات الباء فيهما في الوصل والباقون يحذفها وصلا ووقفا وكذلك اختلف القراء في اثبات الياء المندوفة من الخط وحذفها في التلاوة واثبت يعقوب جميعها وصلا ووقفا ، وانفقوا على اثبات ما هو مثبت في الخط وصلا ووقفا ﴿ فليستجيبوا الي ﴾ قيل الاستجابة بمعنى الاجابة أي فليستجيبوا الي بالطاعة ، والاجابة في اللغة الطاعة واعطاء ما سئل فالاجابة من الله تعالى العطاء ومن العبد الطاعة . وقيل فليستجيبوا الي اي ليستدعوا مني الاجابة وحقه مني فليطيعوني ﴿ وليؤمنوا بي لعلمهم برشدون ﴾ لكي يهتدوا . فان قيل فما وجه قوله تعالى ﴿ اجيب دعوة الداع ﴾ وقوله ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ وقد يدعى كثيرا فلا يجيب ؟ قلنا اختلفوا في معنى الايتين قيل معنى الدعاء ههنا الطاعة ، ومعنى الاجابة الثواب . وقيل معنى الايتين خاص وان

ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل» قيل يا رسول الله وما الاستعجال؟ قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أرى يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء» وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل» قالوا وكيف يستعجل؟ قال يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي» وقال الإمام أبو جعفر الطبري في تفسيره حدثني يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر أن يزيد بن عبد الله بن قسيط حدثه عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما من عبد مؤمن يدعو الله بدعوة فتذهب حتى تمجّل له في الدنيا أو تؤخر له في الآخرة إذا لم يعجل أو يقنط، قال عروة قالت يا أمّاه كيف عجلته وقنوطه؟ قالت يقول سألت فلم أعط ودعوت فلم أجب. قال ابن قسيط وسمعت سعيد بن المسيب يقول كقول عائشة سواء: وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا بكر بن عمرو عن أبي عبد الرحمن الجيلي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا سألت الله أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإنه لا يستجيب لعبد دعاء عن ظهر قلب غافل» وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن اسحق بن أيوب حدثنا اسحق بن إبراهيم بن أبي نافع بن معد يكرب ببغداد حدثني ابن أبي نافع بن معد يكرب قال كنت أنا وعائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آية (أجيب دعوة الداعي إذا دعاني) قال يا رب مسألة عائشة «فهبط جبريل فقال «الله يقرؤك السلام هذا عبد الصالح بالنية الصادقة وقلبه نقي يقول يا رب فأقول لبيك فأقضي حاجته» وهذا حديث غريب من هذا الوجه. وروي ابن مردويه من حديث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس حدثني جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (واذا سألك عبادي غني فاني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم أمرت بالدعاء وتوكلت بالإجابة، لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك كان لفظهما عاما تقديهما (أجيب دعوة الداعي) أن شئت كما قال (فيكشف ما تدعون إليه إن شاء) أو أجيب دعوة الداعي إن وافق القضاء أو أجيبه إن كانت الإجابة خيرا له أو أجيبه إن لم يسأل محالا أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح أن ربيعة بن يزيد حدثه عن أبي إدريس عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم أو يستعجل» قالوا وما الاستعجال يا رسول الله؟ قال «يقول قد دعوتك يا رب قد دعوتك يا رب فلا أراك تستجيب لي فيستحسر عند ذلك فيدع الدعاء» وقيل هو عام ومعنى قوله (أجيب) أي أسمع. ويقال ليس في الآية أكثر من استجابة الدعوة، فاما إعطاء المنية فليس بذكر فيها، وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤاله

ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، أشهد أنك فرد أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق ، والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من في القبور » وقال الحافظ أبو بكر البزار وحدثنا الحسن بن يحيى الأزدي ومحمد بن يحيى القطامي قالوا حدثنا الحجاج بن منهال حدثنا صالح المزني عن الحسن بن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تعالى يا ابن آدم واحدة لك وواحدة لي وواحدة فيما بيني وبينك فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا وأما التي لك فما عملت من شيء أو من عمل وفيتكه وأما الذي بيني وبينك فنك الدعاء وعلي الإجابة » وفي ذكره تعالى هذه الآية الباءة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام ارشاد الى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة بل وعند كل فطر كما رواه الامام أبو داود الطيالسي في مسنده ، حدثنا أبو محمد المليكي عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « للصائم عند افطاره دعوة مستجابة » فكان عبد الله بن عمرو اذا أفطر دعا أهله وولده ودعا ، وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه حدثنا هشام بن عمار أخبرنا الوليد بن مسلم عن اسحق بن عبد الله المدني عن عبيد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان للصائم عند فطره دعوة مآرد » قال عبيد الله بن أبي مليكة سمعت عبد الله بن عمرو يقول اذا أفطر اللهم اني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي . وفي مسند الامام احمد وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لاترد دعوتهم : الامام العادل والصائم حتي يفطر ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء ويقول بعزتي لا نصركم ولو بعد حين »

١٨٦ أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) هذه رخصة من الله تعالى للمسلمين ورفع لما كان عليه الامر في ابتداء الاسلام فانه كان اذا فطروا لا يجوز لهم الاكل والشرب ولا قضاء الفرائض ولا صلاة التطوع ولا غيرها من الاعمال التي كانت حراما في الشهر كله . وقيل معنى الآية انه يجيب دعاءه فان قدر له ما سأل أعطاه ، وان لم يقدر له ادخر له الثواب في الآخرة او كف عنه به صوما والدليل عليه ما اخبرنا عبد الواحد المليجي اخبرنا أبو منصور السمعاني اخبرنا ابو جعفر الزباني اخبرنا حميد بن زنجويه اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا ابن ثوبان وهو محمد بن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبادة بن الصامت حدثهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما

(٥٣ - تفسير ابن كثير والبخاري)

أفطر أحدهم إنما يحل له الاكل والشرب والجماع الى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك فتي نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع الى الليلة القابلة فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة والرفث هنا هو الجماع قاله ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وطاوس وسالم بن عبد الله وعمرو بن دينار والحسن وقتادة والزهرى والضحاك وابراهيم النخعي والسدي وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان : وقوله (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان يعني هن سكن لكم (١) وأنتم سكن لهن . وقال الربيع بن أنس هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن ، وحاصله ان الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ويماسه ويضامه فناسب أن يرخص لهم في المجامعة في ليل رمضان لئلا يشق ذلك عليهم ويخرجوا قال الشاعر

إذا ما الضجيع ثني جيدها تداءت فكأنت عليه لباسا

وكان السبب في نزول هذه الآية كما تقدم في حديث معاذ الطويل وقال أبو اسحق عن البراء ابن عازب قال : كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فنام قبل أن يفطر لم يأكل الى مثلها وان قيس بن صرمة الانصاري كان صائما (٢) وكان يومه ذلك يعمل في ارضه فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال : هل عندك طعام ؟ قلت : لا ولكن أنطلق فأطلب لك فقلبت عينة فنام وجاءت امرأته فلما رأتها نائما قالت : خيبة لك أمنت ؟ فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلات هذه الآية (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) — وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) ففرحوا بها فرحا شديدا ولفظ البخاري ههنا من طريق أبي اسحق سمعت البراء قال : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقرءون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : كان المسلمون في شهر رمضان اذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام الى مثلها من القابلة ثم ان أناسا من المسلمين أصابوا من النساء والطعام في شهر رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه

على الارض رجل مسلم يدعو الله تعالى بدعوة الا آتاه الله إياها او كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع باثم او قطعة رحم » وقبل ان الله تعالى يجيب دعاء المؤمن في الوقت ويؤخر اعطاء من يجيب مراده ليدعوه فيسمع صوته ويعجل اعطاء من لا يحبه لانه يبغض صوته . وقيل ان للدعاء آدابا وشرائط وهي أسباب الاجابة فمن استكملها كان من أهل الاجابة ، ومن أخل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الاجابة » قوله تعالى ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ﴾ فالرفث كناية عن الجماع . قال ابن عباس : ان الله حيي كريم يكني : كل ما ذكر في القرآن من المباشرة والملاصقة والافضاء والدخول والرفث فإمعني به الجماع . وقال الزجاج : الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النساء . قال أهل التفسير كان في ابتداء الامر اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب

(١) هذا تفسير بالمعنى وأما اللفظ واختار الزنجشري ان اللباس مصدر لا بس كالملايسة

(٢) اختلف في اسمه لاختلاف الروايات ف قيل صرمة بن قيس أو ابن انس وقيل صرمة بن أنس وذكر هذا في حاشية نسخة الازهر فراجع هذه الأسماء في الاصابة

وسلم فأنزل الله تعالى (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فلا تباشروهن) الآية وكذا روى العوفي عن ابن عباس وقال موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال : ان الناس كانوا قبل أن ينزل في الصوم ما نزل فيهم يأكلون ويشربون ويحل لهم شأن النساء فإذا نام أحدهم لم يطعم ولم يشرب ولا يأتي أهله حتى يفطر من القابلة فبلغنا أن عمر بن الخطاب بعد ما نام ووجب عليه الصوم وقع على أهله ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشكو إلى الله واليك الذي صنعت قال «وما صنعت» قال : إني سوات لي نفسي فوعدت على أهلي بعد ما نمت وأنا أريد الصوم فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ما كنت خليفا أن تفعل» فنزل الكتاب (أحل لكم ليلة الصيام الرث إلى نسائكم) وقال سعيد بن أبي عروبة عن قيس بن سعد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة في قول الله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرث إلى نسائكم) — إلى قوله — ثم أتوا الصيام إلى الليل قال كان المسلمون قبل أن تنزل هذه الآية إذا صلوا العشاء الآخرة حرم عليهم الطعام والشراب والنساء حتى يفطروا وان عمر بن الخطاب أصاب أهله بعد صلاة العشاء وان صرمة بن قيس الانصاري غابته عيناه بعد صلاة المغرب فنام ولم يشبع من الطعام ولم يتيقظ حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء فقام فأكل وشرب فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فأنزل الله عند ذلك (أحل لكم ليلة الصيام الرث إلى نسائكم) يعني بالرث جماعة النساء (١) (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) يعني بجامعون النساء وتأكلون وتشربون بعد العشاء (فتاب عليكم وعفا عنكم فلا تباشروهن) يعني بجامعوهن (وابتغوا ما كتب الله لكم) يعني الولد (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط الأبيض من الخطيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل) فكان ذلك عفواً من الله ورحمة، وقال هشام عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقل يارسول الله اني اردت اهلي البارحة على ما يريد الرجل اهله فقالت انها قد نامت فظننتها تعتل فواقعتها فتزل في عمر (أحل لكم ليلة الصيام الرث إلى نسائكم) وهكذا رواه شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن أبي ليلى

(١) الرث في الاصل ما يكون بين الزوجين من حدث ونحوه في شأنه ضمن معنى الافضاء إلى النساء أو كنى به عنه

والجماع إلى ان يصلي العشاء الآخرة أو يرقد قبلها، فإذا صلى العشاء أو رقد قبلها حرم عليه الطعام والنساء إلى الليلة القابلة. ثم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ بيكي ويلوم نفسه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إني أعتذر إلى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة، إني رجعت إلى أهلي بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسوّلت لي نفسي فجامعت أهلي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم «ما كنت جديراً بذلك يا عمر» فقام رجال واعترفوا بمثله فنزل في عمر وأصحابه (أحل لكم ليلة الصيام) أي أبيع لكم ليلة الصيام الرث إلى نسائكم (هن لباس لكم) أي سكن لكم (وأنتم لباس لهن) أي سكن لهن دليله قوله تعالى (وجعل منها زوجها ليسكن إليها) وقبل لا يسكن شيء إلى شيء كسكن أحد الزوجين

به وقال ابو جعفر بن جرير حدثني المثنى حدثنا سويد اخبرنا ابن المبارك عن ابن لهيعة حدثني موسى ابن جبير مولى بني سلمة انه سمع عبد الله بن كعب بن مالك يحدث عن ابيه قال : كان الناس في رمضان اذا صام الرجل فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد فرجع عمر بن الخطاب من عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد سمر عنده فوجد امرأته قد نامت فأرادها فقالت إني قد نمت فقال ما نمت ثم وقع بها وصنع كعب بن مالك مثل ذلك ففزع عمر بن الخطاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فلاكن باسروهن) الآية وهكذا روي عن مجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة وغيرهم في سبب نزول هذه الآية في عمر بن الخطاب ومن صنع كما صنع وفي صرمة بن قيس فأباح الجماع والطعام والشراب في جميع الليل رحمة ورفقة

وقوله (وابتغوا ما كتب الله لكم) قال ابو هريرة وابن عباس وانس وشريح القاضي ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء والربيع بن انس والسدي وزيد بن اسلم والحكم بن عتبة ومهمل بن حبان والحسن البصري والضحاك وقتادة وغيرهم يعني الولد وقل عبد الرحمن بن زيد بن اسلم : (وابتغوا ما كتب الله لكم) يعني الجماع وقال عمرو بن مالك البكري عن ابي الجوزاء عن ابن عباس (وابتغوا ما كتب الله لكم) قال ليلة القدر. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير. وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر قال قال قتادة ابنة رباح قال قلت لابن عباس كيف تقرأ هذه الآية (وابتغوا ما كتب الله لكم) قال أيتها شئت عليك بالقراءة الاولى ، واختار ابن جرير ان الآية أعم من هذا كله

وقوله (وكلاوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم آمنوا الصيام الى الليل) أباح تعالى الاكل والشرب مع ما تقدم من إباحة الجماع في أي الليل شاء الصائم الى أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل وعبر عن ذلك بالخيط الابيض من الخيط الاسود الى الآخر ، وقيل سمي كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه . وقال الربيع بن أنس : هنّ فراش لكم وأنتم لحاف لهنّ . قال ابو عبيدة وغيره : يقال للمرأة هي لباسك وفراشك وإزارك : وقيل اللباس اسم لما يوارى الشيء فيجوز ان يكون كل واحد منهما سترًا لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث « من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه » (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) اي تخونون أنفسكم وتظلمونها بالمجامعة بعد العشاء . قال البراء : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقرؤون النساء رمضان كله . وكان رجال يخونون انفسهم ، فأنزل الله تعالى (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) (فتاب عليكم) تجاوز عنكم (وعفا عنكم) مجاز ذنوبكم (فلاكن باسروهن) جامعوهن حلالا ، سميت الجامعة

ورفع اللبس بقوله من الفجر كما جاء في الحديث الذي رواه الامام ابو عبد الله البخاري حدثنا ابن ابي مريم حدثنا ابو غسان محمد بن مطرف حدثنا ابو حازم عن سهل بن سعد قال أنزلت (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ولم ينزل (من الفجر) (١) وكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط أحداهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعد (من الفجر) فعملوا انما يعني الليل والنهار . وقال الامام احمد حدثنا هشام اخبرنا حصين عن الشعبي أخبرني عدي بن حاتم قال لما نزلت هذه الآية (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) عمدت الى عقائين احدهما اسود والاخر ابيض قل فجعلتهما تحت وسادتي ، قال فجعلت انظر اليهما فلما تبين لي الأبيض من الأسود أمسكت فلما أصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بالذي صنعت فقال «ان وسادك اذا لعريض انما ذلك بياض النهار من سواد الليل» أخرجه في الصحيحين من غير وجه عن عدي . ومعنى قوله ان وسادك اذا لعريض اي ان كان لبسم الخيطين الخيط الأسود والأبيض المراد (٢) من هذه الآية تحتها فانهما بياض النهار وسواد الليل فيقتضي أن يكون بعرض المشرق والمغرب . وهكذا وقع في رواية البخاري مفسرا بهذا حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبو عوانة عن حصين عن الشعبي عن عدي قال أخذ عدي عقالا أبيض وعقالا اسود حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبينهما فلما أصبح قال يا رسول الله جعلت تحت وسادتي قل «ان وسادك اذا لعريض ان كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك» وجاء في بعض الالفاظ انك لعريض القفا ففسره بعضهم بالبلادة وهو ضعيف بل يرجع الى هذا لانه اذا كان وساده عريضا فقفاه أيضا عريض والله أعلم . ويفسره رواية البخاري أيضا حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن مطرف عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال : قلت يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود أي الخيطان؟ قال «انك لعريض القفا ان أبصرت الخيطين ثم قال لا بل هو سواد الليل وبياض النهار»

وفي بابته تعالى جواز الاكل الى طلوع الفجر دليل على استحباب السحور لانه من باب الرخصة

مباشرة للملاصقة بشرة كل واحد منهم صاحبه (وابتغوا ما كتب الله لكم) اي فاطلبوا ما قضى الله لكم . وقيل ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد . قاله اكثر المفسرين . قال مجاهد : ابتنوا الولد ان لم تلد هذه فهذه وقال قتادة : وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ . وقال معاذ بن جبل : وابتغوا ما كتب الله لكم يعني ليلة القدر قوله (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض) نزلت في رجل من الانصار اسمه ابو صرمة ابن قيس بن صرمة ، وقال عكرمة ابو قيس بن صرمة وقال السكبي ابو قيس صرمة ، وذلك انه ظل نهاره يعمل في ارض له وهو صائم ، فلما أمسى رجع الى أهله بتمر . وقال لاهله قد بقي الطعام فأرادت المرأة ان تطلع له شيئا سخينا فأخذت تعمل له سخينة . وكان في الابتداء من صلي العشاء ونام

(١) قال القسطلاني:
وذكر في الفتوح
والتنقيح والمصباح
ان حديث عدي
يقتضي نزول قوله
تعالى (من الفجر)
متصلا بقوله (من
الخيط الأسود)
وحديث سهل ابن
سعد صريح في أنه
لم ينزل الا منفصلا
وهذا هو المتبادر .
ولعل حديث سهل
روي بالمعنى لان
ظاهرة مشكل في نظم
القرآن

(٢) وفي نسخة الازهر
ان كان يسع لوضع
الخيط الأسود والخيط
الأبيض المرادين الخ

والأخذ بها محبوب ولهذا أوردت السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث على السحور ففي الصحيحين عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تسحروا فإن في السحور بركة» وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور» وقال الإمام أحمد حدثنا اسحق بن عيسى هو ابن الطباع حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السحور أكلة بركة فلا تدعوه ولو أن أحدكم نجرع جرعة من ماء فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين» وقد ورد في الترغيب في السحور أحاديث كثيرة حتى ولو بجرعة من ماء تشبها بالأكسين ويستحب تأخيرها إلى وقت انفجار الفجر كما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك عن زيد بن ثابت، قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة قال أنس قلت لزيد كم كان بين الأذان والسحور؟ قال قدر خمسين آية: وقال الإمام أحمد حدثنا موتى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن سالم بن غيلان عن سليمان بن أبي عثمان عن عدي بن حاتم الحمصي عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار وأخروا السحور» وقد ورد أحاديث كثيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى الغداء المبارك وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه من رواية حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زيد بن حبيب عن حذيفة قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النهار إلا أن الشمس لم تطلع وهو حديث. تفرد به عاصم بن أبي النجود قاله النسائي وحمله على أن المراد قرب النهار كما قال تعالى (فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) أي قاربن اقضاء العدة فلما إمساك بمعروف أو ترك للفراق وهذا الذي قاله هو المتعين حمل الحديث عليه أنهم تسحروا ولم يتيقنوا طلوع الفجر حتى أن بعضهم ظن طلوعه وبعضهم لم يتحقق ذلك وقد روي عن طائفة كثيرة من السلف أنهم تساحروا في السحور عند مقاربة الفجر روى مثل هذا عن أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وحذيفة وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وعن طائفة كثيرة من التابعين منهم محمد بن علي بن الحسين وأبو مجلز وإبراهيم النخعي وأبو الضحى وأبو وائل وغيره من أصحاب ابن مسعود حرم عليه الطعام والشراب. فلما فرغت من طعامه اذ هو به قد نام وكان قد أعيا وكل فأيقظته فكره أن يعصي الله ورسوله فأبى أن يأكل فأصبح صائما مجهدا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما أفاق أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا قيس مالك أصبحت طليحا: فذكر له حاله فأغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل (وكلوا واشربوا) يعني في أيام الصوم (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) يعني بياض النهار من سواد الليل، سميا خيطين لأن كل واحد منهما يبدو في الابتداء ممتدا كالخيط أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليجي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مرجم أخبرنا أبو غسان محمد بن مطرف ثنا أبو حازم عن

وعطاء والحسن والحاكم بن عينة ومجاهد وعروة بن الزبير وأبو الشعثاء جابر بن زيد وإليه ذهب
الاعمش وجابر بن راشد وقد حررنا أسانيد ذلك في كتاب الصيام المفرد والله الحمد وحكى أبو جعفر
ابن جرير في تفسيره عن بعضهم أنه إنما يجب الامساك من طلوع الشمس كما يجوز الافطار بغروبها
(قلت) وهذا القول ما أظن أحداً من أهل العلم يستقر له قدم عليه لمخالفته نص القرآن في قوله
(وكأوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى
الليل) وقد ورد في الصحيحين من حديث القاسم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
« لا يمنعكم أذان بلال عن سحوركم فانه ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم
فانه لا يؤذن حتى يطلع الفجر » لفظ البخاري وقال الامام احمد حدثنا موسى بن داود حدثنا محمد
ابن جابر عن قيس بن طلق عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الفجر المستطيل
في الافق ولكنه المعترض الاحمر » ورواه الترمذي ولفظهما « كلوا واشربوا ولا يهيدنكم السامع
المصعد فكلوا واشربوا حتى يتعرض لكم الاحمر » وقال ابن جرير حدثنا محمد بن المنثري حدثنا
عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن شيخ من بني قشير سمعت سمرة بن جندب يقول : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يغرنكم نداء بلال وهذا البياض حتى ينفجر الفجر أو يطلع الفجر »
ثم رواه من حديث شعبة وغيره عن سواد بن حنظلة عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق »
قال وحدثني يعقوب بن ابراهيم بن علية عن عبد الله بن سودة القشيري عن أبيه عن سمرة بن
جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يغرنكم أذان بلال ولا هذا البياض لعمود الصبح
حتى يستطير » ورواه مسلم في صحيحه عن زهير بن حرب عن اسماعيل بن ابراهيم هو ابن علية مثله
سواء وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا ابن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي
عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يمنع أحدكم أذان بلال عن سحوره
أو قال نداء بلال فان بلالا يؤذن بإبل أو قال ينادي ليلته نائمكم وليرجع قائمكم وليس الفجر
سهل بن سعد قال : أنزلت (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود)
ولم ينزل قوله (من الفجر) فكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط أحدكم في رجله الخيط الأبيض
والخيط الأسود ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله تعالى بعده (من الفجر)
فعلما أنما يعني بهما الليل والنهار ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي
أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا الحجاج بن منهال أخبرنا هشيم أخبرنا حصين
بن عبد الرحمن عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال : لما نزلت (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض
من الخيط الأسود) عمدت الى عقال اسود والى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادي فجعلت انظر
اليهما والى الليل فلا يستبين لي فقدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك له فقال

أن يقول هكذا وهكذا حتى يقول هكذا» ورواه من وجه آخر عن النعمان به وحدثني الحسن بن الزبرقان النخعي حدثنا أبو أسامة عن محمد بن أبي ذئب عن الحرث بن عبد الرحمن عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الفجر فجران فالذي كأنه ذنب السرحان لا يحرم شيئاً وإنما هو المستطير الذي يأخذ الأفق فإنه يحل الصلاة وبحرم الطعام» وهذا مرسل جيد وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء سمعت ابن عباس يقول: هما فجران فأما الذي يسطع في السماء فليس يحل ولا يحرم شيئاً ولكن الفجر الذي يستنير على رؤس الجبل هو الذي يحرم الشراب وقال عطاء فأما إذا سطع سطوعاً في السماء وسطوعه أن يذهب في السماء طولا فإنه لا يحرم به شراب للصائم ولا صلاة ولا يفوت به الحج ولكن إذا انتشر على رؤس الجبال حرم الشراب للصيام وفات الحج وهذا اسناد صحيح إلى ابن عباس وعطاء وهكذا روى عن غير واحد من السلف رحمهم الله

(مسئلة) ومن جملة تعالى الفجر غاية لإباحة الجوع والطعام والشراب لمن أراد الصيام يستدل على أنه من أصبح جنباً فليغتسل وليتم صومه ولا حرج عليه وهذا مذهب الأئمة الأربعة وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً لما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أنهما قالتا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من جماع غير احتلام ثم يغتسل ويصوم وفي حديث أم سلمة عندهما ثم لا يفطر ولا يقضي وفي صحيح مسلم عن عائشة أن رجلاً قال يا رسول الله تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم» فقال است مثلنا يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما اتقى» فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا نودي للصلاة صلاة الصبح وأحدكم جنب فلا يصم يومئذ» فإنه حديث جيد الاسناد على شرط الشيخين كما ترى وهو في الصحيحين عن أبي هريرة عن الفضل بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي

أما ذلك سواد الليل وبياض النهار» أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن الشهاب عن سالم بن عبد الله بن عمرو عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن بلالاً ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم» قال وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت، وعلم أن الفجر فجران كاذب وصادق، فالسكاذب يطلع أولاً مستطيراً كذنب السرحان يصعد إلى السماء فبطوعه لا يخرج الليل ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم ثم يغيب فيطلع بعده الفجر الصادق مستطيراً ينتشر سريعاً في الأفق فبطوعه يدخل النهار وبحرم الطعام والشراب على الصائم. أخبر أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي أخبرنا هناد بن يوسف بن عيسى قال: أخبرنا وكيع عن أبي

سنن النسائي عنه عن أسامة بن زيد والفضل بن عباس ولم يرفعه فن العلماء من علل هذا الحديث بهذا ومنهم من ذهب اليه ويحكي هذا عن أبي هريرة وسالم وعطاء وهشام بن عروة والحسن البصري ومنهم من ذهب الى التفرقة بين أن يصبح جنباً نائماً فلا عليه لحديث عائشة وأم سلمة أو مختاراً فلا، صوم له لحديث أبي هريرة يحكي هذا عن عروة وطاوس والحسن، ومنهم من فرق بين الفرض وبينه فيقضيه وأما النفل فلا يضره رواه الثوري عن منصور عن إبراهيم النخعي وهو رواية عن الحسن البصري أيضاً، ومنهم من ادعى نسخ حديث أبي هريرة بحديثي عائشة وأم سلمة ولكن لا تاريخ معه وادعى ابن حزم أنه منسوخ بهذه الآية وهو بعيد أيضاً إذ لا تاريخ بل الظاهر من التاريخ خلافه ومنهم من حمل حديث أبي هريرة على نفي الكمال فلا صوم له لحديث عائشة وأم سلمة الدالين على الجواز وهذا المسلك أقرب الأقوال واجمعها والله اعلم

وقوله (ثم آمنوا الصيام الى الليل) يقتضي الافطار عند غروب الشمس حكماً شرعياً كما جاء في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم » وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » أخرجاه وقال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثني قرة بن عبد الرحمن عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل « إن أحب عبادي إليّ أعجلهم فطراً » ورواه الترمذي من غير وجه عن الأوزاعي به وقال هذا حديث حسن غريب وقال أحمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا عبيد الله بن أياد سمعت أياد بن لقيط سمعت لبلى امرأة بشير بن الحصاصية قالت أردت أن أصوم يومين مواصلة فنفعتي بشير وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه وقال « يفعل ذلك النصارى ولكن صوموا كما أمركم الله (ثم آمنوا الصيام الى الليل) فإذا كان الليل فأفطروا » ولهذا ورد في الأحاديث الصحيحة النهي عن الوصال وهو أن يصل يوم ما

هلال عن سواد ابن حنظلة عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يمنعكم من سحورك أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الأفق » قوله تعالى (ثم آمنوا الصيام الى الليل) فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطولوع الفجر الصادق ويمتد الى غروب شمس وإذا غربت حصل الفطر أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا الحارث بن عبد الله الثوري أخبرنا هشام بن عروة قال : سمعت أبي يقول سمعت عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم » قوله تعالى (ولا تبأثروهن) وأنتم عاكفون في المساجد العكوف هو الإقامة على الشيء والاعتكاف في الشرع هو الإقامة في المسجد على عبادة الله وهو سنة ولا يجوز في غير المسجد (٥٤ - تفسير ابن كثير والبغوي)

يوم آخر ولا يأكل بينهما شيئا قال الامام احمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تواصلوا» قالوا: يا رسول الله إنك تواصل قال «فاني لست مثلكم إني أبيت بطعمني ربي ويسقيني» قال فلم ينتهوا عن الوصال فواصل بهم النبي صلى الله عليه وسلم يومين وليلتين ثم رأوا الهلال فقال «لو تأخر الهلال لزدتكم» كلنكل لهم وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به وكذلك أخرجا النهي عن الوصال من حديث أنس وابن عمر، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم فقالوا إنك تواصل قال «إني لست كهيتكم فاني يطعمني ربي ويسقيني» فقد ثبت النهي عنه من غير وجه وثبت أنه من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان يقوى على ذلك ويمان والظاهر أن ذلك الطعام والشراب في حقه إنما كان معنويا لا حسيا وإلا فلا يكون موافقا مع الحسي والمكن كما قال الشاعر:

لها احاديث من ذكر ك تشغلها عن الشراب وتلبها عن الزاد
وأما من أحب أن يمسك بعد غروب الشمس الى وقت السحر فله ذلك كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تواصلوا فأبكم أراد أن يواصل فليواصل الى السحر» قالوا: فأنك تواصل يا رسول الله قال «إني لست كهيتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقيني» أخرجاه في الصحيحين أيضا وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا أبو نعيم حدثنا أبو اسراييل العنسي عن أبي بكر بن حفص عن أم ولد حاطب بن أبي بلتعة أنها مرت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فدعاها الى الطعام فقالت إني صائمة قال وكيف تصومين؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال «أين أنت من وصال آل محمد من السحر الى السحر» وقال الامام احمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا اسراييل عن عبيد الاعلى عن محمد بن علي عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يواصل من السحر الى السحر وقد روى ابن جرير عن عبد الله بن الزبير وغيره من السلف أنهم كانوا يواصلون الايام المتعددة وحملهم على أنهم كانوا يفعلون ذلك رياضة لانفسهم لا أنهم كانوا يفعلونه عبادة والله أعلم. ويحتمل أنهم كانوا يفهمون من النهي

ويجوز في جميع المساجد. اخبونا عبد الواحد المليحي اخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا عبد الله بن يوسف اخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده. والآية نزلت في نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرضت للرجل منهم الحاجة الى أهله خرج اليها فجامعها ثم اغتسل فرجع الى المسجد ففعلوا عن ذلك ليلا ونهارا حتى يفرغوا من اعتكافهم، فالجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به الاعتكاف، اما ما دون

انه ارشادي من باب الشفقة كما جاء في حديث عائشة رحمة لهم فكان ابن الزبير وابنه عامر ومن شاك سبيلهم يتجشمون ذلك ويفعلونه لانهم كانوا يجرون قوة عليه وقد ذكر عنهم انهم كانوا أول ما يفترون على السمن والصبر لئلا تتخرق الامعاء بالطعام أولا . وقد روي عن ابن الزبير انه كان يواصل سبعة أيام ويصبح في اليوم السابع أقوام وأجلدهم ، وقال أبو العالية إنما فرض الله الصيام بالنهار فإذا جاء بالليل فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل

وقوله تعالى (ولا تبأثروهن وأنتم عاكفون في المساجد) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هذا في الرجل يعتكف في المسجد في رمضان أو في غير رمضان فحرم الله عليه ان ينكح النساء لئلا أونهارا حتى يقضي اعتكافه ، وقال الضحاك كان الرجل اذا اعتكف فخرج من المسجد جامع ان شاء فقال الله تعالى (ولا تبأثروهن وأنتم عاكفون في المساجد) أي لا تقرن بوهن مادمت عاكفين في المسجد ولا في غيره . وكذا قل مجاهد وقتادة وغير واحد انهم كانوا يفعلون ذلك حتى نزلت هذه الآية قال ابن أبي حاتم روي عن ابن مسعود ومحمد بن كعب ومجاهد وعطاء والحسن وقتادة والضحاك والسدي والريبع بن أنس ومقاتل : قالوا لا يقرنها وهو معتكف وهذا الذي حكاه عن هؤلاء هو الامر المنفق عليه عند العلماء أن المعتكف يحرم عليه النساء مادام معتكفا في مسجده ولو ذهب الى منزله لحاجة لا بد له منها فلا يحل له ان يثبت فيه الا بمقدار ما يفرغ من حاجته تلك من قضاء الغائط أو الأكل وليس له ان يقبل امرأته ولا ان يضمها اليه ولا يشتغل بشيء سوى اعتكافه ولا يعود المريض لكن يسأل عنه وهو مأمور في طريقه وللاعتكاف أحكام مفصلة في بابها منها ما هو مجتم عليه بين العلماء ومنها ما هو مختلف فيه . وقد ذكرنا قطعة صالحة من ذلك في آخر كتاب الصيام والله الحمد والمنة ولهذا كان الفقهاء المصنفون يتبعون كتاب الصيام بكتاب الاعتكاف اقتداء بالقرآن العظيم فانه نبه على ذكر الاعتكاف بعد ذكر الصوم . وفي ذكره تعالى الاعتكاف بعد الصيام ارشاد وتنبية على الاعتكاف في الصيام أو في آخر شهر الصيام كما ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يعتكف العشر الاواخر من شهر رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه

الجماع من المباشرات كالقبلة واللمس بالشهوة فسكره ولا يفسد به الاعتكاف عند أكثر أهل العلم وهو أظهر قول الشافعي كما لا يبطل به الحج وقالت طائفة يبطل بها اعتكافه وهو قول مالك . وقيل ان أنزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا كالصوم . وأما اللمس الذي لا يقصد به التلذذ فلا يفسد به الاعتكاف لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها انها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اعتكف أدنى الى رأسه فارجله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الانسان قوله تعالى ﴿ تلك حدود الله ﴾ يعني تلك الاحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف حدود الله أي ما منع الله عنها . قال السدي : شروط الله

من بعده أخرجاه من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وفي الصحيحين ان صفية بنت حيي كانت تزور النبي صلى الله عليه وسلم وهو معتكف في المسجد فتحدثت عنده ساعة ثم قامت لترجع الى منزلها وكان ذلك ليلا فقام النبي صلى الله عليه وسلم ليمشي معها حتى تبلغ دارها وكان منزلها في دار أسامة بن زيد في جانب المدينة فلما كان يبرض الطريق لقيه رجلان من الانصار فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا وفي رواية تواريا أي حياء من النبي صلى الله عليه وسلم لكون معه أهله فقال لهما صلى الله عليه وسلم «على رسلكما انها صفية بنت حيي لا تسرعا واعلموا انها صفية بنت حيي أي زوجتي فقلا سبحان الله يا رسول الله فقل صلى الله عليه وسلم «ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا او قال شرا» قل الشافعي رحمه الله أراد عليه انسلام ان يعلم أمته التبري من التهمة في محلها لئلا يقع في محذور وهما كانا أتقى لله من ان يظا بانبي صلى الله عليه وسلم شيئا ولا أعلم. ثم المراد بالمباشرة انما هو الجماع ودواعيه من تقبيل ومعانقة ونحو ذلك فأما معاطاة الشيء ونحوه فلا بأس به فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذني الي رأسه فارجله وأنا حائض وكان لا يدخل البيت الا الحاجة الانسان قالت عائشة ولقد كان المريض يكون في البيت فما أسأل عنه الا وأنا مارة وقوله (تلك حدود الله) أي هذا الذي بيناه وفرضناه وحددناه من الصيام وأحكامه وما أبخنا فيه وما حرمتنا وذكرونا غايته ورخصه وعزائمه حدود الله أي شرعها الله وبينها بنفسه فلا تقر بوجها أي لا تجاوزوها وتعدوها وكان الضحك ومقاتل يقولان في قوله (تلك حدود الله) أي المباشرة في الاعتكاف، وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم يعني هذه الحدود الاربعة ويقرأ (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم - حتى بلغ - ثم اتوا الصيام الى الليل) قال وكان ابنه وغيره من مشيختنا يقولون هذا ويتلونه علينا (كذلك يبين الله آياته للناس) أي كما بين الصيام وأحكامه وشرائعه وتفصيله كذلك يبين سائر الاحكام على لسان عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (لناس لعلمهم يتقون) أي يعرفون كيف يمتدنون وكيف يطيعون كما قال تعالى (هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وإن الله بكم لرؤف رحيم)

(١٨٦) ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكم لتأكلوا فريقاً من

أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون *

وقال شهر بن حوشب: فرائض الله. وأصل الحد في اللغة المنع. ومنه يقال للبواب حداد لانه يمنع الناس من الدخول، وحدود الله ما يمنع الناس من مخالفتها (فلا تقر بوجها) فلا تأتوها (كذلك) هكذا (يبين الله آياته للناس لعلمهم يتقون) لكي يتقوها فينجوا من العذاب قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قيل نزلت هذه الآية في امرئ القيس بن عابس الكندي

قال علي بن أبي طلحة وعن ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بينة فيجحد المال ويخاصم الى الحكم وهو يعرف أن الحق عليه وهو يعلم أنه آثم آكل الحرام وكذا روي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والحسن وقنادة والسدي ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زبير بن أسلم أنهم قالوا: لا نخاصم وأنت تعلم أنك ظالم وقد ورد في الصحيحين عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا إنما أنا بشر وإنما يأتيني الخصم فلعن بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له فن قضيت له بحق مسلم فأنما هي قطعة من نار فليحملها أو يئزها» فدلّت هذه الآية الكريمة وهذا الحديث على أن حكم الحاكم لا يغير الشيء في نفس الامر فلا يحل في نفس الامر حراما هو حرام ولا يحرم حلالا هو حلال (١) وإنما هو ملزم في الظاهر فان طابق في نفس الامر فذاك وإلا فلا حاكم أجره وعلى المحتال وزره ولهذا قال تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكم لأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون) أي تعاملون بطلان ما تدعون وتروجونه في كلامكم قال قتادة: «علم يا ابن آدم أن قضاء القاضي لا يحل لك حراما ولا يحق لك باطلا وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرى وتشهد به اليهود

ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضا فقل النبي صلى الله عليه وسلم للحضرمي «ألك بينة؟» قل لا قل «فلك بمنه» فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما إن حلف على ماله ليا كاه ظمأ ليلقين الله وهو عنه معرض» فأنزل الله هذه الآية (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله وأصل الباطل الشيء الذاهب والاكل بالباطل أنواع قد يكون بطريق الغصب والنهب وقد يكون بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني وغيرهما وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة (وتدلوا بها الى الحكم) أي تلقوا أمور تلك الاموال بينكم وبين أربابها الى الحكم وأصل الادلاء ارسال الدلو وإلقاؤه في البئر يقال أدلى دلوه إذا أرسله ودلاه يدلوه إذا أخرجه قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال ويخاصم فيه الى الحاكم وهو يعرف أن الحق عليه وأنه آثم بمنه قال مجاهد في هذه الآية لا نخاصم وأنت ظالم قال السكبي هو أن يقيم شهادة الزور: وقوله وتدلوا في محل الجزم بتكرير حرف النهي معناه ولا تدلوا بها الى الحكم وقيل معناه ولا تأكلوا بالباطل وتنسبونه الى الحكم قال قتادة لا تدل بمال أخيك الى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شرح القاضي يقول اني لا أقضي لك واني لا ظنك ظلما ولكن لا يسعني الا ان أقضي لك بما يحضرني من البينة وان قضائي لا يحل لك حراما. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن احمد الحلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إنما أنا بشر وأنكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو

(١) هذه عبارة نسخة الازهر. وفي المطبوعة فلا يحل في نفس الامر حراما هو حلال ولا يحرم باطلا هو حلال. اه وهو خطأ ظاهر

والقاضي بشر مخطئ، ويصيب واعلموا أن من قضي له بباطل أن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة فبقضي على المبطل للمحق بأجود مما قضي به المبطل على المحق في الدنيا

(١٨٥) يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج ، وليس البر بأن تأتوا

البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون *

قال العوفي عن ابن عباس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الألهة فأنزلت هذه الآية (يسألونك عن الألهة قل هي مواقيت للناس) يعلمون بها حل دينهم وعدة نسائهم ووقت حجهم وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية بلغنا أنهم قالوا : يا رسول الله لم خلقت الألهة ؟ فأنزل الله (يسألونك عن الألهة قل هي مواقيت للناس) يقول جعلها الله مواقيت لاصوم المسلمين وإفطارهم وعدة نسائهم وحل دينهم وكذا روى عن عطاء والضحاك وقادة والسدي والربيع بن أنس نحوه ذلك وقال عبد الرزاق عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جعل الله الألهة مواقيت للناس فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فعدوا ثلاثين يوما » ورواه الحاكم في مستدركه من حديث ابن أبي رواد به وقال كان ثقة عابداً مجتهداً شريفاً النسب فهو صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال محمد بن جابر عن قيس بن طلق عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جعل الله الألهة فإذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فان أغمى عليكم فأكلوا العدة ثلاثين » وكذا روي من حديث أبي هريرة ومن كلام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه

ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار» قوله تعالى ﴿لَتَأْكُلُوا فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿من أموال الناس بالاثم﴾ بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة. يقطع بها مال أخيه ﴿وأنتم تعلمون﴾ انكم مبطلون «قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِهْلَةِ﴾ نزلت في معاذ ابن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالوا يا رسول الله ما بال اهللال يبدؤ دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حالة فانزل الله تعالى (يسألونك عن الالهة) وهي جمع هلال مثل رداء وأردية سمي هلالا لان الناس يرفعون أصواتهم بالدكر عند رؤيته من قولهم استهل الصبي اذا صرخ حين يولد وأهل القوم بالحج اذا رفعوا أصواتهم بالتلبية ﴿قل هي موافيت للناس والحج﴾ جمع ميقات أي فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات الحج والعمرة والصوم والافطار وأجال الديون وعدد النساء وغيرها فلذلك خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ قال أهل التفسير كان الناس في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فان كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته ليسدخل منه ويخرج أو يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من أهل الوبر

وقوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) قال البخاري : حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال : كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي إسحاق عن البراء قال : كانت الانصار إذا قدموا من سفرهم لم يدخل الرجل من قبل بابه فتزلت هذه الآية قال الأعشى : عن أبي سفيان عن جابر كانت قريش تدعى المحس وكانوا يدخلون من الابواب في الاحرام وكانت الانصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الاحرام فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر من الانصار فقالوا يا رسول الله : إن قطبة بن عامر رجل تاجر وإنه خرج معك من الباب فقالوا له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت فقال : إني أحس قال له : فإن ديني دينك فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) رواه ابن أبي حاتم ورواه العوفي عن ابن عباس بنحوه وكذا روي عن مجاهد والزهري وقتادة وإبراهيم النخعي والسدي خرج من خلف الحيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل من احرامه ويرون ذلك أبر إلا أن يكون من المحس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وخيتم وبنو عامر بن صعصعة وبنو مضر بن معاوية سموا حميا لتشددهم في دينهم والحامسة الشدة والصلابة قالوا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بيتا لبعض الانصار فدخل رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت علي أثره من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم دخلت من الباب وأنت محرم ؟ » قال رأيتك دخلت فدخلت على أترك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أحس فقال الرجل ان كنت أحسبني فإني أحسبي رضيت بهديك وسميتك ودينك فأنزل الله تعالى هذه الآية : وقال الزهري كان ناس من الانصار إذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدوله الحاجة بعد ما يخرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف البيت ان يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ، ثم يقوم في حجرته فيأمر بمحاجته حتى بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل على أثره من الانصار من بني سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لم فعلت ذلك ؟ » قال لا بني رأيتك دخلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أحس » فقال الانصاري وأنا أحسبي يقول وأنا على دينك فأنزل الله تعالى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر البيهقي والعيوب والجيون والعيوب وشيوخا بكسر واثلهم لمكان الياء وقرأ الباقر بالضم على الاعل وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي جيوب بكسر الجيم وقرأ أبو بكر وحمزة العيوب بكسر العين (ولكن البر من اتقى) أي البر من اتقى (وأتوا البيوت من أبوابها)

والربيع بن أنس وقال الحسن البصري : كان اقوام من اهل الجاهلية اذا اراد احدهم سفراً وخرج من بيته يريد سفره الذي خرج له ثم بدا له بعد خروجه ان يقيم ويدع سفره لم يدخل البيت من بابه ولكن يتسوره من قبل ظهره فقال الله تعالى : ليس ذلك بالبر ان تأنوا البيوت من ظهورها الآية . وقال محمد بن كعب : كان الرجل اذا اعتكف لم يدخل منزله من باب البيت فأزل الله هذه الآية وقال عطاء بن ابي رباح : كان اهل يثرب اذا رجعوا من عيدهم دخلوا منازلهم من ظهورها وبرون ان ذلك ادنى الى البر فقال الله (وليس البر بأن تأنوا البيوت من ظهورها) ولا يرون ان ذلك ادنى الى البر وقوله (واتقوا الله لعلكم تفلحون) اي اتقوا الله فافعلوا ما امركم به واتركوا ما نهاكم عنه (لعلكم تفلحون) غدا اذا وقفت بين يديه فيجازيكم على التمام والكمال

(١٨٧) وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

(١٨٨) واقتلوا من حيث تقتلهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ، ولا

تقاتلوا عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوا كذلك جزاء الكافرين

(١٨٩) فان انتهوا فان الله غفور رحيم (١٩٠) وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله

فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين *

قول أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالمة في قوله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الله الذين يقاتلونكم) قال هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عن كف عنه حتى نزلت سورة براءة وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حتى قال هذه منسوخة بقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وفي هذا نظر لان قوله (الذين يقاتلونكم) إنما هو تهديد وإغراء بالاعداء الذين همتم قتال الاسلام وأهله أي كما يقاتلونكم فاقتلوا كما قال (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) ولهذا قال في هذه الآية

في حال الاحرام ﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله ﴾ اي في طاعة الله ﴿ الذين يقاتلونكم ﴾ كان في ابتداء الاسلام امر الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امره بقتال من قاتله منهم بهذه الآية : وقال الربيع بن أنس هذه أول آية نزلت في القتال ثم امره بقتال المشركين كافة قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله اقاتلوا المشركين فصارت هذه الآية منسوخة بها وقيل نسخ بقوله اقاتلوا المشركين قريب من سبعين آية وقوله ﴿ ولا تعتدوا ﴾ اي لا تبدؤهم بالقتال وقيل هذه الآية محكمة غير منسوخة امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المقاتلين ومعنى قوله (ولا تعتدوا) اي لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان ولا من اتى اليكم السلام هذا قول ابن عباس ومجاهد اخبرنا ابو الحسن السرخسي اخبرنا زاهر بن احمد اخبرنا ابو

(واقتلوهم حيث تقتلهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي لتكون همتكم منبذة على قتالهم كما همتهم منبذة على قتالكم وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قصاصا

وقوله (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) أي قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك

ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي كما قاله الحسن البصري من المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيخ الذي لا رأي لهم ولا قتال فيهم والرهبان وأصحاب الصوامع وتحرير الأشجار وقتل الحيوان

لغير مصلحة كما قال ذلك ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومقاتل بن حيان وغيرهم ولهذا جاء في صحيح

مسلم عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر

بالله اغزرا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولد ولا أصحاب الصوامع» رواه الامام أحمد

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشه قل: «أخرجوا بسم الله

قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله لا تعتدوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع»

رواه الامام أحمد ولابي داود عن أنس مرفوعا نحوه وفي الصحيحين عن ابن عمر قال وجدت امرأة

في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء

والصبيان. وقال الامام أحمد حدثنا مصعب بن سلام حدثنا الأجلح عن قيس بن أبي مسلم عن ربي

ابن خراش قال سمعت حذيفة يقول ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثالا واحد وثلاثة وخمسة

وسبعة وتسمة واحد عشر فضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منها مثالا وترك سائرهما قال

«ان قوما كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل نجبر وعداوة فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا الى

عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فاستخطوا الله عليهم الى يوم القيامة» هذا حديث حسن الاسناد ومعناه ان

هؤلاء الضعفاء لما قدروا على الاقوياء فاعتدوا عليهم فاستعملوهم فيما لا يليق بهم استخطوا الله عليهم

بسبب هذا الاعتداء والاحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا. ولما كان الجهاد فيه ازهاق النفوس

بكر بن محمد سهل (١) القهستاني المعروف بأبي قراب اخبرنا محمد بن عيسى الطوسي انا يحيى بن بكير انا

الليث بن سعد عن جرير بن حازم عن شعبة عن علقمة بن يزيد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال

كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا قال «اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله

لا تغلوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليدا ولا شيخا كبيرا» وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس نزلت

هذه الاية في صلح الحديبية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه للعمرة وكانوا

الفا واربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصددهم المشركون عن البيت الحرام فصالحهم على ان يرجع

عامه ذلك على ان يدخلوا مكة العام القابل ثلاثة ايام فيطوف بالبيت فلما كان العام القابل تجهز

رسول الله واصحابه لعمرة القضاء وخافوا ان لا تنفي قريش بما قالوا وان يصدوهم عن البيت الحرام

وكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزل الله تعالى

(وقاتلوا في سبيل الله) يعني محرمين (الذين يقاتلونكم) يعني قريشا (ولا تعتدوا) فبئدوا بالقتال في الحرم

وقتل الرجال نبه تعالى على أن ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأظم من القتل ولهذا قال (والفتنة أشد من القتل) قل أبو مالك أي ما أنتم مقيمون عليه أكبر من القتل . وقال أبو العالية ومجاهد ومعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس في قوله (والفتنة أشد من القتل) بقول الشرك (١) أشد من القتل وقوله (ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام) كما جاء في الصحيحين « أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة ولم يحل إلا ساعة من نهار وأنها ساعتي هذه حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة لا يعصده شجره ولا يخلى خلاه فإن أحد ترخص بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم » يعني بذلك صلوات الله وسلامه عليه قتاله أهله يوم فتح مكة فإنه فتحها عنوة وقتل رجال منهم عند الخدمة وقيل صلحا لقوله « من أغلق بابا فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » وقوله (حي يقاتلوكم فيه . فإن قاتلوكم فاقتلواهم كذلك جزاء الكافرين) يقول تعالى ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام إلا أن يبدؤكم بالقتال فيه فلكم حينئذ قتلهم وقتلهم دفعا للصائل كما بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم الحديبية تحت الشجرة على القتال لما نألبت عليه بطون قريش ومن والاهم من أحياء نقيف والاحاييش عامئذ ثم كف الله القتال بينهم فقال (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) وقال (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطوهم فتصيبكم منهم معة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو نزلوا العذابنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) وقوله (فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم) أي فإن تركوا القتال في الحرم وأتابوا إلى الإسلام والتوبة فإن الله يغفر ذنوبهم ولو كانوا قد قتلوا المسلمين في حرم الله فإنه تعالى لا يتعاطاه ذنب أن يغفره لمن تاب منه إليه ثم أمر تعالى بقتال الكفار (حتى يحرمين) أن الله لا يحب المعتدين . واقتلواهم حيث تقتلهم ثم قيل نسخت الآية الأولى بهذه الآية وأصل الثقافة الحذق والبصر بالأمور ومعناه واقتلواهم حيث ابصرتهم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم (واخرجوهم من حيث اخرجوكم) وذلك أنهم اخرجوا المسلمين من مكة : فقال اخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم (والفتنة أشد من القتل) يعني شرهم بالله عز وجل أشد وأعظم من قتلهم إياهم في الحرم والأحرام (ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلواهم) قرأ حمزة والكسائي ولا تقتلواهم حتى يقتلوكم فإن قاتلوكم بغير ألف فيهن من القتل على معنى ولا تقتلوا بعضهم ، تقول العرب قتلنا بني فلان — وإنما قتلوا بعضهم . وقرأ الباقر بالالف من القتال . وكان هذا في ابتداء الإسلام كان لا يحل بدايتهم بالقتال في البلد الحرام ، ثم صار منسوخا بقوله تعالى (واقتلواهم حتى لا تكون فتنة) هذا قول قتادة ، وقال مقاتل بن حبان قوله (واقتلواهم) حيث ثقتهم ، أي حيث أدركتهم في الحل والحرم صارت هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام) ثم نسختها آية السيف في براءة فهي ناسخة منسوخة . وقال مجاهد وجماعة : هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء

(١) معنى الفتنة المطابق للغة ما رأيت في الصفحة ٤٣٦ وفي آخر الصفحة ٤٣٥ من البغوي عن ابن عمر وهو تعذيب المرء أو قتله لأجل دينه . وما عداه فتفسير مجازي كاطلاق الشيء على سببه أو لازمه

لا تكون فتنة) أي شرك قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بن أسلم (ويكون الدين لله) أي يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان كما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويتأمل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» وفي الصحيحين «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»

وقوله (فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) يقول تعالى فإن انتهوا عما هم فيه من الشرك وقتال المؤمنين فكفوا عنهم فإن من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم ولا عدوان إلا على الظالمين وهذا معنى قول مجاهد أن لا يقاتل إلا من قاتل أو يكون تقديره فإن انتهوا فقد تخلصوا من الظلم وهو الشرك فلا عدوان عليهم بعد ذلك والمراد بالعدوان ههنا المعاقبة والمقاتلة كقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليكم) وقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به (ولهذا قال عكرمة وقتادة الظالم الذي أبى أن يقول لا إله إلا الله وقال البخاري قوله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الآية حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال أئنا رجلاً في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس ضيئوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي صلى الله عليه وسلم فأبى عنك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرم دم أخي قال: ألم يقل الله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة)؟ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة وحتى يكون الدين لغير الله وزاد عثمان بن صالح عن ابن وهب أخبرني فلان وحياة بن شريح عن بكر بن عمر المغافري أن بكير بن عبد الله حدثه عن نافع أن رجلاً أتى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن ما حملك على القتال في الحرم؟ كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا عن القتال والكفر (فإن الله غفور رحيم) أي غفور لما سلف رحيم بالعباد (وقاتلوه) يعني المشركين (حتى لا تكون فتنة) أي شرك يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني إلا الإسلام فإن أبي قتل (ويكون الدين) أي الطاعة والعبادة (لله) وحده فلا يعبد شيء دونه. قال نافع: جاء رجل إلى ابن عمر في فتنة ابن الزبير فقال ما يمنعك أن تخرج؟ قال يمنعني أن الله حرم دم أخي. قال: ألا تسمع ما ذكره الله عز وجل (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) فقال يا ابن أخي ولأن اعتبر بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن أعتبر بالآية التي يقول الله عز وجل فيها (ومن يقتل مؤمناً معتمداً) قال ألم يقل الله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) قال قد فعلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كن الإسلام قليلاً وكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلونه أو يعذبونه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم تريدون أن تقاتلوهم حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله. وعن سعيد بن جبيرة قال: قال رجل لابن عمر كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال هل تدري ما الفتنة؟ كان محمد صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين

أن تخرج عاما وتقيم عاما وتترك الجهاد في سبيل الله عز وجل وقد علمت ما رغب الله فيه ؟ فقال يا ابن أخي بني الاسلام على خمس : الايمان بالله ورسوله والصلاة الخمس وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت . قالوا يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله) (وقتلوه حتى لا تكون فتنة) قال فعلنا على عهد رسوله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قليلا فكان الرجل يفتن في دينه اما قتلوه أو عذبوه حتى كثر الاسلام فلم تكن فتنة ، قال فما قولك في علي وعثمان ؟ قال أما عثمان فكان الله عنا عنه وأما أنتم فكرهتم أن يعفو عنه ، وأما علي فابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختمه فأشار بيده فقال هذا بيته حيث ترون

(١٩١) الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمان قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه

بمثل ما اعتدوا عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين

قال عكرمة عن ابن عباس والضحاك والسدي وقتادة ومقسم والربيع بن انس وعطاء وغيرهم لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا في سنة ست من الهجرة وحجبه المشركون عن الدخول والوصول الى البيت وصدوه بمن معه من المسلمين في ذي القعدة وهو شهر حرام حتى قاضاه على الدخول من قال فدخلها في السنة الآتية هو ومن كان معه من المسلمين وأقصه الله منهم فنزلت في ذلك هذه الآية (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمان قصاص) وقل الامام أحمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا ايوب بن سعد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام الا أن يغزو وتغزوا فاذا حضره أقام حتى يناسخ . هذا إسناد صحيح . ولهذا لما باغ النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بالحديبية ان عثمان قبل وكان قد بعثه في رسالة الى المشركين بايع

وكان الدخول عليهم فقة وليس قتالكم كقتالهم (١) على الملك (فان انتهوا) على الكفر وأسلموا (فلا عدوان) فلا سبيل (الا على الظالمين) قاله ابن عباس يدل عليه قوله تعالى (أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي) وقال أهل المعاني : العدوان الظلم أي فان أسلموا فلا نهب ولا أسر ولا قتل (الا على الظالمين) الذين بقوا على الشرك وما يفعل بأهل الشرك من هذه الاشياء لا يكون ظلما وسماه عدوانا على طريق المجازاة والمقابلة كما قال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) وكقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثله) وسمى الكافر ظلما لانه يضع العبادة في غير موضعها

قوله تعالى (الشهر الحرام بالشهر الحرام) نزلت هذه الآية في عمرة القضاء وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا في ذي القعدة فصد المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على ان ينصرف عنه ذلك ويرجع العام المقبل فيعضي عمرته ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه ذلك ورجع في العام التالي في ذي القعدة وقضى عمرته سنة سبع من الهجرة فذلك معنى قوله تعالى (الشهر الحرام) يعني

(١) الظاهر أن يقال ليس قتالهم كقتالكم على الملك - وفي سيئتنا : وليس قتالكم على الملك مخذف اسم ليس أو مقطوع من الناسخ

أصحابه وكانوا ألفا واربعمائة تحت الشجرة على قتال المشركين فلما بلغه أن عثمان لم يقتل كف عن ذلك وجنح الى المسألة والمصالحة فكان ما كان . وكذلك لما فرغ من قتال هوازن يوم حنين وتحصن فاهم بالطائف عدل إليها فحاصرها ودخل ذو القعدة وهو محاصرها بالمنجنيق واستمر عليها الى كمال أربعين يوما كاثبت في الصحبيين عن أنس فلما كثرت القتل في أصحابه انصرف عنها ولم تفتح ثم كر راجعا الى مكة واعتمر من الجمرات حيث قسم غنائم حنين . وكانت عمرته هذه في ذي القعدة أيضا عام ثمان صلوات الله وسلامه عليه : وقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) أمر بالعدل حتى في المشركين كما قال (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عاقبتهم به) وقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ان قوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) نزلت بمكة حيث لا شوكة ولا جهاد ثم نسخ بآية القتال بالمدينة فردد هذا القول ابن جرير وقال بل الآية مدنية بعد عمرة القضية وعزا ذلك الى مجاهد رحمه الله وقوله (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) أمر لهم بطاعة الله وتقواه واخبار بأنه تعالى مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة

(١٩٢) وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين »

قال البخاري حدثنا اسحق أخبرنا النضر أخبرنا شعبة عن سليمان سمعت أبا وائل عن حذيفة (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قال نزلت في النفقة ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن أبي معاوية عن الأعمش به مثله قال وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء والضحاك والحسن وقنادة والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران قال حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعا أبو أيوب الانصاري فقال ناس ألقى بيده الى التهلكة فقال أبو أيوب

ذي القعدة الذي دختم فيه مكة وقضيت فيه عمرتكم سنة سبع (بالشهر الحرام) يعني ذا القعدة الذي صدقتم فيه عن البيت سنة ست (والحرمت قصاص) جمع حرمة وانما جمعها لانه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام . والقصاص المساواة والمائلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل . وقيل هذا في أمر القتال معناه ان بدؤكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه فانه قصاص بما فعلوا فيه (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) وقاتلوه (بمثل ما اعتدى عليكم) سمي الجزاء باسم الابتداء على ازدواج الكلام كقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) قوله تعالى (وأنفقوا في سبيل الله) أراد به الجهاد وكل خير هو في سبيل الله ، ولكن اطلاقه ينصرف الى الجهاد (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قيل الباء في قوله تعالى (بأيديكم) زائدة يريد ولا تلقوا أيديكم ، اي أنفسكم (الى التهلكة) عبر عن الانفس بالايدي كقوله تعالى (بما كسبت أيديكم) أي بما كسبتم . وقيل الباء في موضعها وفيه حذف أي ولا تلقوا أنفسكم

نحن أعلم بهذه الآية انما نزلت فينا : صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه فلما فشا الاسلام وظهر اجتهدنا معشر الانصار تحييا فقلنا قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره حتى فشا الاسلام وكثر أهله وكنا قد أثرناه على الاهلين والاموال والاولاد وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع الى اهلينا وأولادنا فنقيم فيهما فنزل فينا (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) فكانت التهلكة في الإقامة في الاهل والمال وترك الجهاد ، رواه أبو داود والترمذي والنسائي وعبد بن حميد في تفسيره وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه والحافظ أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه كلهم من حديث يزيد بن أبي حبيب به وقال الترمذي حسن صحيح غريب وقال الحاكم على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ولفظ أبي داود عن أسلم أبي عمران كنا بالقسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى أهل الشام رجل يزيد ابن فضالة بن عبيد فخرج من المدينة صف عظيم من الروم فصففنا لهم فحمل رجل من المسلمين على الروم حتى دخل فيهم ثم خرج اليها فصاح الناس اليه فقالوا : سبحان الله ألقى بيده الى التهلكة فقال أبو أيوب : يا أيها الناس إنكم لتتأولون هذه الآية على غير التأويل وانما نزلت فينا معشر الانصار انا لما أعز الله دينه وكثر ناصروه قلنا فيما بيننا : لو أقبلنا على أموالنا فأصلحناها فأنزل الله هذه الآية وقل أبو بكر بن عياش عن أبي اسحق السبيعي قال : قل رجل للبراء بن عازب ان حملت على العدو وحدي فقتلوني أكنت ألقيت بيدي الى التهلكة ؟ قال : لا قال الله لرسوله (فقاتل في سبيل الله لا تكلف الانفسك) انما هذه في النفقة رواه ابن مردويه وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث اسرائيل عن أبي اسحق وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الترمذي وقيس بن الربيع عن أبي اسحق عن البراء فذكره وقال بعد قوله (لا تكلف الانفسك) ولكن التهلكة أن بأيديكم الى التهلكة أي الهلاك . وقيل التهلكة كل شيء يصير عاقبته الى الهلاك ، أي ولا تأخذوا في ذلك . وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه ، والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ، والعرب لا تقول للانسان التي بيده الا في الشر ، واختلفوا في تأويل هذه الآية ، فقال بعضهم : هذا في البخل وترك الانفاق يقول (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) بترك الانفاق في سبيل الله وهو قول حذيفة والحسن وقتادة وعكرمة وعطاء . وقال ابن عباس في هذه الآية : انفق في سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم أو مشقة ولا يقولن أحدكم اني لا أجد شيئا . وقال السدي فيها : انفق في سبيل الله ولو عملا (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) ولا تقل ليس عندي شيء . وقال سعيد بن المسيب ومقاتل بن حبان : لما أمر الله تعالى بالانفاق قال رجل أمرنا بالنفقة في سبيل الله ولو أنفقنا أموالنا بقينا فقراء ، فأنزل الله هذه الآية . وقال مجاهد : فيها لا يمنعكم من نفقة في حق خيفة العيلة . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أخبرنا أبو غسان أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي

يذنب الرجل الذنب فيلقي يده الى التهلكة ولا يتوب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي بكر بن نمير بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن عبد الرحمن الأسود بن عبد يغوث أخبره أنهم حاصروا دمشق فانطلق رجل من أزد شنوءة فأمرع الى العدو وحده ليستقبل فعاب ذلك عليه المسلمون ورفعوا حديثه الى عمرو بن العاص فأرسل اليه عمرو وفرده وقال عمرو قال الله (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وقال عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قال ليس ذلك في القتال انما هو في النفقة أن تمسك بيدك عن النفقة في سبيل الله ولا تلق بيدك الى التهلكة قال حماد بن سلمة عن داود عن الشعبي عن الضحاك بن أبي جبير قال كانت الانصار تصدقون وينفقون من أموالهم فأصابهم سنة فأمسكوا عن النفقة في سبيل الله فنزلت (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وقال الحسن البصري (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قال هو البخل ، وقال سماك بن حرب عن النعمان بن بشير في قوله (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) أن يذنب الرجل الذنب فيقول لا يغفر لي فأنزل الله (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) رواه ابن مردويه : وقال ابن أبي حاتم وروى عن عبيدة السلماني والحسن وابن سيرين وأبي قلابة نحوه ذلك يعني نحو قول النعمان بن بشير انها في الرجل يذنب الذنب فيعتقد أنه لا يغفر له فيلقي يده الى التهلكة أي يستكثر من الذنوب فبهلك . ولهذا روي على بن أبي طلحة عن ابن عباس التهلكة عذاب الله وقال ابن أبي حاتم وابن جرير جميعا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن القرظي (محمد بن كعب) أنه كان يقول في هذه الآية (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قال كان القوم في سبيل الله فينزود الرجل فكان أفضل زادا من الآخر انفق البائس (١) من زاده حتى لا يبقى

أخبرنا واصل مولى أبي عتيبة عن بشار بن أبي سيف عن الوليد بن عبد الرحمن عن عياض بن غصيف قال أتينا أبا عبيدة نعوذ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسمائة ، ومن أنفق نفقة على أهله فالحسنة بعشر أمثالها . وقال زيد بن اسلم : كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فلما أن يقطع بهم واما ان يكونوا عيالا فأمرهم الله تعالى بالانفاق على أنفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شيء ينفقه فلا يخرج بغير نفقة ولا قوت فيلقي يده الى التهلكة فالتهلكة ان يهلك من الجوع والعطش أو بالمشي . وقبل نزات الآية في ترك الجهاد ، قال أبو أيوب الانصاري : نزلت فينا عشر الانصار وذلك ان الله تعالى لما أعز دينه ونصر رسوله قلنا فيما بيننا انا قد تركنا أهملنا وأموالنا حتى فشا الاسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا الى أهملنا وأموالنا فاقنا فيها فاصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله تعالى (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) فالتهلكة الإقامة في الابل والمال وترك الجهاد فزال أبو أيوب مجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية فثوى هناك ودفن في أصل سور القسطنطينية وهم يستسقون به . وروي

(١) وفي الدر المنثور
الياس وفي نسخة
الازهر : انفقوا
الباقين فليحرق

من زاده شيء أحب ان يواسي صاحبه فأنزل الله (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وبه قال ابن وهب أيضا أخبرني عبد الله بن عباس عن زيد بن أسلم في قول الله (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وذلك ان رجلا كانوا يخرجون في بعوث يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير نفقة فاما أن يقطع بهم واما كانوا عيالا فأمرهم الله أن يستنفقوا مما رزقهم الله ولا يلقوا بأيديهم الى التهلكة والتهلكة أن يهلك رجال من الجوع والعطش أو من المشي : وقال لمن بيده فضل (وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) ومضمون الآية الأمر بالانفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات وخاصة صرف الاموال في قتال الاعداء وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم والاخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده ثم عطف بالأمر بالاحسان وهو أعلى مقامات الطاعة فقال (وأحسنوا ان الله يحب المحسنين)

(١٩٣) وأتموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فاذا أمتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب

لما ذكر تعالى أحكام الصيام وعطف بذلك الجهاد شرع في بيان الماسك فأمر بتمام الحج والعمرة وظاهر السياق اكمال افعالهما بعد الشروع فيهما . ولهذا قال بعده فان أحصرتم أي صددتم عن الوصول الى البيت ومنعتم من اتمامهما ، ولهذا اتفق العلماء على ان الشروع في الحج والعمرة ملازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات ولم ينز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني : الالتقاء الى التهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى قال أبو قتادة : هو الرجل يصيب لذنوب فيقول : قد هلكك ليس لي توبة فيأس من رحمة الله وينهمك في المعاصي فنهاهم الله تعالى عن ذلك ، قال الله تعالى (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) ﴿ وأحسنوا ان الله يحب المحسنين ﴾

قوله عز وجل ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ قرأه علقمة وابراهيم النخعي (وأقيموا الحج والعمرة لله) واختلفوا في اتمامها فقال بعضهم هو ان يتمها بمناسكهما وحدهما ومنهما وهو قول ابن عباس وعلقمة وابراهيم النخعي ومجاهد . وأركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة وطواف الزيارة والسمي بين الصفا والمروة وحلق الرأس أو التقصير والحج تحللان وأسباب التحلل ثلاثة رمي جمرة العقبة يوم النحر وطواف الزيارة والحلق فاذا وجد شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حصل التحلل الاول وبالثلاث حصل التحلل الثاني ، وبعد التحلل

دعوا بالمال في (١)
تفسيره في قوله تعالى
لأنه : ما كان
دعوا بالمال

سواء قيل بوجوب العمرة أو باستحبابها كما هما قولان للعلماء وقد ذكرناهما بدلائلهما في كتابنا الأحكام مستقصى والله الحمد والمنة : وقال شعبه عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن لمة عن علي أنه قال في هذه الآية (وأتموا الحج والعمرة لله) قال ان تحرم من ديرة أهلك وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ، وعن سفيان الثوري أنه قال في هذه الآية أتمامهما أن تحرم من أهلك لا تريد إلا الحج والعمرة ونهل من الميقات ليس أن تخرج لتجارة ولا لحاجة حتى إذا كنت قريبا من مكة قلت لو حججت أو اعتمرت . وذلك يجرى ، ولكن التمام أن تخرج له ولا تخرج لغيره ، وقال مكحول أتمامهما انشاؤهما جميعا من الميقات ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري قال بلغنا أن عمر قال في قول الله (وأتموا الحج والعمرة لله) من أتمامهما أن تفرد كل واحد منهما من الآخر وأن تعتمر في غير أشهر الحج أن الله تعالى يقول (الحج أشهر معلومات) وقال هشام عن ابن عون سمعت القاسم بن محمد يقول ان العمرة في أشهر الحج ليست بتمامة فقبل له فالعمرة في المحرم قال كانوا يبرونها تامة وكذا روي عن قتادة بن دعامة رجهما الله وهذا القول فيه نظر لانه قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلها في ذي القعدة عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست وعمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع وعمرة الجعرانة في ذي القعدة سنة ثمان وعمرته التي مع حجة أحرمت بهما معا في ذي القعدة سنة عشر وما اعتمر في غير ذلك بعد هجرته ولكن قال لام هاني «عمرة في رمضان تعدل حجة معي» وما ذك إلا لأنها قد عزمتم على الحج معه عليه السلام فاعتاقت عن ذلك بسبب الطهر كما هو مبسوط في الحديث عند البخاري ونص سعيد بن جبير على أنه من خصائصها والله أعلم

الاول يستبيح جميع مخطورات الاحرام الا النساء ، وبعد الثاني يستبيح السكك ، وأركان العمرة أربعة : الاحرام والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والخلق . قال سعيد بن جبير وطاوس : تمام الحج والعمرة ان تحرم بهما مفردين مسأنفين من ديرة أهلك ، ومثل علي بن أبي طالب عن قوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله) قال ان تحرم بهما من ديرة أهلك . ومثله عن ابن مسعود قال قتادة : تمام العمرة ان تعتمر في غير أشهر الحج فإن كانت في أشهر الحج ثم أقام حتى حج فهي متعة وعليه فيها الهدى ان وجده أو الصيام ان لم يجد الهدى ، وتمام الحج ان يؤتي بمناسكه كلها حتى لا يلزمه عما ترك دم (١) بسبب قران ولا متعة . وقال الضحاك : أتمامها ان تكون النفقة حلالا وينتهي عما نهى الله عنه . وقال سفيان الثوري : أتمامهما ان تخرج من أهلك لها ولا تخرج لتجارة ولا حاجة أخرى . قال عمر بن الخطاب : الوفد كثير والحاج قليل ، واتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا ، واختلفوا في وجوب العمرة فذهب أكثر أهل العلم الى وجوبها وهو قول عمر وعلي وابن عمر ، وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال : والله ان العمرة اقربينة الحج في كتاب الله (وأتموا الحج والعمرة لله) وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد والحسن وقاتدة وسعيد بن جبير

في هذا الفصل (١)
في عمارة التمثيل في الحج

(١) وفي نسخة: حتى لا يلزم عامله دم الخ

وقال السدي في قوله (وأتموا الحج والعمرة لله) أي أقيموا الحج والعمرة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (وأتموا الحج والعمرة لله) يقول من أحرم بحج أو بعمرة فليس له أن يحل حتى يتمهما تمام الحج يوم النحر إذا رمى جرة العقبة وطاف بالبيت وبالصفاء والمروة فقد حل . وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس أنه قال الحج عرفة والعمرة الطواف وكذا روى الأعمش عن إبراهيم عن علقمة في قوله (وأتموا الحج والعمرة لله) قال هي قراءة عبد الله : وأتموا الحج والعمرة إلى البيت لا يجاوز (١) بالعمرة البيت . قال إبراهيم فذكرت ذلك لاسمعي بن جبير فقال كذلك قال ابن عباس : وقال سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة أنه قال : وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت . وكذا روي الثوري أيضا عن إبراهيم عن منصور عن إبراهيم أنه قرأ وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت . وقرأ الشعبي (وأتموا الحج والعمرة لله) برفع العمرة وقال ليست بواجبة . وروي عنه خلاف ذلك . وقد وردت أحاديث كثيرة من طرق متعددة عن أنس وجماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع في إحصائه الحج وبعرة وثبت عنه في الصحيح أنه قال لأصحابه « من كان معه هدى فليهل بالحج وبعرة » وقال في الصحيح أيضا « دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة » وقد روى الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في سبب نزول هذه الآية حديثا غريبا فقال حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عبد الله الهروي حدثنا غسان الهروي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عطاء عن صفوان بن أمية أنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم متضمخ بالزعفران عليه جبة فقال كيف تأمرني يا رسول الله في عمري ؟ قال فأنزل الله (وأتموا الحج والعمرة لله) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أين السائل عن العمرة » فقال ها أنا ذا فقال له « ألق عنك ثيابك ثم اغتسل واستنشق ما استطعت ثم ما كنت صانعا في حجك فاصنع في عمرتك » هذا حديث غريب وسياق عجيب

والله ذهب الثوري والشافعي في أصح قوليه ، وذهب قوم إلى أنها سنة وهو قول جابر وبه قال الشعبي والله ذهب مالك وأهل العراق وتأولوا قوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله) على معنى أنموها إذا دخلتم فيها ، أما ابتداء الشروع فيها فمطوع واحتج من لم يوجبها بما روي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن العمرة أواجبة هي ؟ فقال « لا وإن تعتمروا خير لكم » والقول الأول أصح ومعنى قوله (وأتموا الحج والعمرة لله) أي ابتدئوها ، فإذا دخلتم فيها فأنموها فهو أمر بالابتداء والانتهاء أي أقيموها كقولهم تعالى (ثم أنمو الصيام إلى الليل) أي ابتدئوه وأنموه . أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزباني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا ابن أبي شيبة أخبرنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن غاصم عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة » وقال ابن عمر : ليس من خلق الله أحد إلا وعليه حجة وعمرة واجبتان إن استطأ إلى ذلك سبيلا

(١) نسخة الأزهري :
تجاوز بالثناة الفوقية

نسخة الأزهري :
وأتموا الحج والعمرة لله

والذي ورد في الصحيحين عن يولي بن أمية في قصة الرجل الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجرانة فقال له كيف ترى في رجل أحرم بالعمرة وعليه جبة وخلوق فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءه الوحي ثم رفع رأسه فقال أين السائل فقال هاأنا ذا فقال «أما الجبة فانزعها وأما الطبيب الذي بك فاغسله ثم ما كنت صانعا في حجبك فاصنعه في عمرتك» ولم يذكروا فيه الغسل والاستنشاق ولا ذكر نزول هذه الآية وهو عن يولي بن أمية لاصفران بن أمية قاله أعلم

وقوله (فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي) ذكروا أن هذه الآية نزلت في سنة ست أي عام الحديبية حين حال المشركون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الوصول إلى البيت وأنزل الله في ذلك سورة التمتع بكاملها وأنزل لهم رخصة أن يذبحوا ما معهم من الهدي وكان سبعين بدنة وأن يحلقوا رؤسهم وأن يتحللوا من أحرامهم فعند ذلك أمرهم عليه السلام بأن يحلقوا رؤسهم وأن يتحللوا فلم يفعلوا انتظارا للنسخ حتى خرج خفاق رأسه ففعل الناس وكان منهم من قصر رأسه ولم يحلقه فلذلك قال صلى الله عليه وسلم «رحم الله المحققين» قالوا والمقصر بن يارسول الله : فقال في الثالثة «والمقصرين» وقد كانوا اشتركوا في هديهم ذلك كل سبعة في بدنة وكانوا ألفا وأربعمائة وكان منزلهم بالحديبية خارج الحرم وقيل بل كانوا على طرف الحرم قاله أعلم . ولهذا اختلف العلماء هل يختص الحصر بالعدو فلا يتحلل الا من حصره عدو لا مرض ولا غيره على قولين فقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس ، وابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس ، وابن أبي نجيح عن ابن عباس أنه قال لا حصر الا حصر العدو فأما من أصابه مرض أو وجع أو ضلال فليس عليه شيء إنما قال الله تعالى فإذا أمنتم فليس الا من حصر قال : وروي عن ابن عمر وطاوس والزهرى وزيد بن أسلم نحو ذلك . والقول الثاني ان الحصر أعم

كما قال الله تعالى (وأنتموا الحج والعمرة لله) فمن زاد بعد ذلك فهو خير وتطوع وانفقت الآية على أنه يجوز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أوجه الافراد والتمتع والقران فصورة الافراد أن يفرد الحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر بصورة التمتع ان يعتمر في أشهر الحج ثم بعد الفراغ من أعمال العمرة يحرم بالحج من مكة فيحج في هذا العام وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل ان يفتح الطواف فيصير قارنا . واختلفوا في الافضل من هذه الوجوه فذهب جماعة الى ان الافراد أفضل ثم التمتع ثم القران وهو قول مالك والشافعي لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الاسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فدا من أهل بعمرة ومنا من أهل بحج وعمرة ومنا من أهل بحج وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج فلما من أهل بالعمرة خلل وأما من أهل بالحج أو جمع بين الحج والعمرة فإن يحلوا حتى كان يوم النحر . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب

من أن يكون بعدو أو مرض أو ضلال وهو النوهان عن الطريق أو نحو ذلك ، قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حجاج بن الصواف عن يحيى بن أبي كثير عن عكرمة عن الحجاج بن عمرو الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من كسر أو وجع أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى» قال فذكرت ذلك لابن عباس وأبي هريرة فقالا صدق (١) وأخرجه أصحاب الكتب الاربعة من حديث يحيى بن أبي كثير به وفي رواية لابني داود وابن ماجه من عرج أو كسر أو مرض فذكر معناه . ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن عرفة عن اسماعيل بن علية عن الحجاج ابن أبي عثمان الصواف به ثم قال وروي عن ابن مسعود وابن الزبير وعلقمة وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ومجاهد والنخعي وعطاء ومقاتل بن حيان انهم قالوا الاحصار من عدو أو مرض أو كسر : وقال الثوري الاحصار من كل شيء آذاه . وثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ضباعة بنت الزبير ابن عبد المطلب فقالت يا رسول الله اني أريد الحج وأنا شاكية فقال «حجي واشترطي ان تحلي حيث حبستني» ورواه مسلم عن ابن عباس بمثله فذهب من ذهب من العلماء الى صحة الاشتراط في الحج لهذا الحديث وقد علق الامام محمد بن ادريس الشافعي القول بصحة هذا المذهب على صحة هذا الحديث ، قال البيهقي وغيره من الحفاظ وقد صح والله الحمد وقوله (فما استيسر من الهدى) قال الامام مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب أنه كان يقول (فما استيسر من الهدى) شاة وقال ابن عباس الهدي من الازواج الثمانية

(١) يعنيان الحجاج
بن عمرو الراوي

أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أو العباس الاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مسلم عن أبي جريح عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر وهو يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ننوي الا الحج ولا نعرف غيره ولا نعرف العمرة وروى عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم أفرد الحج ، وذهب قوم الى ان القران أفضل وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم أخبرنا محمد بن هشام بن ملاس النخعي أخبرنا مروان بن معاوية الفزاري أخبرنا حميد قال قال أنس بن مالك : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لبيك بحجر وعمرة » وذهب قوم الى ان التمتع أفضل وهو قول أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا يحيى بن بكير أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر قال : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وأهدى فساق معه الهدى من ذي الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج فتمتع الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج فكان من الناس «من أهدى فساق الهدى ومنهم من لم يهد ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم أهدى

من الابل والبقر والمعز والضأن : وقال الثوري عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (فما استيسر من الهدى) قال شاة وكذا قال عطاء ومجاهد وطاوس وأبو العالية ومحمد بن علي ابن الحسين وعبد الرحمن بن القاسم والشعبي والنخعي والحسن وقتادة والضحاك ومقاتل بن حبان وغيرهم مثل ذلك وهو مذهب الاثمة الاربعة : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة وابن عمر أنهما كانا لابريان ما استيسر من الهدى الا من الابل والبقر قال وروي عن سالم والقاسم وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير نحو ذلك (قلت) والظاهر أن مستند هؤلاء فيما ذهبوا اليه قصة الحديدية فانه لم ينقل عن أحد منهم أنه ذبح في تحلله ذلك شاة وإنما ذبحوا الابل والبقر ففني الصحيحين عن جابر قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشترك في الابل والبقر كل سبعة منافي بقرة : وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طارس عن أبيه عن ابن عباس في قوله (فما استيسر من الهدى) قال بقدر يسارته ، وقال العوفي عن ابن عباس ان كان موسرا فن الابل والا فن البقر والا فن الغنم ، وقال هشام بن عروة عن أبيه : (فما استيسر من الهدى) قال إنما ذلك فيما بين الرخص والغلاء والدليل على صحة قول الجمهور فيما ذهبوا اليه من اجزاء ذبح الشاة في الاحصار ان الله أوجب ذبح ما استيسر من الهدى أي مها تيسر مما يسمى هديا والهدى من بهيمة الانعام وهي الابل والبقر والغنم كما قاله الجبر البعر ترجان القرآن وابن عمر الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت أهدى النبي صلى الله عليه وسلم مرة غنما

فانه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجة ومن لم يكن منكم أهدي فليطف بالبيت ويسمى بين الصفا والمروة ويقصر وليتحلل ثم ليهل بالحج فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجع الى أهله فطاف حين قدم مكة واستلم الركن أول شيء ثم خب ثلاثة أشواط ومشى أربعاً فركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أشواط ثم لم يتحلل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض فطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدي وساق الهدى من الناس وعن عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس به بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال شيخنا الامام رضي الله عنه : قد اختلف الرواة في احرام النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الاحاديث كلاماً وجزا (١) أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه فأضيف الكل اليه على معنى انه أمر به وأذن فيه فيجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الأمر به كما يجوز اضافته الى الفاعل له كما يقال بني فلان داراً وأريد انه أمر ببنائها . وكما روي ان النبي صلى الله

(١) وفي نسخة :
موجزة

وقوله (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) معطوف على قوله (وأتوا الحج والعمرة لله) وليس معطوفاً على قوله (فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى) كما زعمه ابن جرير رحمه الله لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عام الحديبية لما حصرهم كفار قريش عن الدخول إلى الحرم حلقوا وذبحوا هديهم خارج الحرم فأما في حال الأمن والوصول إلى الحرم فلا يجوز الحلق حتى يبلغ (الهدى محله) ويفرغ الناسك من أفعال الحج والعمرة إن كان قارناً أو من فعل أحدهما إن كان مفرداً أو متمتعاً كما ثبت في الصحيحين عن حفصة أنها قالت: يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة ولم تحل أذن من عمرتك؟ فقال: «إني لبدت رأسي وقلدت هدي فلا أحل حتى أقحر»

وقوله (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) قال البخاري: حدثنا آدم حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن الأصماني سمعت عبد الله بن معقل قال قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد يعني مسجد الكوفة فسألت عن فدية من صيام فقال: حملت إلى النبي صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال: «ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا أما تجد شاة؟ قلت: لا قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك» فتركت في خاصة وهي لكم عامة وقال الإمام أحمد: حدثنا اسماعيل حدثنا أيوب عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال: أتى علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا وقد تحت قدر والقمل يتناثر على وجهي أو قال حاجبي فقال: «يؤذيك هوام رأسك؟» قلت نعم قال: «فاحلقه وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو أنسك نسيسة» قال أيوب: لا أدري بأيتهن

عليه وسلم رجم ماعزاً وإنما أمر برجمه واختار الشافعي الأفراد لرواية جابر وعائشة وابن عمر وقدمها على رواية غيرهم لتقدم صحبة جابر النبي صلى الله عليه وسلم وحسن سياقه لا ابتداء قصة حجة الوداع وآخرها ولفضل حفظ عائشة وقرب ابن عمر من النبي صلى الله عليه وسلم. ومال الشافعي في اختلاف الأحاديث إلى التمتع. وقال ليس شيء من الاختلاف أيسر من هذا وإن كان الغلط فيه قبيحاً من جهر أنه مباح لأن الكتاب ثم السنة ثم ما لا أعلم فيه خلافاً يدل على أن التمتع بالعمرة إلى الحج وأفراد الحج والقرآن واسع كله أي التمتع والأفراد والقرآن وقال: من قال إنه أفرد الحج يشبه أن يكون قاله على ما يعرف من أهل العلم الذين أدركوا دور رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحداً لا يكون مقبلاً على الحج إلا وقد ابتدأ إحرامه بالحج. قال شيخنا الإمام: ومما يدل على أنه كان متمتعاً أن الرواية عن ابن عمر وعائشة متعارضة وقد روينا عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال: تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج. وقال ابن شهاب: عن عروة أن عائشة أخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة إلى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها وقال سمعنا بن أبي وقاص في المتعة صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه قال شيخنا الإمام وما روي عن جابر أن قال

بدأ وقال احمد أيضاً حدثنا هشام حدثنا أبو بشر عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال : كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ونحن محرمون وقد حصره المشركون وكانت لي رفرة فجعلت الهوام تساقط على وجهي فرعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أيؤذيك هوام رأسك » فأمره أن يحلق قال ونزلت هذه الآية (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) وبدا رواه عثمان عن شعبة عن أبي بشر وهو جعفر بن اياس به، وعن شعبة عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به، وعن شعبة عن داود عن الشعبي عن كعب ابن عجرة نحوه ، رواه الامام مالك عن حميد بن قيس عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة فذكر نحوه وقال سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة عن ابان بن صالح عن الحسن البصري أنه سمع كعب بن عجرة يقول فذبحت شاة ورواه ابن مردويه، وروي أيضاً من حديث عمر بن قيس وهو ضعيف عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النسك شاة والصيام ثلاثة أيام والطعام فرق بين ستة » وكذا روي عن علي ومحمد بن كعب وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعطاء والسدي والريعي بن أنس وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا عبد الله بن وهب أن مالك بن أنس حدثه عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذاه القمل في رأسه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلق رأسه وقال « صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين مدين مدين لكل انسان أو انسك شاة أي ذلك فعلت أجراً عنك » وهكذا روي

خرجنا لا ننوي الا الحج - لا ينافي التمتع لان خروجهم كان لقصد الحج ثم منهم من قدم العمرة ومنهم من أهل بالحج الى ان أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعله متعة . قوله تعالى ﴿ فأن أحصرتم ﴾ اختلف العلماء في الاحصار الذي يبيح للمحرم التحلل من احرامه فذهب جماعة الى ان كل مانع بمنعه عن الوصول الى البيت الحرام والمضي في احرامه من عدو أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلة يبيح له التحلل وبه قال ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير اليه ذهب سفيان الثوري وأهل العراق وقالوا ان الاحصار في كلام العرب هو حبس العلة أو المرض وقال الكسائي وأبو عبيدة ما كان من مرض أو ذهاب نفقة يقال منه أحصر فهو محصور وما كان من حبس عدو أو سجن يقال منه حصر فهو محصور ، وإنما جعل ههنا حبس العدو احصاراً قياساً على المرض اذا كان معناه احتجوا بما روي عن عكرمة عن الحجاج بن عمرو الاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل قال عكرمة : فسألت ابن عباس وأبا هريرة فقالا صدق . وذهب جماعة الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عباس وقال لا حصر الا حصر العدو . وروي معناه عن ابن عمر وعبد الله بن الزبير وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي وأحمد واسحق . وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد

ابن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) قال إذا كان أو فاية أخذت أجزاء عنك قال ابن أبي حاتم دروي عن مجاهد وعكرمة وعطاء وطاوس والحسن وحيد الأعرج وإبراهيم النخعي والضحاك نحو ذلك (قلت) وهو مذهب الأئمة الأربعة وعامة العلماء أنه يغير في هذا المقام إن شاء صام وإن شاء تصدق بفرق وهو ثلاثة أصع لكل مسكين نصف صاع وهو مدان وإن شاء ذبح شاة وتصدق بها على الفقراء أي ذلك فعل أجزاءه ولما كان لفظ القرآن في بيان الرخصة بالأسهل فالأسهل (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن عجرة بذلك أرشده إلى الأفضل فلا يفضل فقال : إنك شاة أو أطعم ستة مساكين أو صم ثلاثة أيام فكل حسن في مقامه ولله الحمد والمنة وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عياش قال : ذكر الأعمش قال : سأل إبراهيم سعيد بن جبير عن هذه الآية (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) فأجابه بقول يحكم عليه طعام فإن كان عنده اشترى شاة وإن لم يكن قومت الشاة دراهمًا وجعل مكانها طعام فتصدق والا صام لكل نصف صاع يوما قال إبراهيم كذلك سمعت علقمة يذكر قال : لما قال لي سعيد بن جبير من هذا ما أظرفه ؟ قال : قلت هذا إبراهيم فقال ما أظرفه كان يجالسنا قال : فذكرت ذلك لإبراهيم قال : فلما قلت يجالسنا انتقض منها وقال ابن جرير أيضا حدثنا ابن أبي عمران حدثنا عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن أشعث عن الحسن في قوله (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) قال : إذا كان بالحرم أذى من رأسه حلق وافتدى بأي هذه الثلاثة شاء والصيام عشرة أيام والصدقة على عشرة مساكين كل مسكين مكو كين مكو كما من تمر ومكو كما من بر والنسك شاة وقال قتادة عن الحسن وعكرمة في قوله (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) قال ثعلب : تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور وأحصره العدو إذا منعه عن السير هو محصر ، واحتجوا بأن نزول هذه الآية في قصة الحديدية وكان ذلك حبسا من جهة العدو وبدل عليه قوله تعالى في سياق الآية (فاذا أمنتم) والأمن يكون من الخوف ، وضعفوا حديث الحجاج بن عمرو بما ثبت عن ابن عباس أنه قال : لا حصر إلا حصر العدو ، وتأوله بعضهم على أنه إنما يحل بالكسر والعرج إذا كان قد شرط ذلك في عقد الأحرار كما روى أن ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : حجني واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني ثم المحصر يتحل بذبح الهدى وحلق الرأس والهدى بشاة وهو المراد من قوله تعالى (فما استيسر من الهدى) ومحل ذبحه حيث أحصر عند أكثر أهل العلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدى عام الحديدية بها ، وذهب قوم إلى أن المحصر يقيم على أحراره ويعد بهديه إلى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل وهو قول أهل العراق ، واختلف القول في المحصر إذا لم يجد هديا ففني قول لا بدل له فيتحلل والهدى في ذمته إلى أن يجده . والقول الثاني له بدل فعلى هذا اختلف القول فيه ، ففني قول عليه صوم التمتع . وفي قول تقوم الشاة بدراهم ويجعل الدراهم طعاما فيتصدق به فإن عجز عن الإطعام

(أو نسك) قال: إطعام عشرة مساكين وهذا القولان من سعيد بن جبير وعلمة والحسن وعكرمة قولان غريبان فيهما نظر لانه قد ثبتت السنة في حديث كعب بن عجرة الصيام ثلاثة ايام لا ستة أو اطعام ستة مساكين أو نسك شاة وإن ذلك على التخيير كما دل عليه سياق القرآن وأما هذا الترتيب فأنما هو معروف في قتل الصيد كما هو نص القرآن وعليه اجمع الفقهاء هناك بخلاف هذا والله اعلم . وقال هشام : أخبرنا ليث عن طاوس انه كان يقول ما كان من دم أو طعام فبمكة وما كان من صيام فحيث شاء ، وكذا قول مجاهد وعطاء والحسن ، وقال هشام أخبرنا حجاج وعبد الملك وغيرهما عن عطاء انه كان يقول : ما كان من دم فبمكة وما كان من طعام وصيام فحيث شاء ، وقال هشام أخبرنا يحيى ابن سعيد عن يعقوب بن خالد أخبرنا ابو اسماء ، ولى ابن جعفر قل حجاج عثمان بن عفان ومعه علي والحسين بن علي فارتحل عثمان قال ابو اسماء : وكنت مع ابن جعفر فاذا نحن برجل نائم وناقته عند رأسه قال : فقلت ايها النائم ! فاستيقظ فاذا الحسين بن علي قال لحمله ابن جعفر حتى اتينا به السقيا قال : فأرسل الى علي ومعه اسماء بنت عميس قل : فمريضنا نحوا من عشر بن ليلة قال : قال علي للحسين ما الذي تجد ؟ قال : فأومأ بيده الى رأسه قال : فأمر به علي فخلق رأسه ثم دعا ببدنة فنحرها فان كانت هذه الناقة عن الحلق ففيه انه نحرها دون مكة . وإن كانت عن التحلل فواضح

وقوله (فاذا امنتم فن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي) اي فاذا تمكنتم من اداء المناسك فمن كان منكم متمتعا بالعمرة الى الحج وهو يشمل من احرم بهما أو احرم بالعمرة أولا فلما فرغ منها احرم بالحج وهذا هو لمتنع الخاص وهو المعروف في كلام الفقهاء والتمتع العام يشمل القسمين كما دلت عليه الاحاديث الصحاح فان من الرواة من يقول تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مد من الطعام يوما كما في فدية الطيب واللبس فان المحرم اذا احتاج الى ستر رأسه لحرق أو برد أو الى لبس قبيص أو مرض فاحتاج الى مداراته بدواء فيه طيب فعل وعليه الفدية وفديته على الترتيب والتعديل فعليه ذبح شاة فان لم يجد يقوم الشاة بدراهم والدراهم يشتري بها طعاما فيصدق به فان عجز صام عن كل مد يوما ثم المحصر ان كان احرامه بفرض قد استقر عليه فذلك الفرض في ذمته وإن كان بحج تطوع فهل عليه القضاء ؟ اختلفوا فيه فذهب جماعة الى انه لا قضاء عليه وهو قول مالك الشافعي وذهب قوم الى ان عليه القضاء وهو قول مجاهد والشعبي والنخعي وأصحاب الرأي قوله تعالى ﴿ فما استيسر من الهدي ﴾ أى فليبه ما تيسر من الهدي ، ومحل رفع وقيل ما في محل محل النصب أى فاهدا ما استيسر . والهدي جمع هدية وهي اسم لكل ما يهدى الى بيت الله تقربا اليه ، وما استيسر من الهدي شاة قاله علي بن أبي طالب وابن عباس : لانه أقرب الى اليسر . وقال الحسن وقتادة : أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة قوله تعالى ﴿ ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله ﴾ اختلفوا في المحل الذي يحل المحصر يلوغ هديه اليه فقال بعضهم هو ذبحه بالموضع الذي أحصر فيه سواء كان في الحل أو في الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبحه فيه . أخبرنا عبد الواحد المليحي

(١) هذا المتن في نسخة (٢) هذا المتن في نسخة

(١) وفي نسخة الازهر الهدي

عليه وسلم وآخر يقول قرن ولا خلاف انه ساق هديا (١) وقال تعالى (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي) اي فليذبح ما قدر عليه من الهدي واقه شاة وله ان يذبح البقر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عن نسائه البقر، وقال لا وزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح البقر عن نسائه وكن متمتعات رواه ابو بكر بن مردويه وفي هذا دليل على مشروعية التمتع كما جاء في الصحيحين عن عمران بن حصير قال : نزلت آية التمتع في كتاب الله وفعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات قال رجل يرايه ماشاء . قال البخاري : يقال انه عمره ، وهذا الذي قاله البخاري قد جاء مصرحا به أن عمر كان ينهى الناس عن التمتع ويقول ان نأخذ بكتاب الله فان الله يأمر بالتمام يعني قوله (وأتموا الحج والعمرة لله) وفي نفس الامر لم يكن عمر رضي الله عنه ينهى عنها محرمها لما انما كان ينهى عنها ليكثر قصد الناس للبيت حاجين ومعتمرين كما قد صرح به رضي الله عنه

وقوله (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة) يقول تعالى فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج أي في أيام المناسك قال العلماء : والاولى أن يصومها قبل يوم عرفة في العشر قاله عطاء أو من حين يحرم قاله ابن عباس وغيره لقوله في الحج ومنهم من يجوز صيامها من أول شوال قاله طاوس ومجاهد وغير واحد وجوز الشعبي صيام يوم عرفة وقبلة يومين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والسدي وعطاء وطاوس والحكم والحسن وحامد وإبراهيم وأبو جعفر الباقر والربيع ومقاتل بن حيان وقال العوفي عن ابن عباس اذا لم يجد هديا فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم عرفة فاذا كان يوم عرفة الثالث فقد تم صومه وسبعة اذا رجع الى أهله

أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة في قصة الحديبية قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه « قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس . فقالت أم سلمة : يا بني الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم بكلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فاحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ردعا حالقه خلفه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا أي ازدحاما غما (١) . وقال بعضهم محل هدي المحصر الحرم فان كان حاجا فحله يوم النحر وان كان معتمرا فحله يوم يبالغ هديه الحرم قوله تعالى ﴿ فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ﴾ معناه لا تحلقوا رؤسكم في حال الاحرام الا ان تضطروا الى حلقه لمرض أو لآذى في الرأس من هوام أو صداع ﴿ ففدية ﴾ فيه اضمار أي فحلق فعليه فدية نزلت في كعب بن عجرة أنا أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل

(٢) كذا ولعله وغما وفي نسخة « غما » فقط

وكذا روى أبو اسحق عن وبرة عن ابن عمر قال : يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وكذا روى جعفر بن محمد عن أبيه عن علي أيضا فلو لم يصمها أو بعضها قبل العيد فهل يجوز أن يصومها في أيام التشريق ؟ فيه قولان للعلماء وهما للامام الشافعي أيضا القديم منهما أنه يجوز له صيامها لقول عائشة وابن عمر في صحيح البخاري لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لا يجد الهدي هكذا رواه مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة وعن سالم عن ابن عمر وقدروري من غير وجه عنهما ورواه سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي أنه كان يقول من فاته صيام ثلاثة أيام في الحج صامن أيام التشريق وبهذا يقول عبيد بن عمير الليثي عن عكرمة والحسن البصري وعروة بن الزبير وإنما قالوا ذلك لعدم قوله (فصيام ثلاثة أيام في الحج) والجديد من القولين أنه لا يجوز صيامها أيام التشريق لما رواه مسلم عن قنينة الهذلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل » وقوله (وسبعة إذا رجعت) فيه قولان : (أحدهما) إذا رجعت إلى رحالك ولهذا قال مجاهد هي رخصة إذا شاء صامها في الطريق وكذا قال عطاء بن أبي رباح والقول (الثاني) إذا رجعت إلى أوطانكم قال عبد الرزاق : أخبرنا الثوري عن يحيى بن سعيد عن سالم سمعت ابن عمر قال : (فن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعت) قال إذا رجع إلى أهله وكذا روي عن سعيد بن جبير وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وقنادة والزهري والربيع بن أنس وحكى على ذلك أبو جعفر بن جرير

أخبرنا الحسن بن خلف أخبرنا اسحق بن يوسف عن أبي بشر ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه وقوله يسقط على وجهه فقال أيؤذيكم هوامكم ؟ قال نعم . فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلق وهو بالحديبية ولم يبين لهم أنهم يحلون بها وهم على طمع أن يدخلوا مكة فأنزل الله الفدية فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطعم فرقا بين ستة مساكين أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام . قوله تعالى (ففدية من صيام) أي ثلاثة أيام (أو صدقة) أي ثلاثة أصع على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (أو نسك) وأحدثها نسيكة أي ذبيحة أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة أيها شاء ذبح فذه الفدية على النخيل والتقدير ويتخير بين أن يذبح أو يصوم أو يتصدق ، وكل هدي أو طعام يلزم المحرم يكون بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم إلا هديا يلزم الحصر فإنه يذبحه حيث أحصر ، وأما الصوم فله أن يصوم حيث شاء . قوله تعالى (فإذا أمنتم) أي من خوفكم وبرائهم من مرضكم (فن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي) اختلفوا في هذه المتعة فذهب عبد الله ابن الزبير إلى أن معناه فن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة بخروج من إحرامه بعمل عمرة واستمتع باحلاله ذلك بذلك العمرة إلى السنة المقبلة ثم حج فيكون متمتعاً بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني في العام القابل . وقال بعضهم معناه (فإذا أمنتم) وقد حللتهم من إحرامكم بعد الإحصار ولم

عامة في الفدية
شاة أو نسك
أو صدقة
أو نسيك

الاجماع وقد قال البخاري حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن ابن عمر قال : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وأهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة فأهل بعمره ثم أهل بالحج فتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج فكان من الناس من أهدى فساق الهدي ومنهم من لم يهد فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس : « من كان منكم أهدى فإنه لا يجل لشيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت وبالصفاء والمروة وليقصر وليحل ثم ليهل بالحج فن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع الى أهله » وذكر تمام الحديث قال لزهري وأخبرني عروة عن عائشة بمثل ما أخبرني سالم عن أبيه والحديث يخرج في الصحيحين من حديث الزهري . به وقوله (تلك عشرة كاملة) قيل تأكيده كما تقول العرب رأيت بعيني وسمعت بأذني وكتبت بيدي وقال الله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه) وقال (ولا نخطه بيمينك) وقال (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأعلمنا بها بشرقهم ميقات ربه أربعين ليلة) وقيل معنى كلمة الامر بالكلها وإتمامها اختاره ابن جرير وقيل معنى كلمة أي بجزئة عن الهدي قال هشام عن عباد بن راشد عن الحسن البصري في قوله (تلك عشرة كاملة) قال : من الهدي

تقضوا مرتكهم وأخروا العمرة الى السنة القابلة فاعتزتم في أشهر الحج ثم أحلتم فاستمتعتم بأحلالكم الى الحج ثم أحرمتهم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدي وهو قول علقمة وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وقال ابن عباس وعطاء وجماعة هو الرجل يقدم معتمرا من أفق من الآفاق في أشهر الحج فقضى عمرته وأقام حلالة بمكة حتى أنشأ منها الحج فخرج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالأحلال من العمرة الى وحرامه بالحج فعنى التمتع هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظورا عليه في الاحرام الى احرامه بالحج ولو جوب هدي التمتع أربع شرائط (١) أحدها ان يحرم بالعمرة في أشهر الحج (والثاني) ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة (الثالث) ان يحرم بالحج في مكة ولا يعود الى الميقات لاحرامه (الرابع) أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام ، ففني وجدت هذه الشرائط فعليه ما استيسر من الهدي وهو دم شاة ويذبحها يوم النحر فلو ذبحها قبله بعد ما أحرم بالحج يجوز عند بعض أهل العلم كدماء الجبرانات وذهب بعضهم الى انه لا يجوز قبل يوم النحر كدم الاضحية قوله تعالى ﴿ فن لم يجد ﴾ الهدي ﴿ فصيام ثلاثة أيام في الحج ﴾ أي صوموا ثلاثة أيام بصوم يوم قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة ولو صام قبله بعد ما أحرم بالحج جاز ولا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق عند أكثر أهل العلم وذهب بعضهم الى جواز صوم ثلاثة في أيام التشريق يروى ذلك عن عائشة وابن عمر ابن الزبير وهو قول مالك والاوزاعي واحمد واسحق . قوله تعالى ﴿ وسبعة اذا رجعتم ﴾ أي صوموا وسبعة أيام اذا رجعتم الى أهليكم وبلدكم فلو صام السبعة قبل الرجوع الى أهله لا يجوز وهو قول أكثر أهل العلم روى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وقيل يجوز ان يصومها بعد الفراغ من أعمال الحج

(١) هكذا ذكر العدد في جميع النسخ والمعدود مؤنث لان الشرائط جمع شريطة

وقوله (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) قال ابن جرير واختلف أهل التأويل فيمن غني بقوله (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) بعد إجماع جميعهم على أن أهل الحرم معنيون به وأنه لا متعة لهم فقال بعضهم غني بذلك أهل الحرم خاصة دون غيرهم حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان هو الثوري قال : قال ابن عباس هم أهل الحرم وكذا روى ابن المبارك عن الثوري وزاد الجماعة عليه وقال قتادة : ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول يا أهل مكة لا متعة لكم أحلت لأهل الأفاق وحرمت عليكم، إنما يقطع أحدكم وأديا أو قال يجعل بينه وبين الحرم وأديا ثم يهل بعمره. وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال : المتعة للناس لا لأهل مكة من لم يكن أهله من الحرم. وكذا قول الله عز وجل (ذلك ان لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) قال وبلغني عن ابن عباس مثل قول طاوس وقول آخرون هم أهل الحرم ومن بينه وبين المواقيت كما قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن عطاء قال : من كان أهله دون المواقيت فهو كأهل مكة لا يتمتع وقال عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن مكحول في قوله (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) قال من كان دون الميقات وقول ابن جريج عن عطاء ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام قال عرفة ومزدلفة وعرفة والرجيع وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر سمعت الزهري يقول من كان أهله على يوم أو نحوه تمتع وفي رواية عنه اليوم واليومين واختار ابن جرير في ذلك مذهب الشافعي أنهم أهل الحرم ومن كان منه على مسافة لا يقصر فيها الصلاة لأن من كان كذلك يعد حاضرا لا مسافرا والله أعلم

وهو المراد من الرجوع المذكور في الآية قوله تعالى ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾ ذكرها على وجه التأكيد وهذا لأن العرب ما كانوا يهتدون إلى الحساب فكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان وقيل فيه تقديم وتأخير يعني فصيام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتم فهي عشرة كاملة وقيل كاملة في الثواب والأجر، وقيل كاملة فيما أريد به من إقامة الصوم بدل الهدى وقيل كاملة بشروطها وحدودها، وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أي فاكلوها ولا تنقصوها ﴿ ذلك ﴾ أي هذا الحكم ﴿ لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ واختلفوا في حاضري المسجد الحرام فذهب قوم إلى أنهم أهل مكة وهو قول مالك وقيل هم أهل الحرم وبه قال طاوس وقول ابن جريج أهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلتان وقول الشافعي كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقول عكرمة هم من دون الميقات وقيل هم أهل الميقات فما دونه وهو قول أصحاب الرأي ودم الران كدم التمتع والمكي إذا قرن أو تمتع فلا هدى عليه قال عكرمة : سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال : أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وأهلنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدى » فطفنا بالبيت وبالصفاء والمرودة وأتينا النساء ولبسنا الثياب ثم أمرنا عشية التروية

وقوله (واثقوا الله) أى فيما أمركم ونهاكم (واعلموا أن الله شديد العقاب) أى لمن خالف أمره وارتكب ما عنه زجره

(١٩٦) الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب

اختلف أهل العربية في قوله (الحج أشهر معلومات) فقال بعضهم تقديره الحج حج أشهر معلومات فلى هذا التقدير يكون الاحرام بالحج فيها اكل من الاحرام فيما عداها وان كان ذلك صحيحا والقول بصحة الاحرام بالحج في جميع السنة مذهب مالك وأبي حنيفة واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وبه يقول ابراهيم النخعي والثوري والليث بن سعد واحتج لهم بقوله تعالى (يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج) وبأنه أحد النسكين فصح الاحرام به في جميع السنة كالعمرة . وذهب الشافعي رحمه الله الى أنه لا يصح الاحرام بالحج الا في أشهره فلو أحرم به قبلها لم ينعقد أحرامه به وهل ينعقد عمرة فيه قولان عنه . والقول بأن لا يصح الاحرام بالحج الا في أشهره مروى عن ابن عباس وجابر وبه يقول عطاء وطاوس ومجاهد رحمهم الله والدليل

أن نهل بالحج فاذا فرغنا فقد تم حجنا وعلينا الهدى فجمعوا بين نسكين في عام بين الحج والعمرة فان الله أنزل في كتابه وسنة نبيه وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) ومن فاته الحج وفواته يكون بغوات الوقوف بعرفة حتى يطلع الفجر يوم النحر فانه يتحلل بعمل العمرة وعليه القضاء من قبل والغدية وهي على الترتيب والتقدير كغدية التمتع والقران أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن احمد أخبرنا ابو اسحق الهاشمي أخبرنا ابو مصعب عن مالك عن ذافع عن سليمان بن يسار ان هناد بن الاسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحدر هديه فقال : يا أمير المؤمنين اخطأنا العدد كذا نظن ان هذا اليوم يوم عرفه فقال له عمر : اذهب الى مكة فطاف أنت ومن معك بالبيت واسعوا بين الصفا والمروة وانحروا هديا إن كان معكم ثم اخلقوا أو قصروا ثم ارجعوا فاذا كان العام النابل فحجوا واهدوا فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجع (واثقوا الله) في أداء الاوامر (واعلموا أن الله شديد العقاب) على ارتكاب المناهي

قوله تعالى (الحج أشهر معلومات) أى وقت الحج أشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر ويروى عن ابن عمر شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وكل واحد من اللفظين صحيح غير مختلف فيه فن قل عشر عبر به عن الياالي ومن قال تسع عبر به عن الايام فان آخر أيامها يوم عرفه وهو يوم التاسع وإنما قال أشهر بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث لاجلها وقت والعرب تسمي الوقت تاما بقليله وكثيره فيقول أينك يوم الخميس

عليه قوله (الحج أشهر معلومات) وظاهره التقدير الآخر الذي ذهب إليه النحاة وهو ان وقت الحج أشهر معلومات (١) فخصه بها من بين سائر شهور السنة فدل على انه لا يصح قبلها كميات الصلاة: وقال الشافعي رحمه الله أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس انه قال لا ينبغي لاحد أن يحرم بالحج الا في شهور الحج من أجل قول الله تعالى (الحج أشهر معلومات) وكذا رواه ابن أبي حاتم عن احمد بن يحيى بن مالك السوسي (٢) عن حجاج ابن محمد الاور عن ابن جريج به ورواه ابن مردويه في تفسيره من طريقين عن حجاج بن أرطاة عن الحاكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس انه قال من السنة ان لا يحرم بالحج الا في أشهر الحج وقال ابن خزيمة في صحيحه حدثنا أبو كريب حدثنا ابو خالد الاحمر عن شعبة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال لا يحرم بالحج الا في أشهر الحج فان من سنة الحج أن يحرم بالحج في أشهر الحج وهذا اسناد صحيح. وقول الصحابي من السنة كذا في حكم المرفوع عند الاكثرين ولا سيما قول ابن عباس تفسيراً للقرآن وهو ترجمانه. وقد ورد فيه حديث مرفوع، قال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي حدثنا نافع حدثنا الحسن بن اشعث حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «لا ينبغي لاحد أن يحرم بالحج الا في أشهر الحج» واسناده لا بأس به لكن رواه الشافعي والبيهقي من طرق عن ابن جريج عن أبي الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يسأل أهل بالحج قبل أشهر الحج؟ فقال لا وهذا الموقوف أصح وأثبت من المرفوع ويبقى حينئذ مذهب صحابي يتقوي بقول ابن عباس من السنة أن لا يحرم بالحج الا في أشهره والله أعلم بقوله (أشهر معلومات) قال البخاري قال ابن عمر هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي

وإنما أتاه في ساعة منه ويقول زرتك العام وإنما زاره في بعضه، وقيل الاثنان فما فوقهما جماعة لان معنى الجمع ضم شيء الى شيء فاذا جاز أن يسمى الاثنان جماعة جاز أن يسمى الاثنان وبعض الثالث جماعة وقد ذكر الله تعالى الاثنين بلفظ الجمع فقال: (فقد صنعت قلوبكما) أي قلبا كما وقال عروة ابن الزبير وغيره أراد بالأشهر شوالا وذو القعدة وذو الحجة كمالا لانه يبقى على الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه فعلها مثل الرمي والذبح والخلق وطواف الزيارة والبيتونة بمنى فكانت في حكم الحج ﴿فن فرض فيهن الحج﴾ أي فمن أوجب على نفسه الحج بالأحرام والتلبية وفيه دليل على أن من أحرم بالحج في غير أشهر الحج لا ينعقد إحرامه بالحج وهو قول ابن عباس وجابر به قال عطاء وطاوس ومجاهد واليه ذهب الاوزاعي والشافعي وقال سعيد ينعقد إحرامه بالعمرة لان الله تعالى خص هذه الأشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة كما أنه عاق الصلوات بالمواقيت ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لا ينعقد إحرامه عن الفرض وذهب جماعة الى أنه ينعقد إحرامه بالحج وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة رضي الله عنهم وأما العمرة فجميع أيام السنة لها الا أن يكون متلبسا بالحج وروى عن أنس أنه كان بمكة فكان اذا حرم رأسه

(١) قوله وظاهره الى الحج أشهر معلومات (١) فخصه بها من بين سائر شهور السنة فدل على انه لا يصح قبلها كميات الصلاة: وقال الشافعي رحمه الله أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس انه قال لا ينبغي لاحد أن يحرم بالحج الا في شهور الحج من أجل قول الله تعالى (الحج أشهر معلومات) وكذا رواه ابن أبي حاتم عن احمد بن يحيى بن مالك السوسي (٢) عن حجاج ابن محمد الاور عن ابن جريج به ورواه ابن مردويه في تفسيره من طريقين عن حجاج بن أرطاة عن الحاكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس انه قال من السنة ان لا يحرم بالحج الا في أشهر الحج وقال ابن خزيمة في صحيحه حدثنا أبو كريب حدثنا ابو خالد الاحمر عن شعبة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال لا يحرم بالحج الا في أشهر الحج فان من سنة الحج أن يحرم بالحج في أشهر الحج وهذا اسناد صحيح. وقول الصحابي من السنة كذا في حكم المرفوع عند الاكثرين ولا سيما قول ابن عباس تفسيراً للقرآن وهو ترجمانه. وقد ورد فيه حديث مرفوع، قال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي حدثنا نافع حدثنا الحسن بن اشعث حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «لا ينبغي لاحد أن يحرم بالحج الا في أشهر الحج» واسناده لا بأس به لكن رواه الشافعي والبيهقي من طرق عن ابن جريج عن أبي الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يسأل أهل بالحج قبل أشهر الحج؟ فقال لا وهذا الموقوف أصح وأثبت من المرفوع ويبقى حينئذ مذهب صحابي يتقوي بقول ابن عباس من السنة أن لا يحرم بالحج الا في أشهره والله أعلم بقوله (أشهر معلومات) قال البخاري قال ابن عمر هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي

(٢) وفي نسخة الازهر السري بالراء

الحجة وهذا الذي علقه البخاري بصيغة الجزم رواه ابن جرير موصولا: حدثنا احمد بن حازم بن أبي زغرة حدثنا أبو نعيم حدثنا ورقاء عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر (الحج أشهر معلومات) قال شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، اسناد صحيح. وقد رواه الحاكم ايضا في مستدركه عن الاصم عن الحسن بن علي بن عفان عن عبد الله بن نمير عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر فذكره وقال هو على شرط الشيخين (قلت) وهو مروي عن عمر وعلي وابن مسعود وعبد الله بن الزبير وابن عباس وعطاء وطاوس ومجاهد وإبراهيم النخعي والشعبي والحسن وابن سيرين ومكحول وقتادة والضحاك ابن مزاحم والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وأبي يوسف وأبي ثور رحمهم الله واختار هذا القول ابن جرير قال وصح اطلاق الجمع على شهرين وبعض الثالث للتعليب كما تقول العرب رأيتك العام ورأيتك اليوم وأما وقع ذلك في بعض العام واليوم (فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه) وأما تعجل في يوم ونصف يوم، وقال الامام مالك بن أنس والشافعي في القديم هي شوال وذو القعدة وذو الحجة بكالهما وهو رواية عن ابن عمر أيضا قال ابن جرير حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا أبو احمد حدثنا شريك عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال: شوال وذو القعدة وذو الحجة، وقال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب أخبرني ابن جريج قال قلت لنافع سمعت عبد الله بن عمر يسمى شهور الحج قال نعم كان عبد الله يسمى شوال وذو القعدة وذو الحجة قال ابن جريج وقال ذلك ابن شهاب وعطاء وجابر بن عبد الله صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اسناد صحيح الى ابن جريج وقد حكى هذا أيضا عن طاوس ومجاهد وعروة بن الزبير والربيع بن أنس وقتادة وجاء فيه حديث مرفوع لكنه موضوع، رواه الحافظ بن مردويه من طريق حصين بن مخارق وهو متهم بالوضع عن

خرج فاعتمر قوله تعالى ﴿فلا رفت ولا فسوق﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة ﴿فلا رفت ولا فسوق﴾ بالرفع والتنوين فيهما وقرأ الآخرون بالنصب من غير تنوين كقوله تعالى ﴿ولا جدال في الحج﴾ وقرأ أبو جعفر كلها بالرفع والتنوين واختلفوا في الرفت قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر هو الجماع وهو قول الحسن ومجاهد وعمرو بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وإبراهيم النخعي وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرفت غشيان النساء والتقبيل والغمز وأن يعرض لها بالفحش من الكلام قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس رضي الله عنه بذنب بعيره فجعل يلويه وهو يحدو ويقول

وهن بمشين بنا همدسا * ان تصدق الطير نك لميسا

فقلت له أترفت وأنت محرم. فقال إنما الرفت ما قيل عند النساء. قال طاوس: الرفت التعريض للنساء بالجماع وذكره بين أبيهين. وقال عطاء: الرفت قول الرجل للمرأة في حال الاحرام اذا حلت أصبتك. وقيل الرفت الفحش والقول القبيح، أما الفسوق فقد قال ابن عباس هو المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبيرة وقتادة والزهري والربيع والقرظي. وقال ابن عمر:

عن يونس ابن عبيد عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحج أشهر معلومات شوال وذو القعدة وذو الحجة » وهذا كما رأيت لا يصح رفعه والله أعلم . وقائدة مذهب مالك أنه إلى آخر ذي الحجة بمعنى أنه يختص بالحج فيكره الاعتمار في بقية ذي الحجة لا أنه يصح الحج بعد ليلة النحر . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال قال عبد الله : الحج أشهر معلومات ليس فيها عمرة وهذا إسناد صحيح . قال ابن جرير : وإنما أراد من ذهب إلى أن أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة أن هذه الأشهر ليست أشهر العمرة إنما هي للحج وإن كان عمل الحج قد انقضى بانقضاء أيام منى كما قال محمد بن سيرين ما أحد من أهل العلم بشك في أن عمرة في غير أشهر الحج أفضل من عمرة في أشهر الحج وقال ابن عون : سألت القاسم بن محمد عن العمرة في أشهر الحج فقال كانوا لا يرونها تامة (قلت) وقد ثبت عن عمر وعثمان رضي الله عنهما أنهما كانا يجبان الاعتمار في غير أشهر الحج وينهيان عن ذلك في أشهر الحج والله أعلم

وقوله (فمن فرض فيهن الحج) أي أوجب بأحرامه حجاً فيه دلالة على لزوم الأحرام بالحج والمضي فيه قال ابن جرير : أجمعوا على أن المراد من الفرض ههنا الإيجاب والالزام وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس (فمن فرض فيهن الحج) يقول من أحرم بحج أو عمرة وقال عطاء : الفرض الأحرام ، وكذا قال إبراهيم والضحاك وغيرهم وقال ابن جرير : أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : (فمن فرض فيهن الحج) فلا ينبغي أن يلبي بالحج ثم يقيم بأرض . قال ابن أبي حاتم : وروى عن ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير ومجاهد وعطاء وإبراهيم النخعي وعكرمة والضحاك وقتادة وشفيان والثوري والزهري ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال طاوس والقاسم بن محمد هو التلبية وقوله (فلا رفث) أي من أحرم بالحج أو العمرة فليجتنب الرفث وهو الجماع كما قال تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) وكذلك يحرم تعاطي دواغيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك وكذلك التكليم به بمحظرة النساء قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس أن نافعا أخبره أن عبد الله بن عمر كان يقول : الرفث إتيان النساء وانكلم بذلك للرجال والنساء إذا ذكروا ذلك بأفواههم قال ابن وهب وأخبرني أبو صخر عن محمد بن كعب مثله قل

مانهني عنه المحرم في حال الأحرام من قتل الصيد وتقليم الأظفار وأخذ الأشعار وما أشبههما . وقال إبراهيم وعطاء ومجاهد هو السباب بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » وقال الضحاك : هو التنازع باللقاب بدليل قوله تعالى (ولا تنازوا باللقاب يؤذئ الاسم الفسوق بعد الإيمان) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم أخبرنا شعبة أخبرنا سيار أبو الحكم قال :

ابن جرير وحدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن رجل عن أبي العالية الرياحي عن ابن عباس أنه كان يحدو وهو محرم وهو يقول :

وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير نك لميسا

قال أبو العالية : فقلت تكلم بالرفث وأنت محرم ؟ قال : إنما الرفث ما قيل عند النساء . ورواه الأعمش عن زباد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس فذكره وقال ابن جرير أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن عوف حدثني زباد بن حصين حدثني أبي حصين بن قيس قال : شهدت مع ابن عباس في الحج وكنت خليلا له فلما كان بعد إحرامنا قال ابن عباس : فأخذ بذنب بعيره فجعل يلويه ويرنجز ويقول :

وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير نك لميسا

قال : فقلت أترفث وأنت محرم ؟ فقال : إنما الرفث ما قيل عند النساء . وقال عبد الله بن طارس عن أبيه سألت ابن عباس عن قول الله عز وجل (فلا رفث ولا فسوق) قال : الرفث التعريض بذكر الجماع وهي العراية في كلام العرب وهو أذى الرفث وقال عطاء بن أبي رباح الرفث الجماع ومادونه من قول الفحش وكذا قال عمرو بن دينار وقال عطاء : كانوا يكرهون العراية وهو التعريض وهو محرم وقل طارس : هو أن يقول للمرأة إذا حلت أصبتك وكذا قل أبو العالية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرفث غشيان النساء والقبلة والعمز وإن تعرض لها بالفحش من الكلام ونحو ذلك وقال ابن عباس أيضا وابن عمر الرفث غشيان النساء وكذا قل سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وإبراهيم وأبو العالية عن عطاء ومكحول وعطاء الخراساني وعطاء بن يسار وعطية وإبراهيم النخعي والربيع والزهرى والسدي ومالك بن أنس ومقاتل بن حيان وعبد الكريم بن مالك والحسن وقاتدة والضحاك وغيرهم

وقوله (ولا فسوق) قال مقسم وغير واحد عن ابن عباس هي المعاصي وكذا قال عطاء ومجاهد وطاوس وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقاتدة وإبراهيم النخعي والزهرى والربيع بن أنس وعطاء بن يسار وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وقال محمد بن إسحق عن نافع عن ابن عمر قل : الفسوق ما أصيب من معاصي الله صيدا أو غيره وكذا روى ابن وهب عن يونس عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يقول : الفسوق إتيان معاصي الله في الحرم وقل آخرون :

سمعت أبا حازم يقول : سمعت أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع (١) كيوم ولدته أمه »

قوله تعالى ﴿ ولا جدال في الحج ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس : الجدال أن يماري صاحبه ويخاصمه حتى يفضبه وهو قول عمرو بن دينار وسعيد بن جبير وعكرمة والزهرى وعطاء وقاتدة . وقال القاسم بن محمد : هو أن يقول بعضهم الحج اليوم ويقول بعضهم الحج غدا . وقال القرظي :

« ١ » زاده في النسخ المطبوعة « من ذنوبه » وهو ليس في الصحيح فاعتمدنا نسخنا الخطية الموافقة لما في الصحيح

الفسوق ههنا السباب قاله ابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومجاهد والسدي وابراهيم النخعي والحسن وقد يتمسك هؤلاء بما ثبت في الصحيح «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ولهذا رواه ههنا الخبر أبو محمد بن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري عن زبيد عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» وروى من حديث عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود عن أبيه ومن حديث أبي اسحق عن محمد بن سعد عن أبيه. وقال عبد الرحمن بن زبيد بن أسلم الفسوق ههنا الذبح للاسلام قال الله تعالى (أو فسقا أهل لغير الله به) وقال الضمك: الفسوق التنازع بالالقاء. والذين قولوا الفسوق ههنا هو جميع المعاصي الصواب معهم كما نهى تعالى عن الظلم في الأشهر الحرم وإن كان في جميع السنة منها عنه إلا أنه في الأشهر الحرم أكد ولهذا قول: (منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) وقول في الحرم: (ومن يرد فيه بالحد بظلم نذقه من عذاب أليم) واختار ابن جرير أن الفسوق ههنا هو ارتكاب ما نهى عنه في الأحرام من قتل الصيد وحلق الشعر وقلم الأظفار ونحو ذلك كما تقدم عن ابن عمر وما ذكرناه أولى والله أعلم. وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (١) وقوله (ولا جدال في الحج) فيه قولان: (أحدهما) ولا مجادلة في وقت الحج في مناسكه وقد بينه الله أتم بيان ووضحه أتم إيضاح كما قول وكيع عن العلاء بن عبد الكريم سمعت مجاهداً يقول (ولا جدال في الحج) قد بين الله أشهر الحج فليس فيه جدال بين الناس وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ولا جدال في الحج) قال لا شهر ينسأ ولا جدال في الحج قد نبين ثم ذكر كيفية ما كان لمشركون يصنعون في النسبي الذي ذمهم الله به. وقال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن مجاهد في قوله (ولا جدال في الحج) قال قد استقام الحج فلا جدال فيه وكذا قال السدي وقال هشام: أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس (ولا جدال في الحج) قال المراء في الحج وقال عبد الله ابن وهب قال مالك قال الله تعالى (ولا جدال في الحج) فالجدال في الحج والله أعلم أن قريشا كانت تقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة وكانت العرب وغيرهم يقفون بعرفة وكانوا يتجادلون يقول هؤلاء: نحن اصوب ويقول هؤلاء: نحن اصوب فهذا فيما نرى والله أعلم وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زبيد بن أسلم كانوا يقفون مواقف مختلفة يتجادلون كلهم يدعي أن موقفه موقوف إبراهيم فقطعه الله حين أعلم نبيه بالمناسك. وقال ابن وهب عن أبي صخر عن محمد بن كعب قال: كانت

(١) رواية الصحيحين «رجع كيوم ولدته أمه» وليس فيها خروج من ذنوبه. ولفظ مسلم في أوله «من أتى هذا البيت» وفي رواية للبخاري «من حج لله»

كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء: حجبتنا أتم من حجبتكم، وقال هؤلاء: حجبتنا أتم من حجبتكم. وقال مقاتل: هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قل لهم في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج «اجعلوا أهلالكم بالحج عمرة إلا من قلده الهدى» قولوا كيف نجعله عمرة وقد سمينا الحج؟ فهذا جدالهم. وقال ابن زبيد: كانوا يقفون مواقف مختلفة كلهم يزعم أن موقفه موقوف إبراهيم فكانوا يتجادلون

قريش إذا اجتمعت بمعنى قال هؤلاء حجنا أنتم من حجكم وقال هؤلاء حجنا أنتم من حجكم. وقال حماد بن سلمة عن جبير بن حبيب عن القاسم بن محمد أنه قال: الجدال في الحج أن يقول بعضهم الحج غدا ويقول بعضهم الحج اليوم وقد اختار ابن جرير مضمون هذه الأقوال وهو قطع التنازع في مناسك الحج والله أعلم. (والقول الثاني) أن المراد بالجدال ههنا الخصامة قال ابن جرير: حدثنا عبد الحميد بن حسان حدثنا اسحق عن شريك عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود في قوله (ولا جدال في الحج) قال إن تماري صاحبك حتى تغضبه وبهذا الإسناد إلى أبي اسحق عن التميمي: سألت ابن عباس عن الجدال قال: المرء تماري صاحبك حتى تغضبه. وكذلك روى مقسم والضحاك عن ابن عباس. وكذا قال أبو العالية وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وجابر بن زيد وعطاء الخراساني ومكحول والسدي ومقاتل بن حيان وعمرو بن دينار والضحاك والربيع بن أنس وإبراهيم النخعي وعطاء بن يسار والحسن وقتادة والزهري، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولا جدال في الحج المرء والملاحاة حتى تغضب أخاك وصاحبك فنهى الله عن ذلك، وقال إبراهيم النخعي (ولا جدال في الحج) قال كانوا يكرهون الجدال، وقال محمد بن اسحق عن نافع عن ابن عمر، قال الجدال في الحج السباب والمنازعة وكذا روى ابن وهب عن يونس عن نافع أن ابن عمر كان يقول الجدال في الحج السباب والمرء والخصومات، وقال ابن أبي حاتم وروى عن ابن الزبير والحسن وإبراهيم وطائوس ومحمد بن كعب قالوا الجدال المرء: وقال عبد الله بن المبارك عن يحيى ابن بشير عن عكرمة (ولا جدال في الحج) والجدال الغضب أن تغضب عليك مسلما إلا أن تستعقب مملوكا فتغضبه من غير أن تضربه فلا بأس عليك أن شاء الله (قلت) ولو ضربه لم يكن جائزا سائغا. والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن إدريس حدثنا محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا حتى إذا كنا بالمرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عاتشة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست إلى جنب أبي وكانت زمالة أبي بكر وزمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة مع غلام أبي بكر فجلس أبو بكر ينتظره إلى أن يطلع عليه فاطلم وليس معه بعيره فقال: أين بعيرك؟ فقال أضلته البارحة، فقال أبو بكر بعير واحد تضله؟ فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول «انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع» وهكذا أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن اسحق ومن هذا الحديث حكى بعضهم عن بعض الساف أنه فيه، وقيل هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة، وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وكان بعضهم يحج في ذي الحجة فكل يقول ما فعلته فهو الصواب. فقال جل ذكره (ولا جدال في الحج) أي استقر أمر الحج على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا اختلاف فيه من بعد وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته

قال من تمام الحج ضرب الجمل ولكن يستفاد من قول النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر رضي الله عنه « انظروا الى هذا المحرم ما يصنع » كهيئة الانكار اللطيف أن الاول ترك ذلك والله أعلم وقد قال الامام عبد بن حميد في مسنده حدثنا عبيد الله بن موسى عن موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيد الله عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه وبده غفر له ما تقدم من ذنبه »

وقوله (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) لما نهى عن اتيان القبيح قولاً وفعللاً حثهم على فعل الجليل وأخبرهم انه عالم به وسيجزئهم عليه أوفر الجزاء يوم النيامة : وقوله (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) قال العوفي عن ابن عباس كان أناس يخرجون من أهاليهم ليست معهم أزودة يقولون نخرج بيت الله ولا يطعمنا ؟ فقال الله تزودوا ما يكف وجوهكم عن الناس . وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة أن ناساً كانوا يخرجون بغير زاد فأنزل الله (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وكذا رواه ابن جرير عن عمرو وهو الناس عن ابن عينة قول ابن أبي حاتم : وقد روى هذا الحديث ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس ، قال وما يرويه عن ابن عينة أصح (قلت) قد رواه النسائي عن سعيد بن عبد الرحمن الخزومي عن سفيان بن عينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس كان ناس يخرجون بغير زاد فأنزل الله (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وأما حديث ورقاء فأخرجه البخاري عن يحيى بن بشر عن شبابة وأخرجه أبو داود عن أبي مسعود أحد بن الفرات الرازي ومحمد بن عبد الله الخزومي عن شبابة عن ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أهل اليمن يخرجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون (١) فأنزل الله (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن شبابة . ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث شبابة ، وروى ابن جرير وابن مردويه من حديث عمرو بن عبد الغفار عن نافع عن ابن عمر قال كانوا إذا أحرموا ومعهم أزوادهم رموا بها واستأنفوا زاداً آخر فأنزل الله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) فنهوا عن ذلك وأمرهم أن يتزودوا الدقيق والسويق والكعك . وكذا قال ابن الزبير وأبو العالية ومجاهد وعكرمة والشعبي والنخعي وسالم بن عبد الله وعطاء الخراساني وقنادة والربيع بن أنس ومقاتل بن حبان :

يوم خلق الله السموات والارض قال مجاهد : معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فأبطل النسى . قال أهل المعاني ظاهر الآية نفى ومعناها نهى أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تتجادلوا كقوله تعالى (لا ريب فيه) أي لا ترتابوا (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) أي لا ينفى عليه فيجازيكم به قوله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) نزلت في ناس من أهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحن نخرج بيت الله فلا يطعمنا ؟ فإذا قدموا مكة سألوا الناس وربما يفضي بهم الحال الى النهب والنصب ، فقال الله جل ذكره (وتزودوا) أي ما

« ١ » سقط من رواية أبي داود هنا : فإذا قدموا مكة سألوا الناس - كما ثبت في رواية الصحيح وهي زيادة مفيدة جداً لكثرة وقوع ذلك في زماننا . ولغسر الكشميهني من رواية البخاري المدينة بدل مكة قال التستلاني والاول أصوب لكنه ضبب عليه في اليونانية

وقال سعيد بن جبير فتزودوا الدقيق والسويق والكمك : وقال وكيع بن الجراح في تفسيره حدثنا سفيان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبير (وتزودوا) قال الخشكناج والسويق : وقال وكيع أيضا حدثنا ابراهيم المكي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عمر قال ان من كرم الرجل طيب زاده في السفر وزاد فيه حماد بن سلمة عن أبي ربحانة أن ابن عمر كان يشترط على من صحبه الجودة (١) وقوله (فان خير الزاد التقوى) لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم الى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى اليها كما قال (وريشا ولباس التقوى ذلك خير) لما ذكر اللباس الحسي فيه مرشدا الى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة والتقوى وذكر انه خير من هذا وأنفع قال عطاء الخراساني في قوله (فان خير الزاد التقوى) يعني زاد الآخرة : وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا عبدان حدثنا هشام بن عمار حدثنا مروان بن معاوية عن اسماعيل عن قيس عن جرير بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يتزود في الدنيا ينفعه في الآخرة وقال مقاتل بن حيان لما نزلت هذه الآية (وتزودوا) قام رجل من فقراء المسلمين فقال يا رسول الله ما نأخذ ما نتزوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تزود ما تكف به وجهك عن الناس وخير ما تزودتم التقوى » رواه ابن أبي حاتم وقوله (واتقون يا أولى الابواب) يقول واتقوا عقابي ونكالي وعذابي لمن خافني ولم يأمر بأمرى يا ذوي العقول والافهام

«١» وفي نسخة
الازهر الجوزة

(١٩٧) ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله

عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين)

قال البخاري حدثنا محمد أخبرني ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في الموسم فتزلت (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج . وهكذا رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وغير واحد عن سفيان بن عيينة به وبعضهم فلما جاء الاسلام تأثموا أن يتجروا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله هذه الآية وكذا رواه ابن جرير عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال كان متجرا الناس تبتغون به وتكفون به وجوهكم . قال أهل التفسير : الكمك والزبيب والسويق والنمر ونحوها (فان خير الزاد التقوى) من السؤال والنهب (واتقون يا أولى الابواب) يا ذوي العقول

قوله تعالى (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا علي بن عبد الله أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام تأثموا من التجارة فيها فأنزل الله تعالى (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج . قرأ ابن عباس كذا (٢) وروى عن أبي أمامة التيمي قال :

(٢) يعني بهذه الزيادة
والتحقيق انها تفسير
لاقرآن

في الجاهلية عكاظ ومجنة وذو المجاز فلما كان الاسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت هذه الآية وروى أبو داود وغيره من حديث يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس قل : كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم والحج يقولون أيام ذكر فأنزل الله (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) وقال ابن جرير : حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشام أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس أنه قال (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية : لا حرج عليكم في الشراء والبيع قبل الاحرام وبعده وهكذا روى العوفي عن ابن عباس وقال وكيع : حدثنا طلحة بن عمر والحضرمي عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج وقال عبد الرحمن عن ابن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد : سمعت ابن الزبير يقرأ (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج وهكذا فسرها مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومنصور بن المعتمر وقتادة وابراهيم النخعي والربيع بن أنس وغيرهم . وقال ابن جرير : حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا شعبة بن سوار حدثنا شعبة عن أبي أمية قال : سمعت ابن عمر سئل عن الرجل يحج ومعه تجارة فقرأ ابن عمر (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) وهذا موقوف وهو قوي جيد وقدروي مرفوعا قال أحمد : حدثنا أبو باط حدثنا الحسن بن عمر والقيمي عن أبي امامة التيمي قال : قلت لابن عمر أنا نكري فهل لنا من حج ؟ قال : أليس تطوفون بالبيت وتأتون بالمعصر وتزعمون انكم لا تحلقون رؤوسكم قال قلنا بلى فقال ابن عمر جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذي سألتني فلم يجبه حتى نزل عليه جبرئيل بهذه الآية (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فقال « أنتم حجاج » وقال عبد الرزاق : أخبرنا الثوري عن العلاء بن المسيب عن رجل من بني تميم قال : جاء رجل الى عبد الله بن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن انا قوم نكري ويزعمون أنه ليس لنا حج قال : ألسنهم يحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون قلت لابن عمر انا قوم نكري في هذا الوجه يعني الى مكة فيزعمون ان لا حج لنا . فقال ألسنهم يحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون ؟ قلت بلى ، قال أنت حاج . جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الذي سألتني عنه فلم يجبه بشيء حتى نزل جبرئيل بهذه الآية (ليس عليكم جناح) أي حرج (ان تبتغوا فضلا) أي رزقا (من ربكم) يعني بالتجارة في مواسم الحج (فإذا أفضنتم) دفعتم والا فاضة دفع بكثرة وأصله من قول العرب أفاض الرجل ماء أي صبه (من عرفات) هي جمع عرفة جمعت عرفة بما حولها وان كانت بقعة واحدة كقولهم ثوب أخلاق واختلفوا في المعنى الذي لاجله سمي الموقف عرفات واليوم عرفة فقال عطاء كان جبرئيل عليه السلام يري ابراهيم عليه السلام المناسك ويقول أعرفت ؟ فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة . وقال الضحاك ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد

قال : بلى قال : فأنت حاج ثم قال ابن عمر : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عما سألت عنه فبزلت هذه الآية (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن عبد الرزاق به ، وهكذا روى هذا الحديث أبو حذيفة عن الثوري مرفوعا وهكذا روى عن غير هذا الوجه مرفوعا فقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عباد بن العوام عن العلاء بن المسيب عن أبي امامة التيمي قال قلت لابن عمر : انا اناس نكروا في هذا الوجه الى مكة ونأمنوا بزعمون أنه لا حج لنا فهل ترى لنا حججا ؟ قال أستمحزون وتطوفون بالبيت وتقضون المناسك قال : قلت بلى ، قال « فأنتم حجج » ثم قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذي سألت فلم يدر ما يعود عليه أو قال : فلم يرد عليه شيئا حتى نزلت (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) فدعا الرجل فتلاها عليه وقال « أنتم حجج » وكذا رواه مسعود بن سعد وعبد الواحد بن زياد وشريك القاضي عن العلاء بن المسيب به مرفوعا . وقال ابن جرير : حدثني طليق ابن محمد الواسطي حدثنا أسباط هو ابن محمد أخبرنا الحسن بن عمر وهو الفقيهي عن أبي امامة التيمي قال قلت لابن عمر انا قوم نكروا فهل لنا من حج ؟ فقال : أليس تطوفون بالبيت وتأتون المعروف ونرمون الجار وتحلفون رؤوسكم ؟ قلنا بلى ، قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذي سألتني عنه فلم يدر ما يقول له حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) الى آخر الآية . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أنتم حجج » وقال ابن جرير حدثني أحمد بن اسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا غندر عن عبد الرحمن بن المهاجر عن أبي صالح مولى عمر قال : قلت يا أمير المؤمنين كنتم تتجرون في الحج ؟ قال : وهل كانت معاشهم الا في الحج ؟ وقوله تعالى (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) انا صرف عرفات وان كان علما على مؤنث لانه في الاصل جمع كسلمات ومؤنات معني به بقعة معينة فروعى فيه الاصل فصرف اختاره ابن جرير وعرفة موضع الوقوف في الحج وهي عدة أفعال الحج ولهذا روى الامام منها يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا فسمي اليوم يوم عرفة والموضع عرفات . وقال السدي لما أذن ابراهيم في الناس بالحج وأجابوه بالنبلية وأتاه من أتاه أمره الله ان يخرج الى عرفات ونعنها له فخرج فلما بلغ الجرة عند العقبة استقبله الشيطان ليرده فرماه بسبع حصيات فكبر مع كل حصاة فطار فوق على الجرة الثانية فرماه وكبر فطار فوق على الجرة الثالثة فرماه وكبر فلما رأى الشيطان انه لا يطعمه ذهب فانطلق ابراهيم حتى أتى ذا الحجاز فلما نظر اليه لم يعرفه فجاز فسمي ذا الحجاز ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرى بالانعت فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا أمسى ازدلف أى قرب الى جمع فسمي المزدلفة . وروى عن أبي صالح عن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية في منامه انه يؤمر بذبح ابنه فلما أصبح روى يومه أجمع أى فكر : أمن الله تعالى هذه الرؤيا أم من الشيطان ؟ فسمي اليوم يوم التروية : ثم رأى ذلك ليلة عرفة ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله

احمد وأهل السنن باسناد صحيح عن الثوري عن بكير عن عطاء عن عبد الرحمن بن محمد الديلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الحج عرفات - ثلاثا - فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك وأيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه» ووقت الوقوف من الزوال يوم عرفة الى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر لان النبي صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع بعد أن صلى الظهر الى أن غربت الشمس وقال: «لأخذوا عني مناسككم» وقال في هذا الحديث «فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك» وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي رحمهم الله وذهب الامام احمد الى أن وقت الوقوف من أول يوم عرفة واحتجوا بحديث الشعبي عن عمرو بن مضر بن حارثة بن لام الطائي قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة حين خرج الى الصلاة فقلت يا رسول الله إني جئت من جبلي طي، أكلت راحاتي وأتعبت نفسي والله ما تركت من جبل الا وقفت عليه فهل لي من حج؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهاراً فقد تم حجه وقضى نفته» رواه الامام احمد وأهل السنن وصححه الترمذي ثم قيل انما سميت عرفات لما روى عبد الرزاق أخبرني ابن جريج قال . قال ابن المسيب قال علي بن أبي طالب بعث الله جبريل عليه السلام الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فحج به حتى اذا أتى عرفة قال عرفت وكان قد أتاها مرة قبل ذلك فلذلك سميت عرفة وقال ابن المبارك عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء قال : انما سميت عرفة أن جبريل كان يري ابراهيم المناسك فيقول عرفت عرفت فسميت عرفات وروى نحوه عن ابن عباس وابن عمر وأبي مجلز قاله أعلم وتسمى عرفات المشعر الحرام والمشعر الاقصي والال على وزن هلال ويقال للجبل في وسطها جبل الرحمة قال أبو طالب في قصيدته المشهورة :

وبالمشعر الاقصي اذا قصدوا له إلال الى تلك الشراج القوابل

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا حماد بن الحسن بن عيينة حدثنا أبو عامر عن زمعة هو ابن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية يقفون بعرفة حتى اذا كانت الشمس على رؤس الجبال كأنها العائم على رؤس الرجال دفعوا فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعالى فسمي اليوم يوم عرفة . وقبل سمي بذلك لعلو الناس فيه على جباله والعرب تسمي ما علا عرفة ومنه سمي عرف الديك لعلوه وقيل سمي بذلك لان الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقبل سمي بذلك من العرف وهو الطيب وسمي منى لانه بمنى فيه الدم أى يصب فيكون فيه الفروث والدماء ولا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عنها فيكون طيبة . قوله تعالى ﴿ فاذا كروا لله بالغاء والتلبية ﴾ عند المشعر الحرام وهو ما بين جبلي المزدلفة من مرعى عرفة الى المحسر وليس المازمان ولا المحسر من المشعر الحرام وسمي مشعرا من الشعار وهي العلامة لانه من معالم الحج وأصل الحرام

الدفعة من عرفة حتى غربت الشمس ورواه ابن مردويه من حديث زمعة بن صالح وزاد ثم وقف بالزدلفة وصلى الفجر بغلس حتى اذا أسفر كل شيء وكان في الوقت الآخر دفع، وهذا أحسن الاسناد وقال ابن جريج عن محمد بن قيس عن المسور بن مخرمة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفات فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد - وكان اذا خطب خطبة قال أما بعد - فان هذا اليوم الحج الاكبر ألا وإن أهل الشرك واللات كانوا يدفعون في هذا اليوم قبل أن تغيب الشمس اذا كانت الشمس في رؤس الجبال كأنها عمامة الرجال في وجوهها وإنا ندفع قبل أن تطلع الشمس مخالفا هدينا هدي أهل الشرك » هكذا رواه ابن مردويه وهذا لفظه والحاكم في مستدركه كلاهما من حديث عبد الرحمن بن المبارك العيشي عن عبد الوارث بن سعيد عن ابن جريج وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد صح وثبت بما ذكرناه سماع المسور من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كما يتوهمه رعا أصحابنا أنه ممن له رؤية بلا سماع ، وقال وكيع عن شعبة عن اسماعيل بن رجاء الزبيدي عن المعمر بن سويد قال : رأيت عمر رضي الله عنه حين دفع من عرفة كأنني أنظر اليه رجل أصلع على بعيره له يوضع وهو يقول : إنا وجدنا الافاضة هي الايضاع وفي حديث جابر بن عبد الله الطويل الذي في صحيح مسلم قال فيه : — فلم يزل واقفا يعني بعرفة حتى غربت الشمس وبدت الصفرة قليلا حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شق للقصاء الزمام حتى ان رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى « أبها الناس : السكينة السكينة » كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد حتى أتى المزدادة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد أنه سئل كيف كان يسير رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دفع ؟ قال : كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص ، والعنق هو انبساط السير والنص فوقه ، وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبو محمد ابن بنت الشافعي فيما كتب الي عن أبيه أو عمه عن سفيان بن عيينة قوله (فاذا أفضنم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) وهي الصلوات (١)

من المنع فهو ممنوع ان يفعل فيه ما لم يؤذن فيه وسمي المزدلفة جمعا لانه يجمع فيه بين صلاة المغرب والعشاء والافاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس ومن جمع قبل طلوعها من يوم النحر . قال طارم كان أهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد ان تطلع الشمس ويقولون أشرق ثبير كما نغير فأخر الله هذه وقدم هذه . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر ابن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن مومي بن عقبة عن كريش بن عبد الله بن عباس عن أسامة بن زيد انه سمعه يقول دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى

(١) كذا في النسختين
ولعل أصله جمع
الصلوات

جميعا وقال أبو اسحق السبيعي عن عمرو بن ميمون سألت عبد الله بن عمرو عن المشعر الحرام فسكت حتى هبطت أيدي رواحلنا بالمزدلفة قال: أين السائل عن المشعر الحرام؟ هذا المشعر الحرام وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم قال: قال ابن عمر: المشعر الحرام المزدلفة كلها وقال هشام عن حجاج عن نافع عن ابن عمر أنه سئل عن قوله (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) قل فقال: هذا الجبل وما حوله وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن المغيرة عن إبراهيم قال رآكم ابن عمر يزددحمون على قزح فقال: على ما زدحم هؤلاء؟ كل ما ههنا مشعر وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدي والريعي بن أنس والحسن وقتادة أنهم قالوا: هو ما بين الجبلين وقال ابن جريج: قلت لعطاء أين المزدلفة؟ قال: إذا أفضت من مأزمي عرفة فذلك الى محسر قال وليس المأزمان مأزمي عرفة من المزدلفة ولكن مفضاهما قال: فقف بينهما إن شئت قل وأحب أن تقف دين قزح هلم اليها من أجل طريق الناس (قلت) والمشاعر هي المعالم الظاهرة وانما سميت المزدلفة المشعر الحرام لأنها داخل الحرم وهل الوقوف بها ركن في الحج لا يصح إلا به كما ذهب اليه طائفة من السلف وبعض أصحاب الشافعي منهم القفال وابن خزيمة لحديث عروة بن مضرس؟ أو واجب كما هو أحد قولي الشافعي يجبر بدم؟ أو مستحب لا يجب بتركه شيء كما هو القول الآخر؟ في ذلك ثلاثة أئوال للعلماء لبسطها موضع آخر غير هذا والله أعلم.

وقال عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عرفة كلها مواقف وارفءوا عن عرفة وجمع كلها ووقف الا محسراً» هذا حديث مرسل وقد قل الامام احمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا سعيد بن عبد العزيز حدثني سليمان بن موسى عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل عرفت موقف وارفءوا عن عرفات وكل مزدلفة موقف

إذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضع فلم يسبح الوضوء فقلت له الصلاة يا رسول الله قال فقال الصلاة أما ملك فركب فلما جاء المزدلفة نزل فنوضاً فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل انسان بغيره في منزله ثم أقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئاً. وقال جابر: دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة ودعا وكبر وهلل ووحده فلم يزل واقفاً حتى أسفر جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا زهير بن حرب أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا أبي عن يونس الايلي عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن أسامة بن زيد كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم أردف الفضل من مزدلفة الى منى قال فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة

وادفعوا عن محسر وكل فجاج مكة منحر وكل أيام التشريق ذبح « وهذا أيضا منقطع فان سليمان ابن موسى هذا وهو الاشدق لم يدرك جبير بن مطعم ولكن رواه الوليد بن مسلم وسويد بن عبد العزيز عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان فقال الوليد عن جبير بن مطعم عن أبيه - وقل سويد عن نافع بن جبير عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره والله أعلم وقوله (واذكروه كما هداكم) تنبيه لهم على ما أنعم الله به عليهم من الهداية والبيان والارشاد الى مشاعر الحج على ما كان عليه من الهداية ابراهيم الخليل عليه السلام ولهذا قال (وان كنتم من قبله لمن الضالين) قيل من قبل هذا الهدى وقيل القرآن وقبل الرسول والكل متقارب ومتلازم وصحيح

(١٩٨) ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم *

ثم ههنا لطف خبر على خبر وترتبه عليه كأنه تعالى أمر الواقف بعرفات أن يدفع الى المزدلفة ليذكر الله عند المشعر الحرام وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات كما كان جمهور الناس يصنعون يقفون بها الا قريشا فانهم لم يكونوا يخرجون من الحرم فيقفون في طرف الحرم عند أدنى الحل ويقولون نحن أهل الله في بلدته وقطان بيته قال البخاري : حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : كان قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحس وسائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله (من حيث أفاض الناس) وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم واختاره ابن جرير وحكي عليه الاجماع . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن عمرو عن مجاهد عن محمد قوله تعالى ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ أي واذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينكم ومناسك حجه ﴿ وان كنتم من قبله ان الضالين ﴾ أي وقد كنتم وقيل وما كنتم من قبله الا من الضالين كقوله تعالى (وان نظاك لمن الكاذبين) أي وما نظاك الا من الكاذبين والهاء في قوله من قبله راجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كناية عن غير مذكور

قوله تعالى ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ قال أهل التفسير كانت قريش وخلفاؤها ومن دان دينها وهم الحس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمة فلانخاف الحرم ولا نخرج منه وبمعظمون ان يقفوا مع سائر العرب بعرفات وسائر الناس كانوا يقفون بعرفات فاذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحس من المزدلفة فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها الى جمع مع سائر الناس وأخبرهم أنه سنة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وقال بعضهم خاطب به جميع المسلمين وقوله تعالى (من حيث أفاض الناس) من جمع أي ثم أفيضوا من جمع الى مني . وقالوا لان الافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف يسوغ ان يقول فاذا أفضتكم من عرفات فاذكروا الله ثم أفيضوا من عرفات والاول قول أكثر أهل التفسير وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره فن فرض فيهن

ابن جبير بن مطعم عن ابيه قال أضللت بعير الي بعرفة فذهبت أطلبه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم وقف قلت ان هذا من الجحش ما شأنه ههنا؟ أخرجه في الصحيحين ثم رواء البخاري من حديث موسى ابن عقبة عن كريب عن ابن عباس ما يقتضي ان المراد بالافاضة ههنا هي الافاضة من المزدلفة الى منى لرمي الجمار قاله أعلم . وحكاه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم فقط . قال والمراد بالناس ابراهيم عليه السلام ، وفي رواية عند الامام قل ابن جرير : ولولا اجماع الحجة على خلافه لكان هو الأرجح وقوله (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) كثيرا ما يأمر الله بذكره بعد قضاء العبادات ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من الصلاة يستغفر الله ثلاثا وفي الصحيحين أنه نذب الى التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثا وثلاثين . وقد روى ابن جرير ههنا حديث ابن عباس بن مرداس السلمي في استغفاره صلى الله عليه وسلم لامته عشية عرفة وقد أوردناه في جزء جمعناه في فضل يوم عرفة وأورد ابن مردويه ههنا الحديث الذي رواه البخاري عن شداد ابن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيد الاستغفار أن يقول العبد . اللهم أنت ربي لا إله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت . من قالها في ليلة فمات في ليلته دخل الجنة ومن قالها في يومه فمات دخل الجنة » وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر ان أبا بكر قال يا رسول الله علمني دعاء أدعوه به في صلاتي فقال : « قل اللهم اني ظلمت نفسي ظلما

الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وقيل ثم بمعنى الواو أي وأفيضوا كقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) واما الناس فهم العرب كلهم غير الجحش . وقال الكلبي هم أهل اليمن وربيعة وقال الضحاك الناس ههنا ابراهيم عليه السلام وحده كقوله تعالى (أم يحسدون الناس) وأراد به محمدا صلى الله عليه وسلم وحده ويقال هذا الذي يقتدى به ويكون لسان قومه وقال الزهري الناس ههنا آدم عليه السلام وحده دليله قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس بالياء وقال هو آدم نسي عهد الله حين أكل من الشجرة أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن ابيه انه قال سئل أسامة وأنا جالس كيف كان يسير رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع حين دفع قال : كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق . أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مرزيم أخبرنا ابراهيم بن سعيد حدثني عمرو بن أبي عمرو مولى المطالب قال أخبرني سعيد بن جبير مولى واثلة الكوفي حدثني ابن عباس انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا

كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك أنت الغفور الرحيم»
والاحاديث في الاستغفار كثيرة

(١٩٩) فاذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذا كركم آباءكم أو أشد ذكرا، هن الناس
من يقول: ربنا آتينا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق (١٠٠) ومنهم من يقول: ربنا آتينا في
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (١٠١) أولئك لهم نصيب مما كسبوا
والله سريع الحساب

يأمر تعالى بذكره والاكتثار منه بعد قضاء المناسك وفراغها وقوله (كذا كركم آباءكم) اختلفوا
في معناه فقال ابن جريج عن عطاء هو كقول الصبي أبه أمه يعني كما يلهث الصبي بذكر أبيه وأمه
فكذلك أنتم فاهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك وكذا قال الضحاك والربيع بن أنس، وروى
ابن جريج عن طريق العوفي عن ابن عباس نحوه. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: كان أهل
الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم كان أبي يطعم ويحمل الحملات ويحمل الديات ليس
لهم ذكر غير فمال آباءهم فأنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم (فاذكروا الله كذا كركم آباءكم أو
أشد ذكرا) قال ابن أبي حاتم: وروى السدي عن أنس بن مالك وأبي وائل وعطاء بن أبي
رباح في أحد قوليه وسعيد بن جبير وعكرمة في أحد رواياته ومجاهد والسدي وعطاء الخراساني
والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب ومقاتل بن حيان نحو ذلك، وهكذا حكاه ابن

اللابل فأشار بسوطه إليهم وقال «أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالإيضاع» قوله تعالى «واستغفروا
الله ان الله غفور رحيم» فاذا قضيت مناسككم أي فرغتم من حجكم وذبحتم نسائكم أي ذبائحكم
يقال نسك الرجل ينسك نسكا اذا ذبح نسكته وذلك بعد رمي جمر العقبة والاستقرار بمنى (فاذكروا
الله) بالتكبير والتحميد والثناء عليه (كذا كركم آباءكم) وذلك ان العرب كانت اذا فرغت من
الحج وقفت عند البيت فذكرت مفاخر آباءها فأمرهم الله بذكره وقول فاذكروني فاني لذي فعلت ذلك
بكم وبآبائكم وأحسن إليكم واليهم قال ابن عباس وعطاء م ناه فاذكروا الله كذا كركم الصبيان
الصغار والآباء وذلك ان الصبي أول ما يتكلم يلهج بذكر أبيه لا بذكر غيره فيقول الله فاذكروا الله لا غير
كذا كركم آباءكم (أو أشد ذكرا) وسئل ابن عباس عن قوله (فاذكروا الله كذا كركم آباءكم)
ف قيل قد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه أباه قال ابن عباس ليس كذلك ولكن ان تغضب الله اذ
عصى أشد من غضبك لو ألدك اذا شتما. وقوله تعالى (أو أشد ذكرا) يعني بل أشد أي وأكبر
ذكرا (فن الناس من يقول ربنا آتينا في الدنيا) أراد به المشركين كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج
الا الدنيا يقولون اللهم اعطنا غنا وابلا وبقرا وعبيدا وكان الرجل يقوم فيقول اللهم ان أبي كان عظيم

جرب عن جماعة والله أعلم . والمقصود منه العث على كثرة الذكركم عز وجل ولهذا كان انتصاب قوله أو أشد ذكرا على التمييز تقديره كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وأوهنا لتحقيق الماثلة في الخبر كقوله (فهي كالججارة أو أشد قسوة) وقوله (يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) (فأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) (فكان قاب قوسين أو أدنى) فليست ههنا للشك قطعا وإنما هي لتحقيق الخبر عنه كذلك أو أزيد منه ثم انه تعالى أرشد الى دعائه بعد كثرة ذكره فانه مظنة الاجابة وذم من لا يسأله الا في أمر دنياه وهو معرض عن أخراه فقال (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق) أي من نصيب ولا حظ وتضمن هذا الذم والتنفير عن التشبه بمن هو كذلك قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كان قوم من الاعراب يجيئون الى الموقف فيقولون اللهم اجعله عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن لا يذكرون من أمر الآخرة شيئا فأنزل الله فيهم (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق) وكان يحيى بعدهم آخرون من المؤمنين فيقولون (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) فأنزل الله (أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) ولهذا مدح من يسأله الدنيا والآخرة فقال (ومنهم من يقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) فجعلت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شرفان كل الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحمة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل الى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ولا منافاة بينها فانها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا . وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الامن من الفزع الاكبر في القبة كبير الجنة كثير المال فاعطي مثل ما أعطيه . قال قتادة هذا عبد نبيته لدنيا لها انفق ولها عمل ونصيب ﴿ وماله في الآخرة من خلاق ﴾ من حظ ونصيب ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ يعني المؤمنين واختلفوا في معنى الحسنتين قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه في الدنيا حسنة امرأة صالحة وفي الآخرة حسنة الجنة والحدود العين . أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الطوسي أخبرنا أبو بكر احمد بن يوسف بن خلاد أنا الحارث بن أبي أسامة أنا أبو عبد الرحمن المقرئ أخبرنا حيوة وابن لهيعة قالا أخبرنا شرحبيل ابن شريك انه سمع أبا عبد الرحمن الجبلي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن الداص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدنيا كلها منافع وخير متاعها المرأة الصالحة » وقال الحسن في الدنيا حسنة العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة الجنة والنظر وقال السدي وابن حبان (في الدنيا حسنة) رزقا حلالا وعملا صالحا (وفي الآخرة حسنة) المغفرة والثواب أخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن احمد بن الحارث أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب

العصاة وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة . وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والاكثام وترك الشبهات والحرام . وقال القاسم أبو عبد الرحمن : من أعطى قلباً شاكراً ولساناً ذا كراً وجسداً صاراً فند أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقى عذاب النار . ولهذا وردت السنة بالترغيب في هذا الدعاء . فقال البخاري : حدثنا معمر حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقبض عذاب النار » وقال أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا عبد العزيز بن صهيب قال : سأل قتادة أنسا أي دعوة كان أكثر ما يدعوها النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول (اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقبض عذاب النار) وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه ورواه مسلم وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد السلام بن شداد يعني أبا طالوت قال : كنت عند أنس بن مالك فقال له ثابت ان إخوانك يحبون ان تدعو لهم ، فقل (اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقبض عذاب النار) وتحدثوا ساعة حتى إذا أرادوا القيام قال أبا حمزة : ان إخوانك يريدون القيام فادع الله لهم ، فقال أنس يدون ان أشق لكم الأمور إذا آتاكم الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقاكم عذاب النار فقد آتاكم الخير كله . وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن ثابت عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلاً من المسلمين قد صار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تدعو الله بشيء . أو تسأله إياه ؟ قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فمعه لي في الدنيا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني عبيد الله بن زجر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف المأذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه فأطاعه في السر وكان غامضاً في الناس لا يشار اليه بالأصابع وكان رزقه كذا فافصبر على ذلك ثم نفر بيده فقال : هكذا عجبت منية قلت بواكيه قل ترأه » وقال قتادة في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية وقال عرف في هذه الآية من آتاه الله الاسلام والقرآن وأهلاً ومالاً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن علي الكرمانى الطوسى أخبرنا أبو طاهر محمد ابن محمّد الزبادي أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور السمسار أخبرنا أبو حاتم محمد ابن ادريس الحنظلي الرازي أخبرنا محمد بن عبد الله الانصاري أخبرنا حميد الطويل عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً قد صار مثل الفرخ فقال هل كنت تدعو الله بشيء . أو تسأله إياه ؟ فقال يا رسول الله كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فحوله لي في الدنيا فقال : « سبحان الله لا تستطيعه ولا تطيقه هلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقبض عذاب النار » أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا

سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيقه فهلا قالت (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) قال فدعا الله فشفاه انفراد باخراجه مسلم فرواه من حديث ابن أبي عدي به. وقال الامام الشافعي : أخبرنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج عن يحيى بن عبيد مولى السائب عن أبيه عن عبد الله بن السائب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيما بين ركن بني جمح والركن الاسود (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) ورواه الثوري عن ابن جريج كذلك. وروى ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ذلك وفي سنده ضعف والله أعلم . وقال مردويه حدثنا عبد الباقي أخبرنا أحمد بن القاسم بن مساور حدثنا سعيد بن سليمان عن عبد الله بن هريز عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما مررت على الركن إلا رأيت عليه ملكا يقول آمين فاذا مررت عليه فقولوا (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) وقال الحاكم في مستدركه حدثنا أبو زكريا المنبري حدثنا محمد بن عبد السلام حدثنا إسحق بن ابراهيم أخبرنا جريز عن الاعمش عن مسلم البطيين عن سعيد بن جبيرة قال : جاء رجل الى ابن عباس فقال : اني أجرت نفسي من قوم على ان يحملوني ووضعتم لهم من أجرتي على ان يدعوني أحج معهم أفيعزني ذلك ؟ فقال أنت من الذين قال الله (أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(٢٠٢) واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا

إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم تحشرون

أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي اسحق الحجاجي أخبرنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الداغولي أخبرنا محمد بن مشكان (١) أخبرنا أبو داود أخبرنا شعبة عن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج عن يحيى بن عبيد مولى السائب عن أبيه عن عبد الله بن السائب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « فيما بين ركن بني جمح والركن الاسود (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) قوله تعالى ﴿ أولئك لهم نصيب ﴾ حظ ﴿ مما كسبوا ﴾ من الخير والدعاء بالثواب والجزاء ﴿ والله سريع الحساب ﴾ يعني اذا حاسب عبده فحسابه سريع لا يحتاج الى عقد يد ولا وعي صدر ولا الى روية ولا فكر قال الحسن أسرع من لمح البصر وقبل معناه آتيان القيامة قريب لان ما هوأت لا محالة فهو قريب قال الله تعالى (وما يدريك لعل الساعة قريب)

قوله تعالى ﴿ واذكروا الله ﴾ يعني التذكيرات أذبار الصلاة وعند الجمرات يكبر مع كل حصاة

(٦٠ - تفسير ابن كثير والبغوي)

(١) وفي نسخة

مشكان وفي أخرى

مشكاف

لتفسير في (١)

رأى أنه روي عن الله

رأى أنه روي عن الله

رأى أنه روي عن الله

رأى أنه روي عن الله

رأى أنه روي عن الله

رأى أنه روي عن الله

قال ابن عباس : الايام المعدودات ايام التشريق والايام المعلومات ايام العشر . وقال عكرمة (واذكروا الله في ايام معدودات) يعني التكبير في ايام التشريق بعد الصلوات المكتوبات : الله أكبر الله أكبر . وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا موسى بن علي عن أبيه قال : سمعت عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام وهي ايام أكل وشرب » وقال أحمد أيضا : حدثنا هشام أخبرنا خالد عن أبي المليح عن نبیشة الهذلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايام التشريق ايام أكل وشرب وذكر الله » ورواه مسلم أيضا وتقدم حديث جبير بن مطعم « عرفة كلها موقف وأيام التشريق كلها ذبح » وتقدم أيضا حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي « وأيام منى ثلاثة فمن تجل في يومين فلاثم عليه ومن تأخر فلاثم عليه » وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن ابراهيم وخلاص بن أسلم قالا حدثنا هشام عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ايام التشريق ايام طعم وذكر الله » وحدثنا خالد بن أسلم حدثنا روح حدثنا صالح حدثني ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن حذافة يطوف في منى « لا تصوموا هذه الايام فانها ايام أكل وشرب وذكر الله عز وجل » وحدثنا يعقوب حدثنا هشام عن سفيان بن حسين عن الزهري قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة فنادى في ايام التشريق فقال « ان هذه ايام أكل وشرب وذكر الله الا من كان عليه عوم من هدي » زيادة حسنة ولكن

وغيرها من الاوقات (في ايام معدودات) الايام المعدودات هي ايام التشريق وهي ايام منى ورمي الجمار سميت معدودات لقلتهن كقوله (دراهم معدودة) ، والايام المعلومات عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر . هذا قول أكثر أهل العلم . وروي عن ابن عباس المعلومات يوم النحر ويومان بعده . والمعدودات ايام التشريق . وعن علي قال : المعلومات يوم النحر وثلاثة ايام بعده . وقال عطاء عن ابن عباس : المعلومات يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق . وقال محمد بن كعب : هما شيء واحد وهي ايام التشريق . وروي عن نبیشة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ايام التشريق ايام أكل وشرب وذكر الله » ومن الذكرك في ايام التشريق التكبير واختلفوا فيه . فروى عن عمر وعن عبد الله بن عمر أنهما كانا يكبران يعني تلك الايام خلف الصلاة وفي المجلس وعلى الفراش والفسطاط وفي الطريق ويكبر الناس بتكبيرهما ويتأولان هذه الآية . والتكبير أدار الصلاة مشروع في هذه الايام في حق الحاج وغير الحاج عند عامة العلماء واختلفوا في قدره فذهب قوم الى أنه يبتدي التكبير عقب صلاة الصبح من يوم عرفة ويختتم به العصر من آخر ايام التشريق بروي ذلك عن عمر وعنه علي رضي الله عنهما . وبه قال مكحول واليه ذهب أبو يوسف رضي الله عنه (١) وذهب قوم الى أنه يبتدي التكبير عقب صلاة الصبح من يوم عرفة ويختتم به العصر من يوم النحر بروي ذلك عن ابن مسعود وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه (١) وقال قوم يبتدي عقب صلاة الظهر

(١) ليس في نسختنا هذا الترضي عن أبي يوسف ولا عن أبي حنيفة ولعلها أصح لعدم الترضي عن الصحابين ورضي الله عن الجميع

مرسلة . وبه قال هشام عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عمرو بن دينار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سحيم فنأدى في أيام التشريق فقال « ان هذه أيام أكل وشرب وذكر الله » وقال هشيم عن ابن أبي ليلى عن عطاء عن عائشة قالت : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم أيام التشريق قال « وهي أيام أكل وشرب وذكر الله » وقال محمد بن اسحق عن حكيم بن حكيم عن مسعود بن الحكم الزرقى عن أمه قالت : لكتاني أنظر الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم البيضاء حتى وقف على شعب الانصار وهو يقول : يا أيها الناس انما ليست بأيام صيام انما هي ايام اكل وشرب وذكر الله . وقال مقسم عن ابن عباس : الايام المعدودات أيام التشريق أربعة أيام يوم النحر وثلاثة بعده ، وروي عن ابن عمر وابن الزبير وأبي موسى وعطاء ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي مالك وابراهيم النخعي ويحيى بن أبي كثير والحسن وقنادة والسدي ولزهرى والربيع بن أنس والضحاك ومقاتل بن حيان وعطاء الخراساني ومالك بن أنس وغيرهم مثل ذلك ، وقال علي بن أبي طالب هي ثلاثة يوم النحر ويومان بعده اذبح في أيهن شئت وأفضها أولها . والقول الاول هو المشهور وعليه دل ظاهر الآية الكريمة حيث قال (فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه) فدل على ثلاثة بعد النحر ويتعلق بقوله (واذكروا الله في أيام معدودات) ذكر الله على الاضاحي وقد تقدم أن اراجح في ذلك مذهب الشافعي رحمه الله وهو أن وقت الاضحية من يوم النحر الى آخر أيام التشريق ، ويتعلق به أيضا الذكر المؤقت خلف الصلوات من يوم النحر ويختتم بعد الصبح من آخر أيام التشريق ، يروي ذلك عن ابن عباس وبه قال مالك والشافعي في أحد قوله قال الشافعي : لان الماس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر من بعد صلاة الظهر ، ولفظ التكبير كان سعيد بن جبير والحسن يقولان الله أكبر الله أكبر الله أكبر - ثلاثا نسقا - وهو قول أهل المدينة واليه ذهب الشافعي . وقال وما زاد من ذكر الله فهو حسن وعند أهل العراق يكبر اثنيتين يروي ذلك عن ابن مسعود قوله تعالى ﴿ فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ﴾ أراد ان من نفر من الحاج في اليوم الثاني من أيام التشريق (فلا اثم عليه) وذلك انه على الحاج ان يبيت بمنى الليلة الاولى الاولى والثانية من أيام التشريق ويرمي كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة عند كل جمرة بسبع حصيات ورخص في ترك البيتوتة لرعاة الابل وأهل سقاية الحاج . ثم كل من رمى اليوم الثاني من أيام التشريق وأراد ان ينفر فيدع البيتوتة الليلة الثالثة ويرمي يومها فذلك له واسم لقوله تعالى (فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه) ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت حتى يرمي اليوم الثالث ثم ينفر وقوله ﴿ ومن تأخر فلا اثم عليه ﴾ يعني لا اثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله ومن تأخر حتى ينفر في اليوم الثالث (فلا اثم عليه) في تأخيره وقيل معناه (فمن تعجل) فقد ترخص (فلا اثم عليه) بالترخص (ومن تأخر فلا اثم عليه) بترك الترخص وقيل معناه رجع مغفورا له لا ذنب

والمطلق في سائر الاحوال وفي وقته أقوال للعلماء أشهرها الذي عليه العمل انه من صلاة الصبح يوم عرفة الى صلاة العصر من آخر ايام التشريق وهو آخر النفر الآخر وقد جاء فيه حديث رواه الدارقطني ولكن لا يصح مرفوعا والله أعلم . وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكبر في قبته فيكبر أهل السوق بتكبيره حتى ترنج من تكبيرا ويتعلق بذلك أيضا التكبير وذكر الله عند رمي الجرات كل يوم من ايام التشريق . وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره انما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لاقامة ذكر الله عز وجل . ولما ذكر الله تعالى النفر الاول والثاني وهو تفرق الناس من موسم الحج الى سائر الاقاليم والآفاق بعد اجتماعهم في المشاعر والمواقف قال (راتقوا الله واعلموا انكم اليه تمشرون) كما قال (وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تمشرون)

(٢٠٣) ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو

الله الخصام (٢٠٤) واذا نولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله

لا يحب الفساد (٢٠٥) واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جحيم وليأسن

المهاد (٢٠٦) ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد

عليه تعجل أو تأخر كما روينا من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع « أي خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وهذا قول علي وابن مسعود

قوله تعالى ﴿ لمن اتقى ﴾ أي لمن اتقى ان يصيب في حجه شيئا نهاه الله عنه كما قال « من حج فلم يرفث ولم يفسق » قال ابن مسعود : انما جعلت منفرة الذنوب لمن اتقى الله تعالى في حجه وفي رواية السكاكي عن ابن عباس معناه (لمن اتقى) الصيد لا يحل له ان يقتل صيدا حتى تنقضي ايام التشريق . وقال أبو العالية : ذهب إنمى ان اتقى فيما بقي من عمره ﴿ راتقوا الله واعلموا انكم اليه تمشرون ﴾ تجمعون في لاخرة يجزيكم بأعمالكم

قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ﴾ قال السكاكي ومقاتل وعطاء : نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه أبي وسمي الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا حلوا الكلام حلوا المنظر وكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجاسه ويظهر الاسلام ويقول اني لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان منافقا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذني مجاسه فتمزل قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) أي تستحسنه ويظم في قلبك ويقال في الاستحسان أعجبتني كذا وفي الكراهية والانتكار عجبت من كذا ﴿ ويشهد الله على ما في قلبه ﴾ يعني قول الاخنس المنافق

قال السدي : نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهر الاسلام وفي باطنه خلاف ذلك وعن ابن عباس أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيث وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم فأنزل الله في ذم المنافقين ومدح خبيث وأصحابه (ومن الناس من يشمري نفسه ابتغاء مرضاة الله) وقبل بل ذلك عام في المنافقين كلهم وفي المؤمنين كلهم وهذا قول قتادة ومجاهد والربيع بن أنس وغير واحد وهو الصحيح . وقال ابن جرير : حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن القرظي عن نوف وهو البكالي وكان ممن يقرأ الكتب قال إني لأجد صفة ناس من هذه الامة في كتاب الله المنزل : قوم يمتثلون على الدنيا بالدين ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمر من الصبر ، يلبسون للناس مسوك الضأن ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول الله تعالى : فعلي يجترؤن ويغيثون حلفت بنفسي لا بعثن عليهم فتنه تترك الحليم فيها حيران ، قال القرظي تدبرتها في القرآن فإذا هم المنافقون فوجدتها (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه) الآية وحدثني محمد بن أبي معشر أخبرني أبو معشر نجيح قال : سمعت سعيدا المقبري يذكر محمد بن كعب القرظي . فقال سعيد : ان في بعض الكتب : ان عبادا ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر لبسوا للناس مسوك الضأن ، من الذين يجترؤن الدنيا بالدين « قال الله تعالى : علي تجترؤن والله إني بك مؤمن ولك محب » (وهو ألد الخصام) أي شديد الخصومة ، يقال لدت ياهدأ أنت تلد لددا ولدادة . فإذا أردت انه غلب على خصمه قلت لده يلد له يقال رجل الدوامرة لداء وقوم لد . قال الله تعالى (وتنذر به قوما لداء) قال الزجاج : اشتقاقه من لذيدي العنق وهما صحنان وتأويله انه في أي وجه أخذ من يمين أو شمال في أبواب الخصومة غلب والخصام مصدر خاصمه خصاما وبخاصمة قاله أبو عبيدة . وقال لزوج : هو جمع خصم يقال خصم وخصام وخصوم مثل بحر وبحار وبحور . قال الحسن : ألد الخصام أي كاذب القول . قال قتادة : شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو عاصم عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان أبغض الرجال الى الله تعالى الالذ الخصم » (واذا تولى) أي أدبر وأعرض عاك « سعى في الارض » أي عمل فيها وقيل سار فيها ومشى « ليفسد فيها » قال ابن جريج قطع الرحم وسفك دماء المسلمين « ويهلك الحرث والنسل » وذلك ان الاخنس كان بينه وبين ثقيف خصومة فبقيتهم ليلة فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم . قال مقاتل : خرج الى الطائف مقتضيا مالا له على غريم فأحرق له كدسا وعقر له اتانان . والنسل نسل كل دابة والناس منهم . وقال الضحاك : (واذا تولى) أي ملك الامر وصار واليا (سعى في الارض) قال مجاهد : في قوله عز وجل (واذا تولى سعى في الارض) قال اذا ولي يعمل

وبي تغفرون؟ وعزني لا بد من عليهم فنة تترك الحليم منهم حيران فقل محمد بن كعب هذا في كتاب الله فقال سعيد : وأين هو من كتاب الله قال قول الله (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) الآية فقال سعيد : قد عرفت فيمن أنزلت هذه الآية فقال محمد بن كعب ان الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد وهذا الذي قاله القرظي حسن صحيح . وأما قوله (ويشهد الله على ما في قلبه) فقرأه ابن محيصن (ويشهد الله) بفتح الياء وضم الجلالة (على ما في قلبه) ومعناها أن هذا وإن أظهر لكم الحيل لكن الله يعلم من قلبه القبيح كقوله تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا : نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون) وقراءة الجمهور بضم الياء ونصب الجلالة (ويشهد الله على ما في قلبه) ومعناه أنه يظهر للناس الاسلام ويبايرز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق كقوله تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) الآية هذا معنى ما رواه ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقيل معناه انه اذا ظهر للناس الاسلام حلف وأشهد الله لهم أن الذي في قلبه موافق لسانه وهذا المعنى صحيح ، وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وعزه الى ابن عباس وحكاه عن مجاهد والله أعلم ، وقوله (وهو ألد الخصام) لالد في اللغة الاعوج (وتنذر به قوما لدا) أي عوجا وهكذا المنافق في حال خصومته يكذب وبزور عن الحق ولا يستقيم معه بل يفترى ويفجر كما ثبت في الصحيح عن رسول

بالعدوان والظلم فامسك الله المطر وأهلك الحرث والنسل ﴿ والله لا يحب الفساد ﴾ أي لا يرضى بالفساد . وقال سعيد بن المسيب : قطع الدراهم من الفساد في الارض قوله ﴿ وإذا قيل له اتق الله ﴾ أي خف الله ﴿ أخذته العزة بالاثم ﴾ أي حلتها العزة وحمة الجاهلية على الفعل بالاثم ، أي بالظلم . والعزة التكبر والمنعة ، وقيل معناه (أخذته العزة) للاثم الذي في قلبه فأقام الباء مقام اللام : قوله ﴿ فحسبه جهنم ﴾ أي كافيه ﴿ ولبئس المهاد ﴾ أي الفراش . قال عبد الله بن مسعود : ان من أكبر الذنب عند الله ان يقال للعبد : اتق الله فيقول عليك بنفسك ، وروي انه قيل لعمر بن الخطاب اتق الله ، فوضع خده على الارض تواضعا لله عز وجل

قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ أي لطاب رضا الله تعالى ﴿ والله رؤوف بالعباد ﴾ روى عن ابن عباس والضحاك ان هذه الآية نزلت في سرية الرجيع وذلك ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد أسلمنا فابعت الينا نفرا من علماء أصحابك يعلموننا دينك وكان ذلك مكرا منهم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي الانصاري ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البجلي وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الافتح الانصاري قل أبو هريرة : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري فساروا فقتلوا بطن الرجيع بين مكة والمدينة ومعهم تمر عجوة فأكلوا ففرت عجزوا فأبصرت النوى فرجعت الى

الله صلى الله عليه وسلم أنه قل «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» وقال البخاري: حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة ترفعه. قال: «إن أبغض الرجال إلى الله الإلاد الخصم» قال: وقال عبد الله بن يزيد: حدثنا سفيان حدثنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن أبغض الرجال إلى الله الإلاد الخصم» وهكذا رواه عبد الرزاق عن معمر في قوله (وهو الإلاد الخصم) عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن أبغض الرجال إلى الله الإلاد الخصم» وقوله (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) أي هو أعوج المقال، سعي الأعمال، فذلك قوله وهذا فمسه، كلاله كذب، واعتقاده فاسد، وأفعاله قبيحة، والسعي ههنا هو القصد كما قل إخبارا عن فرعون (ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال أناربعكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) أي اقصدا واعدوا ناوين بذلك صلاة الجمعة فإن السعي الحسي إلى الصلاة منهى عنه بالسنة النبوية «إذا أتيت الصلاة فلا تأتوها واتم تسمعون وأتوها وعليكم السكينة والوقار» فهذا المنافق ليس له همه إلا الفساد في الأرض وإهلاك الحرث وهو محل نماء الزرع والثمار والنسل وهو نتاج الحيوانات الذين لا قوام قومها بمكة وقالت قدسك هذا الطريق أهل يثرب من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فركب سبعون رجلا منهم معهم الرماح حتى أحاطوا بهم. وقال أبو هريرة رضي الله عنه ذكروا الحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقرية من مائة رجل رام فقتلوا آثارهم حتى وجدوا ما كانهم التمر في منزل نزله فقالوا تمر يثرب فاتبعوا آثارهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤا إلى فدف فأحاط بهم القوم فقتلوا مرثدا وخالدا وعبد الله بن طارق ونثر عاصم بن ثابت كنياته وفيها سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم قال: اللهم إني حبيت دينك صدر النهار فاحم لي آخر النهار ثم أحاط به المشركون فقتلوه. فلما قتلوه أرادوا حزن رأسه ليبيموه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد أن تدر على رأس عاصم لتشر بن في قحفه الخمر فأرسل الله رجلا من الدبر وهي الزناير فحمت عاصما فلم يقدروا عليه فسمي حمى الدبر فقالوا دعوه حتى تسمي فذهب عنه فأنخذه فجاءت سحابة سوداء وأمطرت مطرا كالغزالي فبعث الله الوادي غدبرا فاحتمل عاصما به فذهب به إلى الجنة وحمل خمسين من المشركين إلى النار وكان عاصم قد أعطى الله تعالى عهدا أن لا يمس مشرك ولا يمس مشركا أبدا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعت عجباً لحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذرا أن لا يمس مشرك ولا يمس مشركا أبدا فنهى الله بدم وفاته كما امتنع عاصم في حياته وأسر المشركون خبيب بن عدي الانصاري وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما إلى مكة فلما خبيب فانباعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل

للناس إلا بهما . وقال مجاهد إذا سمى في الأرض افسادا منع الله القطر فهلك الحرث والنسل (والله لا يحب الفساد) أي لا يحب من هذه صفته ولا من يصدر منه ذلك وقوله (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم) أي إذا وعظ هذا العاجز في مقاله وفعاله وقيل له اتق الله وانزع عن قولك وفعلك وارجع إلى الحق امتنع وأبى وأخذته الحمية والغضب بالإثم أي بسبب ما شتم عليه من الآثام وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلك النار وعدّها الله الذين كفروا وبئس المصير) ولهذا قال في هذه الآية (فحسبه جهنم ولبئس المهاد) أي هي كافيته عقوبة في ذلك

وقوله (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) لما أخبر عن المنافقين بصفاتهم الذميمة ذكر صفات المؤمنين الحميدة فقال (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء رضى الله) قال ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدي وعكرمة وجماعة نزلت في صهيب بن سنان الرومي وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منعه الناس أن يهاجر بماله وإن أحب أن يتجرّد منه ويهاجر فعل فتخلص منهم وأعطاهم ماله فانزل الله فيه هذه الآية فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرة فقالوا له ربح البيع فقال واتم فلا أخسر الله تجارتكم وما ذك فآخبروه أن الله أنزل فيه هذه

ابن عبد مناف ليقتلوه بأيهم وكان خبيب هو الذي قتل الحرث يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله فاستعار من بنات الحرث موسى ليستحدر بها فأعارته فدرج في لها وهي غافلة فما راع المرأة إلا خبيب قد اجلس الصبي على فخذه الموسى بيده فصاحت المرأة فقال خبيب أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن الغدر ليس من شأننا ففالت المرأة بعد والله ما رايت أسيراً خيراً من خبيب والله لقد وجدته يوماً يأكل قطعاً من عنب في يده وأنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة إن كان إلا رزقا رزقه الله خبيبا ، ثم انهم خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل وأرادوا أن يصلبوه فقال لهم خبيب دعوني أصلي ركعتين فتركوه فكان خبيب هو أول من سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة فركع ركعتين . ثم قال لولا أن يحسبوا أن ما بي جزع لزدت اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً . ثم أنشأ يقول :

فلست أبالي حين أقتل مسلماً * على أي شق كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الاله وإن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزّع

فصلبوه حياً فقال اللهم ألك تعلم أنه ليس أحد حولي يباغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي . ثم قام أبو سريّة عقبة بن الحرث فقتله . ويقال كان رجل من المشركين يقال له سلامان أبو ميسرة معه رمح فوضعه بين ثدي خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك إلا اعتوا فطعنه فانفذ ذلك قوله عز وجل (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم) يعني سلامان . وأما زيد بن الدثنة

الآية ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « ربح البيع صهيب » قال ابن مردويه حدثنا محمد ابن ابراهيم حدثنا محمد بن عبد الله بن رسته حدثنا سليمان بن داود حدثنا جعفر بن سليمان الضبي حدثنا عوف عن أبي عثمان النهدي عن صهيب قال لما أردت الهجرة من مكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالت لي قريش يا صهيب قدمت إلينا ولا مال لك ونخرج أنت ومالك والله لا يكون ذلك أبدا فقلت لهم أرأيتم أن دفعت إليكم مالي نخلون عني؟ فلو نعم، فدفعت إليهم مالي فخلوا عني فخرجت حتى قدمت المدينة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ربح صهيب ربح صهيب » مرتين وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبه نفر من قريش فنزل عن راحته وانزل ما في كنفاته ثم قال يا معشر قريش قد علمتم أي من أركم رجلا وأنتم والله لا تهملون إلي حتى أرمي بكل سهم في كفاي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم دلتكم على مالي وقبتي بمكة رخليتم سبيلي قالوا نعم فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم « قال ربح البيع » قل ونزلات (ومن الناس من

فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس إلى التميم ليقتله بأبيه واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقل له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله يا زيد أنت أحب أن محمدا عندنا الآن بمكانك ونضرب عنقه وأنت في أهلك، فقال والله ما أحب أن محمدا صلى الله عليه وسلم الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا. ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قل لأصحابه أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير: أنا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الأسود فخرجا عشبانا بالليل ويكتمان بالنهار حتى أتيا التميم ليلا وإذا حول الخشب أربعون رجلا من المشركين نائمون نشاوى فأنزلناه فإذا هو رهط ينشئ لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وساروا فاتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فأخبروا قريشا فركب منهم سبعون فلما لحقوا قذف الزبير خبيبا فابطلته الأرض فسهي ببيع الأرض. فقال الزبير: ما جرأكم علينا يا معشر قريش. ثم رفع العمامة عن رأسه وقال أنا الزبير بن العوام وأمي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان رايضان يدافعان عن شبليهما فإن شئتم ناضلتكم وإن شئتم نازلتكم وإن شئتم انصرفتم، فانصرفوا إلى مكة وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهر بل عنده فقال يا محمد إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك فنزل في الزبير والمقداد بن الأسود (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) حين ثريا أنفسهم بانزال خبيب عن خشبته وقال أكثر المفسرين: نزلت في صهيب بن سنان الرومي حين أخذه المشركون في رهط من المؤمنين فغذبوه. فقال لهم صهيب إني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا

يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد) وأما الاكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في لتوراة والانجيل والقرآن، ومن اوفى بعهده من الله؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) ولما حمل هشام بن عامر بين الصنفين أنكر عليه بعض الناس فرد عليهم عمر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما وتلوا هذه الآية (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد)

(٢٠٧) يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم

عدو مبين (٢٠٨) فان زلتم من بعد ما جاءكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم
يقول الله تعالى آمرا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الاسلام وشرائعه

مالي وتذروني وديني ففعلوا وكان شرط عليهم راحلة ونفقة فأقام بمكة ما شاء الله ثم خرج الى المدينة فلتقاه ابو بكر وعمر في رجال. فقال له ابو بكر ربح بيمك يا أبا يحيى. فقال له صهيب: ويبيعك فلا تتحسر. قال صهيب: ماذا لي؟ فقال قد أنزل الله فيك رقرا هذه الآية. وقال سعيد بن المسيب وعطاء: أقبل صهيب مهاجرا نحر النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فقتل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته. ثم قال: يامعشر قريش لقد علمتم إني لمن أركم رجلا والله لا أضمر سهما مما في كنانتي إلا في قلب رجل منكم وائم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللنكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي قالوا نعم. ففعل ذلك فأنزل الله هذه الآية. وقال الحسن: أتدرون فيمن نزلت هذه الآية؟ نزلت في المسلم يلقي الكافر فيقول له قل لا إله إلا الله فيأبى ان يقولها، فقال المسلم والله لا شرب من نفسي لله، فتقدم فقاتل وحده حتى قتل. وقيل نزلت الآية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال ابن عباس: أرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالآثم، قال وأنا أشري نفسي لله فقاتله فاقتل الرجلان لذلك. وكان علي إذا قرأ هذه الآية يقول: اقتتلا ورب الكعبة. وقال أبو الخليل: سمع عمر بن الخطاب انسانا يقرأ هذه (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) فقال عمر «انا لله وانا اليه راجعون» قام رجل يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فقتل. أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن بن شريح أخبرنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرني حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة ان رجلا قال يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال «أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر» قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ قرأ أهل الحجاز والكسائي السلم ههنا بفتح السين وقرأ الباقر بكسرها وفي سورة الانفال بالكسر وقرأ أبو بكر والباقر بالفتح وفي سورة محمد

والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك. قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وطاوس والضحاك وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد في قوله (ادخلوا في السلم) يعني الاسلام وقال الضحاك عن ابن عباس وأبو العالية والربيع بن أنس (ادخلوا في السلم) يعني الطاعة . وقال قتادة أيضا الموادة وقوله (كافة) قال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حبان وقتادة والضحاك : جميعا ، وقال مجاهد أي اعملوا بجميع الاعمال ووجوه البر .

وزعم عكرمة أنها نزلت في نفر ممن اسلم من اليهود وغيرهم كبند الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة وطائفة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يسبوا وأن يقوموا بالتوراة ليلا فأمرهم الله بأقامة شعائر الاسلام والاشتغال بها عما عداها وفي ذكر عبد الله بن سلام مع هؤلاء نظر اذ يبعد أن يستأذن في اقامة السبت وهو مع تمام ايمانه يتحقق نسخه ورفعه وبطلانه والتعويض عنه باعياد الاسلام

ومن المفسرين من يجعل قوله (كافة) حالا من الداخين أي ادخلوا في الاسلام كاسم والصحيح الاول وهوانهم أمر واكلمهم أن يعملوا بجميع شعب الايمان وشرائع الاسلام وهي كثيرة جدا ما استطاعوا منها كما قال ابن أبي حاتم اخبرنا علي بن الحسين اخبرنا احمد بن الصباح اخبرني الهيثم بن يمان حدثنا اسماعيل ابن زكريا حدثني محمد بن عون عن عكرمة عن أبي عباس (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) كذا قرأها بالنصب يعني مؤمنى أهل الكتاب فانهم كانوا مع الايمان بالله مستمسكين ببعض امور التوراة والشرائع التي انزلت فيهم فقال الله (ادخلوا في السلم كافة) قول ادخلوا في شرائع

صلى الله عليه وسلم بالكسر حمزة وأبو بكر نزلت هذه الآية في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام النضيرى وأصحابه وذلك أنهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحوم الابل وألبانها بعد ما اسلموا وقالوا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله فدعنا فلنقيمها في صلاتنا بالليل فانزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) أي في الاسلام . قال مجاهد في أحكام أهل الاسلام وأعمالهم (كافة) أي جميعا . وقيل ادخلوا في الاسلام الى منتهى شرائعه كافرين عن المجاوزة الى غيره وأصل السلم من الاستسلام والانقياد . ولذلك قيل للصلح سلم قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية الاسلام ثمانية أسهم فعد الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال قد خاب من لا سهم له ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ أي آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغيره ﴿ انه لكم عدو مبين ﴾ اخبرنا محمد بن الحسن المروزي اخبرنا أبو العباس الطحان اخبرنا أبو احمد محمد بن قريش اخبرنا علي بن عبد العزيز المكي اخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام اخبرنا هاشم اخبرنا مخلد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال انا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى ان نكتب بعضها ؟ فقال « أمتهو كون أنتم كما تهوكت

دين محمد صلى الله عليه وسلم ولا تدعوا منها شيئا وحسبكم الايمان بالتوراة وما فيها . وقوله (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي اعملوا بالطاعات واحذروا ما يأمركم به الشيطان فانما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون (وانما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السوء) ولهذا قال (انه لكم عدو مبين) قال مطرف : أغش عباد الله لعبيد الله الشيطان ؟ وقوله (فان زلتم من بعد ما جاءكم البينات) أي علمتم عن الحق بعد ما قامت عليكم الحجج فاعلموا أن الله عزير أي في انتقامه لا يفوته هارب ولا يغلبه غالب حكيم في أحكامه ونقضه وبرمه ولهذا قال أبو الدالية وقتادة والربيع بن أنس : عزير في نعمته حكيم في أمره وقال محمد بن اسحق : العزيز في نصره ممن كفر به اذا شاء الحكيم في عذره وحجته الى عباده

(٢٠٩) هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر

والى الله ترجع الامور

يقول تعالى مهديدا للكافرين بمحمد صلوات الله وسلامه عليه (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) يعني يوم القيامة لفصل القضاء بين الاولين والآخرين فيجزى كل عامل بمعمله ان خيرا خيرا وان شرا فشر ولهذا قال تعالى (وقضى الامر والى الله ترجع الامور) كما قال تعالى (كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك غفا صفاء وحي يومئذ يجهم يومئذ يندكر الانسان وأنى له الذكرى) وقال (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) الآية . وقد ذكر الامام أبو جعفر بن جرير ههنا حديث الصادق عليه السلام

اليهود والنصارى ؟ لقد جثتم بها بيضاء نفية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي » (فان رآهم ضلالتهم وقيل ملتم يقال زلت قدمه نزل زلا وزلا اذا دحضت قال ابن عباس : يعني الشرك . قال قتادة : قد علم الله انه سيزل زالون من الناس فتقدم في ذلك وأوعده فيه ليكون لديه الحجة عليهم) (من بعد ما جاءكم البينات) أي للدلالات الواضحات (فاعلموا ان الله عزير) في نعمته (حكيم) في أمره ، فالعزير هو الغالب الذي لا يفوته شيء والحكيم ذو الاصابة في الامر

قوله تعالى (هل ينظرون) أي هل ينظرون التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان يقال نظرت نظرتي وانتظرته بمعنى واحد فاذا كان النظر مقرونا بذكر الوجه أو الى لم يكن الا بمعنى الرؤية (الا ان يأتيهم الله في ظلل) جمع ظلة (من الغمام) وهو السحاب الابيض الرقيق سمى غماما لانه يغم أي يستر . وقال مجاهد : هو غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وقال مقاتل : كهيئة الضبابه أبيض قل الحسن : في ستره من الغمام فلا ينظر اليهم أهل الارض (والملائكة) قرأ أبو جعفر بالخفض عطفا على الغمام تقديره مع الملائكة . تقول العرب أقبل الأمير في العسكر ، أي مع العسكر . وقرأ الباقون بالرفع على معنى : ألا ان يأتيهم الله والملائكة في ظلل

من أوله عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث مشهور ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم وفيه - أن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحدا واحدا من آدم فمن بعده فكلهم يجيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فإذا جاؤا إليه قال « أنا لها أنا لها » فيذهب فيسجد لله تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله ويأتي في ظلل من الغمام بعدما تنشق السماء الدنيا وينزل من فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة إلى السابعة وينزل عليه العرش والكروبيون قال وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة ولهم زجل من تسبيحهم يقولون « سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يمت الخلاق، ولا يموت سبوح قدوس، رب الملائكة والروح، سبوح قدوس سبحان ربنا الأعلى، سبحان ذي السلطان والمظلة سبحانه أبدا أبدا » وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه ههنا أحاديث فيها غرابة والله أعلم. فمنها ما رواه من حديث المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله بن ميسرة عن مسروق عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما شاخصة أبصارهم إلى السماء ينظرون فصل القضاء وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو بكر بن عطاء بن مقدم حدثنا معتمر بن سليمان سمعت عبد الجليل القيسي يحدث عن عبد الله بن عمرو (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) الآية . قال : يهبط حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتا تنخلع له القلوب . قال : وحدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزبر الدمشقي حدثنا الوليد قال : سألت زهير بن محمد عن قول الله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) قال : ظلل من الغمام منظوم من ألقوت مكلل بالجوهر والزبرجد وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في ظلل من الغمام قال : هو غير السحاب ولم يكن قط إلا بني إسرائيل في تيههم حين ناهوا . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) يقول : والملائكة يجيئون في ظلل من الغمام والله تعالى يجيئ فما يشاء وهي في من الغمام) والاولى في هذه الآية وفيما شاكلها ان يؤمن الانسان بظاها وبكل علمها الى الله تعالى ويعتقد ان الله عز اسمه منزله عن سمات الحدث على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة . قال السكبي : هذا هو المكتوم الذي لا يفسر . وكان مكحول والزهرى والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد وابو حنيفة يقولون فيه وفي أمثاله أمرها كالجاءت بلا كيف قال سفيان بن عيينة : كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتنفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره إلا الله تعالى ورسوله قوله تعالى ﴿ وقضي الامر ﴾ أي وجب العذاب، وفرغ من الحساب، وذلك فصل الله القضاء بالحق

بعض القراءات (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من النمام) وهي كقوله (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا)

(٢١٠) سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعدما جاءته فان الله شديد العقاب (٢١١) زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا

والذين اتقوا فوقعهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب
يقول تعالى مخبرا عن بني اسرائيل كم شاهدوا مع موسى من آية بينة أي حجة قاطعة بصدقه فيما جاء به كيده وعصاه وقلعه البحر وضر به الحجر وما كان من تظليل الغمام عليهم في شدة الحر ومن انزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات الدالات على وجود الفاعل المختار وصدق من جرت هذه الخوارق على يديه ومع هذا أعرض كثير منهم عنها وبدلوا نعمة الله كفرا أي استبدلوا بالايان بها الكفر بها والاعراض عنها (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب) كقَالَ تعالى اخبارا عن كفار قریش (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم بين الخلق يوم القيامة) والى الله ترجع الامور قرأ ابن عامر وحزمة والكاساني ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم وقرأ الباقر بضم التاء وفتح الجيم

قوله تعالى (سل بني اسرائيل) أي سل يا محمد يهود المدينة (كم آتيناهم) أعطيناهم آياتهم وأسلافهم (من آية بينة) قرأ أهل الحجاز وقتيبة بتشديد الياء والباء والباقر بتشديد الياء دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وقلق البحر وغيره اوقيل معناه الدلالات التي آتاهم الله في التوراة والانجيل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ومن يبدل) يعني بغير (نعمة الله) كتاب الله وقيل عهد الله وقيل من ينكر الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب) زين للذين كفروا الحياة الدنيا الا كثرون على أن المزين هو الله تعالى ، والتزيين من الله تعالى هو أنه خلق الاشياء الحسنة والمناظر العجيبة فنظر الخلق اليها بأكثر من قدرها فأعجبهم حسنهم ففتنوا بها . وقال الزجاج زين لهم الشيطان قيل نزلت هذه الآية في مشركي العرب أبي جهل واصحابه كانوا يتنعمون بما بسط الله لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد (ويسخرون من الذين آمنوا) أي يستهزئون بالفقراء من المؤمنين قال ابن عباس : أراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وصمار بن ياسر وصهيبا وبلالا وخبابا وأمناهم وقال مقاتل : نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي واصحابه كانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم وقل عطاء : نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بني قريظة والنضير بغير قتال ويسخرون من الذين آمنوا الفقراء (والذين اتقوا) يعني هؤلاء

يصلونها وبئس القرار) ثم أخبر تعالى عن تزيينه الحياة الدنيا للكافرين الذين رضوا بها واطمأنوا إليها وجمعوا الأموال ومنعوها عن مصارفها التي أمروا بها مما يرضى الله عنهم وسخرها من الذين آمنوا الذين أعرضوا عنها وأنفقوا ما حصل لهم منها في طاعة ربهم وبدلوه ابتغاء وجه الله فلهذا فازوا بالمقام الأسعد والخط الاوفر يوم معادهم فكانوا فوق أولئك في محشرهم ومنشرهم ومسيرهم ومأواهم فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين وخلد أولئك في الدركات في أسفل السافلين. ولهذا قال تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أي يرزق من يشاء من خلقه ويعطيه عطاء كثيرا جز بلا حصر ولا تعداد في الدنيا والآخرة كما جاء في الحديث «ابن آدم أنفق أنفق عليك» وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أنفق بلالا ولا تحش من ذي العرش اقلالا» وقال تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) وفي الصحيح «أن ملكين ينزلان من السماء صبيحة كل يوم فيقول أحدهما : اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكا تلفا» وفي الصحيح «يقول ابن آدم : مالي مالي، وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنت وما لبست فأبليت وما تصدقت فأمضيت وما سوى ذلك فذاهب

الفقراء» (فوقهم يوم القيامة) لأنهم في أعلى عليين وهم في أسفل السافلين أخبرنا أبو سعيد عبد الله ابن أحمد الطاهري أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البرازي أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أخبرنا اسحق الديري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وقفت على باب الجنة فرأيت أكثر أهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت أكثر أهلها النساء وإذا أهل الجدة محبسون الا من كان من أهل النار فقد امر به الى النار» أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد ابن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل ثنا اسحق بن ابراهيم حدثني عبد العزيز بن ابي حازم عن ابيه عن سهل بن سعد الساعدي انه قال : مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رايتك في هذا ؟ فقال رجل من اشراف الناس هذا والله حري أن يخطب ان ينكح وان شفع ان يشفع، قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما رايتك في هذا ؟ فقال يا رسول الله ان هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري ان يخطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال ان لا يسمع لقوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذا خير من ملء الارض مثل هذا» (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قال ابن عباس : يعني كثيرا بغير مقدار لان كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل، يريد يوسع على من يشاء ويسقط لمن يشاء من عبادته، وقال الضحاك يعني من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل هذا يرجع الى الله معناه يقتصر على من يشاء ويسقط لمن يشاء ولا يعطي لكل احد بقدر حاجته بل يعطي الكثير من لا يحتاج اليه ولا يعطي القليل من يحتاج اليه فلا يمترض عليه ولا يحاسب فيما يرزق ولا يقال لم اعطيت هذا وحرمت هذا؟ ولم اعطيت هذا اكثر مما اعطيت ذاك؟ وقيل معناه لا يخاف

لا : لتتصاع (١)
 وليعلموا ما
 في قلوبنا ولا
 في قلوبنا
 في قلوبنا
 في قلوبنا

وتاركه للناس» وفي مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له»

(٢١٢) كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه الا الذين أتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو داود اخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان بين نوح وادم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلغوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله (كان الناس أمة واحدة فاختلغوا) ورواه الحاكم في مستدركه من حديث بندار عن محمد بن بشار ثم قال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه وكذا روى أبو جعفر الرازي عن أبي المالية عن أبي بن كعب أنه كان يقرؤها (كان الناس أمة واحدة فاختلغوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) وقال عبد الرزاق: اخبرنا معمر عن قتادة في قوله (كان الناس أمة واحدة) قال: كانوا على هدى جميعا (فاختلغوا فبعث الله النبيين) فكان اول من بعث نوحا. وهكذا قال مجاهد كما قال ابن عباس أولا. وقال العوفي عن ابن عباس (كان الناس أمة واحدة) يقول: كانوا كفارا (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) والقول الاول عن ابن عباس اصح سنداً ومعنى لان الناس كانوا على مسلة آدم حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم نوحا عليه السلام فكان اول رسول بعثه الله الى اهل الارض

نفاذ خرائمه فيحتاج الى حساب ما يخرج منها لان الحساب من المعطى انما يكون بما يخاف (١) من نفاذ خرائمه قوله تعالى (كان الناس أمة واحدة) على دين واحد قل مجاهد: اراد آدم وحده كان أمة واحدة قل سمي الواحد بلفظ الجمع لانه اصل النسل وابو البشر ثم خلق الله تعالى منه حواء ونشر منها الناس فانكثروا وكانوا مسلمين الى ان قتل قابيل هابيل فاختلغوا ﴿فبعث الله النبيين﴾ قال الحسن وعطاء كان الناس من وقت وفاة آدم الى مبعث نوح أمة واحدة على ملة الكفر أمثال البهائم فبعث الله نوحا وغيره من النبيين. وقال قتادة وعكرمة كان الناس من وقت آدم الى مبعث نوح وكان بينهما عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح فبعث الله اليهم نوحا فكان اول نبي بعث ثم بعث بعده النبيين. وقال الكلبي: هم اهل سفينة نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة نوح. وروى عن ابن عباس قال كان الناس على عهد ابراهيم عليه السلام أمة واحدة كفارا فبعث الله ابراهيم وغيره من النبيين وقبل كان العرب على دين ابراهيم

(١) ونسختنا: لما يخاف. بلام التعليل. وهي كباء السببية في المعنى في النسخ المطبوعة

ولهذا قال تعالى (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم) أي من بعد ما قامت الحجج عليهم وما حاكمهم على ذلك الا البغي من بعضهم على بعض (فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر عن سليمان الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة في قوله (فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه) الآية قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون الاولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم اوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهداانا الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهداانا الله له فالناس لنا فيه تبع فقدا لليهود وبعد غد للنصارى » ثم رواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة . وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه في قوله (فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه) فاختلفوا في يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السبت والنصارى يوم الاحد فهدي الله أمة محمد ليوم الجمعة واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى المشرق واليهود بيت المقدس فهدي الله أمة محمد للقبلة واختلفوا في الصلاة فمنهم من يركع ولا يسجد ومنهم من يسجد ولا يركع ومنهم من يصلي وهو يتكلم ومنهم من يصلي وهو يمشي فهدي الله أمة محمد للحق من ذلك . واختلفوا في الصيام فمنهم من يصوم بعض النهار ومنهم من يصوم عن بعض الطعام فهدي الله أمة محمد للحق من ذلك . واختلفوا في ابراهيم عليه السلام فقالت اليهود : كان يهوديا وقالت النصارى : كان نصرايا وجعله الله حنيفا مسلما فهدي الله أمة محمد للحق من ذلك . واختلفوا في عيسى عليه السلام فكذبت به اليهود وقالوا لاه : بهتاننا عظيما وجعلته النصارى إلها ولدا وجعله الله روحه وكلته فهدي الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم الى ان غيره عمرو بن الحكي لعنة الله عليه . وروي عن أبي الدالية عن أبي كعب قال : كان الناس يحين عرضوا على آدم وأخرجوا من ظهره وأقروا بالعبودية لله تعالى أمة واحدة مسلمين كلهم ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم . ثم اختلفوا بعد آدم نظيره في سورة يونس وما كان الناس لا أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين وجاهلهم مائة ألف واربعة وعشرون ألفا وارسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكورون في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبيا (مبشرين) بالثواب من آمن وأطاع (ومنذرين) محذرين بالعقاب من كفر وعصى (وأنزل معهم الكتاب) أي الكتب تقديره وأنزل مع كل واحد منهم الكتاب (بالحق) بالعدل والصدق (ليحكم بين الناس) قرأ أبو حمزة (ليحكم) بضم الياء وفتح الكاف ههنا وفي أول آل عمران وفي النور موضعين لان الكتاب لا يحكم في الحقيقة انما يحكم به وقراءة العامة بفتح الياء وضم الكاف أي ليحكم الكتاب ذكره على سعة الكلام كقوله تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) وقيل معناه ليحكم كل نبي بكتابه (فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه) أي في الكتاب (إلا الذين اوتوه) أي اعطوا الكتاب

للحق من ذلك وقال الربيع بن أنس في قوله (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه) أي عند الاختلاف أنهم كانوا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف أقاموا على الاخلاص لله عز وجل وحده وعبادته لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فأقاموا على الامر الاول الذي كان قبل الاختلاف واعتزلوا الاختلاف وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وآل فرعون أن رسلهم قد بلغوهم وأهمهم قد كذبوا رسلهم وفي قراءة أبي بن كعب وليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكان أبو العالية يقول في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن

وقوله (باذنه) أي بعلمه بهم وبما هداهم له قاله ابن جرير (والله يهدي من يشاء) أي من خلقه (الى صراط مستقيم) أي وله الحكمة والحجة البالغة وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يصلي يقول : « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » وفي الدعاء المأثور « اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله متلبسا علينا فنضل واجعلنا المقيمين اماما »

(٢١٣) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء

والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟ ألا ان نصر الله قريب

(من بعدما جاءتهم البينات) يعني احكام التوراة والانجيل قيل افراء : ولاختلافهم معنيان أحدهما كفر بعضهم بكتاب بعض قال الله تعالى (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) والآخر تحريفهم كتاب الله قال الله يحرفون الكلم عن مواضعه وقيل الآية راحة الى محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه اختلف فيه أهل الكتاب (من بعد جاءتهم البينات) صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم (بغيا) ظلما وحسدا (يهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أي لما اختلفوا فيه (من الحق باذنه) بعلمه وإرادته فيهم قال ابن زيد : هذه الآية اختلفوا في القبلة فمنهم من يصلي الى المشرق ومنهم من يصلي الى المغرب ومنهم من يصلي الى بيت المقدس فهدانا الله الى الكعبة واختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في الايام فأخذت اليهود السبت والنصارى الاحد فهدانا الله للجمعة واختلفوا في ابراهيم عليه السلام فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله للحق من ذلك واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود الفرية وحمله النصارى الها وهدانا الله للحق فيه (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)

قوله تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) قال قتادة والسدي : نزلت هذه الآية في غزوة

يقول تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) قل أن تبخلوا وتختبروا وتمتحنوا كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم ولهذا قال (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء) وهي الأمراض والاسقام والآلام والمصائب والنوائب . قال ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير ومرة الهذلي والحسن وقتادة والضحاك والربيع والسدي ومقاتل بن حبان (البأساء) الفقر (والضراء) السقم (وزلزلوا) خوفوا من الأعداء زلزلا شديدا وامتحانوا امتحانا عظيما كما جاء في الحديث الصحيح عن خباب بن الارت قال : قلنا يا رسول الله ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا فقال « ان من كان قبلكم كان أحدهم يوضع الميشار على مفرق رأسه فيخلص الى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه » ثم قال « والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تسمن جلون » وقال الله تعالى (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وقد حصل من هذا جانب عظيم للصحة رضي الله عنهم في يوم الاحزاب كما قال الله تعالى (اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذا زلزلت الارياض وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلا شديدا ، واذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) الايات . ولما سأل هرقل أبا سفيان هل قاتلتموه قال : نعم . قال : فكيف كانت الحرب بينكم ؟ قال : سجالا يدال علينا وندال عليه قال : كذلك الرسل تبلى ثم تكون لها العاقبة . وقوله (مثل الذين خلوا من قبلكم) أي سنتهم كما قال تعالى (فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين) وقوله (وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) أي يستفتحون على أعدائهم ويدعون بقرب الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى كما قال الله تعالى (وبلغت القلوب الحناجر) رقيق نزلت في حرب أحد . وقال عطاء : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة اشتد عليهم الضر لا لهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وأثروا رضا الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسروا قومه النفاق فأنزل الله تعالى تطيبا لقلوبهم (أم حسبتم) معناه أحسبتم والمبهم صلة قاله الفراء وقال الزجاج : بل حسبتم ومعنى الآية أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة (ولما يأتكم) أي ولم يأتكم وما صلة (مثل الذين خلوا) شبه الذين مضوا (من قبلكم) من النبيين والمؤمنين (مستهم البأساء) الفقر والشدة والبلاء (والضراء) المرض والزمانة (وزلزلوا) أي حركوا بأنواع البلايا والرزايا وخوفوا (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) ما زال البلاء بهم حتى استبطؤ النصر قال الله تعالى (ألا ان نصر الله قريب) قوا نافع حتى يقول الرسول بارفع معناه حتى قول الرسول واذا كان الفعل الذي يلي حتى في معنى الماضي ولفظه لفظ المستقبل فذلك فيه الوجهان

الفرج والمخرج عند ضيق الحال والشدة . قال الله تعالى (ألا ان نصر الله قريب) كما قال (فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) وكما تكون الشدة بنزل من النصر مثلها ، ولهذا قال (ألا أن نصر الله قريب) وفي حديث أبي رزبن « عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيثة فينظر اليهم قطين فيظل يضحك يعلم أن فرجهم قريب » الحديث

(٢١٤) يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فلالوالدين والاقربين واليتامى

والمساكين وابن السبيل وما نفعلوا من خير فان الله به عليم

قال مقاتل بن حيان : هذه الآية في نفقة التطوع . وقال السدي : نسختها الزكاة وفيه نظر ومعنى الآية : يسألوك كيف ينفقون ؟ قاله ابن عباس ومجاهد فبين لهم تعالى ذلك فقال (قل ما أنفقتم من خير فلالوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) أي اصرفوها في هذه الوجوه . كما جاء الحديث « أمك وأباك وأخك وأخاك ثم أذك أذك » وتلا ميمون بن مهران هذه الآية ثم قال : هذه مواضع النفقة ما ذكر فيها طبلا ولا مزمارا ولا تصاوير الخشب ولا كسوة الجنان . ثم قال تعالى (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) أي مهما صدر منكم من فعل معروف فان الله يعلمه وسيجزىكم على ذلك أوفر الجزاء فانه لا يظلم أحدا مثقال ذرة

(٢١٥) كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم

وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون

هذا إيجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين أن يكفوا شر الأعداء عن حوزة الاسلام وقال

والرفع والنصب فالنصب على ظاهر الكلام لان حتى تنصب الفعل المستقبل والرفع لان معناه الماضي حتى لا نعمل في الماضي

قوله تعالى ﴿ يسألونك ماذا ينفقون ﴾ نزلت في عمرو بن الجوح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من تنفق فأنزل الله تعالى (يسألونك ماذا ينفقون) وفي قوله (ماذا) وجهان من الاعراب أحدهما ان يكون محله نصبا بقوله (ينفقون) تقديره أي شيء ينفقون والآخر ان يكون رفعا بما ومعناه ما الذي ينفقون ﴿ قل ما أنفقتم من خير ﴾ أي من مال ﴿ فلالوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوه من خير فان الله به عليم ﴾ يجازيكم به قال أهل التفسير : كان هذا قبل فرض الزكاة فنسخت بالزكاة

قوله تعالى ﴿ كتب عليكم القتال ﴾ أي فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال عطاء : الجهاد تطوع والمراد من الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثوري واحتج من ذهب الى هذا بقوله تعالى (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم علي

الزهرى : الجهاد واجب على كل أحد عزا أو قعد فالقاعد عليه اذا استمعين أن يعين واذا استغيث أن يغيث واذا استنفر أن ينفر وان لم يحتج اليه قعد (قلت) ولهذا ثبت في الصحيح « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات ميتة جاهلية » وقال عليه السلام يوم الفتح « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » وقوله (وهو كره لكم) أي شديد عليكم ومشقة وهو كذلك فانه إما أن يقتل أو يجرح مع مشقة السفر ومجالدة الاعداء . ثم قل تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) أي لان القتال يعقبه النصر والظفر على الاعداء والاستيلاء على بلادهم وأموالهم وذرياتهم وأولادهم (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) وهذا عام في الامور كلها قد يحب المرء شيئا وليس له فيه خيرة ولا مصلحة ومن ذلك القعود عن القتال قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد والحكم . ثم قال تعالى (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) أي هو أعلم بعواقب الامور منكم وأخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم وآخرام فاستجبوا له وانقادوا لامره لعلكم ترشدون

(٢١٦) يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير . وصدد عن سبيل الله فمر

به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم

حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك

القاعدون درجة وكلا وعد الله الحسنى) ولو كان القاعد تاركا فوضا لم يكن بعده الحسنى وجرى بعضهم على ظاهر الآية . وقال الجهاد فرض على كافة المسلمين الى قيام الساعة اخبرنا ابو سعيد احمد بن ابراهيم الشربجي الخوازمي اخبرنا ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي اخبرنا ابو عمرو احمد بن ابي القراتي اخبرنا ابو الهيثم بن كليب اخبرنا احمد بن حازم بن ابي غرزة اخبرنا سعيد بن عثمان العبدى عن عمرو بن محمد ابن المنكدر عن سمى عن ابي صالح عن ابي هريرة قل رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » وقال قوم وعليه الجمهور ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقيين مثل صلاة الجائزة ورد السلام قال الزهرى والاوزاعي : كتب الله الجهاد على الناس غزوا أو قعدوا فمن غزا فيها ونعمت من قعد فهو عدة ان استمعين به أعان وان استنفر ففر وان استغنى عنه قعد قوله تعالى ﴿ وهو كره لكم ﴾ أى شاق عليكم . قال بعض أهل المعاني هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى . وقال عكرمة : نسخها قوله تعالى (سمعنا وأطعنا) يعني أنهم كرهوا ثم أحبوه فقلوا (سمعنا وأطعنا) قال الله تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ لان في الغزو احدى الحسنين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة ﴿ وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ﴾ لان في القعود عن الغزو ﴿ وهو شر لكم ﴾ لما فيه من فوات الغنيمة والاجر ﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ قوله تعالى ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ﴾ سبب نزول هذه الآية ان رسول الله

حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٢١٧) ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجو رحمة الله والله غفور رحيم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا المتمر بن سليمان عن أبيه حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطا وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح فلما ذهب بنطلق بكى صباة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبسه فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا وقال « لا تكرهن أحدا على السير معك من أصحابك » فلما قرأ الكتاب استرجع وقال : سمعا وطاعة لله ولرسوله فخيرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع رجلا ونقي بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى فقل المشركون للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام فأنزل الله (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) الآية . وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) الآية . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش الاسدي وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة ابن ربيعة وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان السلمي حليف لبني نوفل وسهيل بن بيضاء وعامر ابن فيرة وواقد بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب وكتب لابن جحش كتابا وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن نخلة فلما نزل بطن نخلة ففتح الكتاب فاذا فيه « أن سر حتى تنزل بطن نخلة » فقال لأصحابه من كان يريد الموت فليمض وليوص فأنني موص وماض لأم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار فتخلف عنه سعد بن أبي وقاص وعتبة أضلا راحلة لها فتخلفا يطلبانها وسار ابن جحش الى بطن نخلة فاذا هو بالحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المنيرة وانفلت وقتل عمرو وقتله واقد بن عبد الله فكانت أولى غنيمة عنهما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا الى المدينة بأسيرين وما أصابوا من المال أراد أهل مكة أن ينادوا الاسير بن عليه المشركون وقالوا أن صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم أخت أبيه في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه الى المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن أبي وقاص الزهري وعكاشة ابن محصن الاسدي وعتبة بن غزوان السلمي وأبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميهم عبد الله بن جحش كتابا وقال له « سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقراء على أصحابك ثم امض لما أمرتك ولا تستكرهن أحدا من أصحابك على السير معك » فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن

محمد يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب فقال المسلمون إنما قتلناه في جمادى وقتل في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى وغمد المسلمون سيوفهم حين دخل شهر رجب وأنزل الله يعير أهل مكة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) لا يحل وما صنعتهم أتم يا مشركين أكبر من القتل في الشهر الحرام حين كفرتم بالله وصدتم عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وإخراج أهل المسجد الحرام منه حين أخرجوا محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكبر من القتل عند الله

وقال العوفي عن ابن عباس (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) وذلك أن المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوه عن المسجد في شهر حرام قال ففتح الله على نبيه في شهر حرام من العام المقبل فعاب المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال في شهر حرام فقال الله (وعد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله) من القتال فيه وأن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث مريّة فلقوا عمرو بن الحضرمي وهو مقبل من الطائف في آخر ليلة من جمادى وأول ليلة من رجب وإن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يظنون أن تلك الليلة من جمادى وكانت أول رجب ولم يشعروا فقتله رجل منهم وأخذوا ما كان معه وإن المشركين أرسلوا يعيرونه بذلك فقال الله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه) إخراج أهل المسجد الحرام أكبر من الذي أصاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والشرك أشد منه وهكذا روى أبو سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس أنها نزلت في سرية عبد الله بن جحش وقتل عمرو ابن الحضرمي وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن السائب السكاكي عن أبي صالح عن ابن عباس قال نزل فيما كان من مصاب عمرو بن الحضرمي (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) إلى آخر الآية وقال عبد الملك بن هشام راوي السيرة عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق ابن يسار المدني رحمه الله في كتاب السيرة له أنه قال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رباب الأسدي في رحب مقفلة من بدر الأولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس

الرحيم، أما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها غير قریش لعلك تأتينا منه بخبر فلما نظر في الكتاب قال سمعنا وطاعة ثم قال لأصحابه ذلك. وقال إنه نهاني أن أستكره أحداً منكم فمن كان يريد الشهادة فليطلق ومن كره فليرجع، ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد حتى كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له نجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان يعيرهما باعتقائهما فتخلفا في طلبه ومضى ببقية أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك إذ صرت غير لقریش تحمل زيبا وأدما وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة وعثمان بن

فيهم من الانصار احد وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه - حتى يسير يورث ثم ينظر فيه فيمضي كما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ومن حذافهم عبد الله بن جحش وهو أمير القوم وعكاشة بن محصن أحد بني أسد بن خزيمه حليف لهم من بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر حليف لهم ومن بني زهرة بن كلاب سعد بن أبي وقاص ومن بني كعب عدي بن عامر بن ربيعة حليف لهم من غير ابن وائل وواقد بن عبد الله ابن عبد مناف بن عرس بن ثعلبة بن يربوع أحد بني تميم حليف لهم وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف لهم ومن بني الحرث بن فهر سهيل بن بضاء فلما سار عبد الله بن جحش ومعه فتح الكتاب فنظر فاذا فيه : اذا نظرت في كتابي هذا فاض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال : سمعا وطاعة ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضي إلى نخلة أرصد بها قريشا حتى آتية منهم بخبير وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فاض لأمير رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضى ومضى معه أصحابه لم يتخف عنه منهم أحد فسلك على الحجاز حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له نجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا عليه في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة فمرت به غير لقريش تحمل زيتا وأدما ونجارة من نجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي وأسم الحضرمي عبد الله بن عباد أحد الصدف وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله الحزوميان والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما رأهم القوم ها هم وفد نزولوا قريبا منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه فلما رأوه آمنوا وقالوا : همار لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقال القوم والله اني تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم ولئن قتلتموهن لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهاجوا الاقدام عليهم ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم

عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله الحزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم ، فقال عبد الله بن جحش : ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم فقالوا : قوم عمار لا بأس عليكم فأمنوهم وكان ذلك في آخر يوم من جمادي الآخرة وكانوا يرون انه من جهادي وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا لئن تركتموهن الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فأجمعوا أمرهم في موافقة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتل من المشركين وهو أول قتل في الهجرة وأدى النبي صلى الله عليه وسلم دية ابن الحضرمي الى ورثته من قريش ، قال مجاهد وغيره : لانه

فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكيم ابن كيسان وأفلت القوم نوفل فأعجزهم وأقبل عبد الله بن جعش وأصحابه بالعير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال ابن اسحق : وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جعش أن عبد الله قال لأصحابه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غنمنا الخنس وذلك قبل أن يمرض الله الخنس من المغانم فعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير وقسم سائرها بين أصحابه قال ابن اسحق : فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » فوقف العير والاسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وغنمهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال وأسروا فيه الرجال فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة انما أصابوا ما أصابوا في شعبان وقالت اليهود نغاولوا بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله عمر وعمرت الحرب والحضرمي حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله عليهم ذلك لا لهم فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل) أي ان كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أهله (أكبر عند الله) من قتل من قتلتم منهم (والفتنة أكبر من القتل) أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه الى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) أي ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين قال ابن اسحق : فلما نزل القرآن بهذا من الامر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشدة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وبعث اليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكيم بن كيسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا » يعني سعد بن أبي وقاص كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش عهد وادع أهل مكة سنتين ان لا يقاتلهم ولا يقاتلوه واستأسر الحكيم وعثمان فكانا أول أسيرين في الاسلام وأفلت نوفل فأعجزهم واستأق المؤمنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالت له قريش قد استحل محمد الشهر الحرام فسفك فيه الدماء وأخذ الحرائب وغير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يامعشر الصباة استحلتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابن جعش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وأبى ان يأخذ شيئا من ذلك فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقط في أيديهم وقالوا

(٦٣ - تفسير ابن كثير والبغوي)

وعتبة بن غزوان « فانا نخشاكم عليهما فان تقتلوهما تقتل صابحيكم » فقدم سعد وعتبة ففقداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان بن عبد الله فلهحق بمكة فأت بها كافرا قال ابن اسحق . فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كان حين نزل القرآن طمعوها في الاجر فقالوا يا رسول الله أنظمت أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله ولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) فوضع الله من ذلك على أعظم الرجاء قال ابن اسحق : والحديث في هذا عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة وقد روى يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قريبا من هذا السياق وروى موسى بن عقبة عن الزهري نفسه نحو ذلك وروى شعيب بن أبي حمزة عن الزهري عن عروة بن الزبير نحوه من هذا ايضا رفية فكان ابن الحضرمي اول قتيل قتل بين المسلمين والمشركون فركب وفد من كفار قريش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا : يحل القتال في الشهر الحرام ؟ فأنزل الله (يسألونك عن الشهر الحرام) الآية وقد استقصى ذلك الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة ثم قال ابن هشام عن زباد عن ابن اسحق وقد ذكر عن بعض آل عبد الله أن عبد الله قسم الفتي بين أهله فجعل أربعة أخماسه لمن أفاءه وخمسا الى الله ورسوله فوقع على ما كان عبد الله بن جحش صنع في تلك المعركة قال ابن هشام : وهي أول غنيمة غنمها المسلمون وعمر بن الحضرمي أول من قتل المسلمون وعثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان أول من أمر المسلمون قال ابن اسحق : فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في غزوة يارشول الله انا قد قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري أي رجب أصبناه أم في جهادى وأكثر الناس في ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان أول خمس في الاسلام وقسم الباقي بين أصحاب السرية فكان أول غنيمة في الاسلام وبعث أهل مكة في فداء أسير بهم فقال « بل نبقها حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما » فلما قدما فاداهما فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا . وأما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فأت بها كافرا وأما نوفل فضرِب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقم في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا فقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فهذا سبب نزول هذه الآية قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام) يعني رجبا سمي بذلك لتحريم القتال فيه قوله تعالى (قتال فيه) أي عن قتال فيه (قل) يا محمد (قتال فيه كبير) عظيم ثم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال (وصد عن سبيل الله) وصدكم المسلمين عن الاسلام (وكفر به) أي كفركم بالله (والمسجد الحرام) أي بالمسجد الحرام وقيل وصد

عبد الله بن جحش ويقال بل عبد الله بن جحش قالها حين قالت قريش قد أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال وأسروا فيه الرجال قال ابن هشام : هي لعبد الله ابن جحش

تعدون قتلا في الحرام عظيمة	وأعظم منه لو برى الزشد راشد
صدودكم عما يقول محمد	وكفر به والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله	لئلا يرى الله في البيت ساجد
فانا وإن عبرتمونا بقتله	وأرجف بالاسلام باغ وحاسد
سقيننا من ابن الحضرمي رماحنا	بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا	ينازعه غل من القد عائد

(٢١٨) يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من

نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة (٢١٩) ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فآخوانكم

والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتمكم إن الله عزيز حكيم

قال الامام احمد : حدثنا خلف بن الوليد حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي مبسرة عن

عن المسجد الحرام (وإخراج أهله) أي إخراج أهل المسجد (منه أكبر) أعظم وزرا (عند الله والفتنة) أي الشرك الذي أنتم عليه (أكبر من القتل) أي أعظم من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام ، فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس إلى مؤمني مكة إذا غيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فغيروهم أنتم بالكفر وإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت الحرام . ثم قال (ولا يزالون) يعني مشركي مكة وهو فعل لا مصدر له مثل عسى (يقاتلونكم) يامعشر المؤمنين (حتى يردوكم) يصرفوكم (عن دينكم) ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت (جزم بالنسق) وهو كافر فأولئك حبطت (بطلت) أعمالهم (حسناتهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قال أصحاب السرية يارسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا وهل نطمع ان يكون سفرنا هذا غزوا فأنزل الله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم (وجاهدوا) المشركين (في سبيل الله) طاعة الله فجعلها جهادا (أولئك يرجون رحمة الله) أخبرناهم على رجاء الرحمة (والله غفور رحيم)

قوله تعالى (يسئلونك عن الخمر والميسر) الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من الانصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله افتنا في الخمر والميسر فأنهما

عمر أنه قال : لما نزل تحريم الخمر قال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت هذه الآية التي في البقرة (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) فدعي عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في النساء (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى : أن لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في المائدة فدعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ (فهل منتهون ؟) قال عمر : انتهينا انتهينا . وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن إسرائيل عن أبي اسحق وكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق الثوري عن أبي اسحق عن أبي مبصرة واسمه عمرو بن شريحيل الهمداني الكوفي عن عمرو وليس له عنه سواه لكن قد قال أبو زرعة لم يسمع منه والله أعلم . وقال علي بن المديني هذا إسناد صالح صحيح وصححه الترمذي وزاد ابن أبي حاتم بعد قوله انتهينا إنها تذهب المال وتذهب العقل ، وسيأتي هذا الحديث أيضا مع ما رواه أحمد من طريق أبي هريرة أيضا عند قوله في سورة المائدة (إنما

مذهبة للعقل مسألة للمال فانزل الله هذه الآية وجملة القول في تحريم الخمر على ما قاله المفسرون ان الله تعالى أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة وهي (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا) فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال يومئذ ثم نزلت هذه الآية في مسألة عمر وهاذ بن جبل (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تقدم في تحريم الخمر فتركها قوم لقوله (إثم كبير) وشربها قوم لقوله (ومن ثمرات النخيل) الى ان صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعا ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب فقدموا بعضهم ليصلي بهم فقرا (قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون) هكذا الى آخر السورة بمحذف لا فانزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فحرم السكر في أوقات الصلاة وشربوا في غير حين الصلاة فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا لاخير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة وتركها قوم في أوقات الصلاة وشربوها في غير حين الصلاة حتى كان الرجل يشرب بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر ويشرب بعد صلاة الصبح فيصبحوا إذا جاء وقت الظهر واتخذ عتبان ابن مالك ضيعة ودعارجالا من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ثم انهم افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فأنشد سعد قصيدة فيها هجاء للانصار وفخر لقومه فأخذ رجل من الانصار لحي بعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا رأيك في الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة الى قوله (فهل اثم منتهون) وذلك بعد غزوة الاحزاب بأيام فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يارب . قال أنس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ

الحجر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (الآيات فقولوا
(يسألونك عن الحجر والميسر) أما الحجر فكما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كل
ما خامر العقل كما سيأتي بيانه في سورة المائدة وكذا الميسر وهو القمار
وقوله (قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس) أما إثمهما فهو في الدين وأما المنافع فدينية من حيث
أن فيها نفع البدن وتضميم الطعام وإخراج الفضلات وتشجيعه بعض الأذهان ولذة الشدة المطربة
التي فيها كما قال حسان بن ثابت في جاهليته :

ونشر بها فتير كنا ملوكا وأسدا لا ينهنها اللقاء

وكذا بيدها والانتفاع بثمنها وما كان يقوم به بعضهم من الميسر فينفقه على نفسه أو عياله ولكن
هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة لتعلنها بالعقل والدين ولهذا قال الله تعالى (وإثمهما
أكبر من نفعهما) ولهذا كانت هذه الآية ممهدة لتحريم الحجر على البتات ولم تكن مصرحة بل
معرضة ولهذا قال عمر رضي الله عنه لما قرئت عليه : اللهم بين لنا في الحجر بيانا شافيا حتى نزل الله به
للعرب عيش أعجب منها وما حرم عليهم شيء أشد من الحجر وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما
نزلت الآية التي في سورة المائدة حرمت الحجر فخرجنا بالحجاب إلى الطريق فمنا من كسر حبه ومنا
من غسله بالماء والطين ولعله غودرت أزقة المدينة بعد ذلك طينا فلما مطرت استبان فيها لون الحجر
وفاحت منها ريحها وعن أنس رضي الله عنه سميت الحجر خمرا لأنهم كانوا يدعونها في الدنان حتى
تخمر وتتغير وعن ابن المسيب لأنها تركت حتى صفا لونها ورسب كدرها أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المالبيحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعماني أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا
يعقوب بن إبراهيم أخبرنا ابن علية أخبرنا عبد العزيز بن صهيب قال قال لي أنس بن مالك ما كان
لنا خمر غير فضيخكم وإني لثم أسقي أبا طلحة وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الحجر فقالوا
أهرق هذه القلال يا أنس قال فما سألوها عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل

١ « وفي نسختنا الفقهاء

ذهب » ٢ «

ربيعه شيخ الامام

مالك الى طهارة الخمر

واختلف العلماء (١) في راهية الخمر فقال قوم هي عصير العنب والرطب الذي اشتد وغلا من غير عمل النار
فيه واتفقت الائمة على أن هذه الخمر نجس (٢) يحد شار بها ويفسق ويكفر مستعملها وذهب سفيان الثوري
وأبو حنيفة وجماعة الى أن التحريم لا يمتد الى هذا ولا يحرم ما يتخذ من غيرهما كالتخذ من الخنطة والشعير
والذرة والعسل والفانيد الا أن يسكر منه فيحرم وقالوا اذا طبخ عصير العنب والرطب حتى ذهب نصفه
فهو حلال ولكنه يكره وان طبخ حتى ذهب ثلثاه قالوا هو حلال مباح شربه الا أن السكر منه
حرام ويحججون بما روي أن عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلاء
ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ورأى أبو عبيدة ومعاذ شرب الطلاء على الثلث وقال قوم اذا طبخ العصير
أدنى طابخ صار حلالا وهو قول اسماعيل بن علية وذهب اكثر أهل العلم الى أن كل شراب اسكر
كثيره فهو خمر وقليله حرام يحد شار به واحتجوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد

بتحريمها في سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متقهرون ؟) وسيأتي الكلام على ذلك في سورة المائدة إن شاء الله تعالى وبه الثقة قال ابن عمر والشعبي ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم إن هذه أول آية نزلت في الخمر (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) ثم نزلت الآية التي في سورة النساء ثم نزلت الآية التي في المائدة فحرمت الخمر

وقوله (ويسألونك ما إذا ينفقون قل العفو) قرئ بالنصب وبالرفع وكلاهما حسن متجه قريب قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبان حدثنا يحيى أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثميلة أنبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يا رسول الله إن لنا أرقاء وأهلين من أموالنا فأنزل الله (ويسألونك ما إذا ينفقون) وقال الحكم عن مقسم عن ابن عباس (ويسألونك ما إذا ينفقون قل العفو) قال ما يفضل عن أهلك وكذا روي عن ابن عمر ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد ابن جبيرة ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والقاسم وسالم وعطاء الخراساني والربيع بن أنس وغير

أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع فقال « كل شراب أسكر فهو حرام » أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن الفضل الخرقني أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميري أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن داود بن بكر بن أبي الفرات عن محمد بن المكندر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما أسكر كثيره فقليله حرام » أخبرنا إسماعيل بن عبد القادر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو الربيع العتكي أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا مات وهو يدمنها ولم يتب لم يشربها في الآخرة » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أحمد بن أبي رجاء أنا يحيى بن أبي حيان التميمي عن الشعبي عن ابن عمر قال خطب عمر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنه قد نزل تحرير الخمر وهي من خمسة أشياء من العنب والتمر والحنطة والشعير والعلس والخمر ما خمر العقل وروي الشعبي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من العنب خمر وإن من التمر خمر وإن من العسل خمر وإن من البر خمر وإن من الشعير خمر » فثبت أن الخمر لا يختص بما يتخذ من العنب أو الرطب . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا أو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد أنه أخبره أن عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال في

ملفوظات الشيخان
صفحة ٢٢٥
والله اعلم
بالحق

واحد انهم قولوا في قوله (قل العفو) يعني الفضل وعن طائوس البشير من كل شيء وعن الربيع أيضا أفضل مالك وأطيبه والكل يرجع الى الفضل . وقال عبد بن حميد في تفسيره . حدثنا هودبة بن خليفة عن عوف عن الحسن في الآية (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) قال ذلك أن لا يجهد مالك ثم تقع أسأل الناس ويدل على ذلك ما رواه ابن جرير حدثنا علي بن مسلم حدثنا أبو عاصم عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله عندي دينار قال « أنفقه على نفسك قال : عندي آخر قال « أنفقه على أهلك » قال : عندي آخر قال « أنفقه على ولدك » قال : عندي آخر قال . « فأنت أبصر » وقد رواه مسلم في صحيحه وأخرجه مسلم أيضا عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لرجل « ابدأ بنفسك فتصدق عليها فان فضل شيء فإلهك فان فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك فان فضل عن ذي قرابتك شيء فلهكذا وهكذا » وعنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من السفلى وابدأ بمن تعول » وفي الحديث أيضا « ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف » ثم قد قيل انها منسوخة بآية الزكاة كما رواه علي بن أبي طلحة والعوفي وجدت من فلان ربح خمر أو شراب وزعم انه شرب الطلاء وأنا سائل عما شرب فان كان يسكر جلده فجلده عمر الحد ثمانا وما روي عن عمر وأبي عبيدة وماذا في الطلاء فهو فيما طبخ حتى خرج عن ان يكون مسكرا ، سئل ابن عباس عن الباقر فقال : سبق محمد الباقر فما أسكر فهو حرام قوله تعالى (والميسر) يعني القمار . قال ابن عباس : كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قر صاحبه ذهب بأهله وماله فأنزل الله تعالى هذه الآية . والميسر مفعول من قولهم يسر لي الشيء اذا وجب يسر يسرا وميسرا . ثم قيل للقمار ميسر والمقاميسر بامر ويسر ، وكان أصل الميسر في الجزور وذلك ان أهل الغزوة من العرب كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزونها عشرة أجزاء ثم يسهموا عليها بعشرة قداح يقال لها الاكلام والسبعة منها أنصبا وهي الفذولة نصيب واحد والنوأم وله نصيبان والرتيب وله ثلاثة أسهم والحامس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسيل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة منها الا أنصبا لها وهي المنيح والسفيح والوعغد ، ثم يجعلون القداح في خريطة تسمى الريابة ويضعونها على يدي رجل عدل عندهم يسمى الجبيل والمفيض ثم يجيئها ويخرج ق-ح منها باسم رجل منهم فأيهما خرج اسمه أخذ نصيبه على قدر ما خرج فان خرج له واحد من الثلاثة التي لا أنصبا لها كان لا يأخذ شيئا ويخرج من الجزور كله . وقال بعضهم كان لا يأخذ شيئا ولا يقرم ويكون ذلك القدح لقوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا يأكلون منه شيئا ، وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لم يفعل ذلك وسمونه البرم وهو أصل القمار الذي كانت تفعله العرب والمراد من الآية أنواع القمار كلها . قال طائوس وعطاء ومجاهد : كل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكتاب . وروى عن علي رضي الله عنه في النرد والشطرنج انهما من الميسر

عن ابن عباس وقاله عطاء الخراساني والسدي وقيل مبينة بآية الزكاة قاله مجاهد وغيره وهو اوجه وقوله (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) أى كما فصل لكم هذه الاحكام وبينها وأوضحها كذلك يبين لكم سائر الآيات في أحكامه ووعدته ووعيده لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني في زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقيائها . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو أسامة عن الصعق التميمي قال : شهدت الحسن وقرأ هذه الآية من البقرة (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) قال هي والله لمن تفكر فيها ليعلم أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء ، وليعلم أن الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء وهكذا قال قتادة وابن جريج وغيرهما . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة : لتعلموا فضل الآخرة على الدنيا . وفي رواية عن قتادة فأثروا الآخرة على الأولى

وقوله (يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وان تخالطوهم فآخوانكم والله يعلم المفسد من المصالح ولو شاء الله لاغنتكم) الآية . قال ابن جرير : حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جرير عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قل : لما نزلت (ولا تقر بوا مال اليتيم الا باتي هي

قوله تعالى ﴿ قل فيهما اثم كبير ﴾ وزر عظيم من المخاصمة والمشامة وقول الفحش ، قرأه حزقيا والكسائي اثم كبير بالثاء المثلثة وقرأ الباقر بالياء فلا اثم في الخمر والميسر ما ذكره الله في سورة المائدة (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ﴾ ومنافع للناس ﴾ فمنفعة الخمر اللذة عند شربها والفرح واستمرار الطعام وما يصيبون من الربح بالتجارة فيها ومنفعة الميسر اصابة المال من غير كد ولا تعب وارتماق الفقراء به والاثم فيه انه اذا ذهب ماله من غير عوض ساء ذلك فمادى صاحبه فقصده بالسوء ﴾ وإنيهما أكبر من نفعهما ﴾ قال الضمحاك وغيره : اثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم وقبل اثمهما أكبر من نفعهما قبل التحريم وهو ما يحصل به من العداوة والبغضاء

قوله تعالى ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون ﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حثهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق ؟ فقال ﴿ قل العفو ﴾ قرأ أبو عمرو والحسن وقاتة وابن أبي اسحق العفو بالرفع معناه أي الذي ينفقون هو العفو . وقرأ الآخرون بالنصب على معنى قل أنفقوا العفو . واختلفوا في معنى العفو . فقال قتادة وعطاء والسدي : هو ما فضل عن الحاجة وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية ثم نسخ بآية لزكاة . وقال مجاهد : معناه التصديق عن ظهر غنى حتى لا يبقى كلال على الناس أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الناجر أنا ابراهيم بن عبد الله بن عمر الكوفي أنا وكيع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى

أحسن) (وان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بيوتهم نارا وسيصلون ضميرا) انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرا به من شرا به فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم) فخلطوا طعامهم بطعامهم وشراهم بشراهم. وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طرق عن عطاء بن السائب به . وكذا رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وكذا رواه السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود بمثله وهكذا ذكر غير واحد في سبب نزول هذه الآية كجهاد وعطاء والشعبي وابن أبي ليلى وقناة وغير واحد من السلف والخلف قال وكيع بن الجراح : حدثنا هشام صاحب الدستوائي عن حماد عن ابراهيم قال : قات عائشة رضي الله عنها : اني لا كره أن يكون مال اليتيم عندي حدة حتى أخاطط طعامه بطعامي وشرا به بشراي فقله (قل اصلاح لهم خير) أي على حدة (وإن تخالطوهم فاخوانكم)

وابدأ بمن أعول وقال عمرو بن دينار : الوسط من غير اسراف ولا اقتار قل الله تعالى (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) وقال طاوس : ما يسر والمغر اليسر من كل شيء . ومنه قوله تعالى (خذ العفو) أي الميسور من أخلاق الناس. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أنا سليمان بن محمد بن عبد الله عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عندي دينار قال صلى الله عليه وسلم « انفقه على نفسك » قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم « انفقه على ولدك » قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم « انفقه على أهلك » قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم « انفقه على خادمك » قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم « أنت أعلم »

قوله تعالى ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾ قال الزجاج : إنما قال كذلك على الواحد وهو يخاطب جماعة لان الجماعة معناها القبيل كانه قل كذلك أيها القبيل وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فانه خطاب يشتمل على خطاب الامة كقوله تعالى (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) قوله تعالى ﴿ لعلمكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ﴾ قيل معناه يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلمكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتحبسون من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى : وقال أكثر المفسرين : معناها هكذا يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة . لعلمكم تتفكرون وقيل معناه (يبين الله لكم الآيات) في أمر النفقة (لعلمكم تتفكرون) في زوال الدنيا وفنائها فترهذوا فيها وفي اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها

قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن اليتامى ﴾ قال ابن عباس وقناة : لما نزل قوله تعالى (ولا تقر بوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) وقوله تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) الآية تخرج (٦٤ - تفسير ابن كثير والبغوي)

أي وإن خلطتم طعامكم بطعامهم وشرابكم بشرابهم فلا بأس بآيكم لأنهم اخوانكم في الدين ولهذا قال (والله يعلم المفسد من المصلح) أي يعلم من قصده ونيته الافساد أو الاصلاح وقوله (ولو شاء الله لاعتنكم ان الله عزيز حكيم) أي ولو شاء الله لضيق عليكم وأخرجكم ولسكنه وسمع عليكم وخفف عنكم وأباح لكم مخالطتهم بآتي هي أحسن . قال تعالى (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) بل جوز الاكل منه للفقير المعروف إما بشرط ضمان البذل لمن أيسر أو مجانا كما سيأتي بيانه في سورة النساء ان شاء الله وبه الثقة

(٢٢٠) ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولا ممة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم

ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم، أولئك يدعون

الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون

هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الاوثان ثم ان كان

المسلمون من أموال اليتامى نحرجا شديدا حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم حتى كان يصنع لليتيم

طعام فيفضل منه شيء فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى

الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ قل اصلاح لهم خير ﴾ أي الاصلاح لا موالهم من غير

أجرة ولا أخذ عوض خير لكم وأعظم أجرا لما لكم في ذلك من الثواب، وخير لهم لما في ذلك من توفر

أموالهم عليهم . قال مجاهد : يوسع عليه من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم ﴿ وان مخالطهم ﴾

هذه اباحة المخالطة أي وان شاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم في نفقاتكم ومساكنكم وخدمكم

ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضا من قيامكم بأموالهم أو تكافؤهم على ما تصيبون من أموالهم

﴿ فإخوانكم ﴾ أي فهم اخوانكم والاخوان يمين بعضهم ببعضا ويصيب بعضهم من أموال بعض

على وجه الاصلاح والرضا ﴿ والله يعلم المفسد ﴾ لا موالهم ﴿ من المصلح ﴾ لها معنى الذي يقصد

بالمخالطة الحيانة وفساد مال اليتيم وأكله بغير حق من الذي يقصد الاصلاح ﴿ ولو شاء الله لاعتنكم ﴾

أي لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم . وقال ابن عباس : ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من

أموال اليتامى موقفا لكم ، وأصل العنت الشدة والمشقة ومعناه كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم

﴿ ان الله عزيز ﴾ أي عزيز في سلطانه وقدرته على الاعنات . وقيل العزيز الذي يأمر بمرقة سهل

على العباد أو شق عليهم ﴿ حكيم ﴾ فيما صنع من تدبيره وترك الاعنات

قوله تعالى ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ﴾ سبب نزول هذه الآية ان أبا مرثد بن أبي

الغنوي وقال مقاتل : هو أبو مرثد الغنوي . وقال عطاء أبو مرثد كنان بن الحصين : وكان شجاعا

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت

به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فأنته وقالت له يا أبا مرثد ألا تخلو؟ فقال

عموما مرادا وانه يدخل فيها كل مشركة من كتابية ووثنية فقد خص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتهموهن أجورهن محصنين غير مسافحين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب وهكذا قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومكحول والحسن والضحاك وزيد بن أسلم والربيع بن أنس وغيرهم وقيل: بل المراد بذلك المشركون من عبدة الاوثان ولم يرد أهل الكتاب بالسكينة والمعنى قريب من الاول والله أعلم. فأما ما رواه ابن جرير: حدثني عبيد بن آدم بن أبي أياس العسقلاني حدثنا أبي حدثنا عبد الحميد بن بهرام الفزاري حدثنا شهر بن حوشب قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء الا ما كان من المؤمنات المهاجرات وحرم كل ذات دين غير الاسلام. قال الله عز وجل (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) وقد نكح طلحة بن عبد الله يهودية ونكح حذيفة بن اليمان نصرانية فغضب عمر بن الخطاب غضبا شديدا حتى هم أن يسطو عليها فقالا: نحن نطلق يا أمير المؤمنين ولا تغضب فقال: لئن حل طلاقهن لقد حل نكاحهن ولكني أنزعهن منكم صغرة فاة فهو حديث غريب جدا وهذا الاثر غريب عن عمر أيضا قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله بعد حكايته الاجماع على اباحة تزويج الكتائب وانما كره عمر ذلك لثلاث يزهده الناس في المسلمات أو لغير ذلك من الممان كما حدثنا أبو كريب حدثنا ابن أدريس حدثنا الصلت بن بهرام عن شقيق قال تزوج حذيفة يهودية فكتب اليه عمر: خل سبيلها، فكتب اليه أنزعم أنها حرام فأخلى سبيلها؟ فقال: لا أنزعم أنها حرام ولكني أخاف أن تعاطوا المؤمنات منهن وهذا اسناد صحيح وروى الخلال عن محمد بن اسماعيل عن وكيع عن الصلت نحوه. وقال ابن جرير حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا محمد بن بشر حدثنا سفيان لها وبحك باعناق ان الاسلام قد حال بيننا وبين ذلك. قالت: فهل لك أن تتزوج بي؟ قال نعم: ولكن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره. فقالت أبي تتبرم؟ ثم استعانت عليه فضربه ضربا شديدا ثم خلوا سبيلا، فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بالذي كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله أتحل لي ان أتزوجها؟ فأنزل الله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وقيل الآية منسوخة في حق الكتائب لقوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) ونحبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وباجماع الامة. روى الحسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا» فان قيل كيف أطلقتم اسم الشرك على من لم ينكر الانبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم؟ قال أبو الحسن ابن فارس لان من يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك مع الله غيره. وقال قتادة وسعيد بن جبير أراد بالمشركات الوثنيات فان عثمان تزوج نائلة بنت قرافصة وكانت نصرانية فأسلمت تحته وتزوج طلحة بن عبد الله نصرانية وتزوج حذيفة يهودية فكتب اليه عمر

ابن سعيد عن يزيد بن أبي زياد عن زيد بن وهب قال : قال عمر بن الخطاب : المسلم يتزوج النصرانية ولا يتزوج النصراني المسلمة قال : وهذا أصح اسنادا من الاول ثم قال : وقد حدثنا تميم بن المنتصر أخبرنا اسحق الازرق عن شريك عن أشعب بن سوار عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تنزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساؤنا » ثم قال وهذا الخبر وان كان في اسناده ما فيه فالقول به لاجماع الجميع من الامة عليه كذا قال ابن جرير رحمه الله وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسماعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران عن ابن عمر أنه كره نكاح أهل الكتاب وتأول (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وقال البخاري : وقال ابن عمر لا أعلم شركا أعظم من أن تقول : رهسا عيسى وقال أبو بكر الخلال الحنبلي حدثنا محمد بن هرون حدثنا اسحق بن ابراهيم وأخبرني محمد بن علي حدثنا صالح بن احمد أنهما سألا ابا عبد الله احمد بن حنبل عن قول الله (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) قال مشركات العرب الذين يعبدون الاصنام. وقوله (ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) قال السدي : نزلت في عبد الله بن رواحة كانت له امة سوداء فغضب عليها فاطمها ثم فزع فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرها فقال له «ما هي؟» قال تصوم وتصل وتحسن الوضوء وتشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فقال «يا ابا عبد الله هذه مؤمنة» فقال والذي بعثك بالحق لا اعتقنها ولا تزوجنها، ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا نكح امته وكانوا يريدون ان ينكحوا الى المشركين وينكحوهم رغبة في احسابهم فانزل الله (ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) ولعمد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) وقال عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عرن حدثنا عبد الرحمن بن زياد الافريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا تنكحوا النساء الحسنين رضي الله عنه خل سبيلها فكتب اليه أتزعم أنها حرام فقال لا أزعم أنها حرام ولكني أخاف أن تتعاطوا المؤمنات منهن

قوله تعالى (ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) بجمالها وما لها نزلت في خنساء : وليلة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان قال حذيفة يا خنساء قد ذكرت في الملا الاعلى على سوادك ودمامتك فاعتقها وتزوجها وقال السدي نزلت في عبد الله بن رواحة كانت له امة سوداء فغضب عليها ولطمها ثم خرج فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فقال له صلى الله عليه وسلم «وماي يا عبد الله؟ قال هي تشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلّي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذه مؤمنة» قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق نيا لا اعتقنها ولا تزوجنها ففعل ذلك فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا أنت نكح امة وعرضوا عليه حرة مشركة فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ هذا اجماع لا يجوز للمسلمة أن تنكح المشرك ﴿ولعمد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم اولئك﴾ يعني المشركين ﴿يدعون الى النار﴾ أي الى الاعمال الموجهة

فمضى حسنهن أن يرديهن ولا تنكحوهن على أموالهن فمضى أموالهن أن تطغيهن وانكحوهن على الدين فلامه سوداء جرداء ذات دين أفضل « والافريقي ضعيف وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «تنكح المرأة لأربع : لما لها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » ولمسلم عن جابر مثله وله عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » وقوله (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) أي لا تزوجوا الرجال المشركين النساء المؤمنات كما قال تعالى (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) ثم قال تعالى (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) أي ولرجل مؤمن ولو كان عبدا حبشيا خير من مشرك ، وإن كان رئيسا سريرا (أولئك يدعون إلى النار) أي معاشرتهم ومخالطتهم تبعث على حب الدنيا واقتنائها وإيثارها على الدار الآخرة وعاقبة ذلك وخيمة (والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بأذنه) أي بشره وما أمر به ونهى عنه (ويبين الله آياته للناس لعلهم يتذكرون)

(٢٢١) ويسألونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تفرحوهن

حتى يطهرن فإذا طهرن فاتوهن من حيث أمركم الله أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين (٢٢٢) نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة منهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت (١) فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا لا والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بأذنه أي بقضائه وقدره وإرادته « ويبين آياته للناس » أي أوامره ونواهيه « لعلهم يتذكرون » يتمثلون قوله تعالى « ويسألونك عن الحيض » أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الماشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي أنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني أنا موسى بن اسماعيل أنا حماد بن سلمة أنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن اليهود كانوا إذا حاضت منهم المرأة أخرجوها من البيت ولم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها (١) في البيت فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى (ويسألونك عن الحيض) قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جامعوهن (٢) في البيوت واصنعوا كل شيء إلا النكاح » فقالت اليهود ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئا من أمرنا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا أفلا تنكحهن في الحيض فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من ابن

«١» المراد بالجامعة

هنا الاجتماع بين
لا الوقاع وهو المعنى
الحقيقي واستعماله
بالمعنى الآخر كناية
«٢» أي لا قوهن
واجتمعوا بهن وآخر
الحديث دليل على
ذلك

الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل (وبسألونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطمئن) حتى فرغ من الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنعوا كل شيء الا النكاح » فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا الا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله : ان اليهود قالت كذا وكذا أفلا نجتمعن؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظنننا ان قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من ابن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما فسقاها فعرفا ان لم يجد عليهما رواه مسلم من حديث حماد بن زيد بن سلمة فقلوه (فاعتزلوا النساء في الحيض) يعني الفرج لقوله « اصنعوا كل شيء الا النكاح » ولهذا ذهب كثير من العلماء أو أكثرهم الى أنه يجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج . قال أبو داود أيضا : حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن أيوب عن عكرمة عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد من الحائض شيئا ألقى على فرجها ثوبا

وقال أبو داود أيضا حدثنا الشعبي حدثنا عبد الله يعني ابن عمر بن غانم عن عبد الرحمن يعني ابن زياد عن عمارة بن غراب ان عمه له حدثته انها سألت عائشة قالت : احداثا تحيض ولبس لها ولزوجها فراش الا فراش واحد قالت : اخبرك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل فوضي الى مسجده قال أبو داود : تعني مسجد بيتها فما انصرف حتى غلبتني عيني فأوجعه البرد فقال : « ادني مني » فقلت : اني حائض فقال : « اكشفي عن فخديك » فكشفت فخذي فوضع خده وصدره على فخذي وحنيت عليه حتى دفي . ونام صلى الله عليه وسلم وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن كتاب ابني قلابة ان مسروق اركب الى عائشة فقال : السلام على النبي وعلى اهله فقالت عائشة : مرحبا مرحبا فأذنوا له فدخل فقال : اني اريد ان أسألك عن شيء وانا استحي فقالت : انما انا امك وانت ابني فقال : ما للرجل من امراته وهي حائض فقالت له كل شيء الا فرجها . ورواه أيضا عن حميد بن مسعدة عن يزيد بن زريع عن عيينة بن عبد الرحمن ابن جوشن عن مروان الاصفر عن مسروق قال قلت لعائشة ما يحل للرجل من امراته اذا كانت حائضا ؟ قالت : كل شيء الا الجماع . وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة وروى ابن جرير أيضا عن ابني كريب عن ابن ابني زائدة عن حجاج عن ميمون بن مهران عن عائشة قالت له :

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث في آثارهما فسقاها فعرفا انه لم يجد عليهما فقلوه تعلى (وبسألونك عن الحيض) أي عن الحيض وهو مصدر حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضاً كالسير والمسير وأصل الحائض الانفجار والسيلان وقوله (قل هو أذى) أي قدر والاذى كل ما يكره من كل شيء (فاعتزلوا النساء في الحيض) أراد بالاعتزال ترك الوطء (ولا تقربوهن) أي لا يجامعوهن أما الملامة والمضاجعة معها فحائزة . أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا قبيصة انا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة

ما فوق الازار (قلت) وبحل مضاجعتها ومواكبتها بلا خلاف قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني فأغسل رأسه وأنا حائض وكان يتكفي في حجرى وأنا حائض فيقرأ القرآن وفي الصحيح عنها قالت : كنت أتعرق (١) العرق وأنا حائض فأعطيه النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فيه في الموضع الذي وضعت فيه فيه واشرب الشراب فأناوله فيضع فيه في الموضع الذي كنت اشرب منه وقال أبو داود : حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن جابر بن صبيح سمعت خلاصا المهاجري قال : عائشة تقول كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعار الواحد وأنا حائض طامث فأن أصابه مني شيء غسل مكانه لم يمدده (٢) وإن أصابه يعني ثوبه شيء غسل مكانه لم يمدده وصلى فيه فأما ما رواه أبو داود وحدثنا سعيد بن الجبار حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن أبي اليمان عن أم ذرة عن عائشة أنها قالت : كنت إذا حضت نزلت عن المثال (٣) على الحصى فلم تقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تدن منه حتى تطهر فهو محمول على التنزه والاحتياط — وقال آخرون : إنما يحل له مباشرتها فيما عدا ما تحت الازار كما ثبت في الصحيحين عن ميمونة بنت الحارث الهلالية قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزورت وهي حائض وهذا لفظ البخاري ولما عن عائشة نحوه وروى الامام احمد وأبو داود الترمذي وابن ماجه من حديث العلاء عن حزام ابن حكيم عن عمه عبد الله بن سعد الانصاري أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض ؟ قال : « ما فوق الازار » ولابن داود أيضا عن معاذ بن جبل قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال : « ما فوق الازار والتعفف عن ذلك أفضل » وهو رواية عن عائشة كما تقدم وابن عباس وسعيد بن المسيب وشريح فهذه الاحاديث وما شابهها حجة من ذهب الى أنه يحل ما فوق الازار منها وهو أحد القولين في مذهب الشافعي رحمه الله الذي رجحه كثير من العراقيين وغيرهم وأخذهم أنه حريم الفرج فهو حرام لثلاث يتوصل الى تعاطي ما حرم الله عز وجل الذي أجمع العلماء على تحريمه وهو المباشرة في الفرج ثم من فعل ذلك فقد أثم فبدست نافر الله ويتوب اليه وهل يلزمه مع ذلك كفارة أم لا ؟ فيه قولان (أحدهما) نعم لما رواه الامام احمد وأهل السنن عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الذي يأتي امرأته وهي حائض بقصدق بدينار أو نصف دينار وفي لفظ للترمذي « اذا كان دما كان أحمر فدينار وان رضي الله عنها قالت : كنت أغتسل أنا والنبي صلى الله عليه وسلم من أنا واحد كلانا جنب وكان يأمرني أن اتز فيباشرني وأنا حائض وكان يخرج رأسه الي وهو معتكف فأغسله وأنا حائض أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا سعد ابن حفص أنا شيدان عن يحيى عن أبي سلمة عن زينب بنت أبي سلمة حدثت ان أم سلمة قالت : حضت وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخيلة فانسالت فخرجت منها فأخذت ثياب حيفي فلبستها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفست قلت نعم فدعاني فأدخلني معه في الخيلة أخبرنا

١ « عرق اللحم وتعرقه واعتقه تناوله بقمه من العظم

٢ « لم يتجاوز

٣ « هو الفراش

كان دما أصفر فنصف دينار» وللإمام أحمد أيضا عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل في الحائض نصاب دينارًا فإن أصابها وقد أدير الدم عنها ولم تغتسل فنصف دينار (والقول الثاني) وهو الصحيح الجديد من مذهب الشافعي وقول الجمهور أنه لا شيء في ذلك بل يستغفر الله عز وجل لأنه لم يصح عندهم رفع هذا الحديث فإنه قد روي مرفوعا كما تقدم وموقوفا وهو الصحيح عند كثير من أئمة الحديث فقوله تعالى (ولا تقربوهن حتى يطهرن) تفسير لقوله (فاعتزلوا النساء في الحيض) رزهي عن قربانهن بالجماع ما دام الحيض موجودا ومفهوما حله إذا انقطع قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل فيما أملاه في الطاعة وقوله (ويسألونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأنهوهن من حيث) الآية الطهر يدل على أن يقربها فلما قالت ميمونة وعائشة كانت إحداها إذا حاضت اتزرت ودخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعاره دل ذلك على أنه إنما أراد الجماع

وقوله (فإذا تطهرن فأنهوهن من حيث أمركم الله) فيه ندب وإرشاد إلى غشيانهن بعد الاغتسال وذهب ابن حزم إلى وجوب الجماع بعد كل حيضة لقوله (فإذا تطهرن فأنهوهن من حيث أمركم الله) وليس له في ذلك مستند لأن هذا أمر بعد الحظر وفيه أقوال لعلماء الأصول منهم من يقول إنه على الوجوب كالمطلق وهؤلاء يحتاجون إلى جواب ابن حزم ومنهم من يقول إنه للإباحة ويجعلون تقدم النهي قرينة صارفة له عن الوجوب وفيه نظر والذي ينهض عليه الدليل أنه يرد عليه الحكم إلى ما كان عليه الأمر قبل النهي فإن كان واجبا فواجب كقوله (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين) أو مباحا فمباح كقوله (وإذا حللتهم فاصطادوا) فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) وعلى هذا القول يجتمع الأدلة وقد حكاه الغزالي وغيره فاختره بعض أئمة المتأخرين وهو الصحيح وقد اتفق العلماء على أن المرأة إذا انقطع حيضها لا تحل حتى تغتسل بالماء أو تقيم أن تعذر ذلك عليها بشرطه إلا أن أبا حنيفة رحمه الله يقول فيما إذا انقطع دمها لا كثر الحيض وهو عشرة أيام عنده أنها تحل بمجرد الانقطاع ولا تفتقر إلى غسل والله أعلم. وقال ابن عباس (حتى يطهرن) أي من الدم (فإذا تطهرن) أي بالماء وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن ومقاتل بن حيان والليث بن سعد وغيرهم وقوله (من حيث أمركم الله) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني الفرج قال علي بن أبي

أبو القاسم بن عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الظاهري أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حكيم أنا أبو الموجه محمد بن عمرو أنا صدقة أنا وكيم أنا مسعر وسفيان عن المقدم بن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أشرب وأنا حائض فأناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيّ وأتعرق العرق فبنتأوله فيضع فاه على موضع فيّ. فوطء الحائض حرام ومن فعله يعصي الله عز وجل ويمزقه الإمام أن علم منه ذلك واختلف أهل العلم في وجوب الكفارة عليه فذهب أكثرهم إلى أنه لا كفارة عليه فيستغفر الله ويتوب إليه وذهب قوم إلى وجوب الكفارة عليه

طلحة عن ابن عباس (فأتوهن من حيث أمركم الله) يقول في الفرج ولا تعدوه الى غيره فمن فعل شيئا من ذلك فقد اعتدى وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة (من حيث أمركم الله) أي أن تعزلوهن وفيه دلالة حينئذ على تحريم الوطء في الدبر كما سيأتي تقريره قريبا ان شاء الله تعالى وقول أبو رزين وعكرمة والضحاك وغير واحد (فأتوهن من حيث أمركم الله) يعني طاهرات غير حيض ولهذا قال (ان الله يحب التوابين) أي من الذنب وان تكرر غشيانه (ويحب المنطهرين) أي

منهم : قتادة والاوزاعي وأحمد واسحق لما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن عبد الكريم بن أبي الحارق عن مقسم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في رجل جامع امرأته وهي حائض قل « ان كان الدم عبيطا فليتصدق بدينار وان كان صفرة فنصف دينار » ويرى هذا موقوفا على ابن عباس ويمنع الحيض جواز الصلاة وجوبها ويمنع جواز الصوم ولا يمنع وجوبه حتى اذا طهرت يجب عليها قضاء الصوم ولا يجب قضاء الصلاة وكذلك النساء أخبرنا أبو عثمان سعيد بن أمعاءيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المجبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا علي بن حجر أنا علي بن مسهر عن عبيدة بن معقب الضبي عن عبد الكريم عن إبراهيم النخعي عن الاسود عن عائشة قالت : كنا نحيض عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نطهر فيأمرنا بقضاء الصيام ولا يأمرنا بقضاء الصلاة ولا يجوز للحائض الطواف بالبيت ولا الاعتكاف في المسجد ولا مس المصحف ولا قراءة القرآن ولا يجوز للزوج غشيانها. أخبرنا عمر بن العزيز أنا القاسم بن جعفر أنا أبو علي الاولوي أنا أبو داود أنا مسدد أنا عبد الواحد بن زياد أنا أفلت بن خليفة قال : حدثني جصرة بنت دجاجة قالت : سمعت عائشة تقول جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب قوله تعالى ﴿ حتى يطهرن ﴾ قرأ عاصم برواية أبي بكر وحزمة والكسائي بتشديد الطاء والماء حتى يغتسلان وقرأ الآخرون بسكون الطاء وضم الماء مخفف ومعناه حتى يطهرن من الحيض وينقطع دهن ﴿ فاذا تطهرن ﴾ يعني اغتسلن ﴿ فأتوهن ﴾ أي فجامعوهن ﴿ من حيث أمركم الله ﴾ أي من حيث أمركم ان تعزلوهن منه وهو الفرج قاله مجاهد وقتادة وعكرمة . وقال ابن عباس طوهن في الفرج ولا تعدوه الى غيره أي اتقوا الادبار . وقيل « من » بمعنى « في » أي في حيث أمركم الله تعالى وهو الفرج كقوله عز وجل (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) أي في يوم الجمعة وقيل (فأتوهن) من الوجه الذي أمركم الله ان تأتوهن وهو الطهر . وقال ابن الحنفية من قبل الحلال دون الفجور وقيل لا تأتوهن صائمات ولا معتكفات ولا محرمتات وأتوهن وغشيانهن لكم حلال. واعلم انه لا يرتفع تحريم شيء مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو تقيم عند عدم الماء الا تحريم الصوم فان الحائض اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فوق غسلا بالنهار صح صومها والطلاق في حال

المتنزهين عن الاقدار والاذى وهو ما نهوا عنه من إتيان الحائض أو في غير المأني
 وقوله (نساؤكم حرث لكم) قال ابن عباس : الحرث موضع الولد (فأتوا حرثكم أنى شئتم)
 أي كيف شئتم مقبلة ومدبرة في صمام واحد كما ثبتت بذلك الاحاديث قال البخاري : حدثنا أبو نعيم
 حدثنا سفيان عن ابن المنكدر قال سمعت جابراً قول : كانت اليهود تقول : إذا جامعها من ورائها
 جاء الولد أحول فنزلت (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) ورواه مسلم وأبو داود . من
 حديث سفيان الثوري به وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني
 مالك بن أنس وابن جريج وسفيان بن سعيد الثوري أن محمد بن المنكدر حدثهم أن جابر بن عبد الله
 أخبره أن اليهود قالوا للمسلمين من أتى امرأة وهي مدبرة جاء الولد أحول فأنزل الله (نساؤكم حرث
 لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) قال ابن جريج في الحديث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مقبلة
 ومدبرة إذا كان ذلك في الفرج » وفي حديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه
 عن جده أنه قال بارسول الله : نساؤنا ما تأتي منها وما نذر؟ قال : « حرثك أئت حرثك أنى شئت غير
 أن لا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت » الحديث رواه أحمد وأهل السنن ، حديث آخر
 قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن
 عامر بن يحيى عن عبد الله بن حنبل عن عبد الله بن عباس قال : أتى ناس من حمير إلى رسول الله صلى
 عليه وسلم فسألوه عن أشياء فقال له رجل إني أحب النساء فكيف ترى في؟ فأنزل الله (نساؤكم
 الحرث) الحوض يكون بدعياً وإذا طلقها بعد انقطاع الدم قبل الغسل لا يكون بدعياً . وذهب أبو حنيفة
 رضي الله عنه إلى أنه إذا انقطع دمها لا كثر الحيض وهي عنده عشرة أيام يجوز للزوج غشيانها قبل
 الغسل وقال مجاهد وعطاء وطاوس إذا غسلت فرجها يجوز للزوج غشيانها قبل الغسل وأكثر أهل
 العلم على التحريم ما لم تغتسل أو تقيم عند عدم الماء لأن الله تعالى علق جواز وطئها بشرطين بانقطاع
 الدم والغسل فقال (حتى يطهرن) يعني من الحيض (فإذا تطهرن) يعني اغتسلن (فأتوهن) ومن
 قرأ يطهرن بالتشديد فالمراد منه الغسل كقوله تعالى (وإن كنتم جنبا فاطهروا) أي فاغتسلوا فدل
 على أن قبل الغسل لا يحل الوطء .

قوله تعالى ﴿ إن الله يحب المتطهرين ﴾ قال عطاء ومقاتل بن سليمان والكلبي
 يحب المتطهرين من الذنوب ويحب المتطهرين بالماء من الأحداث والنجاسات . وقال مقاتل
 ابن حبان يحب المتطهرين من الذنوب والمتطهرين من الشرك ، وقال سعيد بن جبير المتطهرين
 من الشرك والمتطهرين من الذنوب وقال مجاهد المتطهرين من الذنوب لا يمدون فيها والمتطهرين
 منها لم يصيبوها والتواب الذي كلما أذنب تاب نظيره قوله تعالى (فانه كان للوايين غفورا)
 قوله تعالى ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي
 أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد الأصباني أخبرنا محمد بن يعقوب أنا ابن المنادي أنا يونس

جرث لكم فاثروا حرثكم أني شئتم) ورواه الامام احمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشد بن حدثني الحسن بن ثوبان عن عامر بن يحيى المغافري عن حنش عن ابن عباس قال: انزلت هذه الآية (نساؤكم حرث لكم) في اناس من الانصار اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اثنها على كل حال اذا كان في الفرج» (حديث آخر قول ابو جعفر الطحاوي في كتابه مشكل الحديث حدثنا احمد بن داود بن موسى حدثنا يعقوب بن كاسب حدثنا عبد الله بن نافع عن هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري ان رجلا اصاب امرأة في دبرها فانكر الناس عليه ذلك فانزل الله (نساؤكم حرث لكم) الآية ورواه ابن جرير عن يونس عن يعقوب ورواه الحافظ ابو يعلى الموصلي عن الحارث بن شرح عن عبيد الله بن نافع به (حديث آخر) قال الامام احمد: حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا عبيد الله بن عثمان بن خيثم عن عبد الله بن سابط قال: دخلت على حفصة بنت عبد الرحمن بن ابي بكر فقلت اني لسألك عن أمر وأنا استحي أن أسألك قالت: فلا تستحي يا ابن أخي قال عن إتيان النساء في أدبارهن قالت: حدثني أم سلمة أن الانصار كانوا يحبون النساء وكانت اليهود تقول: انه من احب امراته كان ولده احول فلما قدم المهاجرون المدينة نكحوا في نساء الانصار فخبوهن فأبى امرأة ان تطيع زوجها وقالت: لن تفعل ذلك حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت على أم سلمة فذكرت لها ذلك فقالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم استمحت الانصارية ان تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت فسأته أم سلمة فقال: «ادعي الانصارية» فدعتها فلما عليها هذه الآية (نساؤكم حرث لكم فاثروا حرثكم أني شئتم) صامما واحدا» ورواه الترمذي عن بNDAR عن ابن مهدي عن سفيان عن ابي خيثم به وقال حسن (قلت) وقد روي من طريق حماد بن ابي حنيفة عن ابيه عن ابن خيثم عن يوسف بن ماهك عن حفصة أم المؤمنين ان امرأة اتنها فقالت: ان زوجها يأبىني محبة ومستقلة ففكرته، فلعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لا بأس اذا كان في صمام واحد» (حديث آخر) قال الامام احمد: حدثنا حسن حدثنا يعقوب يعني القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: جاء عمر بن الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلك ما الذي اهلكك؟ قال: حوات رحلي البارحة قال فلم يرد عليه شيئا قال فأرعى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية أنا يعقوب القمي عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلك ما الذي اهلكك قال حوات رحلي البارحة فلم يرد عليه شيئا وأوحى الله اليه (نساؤكم حرث لكم فاثروا حرثكم أني شئتم) يقول ادبروا قبل وانق الدبر والحبيضة اخبرنا احمد بن عبد الله الصالح اخبرنا احمد بن الحسين الخيري أنا صاحب بن احمد الطوسي أنا عبد الرحيم ابن منيب أنا ابن عيينة عن ابن المنكر انه سمع جابر بن عبد الله يقول كانت

(نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) «أقبل وادبر رانق لدبر والحیضة» ورواه الترمذی عن عبد بن حمید عن حسن بن موسى الاشيب به وقال حسن غریب وقال الحافظ ابو یعلی: حدثنا الحارث بن شریح حدثنا عبد الله بن نافع حدثنا هشام بن سعد عن زید بن أسلم عن عطاء بن یسار عن أبي سعید قال: أنفر رجل امرأته على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أنفر فلان امرأته فأنزل الله عز وجل (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) قال أبو داود: حدثنا عبد العزيز بن بجي أبو الاصبع قال حدثني محمد يعني ابن سلمة عن محمد بن اسحق عن ابان بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس قال: ان ابن عمر... والله يفر له - أو هم وإنما كان هذا الحي من الانصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقنطون كثير (١) من فعلهم وكان من أمر أهل الكتاب لا يأتون النساء الا على حرف وذلك ستر ما تكون المرأة فكان هذا الحي من الانصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قریش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت: انما كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني فسرى أمرها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد تفرد به أبو داود ويشهده بالصحة ما تقدم له من الاحاديث ولا سيما رواية أم سلمة فانها مشابهة لهذا السياق. وقد روى هذا الحديث الحافظ أبو القاسم الطبراني من طريق محمد بن اسحق عن ابان بن صالح عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها حتى انتهيت الى هذه الآية (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) فقال ابن عباس: ان هذا الحي من قریش كانوا يشرحون النساء بمكة ويتلذذون بهن فذكر القصة بنام سياقها وقول ابن عباس ان ابن عمر الله يفر له أو هم وكأنه يشير الى ما رواه البخاري حدثنا اسحق حدثنا النضر بن شميل أخبرنا ابن عون عن نافع قال كان ابن عمر اذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه فأخذت عنه (٢) يوما فقرأ سورة لقمة حتى انتهى الى مكان قال: أندري فبم أنزلت؟ قلت لا قال: أنزلت في كذا وكذا ثم مضى. وعن عبد الصمد قال: حدثني أبي حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر (وؤوا حرثكم أنى شئتم) قال: أن يأتيها (-) في هكذا رواه البخاري وقد تفرد به من هذا الوجه وقول ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا ابن عون عن نافع قال قرأت ذات يوم (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) الذي يأتي أمراته من دبرها في قبلها ان الولد يكون احول فنزلت (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) وروى مجاهد عن ابن عباس قل كان من شأن أهل الكتاب ان لا يأتوا النساء الا على حرف وذلك ستر ما تكون المرأة وكان هذا الحي من الانصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قریش يتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة

«١» وفي نسخة

الازهر: بكثير

(٢) وفي نسخة

الازهر عليه

(٣) لم يذكر

المجور تنزهها وقال

شرح البخاري انه

اسقطه لاستنكاره اياه

وهو جازئ للعلم به

من القرينة. وكتاب

هذا العصر يضيئون

نقطا في موضع

ما يسقطون من الكلام

لنكتة الزاهية وفي

نسخة الازهر نقطة

في دائرة وهي تصلح

اشارة الى الكلمة

الساقطة

لكم فانتوا حرثكم أني شئتم) فقال ابن عمر أتدري فيم نزلت؟ قلت لا قال نزلت في إتيان النساء في أدبارهن. وحدثني أبو قلابة حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي عن أبوب عن نافع عن ابن عمر (فانتوا حرثكم أني شئتم) قال: في الدبر. وروي من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر ولا يصح وروى النسائي عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن أبي بكر بن أبي أويس عن سليمان ابن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر أن رجلا أتى امرأته في دبرها فوجد في نفسه من ذلك وجدا شديدا فأنزل الله (نساؤكم حرث لكم فانتوا حرثكم أني شئتم) قال أبو حاتم الرزى: لو كان هذا عند زيد بن أسلم عن ابن عمر لما أوقع الناس بنافع وهذا تعليل منه لهذا الحديث وقد رواه عبد الله ابن نافع (١) عن داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عمر فذكره وهذا الحديث محمول على ما تقدم وهو أنه يأتيها في قبلها من دبرها لما رواه النسائي عن علي بن عثمان النخيلي عن سميد بن عيسى عن الفضل بن فضالة عن عبد الله بن سليمان الطويل عن كعب بن علقمة عن أبي النضر أنه أخبره أنه قال لنافع مولى ابن عمر أنه قد أكثر عليك القول أنك تقول عن ابن عمر إنه أفتى أن تؤتى النساء في أدبارهن قل: كذبوا علي ولكن سأحدثك كيف كان الأمر: إن ابن عمر عرض المصحف يوما وأنا عنده حتى بلغ (نساؤكم حرث لكم فانتوا حرثكم أني شئتم) فقال يا نافع هل تعلم من أمر هذه الآية؟ قلت: لا قل: إنا كنا مع مشرق ريش نجبي النساء فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء الانصار أردنا منهم مثل ما كنا نريد فاذا هن فكرهن ذلك (٢) وأعظمته وكانت نساء الانصار قد أخذن بحال اليهود انما يؤمنين على جنوبهن فأنزل الله (نساؤكم حرث لكم فانتوا حرثكم أني شئتم) وهذا اسناد صحيح وقد رواه ابن مردويه عن الطبراني عن الحسين بن اسحق عن زكريا بن يحيى كاتب العمري عن مفضل بن فضالة عن عبد الله بن عباس عن كعب بن علقمة فذكره. وقد روينا عن ابن عمر خلاف ذلك صريحا وأنه لا يباح ولا يحل كما سيأتي وإن كان قد نسب هذا القول الى طائفة من فقهاء المدينة وغيرهم وعزاء بعضهم الى الامام مالك في كتاب السر وأكثرت الناس يفكر أن يصح ذلك عن الامام مالك رحمه الله وقد وردت الاحاديث المروية من طرق متعددة بالزجر عن فعله وتعاطيه فقال الحسن بن عرفة حدثنا اسماعيل بن عياش عن سهيل بن أبي صالح عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «استحيوا ان الله لا يستحي من الحق لا يحل أن تأتوا النساء في حشوشهن» وقال الامام احمد: حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفبان عن عبد الله ابن شداد عن خزيمة بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يأتي الرجل امرأته في دبرها تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرت عليه وقالت انا كنا نؤتي على حرف فان شئت فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني حتى سرى أمرها فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى (نساؤكم حرث لكم) الآية يعني موضع الولد (فانتوا حرثكم أني شئتم) مقبلات ومدبرات ومستلقيات وأتى حرف استفهام يكون سؤالا عن الحال والمحل معناه كيف شئتم

(١) في نسخة

الازهر ههنا يياض

يسع كلمة أو كلمتين

(٢) وفي نسخة

الازهر: فاذا هن قد

كرهن ذلك - الخ -

وهذا اظهر

(طريق أخرى) قال احمد : حدثنا يعقوب سمعت أبي يحدث عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد أن عبيد الله بن الحسين الوالبي حدثه أن عبد الله الوقفي حدثه أن خزيمه بن ثابت الخطمي حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « استحيوا ان الله لا يستحي من الحق (١) لا تأتوا النساء في اعجازهن » ورواه النسائي وابن ماجه من طرق عن خزيمه بن ثابت وفي اسناده اختلاف كثير (حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذي والنسائي حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن الضحاك بن عثمان عن مخمرة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله الى رجل أتى رجلا أو امرأة في الدبر » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وهكذا أخرجه ابن حبان في صحيحه وصححه ابن حزم أيضا ولكن رواه النسائي أيضا عن هناد عن وكيع عن الضحاك به موقوفا. وقال عبد (٢) أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طارس عن أبيه أن رجلا سأل ابن عباس عن إتيان المرأة في دبرها قال : تسألني عن الكفر ؟ اسناده صحيح وكذا رواه النسائي من طريق ابن المبارك عن معمر به نحوه وقال عبد أيضا في تفسيره : حدثنا ابراهيم بن الحاكم عن أبيه عن عكرمة قال : جاء رجل الى ابن عباس وقال : كنت أتى أهلي في دبرها وسمعت قول الله (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) فظننت أن ذلك لي حلال فقال : يا لکم إنما قوله (فأتوا حرثكم أنى شئتم) قائمة وقاعدة ومقبلة ومدبرة في أقبالهن لا تعدوا ذلك الى غيره (حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا همام حدثنا قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى » وقال عبد الله بن احمد : حدثني هبة حدثنا همام قال : سئل قتادة عن الذي يأتي امرأته في دبرها فقال قتادة : أخبرنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هي اللوطية الصغرى » قال قتادة وحدثني عقبه بن وساج عن أبي الدرداء قال : وهل يفعل ذلك الا كافر ؟ وقد روى هذا الحديث يحيى بن سعيد القطان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قوله (٣) وهذا أصح والله أعلم وكذلك رواه عبد بن حميد عن يزيد بن هرون عن حميد الاعرج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو موقوفا من قوله (طريق أخرى) قال جعفر الفريابي حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزيكهم » وقول ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل وحيث شئتم بعد أن يكون في صمام واحد وقال عكرمة (أنى شئتم) إنما هو الفرج ومثله عن الحسن وقيل (حرث لكم) أي مزرع لكم ومنبت الولد بمنزلة الارض التي تزرع وفيها دليل على تحريم الادبار لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت فاعطش وان شئت فارو

(١) أول الحديث في نسخة الازهر « لا يستحي من الحق » ثلاثا

(٢) هو عبد بن حميد

(٣) « لعلها من قوله كالرواية التي بعدها وقوله : وهذا أصح يعني الموقوف عليه أصح سنداً من المرفوع

والمفعول به والنكاح يده وناكح البهيمة وناكح المرأة في دبرها وجامع بين المرأة وابنتها والزاني بجمليلة جاره ومؤذي جاره حتى يلغنه « بن لهيعة وشيخه ضعيفان (حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن عاصم عن عيسى بن حطان عن مسلم بن سلام عن علي بن طلق قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤتي النساء في أدبارهن فإن الله لا يستحي من الحق ، وأخرجه أحمد أيضا عن أبي معاوية وأبي عيسى الترمذي من طريق أبي معاوية أيضا عن عاصم الاحول به رفيع زيادة وقال : هو حديث حسن ومن الناس من يورد هذا الحديث في مسند علي بن أبي طالب كما وقع في مسند الامام أحمد بن حنبل والصحيح أنه علي بن طلق حديث آخر ، قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سهيل بن أبي صالح عن الحرث بن مخلد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الذي يأتي امرأته في دبرها لا ينظر الله اليه » وقال أحمد أيضا : حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا سهيل عن الحرث بن مخلد عن أبي هريرة يرفعه قال « لا ينظر الله الى رجل جامع امرأته في دبرها » وكذا رواه ابن ماجه من طريق سهيل . وقال أحمد أيضا : حدثنا وكيع عن سهيل بن أبي صالح عن الحرث بن مخلد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ملعون من أتى امرأته في دبرها » وهكذا رواه أبو دواد والنسائي من طريق أخرى . قال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني ، أخبرنا احمد بن القاسم بن الريان ، حدثنا ابو عبد الرحمن النسائي حدثنا هناد ومحمد بن اسماعيل واللائظ له قالا : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ملعون من أتى امرأة في دبرها » ليس هذا الحديث هكذا في سنن النسائي وإنما الذي فيه عن سهيل عن الحرث بن مخلد كما تقدم . قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي : ورواية احمد بن القاسم بن الزيان هذا الحديث بهذا السند وهم منه وقد ضمه في (طريق أخرى) رواها مسلم بن خالد الزنجي عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ملعون من أتى النساء في أدبارهن » ومسلم ابن خالد فيه كلام والله أعلم (طريق أخرى) رواها الامام أحمد وأهل السنن من حديث حماد بن سلمة عن حكيم الاثرم عن أبي نعيم الهجيمي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد » وقال الترمذي : ضعف البخاري هذا الحديث والذي قاله البخاري في حكيم الترمذي عن أبي نعيم لا يتابع على حديثه (طريق أخرى) قال النسائي : حدثنا عثمان بن عبد الله حدثنا سليمان بن عبد الرحمن من كتابه وروى عنه انه قال تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الوأد الخفي وروى عن مالك عن نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية (نساؤكم حرث لكم) فقال أتدرى فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت في رجل أتى امرأته في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية وبخكي عن مالك اباحة ذلك وانكر ذلك أصحابه وروى

عن عبد الملك بن محمد الصنعاني عن سعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « استحيوا من الله - ق الحياء لا تأتوا النساء في أدبارهن » تفرد به النسائي من هذا الوجه . قال حمزة بن محمد الكناني الحافظ هذا حديث منكر باطل من حديث الزهري ومن حديث أبي سلمة ومن حديث سعيد فإن كان عبد الملك سمعه من سعيد فأنما سمعه بعد الاختلاط وقد رواه الترمذي عن أبي سلمة أنه كان ينهى عن ذلك فأنما عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا انتهى كلامه وقد أجاد وأحسن الانتقاد إلا أن عبد الملك ابن محمد الصنعاني لا يعرف أنه اختلط ولم يذكر ذلك أحد غير حمزة عن الكناني وهو ثقة ولكن تكلم فيه دحيم وأبو حاتم وابن حبان وقل : لا يجوز الاحتجاج به والله أعلم . وقد تابعه زيد بن يحيى بن عبيد عن سعيد بن عبد العزيز . وروي من طريقين آخرين عن أبي سلمة ولا يصح منها شيء ، طريق أخرى قال النسائي : حدثنا اسحق بن منصور حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سمعان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي هريرة قال : اتين الرجال النساء في أدبارهن كفر ثم رواه عن بندار عن عبد الرحمن به قال : من أتى امرأة في دبرها وألك كفر ، هكذا رواه النسائي من طريق الثوري عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة موقوفا وكذا رواه من طريق علي بن نديم عن مجاهد عن أبي هريرة موقوفا ورواه بكر بن خنيس عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أتى شيئا من الرجال والنساء في الأدبار فقد كفر » والموقوف أصح وبكر بن خنيس ضمه غير واحد من الأئمة وتركه آخرون ، حديث آخر . قال محمد بن أبان البخاري حدثنا وكيع حدثني زمعة بن صالح عن ابن طاوس عن أبيه وعن عمرو بن دينار عن عبد الله بن يزيد بن الهاد قال : قال عمر بن الخطاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن » وقد رواه النسائي حدثنا سعيد بن يعقوب الطائفي عن عثمان بن النيمان عن زمعة بن صالح عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن الهاد عن عمر قال : لا تأتوا النساء في أدبارهن . وحدثنا اسحق بن إبراهيم حدثنا يزيد بن أبي حكيم عن زمعة بن صالح عن عمرو بن دينار عن طاوس عن عبد الله بن الهاد الليثي قال : قال عمر رضي الله عنه : استحيوا من الله فإن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن والموقوف أصح حديث آخر قال الامام أحمد : حدثنا غندور ومعاذ بن معاذ قال : حدثنا شعبة عن عاصم الاحول عن عيسى بن حطان عن مسلم بن سلام عن طلق بن يزيد أو يزيد بن طلق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله عن عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله فقال له يا أبا عمر ما حدثت بحديث نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى بأسا باتيان النساء في أدبارهن فقال كذب العبد وأخطأ إنما قال عبد الله يؤتون في فروجهن من أدبارهن والدليل على تحريم الأدبار ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد بن الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أخبرنا الشافعي أنا عمر محمد بن علي

لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أسناهن» وكذا رواه غير واحد عن شعبة ورواه عبد الرزاق عن معمر عن عاصم الاحول عن عيسى بن حطان عن مسلم بن سلام عن طارق بن علي ولا شبه أنه علي بن طلق كما تقدم والله أعلم (حديث آخر) قال أبو بكر لا ترم في سنده: حدثنا أبو مسلم الجرمي حدثنا أخو أنيس بن إبراهيم أن أباه إبراهيم بن عبد الرحمن بن القعقاع أخبره عن أبيه أبي القعقاع عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «محاش النساء حرام» وقدرناه اسماعيل بن علي وسفيان الثوري وشعبة وغيرهم عن أبي عبد الله الشقري واسمه سلمة بن تمام ثقة عن أبي القعقاع عن ابن مسعود موقوفاً وهو أصح (طريق أخرى) قال ابن عدي حدثنا أبو عبد الله المحملي حدثنا سعيد بن يحيى الثوري حدثنا محمد بن حمزة عن زيد بن رفيع عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تأتوا النساء في أعجازهن» محمد بن حمزة وهو الجزري وشيخه فيهما مقل. وقد روي من حديث أبي بن كعب والبراء بن عازب وعقبة بن عامر وأبي ذر وغيرهم وفي كل منها مقال لا يصح معه الحديث والله أعلم. وقال الثوري عن الصادق بن بهرام عن أبي المعتمر عن أبي جويرة قال: سألت رجلاً علياً عن آفة في دبرها فقال: سفات سفل الله بك ألم تسمع قول الله عز وجل (أنا أنزل الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) وقد تقدم قول ابن مسعود وأبي الدرداء وأبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو في تحريم ذلك وهو الثابت بلا شك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه يحرمه. قال أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله الدارمي في مسنده حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن الحرث بن يعقوب عن سعيد بن يسار أبي الجباب قال: قلت لابن عمر ما تقول في الجوارح أيحض لهن؟ قال: وما التحيض؟ فذكر للدير فقال: وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين؟ وكذا رواه ابن وهب وقتيبة عن الليث به وهذا إسناد صحيح ونص صريح منه بتحريم ذلك فكل ما ورد عنه مما يمتنع من احتمال فهو مردود إلى هذا الحكم، قال ابن جرير: حدثني عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أبو زيد أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي العمر حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس أنه ابن شافع أخبرني عبد الله بن علي بن السائب عن عمرو بن الحبيشة بن الجلاح عن خزيمة بن ثابت أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن آفة النساء في ادبارهن فقال النبي صلى الله عليه وسلم «في أي الحرمتين أو في أي الخزنتين أو في الحرمتين أمن دبرها في قبلها فتم أو من دبرها في دبرها فلا» قال الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في ادبارهن» أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو اسحق الشعابي أنا عبد الله الحسين بن محمد الحافظ أنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي أنا عبد الله بن أبان أنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ملعون من أتى امرأته في دبرها»

قيل له يا ابا عبد الله ان النضر يروون عن سالم بن عبد الله انه قال : كذب العبد او العليج على ابي عبد الله ، فقال مالك : اشهد على يزيد بن رومان انه اخبرني عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر مثل ما قال نافع ، فقيل له فان الحرث بن يعقوب يروي عن ابي الحباب سعيد بن يسار انه سأل ابن عمر فقال له يا ابا عبد الرحمن انا نشترى الجواري افنحمض لهن فقال رما التميمي ، فذكر له الدبر فقال ابن عمر : اف أف وهل يفعل ذلك مؤن او قال مسلم ؟ فقال مالك : اشهد على ربيعة لاخبرني عن ابي الحباب عن ابن عمر مثل ما قال نافع . وروى النسائي عن الربيع بن سليمان عن اصيبغ بن الفرج العقبي حدثنا عبد الرحمن بن القاسم قال : قلت لمالك ان عندنا بمصر الليث بن سعد يحدث عن الحرث بن يعقوب عن سعيد بن يسار قال قلت لابن عمر انا نشترى الجواري افنحمض لهن ؟ قال : وما التميمي ؟ قلت : نأين في ادبارهن فقال : اف اف او يعمل هذا مسلم ؟ فقال لي مالك فاشهد على ربيعة لحدثني عن سعيد بن يسار انه سأل ابن عمر فقال : لا بأس به وروى النسائي ايضا من طريق يزيد بن رومان عن عبيد الله بن عبد الله ان ابن عمر كان لا يرى بأسا ان يأتي الرجل المرأة في دبرها . وروى معمر بن عيسى عن مالك ان ذلك حرام . وقل أبو بكر بن زياد النيسابوري حدثني اسماعيل بن حسين حدثني اسرائيل بن روح سألت مالك بن انس ما تقول في اتيان النساء في ادبارهن قال : ما انتم الا قوم عرب هل يكون الحرث الا موضع الزرع ؟ لا تعدو الفرج ، قلت يا ابا عبد الله انهم يقولون انك تقول ذلك . قال يكذبون علي يكذبون علي . فهذا هو الثابت عنه وهو قول ابي حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل وأصحابهم قاطبة وهو قول سعيد بن المسيب وأبي سلمة وعكرمة وطاوس وعطاء وسعيد بن جابر وعروة بن الزبير ومجاهد بن جابر والحسن وغيرهم من السلف انهم انكروا ذلك اشد الانكار ومنهم من يطلق على فعله الكفر وهو مذهب جمهور العلماء ، وقد حكى في هذا شي عن بعض فتها المدينة حتى حكوه عن الامام مالك وفي صحته نظر . قال الطحاوي : روى اصيبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن القاسم قال : ما أدركت احدا

قوله تعالى (وقدموا لانفسكم) قال عطاء التسمية عند الجماع قال مجاهد وقدموا لانفسكم يعني اذا أتى أهله فليدع أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن اسمعيل أنا عثمان بن أبي شيبة أنا جرير عن منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « لو ان أحدهم اذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا » فإنه ان يتدبر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا » وقيل قدموا لانفسكم يعني طلب الولد أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشي عن أبي علي بن حجر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » وقبل هو التزوج بالعفاف يكون الولد

أقضى به في ديني يشك انه حلال يعني وطء المرأة في دبرها ثم قرأ (نساؤكم حرث لكم) ثم قال :
فأى شيء أبين من هذا ؟ هذه حكاية الطحاوي وقد روى الحاكم والدارقطني والخطيب البغدادي عن
الامام مالك من طرق ما يقتضي اباحة ذلك ولكن في الاسانيد ضعف شديد وقد استقصاها شيخنا
الحافظ أبو عبد الله الذهبي في جزء جمعه في ذلك والله أعلم . وقال الطحاوي : حكى لنا محمد بن عبد
الله بن عبد الحكم انه سمع الشافعي يقول : ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في تحليله ولا تحريمه
شيء والقياس أنه حلال وقد روى ذلك أبو بكر الخطيب عن أبي سعيد الصيرفي عن أبي العباس
الاصم سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول فذكره قال أبو نصر الصباغ :
كان الربيع يحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد كذب - يعني ابن عبد الحكم - على الشافعي في ذلك
لان الشافعي نص على تحريمه في ستة كتب من كتبه والله أعلم

وقوله (و قدموا لانفسكم) أي من فعل الطاعات مع امتثال ما أمركم عنه من ترك المحرمات
ولهذا قال (وانقوا الله واعلموا انكم ملائكة) أي فيه اسبغكم على أعمالكم جميعها (وبشر المؤمنين)
أي المطيعين لله فيما أمرهم التاركين ما عنه زجرهم . وقال ابن جرير : حدثنا القاسم حدثنا الحسين
حدثني محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن عطاء قال : أراه عن ابن عباس (و قدموا لانفسكم)
قال : تقول بسم الله التسمية عند الجماع وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن أحدكم اذا أراد ان يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان
وجنب الشيطان ما رزقنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا »

(٢٢٣) ولا تجعلوا الله عرضة لآيمانكم ان تبرؤوا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله

سميع عليم (٢٢٤) لا يؤاخذكم الله باللغو في آيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

والله غفور حلیم

صالحا اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا مسدد بن يحيى
عن عبد الله بن أحمد بن محمد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« نكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » وقيل معنى الآية
تقديم الافراط اخبرنا أبو الحسن السرخسي اخبرنا زاهر بن أحمد اخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا
أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم » وقال الكلبي
والسدي : و قدموا لانفسكم يعني الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية « وانقوا الله واعلموا انكم
ملائكة صائرون اليه فيجزىكم بأعمالكم » (وبشر المؤمنين)

قوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لآيمانكم) نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين خننه

يقول تعالى لا تجعلوا إيمانكم بالله تعالى مانعاً لكم من البر وصلة الرحم إذا حلقتم على تركها كقوله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فلا استمرار على اليقين ثم لصاحبها من الخروج منها بالكفر كما قال البخاري : حدثنا اسحق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام ابن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله لا يبلغ أحدكم يمينه في أهله آثم له عند الله من أن يعطي كفارته التي افترض الله عليه » وهكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزق به ورواه أحمد عنه به ثم قال البخاري : حدثنا اسحق بن منصور حدثنا يحيى بن صالح حدثنا معاوية هو ابن سلام عن يحيى وهو ابن أبي كثير عن عكرمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استلج في أهله بيمين فهو أعظم إنما ليس تغني الكفارة » (١) ونال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم) قال : لا تجعلان عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير. ولكن كفر عن يمينك واصنع الخير وكذا قال مسروق والشعبي وإبراهيم النخعي ومجاهد وطارس وسعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومكحول والزهري والحسن وقنادة ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس والضحاك وعطاء الخراساني والسدي رحمهم الله ويؤيد ما قاله هؤلاء الجمهور ما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحملت ما وثبت فيهما أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن سمرة « يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإني أعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها ، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأتيت الذي هو خير وكفر عن يمينك » وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها على أخته بشير بن النعمان الانصاري شيء خلف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصاح بينه وبين خصمه وإذا قيل له فيه قال قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يحمل لي إلا أن تبر يميني فأنزل الله هذه الآية . وقال ابن جريج : نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك ، والمرضه أصلها الشدة والقوة ومنه قيل للدابة التي تتخذ للسفر عرضة لفونها عليه ثم قيل لكل ما يصلح لشيء هو عرضة له حتى قالوا المرأة هي عرضة النكاح إذا صلحت له والعرضة كل ما يعترض فيمنع عن الشيء ومعنى الآية (لا تجعلوا) الحلف بالله سبباً مانعاً لكم من البر والتقوى يدعي أحدكم إلى صلة رحم أو بر فيقول حلفت بالله أن لا أفعله فيعزل يمينه في ترك البر (أن تبروا) معناه أن لا تبروا كقوله تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) أي لئلا تضلوا (وتقرأ وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم) أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق

(١) يعني أن
أثم استلجاج الرجل
يمين في ضرر امرأته
أي إصراره وعمله
بمقتضى اللجاج في البر
به أعظم إنما عند الله
من الحنث باليمين
والتكفير عنها لأن أثم
ضرر المرأة لا تغني عنه
الكفارة كالحنث فهو
إذا أخف الضررين
وفي رواية « لير »
موضع ليس - وهو
امر من البر - وبعده
يعني الكفارة وهو
تفسير للبر المأمور به
لخفائه إذ ظاهره أنه
أمر بالبر باليمين والمراد
الحنث بهامع الكفارة
التي هي بدل البر -
قال القسطلاني أنها
أوضح

فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير». وقال الامام احمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا خليفة بن خياط حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فتركها كفارتها» ورواه أبو داود من طريق أبي عبيد الله بن الاخنس عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا نذر ولا يمين فيما لا يملك ابن آدم ولا في معصية الله ولا في قطيعة رحم ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليدعها وليأت الذي هو خير فان تركها كفارتها» ثم قال أبو داود والاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم كلها «فليكفر عن يمينه» وهي الصراح

وقال ابن جرير: حدثنا علي بن سعيد الكندي حدثنا علي بن مسهر عن حارثة بن محمد عن عمرة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حلف على يمين قطيعة رحم أو معصية فبره أن يحنث فيها ويرجع عن يمينه» وهذا حديث ضعيف لأن حارثة هذا هو ابن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن متروك الحديث ضعيف عند الجميع ثم وروى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب ومسروق والشعبي أنهم قالوا: لا يمين في معصية ولا كفارة عليها

وقوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) أي لا يماقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم من الايمان اللأغية وهي التي لا يقصدها الخالف بل تجري على لسانه عادة من غير تفقيد ولا تأكيد كما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف فقل في حلفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله» فهذا قاله لقوم حديثي عهد بجاهلية قد أسلموا وأسلمتهم قد أفقت ما كانت عليه من الحلف باللات من غير قصد فأمر وأن يتلفظوا بكلمة الاخلاص كما تلفظوا بتلك الكلمة من غير قصد لتكون هذه بهذه ولهذا قال تعالى: (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) الآية وفي الآية الاخرى (بما عقدتم الايمان) قال أبو داود: (باب لغو اليمين) حدثنا حميد بن مسعدة الشامي حدثنا حيان يعني ابن ابراهيم حدثنا ابراهيم يعني

الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بيمين فرأى خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير» قوله تعالى ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ اللغو كل مطرح من الكلام لا يعتد به واختاف أهل العلم في لغو اليمين المذكورة في الآية فقال قوم هو ما يبقى الى اللسان على عجلة لصلته الكلام من غير عقد وقصد كقول الفائل لا والله وبلى والله وكلا والله اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال اخبرنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مالك عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت لغو اليمين قول الانسان لا والله وبلى والله ورفع بعضهم والى هذا ذهب الشعبي وعكرمة وبه قال الشافعي وروى عن عائشة أيمان اللغو ما كانت في المزل والمرأ والخصومة والحديث الذي لا يعتد عليه القلب وقال قوم هو أن يحلف على شيء يرى انه صادق

الصانع عن عطاء: اللغو في اليمين قل قالت عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللغو في اليمين هو كلام الرجل في يمينه كلاً والله وبلى والله » ثم قل أبو داود رواه داود بن أبي الفرات عن إبراهيم الصائغ عن عطاء عن عائشة موقوفاً ورواه الزهري وعبد الملك ومالك بن مغول كاهن عن عطاء عن عائشة موقوفاً أيضاً (قلت) وكذا رواه ابن جريح وابن أبي ليلى عن عطاء عن عائشة موقوفاً. ورواه ابن جرير عن هناد عن وكيع وعبد بن أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) لا والله وبلى والله ثم رواه عن محمد بن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن هشام عن أبيه عنها وبه عن ابن إسحاق عن الزهري عن القاسم عنها وبه عن ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عنها وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة في قوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) قالت هم القوم يتدارؤون في الأمر فيقول هذا لا والله وبلى والله وكلاً والله يتدارؤون في الأمر لا تمقد عليه قلوبهم وقد قل ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن إسحاق الحمدي حدثنا عبدة يعني ابن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قول الله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) نالت . هو قول الرجل لا والله وبلى والله . وحدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال كانت عائشة تقول إنما اللغو في المازحة والهلز وهو قول الرجل لا والله وبلى والله فذلك لا كفارة فيه إنما الكفارة فيما عقد عليه قلبه أن يفعله ثم لا يفعله ثم قل ابن أبي حاتم وروى عن ابن عمر وابن عباس في أحد قوليه والشعبي وعكرمة في أحد قوليه وعروة ابن الزبير وأبي صالح والضحاك في أحد قوليه وأبي قلابة والزهري نحو ذلك الوجه الثاني قرئ على يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني الثقة عن ابن شهاب عن عروة بن عائشة أنها كانت تتأول هذه الآية يعني قوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) ونقول هو الشيء يحلف عليه أحدهم لا يريد أنه إلا الصدق فيكون على غير ما حلف عليه ثم قال وروى عن أبي هريرة وابن عباس في أحد قوليه وسليمان بن يسار وسعيد بن جبير ومجاهد في أحد قوليه فيه ثم يتبين له خلاف ذلك وهو قول الحسن والزهري وإبراهيم النخعي وقتادة ومكحول وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه وقالوا لا كفارة فيه ولا أنهم وقال علي هو اليمين على الغضب وبه قال طاوس وقال سعيد بن جبيرة هو اليمين في المصيبة لا يؤاخذكم الله بالحنث فيها بل يحنث ويكفر وقال مسروق ليس عليه كفارة أي كفر خطوات الشيطان وقال الشعبي في الرجل يحلف على المصيبة كإيمانه أن يتوب منها وكل يمين لا يحل لك أن تنفي بها فليس فيها كفارة ولو أمرته بالكفارة لامرته أن يتم ويستمر على قوله وقال زيد بن أسلم هو دعاء الرجل على نفسه كقول لانسان اعني الله بصري إن لم أقبل كذا وكذا أخرجني الله من ملي إن لم آك غداً ، يقول: هو كافر إن فعل كذا (١) فهذا كله لغو لا يؤاخذكم الله به ولو آخذكم به لعجزكم القوية (ولو يعجز الله للناس الشر استعجابهم بأمر لقضي اليهم أجلهم) وقال (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير)

(١) سقط هذان
القسمان من النسخ
المطبوعة والآخر من
رواية ابن جرير وثبتت
الثلاثة في نسختنا

وابراهيم النخعي في أحد قوله والحسن ووزارة بن أرفى وأبي مالك وعطاء الخراساني وبكر بن عبد الله
وأحد قولي عكرمة وحبيب ابن أبي ثابت والسدي ومكحول ومقاتل وطارس وقنادة ولويح بن
أنس ويحيى بن سعيد وربيعة نحو ذلك وقال ابن جرير حدثنا محمد بن موسى الجرجسي حدثنا عبد الله
ابن ميمون المرادي حدثنا عوف الاعرابي عن الحسن بن أبي الحسن قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقوم يفتضون يعني يرمون ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه فقام رجل من
القوم فقال أصبت بالله وأخطأت والله فقل النبي مع النبي صلى الله عليه وسلم للنبي صلى الله عليه
وسلم حنث الرجل بارسل الله قال «كلا إيمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة» هذا مرسل حسن
عن الحسن وقال ابن أبي حاتم وروى عن عائشة قولان جميعا حدثنا عصام بن رواد أنبأنا آدم حدثنا
شيبان عن جابر عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة قالت : هو قوله لا والله وبلى الله وهو يرى أنه
صادق ولا يكون كذلك (أقوال آخر) قال عبد الرزاق عن هشيم عن منيرة عن ابراهيم هو الرجل يحلف
على الشيء ثم ينسأه وقال زيد بن أسلم هو قول الرجل أعمى الله بصري ان لم أفعل كذا وكذا
أخرجني الله من مالي ان لم آتكم غدا فهو هذا قال ابن أبي حاتم : وحدثنا علي بن الحسين حدثنا مسدد
ابن خالد حدثنا خالد حدثنا عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال : لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان.
وأخبرني أبي حدثنا أبو الجاهر حدثنا سعيد بن بشير حدثني أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال : لغو اليمين أن تحرم ما أحل الله أو لك ما ليس عليك فيه كفارة وكذا روي عن سعيد
ابن جبير . وقال أبو داود (باب اليمين في الغضب) حدثنا محمد بن المنهال أنبأنا يزيد بن زريع
حدثنا حبيب المعلم عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب أن أخوين من الانصار كان بينهما اميراث
فسأل أحدهما صاحبه القسمة فقال : ان عدت نسائي عن القسمة فكل مالي في رتاج الكعبة فقال له
عمر : ان الكعبة غنية عن مالك كفر عن يمينك وكلم أخاك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول « لا يمين عليك ولا نذر في معصية الرب عز وجل ولا في قطيعة الرحم ولا فيما لا تملك »

للتحسين (١)
بالحسن

قوله تعالى ﴿ولكن ياخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ أي عزمنه رقصتم الى اليمين وكسب القلب
المقد والنية ﴿والله غفور حلیم﴾ واعلم أن اليمين لا تنعقد إلا بالله أو باسم من أسمائه أو بصفة من
صفاته فاليمين بالله أن يقول والذي اعبدته والذي أصلي له والذي نعمني بيده ونحو ذلك واليمين
بأسمائه كقوله والله والرحمن ونحوه واليمين بصفاته كقوله وعزة الله وعظمة الله وجلال الله وقدره
الله ونحوها فإذا حلف بشيء منها على امر في المستقبل فحنث يجب عليه الكفارة وإذا حلف على امر
ماض انه كان ولم يكن أو على انه لم يكن وقد كان ان كان عالما به حالة ما حلف فهو ليمين الغموس
وهو من الكبائر ويجب فيه الكفارة عند بعض اهل العلم عالما كان أو جاهلا وبه قال الشافعي ولا
يجب عند بعضهم وهو قول اصحاب الرأي وقالوا ان كان عالما فهو كبيرة ولا كفارة لها كما في هاتر
الكبائر وان كان جاهلا فهو يمين اللغو عندهم ومن حلف بغير الله مثلا ان قال والكعبة وبيت الله

وقوله (ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: هو أن يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب قال مجاهد وغيره: وهي كقرله تعالى (ولكن يؤخذكم بما عقدتم الأيمان) الآية (والله غفور حلیم) أي غفور لعباده حلیم عليهم

(٢٢٥) للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فؤا فإن الله غفور رحيم

(٢٢٦) وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم *

الايلاء الحلف فإذا حلف الرجل أن لا يجامع زوجته مدة فلا يخلو إما أن يكون انل من أربعة أشهر أو أكثر منها فإن كانت أقل فله أن ينتظر انقضاء المدة ثم يجامع امرأته وعليها أن تصبر وليس لها مطالبة بالفئة في هذه المدة وهذا كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه شهرا فتزل لتسع وعشرين وقال «الشهر تسع وعشرون» ولهما عن عمر ابن الخطاب نحوه فأما إن زادت المدة على أربعة أشهر فالزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء أربعة أشهر إما أن يفى أي يجامع وإما أن يطلق فيجبره الحاكم على هذا وهذا لئلا يضرها ولهذا قال تعالى (الذين يؤلون من نسائهم) أي يحلفون على ترك الجماع من نسائهم فيه دلالة على أن الإيلاء يختص بالزوجات دون الإماء كما هو مذهب الجمهور (تربص أربعة أشهر) أي ينتظر الزوج أربعة أشهر من حين الحلف ثم يوقف ويطلب بالفئة أو الطلاق ولهذا قال (فإن فؤا) أي رجوا إلى ما كانوا عليه وهو كناية عن الجماع قاله ابن عباس ومسروق والشعبي وحيد بن جبر وغير واحد ومنهم ابن جرير رحمه الله (فإن الله غفور رحيم) لما سلف من التصبر في حقهن بسبب البين

وقوله (فإن فؤا فإن الله غفور رحيم) فيه دلالة لاحد قول العلماء وهو القديم عن الشافعي أن المولى إذا فاء بعد الأربعة الأشهر أنه لا كفارة عليه وبعضه بما تقدم في الحديث عند الآية التي قبلها عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف على بيمين فرأى

(١) وفي نسخة وفي المخطوط إذا حالف ونبي الله أو حلف بأبيه ونحو ذلك فلا يكون يمينا فلا نجب به الكفارة إذا حلف (١) وهو بمن مكرهة قال الشافعي وأخشي أن يكون معصية أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»

قوله تعالى (الذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر) يؤلون أي يحلفون والاية البين والمراد من الآية البين على ترك وطء المرأة قال قتادة كان الإيلاء طلاقا لأهل الجاهلية وقال سعيد ابن المسيب كان ذلك من ضرار أهل الجاهلية: كان الرجل لا يحب امرأته ولا يريد أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقرها أبدا فيتركها لا أيما ولا ذات بعل. وكانوا عليه في ابتداء الاسلام فضرر

غيرها خيرا منها فتركها تغارثها كما رواه احمد وأبو داود والترمذي والذي عليه الجمهور وهو الجديد من مذهب الشافعي أن عليه التكفير لعموم وجوب التكفير على كل حالف كما تقدم أيضا في الاحاديث الصحاح والله أعلم

وقوله (وإن عزموا الطلاق) فيه دلالة على أن الطلاق لا يقع بمجرد مضي اربعة اشهر كقول الجمهور من المتأخرين وذهب آخرون الى انه يقع بمضي اربعة اشهر تطليقة وهو مروى بأسانيد صحيحة عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه يقول ابن سيرين ومسروق والنامي وسالم وأوسلة وقتادة وشرح القاضي وقبيصة بن ذؤيب وعطاء وابوسلمة ابن عبد الرحمن وليمان بن طرخان التيمي وابراهيم النخعي والربيع بن أنس والسدي ثم قيل انها تطلق بمضي اربعة اشهر طلقة رجعية قاله سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ومكحول وربيعة والزهرري وحران بن الحكم وقيل انها تطلق طلقة بائنة روي عن علي وابن مسعود وعثمان وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه يقول عطاء وجابر بن زيد ومسروق وعكرمة والحسن وابن سيرين ومحمد بن الحنفية وابراهيم وقبيصة بن ذؤيب وأبو حنيفة والثوري والحسن بن صالح فكل من قال إنها تطلق بمضي اربعة اشهر أوجب عليها العدة الا ما روي عن ابن عباس وأبي الشعثاء أنها ان كانت حاضت ثلاث حبض فلا عدة عليها وهو قول الشافعي والذي عليه الجمهور من المتأخرين أن يوقف فيطالب إما بهذا وإما بهذا ولا يقع عليها بمجرد مضيها طلاق وروى مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه قال : اذا آلى الرجل من امرأته لم يقع عليه طلاق وان مضت أربعة أشهر حتى يوقف فلما أن يطلق وإما أن يفي وأخرجه البخاري وقال الشافعي رحمه الله : أخبرنا سفيان بن عيينة عن مجي بن سعيد عن سليمان بن يسار قال : أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يوقف المولي . قال الشافعي : وأقل ذلك ثلاثة عشر

الله له أجل في الاسلام واختلف اهل العلم فيه فذهب اكثرهم الى انه ان حلف أن لا يقرب زوجته أبدا أو سمي مدة اكثر من اربعة اشهر يكون موليا فلا يتعرض له قبل مضي اربعة اشهر وبعد مضيها يوقف وبور بالفيء أو بالطلاق بعد مطاوعة المرأة. والفيء هو الرجوع عما قاله بالوطء ار قدر عليه وان لم يقدر فبالقول فان لم يف ولم يطلق طلق عليه السلطان واحدة. وذهب الى الوقوف بعد مضي المدة عمر وعثمان وعلي وابو الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار أدركت بضعة عشر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقولون يوقف المولي واليه ذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قول مالك والشافعي واحمد واسحق وقال بعض اهل العلم اذا مضت اربعة اشهر تقع عليه طلقة بائنة وهو قول ابن عباس وابن مسعود وبه قال سفيان الثوري واصحاب الراي وقال سعيد بن المسيب والزهرري تقع طلقة رجعية ولو حلف أن لا يطأها اقل من اربعة اشهر لا يكون موليا بل هو حالف فاذا وطئها قبل مضي تلك المدة نجب عليه كفارة البين ولو حلف أن لا يطأها اربعة

ورواه الشافعي عن علي رضي الله عنه أنه يوف المولي ثم قال وهكذا نقول وهو موافق لما روينا عن عمر وابن عمر وعائشة وعثمان وزيد بن ثابت وبضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم . هكذا قال الشافعي رحمه الله قال ابن جرير : حدثنا ابن أبي مرجم حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن عمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه قال : سألت اثني عشر رجلا من الصحابة عن الرجل يولي من امرأته فكلامهم يقول ليس عليه شيء حتى تمضي الأربعة الأشهر فيوقف فإن فاء والا طاق ورواه لدارقطني من طريق سهيل (قلت) وهو يروي عن عمر وعثمان وعلي وأبي الدرداء وعائشة أم المؤمنين وابن عمر وابن عباس وبه يقول سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وطارس ومحمد بن كعب والقاسم وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم رحمهم الله وهو اختيار ابن جرير أيضا وهو قول الليث وإسحق بن راهويه وأبي عبيد وأبي نور وداد وكل هؤلاء قالوا : إن لم يف ألزم بالطلاق فإن لم يطلق طلق عليه الحاكم والطلقة تكون رجعية له رجعت في العدة وانفرد مالك بأن قال : لا يجوز له رجعتها حتى يجاء بها في العدة وهذا غريب جدا

وقد ذكر الفقهاء وغيرهم في مناسبة تأجيل المولي بأربعة أشهر الأثر الذي رواه الإمام مالك بن أنس رحمه الله في الموطأ عن عبد الله بن دينار قال : خرج عمر بن الخطاب من الليل فسمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبيه وأرقني ألا خليل الأعبى

فولله لولا الله أني أراقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر ابنته حفصة رضي الله عنها كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها ؟ فقالت : ستة أشهر أو أربعة أشهر فقال عمر : لا أحبس أحدا من الجيوش أكثر من ذلك وقال محمد بن إسحاق عن السائب بن جبير مولى ابن عباس وكان قد أدرك أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما زلت أسمع حديث عمر أنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة وكان يفعل ذلك كثيرا إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلفة بها تقول :

أشهر لا يكون موليا عند مل يقول بالوقف بعد مضي المدة لأن بقاء المدة شرط للوقف وثبوت المطالبة بالنفي أو الطلاق وقد مضت المدة وعند من لا يقول بالوقف يكون موليا ويقع الطلاق بمضي المدة ومدة الإبلاء أربعة أشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي رحمه الله لأنها صرحت لمعنى يرجع إلى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوي فيه الحر والعبد كمدة العنة وعند مالك رحمه الله وأبي حنيفة رحمه الله تنصف مدة العنة بالرق غير أن عند أبي حنيفة تنصف برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما قال في الطلاق قوله تعالى (ترص أربعة أشهر) أي انتظار أربعة أشهر والترص التثبت والتوقف ﴿ فان فاء ﴾ رجعوا عن اليمين بالوطء ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ وإذا وطئ في الفرج خرج عن الإبلاء وتجب عليه كفارة اليمين عند أكثر أهل العلم . وقال الحسن وإبراهيم النخعي وقتادة : لا كفارة عليه لأن الله تعالى وعد بالمغفرة فقال (فان الله غفور رحيم) وذلك عند أكثر من

تطاول هذا الليل وازور جانبه وأرقي ألا ضجيم الأعبه
 الأعبه طوراً وطوراً كأنما بدا قرا في ظلمة الليل حاجبه
 يسر به من كان يلهو بقر به لطيف الحشالا محتوبه أقاربه
 فوالله لولا الله لا شيء غيره لنقض من هذا السرير جوانبه
 ولا كني أخشى رقبيا موكلا بأنفاسنا لا يفتر الدهر كاتبه
 مخافة ربي والحياء يصدني وإكرام بعلي أن تنال مرا كبه (١)
 ثم ذكر بقية ذلك كما تقدم أو نحوه وقد روي هذا من طرق وهو من المشهورات

«١» خ مرانته

(٢٢٧) والمطافات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق

الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر، وبمعولتهن أحق بردهن في ذلك لمن أرادوا لإصلاحها ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزير حكيم
 هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمطلقات المدخول بهن من ذوات الأقراء بأن يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء أي بأن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء ثم تتزوج إن شاءت وقد أخرج الأئمة الأربعة من هذا العموم لامة اذ طاعت فانه اتد عنهم بقراين لانها على النصف من الحره والقروء لا يتبع بعض فكل لها قروءان ولما رواه ابن جرير عن مظاهر بن أسلم الخزومي المدني عن القاسم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «طلاق الامة نطائمان وعدتها حيضتان» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ولكن مظهر هذا ضعيف بالسكينة وقال الحافظ الدارقطني وغيره الصحيح وغيره انه من قول القاسم بن محمد نفسه ورواه ابن ماجه من طريق عطية العوفي عن ابن عمر مرفوعا قول الدارقطني والصحيح ما رواه سالم بنان عن ابن عمر قوله (٢) رهكذا روي عن عمر بن الخطاب قالوا: ولم يعرف بين الصحابة خلاف وقول بعض السلف: بل عندها كمدة الحره للعموم الآية ولان هذا امر جلي فكان الحرائر

(٢) أي من قوله لا مرفوعا

في سقوط العقوبة لا في الكفارة ولو قال لزوجه ان قربتك فعبدي حر أو ضربتك فأنت طالق أو لله على عتق عبد أو صوم أو صلاة فهو مول لان المولي من يلزمه أمر بالوطء ويوقف بعد مضي المدة فان فاه يقع الطلاق أو العتق المعلق به وان التزم في الذمة تلزمه كفارة البين في قول وفي قول يلزمه ما التزم في ذمته من الاعاق أو الصلاة أو الصوم (ان عزموا الطلاق) أي حققوه بالابتناع (فان الله سميع) انزلهم (علمهم) بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطاق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها لانه شرط فيه الازم وقال (فان الله سميع علمهم) فدل على انه يقضي مسموعا والقول هو الذي يسمع قوله تعالى (والمطلقات) أي الخليات من حبال أزواجهن (يتربصن) ينظرن (بأنفسهن ثلاثة قروء) فلا يتزوجن والقروء جمع قرء مثل فرع (٣) وجمعه القليل اقروء والجمع الكثير اقراء (٤) واختلف أهل العلم في القروء فذهب جماعة الى انها الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود

(٣) لعله قروء
 (٤) كذا في
 النسخين والموافق
 للغة أن يقال اقراء
 واقراء جمع قلة وقروء
 جمع كثرة. قال ابن
 مالك
 * افعلة افعل ثم فعلة *
 * ثمة أفعال جموع قلة *

والاماء في هذا سواء حكى هذا القول الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن محمد بن سيرين وبعض أهل الظاهر وضمغه وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل يعني ابن عياش عن عمرو بن مہاجر عن أبيه أن أسماء بنت يزيد بن السكن الانصارية قالت : طلق علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطابقة عدة فأُنزل الله عز وجل حين طُلقت امماء العدة للطلاق فتكاثرت أول من نزلت فيها العدة للطلاق يعني (والمطلقات يترصدن بأنفسهن ثلاثة قروء) وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقد اختلف السلف والخلف والائمة في المراد بالاقراء ما هو على قولين : (أحدهما) أن المراد بها الاطهار وقال مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنها انتقلت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر حين دخلت في الدم من الحيضة الثالثة فذكرت ذلك لعمره بنت عبد الرحمن فقالت صدق عروة وقد جادلها في ذلك ناس فقلوا : ان الله تعالى يقول في كتابه (ثلاثة قروء) فقالت عائشة : صدقتم وتدرؤن ما الاقراء ؟ أما الاقراء الاطهار وقال مالك عن ابن شهاب سمعت أبا بكر بن عبد الرحمن يقول : ما أدركت أحدا من فقهاءنا الا وهو يقول ذلك يريد قول عائشة وقال مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول . اذا طلق الرجل امرأته فدخلت في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبريء منها وقال مالك وهو الامر عندنا وروي مثله عن ابن عباس وزيد بن ثابت وسالم والقاسم وعروة وسليمان بن يسار وأبي بكر بن عبد الرحمن وابن عثمان وعطاء بن أبي رباح وقنادة والزهري وبقية الفقهاء السبعة وهو مذهب مالك والشافعي وابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد . اليه ذهب الارزاعي والثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قال المستحاضة «دعي الصلاة أيام أفرائك» وإنما تدع المرأة الصلاة أيام حيضها وذهب جماعة الى أنها الاطهار وهو قول زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعائشة وهو قول الفقهاء السبعة والزهري وبه قال ربيعة ومالك والشافعي واحتجوا بان ابن عمر رضي الله عنه لما طلق امرأته وهي حائض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر «مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء أمسك وان شاء طلق قبل ان يمس فذلك المدة التي أمر الله ان يطلق لها النساء» فأخبر ان زمان العدة هو الطهر ومن جهة اللغة قول الشاعر :

فني كل عام أنت جاشم غزوة * نشد لا قصاها عزيم عرائكا

مورثة مالا وفي الحي (١) رفعة * لما ضاع فيها من قروء نساكنا

وأراد به أنه كان يخرج الى الغزو ولم يغش نساءه فتضيع اقراؤه وانما تضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف تظهر في ان المعتدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة تنقضي عدتها على قول من يجعلها اطهارا ونحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قروءا قالت عائشة رضي الله عنها : اذا عنت المطلقة في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبريء منها ومن ذهب الى ان الاقراء هي الحيض بقول لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ، وهذا الخلاف من حيث ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض جميعا يقال اقراأت المرأة اذا حاضت واقراأت اذا طهرت فهي مقرءة

(١) وفي تفسير ابن جرير : الذكر بدل الحي وفي ابن كثير : الاصل

وغير واحد وداود وأبي ثور وهو رواية عن أحمد واستدلوا عليه بقوله تعالى (فطاهروهن لعدتهن) أي في الاطهار ولما كان الطهر الذي يطلق فيه محسباً دل على أنه أحد الاقراء الثلاثة المأمور بها ولهذا قال هؤلاء . ان المعتدة تنقضي عدتها وتبين من زوجها بالطعن في الحيضة الثالثة وأقل مدة تصدق فيها المرأة في انقضاء عدتها اثنان وثلاثون يوماً ولحظتان واستشهد أبو عبيد وغيره على ذلك بقول الشاعر وهو الاعشى

فني كل عام أنت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزم عزائك
(١) ن الازد عدا مورثة مالا () وفي الاصل رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائك

بمدح أميراً من أمراء العرب أثر الغزو على المقام حتى ضاعت أيام الطهر من نسائه لم يواقعهن فيها . والقول الثاني أن المراد بالاقراء الحيض فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة زاد آخرون برفع غسل منها وأقل وقت تصدق فيه المرأة في انقضاء عدتها ثلاثة وثلاثون يوماً ولحظة قال الثوري عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال : كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاءته امرأة فقالت : ان زوجي فارقي واحدة أو اثنتين فجاءني وقد نزع ثيابي وأغلقت بابي فقال عمر لعبد الله بن مسعود : أراها امرأته ما دون أن تحل لها الصلاة قال : وأنا أرى ذلك . وهكذا روي عن أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وأنس بن مالك وابن مسعود ومعاذ وأبي بن كعب وأبي موسى الأشعري وابن عباس وسعيد بن المسيب وعلقمة والاسود واختلفوا في أصله فقال أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة هو الوقت لمجيء الشيء . وذهابه يقال رجع فلان لقرنه وإنارته أي لوقته الذي يرجع فيه وهذا قارىء الرياح أي وقت هبوبها قال مالك بن الحارث الهذلي :

(٢) وفي ابن جرير
شئت وهو بمعنى
كرهت

كرهت (٢) العقر عقر بني شليل إذا هبت لفارثها الرياح
أي لوقتها والفرد يصلح للوجهين لان الحيض يأتي لوقت والطهر مثله وقيل هو من القرو وهو الحبس والجمع تقول العرب : ما قرأت الناقة سلاقط أي لم تضم رحمها على ولد ومنه قرئت الماء في المفرة وهي الحوض أي جمته بترك هزها فالقرو هنا احتباس الدم واجتماعه فعلى هذا يكون التبرجيع فيه للطهر لانه يحبس الدم ويجمعه والحيض يرخيه وبرسلة وجملة الحكم في العدد أن المرأة إذا كانت حاملاً فعدها بوضع الحمل سواء وقعت الفرقة بينها وبين الزوج بالطلاق أو بالموت لقوله تعالى (وأولات الاحمال أجلهن أن يوضن حمالهن) فان لم تكن حاملاً نظر إن وقعت الفرقة بينهما يموت الزوج فعليه أن تمتد بأربعة أشهر وعشر سواء مات الزوج قبل الدخول أو بعده وسواء كانت المرأة من تحيض أو لا تحيض لقول الله (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) وإن وقعت الفرقة بينهما بالطلاق في الحياة نظر إن كان قبل الدخول بها فلا عدة عليها لقول الله تعالى (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لهن من عليم

وابراهيم ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة والشعبي والربيع ومقاتل بن حبان والسدي ومكحول والضحاك وعطاء الخراساني أنهم قالوا : الاقراء الحيض وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه وأصح الروايتين عن الامام احمد بن حنبل وحكى عنه الاثر انه قال الاكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون الاقراء الحيض وهو مذهب الثوري والاوزاعي وابن أبي ليلى وابن شبرمة والحسن بن صالح بن حي وأبي عبيد واسحق بن راهويه . ويؤيد هذا ما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي من طريق المنذر بن المغيرة عن عروة ابن الزبير عن فاطمة بنت أبي حبيش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها « دعي الصلاة أيام أفرانك » فهذا لو صح لكان صريحا في ان القرء هو الحيض ولكن المنذر هذا قل فيه ابو حاتم مجهول ليس بمشهور وذكره ابن حبان في الثقات وقال ان جرير أصل القرء في كلام العرب الوقت لمجيء الشيء المعتاد مجيئه في وقت معلوم ولادبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم وهذه العبارة تقتضي ان يكون مشتركا بين هذا وهذا وقد ذهب اليه بعض الاصوليين والله أعلم . وهذا قول الاصمعي ان القرء هو الوقت . وقال أبو عمرو بن العلاء : العرب تسمي الحيض قرءا وتسمي الطهر والحيض جميعا قرءا . وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر : لا يختلف أهل العلم بلسان العرب والفقهاء ان القرء يراد به الحيض ويراد به الطهر وإنما اختلفوا في المراد من الآية ما هو على قولين

(١) مكان

من عدة تعتدونها) وان كان بعد لدخول نظر ان كانت المرأة ممن لم تحض قط أو بلغت في الكبر ضمن الايسات فمدتها ثلاثة أشهر لقول الله تعالى (واللاتي يؤسن من الحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن) وان كانت ممن تحيض فمدتها ثلاثة أشهر لقوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) وقوله (يتربصن بأنفسهن) لفظه خبر ومعناه أمر وعدة لامة ان كانت حاملا بوضع الحمل كالبرة وان كانت حائضا في اوقاف عدتها شهران وخمس لبال وفي الطلاق ان كانت ممن تحيض فعدتها قرءان وان كانت ممن لا تحيض فشهر ونصف وقيل شهران كالتقنين في حق من تحيض قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينكح البعد امرأتين ويهملن طلفتين وتعدن الامة بحيضتني فان لم تكن تحيض فشهرا أو شهرا ونصفا

(٢) من الحيض
الزمن
تعد

وقوله عز وجل (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) فل عكرمة : يعني الحيض وهو أن يربد الرجل مراجعتها فنقول قد حضت الثلاثة وقال ابن عباس وقتادة يعني الحمل ومعنى الآية لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض والحمل انتبطل حق لزوج من الرجعة والولد (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) معناه أن هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة في هذا الحكم سواء كما نقول أد حقنا إن كنت مؤمنا يعني أداء الحقوق من قبل المؤمنين (وبعولتهن) يعني أزواجهن جمع بعل كالفحولة جمع فحل يعني الزوج بعلا لقيامه بأموار زوجته وأصل البعل السيد والمالك (أحق بردهن) أولى برجعتهن اليهم (في ذلك) أي في حال العدة

(٣) في الشهر
ابن جرير : الذي
قال الحق في
كتمان الامل

وقوله (ولا يحل لمن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) أي من حبل أو حبض. قاله ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي والحكم بن عبيدة والربيع بن أنس والضحاك وغير واحد. وقوله (إن كن يؤمن بالله واليوم) تهديد لمن على خلاف الحق ودل هذا على أن المرجع في هذا اليقين لأنه أمر لا يعلم إلا من جنتهن ويتعذر إقامة البينة غالبا على ذلك فرد الأمر اليقين وتوعدن فيه اثلا بخبرن بغير الحق أما استمجالا منها لا نقضاء العدة أو رغبة منها في تطويلها لما لها في ذلك من المقاصد فأمرت أن تخبر بالحق في ذلك من غير زيادة ولا نقصان

وقوله (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا) أي وزوجها الذي طلقها الحق بردها مادامت في عدتها إذا كان مراده بردها الإصلاح والخير وهذا في الرجعات فأما المطلقات البوئن فهم يكن حال نزول هذه الآية مطلقة بائن وإنما كان ذلك لما حصروا في الطلاق (١) الثلاث فأما حال نزول هذه الآية فكان لرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة فلما قصرروا في الآية التي بعدها على ثلاث تطليقات صار للناس مطلقة بائن وغير بائن وإذا تأملت هذا تبين لك ضعف ما سلكه بعض الأصوليين من استشهادهم على مسئلة عود الضمير هل يكون مخصصا لما تقدمه من لفظ العموم أم لا بهذه الآية الكريمة فإن التمثيل بها غير مطلق لما ذكره والله أعلم

وقوله (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) أي ولهن على الرجال من الحق مثل ما الرجال عليهن

(إن أرادوا إصلاحا) أي إن أرادوا بالرجعة الإصلاح وحسن العشرة لا الاضرار كما كانوا يفعلونه في الجاهلية كالرجل يطلق امرأته فإذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم تركها مدة ثم طلقها فإذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يتصد بذلك تطويل العدة عليها (ولهن) أي للنساء. على الأزواج مثل الذي عليهن للأزواج بالمعروف قال ابن عباس في معناه: إني أحب أن زين لا يراي كما تحب امرأتي أن تزين لي لأن الله تعالى قال: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر بن طرفة الشجري أنا أبو سليمان الخطابي أخبرنا أبو بكر بن داسه أنا أبو دارد السجستاني أنا موسى بن اسماعيل أنا حماد أنا أبو قزعة سويد بن حجر الباهلي عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال: قلت يا رسول الله ما حق زوجه أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت وأن تكسوها إذا كتسيت ولا تفرب الوجه ولا تفتح ولا تهجر إلا في البيت» أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا محمد بن الحجاج أنا أبو بكر ابن أبي شبة أنا حاتم بن اسماعيل المدني عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرد قصة حجة الوداع إلى أن ذكر خطبته يوم عرفة قال: «فأتوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا نكروهنه فان فعان ذلك فاضربوهن ضربا غير

«١» ن الأزهر:
الطائقات

فليؤد كل واحد منهما الى الآخر ما يجب عليه بالمعروف كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع « فاتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكمهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » وفي حديث بهز بن حكيم عن معاوية بن حيدة القشيري عن ابيه عن جده انه قال يا رسول الله ما حق زوجة احدنا قال « ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في المبيت » وقل وكيع عن بشير بن سليمان عن عكرمة عن ابن عباس قال : اني لاحب أن أتزين للمرأة كما احب ان تزين لي المرأة لان الله يقول (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقوله (والرجال عليهن درجة) اي في الفضيلة في الخلق والخلق والمنزلة وطاعة الامر والانفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والاخرة كما قال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم)

وقوله (والله عز و ز حكيم) اي عز و ز في انتقامه ممن عصاه وخالف امره حكيم في امره وشرعه وقدره

(٢٢٨) الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكما أن تأخذا

مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما إن تمسكتن به ان تضلوا بعده كتاب الله وأنتم تسئلون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس اللهم اشهد ثلاث مرات أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى أنا احمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن احمد الطوسي أنا محمد بن يحيى أنا بلى بن عبيد أنا محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلفا وخياركم خياركم لنسائكم »

قوله تعالى ﴿ والرجال عليهن درجة ﴾ قال ابن عباس : بما ساق اليها من المهر وأنفق عليها من المال وقال قتادة : بالجهد وقيل بالعقل وقيل بالشهادة وقيل بالميراث وقيل بالدية وقيل بالطلاق . لان الطلاق بيد الرجال وقيل بالرجعة وقال سفيان وزيد بن أسلم : بالامارة وقال القتيبي (وللرجال عليهن درجة) معناه فضيلة في الحق ﴿ والله عز و ز حكيم ﴾ أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا ابو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الصغار أخبرنا احمد بن محمد بن عيسى البرقي أنا حذيفة أنا سفيان عن الاعمش عن أبي ظبيان أن معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها »

قوله تعالى ﴿ الطلاق مرتان ﴾ روي عن عروة بن الزبير قال : كان الناس في الابتداء من غير

مما أتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله. فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما ان افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (٢٢٩) فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره. فإن طلقها فلا جناح عليهما

أن يترابعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون
هذه الآية الكريمة رافعة لما كان عليه الامر في ابتداء الاسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله الى ثلاث طلقت وأباح الرجعة في المرة والثنتين وابتأها بالكفاية في الثالثة. فقال (الطلاق مرتان فإسك بمعروف أو تسريح بإحسان) قال ابوداود رحمه الله في سننه (باب نسخ المراجعة بعد الطلقات الثلاث) حدثنا احمد بن محمد المروزي حدثني علي بن حسين بن واقد عن ابيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في ارحامهن) الآية. وذلك ان الرجل كان اذا طلق امرأته فهو أحق برجعته وان طلقها ثلاثا فنسخ ذلك فقال (الطلاق مرتان) الآية. ورواه النسائي عن زكريا بن يحيى عن اسحق بن ابراهيم عن علي بن الحسين به. وقال ابن ابي حاتم: حدثنا هرون بن اسحق حدثنا عبدة يعني بن سليمان عن هشام بن عروة عن ابيه ان رجلا قال لامرأته: لا اطلقك ابدا ولا آويك ابدا قالت: وكيف ذلك؟ قال: اطلق حتى اذا دنا اجلك راجعتك فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل (الطلاق مرتان) وهكذا رواه ابن جرير في تفسيره من طريق جرير بن عبد الحميد وابن ادریس. ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن جعفر بن عون كلهم عن هشام عن ابيه قال: كان الرجل أحق برجعة امرأته وان طلقها ما شاء ما دامت في العدة وان رجلا من الانصار غضب على امرأته فقال: والله لا آويك ولا افارقك قالت: وكيف ذلك؟ قال: اطلقك فاذا دنا اجلك راجعتك ثم اطلقك فاذا دنا اجلك راجعتك فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصر ولا عدد وكان الرجل يطلق امرأته فاذا قاربت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها كذلك ثم راجعها يقصد مضارنها فنزلت هذه الآية (الطلاق مرتان) يعني الطلاق الذي يملك الرجعة عقيب مرتان فاذا طلق ثلاثا فلا تحل له الا بعد نكاح زوج آخر

قوله تعالى ﴿فإسك بمعروف﴾ قيل أراد بالامساك الرجعة بعد الثانية والصحيح أن المراد منه الامساك بعد الرجعة يعني اذا راجعها بعد الرجعة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف. والمعروف كل ما يعرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة ﴿أو تسريح بإحسان﴾ هو أن يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها وقبل الطلقة الثالثة قوله تعالى ﴿أو تسريح بإحسان﴾

فأنزل الله عز وجل (الطلاق مرتان) قال : فاستقبل الناس الطلاق من كان طلق ومن لم يكن طلاق وقد رواه أبو بكر بن مردويه من طريق محمد بن سليمان عن يعلى بن شبيب مولى الزبير عن هشام عن أبيه عن عائشة فذكره بنحو ما تقدم : ورواه الترمذي عن قتيبة عن يعلى بن شبيب به . ثم رواه عن أبي كريب عن ابن إدريس عن هشام عن أبيه مرسلًا وقال : هذا أصح . ورواه الحاكم في مستدركه من طريق يعقوب بن حميد بن كاسب عن يعلى بن شبيب به وقال : صحيح الإسناد ثم قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لم يكن للطلاق وقت، يطلق الرجل امرأته ثم يراجعها ما لم تنقض العدة وكان بين رجل من الانصار وبين أهله بعض ما يكون بين الناس فقل : والله لا تركنك لا أبا ولا ذات زوج، فجعل يطلقها حتى اذا كادت العدة أن تنقضي راجعها ففعل ذلك مرارا فأنزل الله عز وجل فيه (الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح باحسان) فوقت الطلاق ثلاثا لا رجعة فيه بعد الثالثة حتى تنكح زوجا غيره وهكذا روي عن قتادة مرسلًا ذكره السدي وابن زيد وابن جرير كذلك واختار أن هذا تفسير هذه الآية . وقوله (فامسك بمعروف أو تسريح باحسان) أي اذا طلقها واحدة أو اثنتين فأنت مخير فيها ما دامت عدتها باقية بين أن تردّها اليك ناويا الاصلاح بها والاحسان اليها وبين أن تتركها حتى تنقضي عدتها فتبين منك وتطلق سراحا محسنا اليها لا تظلمها من حقها شيئا ولا تضار بها . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : اذا طلق الرجل امرأته تطليقتين فليتيق الله في ذلك أي في الثالثة فاما أن يمسكها بمعروف فيحسن صحابتها أو يسرحها باحسان فلا يظلمها من حقها شيئا . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني سفيان الثوري حدثني إسماعيل بن سميع قال : سمعت أبا رزين يقول : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت قول الله عز وجل (فامسك بمعروف أو تسريح باحسان) أين الثالثة قال : « التسريح باحسان » ورواه عبد بن حميد في تفسيره ولفظه أخبرنا يزيد بن أبي حكيم عن سفيان عن إسماعيل بن سميع أن أبا رزين الاسدي يقول : قل رجل يا رسول الله أرأيت قول الله (الطلاق مرتان) فأين الثالثة ؟ قال « التسريح باحسان الثالثة » ورواه الامام أحمد أيضا . وهكذا

وصريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاثة : الطلاق والفرق والسراح . وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فحسب وجملته الحكم فيه أن الحر اذا طلق زوجته طلقة أو طليقتين بعد الدخول بها يجوز له مراجعتها بنهر رضاها ما دامت في العدة ران لم يراجعها حتى انقضت عدتها أو طلقها قبل الدخول بها أو خالها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذن وايها فان طلقها ثلاثا فلا تحل له مالم تنكح زوجا غيره . وأما العبد اذا كانت تحته امرأة فطلقها طليقتين فالها لا تحل له الا بعد نكاح زوج آخر . واختلف أهل العلم فيما اذا كان أحد الزوجين رقيقا فذهب أكثرهم الى أنه يعتبر عدد

رواه سعيد بن منصور عن خالد بن عبد الله عن اسماء بن زكريا وأبي معاوية عن اسماعيل بن سميع عن أبي رزين به وكذا رواه ابن مردويه أيضا من طريق قيس بن الربيع عن اسماعيل بن سميع عن أبي رزين به مرسلًا ورواه ابن مردويه أيضا من طريق عبد الواحد بن زياد عن اسماعيل بن سميع عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ثم قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحيم حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا عبيد الله بن جرير بن حبيالة حدثنا ابن عائشة حدثنا حماد ابن سلمة عن قتادة عن أنس بن مالك قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ذكر الله الطلاق مرتين فأين الثالثة؟ قال : « (امساك بمعروف أو تسريح بإحسان) »

وقوله (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) أي لا يحل لكم أن تضاجروهن وتضيقوا عليهن ليفتدين منكم بما أعطيتموهن من الاصدقة أو ببضيه كما قال تعالى (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) فأما إن وهبته المرأة شيئا عن طيب نفس منها فقد قال تعالى «فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا» وأما إذا تشاقق الزوجان ولم تقم المرأة بحقوق الرجل وأبفضته ولم تقدر على معاشرته فلها أن تفندي منه بما أعطاها ولا حرج عليها في بذلها له ولا حرج عليه في قبول ذلك منها ولهذا قال تعالى (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به) الآية . فأما إذا لم يكن لها مذر وسألت الافتداء منه فقد قال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب ح وحدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية قال جميعا : حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن حدثه عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة» وهكذا رواه الترمذي عن زبدار عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي به وقال حسن قال : وبزوى عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان ورواه بعضهم عن أيوب بهذا الاسناد ولم يرفعه . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة قال وذكر أبا أسماء وذكر ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة» وهكذا رواه ابو داود وابن ماجه وابو جرير

الطلاق بالزوج فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث طلقات والعبد لا يملك على زوجته الحرة الا طلقتين قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : الطلاق بالرجال والعدة بالنساء يعني يعتبر في عدد الطلاق حال الرجل وفي قدر العدة حال المرأة وهو قول عثمان وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم وبه قال عطاء وسعيد بن المسيب واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب قوم الى أن الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق فبذلك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الامة الا طلقتين وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي

قوله تعالى (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن) أعطيتموهن (شيئا) من المهور وغيرها

من حديث حماد بن زيد به (طريق أخرى) قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا
المعتمر بن سليمان عن ليث بن أبي إدريس عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال «أما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس حرم الله عليها رائحة
الجنة» وقال المختلعات من المناققات. ثم رواه ابن جرير والترمذي جميعا عن أبي كريب عن مزاحم
ابن داود بن علي عن أبيه عن ليث هو ابن أبي سليم عن أبي الخطاب عن أبي زرعة عن أبي إدريس
عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المختلعات هن المناققات» ثم قال الترمذي:
غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي (حديث آخر) قال ابن جرير: حدثنا أيوب حدثنا
حفص بن بشر حدثنا قيس بن الربيع عن أشعث بن سوار عن الحسن عن ثابت بن يزيد عن عقبة
ابن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان المختلعات المنتزعات هن المناققات» غريب
من هذا الوجه ضعيف (حديث آخر) قال الامام أحمد: حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا أيوب
عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم «المختلعات والمنتزعات هن المناققات»
(حديث آخر) قال ابن ماجه: حدثنا بكر بن خلف أبو بشر حدثنا أبو عاصم عن جعفر بن يحيى
ابن ثوبان عن عمه عمارة بن ثوبان عن عطاء عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
«لا تسأل امرأة زوجها الطلاق في غير كنهه فتجد ربح الجنة وان ربحها ليوجد من مسيرة أربعين
عاما» ثم قد قال طائفة كثيرة من السلف وأئمة الخلف إنه لا يجوز الخلع الا أن يكون الشقاق والنشوز
من جانب المرأة فيجوز للرجل حينئذ قبول الفدية واحتجوا بقوله تعالى (ولا يحل لكم ان تأخذوا
مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله) قالوا: فلم يشرع الخلع الا في هذه الحالة فلا
يجوز في غيرها الا بدليل والاصل عدمه ومن ذهب الى هذا ابن عباس وطاوس وإبراهيم وعطاء
والحسن والجمهور حتى قال مالك والاوزاعي: لو أخذ منها شيئا وهو مضار لها وجب رده اليها وكان
الطلاق رجعي قال مالك: وهو الامر الذي أدركت الناس عليه وذهب الشافعي رحمه الله الى انه
يجوز الخلع في حار الشقاق وعند الاتفاق بطريق الاولى والاخرى وهذا قول جميع أصحابه قاطبة
وحكى الشيخ ابو عمر بن عبد البر في كتاب الاستذكار له عن بكر بن عبد الله المزني انه ذهب الى
أن الخلع منسوخ بقوله (وآتينهم احداهن قنطارا فلانأخذوا منه شيئا) ورواه ابن جرير عنه وهذا
ثم استثنى الخلع فقال (الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله) نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي
أوفى ويقال في حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها
فكان بينهما كلام فأتت أباها فشكت اليه زوجها وقالت له أنه يسيء الي ويضربني فقال ارجعي
الى زوجك فأتى أكره للمرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال: فرجعت اليه الثانية وهما
أثر الضرب فقال لها: ارجعي الى زوجك، فلما رأت ان أباها لا يشكيها أتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فشكت اليه زوجها وأرته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو فأرسل

قول ضعيف وماخذ مردود على قائله وقد ذكر ابن جرير رحمه الله ان هذه الآية نزلت في شأن ثابت
ابن قيس بن شماس وامراته حبيبة بنت عبد الله بن ابي بن سلول ولذا ذكر طرق حديثها واختلاف
الفاظه: قال الامام مالك في موطئه عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة
انها اخبرته عن حبيبة بنت سهل الانصاري انها كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج الى الصبح فوجد حبيبة بنت سهل عند بابه في الغلس فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم «من هذه؟» قت: «أنا حبيبة بنت سهل فقال «ما شألك» فقالت: لا
أنا ولا ثبت بن قيس لزوحها فلما جاء زوجها ثابت بن قيس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
«هذه حبيبة بنت سهل قد ذكرت ماشاء الله ان تذكر» فقالت حبيبة: يا رسول الله كل ما أعطاني
عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خذ منها» فأخذ منها وجلست في اهلها. وهكذا
رواه الامام احمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن مالك باسناده مثله ورواه ابو داود عن القعني
عن مالك والنسائي عن محمد بن مسلمة عن ابن اقامم عن مالك (حديث آخر) عن عائشة. قال ابو
داود وابن جرير: حدثنا محمد بن معمر حدثنا ابو عامر حدثنا ابو عمرو السدوسي عن عبد الله بن
ابي بكر عن عمرة عن عائشة ان حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس فضر بها
فانكسر (١) بعضها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الصبح فاشتكت اليه فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثابتا فقال «خذ بعض ما لها وقارقها» قال: ويصاح ذلك يا رسول الله؟ قال «نعم»
قال: اني أصدقها حديثين فهما يدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم «خذها وقارقها» ففعل وهذا
لفظ ابن جرير وأبو عمرو السدوسي هو سعيد بن مسلمة بن ابي الحسام (حديث آخر) فيه عن ابن
عباس رضي الله عنه. قال البخاري: حدثنا أزهر بن جميل أخبرنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا خالد
عن عكرمة عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله: ما أعيب عليه في خلق ولا دين ولكن اكره الكفر في الاسلام فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «اتردبن عليه حديثه» قالت: نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اقبل الحديثه
وطارقها تطليقة» وكذا رواه النسائي عن أزهر بن جميل باسناده مثله ورواه البخاري أيضا به عن
اسحق الواسطي عن خالد هو ابن عبد الله الطحان عن خالد هو ابن مهران الخذاء عن عكرمة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت بن قيس فقال «مالك ولاهلك؟» قال: والذي بعثك
بالحق نبيا ما على وجه الارض أحب الي منها غيرك فقال لها: ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين سألتها فقالت: صدق يا رسول الله ولكن قد خشيت ان يهلكني فاخرجني
منه وقالت: يا رسول الله ما كنت لاحدئك حديثا ينزل الله عليك خلافة فهو من اكرم الناس
محبة لزوجته ولكني ابغضه فلا انا ولا هو. قال ثابت: يا رسول الله قد أعطيتها حديثه فقل لها ان
تردها علي واخلي سبيلها فقال لها «تردين عليه حديثه وتملكين أمرك» قالت: نعم فقال رسول الله صلى

منه تلخف

فقدت نه فابعدا

عنا

منه تلخف

فقدت نه فابعدا

عنا

منه تلخف

فقدت نه فابعدا

عنا

منه تلخف

فقدت نه فابعدا

عنا

منه تلخف

فقدت نه فابعدا

عنا

منه تلخف

فقدت نه فابعدا

عنا

منه تلخف

فقدت نه فابعدا

عنا

منه تلخف

فقدت نه فابعدا

عنا

منه تلخف

فقدت نه فابعدا

عنا

ابن عباس به نحوه ، وهكذا رواه البخاري من طرق عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس وفي بعضها أنها قالت : لا أطيقه يعني بغضا . وهذا الحديث من افراد البخاري من هذا الوجه . ثم قال حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن عكرمة ان جميلة رضي الله عنها — كذا قال — والمشهور ان اسمها حبيبة كما تقدم لكن قال الامام ابو عبد الله بن بطة : حدثني ابو يوسف يعقوب ابن يوسف الطباخ حدثنا ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (١) حدثنا عبيد الله ابن عمر التواري حدثني عبد الاعلى حدثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس ان جميلة بنت ضلول انت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : والله ما اعتب على ثابت بن قيس في دين ولا خلق ولكنني اكره الكفر في الاسلام لا اطيقه بغضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم « تردبن عليه حديثه ؟ » قالت : نعم . فأمره النبي صلى الله عليه وسلم ان يأخذ ماساق ولا يزداد وقد رواه ابن مردويه في تفسيره عن موسى بن هرون حدثنا أزهر بن مروان حدثنا عبد الاعلى مثله (١) وهكذا رواه ابن ماجه عن أزهر بن مروان باسناده مثله سواء وهو اسناد جيد مستقيم وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا الحسين بن واقد عن ثابت عن عبد الله ابن رباح عن جميلة بنت عبد الله بن أبي رملول أنها كانت تحت ثابت بن قيس فذبرت عليه فأرسل اليها النبي صلى الله عليه وسلم فقال « يا جميلة ما كرهت من ثابت ؟ » قالت : والله ما كرهت منه ديناً ولا خلقاً إلا أنني كرهت دملته فقال لها : « أتردبن عليه الحديث ؟ » قالت نعم فردت الحديث وفرق بينهما . وقال ابن جرير أيضاً حدثنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا المتمر بن سليمان قل قرأت على فضيل عن أبي جرير أنه سأل عكرمة هل كان للخلع أصل ؟ قال : كان ابن عباس يقول ان أول خلع كان في الاسلام في أخت عبد الله بن أبيي أنها أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا يجمع رأسي ورأسه شيء أبداً إني رفعت جانب الحجاب فرأيتك قد أقبل في عدة فإذا هو أشد هم سواداً وأقصر رهم قاماً وأقبحهم وجهاً فقال زوجها يا رسول الله إني قد أعطيتها أفضل مالي حديثاً لي فان ردت علي حديثي قال : ما تقولين ؟ قالت : نعم وإن شاء زدت . قال ففرق بينهما (حديث آخر) قال ابن ماجه : حدثنا أبو كريب حدثنا أبو خالد الأحمر عن حماد بن عمار عن شعيب عن أبيه

«١» سقطت هذه الرواية من نسخة الازهر

«١» صرح في نسخة الازهر بلفظ الحديث هنا لسقوط الرواية التي قبلها وفيها فأمره أن يأخذ منها حول يفتته

الله عليه وسلم « يا ثابت خذ منها ما أعطيتها واخل سبيلها » ففعل . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا زاهر بن جميل أخبرنا عبد الوهاب الثقفي أنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان امرأة ثابت بن قيس أنت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ما اعتب عليه في خلق ولا دين ولكنني اكره الكفر في الاسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتردبن عليه حديثه ؟ » قالت : نعم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقبل الحديث وطاعة تطليقة . قوله تعالى (الا ان يخافا) أي يملأ (ان لا يقيا حدود الله) قرأ ابو جعفر وحمة ويعقوب (الا أن يخافا) بضم الياء أي يعلم ذلك منهما يعني يعلم القاضي والوالي

عن جده قال : كانت حبيسة بنت سهل تحت ثابت بن قيس بن شماس وكان رجلا دميما فذلت :
يا رسول الله والله لو لا مخافة الله اذا دخل علي بصقت في وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« نردين عليه حديثه » قالت نعم فردت عليه حديثه قال ففرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد اختلف الائمة رحمهم الله في أه هل يجوز للرجل ان يفاديهما بأكثر مما أعطاه فذهب
الجمهور الى جواز ذلك اعموم قوله تعالى (فلا جناح عليهما فيما افندت به) وقال ابن جرير : حدثنا
يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا أيوب عن كثير مولى ابن سمرة أن عمر أنى بامرأة ناشز
فأمر بها الى بيت كثير الزبل ثم دعا بها فقال كيف وجدت ؟ فقالت ما وجدت راحة منذ كنت
عنده الا هذه الليلة التي كنت حبستني فقال لزوجها اخلمها ولو من قرطها ورواه عبد الرزاق عن
معمر عن أيوب عن كثير مولى ابن سمرة فذكر مثله وزاد فحبسها فيه ثلاثة أيام قال سعيد بن أبي
عسوبة عن قتادة عن حميد بن عبد الرحمن أن امرأة أتت عمر بن الخطاب فشكت زوجها فأباتها في
بيت الزبل فلما أصبحت قال كيف وجدت مكاك ؟ قالت ما كنت عنده ليلة أفر لعيني من هذه
الليلة . فقال خذ ولو عقاصها وقال البخاري : وأجاز عثمان الخلع دون عقاص رأسها وقال عبد الرزاق
أخبرنا معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل أن الربيع بنت معوذ بن عفراء حدثته قالت : كان لي
زوج يقل علي الخير اذا حضرنى ويحرمني اذا غاب عني قالت فكانت مني زلة يوما فقلت : أختلع
منك بكل شيء أملكه قال : نعم قالت ففعلت قالت فخاصم عمي معاذ بن عفراء الى عثمان بن عفان
فأجاز الخلع وأمره أن يأخذ عقاص رأسي فما دونه أو قالت ما دون عقاص الرأس ومعنى هذا أنه
يجوز أن يأخذ منها كل ما يدها من قليل وكثير ولا يترك لها سوى عقاص شعرها وبه يقول ابن
عمر وابن عباس ومجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وقيصة بن ذؤيب والحسن بن صالح وعثمان البني
وهذا مذهب مالك والليث والشافعي وأبي ثور واختاره ابن جرير وقال أصحاب أبي حنيفة ان كان
الاضرار من قبلها جاز أن يأخذ منها ما أعطاه ولا يجوز الزيادة عليه فان ازداد جاز في القضاء وان
كان الاضرار من جهته لم يجز أن يأخذ منها شيئا فان أخذ جاز في القضاء وقال الامام احمد وأبو عبيد
واسحق بن راهويه لا يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاه وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء وعمر و
ابن شعيب والزهري وطائفة والحسن والشعبي وحماد بن أبي سلمان والربيع بن أنس قال معمر

ذلك من الزوجين بدليل قوله تعالى (فان خفتم) فخل الخوف لغير الزوجين ولم يقل فان خفا
وقرأ الآخرون (يخافا) بفتح الياء أي يعلم الزوجان من أنفسهما (أن لا يبقيا حدود الله) يحرف
المرأة ان تعصى الله في امر زوجها ويخاف الزوج اذا لم تطعه امرأته ان يعتدي عليها فهى الله الرجل
ان يأخذ من امرأته شيئا مما آتاها الا ان يكون النشوز من قبلها فقالت : لا أطيع لك امرا ولا أطأ
لك مضجعا ونحو ذلك

قال الله تعالى (فان خفتم ألا يبقيا حدود الله فلا جناح عليهما فيما افندت به) أي فيما افندت

والحكم كان علي يقول لا يأخذ من المختلعة فوق ما أعطاها وقال الاوزاعي القضاة لا يجوزون أن يأخذ منها أكثر مما ساق إليها (قلت) ويسند لهذا القول بما تقدم من رواية قتادة عن عكرمة عن ابن عباس في قصة ثابت بن قيس فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منها الحديقة ولا يزداد وبما روى عبد بن حميد حيث قال: أخبرنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها يعني المختلعة وحملوا معنى الآية على معنى (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أي من الذي أعطاها لتقدم قوله (ولا تأخذوا مما آتيتكموهن شيئا إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أي من ذلك وهكذا كان يقرؤها الربيع بن أنس (فلا جناح عليهما فيما افتدت به منه) رواه ابن جريج ولهذا قال بعده (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) (فصل) قول الشافعي: اختلف أصحابنا في الخلع فأخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طارس عن ابن عباس في رجل طلق امرأته تطليقتين ثم اختلعت منه بعد: يتزوجها إن شاء لأن الله تعالى يقول الطلاق مرتان — قرأ إلى — أن يتراجعا قال الشافعي: رأخبرنا سفيان عن عمرو عن عكرمة قال: كل شيء أجازه المال فليس بطلاق وروى غير الشافعي عن سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار عن طارس عن ابن عباس أن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص سأله فقال: رجل طلق امرأته تطليقتين ثم اختلعت منه أيتزوجها؟ قال: نعم ليس الخلع بطلاق ذكر الله الطلاق في أول الآية وآخرها والخلع فيما بين ذلك فليس الخلع بشيء ثم قرأ (الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان) وقرأ (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) وهذا الذي ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما من أن الخلع ليس بطلاق وإنما هو فسخ هو رواية عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان وابن عمر وهو قول طاوس وعكرمة وبه يقول أحمد بن حنبل وأسحق بن راهويه وأبو نؤير وداود بن علي الظاهري وهو مذهب الشافعي القديم وهو ظاهر الآية الكريمة وأقول الثاني في الخلع أنه طلاق بائن إلا أن ينوي أكثر من ذلك قال مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن جهمان مولى الأسلميين عن أم بكر الأسلمية أنها اختلعت من زوجها عبد الله بن خالد بن أسيد فأتيا عثمان به المرأة نفسها منه قال الفراء: أراد بقوله (عليهما) الزوج دون المرأة فذكرهما جميعا لاقتراحهما كقوله تعالى (نسيتا حونهما) وإنما النسي قى موسى دون موسى وقيل أراد أنه لا جناح عليهما جميعا لا جناح على المرأة في النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية ولا فيما افتدت به وأعطت من المال لأنها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ منها من المال إذا أعطته طائفة وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الخلع جائز على أكثر مما أعطاها وقال الزهري: لا يجوز بأكثر مما أعطاها من المهر. وقال سعيد بن المسيب: لا يأخذ منها جميع ما أعطاها بل يترك شيئا ويجوز الخلع على غير حال النشوز غير أنه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب. أخبرنا أبو سعيد الشريفي أنا أبو

ابن عفان في ذلك فقال تطليقة الا أن تكون سميت شيئا فهو ما سميت قال الشافعي ولا أعرف
جهما وكذا ضعف احمد بن حنبل هذا الاثر والله أعلم. وقد روي نحوه عن عمرو بن علي وابن مسعود وابن
عمر وبه يقول سعيد بن المسيب والحسن وعطاء وشريح والشعبي وابراهيم وجابر بن زيد واليه
ذهب مالك وأبو حنيفة وأصحابه والثوري والاوزاعي وأبو عثمان البتي والشافعي في الجديد غير أن
الحنفية عندهم أنه متى نوى الخلع بخلعه تطليقة أو اثنتين أو أطلق فهو واحدة بائنة وإن نوى ثلاثا
فثلاث وللشافعي قول آخر في الخلع وهو أنه متى لم يكن بلفظ الطلاق وعري عن البينة فليس هو
بشيء بالسكينة

(مسألة) وذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي واحمد وأسحق بن راهويه في رواية عنهما وهي
المشهورة إلى أن المختلعة عدتها عدة المطلقة بثلاثة قروء إن كانت ممن تحيض وروي ذلك عن عمر
وعلي وابن عمر وبه يقول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعروة وسالم وأبو سلمة وعمر بن عبد
العزيز وابن شهاب والحسن والشعبي وابراهيم النخعي وأبو عياض وخلاس بن عمر وقنادة وسفيان
الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وأبو عبيد الله الترمذي وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة
وغيرهم ومأخذهم في هذا أن الخلع طلاق فتعتمد كسائر المطلقات والقول الثاني أنها تعتمد بحیضة واحدة
تستبرأ بها زوجها قال ابن أبي شيبة حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر أن الربيع اختلعت
من زوجها فأثني عليها عثمان رضي الله عنه فقال تعتمد بحیضة قال وكان ابن عمر يقول تعد ثلاث حيض حتى قال
هذا عثمان فكان ابن عمر يفتي به ويقول عثمان خيرنا وأعلمنا. وحدثنا عبدة عن عبيد الله عن نافع عن
ابن عمر قال: عدة المختلعة حيضة. وحدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن ليث عن طاوس عن ابن
عباس قال: عدتها حيضة وبه يقول عكرمة وإبان بن عثمان وكل من تقدم ذكره ممن يقول أن الخلع
فسخ يلزمه القول بهذا واحتجوا لذلك بما رواه أبو داود والترمذي حيث قال كل منهما حدثنا محمد بن
عبد الرحيم البغدادي: حدثنا علي بن يحيى أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر بن عمرو بن مسلم عن
عكرمة عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت من زوجها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها
النبي صلى الله عليه وسلم أن تعتمد بحیضة ثم قال الترمذي ح ن غريب وقد رواه عبد الرزاق عن
معمر بن عمرو بن مسلم عن عكرمة مرسلا (حديث آخر) قال الترمذي: حدثنا محمود بن غيلان

أسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجوية الدينوري أنا عبد الله بن محمد بن شيبة أنا أحمد بن جعفر
المستملي أنا أبو محمد يحيى بن أسحق بن شاكر بن أحمد بن خباب أنا عباس بن يونس أنا عبيد الله
ابن الوليد الوصافي عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن
من أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق ولا أحب إليه من العتق » أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا
أبو أسحق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أنا ابن أبي أنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة أنا أبي أنا
إمامة عن حماد بن زيد عن أبي أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان يرفعه إلى

حدثنا الفضل بن موسى عن سفيان حدثنا محمد بن عبد الرحمن وهو مولى آل طلحة عن سليمان بن يسار عن الربيع بنت معوذ بن عفراء أنها اختلعت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن امرت أن تعتد بحیضة قال الترمذی : الصحيح أنها امرت أن تعتد بحیضة (طريق أخرى) قال ابن ماجه : حدثنا علي بن سلمة النيسابوري حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد حدثنا ابي عن ابن اسحق اخبرني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قال : قلت لها حدثيني حديثك قالت : اختلعت من زوجي ثم جئت عثمان فسألت عثمان ماذا علي من العدة ؟ قال : لا عدة عليك الا أن يكون حديث عهد بك فتمكثين عنده حتى يحضي حیضة قالت : وانما أتبع في ذلك قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مريم المغالية وكان تحت ثابت بن قيس فاخلعت منه وقد روى ابن لهيعة عن أبي الاسود عن أبي سلمة ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوان عن الربيع بنت معوذ قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر امرأة ثابت بن قيس حين اختلعت منه أن تعتد بحیضة

(مسئلة) وليس للمخالع أن يراجع المختلعة في العدة بغير رضاها عند الائمة الاربعة وجمهور العلماء لانها قد ملكت نفسها بما بذلت له من العطاء وروي عن عبدالله بن أبي أوفى ومאהان الحنفي وسعيد بن المسيب والزهري أنهم قالوا : إن رد اليها الذي أعطاها جاز له رجعتها في العدة بغير رضاها وهو اختيار أبي نوري رحمه الله وقال سفيان الثوري : ان كان الخلع بغير لفظ الطلاق فهو فرقة ولا سبيل له عليها وان كان يسمى طلاقا فهو أملك لرجعتها ما دامت في العدة وبه يقول داود بن علي الظاهري واتفق الجميع على أن المختلعة أن يتزوجها في العدة وحكى الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن فرقة أنه لا يجوز له ذلك كما لا يجوز لغيره وهو قول شاذ مردود

(مسئلة) وهل له أن يوقع عليها طلاقا آخر في العدة ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء : (أحدها) ليس له ذلك لانها قد ملكت نفسها وبانت منه وبه يقول ابن عباس وابن الزبير وعكرمة وجابر بن زيد والحسن البصري والشافعي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبو ثور، والثاني قال مالك : ان أتبع الخلع طلاقا من غير سكوت بينهما وقع وان سكت بينهما لم يقع قال ابن عبد البر : وهذا يشبه ما روي عن عثمان رضي الله عنه، والثالث أنه يقع عليها الطلاق بكل حال ما دامت في العدة وهو النبي صلى الله عليه وسلم قال « ايما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة » وقال طاوس : الخلع يختص بحالة خوف النشوز الظاهر الآية . والآية خرجت على وفق العادة ان الخلع لا يكون الا في حال خوف النشوز غالبا واذا طلق الرجل امراته بلفظ الطلاق على مال فقبلت وقعت البينونة وانقص به العدد . واختلف اهل العلم في الخلع فذهب اكثرهم الى انه تطليقة بائنة ينقص بها عدد الطلاق وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال سعيد بن المسيب وعطاء والحسن والشعبي والنخعي واليه ذهب مالك والثوري والاوزاعي واصحاب الرأي وهو ظاهر قول

قول أبي حنيفة وأصحابه والثوري والأوزاعي وبه يقول سعيد بن المسيب وشريح وطاوس وإبراهيم
والزهري والحاكم والحاكم وحماد بن أبي سليمان وروى ذلك عن ابن مسعود وأبي الدرداء قال ابن
عبد البر : وليس ذلك بثابت عنهما

وقوله (تلك حدود الله فلا تعتدوها) ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (أي هذه
الشرائع التي شرعها لكم هي حدوده فلا تتجاوزوها كما ثبت في الحديث الصحيح « ان الله حد
حدودا فلا تعتدوها وفرض فرائض فلا تضيعوها وحرم محارم فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة
لكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » وقد يستدل بهذه الآية من ذهب الى أن جمع الطلقات الثلاث
بكلمة واحدة حرام كما هو مذهب المالكية ومن وافقهم وإنما السنة عندهم أن يطلق واحدة لقوله
(الطلاق مرتان) ثم قال (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)
ويقوون ذلك بحديث محمود بن لبيد الذي رواه النسائي في سننه حيث قال : حدثنا سليمان بن داود
أخبرنا ابن وهب عن مخرمة بن بكير عن أبيه عن محمود بن لبيد قال : أخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن رجل طاق امرأته ثلاث تطالعات جميعا فقام غضبان ثم قال : « أيلعب بكتاب الله
وأنا بين أظهركم » حتى قام رجل فقال يا رسول الله ألا أقنله ؟ — فيه انقطاع —

وقوله تعالى (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) أي أنه إذا طلق الرجل
امرأته طليقة واحدة بعد ما أرسل عليها الطلاق مرتين فأنها تحرم عليه (حتى تنكح زوجا غيره) أي حتى
يطلقها زوج آخر في نكاح صحيح فلو وطئها واطي في غير نكاح ولو في ملك العبد لم تحل للاول لانه
ليس بزواج رهكذا لو تزوجت ولكن لم يدخل بها الزوج لم تحل للاول واشهر بين كثير من الفقهاء
أن (١) سعيد بن المسيب رحمه الله أنه يقول : يحصل المقصود من تحليها الاول بمجرد العقد على الثاني
وفي صحته عنه نظر على أن الشيخ أبا عمر بن عبد البر قد حكاه عنه في الاستذكار والله أعلم . وقد
قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله : حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن علقمة ابن
الشافعي وذهب قوم الى انه فسخ لا ينتقض به عدد الطلاق وهو قول عبد الله بن عمر وعبد الله بن
عباس رضي الله عنهم . وبه قال عكرمة وطاوس واليه ذهب أحمد واسحق واحتجوا بأن الله تعالى
ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر بعده الطليقة الثالثة فقال (فإن طلقها فلا تحل له من
بعد حتى تنكح زوجا غيره) ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا ومن قال بالقول الاول جعل
الطليقة الثالثة (او تسريح باحسان)

قوله تعالى (تلك حدود الله) أي هذه أوامر الله ونواهيه وحدود الله ما منع الشرع من
المجاوزة عنه (فلا تعتدوها) فلا تتجاوزوها (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)
قوله تعالى (فإن طلقها) يعني الطليقة الثالثة (فلا تحل له من بعد) أي من بعد الطليقة الثالثة
(حتى تنكح زوجا غيره) أي غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول الوطء والعقد جميعا نزلت في

مرثد عن سالم بن رزين عن سالم بن عبد الله عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يتزوج المرأة فيطلقها قبل أن يدخل بها البتة فيتزوجها زوج آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها أترجع إلى الأول؟ قال: « لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها هكذا وقع في رواية ابن جرير وقد رواه الإمام أحمد فقال: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاتمة بن مرثد قال: سمعت سالم بن رزين يحدث عن سالم بن عبد الله يعني ابن عمر عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يتزوج المرأة فيطلقها ثم يتزوجها رجل فيطلقها قبل أن يدخل بها أترجع إلى زوجها الأول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « حتى تذوق العسيلة » وهكذا رواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس وابن ماجه عن محمد بن بشار بن دار كلاهما عن محمد بن جعفر غندر عن شعبة به كذلك فهذا من رواية سعيد بن المسيب عن ابن عمر مرفوعا على خلاف ما يحكي عنه فبهيد أن يخلف ما رواه بنير مستند والله أعلم. وقد روى أحمد أيضا والنسائي وابن جرير هذا الحديث من طريق سفيان الثوري عن عاتمة بن مرثد عن رزين بن ساجان الأحمري عن ابن عمر قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يطلق امرأته ثلاثا فيتزوجها آخر فينلق الباب ويرخي الستر ثم يطلقها قبل أن يدخل بها هل تحمل للأول؟ قال: « حتى تذوق العسيلة » وهذا لفظ أحمد وفي رواية لأحمد سليمان بن رزين (حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا محمد بن دينار حدثنا يحيى بن يزيد الهنائي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثا فنزوجت بـمده رجلا فطلقها قبل أن يدخل بها أمحل لزوجها الأول؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا حتى يكون الآخر قد ذوق من عسيلتها وذاق من عسيلته » وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن إبراهيم الأنماطي عن هشام بن عبد الملك حدثنا محمد بن دينار فذكره (قلت) ومحمد بن دينار بن صندل أبو بكر الأزدي ثم الطائي البصري ويقال له ابن أبي الفرات اختلفوا فيه فمنهم من ضعفه ومنهم من قواه وقبله وحسن له وذكر أبو داود أنه تغير قبل موته فـالله أعلم. (حديث آخر) قال ابن جرير: حدثنا عبيد بن آدم عن أبي أياس العسقلاني حدثنا أبي حدثنا شيبان حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي الحارث الغفاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرأة يطلقها زوجها ثلاثا فتزوج غيره فيطلقها قبل أن يدخل بها فيريد الأول أن يراجعها قال: « لا حتى يذوق الآخر عسيلتها » ثم رواه من وجه آخر عن شيبان وهو ابن عبد الرحمن به. وأبو الحارث غير معروف. (حديث آخر) قال ابن جرير: حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثنا القاسم عن عائشة أن رجلا طلق امرأته ثلاثا فنزوجت

بـمده رجلا (١)

ثميمة وقيل في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي كانت تحت ابن عمها رافعة بن وهيب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الحلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أخبرنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة أم المؤمنين

زوجاً فطلقها قبل أن يمسه فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحمّل للال؟ فقال: «لا حتى يذوق من عسيلتها كما ذاق الاول» أخرجه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن عبيد الله بن عمر العمري عن القاسم بن أبي بكير عن عمته عائشة به (طريق أخرى) قال ابن جرير: حدثنا عبيد الله بن اسماعيل الهباري وسفيان بن وكيع وأبو هشام الرقاعي قالوا: حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل طلق امرأته فتزوجت رجلاً غيره فدخل بها ثم طلقها قبل أن يواقعها أتحمّل لزوجها الاول؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحمّل لزوجها الاول حتى يذوق الآخر عسيلتها وتذوق عسيلته» وكذا رواه أبو داود عن مسدد والنسائي عن أبي كريب كلاهما عن أبي معاوية وهو محمد بن حازم الضرير به (طريق أخرى) قال مسلم في صحيحه: حدثنا محمد بن العلاء الهمداني حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المرأة يتزوجها الرجل فيطلقها فتزوج رجلاً آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها أتحمّل لزوجها الاول؟ قال: «لا حتى يذوق عسيلتها» قال مسلم: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو فضيل (?) وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية جميعاً عن هشام بهذا الاسناد وقد رواه البخاري من طريق أبي معاوية محمد بن حازم عن هشام به وتفرد به مسلم من الوجهين الآخرين وهكذا رواه ابن جرير من طريق عبد الله بن المبارك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعاً بنحوه أو مثله وهذا اسناد جيد وكذا رواه ابن جرير أيضاً من طريق علي ابن زيد بن جده عن امرأة أبيه أمينة أم محمد عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وهذا السياق مختصر من الحديث الذي رواه البخاري حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى عن هشام بن عروة حدثني أبي عن عائشة مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبيدة عن هشام بن عروة عن عائشة أن رفاعاً القرظي تزوج امرأة ثم طلقها فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له أنه لا يأتيها وأنه ليس معه الا مثل هدية الثوب فقال: «لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك» تفرد به من هذا الوجه (طريق أخرى) قال الامام احمد حدثنا عبد الاعلى عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: دخلت امرأة رفاعاً القرظي وأتانا أبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ان رفاعاً طلقني البتة وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وأنا مرضي الله عنها انه سمعنا نقول: جاءت امرأة رفاعاً القرظي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعاً القرظي فطلقني فبنت طلاق وتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وأنا معه مثل هدية الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «اتريدان ان ترجعي الى رفاعاً» قالت نعم قال: «لا حتى يذوق عسيلتك وتذوق عسيلته» وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فأت نصديقك في الآخر فلبثت حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فأنت ابا بكر رضي

عنده مثل الهدبة وأخذت هدبة من جلبابها وخالد بن سعيد بن العاص بالباب لم يؤذن له فقال .
 أبا بكر الا تنهى هذه عما تجهر به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زاد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن التبريد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كأنك تريد أن ترجعني الى رفاعة ؟ لا حتى
 تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك » وهكذا رواه البخاري من حديث عبد الله بن المبارك ومسلم من
 حديث عبد الرزاق والنسائي من حديث يزيد بن زريع ثلاثهم عن معمر بن وهب وفي حديث عبد
 الرزاق عند مسلم أن رفاعة طلقها آخر ثلاث تطليقات وقد رواه الجماعة الا ابو داود من طريق سفيان
 بن عيينة والبخاري من طريق عقيل بن مسلم من طريق يونس بن يزيد وعنده آخر ثلاث تطليقات
 والنسائي من طريق ايوب بن موسى ورواه صالح بن ابي الاخير كلهم عن الزهري عن عروة عن
 عائشة به . وقال مالك عن المسور بن رفاعة القرظي عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير أن رفاعة
 ابن سموأل طلق امرأته تميمية بنت وهب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا فنكحت عبد الرحمن
 ابن الزبير فاعترض عنها فلم يستطع أن يمسا ففارقها فأراد رفاعة بن سموأل أن ينكحها وهو زوجها
 الاول الذي كان طلقها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه عن تزويجها وقال « لا تحل
 لك حتى تذوق العسيلة » هكذا رواه أصحاب الموطأ عن مالك وفيه اقطاع وقد رواه ابراهيم بن
 طهمان وعبد الله بن وهب عن مالك عن رفاعة عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير عن أبيه فوصله
 (فصل) والمقصود من الزوج الثاني أن يكون رغبة في المرأة قاصدا للدرام عشرتها كالمشروع
 من التزويج واشترط الامام مالك مع ذلك أن يطأها الثاني وطأ مباحا فلو وطئها وهي محرمة أو صائمة
 أو معتكفة أو حائض أو نفساء أو الزوج صائم أو محرم أو معتكف لم تحل للاول بهذا الوطء وكذا
 لو كان الزوج الثاني ذميا لم تحل للمسلم بنكاحه لارأى نكحة الكفار باطلة عنده واشترط الحسن البصري
 فيما حكاه عنه الشيخ أبو عمر بن عبد البر أن ينزل الزوج الثاني وكأنه نكاح بما فهمه من قوله عليه
 الصلاة والسلام حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك ويلزم على هذا أن تنزل المرأة أيضا وليس المراد
 بالعسيلة المنى لما رواه الامام أحمد والنسائي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال « ألا ان العسيلة الجماع » فأما اذا كان الثاني إنما قصده أن يحلها للاول فهذا هو المحلل الذي
 وردت الاحاديث بذكره ولعمري متى صرح بمقصوده في المقدم بطل النكاح عند جمهور الائمة

﴿ ذكر الاحاديث الواردة في ذلك ﴾

(الحديث الاول) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال الامام أحمد : حدثنا الفضل بن دكين
 الله عنه فقالت : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع الى زوجي الاول فان زوجي الآخر
 قد مسني وطلقني فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتيتك وقال لك ما
 قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه أتت عمر رضي الله عنه فقالت له مثل ذلك
 فقال لها عمر رضي الله عنه : لا ترجعي اليه لأن رجعت اليه لارجع بك

حدثنا سفيان عن أبي قيس عن الهزيل عن عبد الله قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم «الواشمة والمستوشمة والوصلة والمستوصلة والمحلل والمحلل له وآكل الربا وموكله» ثم رواه أحمد والترمذي والنسائي من غير وجه عن سفيان وهو الثوري عن أبي قيس واسمه عبد الرحمن بن ثروان الاودي عن هذيل بن شرحبيل الاودي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم به ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . قال : والعمل على هذا عند أهل العلم من الصحابة منهم عمر وعثمان وابن عمر وهو قول الفقهاء من التابعين وروى ذلك عن علي وابن مسعود وابن عباس (طريق أخرى) عن ابن مسعود . قال الامام احمد : حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبيد الله عن عبد الكريم عن أبي الواصل عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لعن الله المحلل والمحلل له» (طريق أخرى) روى الامام احمد والنسائي من حديث الاعمش عن عبد الله بن مرة عن الحارث الاور عن عبد الله بن مسعود قال : آكل الربا وموكله وشاهدها وكاتبه اذا علموا به والواصل والمستوصلة ولاوي الصدقة والمتعدي فيها والمرتد عن عقبيه أعرايسا بعد هجرته والمحلل والمحلل له ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة

(الحديث الثاني) عن علي رضي الله عنه قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن جابر عن الشعبي عن الحارث عن علي قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه والواشمة والمستوشمة للحسن وماتم الصدقة والمحلل والمحلل له وكان ينهى عن الزوح وكذا رواه عن غندر عن شعبة عن جابر وهو ابن يزيد الجعفي عن الشعبي عن الحارث عن علي به وكذا رواه من حديث اسماعيل بن أبي خالد وحسين بن عبد الرحمن ومجالد بن سعيد وابن عون عن عامر الشعبي به وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث الشعبي به . ثم قال أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله أخبرنا إسرائيل عن أبي اسحق عن الحارث عن علي قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الربا وآكله وكاتبه وشاهده والمحلل والمحلل له

(الحديث الثالث) عن جابر رضي الله عنه قال الترمذي : أخبرنا أبو شعيبه الاشج أخبرنا أشعث ابن عبد الرحمن بن يزيد الايامي حدثنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله وعن الحارث عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المحلل والمحلل له ثم قال : وليس اسناده بالقائم ومجالد ضعفه

قوله تعالى ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ يعني فإن طلقها الزوج الثاني بعد ما جامعا (فلا جناح عليهما) يعني على المرأة وعلى الزوج الاول (ان يتراجعا) يعني بنكاح جديد ﴿أَنْ ظَا﴾ أي علما وقيل رجاء لان احدا لا يعلم ما هو كائن الا الله عز وجل ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ يعني ان يقيما حدود الله أي يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة وقال مجاهد : معناه ان علما ان نكاحهما على غير الداسة واراد بالداسة التحليل وهو مذهب سفيان الثوري والاوزاعي ومالك واحمد واسحق قالوا اذا تزوجت المطلقة ثلاثة زواجا آخر ليحلها للزوج الاول فإن النكاح فاسد وذهب جماعة الى انه

نقص في
بعض الروايات
في لعن الله
نفسه شريكها
فعله

غير واحد من أهل العلم منهم أحمد بن حنبل قال : ورواه ابن نمير عن مجاهد عن الشعبي عن جابر ابن عبد الله عن علي قال : وهذا وهم من ابن نمير والحديث الاول أصح

(الحديث الرابع) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه . قال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري أخبرنا أبي سمعت الليث بن سعد يقول . قال أبو المصعب مسرح هو ابن عاهان (١) قال عقبة عامر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بالليس المستعار » قالوا : بلى يا رسول الله قال « هو المحلل ، لعن الله المحلل والمحلل له » تفرد به ابن ماجه وكذا رواه ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني عن عثمان بن صالح عن الليث به ، ثم قال : كانوا ينكرون على عثمان في هذا الحديث انكارا شديدا (قلت) عثمان هذا أحد الثقات روى عنه البخاري في صحيحه ثم قد تابعه غيره فرواه جعفر الغرياني عن العباس المعروف بابن فريق عن أبي صالح عبد الله بن صالح عن الليث به فبرئ من عهدته والله أعلم

« ١ » وفي نسخة

الازهر: أبو المصعب

سرح بن عاهان . ولم

أجد الحديث في سنن

ابن ماجه

(الحديث الخامس) عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عامر عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له (طريق أخرى) قال الامام الحافظ خطيب دمشق أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني السعدي حدثنا بن أبي مريم حدثنا ابراهيم بن اسماعيل بن أبي حنيفة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المحلل قال « لا » الانكاح رغبة لانكاح داسة ولا استهزاء بكتاب الله ثم يذوق عسيلتها » ويتقوى هذان الاسنادان بما رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن حميد بن عبد الرحمن عن موسى بن أبي الفرات عن عمرو بن دينار عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو من هذا فيتقوى كل من هذا المرسل والذي قبله بالآخر والله أعلم .

(الحديث السادس) عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال الامام أحمد : حدثنا أبو عامر حدثنا عبد الله هو ابن جعفر عن عثمان بن محمد المقبري عن أبي هريرة قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له . وهكذا رواه أبو بكر بن أبي شيبة والجوزجاني والبيهقي من طريق عبد الله بن جعفر القرشي وقد وثقه أحمد بن حنبل وعلى بن المديني ويحيى بن معين وغيرهم وأخرج له مسلم في

اذا لم يشترط في النكاح مع الثاني انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل ولما صدق مثلها غير انه بكره اذا كان في عزمها ذلك أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل التميمي أخبرنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو احمد عبد الله بن عدى الحافظ أنا الحسن بن الفرج أخبرنا عمرو ابن خالد الحراني أنا عبيد الله بن عبد الكريم هو الجزري عن أبي واصل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لعن الله المحلل والمحلل له » وقال نافع أتى رجل ابن عمر فقال له ان رجلا طلق امرأته ثلاثا فانطلق له أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا إنكاح

صحيحه عن عثمان بن محمد الاخشي وثقه بن معين عن سعيد المقبري وهو متفق عليه
(الحديث السابع) عن ابن عمر رضي الله عنهما . قول الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو العباس
الاصم حدثنا محمد بن اسحق الصنعاني حدثنا سعيد بن أبي مریم حدثنا أبو يمان محمد بن مطرف
المدني عن عمر بن نافع عن أبيه أنه قال : جاء رجل الى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا
فزوجها أخ له من غير مؤامرة منه ليحلها لآخيه هل يحل الاول فقال : لا إلا نكاح رغبة كنا نعد
هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : هذا حديث صحيح لا سناد ولم يخرجاه وقد رواه
الثوري عن عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر به وهذه الصيغة مشعرة بالرفع وهكذا روى أبو بكر بن
أبي شيبة والجززجاني وحرب الكرمانى وأبو بكر الاثرم من حديث الاعمش عن المسيب بن رافع عن
قبيصة بن جابر عن عمر أنه قال : لا أوتى بمحل ولا بمسل له الا رجعتا وروى البيهقي من حديث
ابن لهية عن بكير بن الاشج عن سليمان بن يسار أن عثمان بن عفان رفع اليه رجل تزوج امرأة ليحلها
لزوجها ففرق بينهما وكذا روى عن علي وابن عباس وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم
وقوله (فان طلقها) أي الزوج الثاني بعد لدخول بها (فلا جناح عليهما أن يتراجعا) أي
المرأة والزوج الاول (ان ظنا أن يقيما حدود الله) أي يتعاشرا بالمعروف . قال مجاهد : ان ظنا أن
نكاحهما على غير داسة (وتلك حدود الله) أي شرائعه وأحكامه (يبينها) أي يوضحها (لقوم يعلمون)
وقد اختلف لائمة رحمهم الله فيما اذا طلق الرجل امرأته طلقة أو طلاقين تركها حتى انقضت عدتها
ثم تزوجت بآخر فدخل بها ثم طلقها فانقضت عدتها ثم تزوجها الاول هل تعود اليه بما بقي من
الثلاث كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وه قول طائفة من الصحابة رضي الله عنهم
أو يكون الزوج الثاني قد هدم ما قبله من الطلاق فاذا عادت الى الاول نود بمجموع الثلاث كما هو
مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله وحجتهم أن الزوج الثاني اذا هدم الثلاث فلان يهدم ما
دونها بطريق الاولى والاخرى والله أعلم

(٢٣١) (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف

ولا تمسكوهن ضرارا لتهتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا

رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« لعن الله المحلل والمحلل له » (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) يعني يعلمون ما أمرهم الله تعالى به
قوله تعالى (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) الآية نزلت في رجل من الانصار يدعى ثابت

ابن يسار طلق امرأته حتى قاربت (١) انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يتصد بذلك مضاربتها قوله تعالى
(فبلغن أجلهن) أي اشرفن على أن تبين بانقضاء العدة ولم يرد حقيقة انقضاء العدة لان العدة ذا
انقضت لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ ههنا بلوغ مقاربة وفي قوله تعالى بعد هذا (فبلغن أجلهن فلا

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُعَظِّمُ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا
 أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلرِّجَالِ إِذَا طَلَّقُوا الْمَرْأَةَ طَلَاقًا عَلَيْهِ فِيهِ رَجْعَةٌ أَنْ يَحْسِنَ فِي
 أَمْرِهَا إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا مَقْدَارٌ مَا يُمْكِنُهُ فِيهِ رَجْعَتُهَا ، فَلَمَّا أَنْ يُمْسِكَهَا أَيْ يَرْتَجِعُهَا
 إِلَى عَصْمَةِ نِكَاحِهِ بِمَعْرُوفٍ وَهُوَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَى رَجْعَتِهَا وَبِنُيْ عَشْرَتِهَا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ يَسْرِحَهَا أَيْ يَتْرُكَهَا
 حَتَّى تَنْقَضِيَ عِدَّتُهَا وَيُخْرِجَهَا مِنْ مَنْزِلِهِ بِأَتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنْ غَيْرِ شِقَاقٍ وَلَا مُخَاصَمَةٍ وَلَا تَقَابُحٍ قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى (وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِمَنْدُوهُنَّ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَمَسْرُوقٌ وَالْحَسَنُ رِقْدَاةً وَالضُّحَاكُ
 وَالرِّبْعُ وَمُقَاتِلُ بْنُ حَبِيَّانٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ : كَانَ الرَّجُلُ يَطْلُقُ الْمَرْأَةَ فَإِذَا قَارَبَتْ انْقِضَاءَ الْعِدَّةِ رَاجِعُهَا
 ضِرَارًا لِمَنْ لَا تَذْهَبُ إِلَى غَيْرِهِ ثُمَّ يَطْلُقُهَا فَتَتَدَفَّأُ فَإِذَا شَارَفَتْ عَلَى انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ طَلَّقَ لِنُطُولِ عَلَيْهَا الْعِدَّةِ
 فَتَهَامُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَتَوَعِّدُهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) أَيْ بِمُخَالَفَتِهِ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى
 وَقَوْلَهُ تَعَالَى (وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ أَخْبَرَنَا أَبُو كَرِيبٍ
 أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ الْأُرْدِيِّ
 عَنْ حَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَضِبَ عَلَى الْأَشْعَرِيِّينَ
 فَأَنَاهُ أَبُو مُوسَى فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَضِبْتَ عَلَى الْأَشْعَرِيِّينَ ؟ فَقَالَ « يَقُولُ أَحَدُكُمْ قَدْ طَلَّقَتْ قَدْ رَاجَعَتْ
 لَيْسَ هَذَا طَلَاقُ الْمُسْلِمِينَ طَلَّقُوا الْمَرْأَةَ فِي قَبْلِ عِدَّتِهَا » ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَبِي خَالِدٍ الدِّلَالِ وَهُوَ
 يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَفِيهِ كَلَامٌ . وَقَالَ مَسْرُوقٌ : هُوَ الَّذِي يَطْلُقُ فِي غَيْرِ كِتَابِهِ وَيَضَارُ أَمْرُهَا بِطَلْقِهَا
 وَارْتِجَاعُهَا لِنُطُولِ عَلَيْهَا الْعِدَّةِ . وَقَالَ الْحَسَنُ وَتَمَادَّةُ وَعَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ وَالرَّبِيعُ وَمُقَاتِلُ بْنُ حَبِيَّانٍ : هُوَ
 الرَّجُلُ يَطْلُقُ وَيَقُولُ : كُنْتُ لَأَعْبَا أَوْ يَعْتَقُ أَوْ يَنْكِحُ وَيَقُولُ كُنْتُ لَأَعْبَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَلَا تَتَّخِذُوا
 آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا) فَأَلْزَمَ اللَّهُ بِذَلِكَ . وَقَالَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ
 الصَّيْرَفِيُّ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْسَارِيُّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَحْيَى عَنْ سَفْيَانَ عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ
 ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : طَلَّقَ رَجُلٌ امْرَأَتَهُ وَهُوَ يَلْعَبُ لَا يَرِيدُ الطَّلَاقَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ

تَعْضُلُوهُنَّ) حَقِيقَةُ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ وَالْبُلُوغِ يَتَنَاوَلُ الْمَعْنِيِّينَ يَقَالُ بَاغَتْ الْمَدِينَةُ إِذَا قَرَبَتْ مِنْهَا وَإِذَا دَخَلَتْهَا (١)
 (فَاْمَسْكُوهُنَّ) أَيْ رَاجِعُوهُنَّ (بِمَعْرُوفٍ) قَبْلَ الْمَرَاةِ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ يَشْهَدَ عَلَى رَجْعَتِهَا وَأَنْ يَرَاةِهَا
 بِالْقَوْلِ لَا بِالْوَطْءِ (أَوْ يَسْرِحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) أَيْ أَتْرُكُوهُنَّ حَتَّى تَنْقَضِيَ عِدَّتُهُنَّ فَيَكُنْ أَمْلَاكُ بِالْمَعْنِ
 (وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِمَنْدُوهُنَّ) أَيْ لَا تَقْصِدُوا بِالرَّجْعَةِ الْمُضَارَّةَ بِتَطْوِيلِ الْحَبْسِ (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
 فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) أَيْ أَضَرَّ بِنَفْسِهِ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى (وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا) قَالَ الْكَلْبِيُّ
 يَعْنِي قَوْلَهُ تَعَالَى (فَاْمَسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِأَحْسَنِ) وَكُلٌّ مِنْ خِلَافِ أَمْرِ الشَّرْعِ فَهُوَ مَتَّخِذُ آيَاتِ
 اللَّهِ هُزُوًا وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ هُوَ أَنْ الرَّجُلَ كَانَ يَطْلُقُ امْرَأَتَهُ ثُمَّ يَقُولُ كُنْتُ لَأَعْبَا وَيَتَوَقَّعُ يَقُولُ مِثْلُ

« ١ » وَفِي نَسَخَتِنَا
 إِذَا قَرَبَ مِنْهَا وَإِذَا
 دَخَلَهَا

الانقضاء (١)
 بَابُ لَفَاتِحَةٍ

هزوا) فالزومه رسول الله صلى الله عليه وسلم الطلاق . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عصام بن رواد حدثنا آدم حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن هو البصري قال : كان الرجل يطلق ويقول : كنت لاعبا وبعثت ويقول : كنت لاعبا وينكح ويقول : كنت لاعبا فأنزل الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلق أو أعتق أو نكح أو أنكح جاداً أو لاعباً فقد جاز عليه » وكذا رواه ابن جرير من طريق الزهري عن سليمان بن أرقم عن الحسن مثله وهذا رسل وقد رواه ابن مردويه من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبي الدرداء موقوفاً عليه . وقال أيضاً حدثنا أحمد بن الحسن بن أيوب حدثنا يعقوب بن أبي يعقوب حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا أبو معارية عن اسماعيل بن سلمة عن الحسن عن عبادة بن الصامت في قول الله تعالى (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) قال : كان الرجل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يقول للرجل زوجته ابنتي ثم يقول : كنت لاعباً ويقول : قد أعتقت ويقول : كنت لاعباً فأنزل الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من قالهن لاعباً أو غير لاعب فهن جزئات عليه الطلاق والعاق والنكاح » والمشهور في هذا الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن حبيب بن أدرك عن عطاء عن ابن مالهك عن أبي هريرة قل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة » وقال الترمذي : حسن غريب .

وقوله (واذكروا نعمة الله عليكم) أي في إرساله الرسول بالهدى والبيئات اليكم (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) أي السنة (يعظكم به) أي يأمرهم وينهاهم ويتوعدكم على ارتكاب المحارم (واتقوا الله) أي فيما تأتون وفيما تذررون (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) أي فلا يخفى عليه شيء من أموركم السرية والجهرية وسيجازيكم على ذلك

(٢٣٢) (وإذا طلقتم النساء فبأن أجلهن فلا تمضوهن أن ينكحن أزواجهن إذا

ذلك وينكح ويقول مثل ذلك أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسنوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميني أخبرنا علي بن حجر أخبرنا اسماعيل ابن جعفر عن أبي حبيب بن أدرك هو عبد الرحمن بن حبيب وابن مالهك هو يوسف بن مالهك عن عطاء بن أبي رباح عن أبي مالهك عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة » (واذكروا نعمة الله عليكم) بالايان (وما أنزل عليكم من الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني السنة وقيل مواظ القرآن (يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم » وإذا طلقتم النساء فبأن أجلهن) نزلت في جملة بنت يسار اخت معقل بن يسار المزني كانت تحت أبي البداح عاصم بن عدي بن عجلان فطلقها

تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أذكى لكم واطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآية في الرجل يطلق امرأته طقة أو طلقين فتتقضي عدتها ثم يدوله أن يتزوجها وإن برأها وتريد المرأة ذلك فيمنعها أولياؤها من ذلك فنهى الله أن يمنعها . وكذا روى العوفي عنه عن ابن عباس أيضا ، وكذا قال مسروق وإبراهيم النخعي والزهري والضحاك : أنها أنزلت في ذلك وهذا الذي قالوه ظاهر من الآية وفيها دلالة على أن المرأة لا تملك أن تزوج نفسها وإنه لا بد في النكاح من ولي كما قاله الترمذي وابن جرير عند هذه الآية كما جاء في الحديث « لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فإن الزانية هي التي تزوج نفسها » وفي الأثر الآخر « لا نكاح إلا بولي مرشد وشاهدي عدل » وفي هذه المسئلة نزاع بين العلماء محرز في موضعه من كتب الفروع وقد قررنا ذلك في كتاب الأحكام والله الحذر والمنة . وقد روي أن هذه الآية نزلت في معقل بن يسار المزي وأخته فقال البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح عند تفسير هذه الآية : حدثنا عيسى بن سعيد حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا عباد بن راشد حدثنا الحسن قال حدثني معقل بن يسار قال : كانت لي أخت تخطب لي (ح) قال البخاري وقال إبراهيم عن يونس عن الحسن حدثني معقل بن يسار وحدثنا أبو معمر وحدثنا عبد الوارث حدثنا يونس عن الحسن أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها فأنى معقل فنزلت (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وإن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه من طرق متعددة عن الحسن عن أخيه نافع بن عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أن محمد بن يوسف أن محمد بن إسماعيل أخبرنا أحمد بن أبي عمرو حدثني أبي حدثني أبو هانئ عن يونس عن الحسن قال حدثني معقل بن يسار قال تزوجت أختا لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء بخطيبها فقلت له زوجتك وفرشتك راكركم فطلقتهم جئت بخطيبها لا والله لا تعود إليك أبدا وكان رجلا لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله تعالى ﴿ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ فقلت الآن افعل يا رسول الله قال : فزوجها إياه (١) قوله تعالى ﴿ فبما أنجلهن ﴾ أي انقضت عدتهن (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) أي لا تمنعهن عن النكاح والعضل المنع واصله الضيق والشدة يقال عضلت المرأة إذا تشب ولدها في بطنها فضاقت عليه الخروج والداء العضال الذي لا يطاق وفي الآية دليل على أن المرأة لا تملك عقد النكاح إذا لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضل ولا نهى الولي عن العضل معنى وقيل الآية خطاب مع الأزواج لمنعهم من الأضرار لأن ابتداء الآية خطاب بهم والاول أصح ﴿ إذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴾ بعقد حلال ومهر جائز ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك الذي ذكر من النهي ﴿ يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ وإنما قال ذلك موحدا والخطاب للأولياء

«١» وفي نسخة

« فزوجها إياه »

معقل بن يسار به وصححه الترمذي أيضا ولفظه عن معقل بن يسار انه زوج أخته رجلا من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة لم يراجها حتى انقضت عدتها فمويها وهو بته ثم خطبها مع الخطاب فقال له بالكع بن لكع أكرمك بها وزوجتكها فطلقتها والله لا ترجع اليك أبدا آخر ما عليك قال فعلم الله حاجته اليها وحاجتها الى بعائها فأنزل الله (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) الى قوله (وأنتم لا تعلمون) فلما سمعها معقل قال : سمع لربي وطاعة ثم دعاه فقال أزواجك وأكرمك زاد ابن مردويه : وكفرت عن يميني . وروى ابن جرير عن ابن جريج قال : هي جميل (١) بنت يسار كانت تحت أبي البداح . وقال سفیان الثوري : عن أبي اسحق السبيعي قال هي فاطمة بنت يسار وهكذا ذكر غير واحد من السلف ان هذه الآية نزلت في معقل بن يسار وأخته . وقال السدي : نزلت في جابر بن عبد الله وابنة عم له والصحيح الاول والله أعلم . وقوله (ذلك يومئذ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) أي هذا الذي نهيتكم عنه من منع الولايا ان يتزوجن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف يأتمر به ويقعظ به وينفعل له (من كان منكم أيها الناس يؤمن بالله واليوم الآخر) أي يؤمن بشرع الله ويخاف وعيد الله وعذابه في الدار الآخرة رما فيها من الجزاء (ذلكم أزكى لكم وأطهر) أي اتباعكم شرع الله في رد المولات الى أزواجهن وترك الحمية في ذلك أزكى لكم وأطهر لقلوبكم (والله يعلم) أي من المصالح فيما يأمر به وينهي عنه (وأنتم لا تعلمون) أي الخيرة فيما تأتون ولا فيما تذكرون

(٢٣٢) والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى

المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك. فان أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا لان الاصل في مخاطبة الجمع ذلكم ثم كثر حتى توهموا أن الكاف من نفس الحرف وليست بكاف خطاب فقالوا ذلك فاذا قالوا هذا كانت الكاف موحدا مستوية في الاثنين والجمع والمؤنث والمذكر قيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فلذلك وحدهم رجم الى خطاب المؤمنين فقال (ذلكم أزكى لكم) أي خير لكم (وأطهر) لقلوبكم من الريبة وذلك انه اذا كان في نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن أن يتجاوز ذلك الى غير ما أحل الله لهما ولم يؤمن من الاولياء أن يسبق الى قلوبهم منهما ما لهما أن يكونا بريئين من ذلك فيأتمرن (والله يعلم) أنتم لا تعلمون أي يعلم من حب كل واحد منهما صاحبه ما لا تعلمون أنتم قوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن) أي المطلقات اللاتي لهن اولاد من أزواجهن يرضعن خبر بمعنى الامر وهو امر استحباب لا أمر إيجاب لانه لا يجب عليهن الارضاع اذا كان يوجد من يرضع الولد لقوله تعالى في سورة الطلاق (فان ارضعن لكم فآتهن أجورهن) فان رغب الام في الارضاع فهي أولى من غيرها (حولين كاملين) أي سنتين وذكر السكال لتأكيد كقوله تعالى (ذلك

(١) جميل بضم
الجم مصغر جميل بوزن
قفيل كما وقع في نسخة
الازهر وغيرها

جناح عليهما وان اردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف
واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير

هذا ارشاد من الله تعالى للوالدات ان يرضعن أولادهن كمال الرضاعة وهي سنتان فلا اعتبار بالرضاعة
بعد ذلك ولهذا قال لمن أراد ان يتم الرضاعة وذهب أكثر الأئمة الى انه لا يحرم من الرضاعة الا
ما كان دون الحولين فلو ارتضع المولود وعمره فوقهما لم يحرم . قال الترمذي : (باب ما جاء في الرضاعة
لا تحرم الا في الصغير دون الحولين) حدثنا قتيبة حدثنا أبو عوانة عن هشام بن عروة عن فاطمة
بنت المنذر عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا يحرم من الرضاع الا ما فتق
الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم ان الرضاعة لا تحرم الا ما كان دون الحولين وما
كان بعد الحولين الكاملين فانه لا يحرم شيئا وفاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام وهي امرأة
هشام بن عروة (قالت) تفرد الترمذي برواية هذا الحديث ورجاله على شرط الصحيحين ومعنى
قوله « الا ما كان في الثدي » أي في محال الرضاعة قبل الحولين كما جاء في الحديث لذي رواه أحمد
عن وكيع وغندر عن شعبة عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قول : لما مات ابراهيم بن النبي
صلى الله عليه وسلم قال « ان انبي مات في الثدي ان له مرضعا في الجنة » وهكذا أخرجه البخاري من
حديث شعبة وانما قال عليه السلام ذلك لان ابنه ابراهيم عليه السلام مات وله سنة وعشرة أشهر
فقال ان له مرضعا يعني تكل رضاعه ويؤيده ما رواه الدارقطني من طريق الهيثم بن جميل عن
سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحرم
من الرضاع الا ما كان في الحولين » ثم قال ولم يستدعه عن ابن عيينة غير الهيثم بن جميل وهو ثقة
حافظ (قلت) وقد رواه الامام مالك في الموطأ عن ثور بن زيد عن ابن عباس مرفوعا ورواه
الدروري عن ثور عن عكرمة عن ابن عباس وزاد « وما كان بعد الحولين فليس بشيء » وهذا أصح
وقال أبو داود الطيالسي عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا رضاع بعد
فصال ولا يتم بعد احتلام » وتام الدلالة من هذا الحديث في قوله تعالى (وفصاله في عامين أن
اشكر لي) وقال (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) والقول بأن الرضاعة لا تحرم بعد الحولين يروى عن
عشرة كاملة (رقب) انما قال كاملين لان العرب قد تسمى بعض الحول حولا وبعض الشهر شهرا كما
قال الله تعالى (الحج شهر معلومات) وانما هي شهران وبعض الثالث وقال (فمن تعجل في
يومين فلا اثم عليه) وانما يتمجل في يوم وبعض يوم ويقال أقام فلان بموضع كذا حولين وانما أقام
به حولا وبمض آخر فبين الله تعالى أنهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرا واختلف أهل العلم
في هذا الحد فمنهم من قال هو حد لبعض المولودين فروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما

منه راجع
شأنه في بعض
نحوه في بعض
أمره في بعض

علي وابن عباس وابن مسعود وجابر وأبي هريرة وابن عمر وأم سلمة وسعيد بن المسيب وعطاء والجمهور وهو مذهب الشافعي واحمد واسحق والثوري وأبي يوسف ومحمد ومالك في رواية وعنه أن مدته سنتان وشهران وفي رواية وثلاثة أشهر وقال أبو حنيفة سنتان وستة أشهر وقال زفر بن الهذيل مادام يرضع فإلى ثلاث سنين وهذا رواية عن الاوزاعي . قال مالك : ولو فطم الصبي دون الحولين فأرضعته امرأة بعد فصاله لم يحرم لانه قد صار بمنزلة الطعام وهو رواية عن الاوزاعي وقد روي عن عمر وعلي أنهما قالوا : لا رضاع بعد فصال . فيحتمل أنهما أرادا الحولين كقول الجمهور سواء فطم او لم يفظم ويحتمل أنهما أرادا الفعل كقول مالك والله أعلم . وقد روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت ترى رضاع الكبير يؤثر في التحريم وهو قول عطاء بن أبي رباح ولليث بن سعد وكانت عائشة تأمر بمن تختار أن يدخل عليها من الرجال لبعض نساها فترضعه ويحتاج في ذلك بمحدث سالم مولى أبي حذيفة حيث أمر النبي صلى الله عليه وسلم امرأة أبي حذيفة أن ترضعه وكان كبيراً ما كان يدخل عليها بتلك الرضاعة وأبي ذلك سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورأين ذلك من الخصائص وهو قول الجمهور وحجة الجمهور وهم الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة والأكابر من الصحابة وسائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى عائشة ما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انظرن من اخوانكن فانما الرضاعة من المجاعة » وسيأتي الكلام على انها اذا وضعت ستة أشهر فأنها ترضعه حولين كاملين وان وضعت اسبعة أشهر فأنها ترضعه ثلاثة وعشرين شهراً وان وضعت لتسعة أشهر فأنها ترضعه احداً وعشرين شهراً وان وضعت لعشرة أشهر فأنها ترضعه عشرين شهراً كل ذلك تمام ثلاثين شهراً انوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهراً . وقال قوم هو حد لكل مولود بأبي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين إلا باتفاق الايوين فأبهما أراد الفطام قبل تمام الحولين ليس له ذلك الا ان يجتمع ما عليه لقوله تعالى (فان أراد فصالاً عن تراض منهما وتشاور) وهذا قول ابن جريج والثوري ورواية الوالي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل المراد من الآية بيان ان للرضاع الذي ثبتت الحرمة ما يكون في الحولين فلا يحرم ما يكون بعد الحولين . قال قتادة : فرض الله على الوالدات ارضاع حولين كاملين ثم أنزل التخفيف فقال : « لمن أراد ان يتم الرضاعة » أي هذا منتهى الرضاعة وليس فيها دون ذلك حد محدود وانما هي على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به « وعلى المولود له » يعني الاب « رزقهن » طعامهن « وكوتهن » لباسهن « بالمعروف » أي على قدر الميسرة « لا تكلف نفس الا وسعاً » أي طاقتهم « لا تضار والدة بولدها » قرأ ابن كثير وأهل البصرة برفع الراء نسقا على قوله (لا تكلف) وأصله تضار فادغمت الراء في الراء ، وقرأ الآخرون تضار بنصب الراء وقالوا لما ادغمت الراء في الراء حركت الى أخف الحركات وهو الضرب ومعنى الآية (تضار والدة بولدها) فينزع الولد منها الى غيرها بعد ان رضيت بارضاعه « ولا مولود له بولده » أي لا تاقبه المرأة الى أبيه بعد ما ألفها تضاره بذلك

مسائل الرضاع وفيما يتعلق برضاع الكبير عند قوله تعالى (وأما أنكم ألاقي أرضمنكم) وقوله (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) أي وعلى ولد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف أي بما جرت به عادة أمثالهن في بلدن من غير اسراف ولا إقتار بحسب قدرته في يساره وتوسطه وإقتاراه كما قال تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فإنه ينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) قال الضحاك : إذا طلق زوجته وله منها ولد فأرضعت له ولده وجب على الوالد نفقتها وكسوتها بالمعروف

وقوله (لا تضار والدة بولدها) أي بأن تدفعه عنها تتضرأباه بتربيته ولكن ليس لها دفعه إذا ولدته حتى تسيقه اللبأ الذي لا يبيش بدون تناوله غالبا ثم بعد هذا له دفعه عنها إذا شئت ولكن ان كانت مضارة لآبيه فلا يحل لها ذلك كما لا يحل له انتزاعه منها لمجرد الضرر لها ولهذا قال (ولا مولود له بولده) أي بأن يريد أن ينتزع الولد منها إضرارا بها فإله مجاهد وقنادة والضحاك والزهرى والسدي والثوري وابن زبد وغيرهم

وقوله تعالى (وعلى الوارث مثل ذلك) قيل في عدم الضرر لآبيه فإله مجاهد والشعبي والضحاك وقيل عليه مثل ما على والد الطفل من الاتفاق على ولادة الطفل والقيام بحقوقها وعدم الاضرار بها وهو قول الجمهور وقد استقصى ذلك ابن جرير في تفسيره وقد استدل بذلك من ذهب من الحنفية والحنابلة الى وجوب نفقة الاقارب بعضهم على بعض وهو مروي عن عمر بن الخطاب وجمهور السلف

وقيل معناه (لا تضار والدة) فتكره على أرضاعه إذا كرهت أرضاعه ، وقيل الصبي من غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها (ولا مولود له بولده) فيحتمل ان يعطي الام أكثر مما يجب لها اذا لم يرتضع من غيرها ، فعلى هذين القولين أصل الكرامة لا تضار بفتح الراء الاولى على الفعل المجهول والوالدة والمولود مفعولان ويحتمل ان يكون الفعل لها وتكون تضار بمعنى تضار بكسر الاولى على تسمية الماعل والمعنى (لا تضار والدة) فأبى ان ترضع ولدها ليشق على آبيه (ولا مولود له) أي لا يضار الاب أم الصبي فينزع منه ما يمنعه من أرضاعه ، وعلى هذه الأقوال يرجع الضرر الى الوالدين يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد ويجوز ان يكون الضرر راجعا الى الصبي أي لا يضار كل واحد منهما الصبي ولا ترضعه الام حتى يموت أو لا ينفق الاب أو ينزعه من الام حتى يضر بالصبي فعلى هذا تكون الباء زائدة ومعناه (لا تضار والدة بولدها) ولا أب ولده وكل هذه الأقاويل مروية عن المفسرين

قوله تعالى (وعلى الوارث مثل ذلك) اختلفوا في هذا الوارث فقال قوم هو وارث الصبي معناه وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله مال ورثه مثل الذي كان على آبيه في حال حياته . ثم اختلفوا في أنه أي وارث هو من ورثته فقل بعضهم : هو عصبة الصبي من الرجال مثل الجد والابن وابن الاخ والمم وابن المم وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبه قال اراهم والحسن

وبرشح ذلك بحديث الحسن عن سمرة مرفوعا « من ملك ذا رحم محرم عتق عليه » وقد ذكر أن الرضاعة بعد الحولين ربما ضرت الولد إما في بدنه أو عقله وقال سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة أنه رأى امرأة ترضع بعد الحولين فقال لا ترضعيه

وقوله (فإن أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما) أي فإن اتفق ولدا الطفل على فطامه قبل الحولين ورأيا في ذلك مصلحة له وتشاورا في ذلك وأجما عليه فلا جناح عليهما في ذلك فيؤخذ منه أن أفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر قاله الثوري وغيره وهذا فيه احتياط للطفل وإلزام للنظر في أمره وهو من رحمة الله بعباده حيث حجب على الوالدين في تربية طفلهما وأرشدتهما إلى ما يصلحهما ويصلحه كما قال في سورة الطلاق (فإن أرضعن لكم فآثرهن أجورهن وامنروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى)

وقوله تعالى (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف) أي إذا اتفقت الوالدة والولد على أن يستسلم منها الولد إما لعذر منها أو لعذر له فلا جناح عليهما في بذله ولا عليه في قبوله منها إذا سلمها أجرتها الماضية بالتي هي أحسن واسترضع لولده غيرها بالاجرة بالمعروف قاله غير واحد . وقوله (واتقوا الله) أي في جميع أحوالكم (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) أي فلا يخفى عليه شيء من أحوالكم وأقوالكم

ومجاهد وعطاء وهو مذهب سفيان قلوا إذا لم يكن للصبي مال ينفق عليه أجبرت عصبته الذين يرثونه على أن يسترضعوه ، وقيل هو وارث الصبي من كان من الرجال والنساء وهو قول قتادة وابن أبي ليلى ومذهب أحمد واسحق وقلوا يجبر على نفقته كل وارث على قدر ميراثه عصبية كانوا أو غيرهم . وقال بعضهم هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود فمن ليس بمحرم مثل ابن العم والمولى فقير مراد بالآية وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وذهب جماعة إلى أن المراد بالوارث هو الصبي نفسه الذي هو وارث أبيه المتوفي يكون أجره رضاعه ونفقته في ماله فإن لم يكن له مال فعلى الأم ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله ، وقيل هو الباقي من والدي المولود بعد وفاة الآخر عليه مثل ما كان على الأب من أجره الرضاع والنفقة والكسوة . وقيل ليس المراد منه النفقة بل معناه وعلى الوارث ترك المضاربة وبه قال الشعبي والزهري (فإن أرادا) يعني الوالدين (فصلا) فطاما قبل الحولين (عن تراض منهما) أي اتفاق الوالدين (وتشاور) أي يشاورون أهل العلم به حتى يخبروا أن الفطام في ذلك الوقت لا يضر بالولد والمشاورة استعراج الرأي (فلا جناح عليهما) أي لا حرج عليهما في الفطام قبل الحولين (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لا أولادكم مرضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم أرضاعهم أو تعذر لعلقة بين أو انقطاع ابن أو أردن النكاح (فلا جناح عليكم إذا سلمتم) إلى أمهاتهم (ما آتيتهم) ما سميتهم لمن من

(٢٣٣) والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا

فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير * هذا أمر من الله للنساء اللاتي يتوفى عنهن أزواجهن أن يعتددن أربعة أشهر وعشر ليال وهذا الحكم يشمل الزوجات المدخول بهن وغير المدخول بهن بالاجماع ومستنده في غير المدخول بهن عموم الآية الكريمة وهذا الحديث الذي رواه الامام احمد وأهل السنن وصححه الترمذي أن ابن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها ولم يدخل بها ولم يفرض لها فترددوا اليه مرارا في ذلك فقال أقول فيها برأيي فإن يك صوابا فمن الله وإن يك خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه: لها الصديق كاملا وفي لفظ لها صداق مثلها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث. فقام معقل بن يسار الاشجعي فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به في بروع بنت أجرة الرضاع بقدر ما ارضى وقيل اذا سلمتم أجور المراضع اليهن ﴿ بالمعروف ﴾ قرأ ابن كثير (ما آتيتهم) وفي الروم (وما آتيتهم من ربا) بقصر الالف ومعناه ما فعلتم يقال آتيت جميلا اذا فعلته فعلى هذه القراءة يكون التسليم بمعنى الطاعة والالتقياد لا بمعنى تسليم الاجرة يعني اذا سلمتم لامره واقدمتم لحكمه. وقيل اذا سلمتم للاسترضاع عن تراض وانفاق دون الضرار ﴿ واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير ﴾

قوله تعالى ﴿ والذين يتوفون منكم ﴾ أي يموتون وتوفى آجالهم وتوفى واستوفى بمعنى واحد ومعنى التوفى أخذ الشيء وافيا ﴿ ويذرون أزواجا ﴾ يتركون أزواجا ﴿ يتربصن ﴾ ينتظرن ﴿ بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ﴾ أي يعتددن بترك الزينة والطيب والنفلة على فراق أزواجهن هذه المدة لا ان يكن حوامل فعدهن بوضع الحمل وكانت عدة الوفاة في الابتداء حولا كاملا لقوله تعالى (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا) وصية لازواجهن متاعا الى الحول غير اخراج ثم نسخت بأربعة أشهر وعشر. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: كانت هذه العدة يعني أربعة أشهر وعشرا واجبة عند أهل زوجها فانزل الله تعالى متاعا الى الحول فجعل لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية ان شاءت سكنت في وصيتها وان شاءت خرجت وهو قول الله عز وجل (غير اخراج) فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن (فالعدة كما هي واجبة عليها وقال عطاء قال ابن عباس رضي الله عنهما: نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها وسكنت في وصيتها وان شاءت خرجت قال عطاء: ثم جاء الميراث فنسخ السكنى فتعتد حيث شاءت ولا سكنى لها ويجب عليها الاحداد في عدة الوفاة وهي ان تمتنع من الزينة والطيب فلا يجوز لها تدهين رأسها بأي دهن سواء كان فيه طيب أو لم يكن ولها تدهين جسدها بدهن لا طيب فيه فان كان فيه طيب فلا يجوز ولا يجوز لها ان تكتحل بكحل فيه طيب أو فيه زينة كالكحل الاسود ولا بأس بالكحل الفارسي الذي لا زينة فيه فان اضطرت

واشق ففرح عبد الله بذلك فرحا شديدا وفي رواية فقام رجال من أشجع فقالوا : نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضي به في بروع بنت واشق ولا يخرج من ذلك إلا المتوفى عنها زوجها وهي حامل فإن عدتها برضع الحمل ولو لم تمكث بعده سوى لحظة لعموم قوله (وأولات الاحمال أحلهن أن يضمن حملهن) وكان ابن عباس يرى أن عليها أن تبرص بأبعد الاجلين من الوضع أو أربعة أشهر وعشر للجمع بين الآيتين وهذا مأخذ جيد ومسلك قوي لو لا ما ثبتت به السنة في حديث سبيعة الاسلمية المخرج في الصحيحين من غير وجه أنها توفي عنها زوجها بعد بن خولة وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته وفي رواية فوضعت حملها بعده ليلال فلما تملت من نفاسها نجمت الخطاب فدخل عليها أبو السنبال بن بعكك فقال لها : مالي أراك متجملة لعلك ترجعين النكاح ؟ والله ما أنت بنا كح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر . قالت سبيعة : فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسبت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حلت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي ، قال أبو عمر بن عبد البر : وقد روي أن ابن عباس رجع الى حديث سبيعة يعني لما احتج عليه به قال ويصحح ذلك عنه أن أصحابه فتوا بحديث سبيعة كما هو قول أهل العلم قاطبة . وكذلك يستثنى من ذلك الزوجة اذا كانت أمة فإن عدتها على النصف من عدة الحر شهران وخمس ليلال على قول الجمهور لانها لما كانت على النصف من الحر في الحد فكذلك فلا تكن على النصف منها في العدة . ومن العلماء كمحمد بن سيرين وبعض الظاهرية من يسوي بين الزوجات الحرائر والاماء في هذه المقام لعموم الآية ولأن العدة من باب الاموال الجبلية التي تستوي الى كحل فيه زينة فقد رخص فيه كثير من اهل العلم منهم سالم بن عبد الله وسليمان بن يسار وعطاء والاعمي وبه قال مالك وأصحاب الرأي . وقال الشافعي رحمه الله : تكتحل به ليلا وتمسحه بالنهار قالت أم سلمة : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي أبو سلمة وقد جعلت علي صبر فقال « انه يشب الوجه فلا تجعله الا بالليل وتزعيه بالنهار » ولا يجوز لها الخضاب ولا لبس الوشي والديباج والحلي ويجوز لها لبس البيض من الثياب ولبس الصوف والوبر ولا تلبس الثوب المصبوغ للزينة كالاحمر والاخضر الباهر والاصفر ، ويجوز ما صبغ لغير زينة كالسواد والكحلي . وقال سفيان : لا تلبس المصبوغ بحال . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا أبو اسحق الهشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن حميد بن نافع عن زينب بنت أبي سلمة انها أخبرته بهذه الاحاديث الثلاثة (١) قالت زينب : دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مسّت به بطاها (٢) ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر « لا يحل لامرأة ان تحمد على ميت فوق ثلاث ليلال الا على زوج أربعة أشهر وعشرا » وقالت زينب : ثم دخلت على زينب بنت جحش

« ١ » رواه

عنها الشيخان في

صحيحهما

« ٢ » في الصحيحين

بإرضائها

فيها الخليفة وقد ذكر سعيد بن المسيب وأبو العالية وغيرهما أن الحكمة في جعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً لاحتمال اشتغال الرحم على حمل فإذا انتظر به هذه المدة ظهر إن كان موجوداً كما جاء في حديث ابن مسعود الذي في الصحيحين وغيرهما « أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علنة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث إليه الملك فينفخ فيه الروح » فهذه ثلاث أربعينات بأربعة أشهر والاحتياط بعشر بعدها لما قد ينقص بعض الشهور ثم لظهور الحركة بعد نفخ الروح فيه والله أعلم . قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة سألت سعيد بن المسيب ما بال عشرة ؟ قال : فيه ينفخ الروح وقال الربيع بن أنس : قلت لأبي العالية لم صارت هذه العشر مع الأشهر الأربعة ؟ قال : لأنه ينفخ فيه الروح رواها ابن جبر ومن هنا ذهب الامام أحمد في رواية عنه إلى أن عدة أم الولد عدة الحرة ههنا لأنها صارت فراشا كالحرث وللحديث الذي رواه الامام أحمد عن يزيد بن هارون عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن رجاء بن حيوة عن قبيصة ابن ذؤيب عن عمرو بن العاص أنه قال : لا تلبسوا علينا سنة نبينا : عدة أم الولد إذا توفي عنها سيدها أربعة أشهر وعشر ورواه أبو داود عن قتبية عن غندر وعن ابن مثنى عن عبد الأعلى ، وابن ماجة عن علي بن محمد عن الربيع ثلاثتهم عن سعيد بن أبي عروبة عن مطر الوراق عن رجاء بن حيوة عن قبيصة عن عمرو بن العاص فذكره وقد روي عن الامام أحمد أنه أنكر هذا الحديث وقيل إن قبيصة لم يسمع عمراً وقد ذهب إلى القول بهذا الحديث طائفة من السلف منهم سعيد بن المسيب حين توفي أخوها عبد الله فدعت بطيب فمست به ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر « لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تمجد على ميت فوق ثلاث ليال الأعلى زوج أربعة أشهر وعشراً » قالت زينب : وسمعت أمي أم سلمة تقول : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا » . ثم قال « إنما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت احداً كن في الجاهلية ترمي بالبرعة على رأس الحول » قال حميد : فقلت لزينب : وما ترمي بالبرعة على رأس الحول ؟ فقالت زينب : كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت خفشا ولبست شراً ثيابها ولم تمس طيباً ولا شيئاً حتى يمر بها سنة ثم تؤتي بدابة حماراً أو شاة أو طير فتقتض به فتلقا تقتض بشيء الامات ، ثم تخرج فتعطى برة فترمي بها ، ثم تراجع بعد ذلك ما شاءت من طيب أو غيره . وقال مالك : تقتض أي تمسح جلدها (١) . وقال سعيد بن المسيب : الحكمة في هذه المدة ان فيها ينفخ الروح في الولد ، ويقال ان الولد يرتكض أي يتحرك في البطن لنصف مدة الحمل أربعة أشهر وعشراً قريب من نصف مدة الحمل ، وإنما قال عشراً بلفظ المؤنث لانه أراد اللبالي لان العرب اذا أهتمت العدد بين اليبالي والايام غلبت عليها اليبالي فيقولون صمنا عشراً والصوم لا يكون الا بالنهار . وقال المبرد : إنما أنت العشر لانه أراد المدة أي عشر مدد كل مدة يوم وليلة واذا كانت المتوفي

« ١ » وفي النهاية
أنها تمسح به فرجها
قيل وهو مرأه مالك

ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وابن سيرين وأبو عياض والزهري وعمر بن عبد العزيز وبه كان يأمر يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو أمير المؤمنين وبه يقول الأوزاعي واسحق بن راهويه واحمد بن حنبل في رواية عنه وقال طارس وقنادة : عدة أم الولد اذا توفي عنها سيدها نصف عدة الحرة شهران وخمس ليل وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والحسن بن صالح بن حي ثلثات حبض وهو قول علي وابن مسعود وعطاء وابراهيم النخعي وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه عدتها حبضة وبه يقول ابن عمر والشعبي ومكحول والليث وأبو عبيد وأبو ثور والجمهور قال الليث : ولو مات وهي حائض أجزأتها وقال مالك : فلو كانت ممن لا تحبض فثلاثة أشهر وقال الشافعي والجمهور : شهر وثلاثة أحب الي والله أعلم

وقوله (فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير) يستفاد من هذا وجوب الاحداد على الميتة في عنها زوجها مدة عدتها لما ثبت في الصحيحين من غير وجه عن أم حبيبة وزينب بنت جحش أمي المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشرا » وفي الصحيحين أيضا عن أم سلمة أن امرأة قالت يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحها ؟ فقل « لا كل » ذلك يقول لا مرتين أو ثلاثا ثم قال « إنما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت إحدا كن في الجاهلية تمكث سنة » قالت زينب بنت أم سلمة : كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا ولا شيئا حتى تمر بها سنة ثم تخرج فتعطى بعة قمرى بها ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتقتض به فقلما تقتض بشيء إلا مات (١) ومن ههنا ذهب كثيرون من العلماء الى أن هذه الآية ناسخة للآية التي بعدها وهي قوله (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير إخراج) الآية كما قاله ابن عباس وغيره وفي هذا نظر كما سيأتي تقريره . والغرض أن الاحداد هو عبارة عن ترك الزينة من الطيب ولبس ما بدعوها الى الأزواج من

عنها زوجها حاملا فعندتها بوضع الحمل عند أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم وري عن علي وابن عباس رضي الله عنهم أنها تنظر آخر الاجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشرا . وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أنزلت سورة النساء القصص بعد الطولي أراد بالقصص سورة الطلاق « وأولات الاحمال أجلهن ان يضمن حملهن » نزلت بعد قوله تعالى (يتر بصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) في سورة البقرة فحمل على الذبح وعامة الفقهاء خصوا الآية بحديث سبعة وهو ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة ان سبعة نفست بعد وفاة زوجها بليال فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنته ان تنكح فأذن لها فنكحت

قوله تعالى (فاذا بلغن أجلهن) أي انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) خطاب للاولياء

(١) أي من ننتها
والاقتضا مسح
الفرج به

لقد جاء (٢)
بعضنا : له

ثياب وحلي وغير ذلك وهو واجب في عدة الوفاة قولاً واحداً ولا يجب في عدة الرجعية قولاً واحداً وهل يجب في عدة البائن فيه قولان : ويجب الاحداد على جميع الزوجات المتوفى عنهن أزواجهن سواء في ذلك الصغيرة والآيسة والحرّة والامة والمسلمة والكافرة لموم الآية وقال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه لا احداد على الكافرة وبه يقول أشهب وابن نافع من أصحاب مالك وحجة قائل هذه المقالة قوله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشراً » قالوا : فجعله تعبدًا وألحق أبو حنيفة وأصحابه والثوري الصغيرة بها لعدم التكليف وألحق أبو حنيفة وأصحابه الامة المسلمة لتقصها ومحل تقرير ذلك كله في كتب الاحكام والفروع والله الموفق للصواب

وقوله (فاذا باغن أجلهن) أي انقضت عدتهن قاله الضحاك والربيع بن أنس (فلا جناح عليكم) قال الزهري أي على أولياتها (فيما فعلن) يعني النساء اللاتي انقضت عدتهن قال الوني (١) عن ابن عباس اذا طلقت المرأة أو مات عنها زوجها فاذا انقضت عدتها فلا جناح عليها ان تتزين وتتصنع وتعرض للتزويج فذلك المعروف وروي عن مقاتل بن حيان نحوه وقال ابن جريج عن مجاهد (فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) قال النكاح الحلال الطيب وروي عن الحسن والزهري نحوه ذلك

(١) كذا في

النسخة المطبوعة

وهذه الاصطلاحات الخمسة

سقطت من نسخة

الازهر

(٢٣٤) ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكنتم في أنفسكم علم الله انكم

ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولاً معروفاً ولا تتزموا عقدة النكاح

حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حلیم *

يقول تعالى (ولا جناح عليكم) أن تعرضوا بخطبة النساء في عدتهن من وفاة أزواجهن من غير تصريح قال الثوري وشعبة وجابر وغيرهم عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) قال التعريض أن يقول إني أريد التزويج وإني أحب

(فيما فعلن في أنفسهن) أي من اختيار الأزواج دون العقد (٢) الى الولي وقيل فيما فعلن من التزين

للرجال زينة لا ينكرها الشرع (بالمعروف) والله بما تعملون خبير (والاحداد واجب على المرأة في عدة الوفاة أما المعتدة عن الطلاق نظر فان كانت رجعية فلا حداد عليها في العدة لان لها أن تصنع ما يشوق

قلب الزوج اليها ليراجعها وفي البائنة بالخلم والطلاق الثلاث قولان أحدهما الاحداد كالميت عنها زوجها وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال أبو حنيفة والثاني لا حداد عليها وهو قول عطاء وبه قال مالك

قوله تعالى (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) أي النساء المعتدات وأصل

التعريض هو التلويح بالشيء والتعريض في الكلام بما يفهمه السامع مراده من غير تصريح

والتعريض بالخطبة مباح في العدة وهو ان يقول : رب راغب فيك ، من يجر مثلك ، انك لجليلة ، وانك

لصالحة : وانك علي لكريمة ، راني فيك لراغب ، ان من غرضي ان أنزوج بك ، وان جمع الله بيني وبينك

(٢) لعله سقط

من هنا : فان العقد

امراة من امرها ومن امرها - يعرض لها بالتول بالمعروف . وفي رواية وودت أن الله رزقني امرأة ونحو هذا ولا ينتصب للخطبة وفي رواية إني لا أريد أن أتزوج غيرك إن شاء الله ولوددت أي وجدت امرأة صالحة ولا ينتصب لها ما دامت في عدتها ورواه البخاري تعليقا فقال : وقال لي طلق بن غنام عن زائدة عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء هو أن يقول إني أريد أن أتزوج وأن النساء إن حاجتي ولوددت أن ييسر لي امرأة صالحة . وهكذا قال مجاهد وطاوس وعكرمة وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي والشعبي والحسن وقتادة والزهري وبزيد ابن قسيط ومقاتل بن حيان والقاسم بن محمد وغير واحد من السلف والائمة في التعريض أنه يجوز للمتوفى عنها زوجها أن غير تصريح لها بالخطبة وهكذا حكم المطلقة المبتوتة يجوز التعريض لها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات فأمرها أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم وقال لها فإذا حلت فأذني فلما حلت خطب عليها أسامة ابن زيد مولاه فزوجها إياه فأما المطلقة فلا خلاف في أنه لا يجوز لغير زوجها التصريح بخطبتها ولا التعريض لها والله أعلم

وقوله (أو أكنتم في أنفسكم) أي أضرم في أنفسكم من خطبتين وهذا كقوله تعالى وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) وكقوله (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) ولهذا قال (علم الله أنكم ستذكرون) أي في أنفسكم فرفع الحرج عنكم في ذلك ثم قال (ولكن لا تواعدوهن بالحلل أعجبني ولئن تزوجتك لاحسن اليك ونحو ذلك من الكلام من غير أن يقول انكعبي والمرأة نجيبه بمثله ان رغبت فيه وقال إبراهيم لا بأس أن يهدى إليها ويقوم بشغلها في العدة إذا كانت غير شابة . روى أن سكينه بنت حنظلة بانت من زوجها فدخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها وقال يا بنت حنظلة أنا من قد علمت قرأني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت سكينه أنخطبني وأنا في العدة وأنت يؤخذ عنك ؟ فقال إنما أخبرتك بقرايتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهي في عدة زوجها أبي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أتم الحصر في يده من شدة تحامله على يده . والتعريض بالخطبة جائز في عدة الوفاة ، أما الممتدة عن فرقة الحياة فينظر ان كانت ممن لا يحل لمن بانت منه نكاحها كالمطلقة ثلاثا والمبانة بالامان والرضاع فانه يجوز خطبتها تعريضا ، وان كانت ممن يحل للزوج نكاحها كالمتخلة والمنسوخ نكاحها يجوز لزوجه خطبتها تعريضا وتصريحا وهل يجوز للغير تعريضا ؟ فيه قولان أحدهما يجوز كالمطلقة ثلاثا والثاني لا يجوز لان المعاودة ثابتة لصاحب العدة كالرجعة لا يجوز للغير تعريضا بالخطبة وقوله تعالى (من خطبة النساء) الخطبة النكاح وهي مصدر خطب الرجل المرأة بخطبة . وقال الاخفش : الخطبة الذكر والخطبة التشهد فيكون معناه : فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن (أو أكنتم)

(سرا) قال أبو مجاز وأبو الشعثاء جابر بن زيد والحسن البصري وإبراهيم النخعي رقة والضحاك والربيع بن أنس وسليمان التيمي ومقاتل بن حيان والسدي يعني الزنا وهو معنى رواية العوفي عن ابن عباس واختاره ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ولكن لا تواعدوهن سرا) لا تقل لها إني عاشق وعاهدني أن لا تتزوجي غيري ونحو هذا وكذا روي عن سعيد بن جبيرة والشعبي وعكرمة وأبي الضحى والضحاك والزهري ومجاهد والثوري هو أن يأخذ ميثاقها أن لا تتزوج غيره وعن مجاهد هو قول الرجل للمرأة لا تفوتي بنفسك فإني نا كحك وقيل قتادة : هو أن يأخذ عهد المرأة وهي في عدتها أن لا تنكح غيره فنهى الله عن ذلك وقدم فيه واحل الخطبة والقول بالمعروف وقال ابن زيد (ولكن لا تواعدوهن سرا) هو أن ينزوها في العدة سرا فإذا حلت أظهر ذلك وقد يحتمل أن تكون الآية عامة في جميع ذلك ولهذا قال (الا أن تقولوا قولنا معروفا) . قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة والسدي والثوري وابن زيد : يعني به ما تقدم من إباحة التعريض كقوله : إني فيك لراغب ونحو ذلك . وقال محمد بن سيرين : قلت لعبيدة : ما معنى قوله (الا أن تقولوا قولنا معروفا) قال : يقول لولبها : لا نسبقي بها ، يعني لا تزوجها حتى تعلمني ، رواه ابن أبي حاتم وقوله (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) يعني ولا تعقدوا العقد بالنكاح حتى تنقضي العدة . قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وقتادة والربيع بن أنس وأبو مالك وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان والزهري وعطاء الخراساني والسدي والثوري والضحاك (حتى يبلغ الكتاب أجله) يعني ولا تعقدوا العقد بالنكاح حتى تنقضي العدة . وقد أجمع العلماء على أنه لا يصح العقد في مدة العدة . واختلفوا فيمن تزوج امرأة في عدتها فدخل بها فإنه يفرق بينهما وهل يحرم عليه أبدا ؟ على قولين : الجمهور على أنها لا تحرم عليه بل له أن يخطبها إذا انقضت عدتها . وذهب الإمام أحمد بن حنبل في (في أنفسكم) من نكاحهن يقال أكننت الشيء وكننته لعتل . وقال ثعلب : أكننت الشيء أي أخفيت في نفسي وكننته سترته . قال السدي : هو أن يدخل فبسلم ويهدى أن شاء ولا يتكلم بشيء . (علم الله أنكم ستذكونهن) بقلوبكم (ولكن لا تواعدوهن سرا) اختلفوا في السر المنهى عنه فقال قوم هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزينة وهو يتعرض بالنكاح ويقول لها دعيني فإذا وفيت عدتك أظهرت نكاحك . هذا قول الحسن وقتادة وإبراهيم وعطاء ورواية عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال زيد بن أسلم : أي لا ينكحها سرا فيمسكها فإذا حلت أظهر ذلك . وقال مجاهد : هو قول الرجل لا تفوتي بنفسك فإني نا كحك . وقال الشعبي : والسدي لا يأخذ ميثاقها أن لا تنكح غيره . وقال عكرمة : لا ينكحها ولا يخطبها في العدة . قال الشافعي : السر هو الجماع . وقال الكلبي : أي لا تصفوا أنفسكم لمن بكثرة الجماع فيقول آتيك الأربعة والخمسة واشباه ذلك ، ويذكر السر ويراد به الجماع . قال امرئ القيس :
ألا زعمت بسباسة القوم اتني كبرت والا يحسن السر أمثالي

مالك الى أنها تحرم عليه على التأييد واحتج في ذلك بما رواه عن ابن شهاب وسليمان بن يسار أن عمر رضي الله عنه قال : أما امرأة نكحت في عدتها فإن كان زوجها الذي تزوج بها لم يدخل بها فرق بينهما ثم اعتدت بقية عدتها من زوجها الاول وكان خاطبا من الخطاب وان كان دخل بها فرق بينهما ثم اعتدت بقية عدتها من زوجها الاول ثم اعتدت من الآخر ثم لم ينكحها أبدا قالوا : وما أخذ هذا أن الزوج لما استعجل ما أجل الله عوقب بنقيض قصده فخرمت عليه على التأييد كالمقاتل يحرم الميراث. وقد روى الشافعي هذا الاثر عن مالك . قال البيهقي : وذهب اليه في القديم ورجع عنه في الجديد لقول علي إنها لا تحل له (قلت) قال : ثم هو منقطع عن عمر. وقد روى الثوري عن أشعث عن الشعبي عن مسروق أن عمر رجع عن ذلك وجعل لها مهرها وجعلها يجتمعان وقوله (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) توعدهم على ما يقع في ضمائرهم من أمور النساء وأرشدهم الى اضرار الخير دون الشر ثم لم يؤيسهم من رحمته ولم ينقطعهم من عائدته فقال (واعلموا أن الله غفور حلیم)

(٢٣٥) لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة

ومتعهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على الحسنيين أباح تبارك وتعالى طلاق المرأة بعد العقد عليها وقبل الدخول بها . قال ابن عباس وطاوس وابراهيم والحسن البصري : المس النكاح بل ويجوز أن يطلقها قبل الدخول بها والفرض لها ان كانت مفوضة وان كان في هذا انكسار لقلبها ولهذا أمر تعالى بامتعها وهو تمويضها عما فاتها بشيء . نطاه من زوجها بحسب حاله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره . وقال سفیان الثوري عن اسماعيل

وإنما قيل للزنا والجماع سر لانه يكون في خفاء بين الرجل والمرأة

قوله تعالى ﴿ إلا أن تقولوا قولاً معروفاً ﴾ هو ما ذكرنا من التعريض بالخطبة . قوله تعالى ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ أي لا نحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب أجله أي حتى تنقضي العدة وسماها الله كتاباً لأنها فرض من الله كقوله تعالى (كتب عليكم) أي فرض عليكم ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ﴾ أي خافوا الله ﴿ واعلموا أن الله غفور حلیم ﴾ لا يعجل بالعقوبة

وقوله تعالى ﴿ لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ أي ولم تمسوهن ولم تفرضوا ، نزلت في رجل من الانصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسلم لها مهرًا ثم طلقها قبل أن يسلمها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « متعها ولو بقلنسوتك » قرأ حمزة والكسائي (ما لم تمسوهن) بالالف ههنا وفي الاحزاب على المفاعلة لان بدن كل واحد منهما يلاقي بدن صاحبه كما قال الله تعالى (من قبل أن يتامسا) وقرأ الباقون (تمسوهن) بلا ألف

«١» بكسر الراء
الدرام

ابن أمية عن عكرمة عن ابن عباس قال : متعة الطلاق أعلاه الخادم ودون ذلك الورق (١) ودون ذلك الكسوة . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ان كان موسرا متعها بخادم أو نحو ذلك وان كان معسرا متعها بثلاثة أثواب . وقال الشعبي : أوسط ذلك درع وخمار وملحفة وجلباب قال : وكان شريح يتمتع بخمسة مائة . وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : كان يتمتع بالخادم أو بالزينة أو بالكسوة . قال : ومتع الحسن بن علي بعشرة آلاف وبروى أن المرأة قالت : « متاع قليل من حبيب مفارق » وذهب أبو حنيفة إلى أنه متى تنازع الزوجان في مقدار المتعة وجب لها عليه نصف مهر مثلها . وقال الشافعي في الجديد : لا يجبر الزوج على قدر معلوم الا على أقل ما يقع عليه اسم المتعة وأحب ذلك إلى أن يكون أقله ما يجزيه فيه الصلاة وقال في القديم لا أعرف في المتعة قدرا إلا أني أمتحس ثلاثين درهما كما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما . وقد اختلف العلماء أيضا هل تجب المتعة لكل مطلقة أو إنما تجب المتعة لغير المدخول بها التي لم يفرض لها على أقوال : أحدها أنها تجب للمتعة لكل مطلقة لعموم قوله تعالى (وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) ولقوله تعالى (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتم تردين الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا

لان الغشيان يكون من فعل الرجل دليله قوله تعالى (ولم يمسنني بشر) (أو تفرضوا لمن فرصة) أي توجبوا لمن صداقا فان قيل فما الوجه في نفي الجناح عن المطلق قبل الطلاق قطع سبب الوصلة وجاء في الحديث «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق» فنفي الجناح عنه اذا كان الفراق أروح من الامساك وقيل معناه لا سبيل للنساء عليكم ان طلقتموهن من قبل المسيس والفرض بصدق ولا نفقة وقيل : لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شئتم حائضا كانت المرأة أو طاهرا لانه لا سنة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بها بخلاف المدخول بها فانه لا يجوز تطليقها في حال الحيض (ومتعوهن) أي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد (على الموسع) أي على الغني (قدره وعلى المقتر) أي الفقير (قدره) أي امكانه وطاقته قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمة والكسائي وحفص قدره بفتح الدال فيهما وقرأ الآخرون بسكونهما وهما لغتان وقيل القدر بسكون الدال المصدر وبالفتح الاسم متاعا نصب على المصدر أي متعوهن (متاعا بالمعروف) أي بما أمركم الله به من غير ظلم (حقا على المحسنين) وبيان حكم الآية أن من تزوج امرأة ولم يفرض لها مهرأثم طلقها قبل المسيس يجب عليه المتعة بالانفاق وان طلقها بعد الفرض قبل المسيس فلا متعة لها على قول الأكثرين ولها نصف المهر المفروض واختلفوا في المطلقة بعد الدخول بها فذهب جماعة إلى أنها لا متعة لها لأنها تستحق المهر وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة إلى أنها تستحق المتعة لقوله تعالى (وللمطلقات متاع بالمعروف) وهو قول عبد الله بن عمر وبه قال عطاء ومجاهد والقاسم بن محمد واليه ذهب الشافعي لان استحقاقها المهر بمقابلة ما أتلف عليها من منفعة البضع فلها المتعة على وحشة الفراق فعلى القول الاول لا متعة الا لواحدة وهي المطلقة قبل

جھيلاً) وقد كن مفروضا لمن ومدخولا بهن وهذا قول سعيد بن جبیر وأبي العالة والحسن العسري وهو أحد قولی الشافعي . ومنهم من جملة الجديد الصحيح والله أعلم (والقول الثاني) أنها تجب للمطلقة اذا طلقت قبل المسيس وان كانت مفروضا لها لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لکم عليهن من عدة تعتدبنها فمذوهن ومسرحوهن سرأحا جھيلاً) قال شعبة وغيره عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال : نسخت هذه الآية التي في الاحزاب الآية التي في البقرة . وقد روى البخاري في صحيحه بن سهل بن سعد وأبي أسيد أنها قالوا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت شرحبيل فلما أدخلت عليه بسط يده اليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين أزرقين (والقول الثالث) أن المتعة إنما تجب للمطلقة اذا لم يدخل بها ولم يفرض لها فان كان قد دخل بها وجب لها مهر مثلها اذا كانت مفروضة وان كان قد فرض لها وطلقها قبل الدخول وجب لها عليه شطره فان دخل بها استقر الجميع وكان ذلك عوضا لها عن المتعة وإنما المصابة التي لم يفرض لها ولم يدخل بها فهذه التي دلت هذه الآية الكريمة على وجوب متعتها وهذا قول ابن عمر ومجاهد ومن العلماء من استحبابها لكل مطلقة ممن عدا المفوضة المفارقة قبل الدخول وهذا ليس بمنكر روعليه نحمل آية التخيير في الاحزاب ولهذا قل تعالى (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) متاعا المعروف حقا على المحسنين (١) والمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين (

(١) الآية الثانية

لم تذكر هنا في نسخة
الازهر

الغرض والمسيس وعلى القول الثاني لكل مطلقة متعة الا لواحدة وهي المطلقة بعد الغرض قبل المسيس قال عبد الله بن عمر : لكل مطلقة متعة الا التي فرض لها ولم يمسه زوجها فحسبها نصف المهر . قال الزهري : متعتان يقضي باحدهما السلطان ولا يقضي بالآخرى بل تلزمه فيما بينه وبين الله تعالى فأما التي يقضي بها السلطان فهي المطلقة قبل الغرض والمسيس وهو قوله تعالى (حقا على المحسنين) والتي تلزمه فيما بينه وبين الله تعالى ولا يقضي بها فهي المطلقة بعد المسيس . وهو قوله تعالى (حقا على المتقين) وذهب الحسن وسعيد بن جبیر الى أن لكل مطلقة متعة سواء كان قبل الغرض والمسيس أو بعد الغرض قبل المسيس لقوله تعالى (وللمطلقات متاع بالمعروف) ولقوله تعالى في سورة الاحزاب (فتموهن ومسرحوهن سرأحا جھيلاً) وقالوا : معنى قوله تعالى (لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا) أي أو لم تفرضوا لمن فريضة . وقال بعضهم : المتعة غير واجبة والامر بها أمر ندب واستحباب . روى أن رجلا طلق امرأته وقد دخل بها فخصمته الى شريح في المتعة فقال شريح : لا تأب أن تكون من المحسنين ولا تأب أن تكون من المتقين ولم يجبره على ذلك . واختلفوا في قدر المتعة فروي عن ابن عباس أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب درع وخمار وازار ودون ذلك وقاية أو شيء من الورق وبه قال الشعبي والزهري وهذا مذهب الشافعي قال : أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب راقعها ما له ثمن وحسب ثلاثون درهما . وطاق عبد الرحمن بن عوف امرأته وحسبها جارية سوداء أي متعها وبيع الحسن بن علي رضي الله عنه امرأة له

ومن العلماء من يقول أنها مستحبة مطلقا . قال ابن أبي حاتم : حدثنا كثير بن شهاب القزويني حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا عمرو — يعني ابن أبي قيس — عن أبي اسحق عن الشعبي قال : ذكروا له المتعة أيموس فيها فقرأ (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) قال الشعبي : والله ما رأيت أحدا حبس فيها والله لو كانت واجبة لحبس فيها القضاة

(٢٣٦) وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما

فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ، وان تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير)

وهذه الآية الكريمة مما يدل على اختصاص المتعة بما دلت عليه الآية الاولى حيث انما أوجب في هذه الآية نصف المهر المفروض اذا طلق الزوج قبل الدخول فانه لو كان ثم واجب آخر من متعة لينها لا سيما وقد قرن بها قبلها من اختصاص المتعة بتلك الآية والله أعلم وتشطير الصداق بعشرة آلاف درهم فقالت همتاع قليل من حبيب مفارقة وقال أبو حنيفة رحمه الله : مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز والآية تدل على أنه يعتبر حال الزوج في العسر واليسر ، ومن حكم الآية ان من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر يصح النكاح والمرأة مطالبة بأن يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة وان مات أحدهما قبل الفرض والدخول فاختلف أهل العلم في أنها هل تستحق المهر أم لا فذهب جماعة الى أنه لا مهر لها وهو قول علي وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس كما لو طلقها قبل الفرض والدخول وذهب قوم الى أن لها المهر لان الموت كالدخول في تقرير المسمى كذلك في إيجاب مهر المثل اذا لم يكن في العقد مسمى رهز قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما روي عن علقمة عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود : لها صداق نساؤها ولا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن يسار الأشجعي فقال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق امرأة منا مثل ما قضيت ففرج بها ابن مسعود رضي الله عنه . وقال الشافعي رحمه الله : فان ثبت حديث بروع بنت واشق فلا حجة في قول أحد دون قول النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يثبت فلا مهر لها ولها الميراث وكان علي يقول : في حديث بروع لا يقبل قول اعرابي من أشجع على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقوله تعالى ﴿ وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ﴾ هذا في المطلقة بعد الفرض قبل المسيس فلها نصف المفروض وان مات أحدهما قبل المسيس فلها كمال المهر المفروض والمراد بالمس المذكور في الآية الجماع واختلف أهل العلم فيما لو خلا الرجل بامرأته

تيمم القوم
تفسير ابن كثير
١٢٢

والحالة هذه أمر مجمع عليه بين العلماء لاخلاف بينهم في ذلك فانه متى كان قد سمى لها صداقا ثم فارقها قبل دخوله بها فانه يجب لها نصف ما سمى من الصداق الا أن عند الثلاثة أنه يجب جميع الصداق اذا خلاها الزوج وان لم يدخل بها وهو مذهب الشافعي في القديم وبه حكم الخلفاء الراشدون لكن قال الشافعي : أخبرنا مسلم بن خالد أخبرنا ابن جريج عن ليث بن أبي سليم عن طاوس عن ابن عباس أنه قال في الرجل يتزوج المرأة فيخلو بها ولا يمسها ثم يطلقها : ليس لها الا نصف الصداق لان الله يقول (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) قول الشافعي بهذا أقول وهو ظاهر الكتاب قول البيهقي وليث بن أبي سليم وان كان غير محتج به فقد رويناه من حديث ابن أبي طلحة عن ابن عباس فهو مقوله

وقوله (الا أن يعفون) أي النساء عما وجب لها على زوجها فلا يجب لها عليه شيء قال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله (الا أن يعفون) قال : الا ان تعفو الثيب فتدع حقها . قال الامام أبو محمد بن أبي حاتم رحمه الله وروى عن شريح وسعيد بن المسيب وعكرمة ومحمد والشعبي والحسن ونافع وقتادة وجابر بن زيد وعطاء الخراساني والضحاك والزهري ومقاتل بن حيان وابن سيرين والريعم بن أنس والسدي نحوه ذلك . قال : وخالفهم محمد بن كعب القرظي فقال (الا أن يعفون) يعني الرجال وهو قول شاذ لم يتابع عليه انتهى كلامه

وقوله (أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح) قال ابن أبي حاتم : ذكر عن ابن لهيعة حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ولي عقدة النكاح الزوج » وهكذا أسنده ابن مردويه من حديث عبد الله بن لهيعة به وقد أسنده ابن جرير عن ابن لهيعة ثم طلقها قبل أن يدخل بها فذهب قوم الى أنه لا يجب لها الا نصف الصداق ولا عدة عليها لان الله تعالى أوجب بالطلاق قبل المسيس نصف المهر ولم يوجب العدة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وابن مسعود وبه قال الشافعي رحمه الله وقال قوم يجب لها كمال المهر وعليها العدة لما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال : اذا أرخيت الستور فقد وجب الصداق ومثله عن زيد بن ثابت وحمل بعضهم قول عمر على وجوب تسليم الصداق اليها اذا سلمت نفسها لا على تقدير الصداق وقيل هذه الآية ناسخة للآية التي في الاحزاب (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فتموهن) فقد كان للمطلقة قبل المسيس متاع فنسخت بهذه الآية وأوجب للمطلقة المفروض لها قبل المسيس نصف المفروض ولا متاع لها وقوله تعالى (وقد فرضتم لهن فريضة) أي سميتم لهن مهرا (فنصف ما فرضتم) أي لها نصف المهر المسمى «إلا أن يعفون» يعني النساء أي الا أن تترك المرأة نصيبها فيعود جميع الصداق الى الزوج قوله تعالى «أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح» اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى أن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي وبه قال ابن عباس رضي الله عنه معناه الا أن تعفو المرأة بترك نصيبها الى الزوج ان كانت ثيبا من أهل العفو أو يعفو وليها فيترك نصيبها ان كانت المرأة بكرا أو غير جائزة

عن عمرو بن شعيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فذكره ولم يقل عن أبيه عن جده فالله أعلم ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا جابر يعني ابن أبي حازم عن عيسى يعني ابن عاصم قال : سمعت شريحاً يقول سألني علي بن أبي طالب عن الذي بيده عقدة النكاح فقلت له هو ولي المرأة فقال علي : لا بل هو الزوج ثم قال وفي إحدى الروايات عن ابن عباس وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وشريح في أحد قوليهِ وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وعكرمة ونافع ومحمد بن سيرين والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وجابر بن زيد وأبي مجلز والربيع ابن أنس وإياس بن معاوية ومكحول ومقاتل بن حيان أنه الزوج (قلت) وهذا هو الجديد من قولي الشافعي ومذهب أبي حنيفة وأصحابه والثوري وابن شبرمة والاوزاعي واختاره ابن جرير ومأخذ هذا القول أن الذي بيده عقدة النكاح حقيقة لزوج فإن بيده عقدها وإبراهيم وتقضها وانتهدما وكما أنه لا يجوز للولي أن يهب شيئاً من مال المولية للغير فكذلك في الصداق قال والوجه الثاني حدثنا أبي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن مسلم حدثنا عمرو بن دينار عن ابن عباس - في الذي ذكر الله بيده عقدة النكاح قال ذلك أبوها أو أخوها أو من لا تنكح إلا بإذنه وروى عن علقمة والحسن وعطاء وطاوس والزهري وربيعة وزيد بن أسلم وإبراهيم النخعي وعكرمة في أحد قوليهِ ومحمد بن سيرين في أحد قوليهِ أنه الولي وهذا مذهب مالك وقول الشافعي القديم ومأخذه أن الولي هو الذي أكسبها إياه فله التصرف فيه بخلاف سائر مالها وقال ابن جرير : حدثنا سعيد بن الربيع الرازي حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال : أذن الله في العفو وأمر به فأمر امرأة عفت جاز عفوها فإن شئت وضنت عفا وليه (١) جاز عفوها وهذا يقتضي صحة عفو الولي وإن كانت رشيدة وهو مروي عن شريح لكن أنكر عليه الشعبي فرجع عن ذلك وصار إلى أنه الزوج وكان يباهل عليه وقوله (وأن تعفوا أقرب للتقوى) قال ابن جرير قل بعضهم : خوطب به الرجال والنساء حدثني يونس أنبأنا ابن وهب سمعت ابن جريج يحدث عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس (وأن تعفوا أقرب للتقوى) قال أقربهما للتقوى الذي يعفو وكذا روي عن الشعبي وغيره وقال مجاهد والنخعي والضحاك ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس والثوري الفضل ههنا أن تعفو المرأة عن شطرها

(١) الظاهر أن

أصله : وعفا وليها -

ونسخة الأزهر : عفا

وليها وجاز عفو

العفو فيجوز عفو وليها وهو قول علقمة وعطاء والحسن والزهري وربيعة ومذهب بعضهم إلى أنه إنما يجوز عفو الولي إذا كانت المرأة بكراً فإن كانت ثيباً فلا يجوز عفو وليها وقال بعضهم الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وهو قول علي وبه قال سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والشعبي والشريحي ومجاهد وقتادة وقالوا لا يجوز لوليها ترك الشيء من الصداق بكراً كانت أو ثيباً كما لا يجوز له ذلك قبل الطلاق بالانفاق وكما لا يجوز له أن يهب شيئاً من مالها وقالوا معنى الآية إلا أن تعفو المرأة بترك نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج أو يعفو الزوج بترك نصيبه فيكون لها جميع الصداق فعلى هذا التأويل وجه الآية الذي بيده عقدة النكاح نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق أو بعده (وأن تعفوا

أرأيتم الرجل الصديق لما ولهذا قال (ولا تنسوا الفضل بينكم) أي الاحسان قاله سعيد وقال الضحاك
وقنادة والسدي وأبو وائل المعروف يعني لا تهملوه بل استعملوه بينكم وقد قال أبو بكر بن مردويه
حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا موسى بن اسحق حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا يونس بن بكير حدثنا
عبد الله بن الوليد الرصافي عن عبد الله بن عبيد عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال «ليأتين على الناس زمان عضوض بعض المؤمن على ما في يديه وينسى الفضل وقد قال الله
تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) شرار يبايعون كل مضطر» وقد نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن بيع المضطر وعن بيع القرقر فإن كان عندك خير فعد به على أخيك ولا تزده هلاكا إلى هلاكه
فإن المسلم أخو المسلم لا يحزنه ولا يحرمه. وقال سفیان عن أبي هاون قال رأيت عارون بن عبد الله
في مجلس الفرظي فكان عون أبجدنا ولحيته ترش من البكاء ويقول صحبت الاغنياء فكنت من
أكثرهم هما حين رأيتهم أحسن ثيابا وأطيب ريحا وأحسن مركبا وجالست الفقراء فاسترحمت بهم
وقل (ولا تنسوا الفضل بينكم) إذا أتاه السائل وليس عنده شيء فليدع له رواء ابن أبي حاتم
(إن الله بما تعملون بصير) أي لا يخفى عليه شيء من أموركم وأحوالكم وسيجزي كل عامل بعمله
(٢٣٧) حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين (٢٣٨) فإن

خفتهم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله علمكم ما لم تكونوا تعلمون *
يأمر تعالى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها وحفظ حدودها وأدائها في أوقاتها كما ثبت في الصحيحين
وأقرب للتقوى في موضعه رفع بالابتداء أي والعفو أقرب للتقوى أي إلى التقوى والخطاب للرجال
النساء جميعا لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا كانت الغلبة للمذكر معناه وعفو بعضكم عن بعض أقرب
للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) أي افضال بعضكم على بعض باعطاء الرجل تمام الصداق أو ترك
المرأة نصيبها حشما جميعا على الاحسان (إن الله بما تعملون بصير)

قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) أي واظبوا وداوموا على الصلوات
المكتوبات بمواقيتها وحدودها وأتمام أركانها ثم خص من بينها الصلاة الوسطى بالمحافظة عليها دلالة
على فضلها. ووسطى تأنيث الأوسط ووسط الشيء خيره وأعدله واختلف العلماء من الصحابة ومن
بعدهم في الصلاة الوسطى فقال قوم هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر
وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد واليه مال مالك والشافعي لأن الله تعالى قال (وقوموا لله قانتين)
فالقنوت طول القيام وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام والقنوت لأن الله تعالى خصها في آية
أخرى من بين الصلوات فقال الله تعالى (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) يعني تشهدا
ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان الليل وديوان النهار ولانها بين صلاتي جمع
وهي لا تقصر ولا تجمع إلى غيرها وذهب قوم إلى أنها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وأبي

عن ابن مسعود قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة في وقتها » قلت ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » قلت ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » قال : حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني وقال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم عن القاسم بن غنام عن جدته أم أبيه الدنيا عن جدته أم فروة كانت ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الأعمال فقال « ان أحب الأعمال الى الله تعجيل الصلاة لأول وقتها » وهكذا رواه أبو داود والترمذي وقال لا نعرفه الا من طريق العمري وليس بالقوي عند أهل الحديث وخص تعالى من بينها بمزيد التأكيـد الصلاة الوسطى وقد اختلف السلف والخلف فيها أي صلاة هي ف قيل أنها الصبح حكاه مالك في الموطأ بلاغا عن علي وابن عباس وقال هشيم وابن علية وغندروا بن أبي عدي وعبد الوهاب وشريك وغيرهم عن عوف الاعرابي عن أبي رجاء العطاردي قال : صليت خاف ابن عباس الفجر ففقت فيها ورفع يديه ثم قال : هذه الصلاة الوسطى التي أمرنا أن نقوم فيها قانتين رواه ابن جرير ورواه أيضا من حديث عوف عن خلاص بن عمرو عن ابن عباس مثله سواء وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا عوف عن أبي المنهال عن أبي العالية عن ابن عباس أنه صلى الغداة في مسجد البصرة ففقت قبل الركوع وقال هذه الصلاة الوسطى التي ذكرها الله في كتابه فقال (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) وقال أيضا حدثنا محمد بن عيسى الدامغاني أخبرنا ابن المبارك أخبرنا الربيع بن أنس عن أبي العالية قال : صليت خلف عبد الله بن قيس بالبصرة صلاة الغداة فقلت لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جاني ما الصلاة الوسطى ؟ قال : هذه الصلاة. وروي من طريق أخرى عن الربيع عن أبي العالية أنه صلى مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة فلما فرغوا قال قلت لهم أيتمن الصلاة الوسطى ؟ قالوا : التي قد صليتها قبل . وقال أيضا حدثنا ابن بشار حدثنا ابن عثمة عن سعيد بن بشير عن قتادة عن جابر بن عبد الله قال : الصلاة الوسطى صلاة الصبح . وحكاها ابن أبي حاتم عن ابن عمر وأبي أمامة وأنس وأبي العالية وعبيد بن عمير وعطاء ومجاهد وجابر بن زيد وعكرمة والربيع بن أنس ورواه ابن جرير عن عبد الله بن شداد ابن الهاد أيضا وهو الذي نص عليه الشافعي رحمه الله محنجا بقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) والقنوت عنده في صلاة الصبح ومنهم من قال هي وسطى باعتبار أنها لا تقصر وهي بين صلاتين رباعيتين

سعيد الخدري وأسامة بن زيد لأنها في وسط النهار وهي أوسط صلاة النهار في الطول أخبرنا عمر ابن عبد العزيز أخبرنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود أنا محمد بن المنثري أنا محمد بن جعفر أنا شعبة حدثني عمرو بن أبي حكيم قال : سمعت الزبير يحدث عن عروة ابن الزبير عن زيد بن ثابت قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منها فنزلت (حافظوا على الصلوات

مقصورتين وترد المغرب وقيل لانها بين صلاتي ليل جهريتين وصلاتي نهاريين. وقبل انها صلاة الظهر قال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا ابن أبي ذئب عن الزبرقان يعني ابن عمر وعن زهرة يعني ابن معبد قال : كنا جلوسا عند زيد بن ثابت فأرسلوا الى أسامة فسألوه عن الصلاة الوسطى فقال هي الظهر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهجير وقال احمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني عمرو بن أبي حكيم سمعت الزبرقان يحدث عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزات (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) وقال ان قبلها صلاتين بعدها صلاتان. ورواه أبو داود في سننه من حديث شعبة به وقال احمد أيضا : حدثنا يزيد بن أبي وهب عن الزبرقان أن رهطاً من قریش مر بهم زيد بن ثابت وهم مجتمعون فأرسلوا اليه غلامين لهم يسألانه عن الصلاة الوسطى فقال هي صلاة العصر فقام اليه رجلان منهم فسألاه فقال : هي الظهر. ثم انصرفا الى أسامة بن زيد فسألاه فقال : هي الظهر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الظهر بالهجير فلا يكون وراءه الا الصف والصفان والناس في قائلهم وفي تجارتهم فأنزل الله (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لينتهن رجال أولاحرقن بيوتهم » والزبرقان هو ابن عمرو بن أمية الضمري لم يدرك أحدا من الصحابة والصحيح ما تقدم من روايته عن زهرة بن معبد وعروة بن الزبير وقال شعبة وهما عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن زيد بن ثابت قال : الصلاة الوسطى صلاة الظهر. وقال أبو داود الطيالسي وغيره عن شعبة أخبرني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب قال سمعت عبد الرحمن بن إبان بن عثمان يحدث عن أبيه عن زيد بن ثابت قال : الصلاة الوسطى هي الظهر ورواه ابن جرير عن زكريا بن يحيى بن أبي زائدة عن عبد الصمد عن شعبة عن عمر بن سليمان عن زيد بن ثابت في حديث رفعه قال « الصلاة الوسطى صلاة الظهر » ومن روي عنه أنها الظهر ابن عمر وأبو سعيد وعائشة على اختلاف عنهم وهو قول عروة بن الزبير وعبد الله بن شداد بن الهاد ورواية عن أبي حنيفة رحمهم الله وقبل انها صلاة العصر قال الترمذي والبخاري رحمهما الله وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم وقال القاضي الماوردي هو قول جمهور التابعين وقال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر هو قول أكثر أهل الأثر وقال أبو محمد بن عطية في تفسيره وهو قول جمهور الناس والصلاة الوسطى (وذهب الاكثر الى انها صلاة العصر رواه جماعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول علي وعبد الله بن مسعود وإبي ايوب وإبي هريرة وعائشة رضوان الله عليهم وبه قال ابراهيم النخعي وقاتادة والحسن أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن احمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن القعقاع بن حكيم عن أبي يونس مولى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما انه قال : امرتني عائشة ان اكتب لها مصحفاً وقلت : اذا

وقال الحافظ ابو محمد عبد المؤمن بن خلف الديلماني في كتابه المسمى بكشف الغطاء في تبين الصلاة الوسطى وقد نص فيه انها العصر وحكاها عن عمر وعلي وابن مسعود وأبي ايوب وعبد الله بن عمرو وسمرة بن جندب وأبي هريرة وأبي سعيد وحنيفة وأم حبيبة وأم سلمة وعن ابن عمر وابن عباس وعائشة على الصحيح عنهم وبه قال عبدة و ابراهيم النخعي وزر بن حبيش وسعيد بن جبير وابن سيرين والحسن وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وعبيد بن مريم وغيرهم وهو مذهب احمد بن حنبل قال القاضي الماوردي والشافعي قال ابن المنذر وهو الصحيح عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد واختاره ابن حبيب المالكي رحمه الله

ذكر الدليل على ذلك — قال الامام احمد : حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن مسلم عن شتير بن شكل عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله قلوبهم وبيوتهم نارا » ثم صلاها بين العشاءين المغرب والعشاء » وكذا رواه مسلم من حديث ابي معاوية محمد بن حازم الضرير والنسائي من طريق عيسى بن يونس كلاهما عن الاعمش عن مسلم بن صبيح عن ابي الضحى عن شتير بن شكل بن حميد عن علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، وقد رواه مسلم ايضا من طريق شعبة عن الحكم بن عيينة عن يحيى بن الجزار عن علي بن ابي طالب واخرجه الشيخان وابوداود والترمذي والنسائي وغير واحد من اصحاب المساند والسنن والصحاح من طرق بطول ذكرها عن عبدة السلماني عن علي به ورواه الترمذي والنسائي من طريق الحسن البصري عن علي به قال الترمذي : ولا يعرف سماعه منه وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن عاصم عن زر قال قلت لعبدة سل عليا عن الصلاة الوسطى فسأله فقال : كنا نراها الفجر أو الصبح حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله قلوبهم وأجوافهم أو بيوتهم نارا » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي به . وحديث يوم الاحزاب وشغل المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن أداء صلاة العصر يومئذ مروي عن جماعة من الصحابة بطول ذكرهم وانما المقصود رواية من نص منهم في روايته أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر . وقد رواه مسلم أيضا من حديث ابن مسعود والبراء بن عازب رضي الله عنهما (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام عن قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صلاة

بلغت هذه الآية فأذني (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فلما بلغت أذنتها فأملت على (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين) قالت عائشة رضي الله عنها : سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حفصة مثل ذلك . اخبرنا عبد الواحد بن أحمد المايحي انا ابو منصور محمد بن محمد بن شمعان انا ابو جعفر الزياتي انا حميد بن زنجويه اخبرنا ابو نعيم انا سفيان عن عاصم بن ابي النجود عن زر بن حبيش قال : قلنا لعبدة سل عليا عن الصلاة الوسطى

عن أبي الاحوص عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الوسطى صلاة العصر » وقد روى الترمذي من حديث محمد بن طلحة بن مصرف عن زيد اليامي عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الوسطى صلاة العصر » ثم قال : حسن صحيح . وأخرجه مسلم في صحيحه من طريق محمد بن طلحة به رافضه « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر الحديث » فهذه نصوص في المسئلة لا نحتمل شيئا ويؤكد ذلك الامر بالمحافظة عليها وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من رواية الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » وفي الصحيح أيضا من حديث الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي كثير عن أبي المجاهر عن بريدة بن الحصيب (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « بكروا بالصلاة في يوم الغيم فإنه من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » وقال الامام احمد : حدثنا يحيى بن اسحق أخبرنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن أبي تميم عن أبي نضرة الغفاري قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد من أوديتهم يقال له الخبيص (٢) صلاة العصر فقال « ان هذه الصلاة عرضت على الذين من قبلكم فضيعوها ألا ومن صلاها ضاعف له أجره مرتين ألا ولا صلاة بعدها حتى تروا الشاهد » ثم قال : رواه عن يحيى بن اسحق عن الليث عن جبير بن نعيم عن عبد الله بن هبيرة به وهكذا رواه مسلم والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث ورواه مسلم أيضا من حديث محمد بن اسحق حدثني يزيد بن أبي حبيب كلاهما عن جبير بن نعيم الحضرمي عن عبد الله بن هبيرة السبائي به فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد أيضا حدثنا اسحق أخبرني مالك عن زيد بن أسلم عن القمقاع بن حكيم عن أبي يونس مولى عائشة قال : أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا قالت : اذ بلغت هذه الآية (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فأذني فلما بلغت أذنتها فأملت علي (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين) قالت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا رواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك به . وقال ابن جرير : حدثني ابن المنني حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كان في مصحف عائشة (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر) وهكذا رواه من طريق الحسن البصري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها كذلك وقد روى الامام مالك أيضا عن زيد بن أسلم عن عمرو بن رافع قال كنت اكتب مصحفا لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم

النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » وقال قبيصة بن ذؤيب : هي صلاة المغرب لأنها وسط ليس بأقلها ولا أكثرها ، وقال بعضهم انها صلاة العشاء ، ولم ينقل عن السلف فيها شيء وإنما ذكرها بعض المتأخرين لأنها بين صلاتين لا تقصران : وقال بعضهم هي إحدى الصلوات الخمس لا يعينها أبهرها الله تعالى تحريضا للعباد على المحافظة على أداء جميعها كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان وساعة اجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى الاسم الاعظم في

« ١ » في (باب من ترك العصر) من صحيح البخاري : حدثنا مسلم بن ابراهيم قال حدثنا هشام قال حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي المليح قال كنا مع بريدة فقال بكروا لصلاة العصر فان النبي (ص) قال « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » ومثله في باب التكبير في يوم غيم من طريق معاذ ابن فضالة

« ٢ » في نسخة الازهر : يقال له الخبيص

فناث اذا بلغت هذه الآية فأذني (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) فلما بلغت أذنتها فأملت علي (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقياموا لله قانتين) وهكذا رواه محمد بن اسحق ابن يسار فقال حدثني أبو جعفر محمد بن علي ونافع مولى بن عمران عمر بن نافع قال فذكر مثله وزاد كما حفظتها من النبي صلى الله عليه وسلم (طريق أخرى عن حفصة) قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن عبد الله بن يزيد الأزدي عن سالم بن عبد الله أن حفصة أمرت انسانا أن يكتب لها مصحفا فقالت اذا بلغت هذه الآية (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) فأذني فلما بلغ أذانها فقالت اكتب حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقياموا لله قانتين (طريق أخرى) قال ابن جرير حدثني ابن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا عبد الله بن نافع أن حفصة أمرت مولى لها أن يكتب لها مصحفا فقالت اذا بلغت هذه الآية (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) فلا تكتبها حتى امليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فلما بلغها أمرته فكتبها (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقياموا لله قانتين) قال نافع فقرأت ذلك المصحف فوجدت فيه الواو وكذا روى ابن جرير عن ابن عباس وعبيد بن عمير أنهما قرآ كذلك وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبيدة حدثنا محمد بن عمرو حدثني أبو سلمة عن عمرو بن رافع مولى عمر قال كان في مصحف حفصة حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقياموا لله قانتين وتقرير المعارضة انه عطف صلاة العصر على الصلاة الوسطى . واو العطف التي تقتضي المغايرة فدل ذلك على أنها غيرها راجيب عن ذلك بوجوه (أحدها) أن هذا ان روي على أنه خبر فحديث علي أصح وأصرح منه وهذا يمتثل أن تكون الواو زائدة كما في قوله (وكذلك تفصل الآيات ولتستبين سبيل المحرمين) وكذلك ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) أو تكون اعطف الصفات لا اعطف الذوات كقوله (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وكقوله (سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى ولذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى) وأشبه ذلك كثيرة وقال الشاعر :

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية في المزدحم

وقال أبو داود الايادي :

سلاط الموت والمنون عابهم فلهم في صدى المقابر هام

والموت هو المنون

الاسماء ليحافظوا على جميعها

قوله تعالى ﴿ وقياموا لله قانتين ﴾ أي مطيعين . قال الشعبي وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وطاوس : القنوت الطاعة . قال الله تعالى « أمة قانتا لله » أي مطيعا . وقال السكلي ومقاتل : لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين يقوموا أتم لله فيهم لانكم مطيعين . وقيل القنوت السكوت

فقدمت الهشيم لراهشيه فألقى قولها كذبا ومينا

والكذب هو المين وقد نص سيديويه شيخ النحاة على جواز قول القائل مررت بأخيك وصاحبك ويكون الصاحب هو الآخر نفسه والله أعلم وأما إن روي على أنه قرآن فانه لم يتواتر فلا ثبت بمثل خبر الواحد قرآن ولهذا لم يثبت أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في المصحف ولا قرأ بذلك أحد من القراء الذين ثبتت الحجة بقراءتهم لا من السبعة ولا من غيرهم . ثم قد روي ما يدل على نسخ هذه التلاوة المذكورة في هذا الحديث قال مسلم: حدثنا اسحق بن راهويه أخبرنا يحيى بن آدم عن فضيل بن مرزوق عن شقيق بن عقبة عن البراء بن عازب قال: نزلت (حافظوا على الصلوات وصلاة العصر) فقرأناها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ثم نسخها الله عز وجل فأنزل (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فقال له زاهر رجل كان مع شقيق: أفهي العصر؟ قال قد حدثتك كيف نزلت وكيف نسخها الله عز وجل قال مسلم: ورواه الأشجعي عن الثوري عن الأسود عن شقيق قلت وشقيق هذا لم يرو له مسلم سوى هذا الحديث الواحد والله أعلم فعلى هذا تكون هذه التلاوة وهي تلاوة الجادة ناسخة للفظ رواية عائشة وحفصة ولمعناها ان كانت الواو دالة على المغايرة والا فلفظها فقط والله أعلم .

وقيل ان الصلاة الوسطى هي صلاة المغرب رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وفي اسناده نظر فانه رواه عن أبيه عن أبي الجاهر عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي الخليل عن عمه عن ابن عباس قال: صلاة الوسطى المغرب وحكي هذا القول ابن جرير عن قبيصة بن ذؤيب وحكي أيضا عن قتادة على اختلاف عنه ووجه هذا القول بعضهم بأنها وسطى في العدد بين الرباعية والثمانية بأنها وتر المنروضات وبما جاء فيها من الفضيلة والله أعلم . وقيل انها العشاء الأخيرة اختاره على بن أحمد الواحدي في تفسيره المشهور وقيل هي واحدة من الخمس لا بعينها وأبهمت فيهن كما أبهمت ليلة القدر في الحول أو الشهر أو العشر ويحكي هذا القول عن سعيد بن المسيب وشريح القاضي ونافع مولى ابن عمر والربيع بن خيثم ونقل أيضا عن زيد بن ثابت واختاره امام الحرمين الجويني في نهايته

وقيل بل الصلاة الوسطى مجموع الصلوات الخمس رواه ابن أبي حاتم عن ابن عمر وفي صحته أيضا نظر والعجب أن هذا القول اختاره الشيخ أبو عمرو بن عبد البر الفمري امام ما وراء البحر وانها لاحدى عما لا يجوز التكلم به في الصلاة أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار ابن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذى أنا أحمد بن منيع أنا هشيم أنا اسماعيل بن أبي خالد عن الحارث بن سقيل عن أبي عمرو الشيباني عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة يكلم الرجل منا صاحبه الى جنبه حتى نزلت (وقوموا لله قانتين) فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام . وقال مجاهد: خاشعين ، وقال من

الكبر إذ اختاره مع اطلاعه وحفظه ما لم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا أثر وقيل إنها صلاة العشاء وصلاة الفجر . وقيل بل هي صلاة الجماعة وقيل صلاة الجمعة وقيل صلاة الخوف وقيل بل صلاة عبد العطر وقيل بل صلاة الاضحى وقيل الوتر وقيل الضحى وتوقف فيها آخرون لما تعارضت عندهم الأدلة ولم يظهر لهم وجه الترجيح ولم يقع الاجماع على قول واحد بل لم يزل النزاع فيها موجودا من زمان الصحابة والى الآن قال ابن جرير: حدثني محمد بن بشار وابن مثنى قالا: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال: سمعت قتادة يحدث عن سعيد بن المسيب قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلفون في الصلاة الوسطى هكذا وشبك بين أصابعه وكل هذه الأقوال فيها ضعف بالنسبة إلى النبي قبلها وإنما المدار ومترك النزاع في الصبح والعصر وقد ثبتت السنة بأنها العصر فتعين المصير إليها . وقد روى الامام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمه الله في كتاب الشافعي رحمه الله حدثنا أبي سمعت حرمة ابن يحيى اللخمي يقول قال الشافعي كل ما قلت فكان عن النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف قولي مما يصح فحديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى ولا تقلدوني وكذا روى الربيع والزعفراني واحمد بن حنبل عن الشافعي وقال موسى أبو الوليد بن أبي الجارود عن الشافعي إذا صح الحديث وقلت قولاً فأنا راجع عن قولي وقائل بذلك فهذا من سيادته وأمانته وهذا نفس اخوانه من الائمة رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين آمين ومن ههنا قطع القاضي الماوردي بان مذهب الشافعي رحمه الله ان صلاة الوسطى هي صلاة العصر وان كان قد نص في الجديد وغيره انها الصبح لصحة الاحاديث انها العصر وقد وافقه على هذه الطريقة جماعة من محدثي المذهب ولله الحمد والمنة . ومن الفقهاء في المذهب من ينكر ان تكون هي العصر مذهب الشافعي (١) وصمموا على انها الصبح قولاً واحداً . قال الماوردي : ومنهم من حكى في المسئلة قولين ولتقرير المعارضات والجوابات موضع آخر غير هذا وقد أفردناه على حدة ولله الحمد والمنة .

١ « نسخة الازهر
مذهب الشافعي

وقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) أي خاشعين ذليلين مستكينين بين يديه وهذا الامر مستلزم ترك الكلام في الصلاة لمناقاته اياها ولهذا لما امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من الرد على ابن مسعود حين سلم عليه وهو في الصلاة اعتذر اليه بذلك وقال « ان في الصلاة لشغلا » وفي صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية بن الحكم السلمي حين تكلم في الصلاة « ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وذكر الله » وقال الامام أحمد ابن حنبل القنوت طول الركوع وغض البصر والركود وخفض الجناح كان العلماء اذا كان احدهم يصلي بهاب الرحمن ان يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا الا ناسيا وقيل المراد من القنوت طول القيام . أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا ابن أبي عمر أنا سفيان بن عيينة عن ابن الزبير عن جابر قال : قبل للنبي صلى الله عليه وسلم أي الصلاة أفضل . قال « طول القنوت » وقيل (قانتين) أي داعين

حدثنا يحيى بن سعيد عن اسماعيل حدثني الحارث بن شبيل عن أبي عمرو والشيباني عن زيد بن أرقم قال : كان الرجل يكلم صاحبه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في الحاجة في الصلاة حتى نزلت هذه الآية (وقوموا لله قانتين) فأمرنا بالسكوت رواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن اسماعيل به وقد أشكل هذا الحديث على جماعة من العلماء حيث ثبت عندهم أن تحريم الكلام في الصلاة كان بمكة قبل الهجرة إلى المدينة وبعد الهجرة إلى أرض الحبشة كما دل على ذلك حديث ابن مسعود الذي في الصحيح قال : كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن نهجر إلى الحبشة وهو في الصلاة فيرد علينا قال فلما قدمنا سلمت عليه فلم يرد عليّ فأخذني ما قرب وما بعد فلما سلم قال «أني لم أرد عليك إلا أني كنت في الصلاة وإن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة» وقد كان ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ثم قدم منها إلى مكة مع من قدم فهاجر إلى المدينة وهذه الآية (وقوموا لله قانتين) مدنية بلا خلاف فقال قائلون إنما أراد زهد بن أرقم بقوله كان الرجل يكلم أخاه في حاجته في الصلاة لاخبار عن جنس الكلام واستدل على تحريم ذلك بهذه الآية بحسب ما فهمه منها والله أعلم . وقال آخرون إنما أراد أن ذلك قد وقع بالمدينة بعد الهجرة إليها ويكون ذلك قد أبيح مرتين وحرم مرتين كما اختار ذلك قوم من أصحابنا وغيرهم والاول أظهر والله أعلم . وقال الحافظ أبو يعلى : أخبرنا بشر بن الوليد أخبرنا اسحق بن يحيى عن المسيب عن ابن مسعود قال : كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة فررت برسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فلم يرد عليّ فوق في نفسي أنه نزل في شيء فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته قل «وعليك السلام أيها المسلم ورحمة الله أن الله عز وجل يحدث من أمره ما يشاء فاذا كنتم في الصلاة فاقتوا ولا تكلموا» وقوله (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) لما أمر تعالى عباده بالمحافظة على الصلوات والقيام بمحدودها وشدد الأمر بتأكيدها ذكر الحال الذي يشتغل الشخص فيها عن أدائها على الوجه الاكل وهي حال القتال والتحام الحرب فقال (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا) أي فصلوا على أي حال كان رجالا أو ركبانا ، يعني مستقبلي القبلة وغير مستقبلها كما قال مالك عن نافع أن ابن عمر كان إذا سئل عن صلاة الخوف وصفها . ثم قال فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالا على أقدامهم أو ركبانا مستقبل القبلة أو غير مستقبلها . قال نافع : لا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم

دليله ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعاً يدعو على أحياء من بني سليم على رعل وذكوان وعصية ، وقيل معناه مصلين لقوله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل) أي مصل

قوله تعالى (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا) (فرجالا) أي رجالة يقال راجل ورجال مثل صاحب وصحاب وقائم وقيام ونائم ونيام (أو ركبانا) على دوابهم وهو جمع راكب معناه أن لم

ورواه البخاري وهذا لفظ مسلم ورواه البخاري أيضاً من وجه آخر عن ابن جريج عن مومي بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه أو قريباً منه ، ولمسلم أيضاً عن ابن عمر قال : فإن كان خوف أشد من ذلك فصل راكباً أو قائماً تومي ، إمام . وفي حديث عبد الله بن أنيس الجعفي لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن سفيان المهذلي ليقبضه وكان نحوه عرفة أو عرقات فله وجهة حانت صلاة العصر قال فخشيت أن تفوتني فجمعت أصلي وأنا أومي ، إمام . الحديث بطوله رواه أحمد ، وأبو داود بأسند جيد وهذا من رخص الله التي رخص لعباده ووضعها لأصاار والأغلال عنهم ، وقد روى ابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال : في هذه الآية يصلي الراكب على دابته والراجل على رجله . قال وروى عن الحسن ومجاهد ومكحول والسدي والحكم ومالك والاوزعي والثوري والحسن بن صالح نحوه ذلك — وزاد ويؤمي ، برأسه أينما توجه ثم قال : حدثنا أبي حدثنا غسان حدثنا داود يعني ابن عاوية عن مطرف عن عطية عن جابر ابن عبد الله قال : إذا كانت المسابقة فليؤمي ، برأسه إمام ، حيث كان وجهه فذلك قوله (فرجالاً أو ركباناً) وروى عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وعطية والحكم وحامد وقتادة نحوه ذلك وقد ذهب الإمام أحمد فيما نص عليه إلى أن صلاة الخوف تفعل في بعض الأحيان ركعة واحدة إذا تلاحم الجيشان وعلى ذلك ينزل الحديث الذي رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن جرير من حديث أبي عوانة الوضاح بن عبد الله الشكري — زاد مسلم والنسائي وأبو بوب بن عائذ — كلاهما عن بكير بن الأخنس الكوفي عن مجاهد عن ابن عباس قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة ، وبه قال الحسن البصري وقتادة والضحاك وغيرهم . وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدي عن شعبة قال : سألت الحكم وحامدا وقتادة عن صلاة المسابقة فقالوا : ركعة . وهكذا روى الثوري عنهم سواء . وقال ابن جرير أيضاً : حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية بن الوليد حدثنا المسعودي حدثنا يزيد الفقيه عن جابر بن عبد الله قال : صلاة الخوف ركعة . واختار هذا القول ابن جرير وقال البخاري (باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو) وقال الأوزاعي : إن كان تهيأ الفتح ولم يقدروا على الصلاة صلوا إماماً كل امرئ لنفسه فإن لم يقدروا على الإمام أخروا الصلاة حتى ينكشف القتال ويأمنوا

يمكنكم أن تصلوا قاتنين موفين للصلاة حقها خوف فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركباناً على ظهور دوابكم وهذا في حال المقاتلة والمسابقة يصلي حيث كان وجهه راجلاً أو راكباً مستقبل القبلة وغير مستقبلها ويؤمي بالركوع والسجود ويجعل السجود أخفض من الركوع وكذلك إذا قصده سبع أو غشيه سيل يخاف منه على نفسه فعدا إمامه مصلياً بالإمام يجوز ، والصلاة في حال الخوف على أقسام فهذه أحد أقسام شدة صلاة الخوف وشائر الأقسام سيأتي بيانها في سورة النساء إن شاء الله تعالى ولا ينتقص عدد الركعات بالخوف عند أكثر أهل العلم . وروى عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما

فيصلوا ركعتين فإن لم يقدرُوا صلوا ركعة وسجدةً فإن لم يقدرُوا لا يجزئهم التكبير ويؤخرونها حتى يأمنوا وبه قال مكحول وقال أنس بن مالك : حضرت مناهضة حصن تستر عند اضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدرُوا على الصلاة فلم نصل الا بعد ارتفاع النهار فصليتُها ونحن مع أبي موسى ففتح لنا قال أنس : وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها . هذا لفظ البخاري ثم استشهد على ذلك بحديث تأخيرهِ صلى الله عليه وسلم صلاة العصر يوم الخندق لعذر المحاربة الى غيبة الشمس ، وبقوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لاصحابه لما جهزهم الى بني قريظة « لا يصاين أحدُكم العصر الا في بني قريظة » فمنهم من أدركته الصلاة في الطريق فصَلوا وقالوا لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعجبل السير ومنهم من أدركته فلم يصل الى أن غربت الشمس في بني قريظة فلم ينفِ واحداً من الفريقين وهذا يدل على اختيار البخاري لهذا القول والجمهور على خلافه ويقولون على أن صلاة الخوف على الصفة التي ورد بها القرآن في سورة النساء ووردت بها الاحاديث لم تكن مشروعة في غزوة الخندق وإنما شرعت بعد ذلك وقد جاء مصرحاً بهذا في حديث أبي سعيد وغيره وأما مكحول والاوزاعي والبخاري فيجيبون بأن مشروعية صلاة الخوف بعد ذلك لا تنافي جواز ذلك لان هذا حال نادر خاص فيجوز فيه مثل ما قلنا بديل صانع الصحابة زمن عمر في فتح تستر وقد اشتهر ولم ينكر والله أعلم

وقوله (فاذا أمنتُم فاذكروا الله) أي أقيموا صلاتكم كما أمرتم فأتوا ركوعاً وسجوداً وقياماً وقعوداً وخشوعاً وهجوداً (كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) أي مثل ما أنعم عليكم وهذاكم الايمان وعلمكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة فقابلوه بالشكر والذكر كقوله بعد ذكر صلاة الخوف (فاذا اطأنتُم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) وستأتي الاحاديث الواردة في صلاة الخوف وصفاتها في سورة النساء عند قوله تعالى (وإذا كنتم فيهم فأقموا لهم الصلاة) الآية

(٢٣٨) والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لازواجهم متاعاً الى الحول غير

لمخرج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزير حكيم

قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وهو قول عطاء وطائفة والحسن ومجاهد وقتادة انه يصلي في حال شدة الخوف ركعة . وقال سعيد بن جبير : اذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم بعضاً فقل « سبحان الله الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر » واذا ذكر الله فاذا ذكرت الله فذلك صلاتك (فاذا أمنتُم فاذكروا الله) أي فصلوا الصلوات الخمس تامة بمحرقها (كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون)

قوله تعالى (والذين يتوفون منكم) يا معشر الرجال (ويذرون) أي يتركون (أزواجاً) أي زوجات (وصية لازواجهم) قرأ أهل البصرة وابن عمار وحمة وحفص وصية بالنصب على معنى

(٢٤٠) وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين (٢٤١) كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تعقلون

قال الا كثرون هذه الآية منسوخة بالتي قبلها وهي قوله (يتر بصن بأفسهن أربعة أشهر وعشرأ) قال البخاري : حدثنا أمية حدثنا يزيد بن زريع عن حبيب عن ابن أبي مليكة قال ابن الزبير : قلت لعثمان بن عفاز (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا) قد نسختها الآية الاخرى فلم تكتبها أو تدعها قال : يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه . ومعنى هذا الاشكال الذي قاله ابن الزبير لعثمان اذا كان حكمها قد نسخ بالأربعة الأشهر فما الحكمة في إبقاء رسمها مع زوال حكمها ، وبقاؤها رسمها بعد التي نسختها يوم بقاء حكمها ؟ فأجابه أمير المؤمنين بأن هذا أمر توقيفي وأنا وجدتها مثبتة في المصحف كذلك بعدها فأثبتها حيث وجدتها . قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج ابن محمد عن ابن جريح وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس في قوله (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهن متاعا الى الخوغلير إخراج) فكان المتوفى عنها زوجها نفقة وسكنهاها في الدار سنة فنسختها آية المواريث فجعل لمن الثمن أو الربع مما ترك الزوج ثم قال : وروي عن أبي موسى الأشعري وابن الزبير ومجاهد وإبراهيم والحسن وعكرمة وقنادة والضحاك وزيد بن أسلم والسدي ومقاتل بن حيان وعطاء الخراساني والربيع بن أنس أنها منسوخة وروى من طريق علي بن أبي طاحه عن ابن عباس قال : كان الرجل اذا مات وترك امرأته اعتدت سنة في بيته ينفق عليها من ماله ثم أنزل الله بعد (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتر بصن بأفسهن أربعة أشهر وعشرا) فهذه عدة المتوفى عنها زوجها الا أن تكون حاملا فمدتها أن تضع ما في بطنها وقال (ولهن الربع مما تركن ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلهن الثمن مما تركن) فبين ميراث المرأة وترك الوصية والنفقة قال : وروي عن مجاهد والحسن وعكرمة وقنادة والضحاك والربيع ومقاتل بن حيان قالوا نسختها (أربعة أشهر وعشرا) قال وروي عن سعيد بن المسيب قال نسختها التي في الاحزاب (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) الآية (قلت) وروي عن قتادة أنها منسوخة بآية الميراث وقال البخاري حدثنا اسحق ابن منصور حدثنا روح حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (والذين يتوفون

فأبوصوا وصية وقرأ الباقون بالرفع أي كتب عليكم الوصية ﴿ متاعا الى الخول ﴾ متاعا نصب على المصدر أي ممتوهن متاعا ، وقيل جعل الله ذلك لمن متاعا والمتاع نفقة سنة لطماعها وكسوتها وسكنها وما تحتاج اليه ﴿ غير إخراج ﴾ نصب على الحال وقيل بنزع حرف على الصفة أي من غير إخراج . نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى المدينة وله أولاد ومعه أبواه وامراته فمات فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم والديه وأولاده من ميراثه ولم يؤت امرأته شيئا وأمرهم ان ينفقوا عليها من تركه زوجها حولا كاملا وكانت عدة الوفاة في ابتداء الاسلام حولا كاملا وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت قبل تمام الخول

منكم وبذرون أزواجا) قال كانت هذه العدة تمتد عند أهل زوجها واجب فأُنزل الله (والذين يتوفون منكم وبذرون أزواجا وصية لازواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف) قال: جعل الله تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت وهو قول الله (غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم) فالعدة كما هي واجب عليها زعم ذلك عن مجاهد رحمه الله وقال عطاء قال ابن عباس نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها فتعتمد حيث شاءت وهو قول الله تعالى (غير إخراج) قال عطاء: إن شاءت اعتدت عند أهلها وسكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت لقول الله (فلا جناح عليكم فيما فعلن) قال عطاء: ثم جاء الميراث فنسخ السكنى فتعتمد حيث شاءت ولا سكنى لها ثم أسند البخاري عن ابن عباس مثل ما تقدم عنه بهذا القول الذي عول عليه مجاهد وعطاء من أن هذه الآية لم تدل على وجوب الاعتداد سنة كما زعم الجمهور حتى يكون ذلك منسوخا بالاربعة الأشهر وعشرين وانما دلت على أن ذلك كان من باب الوصاة بالزوجات أن يمكن من السكنى في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولا كاملا، إن اخترن ذلك ولهذا قال (وصية لازواجهم) أي بوصيتكم الله بهن وصية كقوله (بوصيتكم الله في أولادكم) الآية وقوله (وصية من الله) وقيل إنما انتصب على معنى فلتوصوا لهن وصية وقرأ آخرون بالرفع وصية على معنى كتب عليكم وصية واختارها ابن جرير ولا يمنع من ذلك لقوله (غير إخراج) فأما إذا انقضت عدتهن بالاربعة أشهر والعشر أو بوضع الحمل واخترن الخروج والانتقال من ذلك المنزل فانهن لا يمنعن من ذلك لقوله (فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف) وهذا القول له اتجاه وفي اللفظ مساءلة له وقد اختاره جماعة منهم الإمام أبو العباس بن تيمية ورده آخرون منهم الشيخ أبو عمر بن عبد البر وقول عطاء ومن تابعه على أن ذلك منسوخ بآية الميراث إن أرادوا ما زاد على الاربعة أشهر والعشر فسلم وإن أرادوا أن سكنى الاربعة أشهر وعشر لا يجزئ في تركة الميت فهذا مما يجل خلاف بين الائمة وهما قولان للشافعي رحمه الله وقد استدلوا على وجوب السكنى في منزل الزوج بما رواه مالك في موطأه عن سعد بن سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب ابن عجرة أن الفريضة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أخبرتها وكانت نفقتها وسكنها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم يخرج ولم يكن لها الميراث فإن خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها، وكان على الرجل أن يوصي بها فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثمن ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشرين

قوله تعالى ﴿فإن خرجن﴾ يعني من قبل أنفسهن قبل الحول من غير إخراج الورثة ﴿فلا جناح عليكم﴾ يا أوليا الميت ﴿فما فعلن في أنفسهن من معروف﴾ يعني التزين للزناح ولرفع الجناح عن الرجال وجهان أحدهما: لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول. والآخر: لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب

أنها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله ان ترجع الى أهلها في بني خديرة فان زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى اذا كان بطرف القدرم لحقهم فقتلوه قالت : فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع الى أهلي في بني خديرة فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة . قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر بي فنوديت له فقال « كيف قلت » فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال « امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله » قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا قالت : فلما كان عثمان بن عفان أرسل الي فسألني عن ذلك فأخبرته فأتبعه وقضى به وكذا رواه أبو دارد والترمذي والنسائي من حديث مالك به . ورواه النسائي أيضا وابن ماجه من طرق عن سعد بن اسحاق به وقال الترمذي حسن صحيح

وقوله (وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لما أنزل قوله تعالى (متاعا بالمعروف حقا على المحسنين) قال رجل : ان شئت أحسنت ففعلت وان شئت لم أفعل فأنزل الله هذه الآية (وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) وقد استدلل بهذه الآية من ذهب من العلماء الى وجوب المنعة لكل مطلقة سواء كانت مفوضة أو مفروضا لها أو مطلقة قبل المسيس أو مدخولا بها وهو قول عن الشافعي رحمه الله واليه ذهب سعيد بن جبير وغيره من السلف واختاره ابن جرير ومن لم يوجبها مطلقا يخصص من هذا العموم مفهوم قوله تعالى (لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين) وأجاب الاولون بأن هذا من باب ذكر بعض أفراد العموم فلا تخصيص على المشهور المنصور والله أعلم

وقوله (كذلك يبين الله لكم آياته) أي في احلاله وتحريمه وفروضه وحدوده فيما أمركم به ونهاكم عنه بيانه ووضحه وفسره ولم يترك مجالا في وقت احتياجكم اليه (لعلكم تعقلون) أي تفهمون وتتدبرون

عليها خبرها الله تعالى بين ان تقيم حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج فلا نفقة ولا سكنى الى ان نسخها بأربعة أشهر وعشر (والله عزيز حكيم) والمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين (إنما أعاد ذكر المنعة هنا لزيادة معنى وذلك ان في غيرها بيان حكم غير الممسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المنعة ، وقيل انه لما نزل قوله تعالى (ومتعهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) الى قوله (حقا على المحسنين) قال رجل من المسلمين ان أحسنت ففعلت وان لم أر ذلك لم أفعل . فقال الله تعالى (وللمطلقات متاع) جعل المنعة لهن بلام التاميك وقال (حقا على المتقين) يعني المؤمنين المتقين الشرك

(كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون)

(٢٤٢) ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحيام إن الله لنو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون (٢٤٣) وقاتلوا في سبيل الله واعلموا إن الله سميع عليم (٢٤٤) من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون *

روى عن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف وعنه كانوا ثمانية آلاف وقال أبو صالح : تسعة آلاف وعن ابن عباس أربعون ألفا . وقال وهب بن منبه وأبو مالك : كانوا بضعة وثلاثين ألفا . وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كانوا أهل قرية يقال لها ذاوردان . وكذا قال السدي وأبو صالح وزاد من قبل واسط ، وقال سعيد بن عبد العزيز : كانوا من أهل أذرعات ، وقال ابن جريج عن عطاء قال : هذا مثل (١) وقال علي بن عاصم : كانوا من أهل ذاوردان قرية على فرسخ من قبل واسط ، وقال وكيع بن الجراح في تفسيره : حدثنا سفيان عن ميسرة بن حبيب النهدي عن المنهال بن عمرو السدي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) قال : كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون قالوا : نأني أرضا ليس بها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قل الله لهم (موتوا) فماتوا فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحيام فذلك قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) الآية . وذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة في زمان بني

(١) يعني انها ضرب
مثل لا قصة واقعة

فوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم ﴾ قال أكثر أهل التفسير كانت قرية يقال لها ذاوردان قبل واسط بها وقع الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا ، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين . فقال الذين بقوا : أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا وإن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض لا وباء بها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا جميعا . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله ابن عامر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام فلما جاء سرغ بلغة ، أن الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منّا » فرجع عمر من سرغ . قال الكلبي ومقاتل والضحاك : إنما فروا من الجهاد وذلك أن ملكا من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم فمسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم أن الأرض التي نأتبها

اسرائيل استوخوا أرضهم وأصابهم بآفة شديدة فخرجوا فرارا من الموت هاربين الى البرية فمزقوا
واديا أفيح فملؤا ما بين عدوتيه فأرسل الله اليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادي والآخر من
أعلاه فصاحا بهم صيحة واحدة فأتوا عن آخرهم مائة رجل واحد فجزوا الى حظائر وبنى عليهم
جدران وفنوا وعزقوا وتفرقوا فلما كان بعد دهر مر بهم نبي من أنبياء بني اسرائيل يقال له حزقيل
فسأل الله أن يحييهم على يديه فأجابه الى ذلك وأمره أن يقول: أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن
تجتمعى، فاجتمع عظام كل جسد بعضها الى بعض، ثم أمره فنادى أيتها العظام ان الله يأمرك أن تكتسبي
لحما وعصبا وجلدا، فكان ذلك وهو يشاهده، ثم أمره فنادى أيتها الارواح ان الله يأمرك أن ترجع
كل روح الى الجسد الذي كانت تعمه فقاموا أحياء ينظرون. قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة
وهم يقولون: سبحاك لا اله الا أنت. وكان في احيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني
يوم القيامة ولهذا قال (ان الله لرفوف على الناس) أي فيما يريهم من الآيات الباهرة والحجج
القاطعة والدلالات الدامغة (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) أي لا يقومون بشكر ما أنعم الله به
عليهم في دينهم ودنياهم. وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه ان يغني حذر من قدر وأنه لا ملجأ من
الله الا اليه فان هؤلاء خرجوا فرارا من الوباء طلبا لطول الحية فموتوا بفيض قصدهم وجاءهم الموت
سريعا في آن واحد. ومن هذا القيل الحديث الصحيح الذي رواه الامام أحمد حدثنا اسحق
ابن عيسى أخبرنا مالك وعبد الرزاق أخبرنا معمر كلاهما عن الزهري عن عبد الحميد بن عبد الرحمن
ابن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس أن عمر بن
الخطاب خرج الى الشام حتى اذا كان يسرع اقميه أمراء الاجناد أبو عبيدة بن الجراح
بها الوباء فلا تأتيها حتى يقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا من ديارهم فرارا من الموت
فلما رأى الملك ذلك قال: اللهم رب يعقوب وإله موسى وهرون قد ترى معصية عبائك فأمر آية في
أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك، فلما خرجوا قال لهم الله تعالى موتوا عقوبة لهم
فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم
فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركهم فيها واختموها في
مباغ عددهم. قال عطاء الخراساني: كانوا ثلاثة آلاف. وقال وهب: أربعة آلاف وقال مقاتل
والسكاكي ثمانية آلاف. وقال أبو رواق عشرة آلاف. وقال السدي بضعة وثلاثون ألفا. وقال
ابن جريج أربعون ألفا. وقال عطاء ابن أبي رباح سبعون ألفا: وأولى الاقارب قول من قال كانوا
زبادة على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم ألوف والالوف جمع الكثير وجمعه القليل آلاف
والالوف لا يقل لما دون عشرة آلاف قالوا فأتت على ذلك مسدة وقد بايت أجسادهم وعريت
عظامهم فمر عليهم نبي يقال له حزقيل بن بوذي ثالث خلفاء بني اسرائيل من بعد موسى عليه
السلام وذلك ان القيم بعد موسى بأمر بني اسرائيل يوشع بن نون ثم كالب بن يوفنا ثم حزقيل كان

وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام فذكر الحديث فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغييا لبعض حاجته فقال ان عندي من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا كان بارض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وإذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه » فحمد الله عزهم ثم انصرف واخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به بطريق أخرى لبعضهم قال احمد حدثنا حجاج وبزيد العمري قالوا اخبرنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن سالم عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عبد الرحمن بن عوف اخبر عمر وهو في الشام عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن هذا السقم عذب به الامم قبلكم فاذا سمعتم به في ارض فلا تدخلوها وإذا وقع بارض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا » قال فرجع عمر من الشام واخرجاه في الصحيحين من حديث مالك عن الزهري بنحوه وقوله (وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم) أي كأن الحذر لا يغني من القدر كذلك

يقال له ابن المعجوز لان امه كانت عجوزا فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله تعالى لها . قال الحسن ومقاتل : هو ذو الكفل وسمي حزقيل ذا الكفل لانه تكفل بسبعين نبيا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل على أولئك الموتى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم متعجبا فأوحى الله تعالى اليه تريد ان أريك آية ؟ قال نعم : فأحيام الله وقبل دعا حزقيل ربه ان يحييهم فأحيام . وقال مقاتل والكلبي : هم كانوا قوم حزقيل أحيام الله بعد ثمانية أيام وذلك انه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال : يارب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدمونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فأوحى الله تعالى اليه اني جمعت حياتهم اليك . قال حزقيل : أحيوا باذن الله فاشوا . قال مجاهد : انهم قالوا حين أحيوا ، سبحانك اللهم ربنا وبمحمدك لا إله الا أنت فرجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبثون ثوبا الا عاد دنسا مثل الكفن حتى ماتوا لا آجالهم التي كتبت لهم . قال ابن عباس رضي الله عنهما : وانها لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الرياح . قال قتادة : مقتهم الله على فرارهم من الموت فأماهم عتوبة لهم ثم بمثوا ليستوفوا مدة آجالهم ولو جاءت آجالهم ما بمثوا فذلك قوله تعالى (ألم تر) أي ألم تعلم يا علامي اياك وهو من رؤية القلب وقال اهل المعاني هو تعجيب يقول هل رأيت مثلهم كما نقول ألم تر الى ما يصنع فلان وكل ما في القرآن ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا وجه ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ﴿ جمع ألوف ﴾ وقيل مؤتلفة قلوبهم جمع ألوف مثل قاعد وقعود والصحيح ان المراد منه العدد ﴿ حذر الموت ﴾ أي خوف الموت ﴿ فقال لهم الله موتوا ﴾ أمر تحويل كقوله (كونوا قردة خاسئين) ﴿ ثم أحيام ﴾ بعد موتهم ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ﴾ قيل هو على العموم في حق الكافة وقيل على الخصوص في حق المؤمنين ﴿ ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ أما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون فلم يبالغوا غاية الشكر ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ﴾ أي في طاعة أعداء الله ﴿ واعلموا ان الله سميع عليم ﴾ قال أكثر أهل

الفرار من الجهاد ونجبه لا يقرب أجلا ولا يبعده بل الاجل المحتوم والرزق المقسوم مقدر مقين لا يزداد فيه ولا ينقص منه كما قال تعالى (الذين قالوا لآخوانهم وقعدوا: لو أطاعونا ما قتلوا، قل قادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) وقال تعالى (وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا يظلمون شيئا) أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) وروى ناعن أمير الجيوش ومقدم المساكر وحامي حوزة الاسلام وسيف الله المسلول على أعدائه أبي سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه انه قال وهو في سياق الموت: لقد شهدت كذا وكذا موقفا وما من عضو من أعضائي إلا وفيه رمية أو طعنة أو ضربة وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت عين الجبناء - يعني انه يتألم لكونه مامتا قتيلا في الحرب ويتأسف على ذلك ويتألم أن يموت على فراشه وقوله (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) يحث تعالى عباده على الانفاق في سبيل الله وقد كرر تعالى هذه الآية في كتابه العزيز في غير موضع وفي حديث النزول انه يقول تعالى «من يقرض غير عديم ولا ظلم» وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت (من ذا

القرض) هذا خطاب للذين أحياوا أمروا بالتمال في سبيل الله فخرجوا من ديارهم فرارا من الجهاد فأمانهم الله ثم أحياهم وأمرهم أن يجاهدوا. وقيل الخطاب لهذه الأمة أمرهم بالجهاد

قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازي عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما أعد لهم من الثواب قرضا لانهم يعملونه لطلب ثوابه. قال الكسائي: القرض ما أسلفت من عمل صالح أو شيء، وأصل القرض في اللغة القبط سمي به القرض لانه يقطع من ماله شيئا يعطيه ليرجع اليه مثله، وقيل في الآية اختصار مجازة: من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه كقوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله) أي يؤذون عباد الله كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمتك وأنت رب العالمين؟ قال استطعمتك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي» وقوله عز وجل (يقرض الله) أي ينفق في طاعة الله (قرضا حسنا) قال الحسين بن علي الواقدي: يعني محتسبا طيبة به نفسه. قال ابن المبارك: من مال حلال وقال لا يمن به ولا يؤذي (فيضاعفه له) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر ويعقوب (فيضاعفه) وبابه بالتشديد ووافق أبو عمرو في سورة الاحزاب وقرأ الآخرون (فيضاعفه) بالالف مخففا وهما لغتان ودليل التشديد قوله (أضعافا كثيرة) لان التشديد للتكثير. وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب الفاء وكذلك في سورة الحديد على جواب الاستفهام، وقيل باضمار ان وقرأ الآخرون: رفع البناء نسقا على قوله يقرض (أضعافا كثيرة) قال السدي هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله عز وجل وقيل

الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له (قال أبو الدحداح الانصاري يارسول الله وان الله عز وجل ليريد منا القرض قال « نعم يا أبا الدحداح » قال أرني يدك يارسول الله قال فناولته يده قال فاني قد اقرضت ربي عز وجل حائطي قال وحائظ له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعياله قال فجاء أبو الدحداح فناداها بأمر الدحداح قالت ليبيك قال اخرجني فقد اقرضته ربي عز وجل ، وقد رواه ابن مردويه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه وقوله (قرضاً حسناً) روي عن عمر وغيره من السلف هو النفقة في سبيل الله وقيل هو النفقة على العيال وقيل هو التسبيح والتفديس وقوله (فيضاعفه له اضعافاً كثيرة) كما قال تعالى (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) الآية وسبأتي الكلام عليها وقال الامام احمد حدثنا يزيد اخبرنا مبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي قال أنبت أبا هريرة رضي الله عنه فقلت له انه بلغني أنك تقول ان الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة قال وما اعجبك من ذلك لقد سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله يضاعف الحسنة ألف مرة » هذا حديث غريب وعلي بن زيد بن جدهان عنده مناكير لكن رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر قال حدثنا أبو خلاد سليمان بن خلاد المؤدب حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا محمد بن عقبة الرقاعي (١) عن زياد الجصاص عن أبي عثمان النهدي قال لم يكن أحداً أكثر مجالسة لابي هريرة مني فقدم قبلي حاجاً قال وقدمت بعده فاذا أهل البصرة يأترون عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة » فقلت ويحكم والله ما كان أحداً أكثر مجالسة لابي هريرة مني فما سمعت هذا الحديث قال فتحملت اريد أن ألحقه فوجدته قد انطلق حاجاً فانطلقت الى الحج أن ألقاه في هذا الحديث فلقيته لهذا فقلت يا أبا هريرة ما حديث سمعت أهل البصرة يأترون عنك قال ما هو قلت زعموا أنك تقول ان الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة قال يا أبا عثمان وما تعجب من ذا والله يقول (من الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة) ويقول (وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة » وفي معنى هذا الحديث ما رواه الترمذي وغيره من طريق عمرو بن دينار عن سالم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من سبعمائة ضعف ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ قرأ أهل البصرة وحجة يبسط ههنا وفي الاعراف بسطة بالسين كمنظائرهما وقرأهما الآخرون بالصاد وقيل يقبض بامساك الرزق والنفس والتقدير ويبسط بالتوسيع وقيل يقبض بقبول التوبة والصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل هو الاحياء والاموات فمن أماته فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له وقيل هذا في القلوب لما أمرهم الله تعالى بالصدقة أخبر انهم لا يمكنهم ذلك الا بتوقيفه ، قال يقبض بعض القلوب فلا ينشط بالخير ويبسط بعضها فيقدم لنفسه خيراً كما جاء في الحديث القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقبضها الله كيف يشاء » (٢)

(١) وفي نسخة الازهر
الرباعي

«٢» رواه مسلم
بلفظ « ان قلوب بني
آدم » الخ

دخل سوقا من الاسواق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير - كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة الحديث وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا اسماعيل بن ابراهيم بن بسام حدثنا أبو اسماعيل المؤدب عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر قال لما نزلت (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبت سبع سنابل) الى آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رب زد امتي » فنزلت (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) قال « رب زد امتي » فنزلت (انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب) وروى ابن أبي حاتم أيضا عن كعب الاحبار انه جاءه رجل فقال اني سمعت رجلا يقول من قرأ (قل هو الله أحد) مرة واحدة بنى الله له عشرة آلاف ألف غرفة من در وياقوت في الجنة أفأصدق بذلك؟ قال نعم أو عجبك من ذلك قال نعم وعشرين الف الف وثلاثين الف الف وما لا يحصى ذلك إلا الله ثم قرأ (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) فالكثير من الله لا يحصى وقوله (والله يقبض ويبسط) أي انفقوا ولا تبالوا فالله هو الرزاق يضيّق على من يشاء من عباده في الرزق ويوسع على آخرين له الحكمة البالغة في ذلك (واليه ترجعون) أي يوم القيامة (١)

(٢٤٥) ألم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا

الحديث (واليه ترجعون) أي الى الله تعودون فيجزئكم بأعمالكم . وقال قتادة : الهاء راجعة الى التراب كناية من غير مذكور أي من التراب خلقهم واليه يعودون

قوله تعالى (ألم تر الى الملا من بني اسرائيل) والملا من القوم وجدهم وأشرفهم وأصل الملا الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه كالقوم والزهط والابل والخيل والجيش وجمعه املاء (من بعد موسى) أي من بعد موت موسى (اذ قالوا لنبي لهم) واختلفوا في ذلك النبي فقال قيادة هو يوشع بن نون بن افرايم ابن يوسف عليه السلام وقل السدي : اسمه شمعون وانما سمى شمعون لان أمه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله دعائها فولدت غلاما فسمته شمعون تقول سمع الله تعالى دعائي والسين تصير شيئا بالبرانية وهو شمعون بن صفية بنت علقمة من ولد لاوي بن يعقوب ، وقال سائر المفسرين هو اشمويل وهو بالعبرانية اسماعيل بن يال بن علقمة وقال مقاتل : هو من نسل هارون وقال مجاهد : هو اشمويل وهو بالعبرانية اسماعيل ابن هلقايا . وقال وهب وابن اسحق والكلبي وغيرهم كان سبب مسألتهم اياه ذلك انه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده في بني اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم التوراة وأمر الله تعالى حتى قبضه الله تعالى ثم خلف فيهم كالب بن يوقنا كذلك حتى قبضه الله تعالى ثم خلف حزقيل حتى قبضه الله ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بني اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما

(١) لا يصح من هذه الاحاديث شيء بل أقل ما يقال فيها الضعف وقد ذكرنا من علامات الحديث الموضوع الثواب الكبير على العمل القليل وما سكنت عنها المصنف الا لانها في فضائل الاعمال ولم يقل في حديث الترمذي انه غريب وان عمرو بن دينار راويه عن سالم هو قهرمان آل الزبير رمي بالوضع وصرحوا بأنه روى عن سالم أحاديث منكورة

نقاتل في سبيل الله قال : هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقتلوا؟ قالوا : وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا؟ فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين *

قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة هذا النبي هو يوشع بن نون قال ابن جرير يعني ابن أفرام ابن يوسف بن يعقوب وهذا القول بعيد لان هذا كان بعد موسى بدهر طويل وكان ذلك في زمان داود عليه السلام كما هو مصرح به في القصة وقد كان بين داود وموسي ما ينيف عن ألف سنة والله أعلم . وقال السدي هو شعون وقال مجاهد هو شوبل عليه السلام وكذا قال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه وهو شمويل بن بلي بن علقمة بن ترخام بن اليهود (١) بن بهرض بن علقمة بن ماجب بن عمر صا بن عزريا بن صفية بن علقمة بن أبي ياشف بن قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام ، وقال وهب ابن منبه وغيره كان بنو اسرائيل بعد موسى عليه السلام على طريق الاستقامة مدة من الزمان ثم أحدثوا الاحداث وعبد بعضهم الاصنام ولم يزل بين أظهرهم من الانبياء من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويطيعهم على منهج التوراة الى أن فعلوا ما فعلوا فسلط الله عليهم أعداءهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا خلقا كثيرا وأخذوا منهم بلادا كثيرة

(١) وفي نسخة
اليهو بالواو

نسوا من التوراة ، ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله وخلف فيهم الخلوف وعظمت الخطايا فظهر لهم عدو يقال له البلثاينا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالة فظهروا على بني اسرائيل وغلّبوا على كثير من أرضهم وشبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربع مائة وأربعين غلاما فضرّوا عليهم الجزية وأخذوا تورانهم ولقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم من يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم الا امرأة حبلى فحسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبذلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل تقول سمع الله تعالى دعائي فبكّر الغلام فاسلمته ليعلم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه ، فلما بلغ الغلام اناه جبريل وهو نائم الى جنب الشيخ وكان لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل . فقام الغلام فرعا الى الشيخ فقال له يا أبتاه دعوتني؟ فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام وقال يا بني ارجع فقم فرجع الغلام فقام ثم دعاه الثانية فقل الغلام يا أبت دعوتني؟ فقال ارجع فقم فان دعوتك الثالثة فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا ، فلما أناهم كذبوه وقالوا استعجلت بالنبوة ولم تنلك ، وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا فقاتل في سبيل الله آية من نبوتك وانما كان قوم أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك لانبيائهم فكان الملك

ولم يكن أحد يقاتلهم الا غلبوه وذلك أنهم كان عندهم التوراة والتابوت الذي كان في قديم الزمان وكان ذلك موروثا لخلفهم عن سلفهم الى موسى الكليم عليه الصلاة والسلام فلم يزل بهم تماديههم على الضلال حتى استلبه منهم بعض الملوك في بعض الحروب وأخذ التوراة من أيديهم ولم يبق من يحفظها فيهم الا القليل وانقطعت النبوة من أسباطهم ولم يبق من سبط لاوي الذي يكون فيه الانبياء الا امرأة حامل من بعلمها وقد قتل فأخذوها فخبسوها في بيت واحتفظوا بها لعل الله يرزقها غلاما يكون نبيا لهم ولم تزل المرأة تدعو الله عز وجل أن يرزقها غلاما فسمع الله لها وهبها غلاما فسمته شمويل أي سمع الله دعائي ومنهم من يقول شمعون وهو بمعناه فشب ذلك الغلام ونشأ فيهم وأنبت الله نباتا حسنا فلما بلغ سن الانبياء أوحى الله اليه وأمره بالدعوة اليه وتوجيهه فدعا بني اسرائيل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكا يقاتلون معه أعداءهم وكان الملك أيضا قد باد فيهم فقال لهم النبي : فهل عسيتم ان أقام الله لكم ملكا ألا تقاتلوا وتغفوا بما التزمت من القتال معه (قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أي وقد أخذت منا البلاد وسبيت الاولاد قال الله تعالى : لما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين أي مارفوا بما وعدوا بل نكل عن الجهاد أكثرهم والله عليم بهم

هو الذي يسير بالجوع والنبي يقيم له أمره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب بن منبه بعث الله تعالى اشمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعماليق ما كان فقالوا لاشمويل ﴿ ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ﴾ جزم على جواب الامر فلما قالوا ذلك ﴿ قال هل عسيتم ﴾ استفهام شك يقول لعلكم قرأ نافع عسيتم بكسر السين كل القرآن وقرأ الباقون بالفتح وهي اللغة الفصيحة بدليل قوله تعالى عسى ربكم ﴿ ان كتب ﴾ فرض ﴿ عليكم القتال ﴾ مع ذلك الملك ﴿ أن لا تقاتلوا ﴾ ان لا تفوا بما تقولون ولا تقاتلوا معه ﴿ قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله ﴾ فان قيل فما وجه دخول ان في هذا الموضع والعرب لا تقول مالك ان لا تفعل وانما يقال مالك لا تفعل ؟ قيل دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فلا ثبات كقوله تعالى (مالك ان لا تكون مع الساجدين) والحذف كقوله تعالى (مالمكم لا تؤمنون بالله) وقال الكسائي معناه ومالنا في ان لا نقاتل فحذف ﴿ في ﴾ وقال الفراء أي وما يمنعنا ان لا نقاتل في سبيل الله كقوله تعالى (ما منعك ان لا تسجد) وقال الاخفش : ﴿ ان ﴾ ههنا زائدة معناه : وما لنا لا نقاتل في سبيل الله ﴿ وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ أي أخرج من غاب عليهم من ديارهم ظاهر الكلام الموم وباطنه المخصوص لان الذين قالوا لنبيهم : ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله كانوا في ديارهم وأوطانهم وانما أخرج من أسر منهم ومعنى الآية انهم قالوا محبين لنبيهم انما كنا نزهدهم في الجهاد اذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فلما اذا بلغ ذلك منا فطبع ربنا في الجهاد ونمنع نساءنا وأولادنا قال الله تعالى ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ﴾ أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله ﴿ الا قليلا منهم ﴾ وهم الذين

(٢٤٦) وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك

علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال؟ قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة

في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم *

أي لما طابوا من نبيهم أن يعين لهم ملكا منهم فعين لهم طالوت وكان رجلا من أجنادهم ولم يكن من بيت الملك فيهم لأن الملك كان في سبط يهوذا ولم يكن هذا من ذلك السبط فلهذا قالوا (أنى يكون له الملك علينا) أي كيف يكون ملكا علينا (ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) أي ثم هو مع هذا فقير لا مال له يقوم بالملك وقد ذكر بعضهم أنه كان سقاء وقيل دباغا وهذا اعتراض منهم على نبيهم وتعنّت وكان الأولى بهم

عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على العفرية على ما سيأتي إن شاء الله تعالى ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴿ وذلك إن أشمو بل سأل الله تعالى إن يبعث لهم ملكا فأتى بمصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له إن صاحبكم الذي يكون طوله طول هذه العصا وانظر هذا القرن الذي فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ، وكان طالوت اسمه بالعبرانية ساول بن قيس من أولاد بنيامين بن يعقوب سمي طالوت لطوله وكان أطول من كل أحد برأسه ومنكبته وكان رجلا دباغا يعمل الأديم (١) قاله وهب. وقال السدي: كان رجلا سقاء يسقي على حمار له من النبل فضل حماره فخرج في طلبه ، وقيل كان خر بندجا. وقال وهب : بل ضلت حماره لابي طالوت فارسله وغلاما له في طلبها فمرا بيت أشمويل عليه السلام فقال الغلام لاطالوت لو دخلا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحر ليرشدنا ويدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له حاجتهما اذنش الدهن الذي في القرن فقام أشمويل عليه السلام فمقاس طالوت بالعصا فكانت طوله فقال لاطالوت قرب رأسك فقر به فدهنه بدهن القدس ثم قال له أنت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى أن أملكه عليهم فقال طالوت : أمأملت أن يبطلني أدنى أسباط بني إسرائيل وبيتي أدنى بيوت بني إسرائيل؟ قال بلى قال فبأي آية قال : بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمرا فكان كذلك . ثم قال لبني إسرائيل : إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴿ قلوا أنى يكون له الملك علينا ﴾ أي من أين يكون له الملك علينا ﴿ ونحن أحق ﴾ أولى ﴿ بالملك منه ﴾ وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان سبط النوبة وسبط المملكة، فكان سبط النوبة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن طالوت من أحدهما إنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهرا فغضب الله تعالى عليهم ونزع الملك والنوبة عنهم وكانوا باسمونه سبط الاتم فلما قال لهم نبيهم ذلك انكروا عليه لأنه لم يكن

«١» الأديم الجلد
وفي الخازن : يدغ
الأديم

طاعة وقول معروف ثم قد أجابهم النبي قائلًا (ان الله اصطفاه عليكم) أي اختاره لكم من بينكم والله أعلم به منكم يقول لست أنا الذي عينته من تلقاء نفسي بل الله أمرني به لما طلبتم مني ذلك (وزاده بسطة في العلم والجسم) أي وهو مع هذا أعلم منكم وأنبل وأشكل منكم وأشد قوة وصبراً في الحرب ومعرفة بها أي أتم علماً وقامة منكم ومن ههنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه ثم قال (والله يؤتي ملكه من يشاء) أي هو الحاكم الذي ما شاء فعل ولا يستل عما يفعل وهم يستلون لعلمه وحكمته ورأفته بخلقه ولهذا قال (والله واسع عليم) أي هو واسع الفضل يختص برحمته من يشاء عليم بمن يستحق الملك ممن لا يستحقه

(٢٤٧) وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما

ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * يقول لهم نبيهم ان علامة بركة ملك طالوت عليكم أن يرد الله عليكم التابوت الذي كان أخذ منكم (فيه سكينه من ربكم) قيل معناه فيه وقار وجلالة قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (فيه سكينه) أي وقار وقال الربيع : رحمة وكذا روي عن العوفي عن ابن عباس وقال ابن جريج : سألت

من سبط المملكة ومع ذلك قالوا هو فقير ﴿ ولم يؤت سعة من المال . قال ان الله اصطفاه ﴾ اختاره ﴿ عليكم وزاده بسطة ﴾ فضيلة وسعة ﴿ في العلم والجسم ﴾ وذلك انه كان أعلم بني اسرائيل في وقته وقيل انه أتاه الوحي حين أوفى الملك . وقال السكبي (وزاده بسطة) فضيلة وسعة (في العلم) بالحرب وفي (الجسم) بالطول وقيل الجسم بالجمال وكان طالوت أجمل رجل في بني اسرائيل وأعلمهم ﴿ والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ﴾ قيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى والعليم العالم ، وقيل العالم بما كان والعليم بما يكون فقالوا له فما آية ملكه ؟ فقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتكم التابوت فذلك قوله تعالى ﴿ وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتكم التابوت ﴾ وكانت قصة التابوت ان الله تعالى أنزل تابوتاً على آدم فيه صورة الانبياء عليهم السلام وكان من عود الشمشاد نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين فكان عند آدم الى ان مات ثم بعد ذلك عند شيث ثم توارثه أولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم ثم كان عند اسماعيل لانه كان أكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى فكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه فكان عنده الى ان مات موسى عليه السلام ثم تداولته أنبياء بني اسرائيل الى وقت اشمويل وكان فيه ما ذكر الله تعالى ﴿ فيه سكينه من ربكم ﴾ اختلفوا في السكينه ما هي قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ربح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وعن مجاهد شيء يشبه الهرة له رأس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لها شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد فكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصرة وكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف

عطاء عن قوله (فيه سكينه من ربكم) قال : ما تعرفون من آيات الله فتسكنون اليه وكذا قال الحسن البصري وقيل السكينه طست من ذهب كانت تغسل فيه قلوب الانبياء أعطاه الله موسى عليه السلام فوضع فيها الاواح ورواه السدي عن أبي مالك عن ابن عباس وقال سفيان الثوري : عن سلمة بن كهيل عن أبي الاحوص عن علي قال : السكينه لها وجه كوجه الانسان ثم هي روح هفافة وقال ابن جرير : حدثني المثنى حدثنا أبو داود حدثنا شعبة وحماد بن مسلمة وأبو الاحوص كلهم عن سماك عن خالد بن عرعة عن علي قال : السكينه ريح خجوج ولها رأسان وقال مجاهد لها جناحان وذنب وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه السكينه رأس هرة ميتة اذا صرخت في الثابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح وقال عبد الرزاق : أخبرنا بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول السكينه روح من الله تتكلم اذا اختلفوا في شيء تتكلم فتخبرهم ببيان ما يريدون

وقوله (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) قال ابن جرير : أخبرنا ابن مثنى حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) قال عصاه ورضاض الاواح وكذا قال قتادة والسدي والربيع بن أنس وعكرمة وزاد والنوراة وقال أبو صالح (وبقية مما ترك آل موسى) يعني عصا موسى وعصا هرون ولوحين من النوراة

وقفر . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هي طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وعن وهب بن منبه قال : هي روح من الله يتكلم اذا اختلفوا في شيء يخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن أبي رباح : هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون اليها . وقال قتادة والكلبي : السكينه فعيلة من السكون أي طمأنينة من ربكم ففي أي مكان كان الثابوت أطمأنوا اليه وسكنوا ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون﴾ يعني موسى وهرون نفسيهما كان فيه لوحان من النوراة ورضاض الاواح التي تكسرت وكان فيه عصا موسى ونملاه وعمامة هرون وعصاه وقفبز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل فكان الثابوت عند بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تتكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العاقلة فغلبوهم على الثابوت وكان السبب في ذلك أنه كان لعلي العالم الذي ربي اشمويل عليه السلام ابنان شابان وكان علي حبرهم وصاحب قربانهم فأحدث ابنه في القربان شيئا لم يكن فيه وذلك أنه كان لعلي منوط القربان الذي كانوا ينوطونه به كلابين فلما أخرجوا كان للساكن الذي ينوطه فجعل ابنه كلابين وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيتشبهن بهن فأوحى الله تعالى الى اشمويل عليه السلام انطلق الى علي فقل له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا في قرباني وقديسي شيئا وان يعصيانني فلا تزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكك واياهم فأخبر اشمويل علي بذلك ففرغ فزعا شديدا فصار اليهم عدو من حولهم فأمر بنيه ان يخرجوا بالناس فيقاتلوا ذلك العدو فخرجوا وأخرجوا معهم الثابوت فلما هموا للقتال جعل علي يتوقع

والمن وقال عطية بن سعد: عصا موسى وعصا هارون وثياب موسى وثياب هارون ورضاض الألواح وقال عبد الرزاق: سألت الثوري عن قوله (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) فقال منهم من يقول قفيز بن من ورضاض الألواح ومنهم من يقول العصا والنعلان

وقوله (نحمله الملائكة) قال ابن جريج: قال ابن عباس: جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون، وقال السدي: أصبح التابوت في دار طالوت فأمنوا بنبوة شمعون وأطاعوا طالوت، وقال عبد الرزاق عن الثوري عن بعض أشياخه جاءت به الملائكة نسوقه على عجلة على بقرة وقبل على بقرتين، وذكر غيره أن التابوت كان بأربحاء وكان المشركون لما أخذوه وضعوه في بيت آلهتهم تحت صنمهم الكبير فأصبح التابوت على رأس الصنم فأنزلوه فوضعوه تحته فأصبح كذلك فسمروه تحته فأصبح الصنم مكسور القوائم ملقى بعيدا فعلموا أن هذا أمر من الله لا قبل لهم به فأخرجوا التابوت من بلادهم فوضعوه في بعض القرى فأصاب أهلها داء في رقابهم أمرهم جارية من سبي بني اسرائيل أن يردوه إلى بني اسرائيل حتى يخلصوا من هذا الداء فحملوه الخبر ماذا صنعوا فجاء رجل وهو قاعد على كرسيه فقال ان الناس قد انهزموا وان بنيك قد قتلوا قال فما فعل التابوت؟ قال ذهب به العدو. فشق ووقع على قفاه من كرسيه ومات فخرج أمر بني اسرائيل وتفرقوا إلى ان بعث الله طالوت ملكا فسألوه البيعة فقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت. وكانت قصة التابوت ان الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازرد وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قديمي الصنم على التابوت فأصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فأخرجوه من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان إله بني اسرائيل لا يتوم له شيء فأخرجوه إلى قرية كذا فبعث الله على أهل تلك القرية فأرا فكانت الغارة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا قد أكلت ما في جوفه فأخرجوه إلى الصحراء فدفعوه في مخرة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذ الباسور والقولنج فتحبروا فقالت لهم امرأة كانت عندهم من سبي بني اسرائيل من أولاد الانبياء لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فأثروا بهجلة بأشارة تلك المرأة وهملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكّل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما فأقبلا حتى وقفا على أرض بني اسرائيل فكسرا نيريها وقطعا حبالهما ووضعوا التابوت في أرض فيها حصاد بني اسرائيل ورجعا إلى أرضهما فلم يرع بني اسرائيل الا بالتابوت فكبروا وحمدوا الله فذلك قوله تعالى ﴿نحمله الملائكة﴾ أي نسوقه وقال ابن عباس رضي الله عنهما جاءت الملائكة

(١) وفي نسخة
الازهر: ازدرد

على بقرتين فسارتا به لا يقر به أحدا لا مات حتى اقتربتا من بلد بني اسرائيل فكسرتا النيرين ورجعتا وجاء بنو اسرائيل فأخزوه فقل أنه تسلمه داود عليه السلام وأنه لما قام اليهما خجل من فرحه بذلك وقيل شابان منهم فله أعلم . وقيل كان التابوت بقرية من قرى فلسطين يقال لها ازدوده (١) وقوله (إن في ذلك لآية لكم) أي على صدقي فيما جئتمكم به من النبوة وفيما أمرتكم به من طاعة طالوت (ان كنتم مؤمنين) أي بالله واليوم الآخر

(٢٤٨) فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم . فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده . قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين *

يقول تعالى مخبرا عن طالوت ملك بني اسرائيل حين خرج في جنوده ومن أطاعه من ملا بني اسرائيل وكان جيشه يومئذ فيما ذكره السدي ثمانين ألفا فله أعلم أنه قال (ان الله مبتليكم) أي مخبركم بنهر قال ابن عباس وغيره : وهو نهر بين الاردن وفلسطين يعني نهر الشريعة المشهور (فن شرب

بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقل الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في النية خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقى هناك لحملته الملائكة حتى وضعته في دار طالوت فأقروا بملكه (ان في ذلك لآية) لعبارة (لكم ان كنتم مؤمنين) قال ابن عباس رضي الله عنهما إن التابوت وعصى موسى في بحيرة طهرية وأنها يخرجان قبل يوم القيامة

قوله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود) أي خرج بهم وأصل الفصل القطع يعني قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل وقيل ثمانون ألفا لم يتخلف عنه الا كبير لهمه أو مريض ارضه أو معذور لعذره وذلك انهم لما رأوا التابوت لم يشكوا في النصر فتسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لاجابة لي في كل ما أري لا يخرج معي رجل يبنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب نجارة يشغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبن بها ولا يتبعني الا الشاب النشيط البارع فاجتمع له ثمانون ألفا ممن شرطه وكان في حر شديد فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم فقالوا ان المياه قليلة لانحما فادع الله أن يجري لنا نهرا (قال) طالوت (ان الله مبتليكم بنهر) مخبركم ليرى طاعتكم - وهو أعلم - بنهر قال ابن عباس والسدي هو نهر فلسطين وقال قتادة نهر بين اردن وفلسطين غذب (فن شرب منه فليس مني) أي من أهل ديني وطاعتي (ومن لم يطعمه) لم يشربه (فانه مني الا من اغترف غرفة بيده) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وغرفة بفتح الغين وقرأ الآخرون بضم الغين وهما لغتان قال الكسائي الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف

منه فليس مني) أي فلا يصحبني اليوم في هذا الوجه (ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده) أي فلا بأس عليه قال الله تعالى (فشر بوا منه الا قليلا منهم) قال ابن جريج قول ابن عباس: من اغترف منه بيده روي ومن شرب منه لم يرو. وكذا رواه السدي عن أبي مالك عن ابن عباس وكذا قول قتادة وابن شاذب، قال السدي: كان الجيش ثمانين ألف فشرب منه ستة وسبعون ألفا وتبقى معه أربعة آلاف كذا قال وقد روى ابن جرير من طريق اسرائيل وسفيان الثوري ومسلم بن كدام عن أبي اسحق السبيعي عن البراء بن عازب قال: كننا نتحدث أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يوم بدر ثمانمائة وبضعة عشر على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر وما جازه معه الا مؤمن ورواه البخاري عن عبد الله بن رجاء عن امراة ايل بن يونس عن أبي اسحق عن جده عن البراء بن عازب بنحوه ولهذا قال تعالى (فلما جاوزوه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) أي استقلوا أنفسهم عن لقاء عدوهم لكثرتهم فشجعهم علماءهم العالمون بأن وعد الله حق فان النصر من عند الله ليس عن كثرة عدد ولا عدد . ولهذا قالوا (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

من الماء اذا غرغ والغرفة بالفتح الاعتراف فالضم اسم والفتح مصدر ﴿ فشر بوا منه إلا قليلا منهم ﴾ نصب على الاستثناء واختلفوا في القليل الذين لم يشربوا فقال السدي كانوا اربعة آلاف وقال غيره ثمانمائة وبضعة عشر وهو الصحيح لما اخبرنا عبد الواحد الميحيي أنا احمد بن عبد الله النعماني أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد الله بن رجاء أنا اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء قال كننا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر ولم يجاوزوا معه إلا مؤمن وهم بضعة عشر وثمانمائة وروي ثمانمائة وثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر وقد ألقى الله عليهم العطش فشرب منه الكل لا هذا العدد القليل فمن اغترف غرفة كأمس الله قومي قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالما وكفنه تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا امر الله اسودت شفاههم وغابهم العطش فلم يروا وبقوا على شط النهر وجنبوا عن لقاء العدو فلم يجاوزوا ولم يشهدوا الفتح وقيل كلهم جاوزوا ولكن لم يحضر القتال الا الذين لم يشربوا ﴿ فلما جاوزوه ﴾ يعني النهر ﴿ هو ﴾ يعني طالوت ﴿ والذين آمنوا معه ﴾ يعني القليل ﴿ قالوا ﴾ يعني الذين شربوا وخالفوا امر الله وكانوا أهل شك ونفاق ﴿ لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي فأنحرفوا ولم يجاوزوا ﴿ قال الذين بظنون ﴾ يستيقنون ﴿ أنهم ملاقوا الله ﴾ وهم الذين ثبتوا مع طالوت ﴿ كم من فئة ﴾ جماعة وهي جمع لا واحد له من لفظه وجمعها فئات وفئون في الرفع وفئتين في الخفض والنصب ﴿ قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ﴾ بقضائه وقدره وارادته ﴿ والله مع الصابرين ﴾ بالنصر والمعونة

(٤٢٩) ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (٢٥٠) فهزمهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ونولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين (٢٥١) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين

أي لما واجه حزب الايمان وهم قليل من أصحاب طالوت لعدوهم أصحاب جالوت وهم عدد ﴿ولما برزوا﴾ يعني طالوت وجنوده يعني المؤمنين ﴿لجالوت وجنوده﴾ المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو مظهر واستوى منها ﴿قواربنا افرغ علينا﴾ أنزل واصيب ﴿صبرا وثبت اقدامنا﴾ قو قلوبنا ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾ فهزمهم باذن الله ﴿أي بعلم الله تعالى﴾ وقتل داود جالوت ﴿وصفة قتله قال أهل التفسير عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا أبوداود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وكان يرمي بالقذافة فقال لا يه يوم يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيئا الا صرعته فقال له أبشر يا بني فان الله جعل رزقك في قذافتك ثم آتاه مرة أخرى فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدرا بضاً فركبته فأخذت بأذنيه فلم يهجنني . فقال أبشر يا بني فان هذا خير بر يده الله بك ثم آتاه يوماً آخر فقال يا أبتاه اني لامشي بين الجبال فاصبح فما بقي جبل الا سبج معي . فقال أبشر يا بني فان هذا خير أعطاك الله تعالى . فإرسل جالوت الى طالوت ان ابرز اليّ أو ابرز الي من يقتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فإدى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وفاصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم ان يدعو الله تعالى فدعا الله في ذلك ، فأنى بقرن فيه دهن القدس وتنور من حديد فقبل ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملاؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرائيل فخر بهم فلم يوافقهم منهم أحد فأوحى الله الى نبيهم أن في ولد ايشا من يقتل الله به جالوت فدعا طالوت ايشا فقال اعرض علي بنيتك فأخرج له اثني عشر رجلاً أمثال السواري فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئا فقال لا يشاهل بقي لك ولد غيرهم فقال لا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يارب انه زعم ان لا ولد له غيرهم ، فقال كذب . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ان ربي كذبك . فقال صدق الله يا بني الله ان لي ابناً صغيراً يقال له داود استحيت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا . وكان داود رجلاً قصيراً مسقماً مصغراً أزرق أمعر ، فدعاه طالوت ويقال بل خرج طالوت اليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزريبة التي كان يريح اليها ، فوجدته يحمل شاتين يميز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء ، فلما رآه

كثير قالوا (ربنا افرغ علينا صبرا) أى أنزل علينا صبرا من عندك (وثبت أقدامنا) أى في لقاء الاعداء وجنبنا الفرار والعجز (وانصرنا على القوم الكافرين)

قال الله تعالى (فهزموهم باذن الله) أى غلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم (وقتل داود جالوت) ذكرنا في الاسرائيليات أنه قتله بمقلع كان في يده وماء به فأصابه فقتله وكان طالوت قد وعده ان قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشاطره نعمته ويشركه في أمره فوفى له ثم آل الملك الى داود عليه السلام مع ما منحه الله به من النبوة العظيمة ولهذا قال تعالى (وآتاه الله الملك) الذى كان بيد طالوت (والحكمة) أى النبوة بعد شمويل (وعلمه مما يشاء) أى مما يشاء الله من العلم الذى اختصه

قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو بالذئب أرحم فدعاه ووضع القرن على رأسه ففاض فقال طالوت : هل لك ان تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري خاتمتك في ملكي قال نعم قال : رهل آسئت من نفسك شيئا تتقوى به على قتله ؟ قال نعم . أنا أرى الغنم فيجئ الأسد أو البئر أو الذئب فيأخذ شاة فاقوم اليه فأفزع لحبته عنها وأخرجها من قفاه ، فأخذ طالوت داود وردة الى عسكره فمر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناده الحجر يا داود احملي فاني حجر هارون الذى قتل بني ملك كذا وكذا فحملة في مخلاته ، ثم مر بحجر آخر فقال احملي فاني حجر موسى الذى قتل بني ملك كذا وكذا فحملة في مخلاته ، ثم مر بحجر آخر فقال احملي فاني حجر كذا الذى تقتل بني جالوت فوضعها في مخلاته فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة انتدب له داود فاعطاه طالوت فرسا ودرعا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم انصرف الى الملك فقال من حوله حين الغلام فجاء فوقف على الملك فقال ما شأنك ، فقال ان الله ان لم ينصرني لم يغن عني هذا السلاح شيئا ، فدعني أقاتل جالوت كما أريد ، قال فافعل ما شئت : قال نعم . فأخذ داود مخلاته فتقلدها وأخذ المقلع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الرجال وأقوام وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلثمائة رطل حديد فلما نظر الى داود ألقى الله في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز الي ؟ قال نعم . وكان جالوت على فرس أبلق وعليه السلاح التام قال فأتيتني بالمقلع والحجر كما يؤتى الكلب . قال داود عليه السلام : نعم أنت شر من الكلب . قال جالوت لا جرم لأقسمن لحك بين سباع الارض وطير السماء . قال داود : أو يقسم الله لحك فقال داود باسم إله ابراهيم وأخرج حجرا ثم أخرج الآخر وقال باسم إله اسحق ووضع في مقلعه ثم أخرج الثالث وقال باسم إله يعقوب ووضع في مقلعه فصارت كلها حجرا واحدا ودور داود عليه السلام المقلع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فحط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا ، وهزم الله تعالى الجيش وخر جالوت قتيلا فأخذه بجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين والناس يذكرون داود فجاء داود طالوت وقال أنجز لي ما وعدتني ، فقال أتريد ابنة الملك بغير صداق ؟ فقال داود : ما شربط

به صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) أي لولا الله يدفع عن قوم بآخرين كما دفع عن بني اسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود لهلكوا كما قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) الآية . وقال ابن جرير : حدثني أبو حميد الحمصي أحد بني المغيرة حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله يدفع بالاسلم الصالح عن مائة أهل بيت من خيرانه البلاء » ثم قرأ ابن عمر (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) وهذا اسناد ضعيف فان يحيى علي صداقا وليس لي شيء فقال لا أكفك الا ما تطيق أنت رجل جرى . وفي حيانا أعداء انما غلف فاذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتني بغلغهم زوجتك ابنتي فأنام فجعل كلما قتل واحدا منهم نظم غلفته في خبط حتى نظم غلفهم فجاء بها الى طالوت وألقاها اليه وقال ادفع الي امرأتي فزوجته ابنته وأجرى خاتمه في ملكه فقال الناس الى داود وأحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العنين فقالت ابنة طالوت لداود انك مقتول في هذه الليلة قال ومن يقتلني ؟ قالت أبي . قال فهل أجرت جرما : فقالت حدثني من لا يكذب ولا عليك ان تغيب هذه الليلة حتى تنظر مصداق ذلك . قال لئن كان أراد ذلك ما أستطيع خروجا ولكن اثني بزيخ فأتت به فوضعه في مضجعه على السرير وسجده ودخل تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لها أين بعلك ؟ قالت هو نائم على السرير فضر به بالسيف ضربة فسال الحجر فلما وجد ريح الحجر قل يرحم الله داود ما كان أكثر شره للخمر ، وخرج . فلما أصبح علم انه لم يفعل شيئا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق ان لا يدعني حتى يدرك مني ثاره فاشتد حجابيه وحراسه وأغلق دونه أبوابه . ثم ان داود أنه ليلة وقد هدأت العيون فأعفى الله سبحانه الحجة وفتح له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهمها عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت بصر بالسهم فعرفها فقال : يرحم الله تعالى داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفرتي فكيف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقى وما أنا بالذي آمنه فلما كانت القابلة أنه ثانيا وأعفى الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ ابريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئا من هذب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى ، فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ، ثم إن طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال : اليوم أقننه فركض على أثره واشتد داود وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا فأوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسج عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال : لو كان دخل ههنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى ، وانطلق داود وأتى

ابن سعيد هذا هو ابن العطار الحمصي وهو ضعيف جدا ثم قال ابن جرير : حدثنا أبو حميد الحمصي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله ليصالح بصلاح الرجل المسلم ولده وولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزولن في حفظ الله عز وجل مادام فيهم » وهذا أيضا غريب ضعيف لما تقدم أيضا وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا علي بن اسماعيل بن حماد أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد أخبرنا زيد بن الحباب حدثني حماد بن زيد عن أيوب بن أبي قلابة عن أبي السمان عن ثوبان رفع الحديث قل « لا يزال فيكم سبعة بهم تنصرون وبهم تمطرون »

الجبل مع المتبدين فتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن قتل داود الا قتله وأغرى على قتل العلماء فلم يكن يقدر على عالم في بني اسرائيل يطبق قتله الا قتله حتى أتى امرأة تعلم اسم الله الاعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الحباز وقال : لعلنا نحتاج الى عالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة وندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي وينادي أنشد الله عبدا يعلم أن لي توبة الا أخبرني بها، فلما أكثر عليهم ناداه مناد من القبور يا طالوت أما ترضى أن تقتلنا حتى تؤذينا أمواتا فازداد بكاء وحزنا فرحمه الحباز فقال مالك : أبها الملك قل هل تعلم لي في الارض عالما أسأله هل لي من توبة فقال الحباز : انما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال : لا تتركوا في القرية ديكا الا ذبحتموه، فلما أراد أن ينام قال لأصحابه : اذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندلج فقالوا له : وهل تركت ديكا نسمع صوته؟ ولكن هل تركت عالما في الارض؟ فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الحباز ذلك قال له : أرايتك ان دلتك على عالم لعلك أن تقتله قال : لا فتوثق عليه الحباز فأخبره أن المرأة العالمة عنده قال : انطلق بي اليها أسأله هل لي من توبة؟ وكانت من أهل بيت يعلم الاسم الاعظم فاذا فئيت رجالهم علمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال الحباز أنها اذا رأتك فزعت ولكن انت خافي ثم دخلا عليها فقال لها ألسنت أعظم الناس منة عليك أنجيئك من القتل وأوتيتك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة : هذا طالوت يسأل هل لي من توبة ؟ فغشي عليها من الفرق فقال لها : انه لا يربد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة ؟ قالت : لا والله لا أعلم لطالوت توبة، ولكن أعلم مكان قبر نبي، فانطلقت بهما الى قبر اشمويل فصلت ودعت ثم نادى يا صاحب القبر فخرج اشمويل من القبر بنفض رأسه من التراب فلما نظر اليهم ثلاثهم قال : ما لكم أقامت الفياضة ؟ قالت : لا ولكن طالوت يسألك هل له من توبة ؟ قال اشمويل : يا طالوت ما فعلت بمدي ؟ قل : لم أدع من الشر شيئا الا أتيت به وجئت لطلب التوبة قال له : كم لك عيالا ؟ يعني كم لك من الولد قال : عشرة رجال قال : ما أعلم لك من توبة الا أن تتخلي من ملكك وتخرج أنت وولدتك تقاثل في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاثل أنت حتى تقتل آخرهم. ثم رجع اشمويل الى القبر وسقط وخر ميتا. ورجع طالوت أحزن ما

وبهم ترزقون حتى يأتي أمر الله ، وقال ابن مردويه أيضا وحدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن جرير بن يزيد حدثنا أبو معاذ بن معاذ بن عثمان الليثي أخبرنا زيد بن الحباب أخبرني عمر البزار عن عنبسة الخواص عن قتادة عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الابدال في أمي ثلاثون : بهم ترزقون وبهم تمطرون وبهم تنصرون » قال قتادة : اني لارجو أن يكون الحسن منهم

وقوله (ولكن الله ذو فضل على العالمين) أي من عليهم ورحمة بهم يدفع عنهم بهضمهم بعضا وله الحكم والحكمة والحجة على خلقه في جميع أفعاله وأقواله

كان رهبة أن لا يتابعه ولده وقد بكى حتى سقطت أشجار عيذه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم : رأيتم اودفعت الى النار هل كنتم تغدونني ؟ قالوا : بلى ننديك بما قدرنا عليه قال : فانها النار ان لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا : فأعرض علينا فذكر لهم القصة قالوا : وانك لمقتول قال : نعم قالوا : فلا خير في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت ، فتمجز بماله وولده فنقدم ولده وكانوا عشرة فقاتلوا بن يديه حتى قتلوا ثم شد هو بعدهم للقتال حتى قتل فجاء قاتله الى داود ليبشره وقال قتل عدوك فقال داود : ما أنت بالذي تحيا بعده . ف ضرب عنقه ، وكان ملك طالوت الى أن قتل أربعين سنة وأتى بنو اسرائيل الى داود وأعطوه خزائن طالوت وملكوه على أنفسهم . قال الكلبي والضحاك ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى ﴿ وآتاه الله الملك والحكمة ﴾ يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط وقبل الملك والحكمة هو العلم مع العمل قوله تعالى ﴿ وعلمه مما يشاء ﴾ قال الكلبي وغيره يعني صنعة الدروع وكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده ، وقيل منطق الطير وكلام الجمل والنمل والذر والخفساء وجمار قبان وما أشبهها مما لا صوت لها وقيل هو الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان فلم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته ، وكان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقهم . وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري ويسكن الريح . وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما هو أن الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالحجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجواهر مدمرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهواء حدث الا صلصلت السلسلة فلم داود ذلك الحدث ولا يمسه ذو عاهة الا برى . وكانوا لا يتحاكمون الا اليها بعد داود عليه السلام الى أن رفعت فمن تعدى على صاحبه وأنكر له حقا أتى السلسلة فن كان صادقا مد يده الى السلسلة فتناولها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى أن ظهر بهم المكر والخديعة فبلغنا أن بعض ملوكها أودع رجلا جوهره ثمينة فلما استردها أنكرها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهره الى عكازة فنقرها وضمنها الجوهره واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقال صاحب الجوهره : رد علي

ثم قال تعالى (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين) أى هذه آيات الله التي قصصناها عليك من أمر الذين ذكرناهم بالحق أى بالواقع الذي كان عليه الامر المطابق لما بأبدى أهل الكتاب من الحق الذي يعلمه علماء بني اسرائيل (وانك) أى يا محمد (لمن المرسلين) وهذا تأكيد وتوطئة للقسم

﴿ تم الجزء الاول من تفسير الحافظ ابن كثير ﴾

(وهو يشتمل على جزئين من القرآن الكريم)

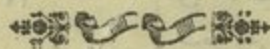
الوديعة فقال صاحبه : ما أعرف لك عندي من وديعة فان كنت صادقاً فتناول السلسلة فتناولها بيده فقيل للمنكر قم أنت فتناولها فقال لصاحب الجوهرة : خذ عكازني هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها المالك عنده ثم قام المنكر نحو السلسلة فأخذها فقال الرجل : اللهم ان كنت تعلم أن هذه الوديعة التي يدعيها علي قد وصلت اليه فقرب مني السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة (١)

قوله تعالى ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب (دفاع الله) بالالف همنا وفي سورة الحج وقرأ الآخرون بغير الف لان الله تعالى لا يقال له أحد وهو الدفع وحده ون قرأ بالالف قال : قد يكون الدفاع من واحد مثل قول العرب : أحسن الله عليك الدفاع . قال ابن عباس ومجاهد رولا دفع الله الناس بمجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخرّبوا المساجد والبلاد . وقال سائر المفسرين : لولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفعجار لهلكت الارض بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشربجي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجويه أنا أبو بكر ابن خزيمة أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أنا أبو حميد الحنفي أنا يحيى بن سعيد الطار أنا حفص ابن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « ان الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء » ثم قرأ ابن عمر رضي الله عنهما (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) لفدت لاضر ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين

تم الجزء الاول من تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل

(وهو يشتمل على جزئين من القرآن الكريم)

﴿ وكان تمام طبعهما بمطبعة المنار بمصر في شهر ربيع الآخر سنة ١٣٤٣ ويليهما الجزء الثاني ﴾



(١) قصارى هذه
الاسطورة ان الخائن
احتال على سلام
اليوب فنجحت
حياته : ١١

٢٥ رواه الطبراني
وسنده ضعيف

✽ تصحيح أغلاط الطابع وأكثره سقط أو خفاء أو تقديم أو تأخير في بعض الحروف والنقط ✽

مدرك بالبداية يسهل تصحيحه بالقلم

صفحة	سطر	خطاً	صواب	صفحة	سطر	خطاً	صواب
		» « برها —	برها ومن				
١١١	٢٣	كل	أكل	٤	٢٢	فقه	فقهه
١١٤	٥	الشدة	لشدة	١٢	٦	يؤتوا	يأتوا
١٣٣	٢٧	باطل	الباطل	١٧	٨	يقوله	يقول
»	٢٨	قاسمهم	باسمهم	٢٤	٨	خر	آخر
»	٢٩	ال	قال	٣٣	٢٢	وئل	وائل
١٣٤	٩	لا	إلا	٣٤	٥	بذلك	بذلك
»	١٤	مهران	بن مهران	»	»	بن	بن
١٣٥	٤	ونفسك	ونفسك	٣٥	١٤	سايان	سايان
»	٩	خلفنا	خلفنا	»	٢٦	الخاتق (١) تدبره	للخاتق (١) تقدبره
»	١٨	وكا	كا *	٣٨	٣	فاجرى	فأجرى
١٣٧	١٥	عباس وعن مرة	عباس وعن مرة	»	٩	للووح	للووح
١٣٨	٤	بشر	بشرا	٤١	١٦	تدعو	تدعوا
١٣٩	٢٥	أبو	أبوا	»	١٨	واذ	واذا
١٤٠	١١	المنظيرة	المنظير	٤٧	٨	ذ	اذ
١٤٦	٦	القاسم	ابن القيم	٥٥	١٦	لا يعتدون	يعتدون *
»	٢٦	الاشراف	الاشرف	٥٧	٤	أو معناه	ومعناه
١٧٦	٢٩	صا	صباح	»	»	الترمذي	والترمذي
١٨٠	١٠	وان	إوان	٥٨	٢	رجاؤنا	رجاءنا
١٨٢	٢٨	سبط	سبطا	٦٢	»	الزهران	الزهران
١٩٠	١٧	بشونهم	بشونهم	»	١٣	صاحبهم	صاحبهم
٢٠١	٥	بني الله	بني الله	٦٣	١٠	سودوان	سودوان
٢٠٦	٧	تشحب	تشحب	٦٩	٢١	متة	أمتة
٢١٤	٩	يكن	ليكون	٧٤	٢٦	عجب	أعجب
»	١٥	فيخصمكم	فيخصمكم	٧٥	١١	عمر عبد	عمر بن عبد
٢١٦	١٧	عباس	عباس	٨٠	١	المؤمنين	المؤمنين
٢١٧	»	في الخصم	في الخصم	٨٣	١٧	يون	يرون
»	»	في الخصم	في الخصم	٨٥	١١	أبصارهم	أبصارهم
»	»	في الخصم	في الخصم	»	١٢	الاعو	الاعور
»	»	في الخصم	في الخصم	١٠٠	٤	محيط بهم	محيط بهم
»	»	في الخصم	في الخصم	»	٢٨	جامعهم	جامعهم
»	»	في الخصم	في الخصم	١٠٢	١٤	إذ	إذا

✽ بهذا التصحيح استغنى عن التعليق الذي في الحاشية هنا وكنا نريد إعادة النظر فيه قبل طبعه ومراجعة أصوله فسبقتنا المطبعة

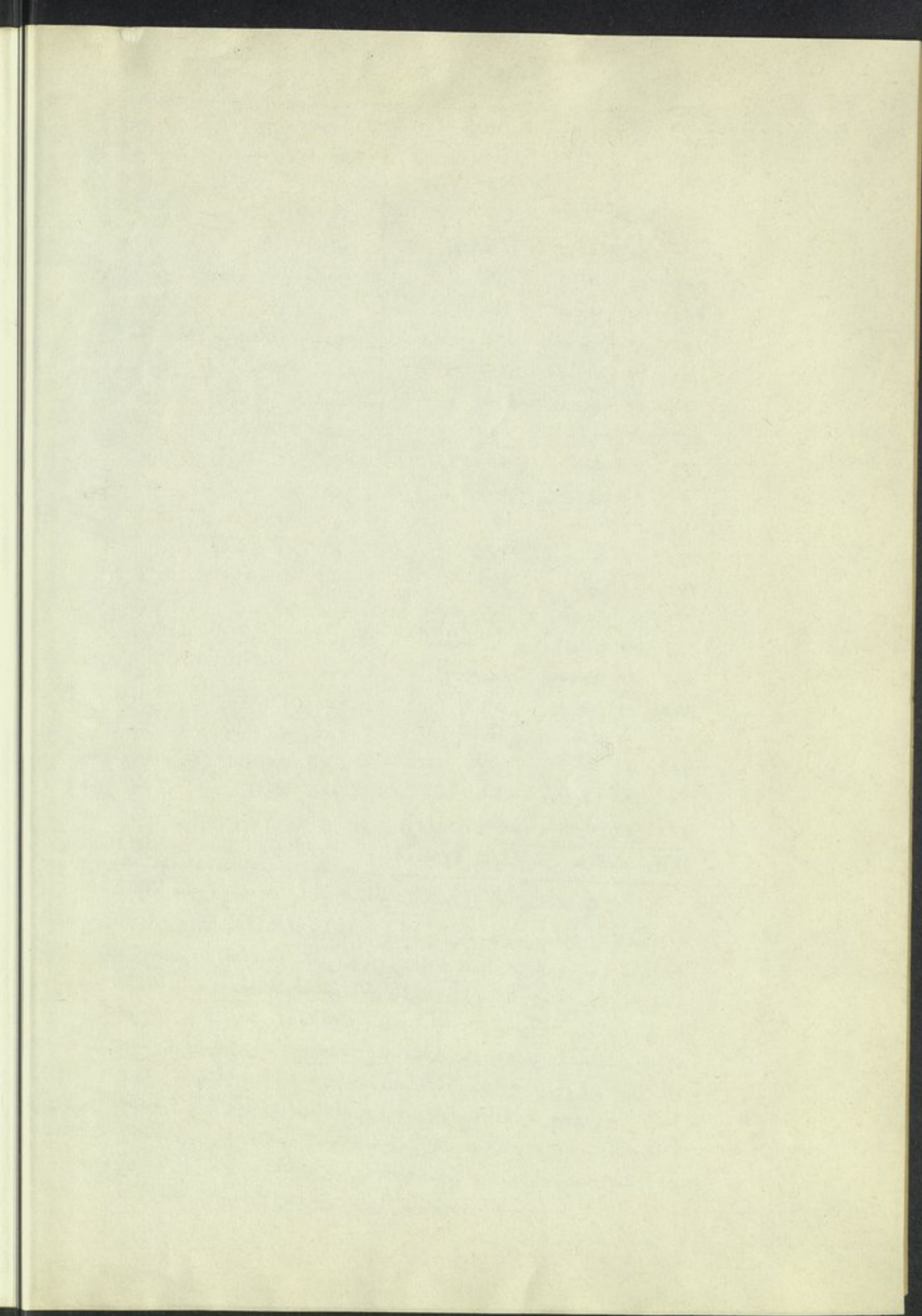
صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٢٤	١٣ كلام	كليمها	صواب
٢٣٧	١٠ نشأ	نشأ	صواب
»	١١ الله	أولياء الله	صواب
»	١٢ فاهلو	فياهلوا	صواب
»	٢٤ لأعاجم	الأعاجم	صواب
٢٤٨	٤ لاشيح	الاشيح	صواب
٢٥٠	٤ اعلم	علم	صواب
»	٥ ويحمد	ويحمد	صواب
٢٥٢	٢٨ يتلقاه الساح	يتلقاه الساحر	صواب
٢٥٩	١٩ وا.ا	وانما	صواب
٢٦٠	١٠ ينطق على	ينطق عن	صواب
٢٦٢	١٥ أحد	أحد	صواب
٢٦٤	٣ استخاروا	استخاروا	صواب
٢٦٨	١٦ أحول	أحوال	صواب
٢٧٤	٣ حكم	أحكام	صواب
٢٨٣	٧ يرجوا	يرجو	صواب
٢٩٤	٩ يسبقه لى	يسبقه الى	صواب
»	١٣ شاه	شاه	صواب
٢٩٥	٢١ الدالة	الدالة	صواب
٢٩٨	٢٠ ولذي	والذي	صواب
٣٠٥	٣ أجيب لى	أجيب الى	صواب
٣٠٧	٢٦ لاذخر	الاذخر	صواب
»	١١ ر.م	مر.م	صواب
٣١٤	١٠ بن عباس	ابن عباس	صواب
٣٢٤	١٦ أبو لاحوص	أبو الاحوص	صواب
»	٢١ ابغى	ابغى	صواب
٣٣٠	١٩ لعدول	العدول	صواب
»	٢٢ اما فعله	ما فعله	صواب
٣٣٢	١٦ بعثيان	بعثيان	صواب
٣٣٣	٨ الوسط	الوسطى	صواب
»	١٠ يستطيع	يستطيع	صواب
»	١٦ مرض	نمرض	صواب
٣٤٠	٦ يبيض	يبعض	صواب
»	٨ الكافرون	هم الكافرون	صواب
٣٤١	١٧ الحق	الحق	صواب
٣٤٣	١٦ أسلم	أسلم	صواب
»	١٨ مال	مال	صواب
٣٤٦	١٤ مال لهؤلاء	مال هؤلاء	صواب
»	٢ شر	شر	صواب
»	٢٥ أو تولية	أو تولية	صواب
٣٥٨	٩ قبلنا	قبلنا	صواب
٣٥٩	٦ الفراء	الفراء	صواب
»	١٤ أرسلناه	أرسلناه	صواب
٣٦٤	٩ أم سلمة	أم سلمة	صواب
٣٦٦	٢٥ لفقربات	لفقربات	صواب
٣٧٣	٥ هد	هد	صواب
٣٧٤	٨ أوتقوا	أوتقوا	صواب
٣٧٥	٥ ولد	ولد	صواب
٣٧٨	١٥ دعوا	دعوا	صواب
»	٢٣ ذن	ذن	صواب
٣٨٧	٦ ولا يمان	ولا يمان	صواب
٣٩٢	٣ ونساءهم	ونساءهم	صواب
٤٠٠	٧ أنا	انما	صواب
٤٠٨	٢٧ والصوم	الصوم	صواب
٤٠٩	١٠ أبو محمد	أبو محمد	صواب
٤١٠	١٩ العزيز	عبد العزيز	صواب
٤١٥	٢٤ الى	الى	صواب
٤٢٢	٢٩ أبوا غسان	أبو غسان	صواب
٤٢٥	٥ فيتم فيتمضيه؟	فيتمه ويقضيه	صواب
٤٢٩	٨ يحرم حلاله	يحرم حلالا	صواب
٤٣١	٢٧ الجيوب	الجيوب	صواب
٤٣٣	٥ لذى	الذين	صواب
»	١٤ واحد	واحد	صواب
٤٣٦	١٠ اعتدوا	اعتدى	صواب
٤٦٢	١٧ ونغزوا	ونغزوا (وفي نسخة ونغزوا)	صواب
٤٣٧	١٦ عكومة	عكرمة	صواب
٤٤٢	٢٩ وعمره	وعمره	صواب
»	» استظا	استطاع	صواب
٤٤٤	٢٣ يحجر	يحج	صواب

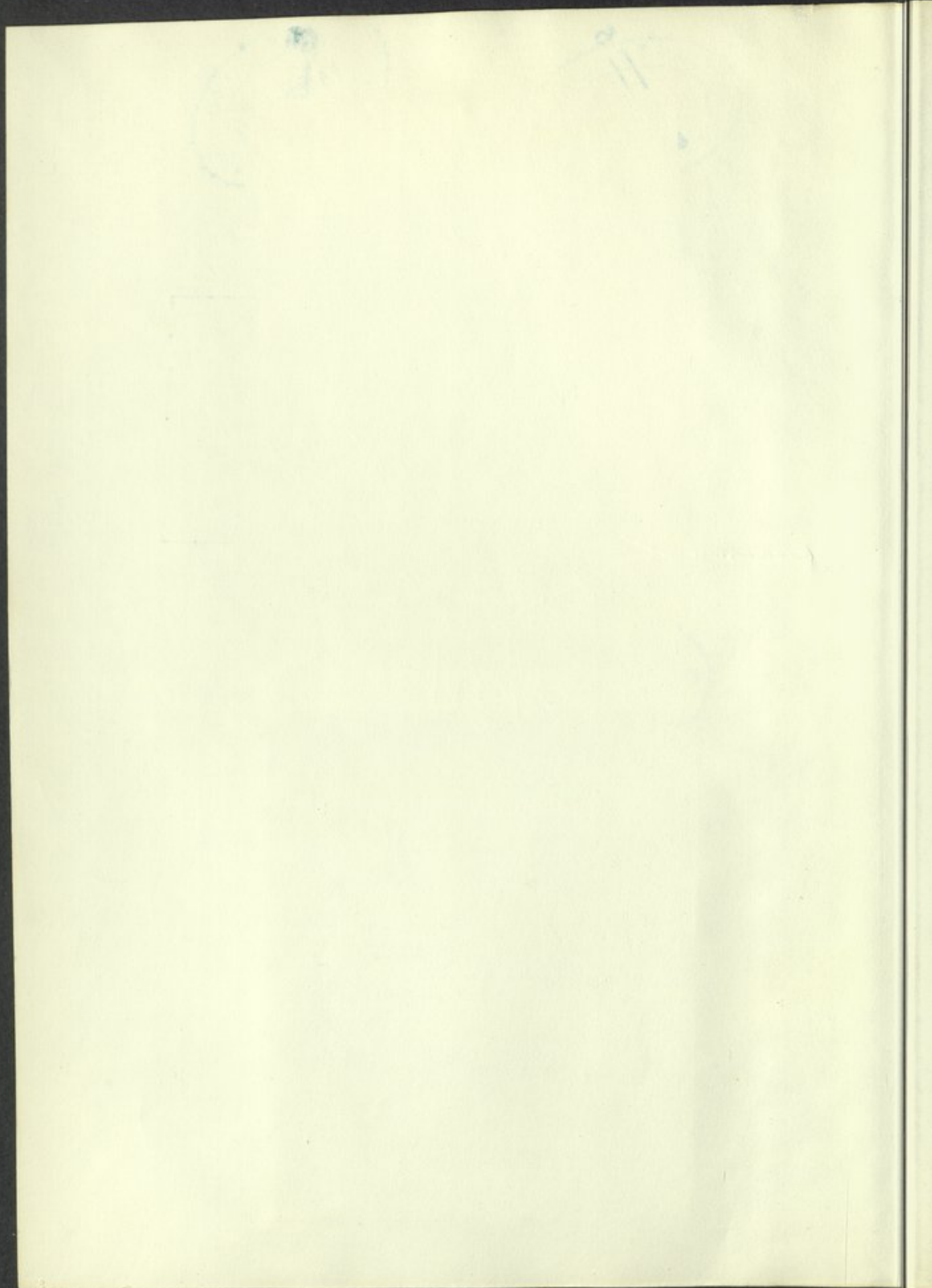
صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٤٥	٢٩	لى	الى	٤٤٥	٢٩	لى	الى
٤٤٧	٢٢	اليه	واليه	٤٤٧	٢٢	اليه	واليه
»	٢٣	نفقه	نفقة	»	٢٣	نفقه	نفقة
»	٢٥	الارى	الانصاري	»	٢٥	الارى	الانصاري
٤٤٨	١١	دراهما	دراهم	٤٤٨	١١	دراهما	دراهم
٤٥٢	١٣	وحرامه	واحرامه	٤٥٢	١٣	وحرامه	واحرامه
٤٥٤	٢٨	لا بها وقت	لا بها وقت	٤٥٤	٢٨	لا بها وقت	لا بها وقت
٤٥٦	١٣	وذا الحجة	وذا الحجة	٤٥٦	١٣	وذا الحجة	وذا الحجة
»	١٥	شوال وذا القعدة	شوال وذا القعدة	»	١٥	شوال وذا القعدة	شوال وذا القعدة
٤٦٧	٢١	بغيره	بغيره	٤٦٧	٢١	بغيره	بغيره
٤٦٩	٥	عند	عنه	٤٦٩	٥	عند	عنه
»	٩	ابن عباس	عباس	»	٩	ابن عباس	عباس
٤٧٠	٢٦	اذ	اذا	٤٧٠	٢٦	اذ	اذا
٤٧١	٢٦	حبان	حيان	٤٧١	٢٦	حبان	حيان
٤٧٢	٢١	منية	منيته	٤٧٢	٢١	منية	منيته
٤٧٣	٧	مردويه	ان مردويه	٤٧٣	٧	مردويه	ان مردويه
٤٨١	٢٦	ن الملايكة	أن الملايكة	٤٨١	٢٦	ن الملايكة	أن الملايكة
٤٨٥	١١	ابن مسعود	ابن مسعود	٤٨٥	١١	ابن مسعود	ابن مسعود
٤٨٩	٢١	إنكونوا	يكونوا	٤٨٩	٢١	إنكونوا	يكونوا
»	٢٢	لا أمة	الامة	»	٢٢	لا أمة	الامة
٤٩٣	١	عزا	غزا	٤٩٣	١	عزا	غزا
»	١٦	الخوازي	الخوارزمي	»	١٦	الخوازي	الخوارزمي
٤٩٤	٢١	عليه المشركون عليه	(١)	٤٩٤	٢١	عليه المشركون عليه	(١)
(١) في نسخة الازهر يياض قبل المشركون بقدر كلمة							

تصحیح أغلاط تعلیقات الحاشية بذكر الصحيح وحده غالباً

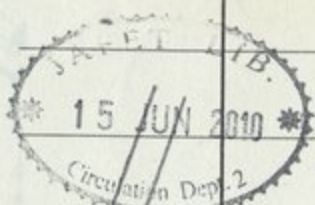
التعليقة الأولى الخاضية لاسم ابن كثير في أعلى الصفحة ٢ محلها حذف اسم البغوي في أدناها - وفي ص ٩ بقصده العابد - وفي ص ٥٦ تصحيح يقضي من الاصل يقضي وهو يقضي أن يصحح ما بعده منه فيقال فيقضي بهم ذلك الخ وفي ص ٧٥ أن المسؤل . وتعلية ص ٨٩ خطأ لأن (كتاب الاحكام) من مصنفات المؤلف - وفي ص ١٣٠ وأما جملة في جماعة - وفي التعليقة ٢ ص ١٣١ وبعض - سقط منها الواو - وتعلية ص ١٣٥ بطلت الحاجة اليها بتصحيح الاصل كما في الجدول - وفي ص ١٥٩ والاول قبل - وفي ٢٠١ كتفسير كتاب الله - سقط منها كتاب فيكتب - وفي ٢٩٤ الحكم (لا الحكم) - وفي ٣١٨ وعظم سقط منه الواو - وفي ٤١٨ واختار (أي بالواو لا الفاء) وفيها قيس (بالثنا لا الموحدة) - وفي ٤١٩ من حديث ونحوه في شأن الوقاع . (وما بعده تعليل لتعديدة الوقت بالي) وفي ٥١٦ يضعون نقطا - وفي ٥١٨ « لا يستحي الله من الحق » حذف منه لفظ الجلالة - وفي ٥٨٠ المحمص (وما عدا ذلك مدرك البداة وجل من لا يسهو ولا يغفل)

٢٩
قال
من
قط
١٥٥
(لا
المننا
وفي
حر





DATE DUE



٤

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر
... تفسير الحافظ ابن كثير... ويليه معا

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01009242

297.207

I 131

V. 1

